فهرست

(الجزء الاول)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت
الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا وقع النزاع
فى التعبير الامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المسمى
جامع البيان فى تفسير القرآن رحمه الله وأثابه رضاه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبدع الكائنات على أحسن نظام ومسهل الخيرات على أكمل ما يرام والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المخلوقات وأكمل داع الى الله وآت بالبينات وعلى آله وأصحابه وسائر محبيه وأحزابه (وبعد) فيقول الفقير الى الله تعالى (مصطفى بن محمد) البابى الحلبى الكتبى انى طالما رأيت علماء العرب المسيحيين مولعين بالبحث عن الكتب الاسلامية القديمة العهد ومجتهدين فى الحصول على ما فيها من العلوم ويسمى المشتغل منهم بذلك (مستشرقا) أى دأبه البحث عن الكتب الشرقية ومن أهم ما كانوا يجدون البحث عنه (تفسير القرآن للامام محمد بن جرير الطبرى) حتى ان الواحد منهم اذا سمع بوجود بعض قطع من التفسير المذكور فى بعض الكتبخانات يعمل كل وسيلة للاطلاع عليها ونسخ ما يمه منها ولا يبالى بصرف الوقت والمال فى سبيل ذلك وكنت أكاد أن أذوب خجلا وأسفا عندما أرى بعض الكتب العربية سبقنا أهل أوروبا لطبعه ونشره ولم يصل الينا الامن أيديهم بعد فترة من الزمن مع اننا أحق بالمسابقة فى نشر كتبنا ولم يجئ هذا الا من تساهل أفراد الامة الاسلامية فيما هو أحق بهم وانى أشكر علماء أوروبا الذين يبحثون عن الكتب الاسلامية ويعرفون لرجال الاسلام قدرهم ويدأبون فى نشر كتبهم ولما كنت ممن وفقنى الله لنشر بعض الكتب العالية محبة فى الخير وتسهيل السبيل اليه بادرت بطبع كتاب تفسير الامام محمد بن جرير الطبرى الذى مضى على وفاة مؤلفه (ألف واحدى عشرة سنة) محبة لنشر نفعه وخوفا من أن يسبقنا الاوروباويون لطبعه واظهاره الى عالم الوجود كما سبقونا الى غيره من معتبرات الكتب ولما كانت نسخه عزيزة جدا طبعناه على نسخة أحضرناها من عند أمراء نجد (آل رشيد) وقابلناها على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية بمصر وعلى نسخة أخرى نقلت من الكتبخانة الاحمدية بمدينة (حلب الشهباء) واخترنا لتصحيحه جمعا من علماء الازهر الشريف برآسة الشيخ محمد الزهرى الغمراوى والحمد لله على اتمام طبعه وأرجو الله أن يوفقنى الى طبع غيره ونشره وأن يسهل الاسباب ويذلل الصعاب

(وهذا ما كتبه ثناء على طبع هذا الكتاب العلامة الفاضل الشيخ أحمد عمر المحمصانى الازهرى)

الحمد لله حمد الشاكرين وصلى الله على سيدنا محمد والنبيين وآلهم أجمعين (أما بعد) فقد وفق الله الهمام الفاضل السيد مصطفى أفندى الحلبى لنشر هذا التفسير الجليل القليل المثال بعد أن كان كنزا مدفونا فاصبح دانى القطاف سهل التناول لا يمنع طالبه ولا يرد راغبه وهذه نعمة منحنا الله اياها بهذه الطباعة الجليلة المآثر ونعم ما قيل كم ترك الاول للآخر

وغير خفى على كل عاقل أن أنفع شئ فى هذا العصر لاحياء مجد الامة الاسلامية هو نشر ما كان عليه سلفها حتى يقتدى الخلف بالسلف ويمشى الآخر على قدم الاول ولا سبيل لذلك الا بنشر المؤلفات النافعة الموقظة للهمم الموقظة للعزائم وهذا ما تحض عليه كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحا

بيد انا محتاجون الى المعلمين المرشدين للاعمال حتى تحيا بهم الارض ومن عليها ولذا ينبغى لكل من استشعرى نفسه هذا أن يستديم عليه حتى يتقن عمله والله لا يضيع أجر من أحسن عملا

وفق الله المسلمين لما فيه خيرهم وهداهم الى احياء أنفسهم بالعلم النافع والعمل الصالح وأرشدهم الى الخير والاصلاح انه ولى المتقين

(فهرست الجزء الاول للامام ابن جرير الطبري)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تم فهرست الجزء الاول من ابن جرير)

(فهرست الجزء الاول من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء الاول من تفسير ابن جرير)

صحيفة

صحيفة

(تم فهرست الجزء الاول من النيسابوري)

(فهرست الجزء الثاني من تفسير الامام ابن جرير الطبري)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تم فهرست الجزء الثاني من ابن جرير)

(فهرست الجزء الثانى من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الثانى من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الثانى من النيسابورى)

(فهرست الجزء الثالث من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

صحيفة

صحيفة

(تم فهرست الجزء الثالث من ابن جرير)

(تمت فهرست الجزء الثالث من النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الثالث من ابن جرير)

*(فهرست الجزء الرابع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تمت فهرست الجزء الرابع من تفسير ابن جرير) *

(فهرست الجزء الرابع من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء الرابع من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الرابع من النيسابورى)

(فهرست الجزء الخامس من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

صحيفه

صحيفه

(فهرست الجزء الخامس من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الخامس من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الخامس من النيسابوري)

(فهرست الجزء السادس من تفسير الامام ابن جرير الطبري)

صحيفه

صحيفه

(تم فهرست الجزء السادس من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء السادس من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء السادس من تفسير ابن جرير)

صحيفه

صحيفه

(تم فهرست الجزء السادس من النيسابورى)

*(فهرست الجزء السابع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

(تم فهرست الجزء السابع من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء السابع من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء السابع من تفسير ابن جرير)

صحيفه

صحيفه

صحيفه

*(تم فهرست الجزء السابع من تفسير النيسابورى)

(فهرست الجزء الثامن من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

صحيفة

(تم الجزء الثامن من تفسير الامام ابن جرير)

(فهرست الجزء الثامن من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الثامن من تفسير ابن جرير)

صحيفة

(تم الجزء الثامن من تفسير النيسابورى)

(فهرست الجزء التاسع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم فهرست الجزء التاسع من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء التاسع من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء التاسع من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء التاسع من النيسابورى)

(فهرست الجزء العاشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم فهرست الجزء العاشر من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء العاشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء العاشر من تفسير ابن جرير)

(تمت فهرست الجزء العاشر من النيسابورى)

(فهرست الجزء الحادى عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم فهرست الجزء الحادى عشر من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء الحادى عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الحادى عشر من تفسير ابن جرير)

تم فهرست الجزء الحادى عشر من تفسير النيسابورى

(فهرست الجزء الثانى عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم فهرست الجزء الثاني عشر من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء الثاني عشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء الثاني عشر من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الثاني عشر من النيسابوري)

*(فهرست الجزء الثالث عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم الجزء الثالث عشر من تفسير الامام ابن جرير)

(فهرست الجزء الثالث عشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء الثالث عشر من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الثالث عشر من النيسابورى)

(فهرست الجزء الرابع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم فهرست الرابع عشر من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء الرابع عشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء الرابع عشر من ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الرابع عشر من النيسابوري)

(فهرست الجزء الخامس عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري)

(تم فهرست الجزء الخامس عشر من ابن جرير)

(فهرست الجزء الخامس عشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء الخامس عشر من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الخامس عشر من تفسير النيسابورى)

(فهرست الجزء السادس عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم فهرست الجزء السادس عشر من ابن جرير)

(فهرست الجزء السادس عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء السادس عشر من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء السادس عشر من النيسابورى)

*(فهرست الجزء السابع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم فهرست الجزء السابع عشر من ابن جرير)

(فهرست الجزء السابع عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء السابع عشر من ابن جرير)

(تم فهرست الجزء السابع عشر من النيسابوري)

(فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري)

(تم فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الثامن عشر من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الثامن عشر من النيسابورى)

(فهرست الجزء التاسع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم الجزء التاسع عشر من تفسير الامام ابن جرير)*

(فهرست الجزء التاسع عشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء التاسع عشر من تفسير ابن جرير)

صحيفه

(تمت فهرست الجزء التاسع عشر من النيسابورى)

(فهرست الجزء العشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

صحيفه

(فهرست الجزء العشرين من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء العشرين من ابن جرير)

(تم فهرست الجزء العشرين من النيسابوري)

(فهرست الجزء الحادى والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم فهرست الجزء الحادى والعشرين من ابن جرير)

(فهرست الجزء الحادى والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الحادى والعشرين من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الحادى والعشرين من النيسابورى)

(فهرست الجزء الثاني والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبري)

(فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الثانى والعشرين من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الثاني والعشرين من النيسابوري)

(فهرست الجزء الثالث والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبري)

(تم الجزء الثالث والعشرين من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء الثالث والعشرين من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء الثالث والعشرين من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الثالث والعشرين من النيسابورى)

(فهرست الجزء الرابع والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم فهرست الجزء الرابع والعشرين من ابن جرير)

(فهرست الجزء الرابع والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الرابع والعشرين من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الرابع والعشرين من النيسابورى)

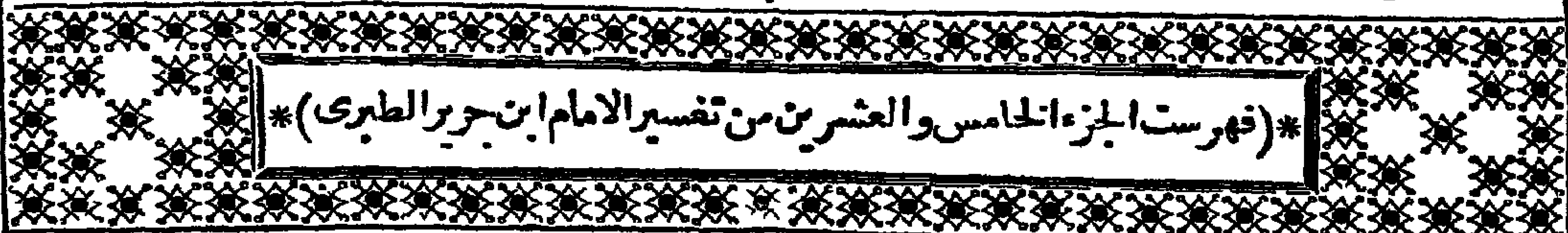

(فهرست الجزء الخامس والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم فهرست الجزء الخامس والعشرين من ابن جرير)

* (فهرست الجزء الخامس والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الخامس والعشرين من ابن جرير) *

(تم الجزء الخامس والعشرين من النيسابورى)

(فهرست الجزء السادس والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

صحيفه

صحيفه

(تم فهرست الجزء السادس والعشرين من ابن جرير)

(فهرست الجزء السادس والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء السادس والعشرين من تفسير ابن جرير)

تم فهرست الجزء السادس والعشرين من النيسابورى

(فهرست الجزء السابع والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

صحيفة

(تم الجزء السابع والعشرين من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء السابع والعشرين من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء السابع والعشرين من ابن جرير)

(تم فهرست الجزء السابع والعشرين من تفسير النيسابوري)

(فهرست الجزء الثامن والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبري)

صحيفه

(تم فهرست الجزء الثامن والعشرين من ابن جرير)

(فهرست الجزء الثامن والعشرين من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء الثامن والعشرين من تفسير ابن جرير)

(تم الجزء الثامن والعشرين من النيسابوري).

(فهرست الجزء التاسع والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم الجزء التاسع والعشرين من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء التاسع والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء التاسع والعشرين من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء التاسع والعشرين من تفسير النيسابورى)

(فهرست الجزء الثلاثين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم الجزء الثلاثون من تفسير ابن جرير الطبرى)

(فهرست الجزء الثلاثين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الثلاثين من ابن جرير)

(تمت الفهرست)

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وبمعونته تستنير القلوب وتندفع المدلهمات وبجوده تنتظم الامور وبرحمته يستجلب السرور والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد بالبينات والداعى الى الله بسواطع المعجزات وعلى آله الطاهرين وصحبه وجميع التابعين *(أما بعد)* (فيقول راجى غفران المساوى محمد الزهرى الغمراوى) انه لما من سبحانه بتمام طبع تفسير الامام محمد بن جرير الطبرى محلى الغرر بتفسير العلامة نظام الدين النيسابورى قدس الله أسرارهما وأعلى فى الجنان درجتهما وكان ذلك من أعظم باب فتح للمنافع وأكبر دليل لشأن الامة رافع ولكن لما كان كل منهما كبير المقدار غزير العلم كثير الاسرار ربما يندهش الرائى عندما يراه ولا يعثر من أسراره على بعض ما انطوت عليه سجاياه فيفوته كثير من المنافع ويحول بينه وبين ما فيه أكبر دافع فتسهيلا لاستطلاع بعض حقائقهما وايقافا على بعض الاسرار التى فيهما بذلنا غاية الجهد فى تصفح الكتاب واعمال فهرست يتضمن بعض درر من عقد مستطاب يكون أنموذجا يهتدى به القارئ فى مسالك مسائله ويعلم بعض ما انطوت عليه صفحاته من عزيز فوائده ولا يخفى ان كتب التفسير تحتوى على مسائل لغويه وفوائد نحويه واستنباطات فقهيه وغرائب تاريخيه وهذا الفهرست التزمنا فيه التنبيه على الفوائد الغريبه والمسائل التى لا يظن القارئ أن يجر اليها الكلام أو تكون للآيات قريبه وتركنا غالب المسائل اللغويه والنحويه اعتمادا على التفسير ونبهنا على الغوامض فجاء بهذا المقدار الكبير ولكن بما نبهنا عليه ينساق القارئ الى باقيه ويكون كالدليل الهادى الى كامل المحاسن التى فيه فبادر يدعوالى استطلاع قاع البحر والجوهر يجر الى نظم العقد وتزيين النحر فاليك برنامجا حوى من الفوائد ما يستوقف الانظار ومن الغرائب ما خلت عنه غالب الاسفار وبيانا لكنوز كلها جواهر وأسرار كلها زواهر لولا همة ملتزمى طبعه وسماحة خواطرهم بتسهيل نفعه لغابت نجومها فى آفاق صفحاته ولم يعلم بها غير مستوعبه قراءة فى طويل سنواته فالله يثيبنا واياهم على جميل المقاصد ويدفع عنا وعنهم شر كل حسود معاند

﴿ ترجمة الامام محمد بن جرير الطبري ﴾

(على حسب ما وجد باول نسخة الامير حمود ابن الامير عبيد الرشيد من أمراء نجد التي جرى تصحيح الكتاب عليها)

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري الامام صاحب التصانيف المشهورة منها هذا التفسير وكتاب التبصير وكتاب المبسوط وكتاب الارشاف وغير ذلك من تصانيفه مثل التاريخ وغيره قرأ القرآن على العباس بن الوليد وسمع منه وحدث عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب واسحق بن أبي اسرائيل واسمعيل بن موسى وهناد بن السري وأبي همام السكوني وأبي كريب وأبي سعيد الاشج وأحمد بن منيع ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار وعمرو بن علي الفلاس ويونس بن عبد الاعلى وخلق وروى عنه أبو شعيب الحراني وأبو عمرو بن حمدان النيسابوري وأبو الحسن علي بن غيلان الحراني والطبراني وخلق وقد طاف البلاد في طلب الحديث فسمع بمصر والشام والعراق واستوطن بغداد وأقام بها الى حين وفاته وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله بصيرا بالقرآآت عارفا بالمعاني فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفا باقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الاحكام وغيرها ومسائل الحلال والحرام عارفا بايام الناس وأخبارهم له مذهب معروف وأصحاب ينتحلون مذهبه يقال لهم الجريرية وبالجملة فما هو دون بعض الائمة الاربعة مات سنة ٣١٠ عشرة وثلاثمائة ورثاه ابن الاعرابي وابن دريد وغيرهما فمن مرثية ابن الاعرابي

حدث مفظع وخطب جليل * دق عن مثله اصطبار الصبور
قام ناعي العلوم أجمع لما * قام ناعي محمد بن جرير
فكتبه أنجم لها زاهرات * مؤذنات رسومها بالدثور
وتغشى ضياءها النير الاشـ * ـراق ثوب الدجنة الديجور
يا أبا جعفر مضيت حميدا * غير وان في الجد والتشمير
بين أجر على اجتهادك موفو * ر وسعي الى التقى مشكور
مستحقا به الخلود لدى * جنة عدن في غبطة وسرور

(ومن مرثية ابن دريد قوله)

ان تستطيع لامر الله تعتيبا ٢ * فاستنجد ٣ الصبر أو فاستغفر الحوبا
وافزع الى كنف التسليم وارض بما * قضى المهيمن مكروها ومحبوبا
ان العزاء ٤ اذا عزته جائحة * ذلت عريكته فانقاد مجنوبا
فان قرنت اليه العزم أيده * حتى يعود لديه الحزن مغلوبا

(٢) التعتيب الطي أي لاتستطيع لامر الله تغييرا (٣) أي اطلب نجدة الصبر أو استغفر من الحوب وهو الاثم (٤) العزاء الصبر وعزته بمعنى غلبته والمجنوب المنقاد وراء الراكب والجائحة المصيبة والعريكة النفس

فارم الاسا بالاسا تطفى مواقعها * جراحات لال ضلوع الصدر مشبوبا
من صاحب الدهر لم يعدم مجلجة (٢) * يظل منها طوال العيش منكوبا
ان الرزية لا وفر تزعزعه * أيدى الحوادث تشتيتا وتشذيبا (٣)
ولا تفرق ألاف يكون بهم * بين يغادر حبل الوصل معضوبا
لكن فقدان من أضحى بمصرعه * نور الهدى وبهاء العلم مسلوبا
أودى أبو جعفر والعلم فاصطحبا * أعظم بذا صاحبا اذ ذاك مصحوبا
ان المنية لم تتلف به رجلا * بل أتلفت علما للدين منصوبا
كان الزمان به تصفو مشاربه * فالآن أصبح بالتكدير مقطوبا

الى آخرها وهى طويلة وكان رحمه الله تعالى أسمر الى الادمة أعين نحيف الجسم مديد القامة فصيح اللسان ومما قال فيه محمد بن الرومى مولى الطاهرى

كان بحرا من العلوم فلما * فاض بالنفس غاض بحر معين
من له بعده اذا هو لا * هو مثله غيره عليه أمين اهـ

(ترجمة الامام محمد بن جرير الطبرى)

(صاحب هذا التفسير الجليل على حسب ما فى الطبقات الكبرى للامام عبد الوهاب بن السبكى)
(رحم الله الجميع وأسكنهم المكان الرفيع)

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الامام الجليل المجتهد المطلق أبو جعفر الطبرى من أهل آمد طبرستان أحد أئمة الدنيا علما ودينا مولده سنة أربع أو خمس وعشرين ومائتين طوف الاقاليم فى طلب العلم وسمع من محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب واسحق بن أبى اسرائيل واسمعيل بن محمد الغزارى وأبى كريب وهناد بن السرى والوليد بن شجاع وأحمد بن منيع ومحمد بن حميد الرازى ويونس بن عبد الاعلى وخلق سواهم روى عنه أبو شعيب الحرانى وهو أكبر منه سنا وسندا ومخلد الباقرحى والطبرانى وعبد الغفار الحصيى أبو عمرو بن حمدان وأحمد بن كامل وطائفة سواهم * وقرأ القرآن على سليمان بن عبد الرحمن الطلحى صاحب خلاد * ومن تصانيفه كتاب التفسير وكتاب التاريخ وكتاب القراآت والعدد والتنزيل وكتاب اختلاف العلماء وتاريخ الرجال من الصحابة والتابعين وكتاب أحكام شرائع الاسلام ألفه على ما أداه اليه اجتهاده وكتاب الخفيف وهو مختصر فى الفقه وكتاب التبصير فى أصول الدين وابتدأ تصنيف كتاب تهذيب الآثار وهو من عجائب كتبه ابتدأ بما رواه أبو بكر الصديق رضى الله عنه مما صح عنه بسنده وتكلم على كل حديث منه بعلله وطرقه وما فيه من الفقه والسنن واختلاف العلماء وحججهم وما فيه من المعانى والغريب فتم منه مسند العشرة وأهل البيت والموالى ومن مسند ابن عباس قطعة كبيرة ومات قبل تمامه وابتدأ بكتاب البسيط فخرج منه كتاب الطهارة فى نحو ألف وخمسمائة ورقة وخرج منه أكثر كتاب الصلاة وخرج منه آداب الحكام وكتاب المحاضر والسجلات وغير ذلك * قال الخطيب كان ابن جرير أحد الائمة يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله بصيرا بالمعانى فقيها فى أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفا بأقوال

(٢) الحلجة السبع (٣) التشذيب التفريق والتمزيق

الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين فى الاحكام ومسائل الحلال والحرام عارفا بايام الناس وأخبارهم وله الكتاب المشهور فى تاريخ الامم والملوك وكتاب فى التفسير لم يصنف أحد مثله وكتاب سماه تهذيب الآثار لم أر سواه فى معناه الا أنه لم يتمه وله فى أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة قال وسمعت على بن عبد الله بن عبد الغفار اللغوى والمعروف بالسمسمانى يحكى أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب فى كل يوم منها أربعين ورقة قال وبلغنى عن الشيخ أبى حامد الاسفراينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا أو كلاما هذا معناه انتهى وذكر أبو محمد الفرغانى فى صلة التاريخ ان قوما من تلامذة محمد بن جرير حسبوا لابى جعفر منذ بلغ الحلم الى أن مات ثم قسموا على تلك المدة أوراق مصنفاته فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة *(قلت)* وهذا لا ينافى كلام السمسمانى لانه منذ بلغ لا بد أن يكون مضت له سنين فى الطلب لا يصنف فيها وذكر أن أبا العباس بن سريج كان يقول محمد بن جرير الطبرى فقيه العالم وذكر أن محمد بن جرير قال أظهرت فقه الشافعى وأفتيت به ببغداد عشر سنين وتلقاه منى ابن بشار الاحول أستاذ أبى العباس بن سريج وروى أن أبا جعفر قال لاصحابه أتنشطون لتفسير القرآن قالوا كم يكون قدره فقال ثلاثون ألف ورقة فقالوا هذا ربما تفنى الاعمار قبل تمامه فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة ثم قال هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا قالوا كم قدره فذكر نحوا مما ذكره فى التفسير فاجابوه بمثل ذلك فقال انا لله ماتت الهمم فاختصره فى نحو ما اختصر التفسير قال الحاكم سمعت أبا بكر بن بالويه يقول قال لى ابن خزيمة بلغنى انك كتبت التفسير عن ابن جرير قلت نعم املاء قال كله قلت نعم قال فى كم سنة قلت من سنة ثلاث وثمانين الى سنة تسعين قال فاستعاره منى ابن خزيمة ورده بعد سنين ثم قال نظرت فيه من أوله الى آخره وما أعلم على أديم الارض أعلم من محمد بن جرير ولقد ظلمته الحنابلة وقال أبو على الطومارى كنت أحمل القنديل فى شهر رمضان بين يدى أبى بكر بن مجاهد لصلاة التراويح فخرج ليلة من ليالى العشر الاواخر من داره واجتاز على مسجده فلم يدخله وأنا معه وسار حتى انتهى فوقف على مسجد ابن جرير وابن جرير يقرأ سورة الرحمن فاستمع قراءته طويلا ثم انصرف فقلت له يا أستاذ تركت الناس ينتظرونك وجئت تستمع قراءة هذا فقال يا أبا على دع عنك هذا ما ظننت ان الله خلق بشرا يحسن ان يقرأ هذه القراءة وذكر أن المكتفى الخليفة قال للحسن بن العباس أريد أن أقف وقفا يجتمع أقاويل العلماء على صحته ويسلم من الخلاف قال فاحضر ابن جرير فاملى عليهم كتابا لذلك فاخرجت له جائزة سنية فابى أن يقبلها فقيل له لا بد من جائزة أو قضاء حاجة فقال نعم الحاجة أسأل أمير المؤمنين أن يتقدم الى الشرط أن يمنعوا السؤال من دخول المقصورة يوم الجمعة فتقدم بذلك وعظم فى نفوسهم قال أبو محمد الفرغانى صاحب ابن جرير أرسل العباس بن الحسن الوزير الى ابن جرير قد أحببت ان أنظر فى الفقه وسأله أن يعمل له مختصرا فعمل له كتاب الخفيف فانفذه فوجه اليه ألف دينار فلم يقبلها فقيل له تصدق بها فلم يفعل وقال حسينك بن على النيسابورى أول ما سألنى ابن خزيمة قال كتبت عن محمد بن جرير قلت لا قال ولم قلت لانه كان لا يظهر وكانت الحنابلة تمنع من الدخول عليه فقال بئس ما فعلت ليتك لم تكتب عن كل من كتبت عنهم وسمعت منه (قلت) لم يكن عدم ظهوره ناشئا عن أنه منع ولا كانت للحنابلة شوكة تقتضى ذلك وكان مقدار ابن جرير أرفع من أن يقدروا على منعه وانما ابن جرير نفسه كان قد جمع نفسه عن مثل الاراذل المتعرضين الى عرضه فلم يكن يأذن فى الاجتماع به الا لمن يختاره ويعرف أنه على السنة وكان الوارد من البلاد مثل حسينك وغيره لا يدرى حقيقة حاله فربما أصغى الى كلام من يتكلم فيه بجهله بامره فامتنع عن الاجتماع به ومما يدلك على أنه لم يمنع قول ابن خزيمة

لحسينك لبتك سمعت منه فان فيه دلالة أن سماعه منه كان ممكنا ولو كان ممنوعا لم يقل له ذلك وهذا أوضح من أن ينبه عليه وأمر الحنابلة في ذلك العصر كان أقل من ذلك قال الفرغاني كان محمد بن جرير ممن لا يأخذه في الله لومة لائم مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد فأما أهل العلم والدين فغير منكرين علمه وزهده في الدنيا ورفضه لها وقناعته بما كان يرد عليه من حصة خلفها له أبوه بطبرستان يسيرة ولما تقلد الخاقاني الوزارة وجه اليه بمال كثير فأبى أن يقبله فعرض عليه القضاء فامتنع فعاتبه أصحابه وقالوا لك في هذا ثواب وتحيي سنة قد درست وطمعوا في أن يقبل ولاية المظالم فانتهرهم وقال قد كنت أظن أني لو رغبت في ذلك لنهيتموني عنه وقال الفرغاني رحل ابن جرير من مدينة آمد لما ترعرع وسمح له أبوه بالسفر وكان طول حياته ينفذ اليه بالشيء بعد الشيء الى البلدان فسمعته يقول أبطأت عني نفقة والدي واضطررت الى أن فتقت كمي القميص فبعتهما وقال ابن كامل توفي عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة ودفن في داره برحبة يعقوب ولم يغير شيبه وكان السواد في رأسه ولحيته كثيرا وكان أسمر الى الأدمة أعين نحيف الجسم مديد القامة فصيحا واجتمع عليه من لا يحصيه الا الله وصلى على قبره عدة شهور ليلا ونهارا ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب من ذلك قول ابن سعيد بن الأعرابي

حدث مفظع وخطب جليل * دق عن مثله اصطبار الصبور
قام ناعي العلوم أجمع لما * قام ناعي محمد بن جرير

(وقال ابن دريد)

ان المنية لم تتلف به رجلا * بل أتلفت علما للدين منصوبا
كان الزمان به تصفو مشاربه * والآن أصبح بالتكدير مقطوبا
كلا وأيامه الغر التي جعلت * للعلم نورا وللتقوى محاريبا اهـ

(ترجمة الامام محمد بن جرير الطبري على حسب ما في تاريخ ابن خلكان)

أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري وقيل يزيد بن كثير بن غالب صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير كان اماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله وكان من الأئمة المجتهدين لم يقلد أحدا وكان أبو الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني المعروف بابن طرار على مذهبه وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وكان ثقة في نقله وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها وذكره الشيخ أبو اسحق الشيرازي في طبقات الفقهاء في جملة المجتهدين ورأيت في بعض المجاميع هذه الأبيات منسوبة اليه وهي

اذا أعسرت لم يعلم شقيقي * وأستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظ لي ماء وجهي * ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو أني سمحت ببذل وجهي * لكنت الى الغنى سهل الطريق

وكانت ولادته سنة أربع وعشرين ومائتين بآمد طبرستان وتوفي يوم السبت آخر النهار ودفن يوم الأحد في داره في السادس والعشرين من شوال سنة عشر وثلثمائة ببغداد رحمه الله تعالى ورأيت بمصر في القرافة الصغرى عند سفح المقطم قبرا يزار وعند رأسه حجر مكتوب هذا قبر ابن جرير الطبري والناس يقولون هذا صاحب التاريخ وليس بصحيح بل الصحيح انه ببغداد وكذلك قال ابن يونس في تاريخه المختص بالغرباء انه توفي ببغداد وأبو بكر الخوارزمي الشاعر المشهور ابن أخته وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وقد سبق الكلام على الطبري اهـ من ابن خلكان

(الجزء الاول)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المسمى جامع البيان فى تفسير القرآن رحمه الله وأثابه رضاه آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامه نظام الدين الحسن ابن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولا برح الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع بها تستمد منها سائر البرية وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة ما يحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نثق وعليه اعتمادى رب يسر قرئ على أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى فى سنة ست وثلاثمائة قال الحمد لله الذى حجبت الالباب بدائع حكمه * وخصمت العقول لطائف حججه * وقطعت عذر الملحدين عجائب صنعه * وهتفت فى اسماع العالمين ألسن أدلته * شاهدة انه الله الذى لا اله الا هو الذى لا عدل له ولا مثل له مماثل * ولا شريك له مظاهر * ولا ولد له ولا والد * ولم يكن له صاحبة ولا كفوًا أحد * وانه الجبار الذى خضعت لجبروته الجبابرة * والعزيز الذى ذلت لعزته الملوك الاعزة وخشعت لمهابة سطوته ذوو المهابة * وأذعن له جميع الخلق بالطاعة طوعا وكرها * كما قال الله عز وجل * ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال * فكل موجود الى وحدانيته داع * وكل محسوس الى ربوبيته هاد * بما وسمهم به من آثار الصنعة من نقص وزيادة وعجز وحاجة * وتصرف فى عاهات عارضة * ومقارنة أحداث لازمة * لتكون له الحجة البالغة * ثم أردف ما شهدت به من ذلك أدلته * وأكد ما استنارت فى القلوب منه بهجته * برسل ابتعثهم الى عباده دعاة الى ما اتضحت لديهم صحته * وثبتت فى العقول حجته * لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل * وليذكر أولو النهى والحلم فأمدهم بعونه * وأبانهم من سائر خلقه بما دل به على صدقهم من الادلة وأيدهم به من الحجج البالغة والآى المعجزة لئلا يقول القائل منهم ما هو الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون * ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فجعلهم سفراء بينه وبين خلقه * وأمناءه على وحيه * واختصهم بفضله * واصطفاهم برسالته * ثم جعلهم فيما خصهم به من مواهبه * ومن به عليهم من كرامته * مراتب مختلفة * ومنازل مفترقة ورفع بعضهم فوق بعض درجات * متفاضلات متباينات * فكرم بعضهم بالتكليم والنجوى * وأيد بعضهم بروح القدس وخصه باحياء الموتى * وابراء أولى العاهة والعمى * وفضل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم من الدرجات بالعليا ومن المراتب بالعظمى * فحباه من أقسام كرامته

بالقدح

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الى الله الكريم أرغب فى ابداع غرائب القرآن وبفضله العميم أتأهب لايداع رغائب الفرقان فانه منتهى الآمال ونوال السؤال وهذا حين افتتح فأقول

الحمد لله الذى جعلنا ممن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه وجعلنى ذا نفس أبية وهمة علية لا تكاد تستأنس الابد كرجبه أعاف سفساف الامور وأخاف الموبقات الموجبات للثبور أميل عن زخرف الدنيا وزبرجها وأكبح النفس ان تحوم حول مخرجها وموبلجها هى النفس ما حملتها تحمل ان أرسلت استرسلت وان قدعت انقدعت فى الاول ولله السلف الشرز والعيون الى الامانى الفارغة الفانية والاضاليل الملهية عن السعادات الباقية تاقت قلوبهم الى الكرامات الدائمات واشتاقت أرواحهم الى اللذات الحقيقيات وتاهت ضمائرهم فى بيداء عظمة الملك والملكوت وتلاشت سرائرهم فى دأماء ديمومية العزة والجبروت تخلصوا من الناسوت ووصلوا الى اللاهوت وعنوا بشهوده وبقوا بوجوده ورضى كل منهم بقضاء معبوده فتجلت لهم الذات واتحدت عندهم

بالقسم الافضل * وخصه من درجات النبوة بالحظ الاجزل * ومن الاتباع والاصحاب بالنصيب الاوفر * وابتعثه بالدعوة التامة * والرسالة العامة * وحاطه وحيدا * وعصمه فريدا * من كل جبار عاند * وكل شيطان مارد * حتى أظهر به الدين * وأوضح به السبيل * وأبهج به معالم الحق * ومحق به منار الشرك * وزهق به الباطل * واضمحل به الضلال وخدع الشيطان * وعبادة الاصنام والاوثان * مؤيدا بدلالة على الايام باقية * وعلى الدهور والازمان ثابتة * وعلى ممر الشهور والسنين دائمة * يزداد ضياؤها على كر الدهور اشراقا * وعلى مر الليالي والايام ائتلاقا * خصيصا من الله لهم بها دون سائر رسله * الذين قهر بهم الجبابرة * واستذل بهم الامم الفاجرة * فعفت بعدهم منهم الآثار * وأخلت ذكرهم الليالي والايام * ودون من كان منهم مرسلا الى أمة دون أمة * وخاصة دون عامة * وجماعة دون كافة * فالحمد لله الذي أكرمنا بتصديقه وشرفنا باتباعه * وجعلنا من أهل الاقرار والايمان به وبما دعا اليه وجاء به * صلى الله عليه وعلى آله أزكى صلواته * وأفضل سلامه وأتم تحياته * (أما بعد) * فان من جسيم ما خص الله به أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الفضيلة وشرفهم به على سائر الامم من المنازل الرفيعة * وحباهم به من الكرامة السنية * حفظه ما حفظ جل ذكره وتقدست أسماؤه عليهم من وحيه وتنزيله الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم صلى الله عليه وسلم دلالة وعلى ما خصهم به من الكرامة علامة واضحة وحجة بالغة أبانه به عن كل كاذب ومفتر وفصل به بينهم وبين كل جاحد وملحد * وفرق به بينهم وبين كل كافر ومشرك الذي لو اجتمع جميع من بين أقطارها من جنها وانسها وصغيرها وكبيرها على ان يأتوا بسورة من مثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فجعله لهم في دجى الظلم نورا ساطعا * وفي سدف الشبه شهابا لامعا * وفي مضلة المسالك دليلا هاديا * والى سبل النجاة والحق حاديا * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام * ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم * حرسه بعين منه لا تنام * وحاطه بركن منه لا يضام * ولا تهي على الايام دعائمه * ولا تبيد على طول الزمان معالمه * ولا يجور عن قصد المحجة تابعه * ولا يضل عن سبل الهدى مصاحبه * من اتبعه فاز وهدى * ومن حاد عنه ضل وغوى * فهو موئلهم الذي اليه عند الاختلاف يئلون * ومعقلهم الذي اليه في النوازل يعقلون وحصنهم الذي به من وساوس الشيطان يتحصنون * وحكمة ربهم التي اليها يحتكمون * وفصل قضائه بينهم الذي اليه ينتهون * وعن الرضا به يصدرون * وحبله الذي بالتمسك به من الهلكة يعتصمون * اللهم فوفقنا لاصابة صواب القول في محكمه ومتشابهه وحلاله وحرامه * وعامه وخاصه ومجمله ومفسره وناسخه ومنسوخه وظاهره وباطنه وتأويل آيه وتفسير مشكله * وألهمنا التمسك به والاعتصام بمحكمه * والثبات على التسليم لمتشابهه * وأوزعنا الشكر على ما أنعمت به علينا من حفظه والعلم بحدوده * انك سميع الدعاء قريب الاجابة * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم كثيرا * (اعلموا) * عباد الله رحمكم الله ان أحق ما صرفت الى علمه العناية * وبلغت في معرفته الغاية * ما كان لله في العلم به رضى * وللعالم به الى سبيل الرشاد هدى * وان أجمع ذلك لباغيه كتاب الله الذي لا ريب فيه * وتنزيله الذي لا مرية فيه * الفائز بجزيل الذخر وسني الاجر تاليه * الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ونحن في شرح تأويله وبيان ما فيه من معانيه * منشئون ان الله شاء ذلك كتابا مستوعبا لكل ما بالناس اليه الحاجة من علمه جامعا ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيا * ومخبرون في كل ذلك بما انتهى الينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه الامة واختلافها فيما اختلفت فيه منه ومبينو علل كل

المختلفات فطابت لهم الغدوات واعتدلت لهم العشيات ولم تطمح أعينهم الا الى تحصيل ما يقرب الى الله زلفى وما جرت ألسنتهم الا بذكر الحق طوبى لهم وبشرى أسألك اللهم الاقتداء بأولئك والتوفيق لشكر ما أسبغت علي من عطائك وأتممت من نعمائك وأعوذ بك ان أزل أو أضل فيما آتي وأذر وان أركن الى الذين ظلموا فتمسني النار يوم العرض الاكبر ثبت أقدام أقلامي على الصدق ولا تغض ان ينطق في بكلام سوى الحق واجعلني بفضلك ممن لا ينظر الا اليك ولا يرغب الا فيما لديك ربيتني من غير سابقة علم مني ورببتني من غير حق وجب ذلك عليك فان افتخرت فيما أنعمت علي وقد أمرت وأما بنعمة ربك فحدث وان استغفرت فيما أسرفت على نفسي وقد قلت ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فيامن لا يوجد في جوده شوب غرض ولا علة شرفني في الآخرة بالعزة واحرسني في دنياي من الذلة ولا تؤاخذني بالنقصان الامكاني ولا تعاقبني بالنسيان الانساني حتى يكون لك الفضل في الآخرة والاولى والثناء في المبدا والحمدة في العقبى أدعوك دعاء البائس الفقير المستعين وأتضرع اليك تضرع الذليل المهين المستكين الماثل بين يدي مولاه الآيس بالكلية عمن سواه فاسمع فانك سميع الدعاء وأجب فانك قادر على ما تشاء والصلاة والسلام على عبدك المخصوص بتأييدك المتزهين

عن الادناس الجسمية المطهرين عن الارجاس النفسية الفائزين باشرف مراتب الانس الواصلين الى أعلى مدارج الانس الصائرين فى أرقى معارج القدس ولاسيما محمد الذى أشرق فى سماء النبوة بدرا وأشرف على بساط الرسالة صدرا سيد الثقلين وسند الخافقين امام المتقين ورسول رب العالمين الكائن نبيا وآدم بين الماء والطين المعفر له جباه الاملاك المشرف بلولاك لما خلقت الافلاك وعلى آله مفاتيح الجنة وأصحابه مصابيح الدجنة وسلم تسليما كثيرا * (وبعد) * فان المفتقر الى عفو ربه الكريم الحسن بن محمد القمى المشتهر بنظام النيسابورى نظم الله أحواله فى أولاه وأخراه يقول من المعلوم عند ذوى الافهام ان كلام الملوك ملوك الكلام وبقدر البون بين الواجب الذات والممكن الذات يوجد التفاوت بين كلام الله تعالى وكلام المخلوقات ولاسيما اذا وقع فى معرض التحدى الذى يظهر النبى هنالك من المتنبى وهذا شأن القرآن العظيم والفرقان الكريم الذى أخرس شقاشق المناطق قضهم بقضيضهم وأوقر مسامع المصاقع قمبا بين أوجهم وحضيضهم حتى اختاروا المقارعة بالسيوف على المعارضة بالحروف والمقاتلة بالاسنة على المقاولة بالالسنة والمكالمة بالهاذم على المكالمة بالهاذم والمبارزة بالاقران على الاتيان باقصر سورة من القرآن قال الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله قال أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وقال وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله درج لهم الامر فاوقع التحدى على القرآن جملة ثم على عشر سور ثم على سورة فاضطرهم التعجيز الى ايثار الاصعب على الاسهل فتبين ان الاسهل فى النظر هو الاصعب فى نفس الامر وذلك من أدل دليل على حقية المنزل وصدق المنزل عليه وكيف لا وفيه نبأ الاولين وخبر الآخرين وحكم ما بين الخلائق أجمعين قال صلى الله عليه وسلم فى وصفه هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل والفصاحة

مذهب من مذاهبهم وموضحو الصحيح لدينا من ذلك باوجز ما أمكن من الايجاز فى ذلك وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه * والله نسأل عونه وتوفيقه لما يقرب من محابه ويبعد من مساخطه وصلى الله على صفوته من خلقه وعلى آله وسلم كثيرا * وان أول ما نبدأ به من القيل فى ذلك الابانة عن الاسباب التى البداية بها أولى وتقديمها قبل ما عداها أحرى * وذلك البيان عما فى آى القرآن من المعانى التى من قبلها يدخل اللبس على من لم يعان رياضة العلوم العربية * ولم تستحكم معرفته بتصاريف وجوه منطق الالسن السليقية والطبيعية * (القول فى البيان) * عن اتفاق معانى آى القرآن ومعانى منطق من نزل بلسانه من وجه البيان والدلالة على ان ذلك من الله جل وعز من الحكمة البالغة مع الابانة عن فضل المعنى الذى به باين القرآن سائر الكلام * (قال أبو جعفر) * محمد بن جرير الطبرى رحمه الله ان من عظيم نعم الله تعالى على عباده وجسيم منته على خلقه ما منحهم من فضل البيان الذى به عن ضمائر صدورهم يبينون * وبه على عزائم نفوسهم يدلون * فذلل به منهم الالسن * وسهل به عليهم المستصعب فبه اياه يوحدون * واياه به يسبحون ويقدسون * والى حاجاتهم به يتوصلون * وبه بينهم يتحاورون * فيتعارفون ويتعاملون * ثم جعلهم جل ذكره فيما منحهم من ذلك طبقات ورفع بعضهم فوق بعض درجات * فبين خطيب مسهب * وذلق اللسان مهذب * ومفحم عن نفسه لا يبين * وعى عن ضمير قلبه لا يعبر * وجعل أعلاهم فيه رتبة * وأرفعهم فيه درجة * أبلغهم فيما أراد به بلاغا * وأبينهم عن نفسه بيانا * ثم عرفهم فى تنزيله ومحكم آى كتابه فضل ما حباهم به من البيان * على من فضلهم به عليه من ذى البكم والمستعجم اللسان * فقال أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين * فقد وضح اذا لذوى الافهام * وتبين لاولى الالباب * ان فضل أهل البيان على البكم والمستعجم اللسان * بفضل اقتدار هذا من نفسه عن ابانة ما أراد ابانته عن نفسه ببيانه * واستعجام لسان هذا عما حاول ابانته بلسانه * فاذا كان ذلك كذلك وكان المعنى الذى به باين الفاضل المفضول فى ذلك فصار به فاضلا والآخر مفضولا هو ما وصفنا من فضل ابانة ذى البيان * عما قصر عنه المستعجم اللسان * وكان ذلك مختلف الاقدار متفاوت الغايات والنهايات * فلا شك ان أعلى منازل البيان درجة وأسنى مراتبه مرتبة أبلغه فى حاجة المبين عن نفسه * وأبينه عن مراد قائله وأقربه من فهم سامعه * فان تجاوز ذلك المقدار * وارتفع عن وسع الانام * وعجز عن ان يأتى بمثله جميع العباد * كان حجة وعلما لرسل الواحد القهار * كما كان حجة وعلما لها احياء الموتى وابراء الابرص وذوى العمى بارتفاع ذلك عن مقادير أعلى منازل طب المتطببين * وارفع مراتب علاج المعالجين * الى ما يعجز عنه جميع العالمين * وكالذى كان لها حجة وعلما قطع مسافة شهرين فى الليلة الواحدة * بارتفاع ذلك عن وسع الانام * وتعذر مثله على جميع العباد * وان كانوا على قطع القليل من المسافة قادرين * ولليسير منه فاعلين * فاذا كان ما وصفنا من ذلك كالذى وصفنا * تبين ان لا بيان أبين ولا حكمة أبلغ * ولا منطق أعلى * ولا كلام أشرف من بيان ومنطق تحدى به امرؤ قوما فى زمان هم فيه رؤساء صناعة الخطب والبلاغة * وقيل الشعر

ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم ولقد انتصب بجمع غفير وجمع كثير من الصحابة والتابعين الراسخين والفضلاء والمحققين والائمة المتقنين فى كل عصر وحين للغوص فى تيار بحاره والكشف عن استار اسراره والفحص عن غرائبه والاطلاع على رغائبه نقلا وعقلا وأخذا واجتهادا فتباينت مطامح هممهم وتفاوتت سوابغ نياتهم وتشعبت مسالك أقدامهم وتثنت مقاطر أقلامهم فمن بين وجيز وأوجز ومطنب وملغز ومن مقتصر على حل الالفاظ ومن ملاحظ مع ذلك حظ المعانى والبيان فعم المحافظ فشكر الله تعالى مساعيهم وصان عن ازراء القادح معاليهم ومنهم من أعرض عن التفسير وأقبل على التأويل وهو عندى ركون الى الاضاليل وسكون على شفا جرف الاباطيل الا من عصمه الله وانه لقليل ومنهم من مرج البحرين وجمع بين الامرين فللراغب الطالب ان يأخذ العذب الفرات ويترك الملح الاجاج ويلقط الدر الثمين ويسقط السبخ والزجاج واذ وفقنى الله تعالى لتحريك القلم فى أكثر الفنون المنقولة والمعقولة كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين أهل الزمان وكان علم التفسير من العلوم بمنزلة الانسان من العين والعين من الانسان وكان قد رزقنى الله تعالى من ابان الصبا وعنفوان الشباب حفظ لفظ القرآن وفهم معنى الفرقان وطالما طالبنى بعض أجلة الاخوان واعزة الاخدان ممن كنت مشارا اليه عندهم بالبنان فى البيان والله المنان يجازيهم عن حسن ظنونهم ويوفقنا لاسعاف سؤلهم وانجاح مطلوبهم ان أجمع كتابا فى علم التفسير مشتملا على المهمات مبنيا على ماوقع الينا من نقل الاثبات وأقوال الثقات من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين والمتأخرين جعل الله تعالى سعيهم مشكورا وعملهم مبرورا فاستعنت بالمعبود وشرعت فى المقصود معترفا بالعجز والقصور فى هذا الفن وفى سائر الفنون لا كمن هو بابنه وشعره مفتون كيف وقد قال عز من قائل وما أوتيتم من العلم الا قليلا ومن أصدق من الله قيلا وكفى بالله وليا وكفى بالله وكيلا ولما كان التفسير الكبير المنسوب الى الامام الافضل والهمام الامثل الحبر البحر بل والبحر الغزير الجامع بين المعقول والمنقول الفائق بالفروع والاصول أفضل المتأخرين فخر الملة والحق والدين محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازى

والفصاحة * والسجع والكهانة * كل خطيب منهم وبليغ وشاعر منهم وفصيح وكل ذى سجع وكهانة * فسفه احلامهم * وقصر بعقولهم * وتبرأ من دينهم * ودعا جميعهم الى اتباعه والقبول منه * والتصديق به والاقرار * بانه رسول اليهم من ربهم * وأخبرهم ان دلالته على صدق مقالته * وحجته على حقيقة نبوته * ما أتاهم به من البيان والحكمة والفرقان بلسان مثل ألسنتهم * ومنطق موافقة معانيه معانى منطقهم * ثم أنبأ جميعهم انهم عن ان يأتوا بمثل بعضه عجزة * ومن القدرة عليه نقصة * فاقر جميعهم بالعجز واذعنوا له بالتصديق وشهدوا على أنفسهم بالنقص * الا من تجاهل منهم وتعامى * واستكبر وتغاشى فحاول تكلف ماقد علم انه عنه عاجز * ورام ماقد تيقن انه عليه غير قادر * فابدى من ضعف عقله ما كان مستورا * ومن عى لسانه ما كان مصونا * فاتى بما لا يعجز عنه الضعيف الاخرق * والجاهل الاحمق * فقال والطاحنات طحنا * والعاجنات عجنا * فالخابزات خبزا والثاردات ثردا * واللاقمات لقما * ونحو ذلك من الحماقات * المشبهة دعواه الكاذبة * فاذا كان تفاضل مراتب البيان * وتباين منازل درجات الكلام ماوصفنا قبل * وكان الله تعالى ذكره وتقدست اسماؤه * أحكم الحكماء * وأحلم الحلماء * كان معلوما ان أبين البيان بيانه * وأفضل الكلام كلامه * وان قدر فضل بيانه جل ذكره على بيان جميع خلقه كفضله على جميع عباده * فاذا كان ذلك كذلك * وكان غير مبين منا عن نفسه من خاطب غيره بما لا يفهمه عنه المخاطب * كان معلوما انه غير جائز أن يخاطب جل ذكره أحدا من خلقه الا بما يفهمه المخاطب * ولا يرسل الى أحد منهم رسولا برسالة الا بلسان وبيان يفهمه المرسل اليه * لان المخاطب والمرسل اليه ان لم يفهم ماخوطب به وأرسل به اليه فحاله قبل الخطاب وقبل مجىء الرسالة اليه وبعده سواء * اذ لم يفده الخطاب والرسالة شيأ كان به قبل ذلك جاهلا * والله جل ذكره يتعالى أن يخاطب خطابا أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسلت اليه لان ذلك فينا من فعل أهل النقص والعبث والله تعالى عن ذلك متعال * ولذلك قال جل ثناؤه فى محكم تنزيله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم * وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم محمد وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون فغير جائز ان يكون به مهتديا من كان بما يهدى اليه جاهلا * فقد تبين اذا بما عليه دللنا من الدلالة ان كل رسول لله جل ثناؤه أرسله الى قوم فانما أرسله بلسان من أرسله اليه * وكل كتاب أنزله على نبى ورسالة أرسلها الى أمة فانما أنزله بلسان من نزل أو أرسله اليه واتضح بما قلنا ووصفنا ان كتاب الله الذى أنزله الى نبينا صلى الله عليه وسلم بلسان محمد صلى الله عليه وسلم * واذا كان لسان محمد صلى الله عليه وسلم عربيا فبين ان القرآن عربى وبذلك أيضا نطق محكم تنزيل ربنا فقال جل ذكره انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * وقال وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين * واذا كانت واضحة صحة ماقلنا بما عليه استشهدنا من الشواهد * ودللنا عليه من الدلائل * فالواجب ان تكون معانى كتاب الله

ثم تغمده الله برضوانه وأسكنه بحبوبة جنانه اسمه مطابق لمسماه وفيه من اللطائف والبحوث مالا يحصى ومن الزوائد والفتوى مالا يخفى فانه قد بذل مجهوده ونشل موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين وأعوز تحصيله على الراغبين فاذيت سياق مرامه وأوردت حاصل كلامه وقربت مسالك أقدامه والتقطت عقود نظامه من غير اخلال بشئ من الفوائد واهمال لما بعد من اللطائف والعوائد وضممت اليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من اللطائف المهمات أو رزقني الله تعالى من البضاعة المزجاة

وأثبت القراآت المعتبرات والوقوف المعللات ثم التفسير المشتمل على المباحث اللفظيات والمعنويات مع اصلاح ما يجب اصلاحه واتمام ما ينبغي اتمامه من المسائل الموردة في التفسير الكبير والاعتراضات ومع كل ما وجدت في الكشاف من المواضع المعضلات سوى الابيات المعقدات فان ذلك أوردها من ظن ان تصحيح القراآت وغرائب القرآن انما يكون بالامثال والمستشهدات كلا فان القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه فلا علينا ان نقتصر في غرائب القرآن على تفسيرها بالالفاظ المشتهرات وعلى ايراد بعض المجانسات التي تعرف منها أصول الاشتقاقات وذكرت طرفا من الاشارات المقنعات والتأويلات الممكنات والحكايات والنكت والمواعظ الرادعة عن المنهيات الباعثة على أداء الواجبات والتزمت ايراد لفظ القرآن الكريم أولا مع ترجمته على وجه بديع وطريق منيع يشتمل على ابراز المقدرات واظهار المضمرات وتأويل المتشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات فان هذا النوع من الترجمة مما تسكب فيه العبرات وترى المترجمون هنالك الى العثرات وقلما يفطن له الناشئ الواقف على متن اللغة العربية فضلا عن الدخيل الزخيل القاصر في العلوم الادبية واجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل الرشاد ووضعت الجميع على طرف الثمام ليكون الكتاب كالبدر في التمام وكالشمس في افادة الخاص والعام من غير تطويل يورث الملام ولا تقصير يوعر مسالك السالك ويبدد نظام الكلام فخير الكلام ما قل ودل وحسبك من الزاد ما بلغك المحل والتكلان في الجميع على الرحمن المستعان والتوفيق مسؤول من مفتح الفضل الاحسان ... الاعتنا ... أوان

العجم

المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لمعاني كلام العرب موافقا وظاهره لظاهر كلامها ملائما * وان باينه كتاب الله بالفضيلة التي فضل بها سائر الكلام والبيان بما قد تقدم وصفنا فاذا كان ذلك كذلك * فبين اذ كان موجودا في كلام العرب الايجاز والاختصار * والاجتزاء بالاخفاء من الاظهار * وبالقلة من الاكثار * في بعض الاحوال واستعمال الاطالة والاكثار والترداد والتكرار * واظهار المعاني بالاسماء دون الكناية والاسرار * في بعض الاوقات والخبر عن الخاص في المراد بالعام الظاهر * وعن العام في المراد بالخاص الظاهر * وعن الكناية والمراد منه التصريح * وعن الصفة والمراد الموصوف * وعن الموصوف والمراد الصفة وتقديم ما هو في المعنى مؤخر * وتأخير ما هو في المعنى مقدم * والاكتفاء ببعض من بعض وبما يظهر عما يحذف * واظهار ما حظه الحذف ان يكون ما في كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك في كل ذلك له نظيرا وله مثلا وشبيها * ونحن مبينو جميع ذلك في أماكنه ان الله شاء ذلك وأمد منه بعون وقوة *(القول في البيان)* عن الاحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من بعض أجناس الامم قال أبو جعفر ان سألنا سائل فقال انك ذكرت انه غير جائز أن يخاطب الله أحدا من خلقه الا بما يفهمه وان يرسل اليه رسالة الا باللسان الذي يفقهه فما أنت قائل فيما حدثكم به محمد بن حميد الرازي قال حدثنا حكام بن مسلم قال حدثنا عنبسة عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن أبي موسى يؤتكم كفلين من رحمته قال الكفلان ضعفان من الاجر بلسان الحبشة * وفيما حدثكم به ابن حميد قال حدثنا حكام عن عنبسة عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان ناشئة الليل قال بلسان الحبشة اذا قام الرجل من الليل قالوا نشأ * وفيما حدثكم به ابن حميد قال حدثنا حكام قال حدثنا عنبسة عن أبي اسحق عن أبي ميسرة ياجبال أوبي معه قال سبحي بلسان الحبشة * وفيما حدثنا به محمد بن خالد بن حراش الازدي قال حدثنا سالم بن قتيبة قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن قوله فرت من قسورة قال هو بالعربية الاسد وبالفارسية شار وبالقبطية اريا وبالحبشية قسورة * وفيما حدثكم به ابن حميد قال حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال قالت قريش لولا أنزل هذا القرآن على رجل أعجميا وعربيا فأنزل الله وقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء فأنزل الله بعد هذه الآية في القرآن بكل لسان فنه حجارة من سجيل قال فارسية أعربت سنك وكل * وفيما حدثكم به محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال في القرآن من كل لسان قال أبو جعفر كل ما قلت فيه وفيما حدثكم فقد حدثونا به وفيما أشبه ذلك من الاخبار التي يطول بذكرها الكتاب مما يدل على ان فيه من غير لسان العرب قيل له ان الذي قالوه من ذلك غير خارج من معنى ما قلنا من أجل انهم لم يقولوا هذه الاحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاما ولا كان ذلك لها منطقا قبل نزول القرآن ولا كانت بها العرب عارفة قبل مجيء الفرقان فيكون ذلك قولا لقولنا خلافا وانما قال بعضهم حرف كذا بلسان الحبشة معناه كذا أو حرف كذا بلسان

الشروع في تفسير القرآن وانقدم امام ذلك مقدمات *(المقدمة الاولى)* في فضل القراءة والقارئ وآداب القراءة وجواز اختلاف القرا آت وذكر القراء المشهورين المعتبرين عن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره وأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار وعنه ان النبي قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وعن ابن عباس قال قال رجل يارسول الله أي الاعمال أحب الى الله قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران وعن أبي هريرة ان رسول الله قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تبارك وتعالى يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه بينهم الانزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهل بن معاذ الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا وفي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن مثل الابل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان أطلقها ذهبت وفيهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرأ وفي الصحاح كلها عن عمر بن الخطاب قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها قال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها

العجم معناه كذا ولم يستنكر ان يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الامم المختلفة الالسن بمعنى واحد فكيف بجنسين منها كما قد وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الالسن المختلفة وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس وغير ذلك مما يتعذر احصاؤه ويمل بعداده كرهنا اطالة الكتاب بذكره مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى ولعل ذلك كذلك في سائر الالسن التي يجهل منطقها ولا يعرف كلامها فلو ان قائلا قال فيما ذكرنا من الاشياء التي عددنا وأخبرنا اتفاقه في اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية وما أشبه ذلك مما سكتنا عن ذكره ذلك كله فارسي لاعربي أو ذلك كله عربي لافارسي أو قال بعضه عربي وبعضه فارسي أو قال كان مخرج أصله من عند العرب فوقع الى العجم فنطقوا به أو قال كان مخرج أصله من عند الفرس فوقع الى العرب فاعرب كان مستجهلا لان العرب ليست باولى ان تكون كان مخرج أصل ذلك منها الى العجم ولا العجم باحق ان تكون كان مخرج أصل ذلك منها الى العرب اذ كان استعمال ذلك بلفظ واحد ومعنى واحد موجودا في الجنسين فليس أحد الجنسين باولى بان يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس الآخر والمدعي ان مخرج أصل ذلك انما كان من أحد الجنسين الى الآخر مدع أمرا لا يوصل الى حقيقة صحته الا بخبر يوجب العلم ويزيل الشك ويقطع العذر صحته بل الصواب في ذلك عندنا ان يسمى عربيا أعجميا أو حبشيا عربيا اذ كانت الامتان له مستعملتين في بيانها ومنطقها استعمال سائر منطقها وبيانها فليس غير ذلك من كلام كل أمة منهما باولى ان يكون اليها منسوبا منه وكذلك سبيل كل كلمة واسم اتفقت ألفاظ أجناس أمم فيها ومعناها ووجد ذلك مستعملا في كل جنس منها استعمال سائر منطقهم فسبيل اضافته الى كل جنس منها سبيل ما وصفنا من الدرهم والدينار والدواة والقلم التي اتفقت السن الفرس والعرب فيها بالالفاظ الواحدة والمعنى الواحد في انه مستحق اضافته الى كل جنس من تلك الاجناس باجتماع وافتراق وذلك هو معنى من روينا عنه القول في الاحرف التي مضت في صدر هذا الباب من نسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الحبشة ونسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الفرس ونسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الروم لان من نسب شيأ من ذلك الى ما نسبه اليه لم ينف بنسبته اياه الى ما نسبه اليه ان يكون عربيا ولا من قال منهم هو عربي نفي ذلك ان يكون مستحقا النسبة الى من هو من كلامه من سائر أجناس الامم غيرها وانما يكون الاثبات دليلا على النفي فيما لا يجوز اجتماعه من المعاني كقول القائل فلان قائم فيكون بذلك من قوله دالا على انه غير قاعد ونحو ذلك مما يمتنع اجتماعه لتنافيهما فاما ما جاز اجتماعه فهو خارج من هذا المعنى وذلك كقول القائل فلان قائم مكلم فلانا فليس في تثبيت القيام له ما دل على نفي كلام آخر لجواز اجتماع ذلك في حال واحدة من شخص واحد فقائل ذلك صادق اذا كان صاحبه على ما وصفه به فكذلك ما قلنا في الاحرف التي ذكرنا وما أشبهها غير مستحيل ان يكون عربيا بعضها أعجميا وحبشيا بعضها عربيا اذ كان موجودا استعمال ذلك في كلتي الامتين فناسب ما نسب من ذلك الى احدى الامتين أو كلتيهما محق غير مبطل فان ظن ذو غباء ان اجتماع ذلك في الكلام مستحيل كما هو مستحيل في انساب بني آدم فقد ظن جهلا وذلك ان

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي اقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه اذا تقرر ذلك فنحن نذكر في الكتاب من القراآت السبع المنسوبة الى القراء السبعة والاربع المنسوبة الى الائمة المختار من ونرى ان نفصل ههنا أسماءهم وأسامي رواتهم ليتعين ما نسب في أثناء التفسير الى كل منهم والله ولي التوفيق

(ذكر القراء السبعة) وتسمية نقلتهم من الرواة وطرقهم من الثقات أبو عمرو زبان بن العلاء البصري روى عن مجاهد ابن جبر وسعيد ابن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات سنة أربع وخمسين ومائة وراوته ثلاثة أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي روى عنه أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري طريق أبي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وأبو الفتح عامر بن صالح الموصلي المعروف باوقية وطريق أبي قبيصة حاتم بن اسحق الموصلي وأبو شعيب صالح بن زياد السوسي طريق أبي الحرث محمد بن أحمد الرقي وأبو اسحق ابراهيم بن حماد طريق أبي عيسى موسى بن عبد الله الهاشمي وأبو نعيم شجاع بن أبي نصر الخراساني روى عنه أبو جعفر محمد بن غالب طريق أبي علي الحسن بن الحسين الصواف وعباس بن فضل الانصاري روى عنه أبو عمرو محمد بن عمر بن رومي طريق أبي اسحق ابراهيم بن كعب الموصلي وطريق شباب بن خليفة وهو الاصح وأوقية طريق اسحق أيضا عن أوقية * ابن كثير هو أبو محمد عبد الله بن كثير المكي روى عن مجاهد بن جبر عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة عشرين ومائة وروايته أربعة أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع من ابن أبي بزة البزي وبينه وبين ابن كثير رجال لانه يروي عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير وروى عن البزي أبو ربيعة محمد بن اسحق بن أعين الربعي طريق الزينبي وهو الهاشمي وطريق أبي بكر أحمد بن محمد الطرايفي وطريق أبي القاسم الزيدي وطريق أبي الحسن علي بن الراوية القزاز وطريق أبي بكر محمد بن عيسى بن بندار الجصاص وأبو علي الحسين بن

انساب بني آدم محصورة على أحد الطرفين دون الآخر لقول الله تعالى ذكره ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله وليس ذلك كذلك في المنطق والبيان لان المنطق انما هو منسوب الى من كان به معروفا استعماله فلو عرف استعمال بعض الكلام في أجناس من الامم جنسين أو أكثر بلفظ واحد ومعنى واحد كان ذلك منسوبا الى كل جنس من تلك الاجناس لا يستحق جنس منها ان يكون به أولى من سائر الاجناس غيره كالوان أرضا بين سهل وجبل لها هواء السهل وهواء الجبل أو بين بر وبحر لها هواء البر وهواء البحر لم يمتنع ذو عقل صحيح ان يصفها بانها سهلية جبلية أو بانها برية بحرية اذ لم تكن نسبتها الى احدى صفتيها نافية حقها من النسبة الى الاخرى ولو أفرد لها مفرد احدى صفتيها ولم يسلبها صفتها الاخرى كان صادقا محقا وكذلك القول في الاحرف التي تقدم ذكرنا لها في أول هذا الكتاب وهذا المعنى الذي قلناه في ذلك هو معنى قول من قال في القرآن من كل لسان عندنا بعني والله أعلم ان فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب ولفظ غيرها من الامم التي تنطق به نظير ما وصفنا من القول فيما مضى وذلك انه غير جائز أن يتوهم على ذي فطرة صحيحة مقر بكتاب الله ممن قد قرأ القرآن وعرف حدوده ان يعتقد ان بعض القرآن فارسي لا عربي وبعضه قبطي لا عربي وبعضه عربي لا فارسي وبعضه حبشي لا عربي بعدما أخبر الله عنه انه جعله قرآنا عربيا لان ذلك ان كان كذلك فليس قول القائل القرآن حبشي أو فارسي ولا نسبة من نسبه الى بعض ألسن الامم التي بعضه بلسانه دون العرب باولى بالنطق من قول القائل هو عربي ولا قول القائل هو عربي باولى بالصحة والصواب من قول ناسبه الى بعض الاجناس التي ذكرناها اذ كان الذي بلسان غير العرب من سائر ألسن أجناس الامم فيه نظير الذي فيه من لسان العرب واذ كان ذلك كذلك فبين اذا خطأ قول من زعم ان القائل من السلف في القرآن من كل لسان انما عنى بقيله ذلك ان فيه من البيان ما ليس بعربي ولا جائزة نسبته الى لسان العرب ويقال لمن أبى ما قلنا ممن زعم ان الاحرف التي قدمنا ذكرها في أول الكتاب وما أشبهها انما هي كلام أجناس الامم سوى العرب وقعت الى العرب فعربته ما برهانك على عدم صحة ما قلنا في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له فقد علمت من خالفك في ذلك فقال فيه خلاف قولك وما الفرق بينك وبين من عارضك في ذلك فقال هذه الاحرف وما أشبهها من الاحرف غيرها أصلها عربي غير انها وقعت الى سائر أجناس الامم غيرها فنطقت كل أمة منها ببعض ذلك بالسنها من الوجه الذي يجب التسليم له فلن يقول في شيء من ذلك قولا الا لزم في الآخر مثله فان اعتل في ذلك باقوال السلف التي قد ذكرنا بعضها وما أشبهها طولب مطالبتنا من تأول عليهم في ذلك تاويله بالذي قد تقدم في بياننا وقيل له ما أنكرت ان يكون من نسب شيأ من ذلك منهم الى من نسبه من أجناس الامم سوى العرب انما نسبه الى احدى نسبتيه التي هو لها مستحق من غير نفي منه عنه النسبة الاخرى ثم يقال له أرأيت من قال لارض سهلية جبلية هي سهلية ولم ينكر ان تكون جبلية أو قال هي جبلية ولم يدفع ان تكون سهلية أنافٍ عنها ان تكون لها الصفة الاخرى بقيله ذلك فان قال نعم كابر عقله وان قال لا قيل له فما أنكرت ان يكون قول من قال في سجيل هي فارسية وبالقسطاس هي رومية نظير ذلك وسئل الفرق بين ذلك فلن يقول في أحدهما قولا الا ألزم في الآخر مثله *(القول في اللغة)* التي نزل بها القرآن

محمد الحداد طريق الهاشمي عن البزي عبد الله بن فليح عن رجاله عن ابن كثير ورجاله محمد بن سبعون وداود بن شبل عن اسمعيل بن عبد الله عن ابن كثير روى عن ابن فليح أبو علي الحداد طريق النقاش وطريق الهاشمي وطريق الخزاعي وطريق ابن شنبوذ أبو الحسن أحمد بن محمد بن عون القواس وبينه وبين ابن كثير أيضا رجال لانه روى عن أبي الاخريط وهب بن واضح عن اسمعيل بن عبد الله ومعروف بن مشكان وشبل بن عباد عن ابن كثير روى عن القواس قنبل طريق الزينبي طريقة أبي ربيعة طريق أبي نجاح

من لغات العرب قد دللنا على صحة القول بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه على ان الله جل ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من السن سائر أجناس الامم وعلى فساد قول من زعم ان منه ماليس بلسان العرب ولغاتها فنقول الآن اذ كان صحيحا في الدلالة عليه بأي لسان السن العرب أنزل أبالسن جميعها أم بالسن بعضها اذ كان العرب وان جمع جميعها اسم انهم عرب فهم مختلفو الالسن بالبيان متباينو المنطق والكلام واذ كان ذلك كذلك وكان الله جل ذكره قد أخبر عباده انه جعل القرآن عربيا وانه أنزل بلسان عربي مبين ثم كان ظاهره محتملا خصوصا وعموما ولم يكن لنا السبيل الى العلم بما عنى الله تعالى ذكره به من خصوصه وعمومه الا ببيان من جعل اليه بيان القرآن وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان ذلك كذلك وكانت الاخبار قد تظاهرت عنه صلى الله عليه وسلم بما حدثنا به خلاد ابن أسلم قال حدثنا أنس بن عياض عن أبي حازم عن أبي سلمة قال لا أعلمه الا عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزل القرآن على سبعة أحرف فالمراء في القرآن كفر ثلاث مرات فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه الى عالمه **وحدثني** عبيد بن اسباط بن محمد قال حدثنا أبي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف عليم حكيم غفور رحيم **وحدثنا** أبو كريب قال حدثني عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله **وحدثنا** محمد بن حميد الرازي قال حدثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن واصل بن حيان عمن ذكره عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا مهران قال حدثنا سفيان عن ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله **حدثنا** أبو كريب محمد بن العلاء قال حدثنا أبو بكر بن عياش قال حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله قال اختلف رجلان في سورة فقال هذا أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم فأتي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر بذلك قال فتغير وجهه وعنده رجل فقال اقرؤا كما علمتم فلا أدري أبشيء أمر أم بشيء ابتدعه من قبل نفسه فانما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم قال فقام كل رجل منا وهو لا يقرأ على قراءة صاحبه نحو هذا معناه **حدثنا** سعيد بن يحيى الاموي قال حدثنا أبي قال حدثنا الاعمش **وحدثني** أحمد بن منيع قال حدثنا يحيى بن سعيد الاموي عن الاعمش عن عاصم عن زر بن حبيش قال قال عبد الله بن مسعود تماريننا في سورة من القرآن فقلنا خمس وثلاثون أو ست وثلاثون آية قال فانطلقنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا عليا يناجيه قال فقلنا انا اختلفنا في القراءة قال فاحمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم قال ثم أسر الى علي شيأ فقال لنا علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان تقرؤا كما علمتم **حدثنا** أبو كريب قال حدثنا عبيد الله بن موسى عن عيسى بن قرطاس عن زيد القصار عن زيد بن أرقم قال كنا معه في المسجد فحدثنا ساعة ثم قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرأني عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد وأقرأنيها

طريق أبي عون القاضي طريق ابن شنبوذ طريق أبي القاسم الزيدي * نافع بن نعيم المدني قرأ على أبي جعفر القاري وعلى سبعين من التابعين على ابن عباس وأبي هريرة على أبي بن كعب على النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة تسع وستين ومائة وتورواته ثلاثة زمعة ابن صالح عن ابن كثير طريق عبد الله بن سعوة وطريق شعيب بن مرة اسمعيل بن جعفر بن كثير الانصاري روى عنه أبو الزعراء وأبو بكر بن الحسن بن علي بن بشار النحوي وأبو جعفر أحمد بن فرح الضرير ورش اسمه عثمان ابن سعيد المصري روى عنه محمد ابن عبد الرحيم الاصفهاني طريق أبي الحسن محمد بن أحمد المروزي قالون واسمه عيسى بن ميناء النحوي روى عنه أبو علي الحسن بن عباس الرازي طريق أبي بكر أحمد بن حماد المقرى وأبو ابراهيم مصعب ابن ابراهيم الزبيري طريق أبي بكر محمد بن عبد الله بن فليح وأبو نشيط محمد بن هرون المروزي بطريق أبي حسان محمد بن أحمد بن الاشعث الجيزي وطريق أبي القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم وأبو عبد الله محمد بن اسحق البخاري طريق أبي الاسد أحمد ابن ابراهيم الفقيه وطريق أبي بكر محمد بن محمد بن مرثد التميمي وأبو الحسن أحمد بن يزيد الحلواني طريق حسن بن العباس الرازي وطريق أبي عون القاضي * عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي قرأ على المغيرة بن شهاب المخزومي على عثمان بن عفان رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي رضي الله عنه سنة ثمان وعشرة ومائة وله راويان روى عنه من رجاله أبو محمد عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان الدمشقي ورجاله أيوب بن تميم عن يحيى بن الحرث عن ابن عامر وروى عنه أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد طريق الحسن بن عبد الله المقري وأبو بكر محمد بن الحسن

أبي بن كعب فاختلفت قراءتهم فبقراءة أيهم آخذ قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وعلي الى جنبه فقال علي ليقرأ كل انسان كما علم كل حسن جميل حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير ان المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاري أخبراه انهما سمعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك فكدت أساوره في الصلاة فصبرت حتى سلم فلما سلم لببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلت كذبت فوالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منها حدثني أحمد بن منصور قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا حرب بن أبي ثابت من بني سليم قال حدثنا اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده قال قرأ رجل عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فغير عليه فقال قد قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغير علي قال فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ألم تقرئني آية كذا وكذا قال بلى قال فوقع في صدر عمر شيء فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في وجهه قال فضرب صدره وقال أبعد شيطانا قالها ثلاثا ثم قال يا عمر ان القرآن كله صواب ما لم يجعل رحمة عذابا أو عذابا رحمة حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال حدثنا عبيد الله يعني ابن عمر عن نافع عن ابن عمر قال سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقرأ القرآن فسمع آية على غير ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم فاتى به عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان هذا اقرأ آية كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني هشام بن سعد عن علي بن أبي علي عن زبيد عن علقمة النخعي قال لما خرج عبد الله بن مسعود من الكوفة اجتمع اليه أصحابه فودعهم ثم قال لا تنازعوا في القرآن فانه لا يختلف ولا يتلاشى ولا ينفد لكثرة الرد وان شريعة الاسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة ولو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض ولا شيء من شرائع الاسلام ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمرنا فنقرأ عليه فيخبرنا ان كلنا محسن ولو أعلم أحدا أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبته حتى أزداد علمه الى علمي ولقد قرأت من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وقد كنت علمت انه يعرض عليه

القاسم الموصلي المقسر طريق الحسن بن عبد الله أيضا وأبو الحسن محمد بن النضر بن مر بن الحر المعروف بابن الاخرم عن ابن الحسن عن أبي ذكوان هشام بن عمار عن رجاله عن ابن عامر ورجاله أيوب بن تميم وسويد بن عبد العزيز عن يحيى بن الحرث وروى عنه البخاري عن الحلواني عن هشام عن طريق أحمد بن الحسين بن مهران وأبو الحسين أحمد بن يزيد الحلواني الصغار طريق أبي الحشر علي بن حماد الازرق وأبو اسحق بن ابراهيم بن يونس الرازي .. (١٠) *عاصم بن بهدلة الاسدي قرأ عاصم على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ أيضا على عبد الرحمن السلمي معلم الحسن والحسين على علي رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائة ورواته أربعة أبو عمرو حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز الاسدي وكان شريك أبي حنيفة روى عنه أبو محمد هبيرة بن محمد التمار طريق الحسنون بن الهيثم وطريق أحمد بن علي الخزاز وأبو حفص عمرو بن الصالح طريق عبد الصمد بن محمد أبو بكر شعبة بن عياش روى عنه عبد الحميد بن صالح البرجمي طريق جعفر بن غالب اليشكري وأبو زكريا يحيى بن آدم القرشي طريق أبي حمدون الطيب بن اسمعيل وطريق شعيب بن أيوب بن زريق وطريق الصريفيني وأبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الاعشى وله راويان روى عنه محمد ابن غالب ومحمد بن حبيب الشموني حماد بن أبي زياد طريق يحيى بن محمد العليمي الانصاري رضي الله عنه المفضل بن محمد الضبي روى عنه جبلة بن مالك البصري طريق أبي زيد عمر بن شبة وأبو زيد سعيد بن أوس الانصاري طريق محمد بن يحيى القطعي رضي الله عنه *حمزة بن حبيب الزيات العجلي قرأ على سليمان بن مهران الاعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على علي بن أبي طالب وعثمان وابن مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ست وخمسين ومائة ورواته أربعة أبو اسحق ابراهيم بن زرابي طريق أبي المستنير رجاء بن عيسى بن رجاء الجوهري عبد الرحمن قلوقا طريق أبي المستنير أيضا أبو محمد عبد الله بن صالح العجلي طريق أبي اسحق حمدون الطيب ابن اسمعيل وطريق أبي اسحق ابراهيم بن نصر بن عبد العزيز المقري ويروي نصير بن عبد الله المقري وهو الاصح سليم بن عيسى الحنفي روى عنه خلاد بن خالد الصيرفي طريق محمد بن شاذان الجوهري وطريق القاسم بن يزيد الوزان وأبو محمد خلف بن هشام البزاز طريق أبي

القرآن

القرآن فى كل رمضان حتى كان عام قبض فعرض عليه مرتين فكان اذا فرغ أقرأ عليه فيخبرنى انى محسن فمن قرأ على قراءتى فلا يدعنها رغبة عنها ومن قرأ على شئ من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة عنه فانه من جحد بآية جحد به كله **حدثنا** يونس بن عبد الاعلى قال أنبأنا ابن وهب قال أخبرنى يونس **وحدثنا** أبو كريب قال حدثنا رشدين بن سعد عن عقيل بن خالد جميعا عن ابن شهاب قال حدثنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان ابن عباس حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأنى جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيدنى حتى انتهى الى سبعة أحرف قال ابن شهاب بلغنى ان تلك السبعة الاحرف انما هى فى الامر الذى يكون واحدا لا يختلف فى حلال ولا حرام **حدثنى** محمد بن عبد الله بن أبى مخلد الواسطى و يونس بن عبد الاعلى الصدفى قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله أخبره أبوه ان أم أيوب أخبرته ان النبى صلى الله عليه وسلم قال نزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت اصبت **حدثنا** اسمعيل بن موسى السدى قال أنبأنا شريك عن أبى اسحق عن سليمان بن صرد يرفعه قال أتانى ملكان فقال احدهما اقرأ قال على كم قال على حرف قال زده حتى انتهى به الى سبعة أحرف **حدثنا** ابن البرقى قال حدثنا ابن أبى مريم قال حدثنا نافع بن يزيد قال حدثنى عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأنى جبريل القرآن على حرف فاستزدته فزادنى ثم استزدته فزادنى حتى انتهى الى سبعة أحرف **حدثنى** الربيع بن سليمان قال حدثنا اسد بن موسى قال حدثنا سفيان عن عبيد الله بن أبى يزيد عن أبيه انه سمع أم أيوب تحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه يعنى نحو حديث ابن أبى مخلد **حدثنا** الربيع قال حدثنا اسد قال حدثنا أبو الربيع السمان قال أخبرنى عبيد الله بن أبى يزيد عن أبيه عن أم أيوب انها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول نزل القرآن على سبعة أحرف فما قرأت اصبت **حدثنا** ابو كريب قال حدثنى يحيى بن آدم قال حدثنا اسرائيل عن ابى اسحق عن فلان العبدى ذهب عن ابى جعفر اسمه عن سليمان بن صرد عن ابى بن كعب قال رحت الى المسجد فسمعت رجلا يقرأ فقلت من أقرأك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت استقرئ هذا قال فقرأ فقال أحسنت قال فقلت انك أقرأتنى كذا وكذا فقال وأنت قد أحسنت قال فقلت قد أحسنت قد أحسنت قال فضرب بيده على صدرى ثم قال اللهم اذهب عن أبى الشك قال ففضت عرقا فامتلأ جوفى فرقا ثم قال ان الملكين أتيانى فقال أحدهما اقرأ القرآن على حرف وقال الآخر زده قال فقلت زدنى قال اقرأه على حرفين حتى بلغ سبعة أحرف فقال اقرأ على سبعة أحرف **حدثنا** محمد بن بشار قال حدثنا ابن أبى عدى **وحدثنا** أبو كريب قال حدثنا محمد بن ميمون الزعفرانى جميعا عن حميد الطويل عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال ما حاك فى صدرى شئ منذ أسلمت الا أنى قرأت آية فقرأها رجل غير قراءتى فقلت أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الرجل أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أقرأتنى آية كذا وكذا قال بلى قال الرجل ألم تقرئنى آية كذا وكذا قال بلى ان جبريل وميكائيل أتيانى فقعد جبريل عن يمينى وميكائيل عن يسارى فقال جبريل اقرأ

الحسين ادريس بن عبد الكريم الحداد وأبو جعفر محمد بن سعدان النحوى طريق محمد بن سليمان وطريق أبى واصل أحمد بن واصل وأبو عمر الدورى طريق أبى الزعراء * على بن حمزة الكسائى قرأ * على حمزة بن حبيب على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلى وابن مسعود على النبى صلى الله عليه وسلم توفى سنة تسع وثمانين ومائة رضى الله عنه وله ستة رواة أبو عبد الرحمن قتيبة بن مهران الازادانى روى عنه أبو الحسن محمد بن أحمد بن ابراهيم المقرى طريق أبى الفضل العباس بن الوليد بن مرداس وأبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران طريق أحمد بن جدى أبو المنذر نصر بن يوسف النحوى روى عنه محمد بن ادريس الاشعرى المعروف بالدندانى طريق أبى على الحسين بن على بن حماد المعروف بالازرق وأبو عبد الله محمد بن عيسى الاصفهانى طريق أبى على الحسن ابن العباس الرازى وأبو جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبرى طريق بكار بن أحمد المقرى وأبو جعفر على بن أبى نصير النحوى طريق الازرق المذكور أبو الحارث الليث بن خالد طريق أبى عبد الله محمد بن يحيى الكسائى حمدويه ابن ميمون الزجاج طريق أبى العباس أحمد بن يعقوب السمسار أبو حمدون الطيب بن اسمعيل طريق أبى على الحسن بن الحسين الصواف أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدورى روى عنه أبو بكر الحسن بن على بن بشار النحوى طريق أبى الفرج محمد بن أحمد بن ابراهيم وأبو الزعراء طريق أبى بكر ابن مجاهد وأبو الحسن على بن سليم طريق أبى القاسم هبة الله بن جعفر وطريق ابراهيم بن أحمد الخرقى وأبو جعفر أحمد بن فرج الضرير طريق أبى بكر النقاش الموصلى

(ذكر الائمة المختارين وتسمية رواتهم) أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارى المدنى وقار موضع من المدينة ورواته اثنان أبو موسى على بن وردان الحذاء طريق قالون عيسى بن ميناء النحوى أبو مسلم سليمان بن مسلم الجماز الزهرى طريق أبى عبد الرحمن قتيبة بن مهران * أبو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمى توفى فى ذى الحجة سنة خمس وثمانين وقرأ على أبى المنذر سلام بن سليمان الطويل على عاصم وأبى بكر عمرو ورواته ثلاثة روح بن عبد المؤمن طريق أحمد بن يحيى المعدل أبو بكر محمد بن المتوكل اللؤلؤى الملقب برويس طريق أبى بكر محمد بن هرون وطريق أبى الحسن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مقسم الفقيه أبو أحمد زيد بن أحمد بن اسحق طريق المعدل أيضا وطريق محمد بن هرون * أبو محمد خلف بن هشام بن طالب بن

غراب البزاز طريق أبي الحسن ادريس بن عبد الكريم ونقله أبو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم العطار وقرأ خلف على سلم على حمزة أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني طريق أبي علي الحسن بن تميم وطريق أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد وطريق مسيح بن حاتم وقرأ سهل على يعقوب وأيوب بن المتوكل فهذا هو المعول عليه من القراآت وأما الشواذ فلا نتعرض منها الا لما فيه نكتة أو غرابة وذلك في أثناء التفسير لا في خلال القرآن والله أعلم بالصواب *(المقدمة الثانية)* الاستعاذة المندوب اليها في قوله عز من قائل فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قرأها أبو عمرو ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وعاصم غير هبيرة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وقرأها أبو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وعلي الكسائي وخلف أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وقد يروى عن حمزة أستعيذ بالله أو لنستعذ بالله مخيرا وقرأ سهل أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ومنشأ هذه الاختلافات انه قد جاء في سورة النحل فاذا قرأت القرآن الآية وفي حم السجدة فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وروى جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلاة قال الله أكبر كبيرا ثلاث مرات والحمد لله كثيرا ثلاث مرات وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاث مرات ثم قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وروى البيهقي في كتاب السنن عن أبي سعيد الخدري انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل كبر ثلاثا وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وروى الضحاك عن ابن عباس ان أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال قل يا محمد استعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم في المقدمة مسائل الاولى الاكثرون على ان وقت الاستعاذة قبيل القراءة اذ المراد من قوله تعالى فاذا قرأت اذا أردت قراءة القرآن كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا المراد اذا أردتم القيام الى الصلاة والاخبار المذكورة أيضا تؤيد ذلك وعن النخعي وقد يروى عن حمزة وابن سيرين أيضا ان وقتها بعد القراءة نظرا الى ظاهر اللفظ ولانه قد يدخل المرء الشيطان اعجاب بسبب القراءة حيث انها طاعة موجبة للثواب فيناسب ان يستعيذ من ذلك الثانية الاكثرون على ان الاستعاذة مندوبة لان النبي

القرآن على حرف واحد وقال ميكائيل استزده قال جبريل اقرأ القرآن على حرفين فقال ميكائيل استزده حتى بلغ ستة أو سبعة الشك من أبي كريب وقال ابن يسار في حديثه حتى بلغ سبعة أحرف ولم يشك فيه وكل شاف كاف ولفظ الحديث لابي كريب وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يحيي بن أيوب عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال في حديثه حتى بلغ سبعة أحرف قال اقرأه على سبعة أحرف كل شاف كاف حدثنا محمد بن مرزوق قال حدثنا أبو الوليد قال حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس بن مالك عن عبادة بن الصامت عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف حدثنا أبو كريب قال حدثنا حسين بن علي وأبو اسامة عن زائدة عن عاصم عن زر عن أبي قال لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المرى فقال اني بعثت الى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ الفاني والعجوز فقال جبريل فليقرؤا القرآن على سبعة أحرف ولفظ الحديث لابي اسامة حدثنا أبو كريب قال حدثنا ابن نمير قال حدثنا اسمعيل بن أبي خالد وحدثنا عبد الحميد بن بيان العباد قال حدثنا محمد بن يزيد الواسطي عن اسمعيل عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن جده عن أبي بن كعب قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه فدخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلت يا رسول الله ان هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ فحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما فوقع في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا كانما أنظر الى الله فرقا فقال لي يا أبي أرسل الي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت عليه ان هون على أمتي فرد علي الثالثة ان اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب الي فيه الخلق كلهم حتى ابراهيم الا أن ابن بيان قال في حديثه فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم قد أصبتم وأحسنتم وقال أيضا فارفضضت عرقا وحدثنا أبو كريب قال حدثنا محمد بن فضيل عن اسمعيل بن أبي خالد باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقال قال لي أعيذك بالله من الشك والتكذيب وقال أيضا ان الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف فقلت رب اللهم خفف عن أمتي قال اقرأه على حرفين فأمرني ان أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنة كلها شاف كاف حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع عن اسمعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى بن أبي ليلى وعن ابن أبي ليلى عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن أبي قال دخلت المسجد فصليت فقرأت النحل ثم جاء رجل آخر فقرأها على غير قراءتي ثم دخل رجل آخر فقرأ بخلاف قراءتنا فدخل في نفسي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية فاخذت بايديهما فاتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله استقرئ هذين فقرأ احدهما فقال أصبت ثم استقرأ الآخر فقال أحسنت فدخل قلبي اشد مما كان في الجاهلية من الشك والتكذيب فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري وقال أعاذك الله من الشك وأخسأ عنك

صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابى الاستعاذة فى جملة اعمال الصلاة وزيف بان الخبر غير مشتمل على بيان جملة واجبات الصلاة فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها وعن عطاء ان الاستعاذة واجبة فى كل قراءة فى الصلاة وغيرها لان النبى صلى الله عليه وسلم واظب عليها وقال تعالى فاتبعوه ولان الامر فى فاستعذ للوجوب وانما تجب عند كل قراءة لانه قال فاذا قرأت فاستعذ وذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على التعليل والحكم يتكرر بتكرر العلة ولان الاستعاذة لدفع شر الشيطان ودفعه واجب ومالا يتم الواجب الا به فهو واجب وعن ابن سيرين وجوبها فى العمر مرة واحدة وعن مالك انه لا يتعوذ فى المكتوبة الا فى قيام رمضان ح المستحب فيها الاسرار فى الصلاة وان كانت جهرية الحاقا لها بما قبلها من الذكر وهو دعاء الاستفتاح ولان الجهر كيفية وجودية والاخفاء عبارة عن عدم تلك الكيفية والاصل هو العدم وانها تستحب فى كل ركعة لما مر من ان الحكم يتكرر بتكرر العلة ولكنها آكد فى الاولى ذا * اعلم ان الكلام فى معنى قول القائل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق بخمسة أركان الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ به والمستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة فههنا ابحاث البحث الاول معنى العوذ الالتجاء او الالتصاق قال الجوهرى أطيب اللحم عوذه وهو ما التصق منه بالعظم أى التجئ الى رحمة الله أو التصق بفضله والباء فى بالله للالصاق كما ان من فى من الشيطان للابتداء لانه ابتدأ بالتبرى من الشيطان والتصق برحمة الله تعالى واعانته والاستعاذة لا تتم الا بان يعلم العبد كونه عاجزا عن جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة وان الله تعالى قادر على ايصال المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لاحد سواه تعالى ويتولد عن هذا العلم فى القلب حالة هى انكسار وخضوع ويحصل منها فى القلب ان يصير العبد مريدا الان يصونه الله تعالى عن الآفات ويفيض عليه الخيرات ثم يصير بلسانه طالبا لذلك فيقول أعوذ بالله فاركن الاعظم فى الاستعاذة هو ان يعلم العبد ان الله تعالى عالم بكل المعلومات والا جاز ان لا يعلم حاله فتقع الاستعاذة عبثا وان يعلم انه قادر على جميع الممكنات والا فربما كان عاجزا عن تحصيل مراد العبد وان يعلم انه جواد معطاء والا لجاز ان يبخل بمقصوده وان يعلم انه لا يقدر أحد سوى الله على تحصيل مرامه والا لم يكن صادق الرغبة فى الاستعاذة به والحاصل ان العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة العبودية

الشيطان قال اسمعيل فغضت عرقا ولم يقله ابن أبى ليلى قال فقال أتانى جبريل فقال اقرأ القرآن على حرف واحد فقلت ان امتى لا تستطيع ذلك حتى قال سبع مرات فقال لى اقرأ على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتها مسئلة (١) قال فاحتاج الى فيها الخلائق حتى ابراهيم صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابو كريب قال حدثنا عبيد الله عن ابن ابى ليلى عن الحكم عن عبد الرحمن بن ابى ليلى عن ابى عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه **حدثنى** محمد بن أحمد الطوسى قال حدثنا عبد الصمد قال حدثنى أبى قال حدثنا محمد بن جحادة عن الحكم بن عتيبة عن مجاهد عن ابن أبى ليلى عن ابى بن كعب قال أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم وهو عند اضاة بنى غفار فقال ان الله تبارك وتعالى يامرك ان تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ منها حرفا فهو كما قرأ **حدثنا** محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب ان النبى صلى الله عليه وسلم كان عند اضاة بنى غفار قال فأتاه جبريل فقال ان الله يامرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف قال أسأل الله معافاته ومغفرته وان أمتى لا تطيق ذلك قال ثم اتاه الثانية فقال ان الله يامرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين قال أسأل الله معافاته ومغفرته وان أمتى لا تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال ان الله يامرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف قال أسأل الله معافاته ومغفرته وان أمتى لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال ان الله يامرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤا عليه فقد أصابوا **حدثنا** محمد بن المثنى قال حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن أبى ليلى قال أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عند اضاة بنى غفار فذكر نحوه **حدثنا** أبو كريب قال حدثنا موسى بن داود قال حدثنا شعبة **وحدثنا** الحسن بن عرفة قال حدثنا شبابة قال حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنى** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى هشام بن سعد عن عبيد الله بن عمر عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى بن كعب انه قال سمعت رجلا يقرأ فى سورة النحل قراءة تخالف قراءتى ثم سمعت آخر يقرؤها قراءة تخالف ذلك فانطلقت بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انى سمعت هذين يقرآن فى سورة النحل فسألتهما من أقرأكما فقالا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لاذهبن بكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ خالفتما ما أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحدهما اقرأ فقرأ فقال أحسنت ثم قال للآخر اقرأ فقرأ فقال أحسنت قال أبى فوجدت فى نفسى وسوسة الشيطان حتى احمر وجهى فعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهى فضرب بيده فى صدرى ثم قال اللهم اخسئ الشيطان عنه يا أبى أتانى آت من ربى فقال ان الله يأمرك ان تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عنى ثم أتانى الثانية فقال ان الله يامرك ان تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمتى ثم أتانى الثالثة فقال مثل ذلك وقلت مثله ثم أتانى الرابعة فقال ان الله يامرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسئلة فقلت يارب اغفر لامتى يوم القيامة **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى الصنعانى قال حدثنا المعتمر بن

---

(١) هكذا بالاصل ولعل هنا سقطا يعلم من الرواية السابقة اهـ مصححه

لم يصح منه الاستعاذة ومما يدل على ذلة الانسان وعجزه ان بعض الاكياس ربما يبقى في شبهة واحدة طول عمره ولا ينكشف له الى ان يجيء بعده من يحلها ولهذا وقع الاختلاف في الاديان والمذاهب ولولا اعانة الله تعالى وارشاده لم تتخلص سفينة فكره من أمواج الضلالات وأيضا كل واحد يريد ان يحصل له الدين الحق ولا يرضى لنفسه الجهل والكفر ولكم من مضل مبطل مبتلى في الدنيا فلا خلاص من ظلمات الشبهات الا باعانة رب الارض والسموات ولا يقع الحد (١٤) الاوسط للمطالب في الذهن الا بمداية من بيده مفاتيح الخيرات وأيضا البدن يشبه الجحيم وعليها تسعة عشر من الزبانية وهي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والقوى الطبيعية السبع والشهوة والغضب ومجال تصرف كل منها غير متناهية بحسب الشخص والعدد ويحصل من كل منها أثر آية في القلب يجره من أوج عالم الروحانيات الى حضيض الجسمانيات فلا خلاص للقلب عن هذه الظلمات الا بنور الله تعالى وأيضا كما انه لا نهاية لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات الحسيات والخيالات وكما انه لا يمكن تحصيل الكمالات التي لا نهاية لها فكذا لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات فيجب الرجوع الى واهب السعادات الحقيقيات وفي بعض الكتب الالهية قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاقطعن أمل من يؤمل غيري باليأس وألبسه ثوب المذلة عند الناس ولا جنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي وأنا الحي القيوم ويطرق بالفكر أبواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ثم الكلام في صحة الاستعاذة كالكلام في سائر الادعية والعبادات التي جعلها الله تعالى سببا وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والآجلة للعبد وذلك انه تعالى فعال لما يريد خالق لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد من خلقه عليه وعلى أفعاله وعلى النظام الذي اخترعه الكل منه وبه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه اذا أمرك بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع الوساوس والهواجس كما انه اذا جعل الاكل والشرب سببا لدفع الجوع والعطش فانك تاكل وتشرب ولا تقول ما الفائدة في الاكل والشرب ان كان الاشباع والارواء من الله تعالى وان كان بقدرة الله تعالى وبهذا التحقيق يسقط الاعتراضات المشهورة للجبري والمعتزلة لانهم

سليمان قال سمعت عبيد الله بن عمر عن سيار أبي الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ان رجلين اختصما في آية من القرآن وكل يزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه فتقارآ الى أبي فخالفهما أبي فتقاروا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اختلفنا في آية من القرآن وكلنا يزعم انك أقرأته فقال لاحدهما اقرأ قال فقرأ فقال أصبت وقال للآخر اقرأ فقرأ خلاف ما قرأ صاحبه فقال أصبت وقال لابي اقرأ فقرأ فخالفهما فقال أصبت قال أبي فدخلني من الشك في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخل في من أمر الجاهلية قال فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في وجهي فرفع يده فضرب صدري وقال استعذ بالله من الشيطان الرجيم قال ففضت عرقا وكأني أنظر الى الله فرقا وقال انه أتاني آت من ربي فقال ان ربك يامرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمتي قال ثم جاء فقال ان ربك يامرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمتي قال ثم جاءني الرابعة فقال ان ربك يامرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسئلة قال قلت رب اغفر لامتي رب اغفر لامتي واختبأت الثالثة شفاعة لامتي حتى ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم خليل الرحمن ليرغب فيها حدثنا أبو كريب قال حدثنا زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل اقرؤا القرآن على حرف فقال ميكائيل استزده فقال على حرفين حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف فقال كلها شاف كاف ما لم يختم آية عذاب بآية رحمة أو آية رحمة بآية عذاب كقولك هلم وتعال وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني سليمان بن بلال عن يزيد بن خصيف عن بشر بن سعيد أن أبا جهم الانصاري أخبره ان رجلين اختلفا في آية من القرآن فقال هذا تلقيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر تلقيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن فان المراء في القرآن كفر وحدثنا يونس قال أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار قال قال النبي صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف وحدثني يونس قال أخبرني سليمان بن بلال عن أبي عيسى عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت ان أقرأ القرآن على سبعة أحرف كل كاف شاف وحدثنا أحمد بن حازم الغفاري قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا أبو خلدة قال حدثني أبو العالية قال قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل خمس رجل فاختلفوا في اللغة فرضي قراءتهم كلهم فكان بنو تميم اعرب القوم حدثنا عمرو بن عثمان العثماني قال حدثنا ابن أبي أويس قال حدثنا أخي عن سليمان بن بلال عن محمد بن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ولا حرج ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا أبو معمر عبد الله بن عمرو عن أبي الحجاج قال حدثنا عبد الوارث يعني ابن جحادة عن الحكم بن عتيبة عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل وهو باضاة بني غفار فقال ان الله يامرك ان

تقرئ

نحوم حول ما أشرنا اليه ولا ينبئك على سر الاستعاذة مثل قوله صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك
وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك *(البحث الثانى)* المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق مفتقر الى الاستعاذة
به ولهذا قال نوح رب انى أعوذ بك ان أسئلك ما ليس لى به علم فاعطى السلام والبركات فى قوله يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وقال
يوسف معاذ الله انه ربى أحسن مثواى فصرف عنه السوء والفحشاء وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب فاغرق الله تعالى عدوه وأورثه أرضهم وديارهم وأموالهم وقالت امرأة عمران انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وقد أمر نبينا صلى الله عليه وسلم وقال تعالى قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فوقى شر النفاثات فى العقد وكفى شر الوسواس الخناس *(البحث الثالث)* المستعاذ به وانما هو الله أو كلمات الله كما جاء فى الاخبار أعوذ بكلمات الله التامة أما البحث عن اسم الله فسيجىء فى تفسير البسملة وأما كلمات الله فالمراد بها المبدعات الصادرة عنه تعالى بكلمة كن من غير مادة ومدة وكان الارواح البشرية تستعيذ وتستعين بالارواح العلوية المقدسة فى دفع شرور الارواح الخبيثة وانما تحسن الاستعاذة بالكلمات اذا كان قد بقى فى نظره التفات الى ما سوى الله تعالى وأما اذا تغلغل فى بحر التوحيد لم يستعذ الا بالله ومن الله كما قال أعوذ بك منك واذا فنى عن نفسه وفنى أيضا عن فناء نفسه قال أنت كما أثنيت على نفسك *(البحث الرابع)* المستعاذ منه الشيطان وما لاجله الاستعاذة دفع شره فنقول اما اشتقاقه فمن ش ط ن ويقال شطن الدار أى بعدت والشيطان بعيد عن السداد
والرشاد وقد سمى كل متمرد من انس أو دابة شيطانا قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس وركب عمر برذونا فطفق يتبختر
فجعل يضربه ولا يزداد الا تبخترا فنزل عنه فقال ما حملتمونى الا على شيطان هذا أحد قولى سيبويه وعلى هذا فنونه أصلية ووزنه فيعال وقد
جعل سيبويه فى موضع آخر النون زائدة وجعله فعلان من شاط يشيط اذا بطل ولما كان كل متمرد كالباطل فى نفسه لانه مبطل لوجوه
مصالح نفسه سمى شيطانا والرجيم معناه المرجوم كالعين بمعنى الملعون ومعنى المرجوم اما الملعون من قبل الله تعالى واما لانه تعالى أمر

تقرئ أمتك القرآن على حرف واحد قال فقال أسال الله مغفرته ومعافاته أو قال معافاته ومغفرته
سل لهم التخفيف فانهم لا يطيقون ذلك فانطلق ثم رجع فقال ان الله يأمرك ان تقرئ أمتك القرآن
على حرفين قال اسأل الله مغفرته ومعافاته أو قال معافاته ومغفرته انهم لا يطيقون ذلك فسل لهم
التخفيف فانطلق ثم رجع فقال ان الله يأمرك ان تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال اسال
الله مغفرته ومعافاته أو قال معافاته ومغفرته انهم لا يطيقون ذلك سل لهم التخفيف فانطلق ثم رجع
فقال ان الله يأمرك ان تقرئ أمتك القرآن على سبعة فمن قرأ منها بحرف كما قرأ ۞ قال أبو جعفر
صح وثبت ان الذى نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع اذ كان معلوما ان
ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة بما يعجز عن احصائه فان قال وما برهانك على ان معنى قول النبى
صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف وقوله أمرت ان أقرأ القرآن على سبعة أحرف فهو
ما ادعيت به من انه نزل بسبع لغات وأمر بقراءته على سبعة ألسن دون ان يكون معناه ما قاله
مخالفوك من انه نزل بامر وزجر وترغيب وترهيب وقصص ومثل ونحو ذلك من الاقوال فقد علمت قائلى
ذلك من سلف الامة وخيار الائمة قيل له ان الذين قالوا ذلك لم يدعوا أن تأول الاخبار التى تقدم ذكرنا
لها هو ما زعمت انهم قالوه فى الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك لقولنا مخالفا
وانما الخبر وأن القرآن نزل على سبعة احرف يعنون بذلك انه نزل على سبعة اوجه والذى قالوا من
ذلك كما قالوا وقد روينا بمثل الذى قالوا من ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من اصحابه
أخبارا قد تقدم ذكرنا بعضها وسنستقصى ذكرنا فيها بيانه اذا انتهينا اليه ان شاء الله فاما الذى
قد تقدم وذكرناه من ذلك فخبر ابى بن كعب من رواية ابى كريب عن ابن فضيل عن اسمعيل بن
ابى خالد الذى ذكر فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال امرت ان اقرأ القرآن على سبعة احرف
من سبعة ابواب الجنة هى المعانى التى فيها من الامر والنهى والترغيب والترهيب والقصص والمثل
التى اذا عمل بها العامل وانتهى الى حدودها المنتهى استوجب به الجنة وليس والحمد لله فى قول من
قال ذلك من المتقدمين خلاف لشىء مما قلناه والدلالة على صحة ما قلناه من ان معنى قول النبى صلى الله
عليه وسلم نزل القرآن على سبعة احرف انما هو انه نزل بسبع لغات ما تقدم ذكرنا من الروايات الثابتة
عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابى بن كعب وسائر من قد قدمنا الرواية عنه عن النبى صلى
الله عليه وسلم فى أول هذا الباب انهم تماروا فى القرآن فخالف بعضهم بعضا فى نفس التلاوة دون
ما فى ذلك من المعانى وانهم احتكموا فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم فاستقرأ كل رجل منهم ثم صوب
جميعهم فى قراءتهم على اختلافها حتى ارتاب بعضهم لتصويبه اياهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم
للذى ارتاب منهم عند تصويبه جميعهم ان الله امرنى ان أقرأ القرآن على سبعة احرف ومعلوم ان
تماريهم فيما تماروا فيه من ذلك لو كان تماريا واختلافا فيما دلت عليه تلاوتهم من التحليل
والتحريم والوعد والوعيد وما اشبه ذلك لكان مستحيلا ان يصوب جميعهم صلى الله عليه وسلم ويأمر
كل قارئ منهم ان يلزم قراءته فى ذلك على النحو الذى هو عليه لان ذلك لو جاز ان يكون صحيحا وجب
ان يكون الله جل ثناؤه قد امر بفعل شىء بعينه وفرضه فى تلاوة من دلت تلاوته على فرضه ونهى عن

الملائكة برمي الشيطان بالشهب الثواقب ثم وصف بذلك كل شر يتمرد وأما من ضم الى الاستعاذة قوله ان الله هو السميع العليم فوجه ذلك بعد الاقتداء بما ورد في القرآن ان العبد كأنه يقول يا من يسمع كل مسموع ويعلم كل سر خفي أنت تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه فيها وأنت القادر على دفعها عني فادفعها عني بفضلك * ولنتكلم في الجن والشياطين فنقول من الناس من أنكرهم لوجوه الاول لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب ان

يراه كل من كان سليم الحس لكنا لا نراه وان كان جسما لطيفا لوجب ان يتمزق ويتفرق عند هبوب الريح العاصفة ولزم أيضا ان لا يقدر على الاعمال الشاقة التي ينسبها اليه المثبتون والجواب انه لم لا يجوز ان يكون جوهرا مجردا او بتقدير ان يكون جسما كثيفا فلم لا يجوز ان يصرف الله تعالى عنه أبصار الانسان لحكمة في ذلك كما قال عز من قائل انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وعلى تقدير كونه جسما لطيفا فلم لا يجوز ان يكون تركيبه محكما كالافلاك الوجه الثاني قالوا الظاهر الغالب انهم لو كانوا في العالم لخالطوا الناس وشوهدت منهم العداوة والصداقة وليس كذلك وأهل التعزيم اذا تابوا من صنعتهم يكذبون أنفسهم فيما ينسبون الجن اليه ومجال المنع في هذا الوجه لا يخفى لثبوت الاختلاط والعداوة منهم بالنسبة الى كثير من قال عز من قائل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قل أوحي الى أنه استمع نفر من الجن من يعمل بين يديه يا معشر الجن والانس وقال صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد أسلموا ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم ما منكم أحد الا وله شيطان قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان الله أعانني عليه فاسلم * الوجه الثالث قالوا ان أخبار الانبياء عنهم لا تفيد اثباتهم اذ على تقدير ثبوتهم يجوز ان يقال كل ما أتى به الانبياء فانما حصل باعانة الجن فمن الجائز ان حنين الجذع كان بسبب نفوذ الجن من في الجذع وكل فرع أدى الى ابطال الاصل فهو باطل والجواب ان الدليل الدال على صحة نبوة الانبياء كما يجيء يدل على صدق اخبارهم ومن جملة ما أخبروا عنه وجود الجن والشياطين فصح وجودهم واعلم ان كثيرا من الناس أثبتوا موجودات لا متحيزة ولا حالة في المتحيز وزعموا انها مجردات عن شوائب الجسمانيات وهم الملائكة المقربون الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويليهم مرتبة الارواح المعلقة

فعل ذلك الشيء بعينه وزجره عنه في تلاوة الذي دلت تلاوته على النهي والزجر عنه وأباح وأطلق فعل ذلك الشيء بعينه وجعل لمن شاء من عباده ان يفعله فعله ولمن شاء منهم ان يتركه تركه في تلاوة من دلت تلاوته على التخيير وذلك من قائله ان قاله اثبات ما قد نفى الله جل ثناؤه عن تنزيله وحكم كتابه فقال أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفي نفي الله جل ثناؤه ذلك عن حكم كتابه أوضح الدليل على انه لم ينزل كتابه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم الا بحكم واحد متفق في جميع خلقه لا باحكام فيهم مختلفة وفي صحة كون ذلك كذلك ما يبطل دعوى من ادعى خلاف قولنا في تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم انزل القرآن على سبعة احرف اعلاما منه لهم انه نزل بسبعة اوجه مختلفة وسبعة معان مفترقة كان ذلك اثباتا لما قد نفى الله عن كتابه من الاختلاف ونفيا لما قد أوجبه له من الائتلاف مع ان في قيام الحجة بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقض في شيء واحد في وقت واحد بحكمين مختلفين ولا اذن بذلك لامته ما يغني عن الاكثار في الدلالة على ان ذلك منفي عن كتاب الله وفي انتفاء ذلك عن كتاب الله وجوب صحة القول الذي قلناه في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم انزل القرآن على سبعة احرف عند اختصام المختصمين اليه فيما اختلفوا فيه من تلاوة ما تلوه من القرآن وفساد تأويل قول من خالف قولنا في ذلك واخرى ان الذين تماروا فيما تماروا فيه من قراءتهم فاحتكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن منكرا عند احد منهم ان يأمر الله عباده جل ثناؤه في كتابه وتنزيله بما شاء وينهى عما شاء ويعد فيما أحب من طاعاته ويتوعد على معاصيه ويحتج لنبيه ويعظه فيه ويضرب فيه لعباده الامثال فيخاصم غيره على انكاره وسماع ذلك من قارئه بل على الاقرار بذلك كان اسلام من اسلم منهم فما الوجه الذي اوجب له انكار ما انكر ان لم يكن كان ذلك اختلافا منهم في الالفاظ واللغات وبعد فقد ابان بصحة ما قلنا من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصا وذلك الخبر الذي ذكرنا ان ابا كريب حدثنا قال حدثنا زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل اقرؤا القرآن على حرف فقال كلها شاف كاف ما لم يختم آية عذاب برحمة او آية رحمة بعذاب كقولك هلم وتعال فقد أوضح نص هذا الخبر ان اختلاف الاحرف السبعة انما هو اختلاف الفاظ كقولك هلم وتعال باتفاق المعاني لا باختلاف معان موجبة اختلاف احكام وبمثل الذي قلنا في ذلك صحت الاخبار عن جماعة من السلف والخلف حدثني ابو السائب سالم بن جنادة السوائي قال حدثنا ابو معاوية وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابن ابي عدي عن شعبة جميعا عن الاعمش عن شقيق قال قال عبد الله اني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرؤا كما علمتم واياكم والتنطع فانما هو كقول احدكم هلم وتعال وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابو داود قال حدثنا شعبة عن ابي اسحق عمن سمع ابن مسعود يقول من قرأ منكم على حرف فلا يتحولن ولو اعلم احدا اعلم مني بكتاب الله لاتيته وحدثنا ابن المثنى قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن عابس عن رجل من اصحاب عبد الله عن عبد الله ابن مسعود قال من قرأ القرآن على حرف فلا يتحولن منه الى غيره فمعلوم ان عبد الله لم يعن بقوله هذا

من قرأ ما فى القرآن من الامر والنهى فلا يتحولن منه الى قراءة ما فيه من الوعد والوعيد ومن قرأ ما فيه من الوعد والوعيد فلا يتحولن الى قراءة ما فيه من القصص والمثل وانما عنى رحمة الله عليه ان من قرأ بحرفه وحرفه قراءته وكذلك تقول العرب لقراءة رجل حرف فلان وتقول للحرف من حروف الهجاء المقطعة حرف كما تقول القصيدة من قصائد الشاعر كلمة فلان فلا يتحولن عنه الى غيره رغبة عنه ومن قرأ بحرف أبى أو بحرف زيد أو بحرف بعض من قرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الاحرف السبعة فلا يتحولن عنه الى غيره رغبة عنه فان الكفر ببعضه كفر بجميعه والكفر بحرف من ذلك كفر بجميعه يعنى بالحرف ما وصفنا من قراءة بعض من قرأ ببعض الاحرف السبعة **وحدثنى** يحيى بن داود الواسطى قال حدثنا أبو اسامة عن الاعمش قال قرأ أنس هذه الآية ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأصوب قيلا فقال له بعض القوم يا أبا حمزة انما هى أقوم فقال أقوم وأصوب وأهيأ واحد **وحدثنى** محمد بن حميد قال حدثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد انه كان يقرأ القرآن على خمسة أحرف **وحدثنا** ابن حميد قال حدثنا حكام عن عنبسة عن سالم ان سعيد بن جبير كان يقرأ القرآن على حرفين **وحدثنا** ابن حميد قال حدثنا حكام عن مغيرة قال حدثنا يزيد بن الوليد انه يقرأ القرآن على ثلاثة أحرف افترى الزاعم ان تأويل قول النبى صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف انما هو انه أنزله على الاوجه السبعة التى ذكرنا من الامر والنهى والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل كان يرى ان مجاهدا وسعيد ابن جبير لم يقرآ من القرآن الا ما كان من وجهيه أو وجوهه الخمسة دون سائر معانيه لئن كان ظن ذلك بهما لقد ظن بهما غير الذى به يعرفان من منازلهما من القرآن ومعرفتهما بآى القرآن **وحدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية قال حدثنا أيوب عن محمد قال نبئت ان جبرائيل وميكائيل أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال له جبرائيل اقرأ القرآن على حرفين فقال له ميكائيل استزده فقال اقرأ القرآن على ثلاثة أحرف فقال له ميكائيل استزده قال حتى بلغ سبعة أحرف قال محمد لا تختلف فى حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهى هو كقولك تعال وهلم وأقبل قال وفى قراءتنا ان كانت الا صيحة واحدة وفى قراءة ابن مسعود ان كانت الا زقية واحدة **وحدثنى** يعقوب قال حدثنا ابن علية قال حدثنا شعيب يعنى ابن الحبحاب قال كان أبو العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل ليس كما يقرأ وانما يقول أما أنا فاقرأ كذا وكذا قال فذكرت ذلك لابراهيم النخعى فقال أرى صاحبك قد سمع ان من كفر بحرف منه فقد كفر به كله **حدثنا** يونس بن عبد الاعلى قال أنبأنا ابن وهب قال حدثنا يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى سعيد بن المسيب ان الذى ذكر الله انما يعلمه بشر انما افتتن انه كان يكتب الوحى فكان يملى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سميع عليم أو عزيز حكيم وغير ذلك من خواتم الآى ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحى فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أعزيز حكيم أو سميع عليم أو عزيز عليم فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ذلك كتبت فهو كذلك ففتنه ذلك فقال ان محمدا وكل ذلك الى فاكتب ما شئت ٧ وهو الذى ذكر ان سعيد بن المسيب من الحروف السبعة **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم

٧ هكذا بالاصل التى بايدينا ولينظر معناه ولعله وهذا الذى ذكره سعيد هو أحد الحروف اه مصححه

بتدبير الاجسام وأشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم ملائكة الكرسى ثم ملائكة السموات طبقة وطبقة ثم ملائكة كرة الاثير ثم ملائكة كرة النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم الملائكة المسلطة على السحاب ثم على الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية المتصرفة فى هذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه الارواح قد تكون مشرقة وخيرة وهم من قبيل الملائكة وقد تكون مظلمة شريرة وهم شياطين الانس والجن ولفظة الجن مأخوذ من الاستتار عن العيون ومنه المجنون لاستتار عقله والجنة لكونها ساترة للانسان وطوائف المكلفين أربعة الملائكة والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل بالذاتيات كما بين الانسان والفرس وقيل بالعوارض فالجن خيارهم والشياطين أشرارهم والمشهور ان الجن لهم قدرة على النفوذ فى بواطن البشر لانهم لو كانوا مجردين فلا استبعاد فى كونهم متصرفين فى باطن الانسان وان كانوا أجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم فى باطن الآدمى كيف وقد ورد فى القرآن لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس وفى الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ولا خلاف فى ان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وأما الجن والشياطين فبخلاف ذلك قال صلى الله عليه وسلم فى العظم انه زاد اخوانكم من الجن وفى القرآن أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وأما كيفية الوسوسة فيروى ان عيسى صلى الله عليه وسلم دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من بنى آدم فأراه ذلك فاذا رأسه مثل رأس الحية واضع رأسه على قلبه فاذا ذكر الله خنس وأبس واذا لم يذكره وضع رأسه على حبة قلبه وقال لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات وقال أيضا صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب الحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية فمن الخواطر ما هو أصل السعادة ومنها ما هو أصل الشقاوة وسبب اشتباه خطأ الخواطر بصوابها أحد أربعة أشياء اما ضعف القصد أو قلة العلم بصفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى

عن عبد الله قال كان من كفر بحرف من القرآن أو بآية منه فقد كفر به كله ۞ قال أبو جعفر فان قال لنا قائل فاذا كان تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف عندك ما وصفت بما عليه استشهدت فاوجدنا حرفا في كتاب الله مقروأ بسبع لغات فتحقق بذلك قولك والا فان لم تجد ذلك كذلك كان معلوما بعدمكه صحة قول من زعم ان تأويل ذلك انه نزل بسبعة معان وهو الامر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل وفساد قولك أو تقول في ذلك ان الاحرف السبعة لغات في القرآن سبع متفرقة في جميعه من لغات احياء من قبائل العرب مختلفة الالسن كما قال بقوله بعض من لم يمعن النظر في ذلك فيصير بذلك الى القول بما لا يجهل فساده ذو عقل ولا يلتبس خطؤه على ذي لب وذلك أن الاخبار التي بها احتججت لتصحيح مقالتك في تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف هي الاخبار التي رويتها عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب رحمة الله عليهم وعمن رويت ذلك عنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم تماروا في تلاوة بعض القرآن فاختلفوا في قراءته دون تأويله وأنكر بعض قراءة بعض مع دعوى كل قارئ منهم قراءة منها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه ما قرأ بالصفة التي قرأ ثم احتكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ان صوب قراءة كل قارئ منهم على خلافها قراءة أصحابه الذين نازعوه فيها وأمر كل امرئ منهم ان يقرأ كما علم حتى خالط قلب بعضهم الشك في الاسلام لما رأى من تصويب رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة كل قارئ منهم على اختلافها ثم جلاه الله عنه ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فان كانت الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن عندك كما قال هذا القائل متفرقة في القرآن مثبتة اليوم في مصاحف أهل الاسلام فقد بطلت معاني الاخبار التي رويتها عمن رويتها عنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اختلفوا في قراءة سورة من القرآن فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر كلا أن يقرأ كما علم لان الاحرف السبعة اذا كانت لغات متفرقة في جميع القرآن فغير موجب حرف من ذلك اختلافا بين تاليه لان كل تال فانما يتلو ذلك الحرف تلاوة واحدة على ماهو به في المصحف وعلى ما أنزل واذا كان ذلك كذلك بطل وجه اختلاف الذين روي عنهم انهم اختلفوا في قراءة سورة وفسد معنى أمر النبي صلى الله عليه وسلم كل قارئ منهم ان يقرأه على ما علم اذ كان لا معنى هنالك يوجب اختلافا في لفظ ولا افتراقا في معنى وكيف يجوز أن يكون هنالك اختلاف بين القوم والمعلم واحد غير ذي أوجه وفي صحة الخبر عن الذين روي عنهم الاختلاف في حروف القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم اختلفوا وتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك على ما قد تقدم وصفناه أبين الدلالة على فساد القول بان الاحرف السبعة انما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن لا انها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني مع ان المتدبر اذا تدبر قول هذا القائل في تأويله قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف وادعائه ان معنى ذلك انها سبع لغات متفرقة في جميع القرآن ثم جمع بين قيله ذلك واعتلاله لقيله ذلك بالاخبار التي رويت عمن روي ذلك عنه من الصحابة والتابعين

أو محبة الدنيا وجاهها وما لها فمن عصم من هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها فلا واتفق المحققون على ان من كان أكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس و وسوسة الشيطان بان النفس تطالب وتلح ولا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس بأخرى ثم مراده الاغواء كيف أمكن وحقيقة الوسوسة راجعة الى ان الانسان بينا هو ذاهل عن الشيء ذكره الشيطان ذلك فيحدث له ميل ويترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكان الذي أتى به الشيطان من خارج ليس الا ذلك التذكير واليه الاشارة في القرآن حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي ولا يتسلسل هذا التذكير وانما يقدم الشيطان على ذلك لعدم قابلية وقع في فطرته الاولى لحكمة عرفها الله تعالى فيه والمقصود من الاستعاذ لا ينحصر في دفع وسوسة الشيطان الا ان ذلك معظم المقاصد ولهذا اختص بالذكر في القرآن ولو نوى المستعيذ دفع جميع المضار الدنيوية والاخروية فلا ضير ✽ نكت في الاستعاذة ✽ الاولى أعوذ بالله عروج من الخلق الى الحق ومن الممكن الى الواجب لان أعوذ اشارة الى الحاجة التامة وبالله اشارة الى المعبود القادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات ومن عرف نفسه بالقصور عرف الله بانه قادر على كل مقدور ومن عرف نفسه باختلال الحال عرف ربه بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب ✽ الثانية سر الاستعاذة الالتجاء الى قادر يدفع عنك الآفات وقراءة القرآن من أعظم الطاعات ولذلك جاء من شغله قراءة القرآن عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين فلهذا خصت الاستعاذة بالقراءة الثالثة عند الفرار من العدو الغدار يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبعد الاستقرار في حضرة الملك الجبار يقول بسم الله الرحمن الرحيم الرابعة الاستعاذة تطهير اللسان عما جرى عليه من ذكر غير الله واذا حصل الطهور استعد للصلاة الحقيقية وهي ذكر الله فيقول بسم الله الخامسة العبد مأمور بمحاربة العدو الظاهر قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وبمحاربة العدو الباطن ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فاذا حاربت العدو الظاهر كان مددك الملك يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين واذا حاربت العدو الباطن كان مددك الملك ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومحاربة العدو الباطن

انه

انه قال هو بمنزلة قولك تعال وهلم وأقبل وان بعضهم قال هو بمنزلة قراءة عبد الله الازقية وهى فى قراءتنا الاصيحة وما أشبه ذلك من حججه علم ان حججه مفسدة فى ذلك مقالته وان مقالته فيه مضادة حججه اذ الذى نزل به القرآن عنده احدى القراءتين اما صيحة واما زقية واما تعال أو أقبل أو هلم لا جميع ذلك لان كل لغة من اللغات السبع عنده فى كلمة أو حرف من القرآن غير الكلمة أو الحرف الذى فيه اللغة الاخرى واذا كان ذلك كذلك بطل اعتلاله لقوله بقول من قال ذلك بمنزلة هلم وتعال وأقبل لان هذه الكلمات هى ألفاظ مختلفة يجمعها فى التأويل معنى واحد وقد أبطل قائل القول الذى حكيناعنه قوله اجتماع اللغات السبع فى حرف واحد من القرآن فقد تبين بذلك افساده حجته لقوله بقوله وافساده قوله بحجته فقيل له ليس القول فى ذلك بواحد من الوجهين الذين وصفت بل الاحرف السبعة التى أنزل الله بها القرآن هن لغات سبع فى حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الالفاظ واتفاق المعانى كقول القائل هلم وأقبل وتعال والى وقصدى ونحوى وقربى ونحو ذلك مما تختلف فيه الالفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعانى وان اختلفت بالبيان به الالسن كالذى روينا آنفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمن روينا ذلك عنه من الصحابة ان ذلك بمنزلة قولك هلم وتعال وأقبل وقوله ماينظرون الا زقية والاصيحة فان قال ففى أى كتاب الله نجد حرفا واحدا مقروا بلغات سبع مختلفات الالفاظ متفقات المعنى فنسلم لك صحة ما ادعيت من التأويل فى ذلك قيل انا لم ندع ان ذلك موجود اليوم وانما أخبرنا ان معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف على نحو ما جاءت به الاخبار التى تقدم وذكرناها وهو ما وصفنا دون ما ادعاه مخالفونا فى ذلك للعلل التى بيناها فان قال فما بال الاحرف الستة غير موجودة ان كان الامر فى ذلك على ما وصفت وقد أقرأهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمر بالقراءة بهن وأنزلهن الله من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم أنسخت فرفعت فما الدلالة على نسخها ورفعها أم نسيتهن الامة فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه أم ما القصة فى ذلك قيل لم تنسخ فترفع ولا ضيعتها الامة وهى مأمورة بحفظها ولكن الامة أمرت بحفظ القرآن وخيرت فى قراءته وحفظه باى تلك الاحرف السبعة شاءت كما أمرت اذا هى حنثت فى يمين وهى موسرة ان تكفر باى الكفارات الثلاث شاءت اما بعتق أو اطعام أو كسوة فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير فيها باى الثلاث شاء المكفر كانت مصيبة حكم الله مؤدية فى ذلك الواجب عليها من حق الله فكذلك الامة أمرت بحفظ القرآن وقراءته وخيرت فى قراءته باى الاحرف السبعة شاءت فرأت لعلة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد قراءته بحرف واحد ورفض القراءة بالاحرف الستة الباقية ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن له فى قراءته به فان قال وما العلة التى أوجبت عليها الثبات على حرف واحد دون سائر الاحرف الستة الباقية قيل حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن عمارة بن غزية عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد قال لما قتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمامة دخل عمر بن الخطاب على أبى بكر رحمه الله فقال ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمامة يتهافتون تهافت الفراش فى النار

أولى لان العدو الظاهر ان غلب بقى الدين واليقين وكنا مأجورين وان غلب العدو الباطن كنا مفتونين ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا ولا خلاص من شره الا بان يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * السادسة قال الله تعالى يا عبدى قلبك بستانى وجنتى بستانك فلما لم تبخل على ببستانك بل أنزلت معرفتى فيه لم أبخل عليك ببستانى وأنزلك فيها وههنا لطيفة وهى ان الله تعالى كانه يقول العبد أنت الذى أنزلت سلطان المعرفة فى حجرة قلبك ومن أراد ان ينزل سلطانا فى حجرة نفسه يجب عليه كنس الحجرة وتنظيفها فنظف حجرة قلبك من تلوث الوسوسة وقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم السابعة أقسم فى حق أبويك انه لمن الناصحين فدلاهما بغرور وأقسم فيك لاغوينهم أجمعين فما ظنك بعاقبته معاملته معك فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم الثامنة انما اختص اسم الله للاستعاذة به من بين سائر الاسماء لان العدو كلما كان أشد احتيج الى عدة أكثر والاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية انما هو الله وكان العبد قال أعوذ بالقادر العالم الحكيم الذى لا يرضى بشئ من المنكرات من الشيطان الرجيم التاسعة الشيطان اسم والرجيم صفة له ثم انه تعالى لم يقتصر على الاسم بل ذكر صفته تنبيها للعبد ان الشيطان بقى فى الخدمة الوفا من السنين ولم يقدر على مضرتنا ومع ذلك رجمناه وطردناه وأنت لو صاحبك الشيطان لحظة واحدة أخلدك فى النار فكيف لا تشتغل بطرده فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم العاشرة يقول الله تعالى عبدى انه يراك وأنت لا تراه فينفذ كيده فيك فتمسك بمن يرى الشيطان ولا يراه الشيطان وقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحادية عشرة الالف واللام فى الشيطان للجنس ليفيد الاستعاذة من هذا الجنس مطلقا مرئيا وغير مرئى ولو جعل للعهد جاز ويدخل ذريته فيه تبعا الثانية عشرة الشيطان بعيد وأنت قريب ونحن أقرب اليه من حبل الوريد فكما ان الشيطان لا يجعله الله قريبا لقوله تعالى ولن تجد لسنته تبديلا فاعرف انه لا يجعلك الله تعالى بعيدا حيث جعلك قريبا الثالثة عشرة ان الشيطان رجيم وانا مع رحمن رحيم فاحذر من الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم الرابعة عشرة الشيطان عدو غائب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والله تعالى حبيب غالب والله غالب على أمره فاذا قصدك العدو الغائب فافزع الى الحبيب الغالب * (المقدمة الثالثة فى مسائل مهمة) * المسئلة الاولى القرا آت السبع

متواترة لا بمعنى ان سبب تواترها اطباق القراء السبعة عليها بل بمعنى ان ثبوت التواتر بالنسبة الى المتفق على قراءته كثبوته بالنسبة الى كل من المختلف في قراءته ولا مدخل للقارئ في ذلك الامن حيث ان مباشرته لقراءته أكثر من مباشرته لغيرها حتى نسبت اليه وانما قلنا ان القراآت متواترة لانه لو لم تكن كذلك لكان بعض القرآن غير متواتر كملك ومالك ونحوهما اذ لا سبيل الى كون كليهما غير متواتر فان أحدهما قرآن بالاتفاق وتخصيص أحدهما بانه متواتر دون الآخر تحكم باطل لاستوائهما في النقل فلا أولوية فكلاهما متواتر وانما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف الهمزة ونحوها * الثانية اتفقوا على انه لا يجوز القراءة في الصلاة بالوجوه الشاذة لان الدليل ينفي جواز القراءة بها مطلقا لانها لو كانت من القرآن لبلغت في الشهرة الى حد المتواتر عدلنا عن الدليل في جواز القراءة خارج الصلاة للاحتمال فوجب ان تبقى قراءتها في الصلاة على أصل المنع الثالثة السبعة الاحرف التي نزل بها القرآن في قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع عند أكثر العلماء انها سبع لغات من لغات قريش لا تختلف ولا تتضاد بل هي متفقة المعنى وغير جائز عندهم ان يكون في القرآن لغة لا تعرفها قريش لقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وذلك ان قريشا تجاور البيت وكان احياء العرب يأتي اليهم للحج ويستمعون لغاتهم ويختارون من كل لغة أحسنها فصفا كلامهم واجتمع لهم مع ذلك العلم بلغة غيرهم ومما يدل على ان سبعة الاحرف هي سبع لغات متفقة المعنى ما روي عن ابن سيرين ان ابن مسعود قال اقرؤا القرآن على سبعة أحرف وهو كقول أحدكم هلم وتعال وأقبل وقال بعضهم انها سبع قبائل من العرب قريش وقيس وتميم وهذيل وأسد وخزاعة وكنانة لمجاورتهم قريشا وقيل سبع لغات من أي لغة كانت من لغات العرب مختلفة الالفاظ متفقة المعاني لقوله انه قد وسع لي ان أقرئ كل قوم بلغتهم وقيل معناه ان يقول في صفات الرب تبارك وتعالى مكان قوله غفورا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اقرؤا القرآن على سبعة أحرف ما لم تختموا مغفرة بعذاب أو عذابا بمغفرة أو جنة بنار أو نارا بجنة وقيل ان لفظ السبعة في الخبر جاءت على جهة التمثيل لانه لو جاء في كلمة أكثر من سبع قراآت جاز ان يقرأ بها وعن

وانى أخشى ان لا يشهدوا مواطنا الا فعلوا ذلك حتى يقتلوا وهم حملة القرآن فيضيع القرآن وينسى ولو جمعته وكتبته فنفر منها أبو بكر وقال افعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتراجعا في ذلك ثم أرسل أبو بكر الى زيد بن ثابت قال زيد فدخلت عليه وعمر محزئل فقال لي أبو بكر ان هذا قد دعاني الى أمر فأبيت عليه وأنت كاتب الوحي فان تكن معه اتبعتكما وان توافقني لا أفعل فاقتص أبو بكر قول عمر وعمر ساكت فنفرت من ذلك وقلت نفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قال عمر كلمة وما عليكما لو فعلتما ذلك قال فذهبنا ننظر فقلنا لا شيء والله ما علينا في ذلك شيء قال زيد فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الادم وكسر الاكتاف والعسب فلما هلك أبو بكر وكان عمر كتب ذلك في صحيفة واحدة وكانت عنده فلما هلك كانت الصحيفة عند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان حذيفة ابن اليمان قدم من غزوة كان غزاها فرج ارمينية فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان بن عفان فقال يا أمير المؤمنين أدرك الناس فقال عثمان وما ذاك قال غزوت فرج ارمينية فحضرها أهل العراق وأهل الشام فاذا أهل الشام يقرؤن بقراءة أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق فتكفرهم أهل العراق واذا أهل العراق يقرؤن بقراءة ابن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فتكفرهم أهل الشام قال زيد فأمرني عثمان بن عفان أن أكتب له مصحفا وقال انى مدخل معك رجلا لبيبا فصيحا فما اجتمعتما فيه فاكتباه وما اختلفتما فيه فارفعاه الى فجعل أبان بن سعيد بن العاص قال فلما بلغنا ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت قال زيد فقلت التابوه وقال أبان بن سعيد التابوت فرفعنا ذلك الى عثمان فكتب التابوت قال فلما فرغت عرضته عرضة فلم أجد فيه هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى قوله وما بدلوا تبديلا قال فاستعرضت المهاجرين أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم ثم استعرضت الانصار أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم حتى وجدتها عند خزيمة بن ثابت فكتبتها ثم عرضته عرضة أخرى فلم أجد فيه هاتين الآيتين لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم الى آخر السورة فاستعرضت المهاجرين فلم أجدها عند أحد منهم ثم استعرضت الانصار أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم حتى وجدتها مع رجل آخر يدعى خزيمة أيضا فأثبتها في آخر براءة ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة ثم عرضته عرضة أخرى فلم أجد فيه شيأ ثم أرسل عثمان الى حفصة يسألها ان تعطيه الصحيفة وحلف لها ليردنها اليها فأعطته فعرض المصحف عليها فلم يختلفا في شيء فردها اليها وطابت نفسه وأمر الناس ان يكتبوا مصاحف فلما ماتت حفصة أرسل الى عبد الله بن عمر في الصحيفة بعزمة فأعطاهم اياها فغسلت غسلا وحدثني به يونس بن عبد الاعلى قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عمارة بن غزية عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد بن ثابت بنحو سواء وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية قال حدثنا أيوب عن أبي قلابة قال لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك الى المعلمين قال أيوب لا أعلمه الا قال حتى كفر بعضهم بقراءة بعض فبلغ ذلك عثمان فقام خطيبا فقال أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون فمن نأى عني من أهل الامصار أشد فيه اختلافا وأشد لحنا اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس اماما

قال أبو قلابة فحدثني أنس بن مالك قال كنت فيمن يملى عليهم فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعله ان يكون غائبا أو في بعض البوادي فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويدعون موضعها حتى يجيء او يرسل اليه فلما فرغ من المصحف كتب عثمان الى أهل الامصار انى قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندى فامحوا ما عندكم حدثني يونس بن عبد الاعلى قال حدثنا ابن وهب قال أخبرني يونس قال قال ابن شهاب أخبرني أنس بن مالك الانصارى انه اجتمع في غزوة اذربيجان وارمينية أهل الشام وأهل العراق فتذاكروا القرآن واختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة فركب حذيفة بن اليمان لما رأى اختلافهم في القرآن الى عثمان فقال ان الناس قد اختلفوا في القرآن حتى انى والله لاخشى ان يصيبهم مثل ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف قال ففزع لذلك فزعا شديدا فارسل الى حفصة فاستخرج الصحف التى كان أبو بكر أمر زيدا بجمعها فنسخ منها مصاحف فبعث بها الى الآفاق حدثني سعيد بن الربيع قال حدثنا سفيان عن الزهرى قال قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع وانما كان في الكرانيف والسعف حدثنا سعيد بن الربيع قال حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبي عن صعصعة ان أبا بكر أول من ورث الكلالة وجمع المصحف وما أشبه ذلك من الاخبار التى يطول باستيعاب جميعها الكتاب والآثار الدالة على ان امام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمة الله عليه جمع المسلمين نظرا منه لهم واشفاقا عليهم ورأفة منه بهم حذار الردة من بعضهم بعد الاسلام والدخول في الكفر بعد الايمان اذ ظهر من بعضهم بمحضره وفي عصره التكذيب ببعض الاحرف السبعة التى نزل عليها القرآن مع سماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم النهى عن التكذيب بشئ منها واخباره اياهم ان المراء فيها كفر فحملهم رحمة الله عليه اذ رأى ذلك ظاهرا بينهم في عصره وبحداثة عهدهم بنزول القرآن وفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بما أمن عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن على حرف واحد وجمعهم على مصحف واحد وحرق ما عدا المصحف الذى جمعهم عليه وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذى جمعهم عليه ان يحرقه فاستوثقت له الامة على ذلك بالطاعة ورأت ان فيما فعل من ذلك الرشد والهداية فتركت القراءة بالاحرف الستة التى عزم عليها امامها العادل في تركها طاعة منها له ونظرا منها لانفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها حتى درست من الامة معرفتها وتعفت آثارها فلا سبيل لاحد اليوم الى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها من غير جحود منها صحتها وصحة شئ منها ولكن نظرا منها لانفسها ولسائر أهل دينها فلا قراءة اليوم للمسلمين الا بالحرف الواحد الذى اختاره لهم امامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الاحرف الستة الباقية فان قال بعض من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها قيل ان أمره اياهم بذلك لم يكن من ايجاب وفرض وانما كان أمر اباحة ورخصة لان القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب ان يكون العلم بكل حرف من تلك الاحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراءة الامة وفي تركهم نقل ذلك كذلك

مالك بن أنس انه كان يذهب في معنى السبعة الاحرف الى انه كالجمع والتوحيد في مثل وتمت كلمات ربك وكلمت ربك وكالتذكير والتأنيث في مثل لا يقبل ولا تقبل وكوجوه الاعراب في مثل هل من خالق غير الله وغير الله وكوجوه التصريف في مثل يعرشون ويعرشون وكاختلاف الادوات في مثل قوله ولكن الشياطين بالتشديد ونصب ما بعدها وبالتخفيف والرفع وكاختلاف اللفظ في الحروف نحو تعلمون بالتاء والياء وننشرها بالراء والزاى وكالتخفيف والتفخيم والامالة والمد والقصر والهمزة وتركه والاظهار والادغام ونحوها وذهب جماعة الى حملها على المعانى والاحكام التى ينتظمهما القرآن دون الالفاظ من حلال وحرام ووعد ووعيد وأمر ونهى ومواعظ وامثال واحتجاج وغير ذلك واستبعده المحققون من قبل ان الاخبار الواردة في مخاصمة الصحابة في القراءة تدل على ان اختلافهم كان في الالفاظ دون المعنى قال بعض العلماء انى تدبرت الوجوه التى تختلف بها لغات العرب فوجدتها على سبعة انحاء لا تزيد ولا تنقص وبجميع ذلك نزل القرآن الوجه الاول ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس وكالعهن المنفوش قرأها ابن مسعود كالصوف المنفوش الثانى ابدال حرف بحرف كالتابوت والتابوه والثالث تقديم وتأخير اما في الكلمة نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب زيد واما في الحروف نحو أولم ييأس الذين وأفلم يايس الرابع زيادة حرف أو نقصانه نحو ماليه وسلطانيه فلا تك في مرية الخامس اختلاف حركات البناء نحو تحسبن بفتح السين وكسرها السادس اختلاف الاعراب نحو ما هذا بشرا وقرأ ابن مسعود بالرفع السابع التفخيم والامالة وهذا اختلاف في اللحن والتزيين لا في نفس اللغة والتفخيم أعلى وأشهر عند فصحاء العرب فهذه الوجوه السبعة التى بها اختلفت لغات العرب فقد أنزل الله باختلافها القرآن متفرقا فيه ليعلم بذلك ان من زل عن ظاهر التلاوة بمثله أو من تعذر عليه ترك عادته فخرج الى نحو مما قد نزل به فليس بملوم ولا معاقب عليه وكل هذا فيما لا يختلف فيه المعانى فان قيل فما ولكم في القراآت التى تختلف بها المعانى قلنا انها صحيحة منزلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه السبعة الاحرف وليس يجوز ان يكون فيما أنزل الله من الالفاظ التى تختلف معانيها ما يجرى اختلافها مجرى التضاد والتناقض لكن مجرى التغاير الذى لا تضاد فيه ثم انها تجىء على وجوه فمنها ما يختلف بها الحكم

أوضح الدليل على أنهم كانوا فى القراءة بها مخيرين بعد أن يكون فى نقلة القرآن من الامة من تجب بنقله الحجة ببعض تلك الاحرف السبعة فاذا كان ذلك كذلك لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراآت السبع تاركين ما كان عليهم نقله بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا اذ كان الذى فعلوا من ذلك كان هو النظر للاسلام وأهله فكان القيام بفعل الواجب عليهم بهم أولى من فعل ما لو فعلوه كانوا الى الجناية الى الاسلام وأهله أقرب منهم الى السلامة من ذلك فأما ما كان من اختلاف القراءة فى رفع حرف وجره ونصبه وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف الى آخر مع اتفاق الصورة فمن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم أمرت ان أقرأ القرآن على سبعة أحرف بمعزل لانه معلوم ان الاحرف من حروف القرآن مما اختلفت القراءة فى قراءته بهذا المعنى ٧ يوجب المراء به كفر المارى به فى قول أحد من علماء الامة وقد أوجب عليه السلام بالمراء فيه الكفر من الوجه الذى تنازع منه المتنازعون اليه وتظاهرت عنه بذلك الرواية على ما قد قدمنا ذكرها فى أول هذا الكتاب فان قال لنا قائل فهل لك من علم بالالسن السبعة التى نزل بها القرآن وأى الالسن هى من ألسن العرب قلنا أما الالسن التى قد نزلت القراءة بها فلا حاجة بنا الى معرفتها لانا لو عرفناها لم نقرأ اليوم بها مع الاسباب التى قدمنا ذكرها وقد قيل ان خمسة منها لعجز هوازن واثنين منها لقريش وخزاعة وروى ذلك عن ابن عباس وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله وذلك ان الذى روى عنه ان خمسة منها من لسان العجز من هوازن الكلبى عن أبى صالح وان الذى روى عنه ان اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة قتادة وقتادة لم يلقه ولم يسمع منه **حدثنى** بذلك بعض أصحابنا قال حدثنا صالح بن نصر الخزاعى قال حدثنا الهيثم بن عدى عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن ابن عباس قال نزل القرآن بلسان قريش ولسان خزاعة وذلك ان الدار واحدة **وحدثنى** بعض أصحابنا قال حدثنا صالح بن نصر قال حدثنا شعبة عن قتادة عن أبى الاسود الديلى قال نزل القرآن بلسان الكعبين كعب بن عمرو وكعب بن لؤى فقال خالد بن سلمة لسعد بن ابراهيم ألا تعجب من هذا الاعمى يزعم ان القرآن نزل بلسان الكعبين وانما أنزل بلسان قريش ۞ قال أبو جعفر والعجز من هوازن سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف وأما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم اذ ذكر نزول القرآن على سبعة أحرف ان كلها شاف كاف فانه كما قال جل ثناؤه فى وصفه القرآن يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين شفاء يستشفون بمواعظه من الادواء العارضة لصدورهم من وساوس الشيطان وخطراته فيكفيهم ويغنيهم عن كل ما عداه من المواعظ ببيان آياته ۞ القول فى البيان عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن من سبعة أبواب الجنة وذكر الاخبار المروية بذلك ۞ قال أبو جعفر اختلفت النقلة فى ألفاظ الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كان الكتاب الاول نزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل

٧ هكذا بالاصل ولعل الصواب لا يوجب بالنفى تأمل اه مصححه

الشرعى على المبادلة بمنزلة قوله وأرجلكم بالجر والنصب جميعا واحدى القراءتين تقتضى فرض المسح والاخرى فرض الغسل وقد بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسح للابس الخف فى وقته والغسل لحاسر الرجل وهذا الضرب هو الذى لا تجوز القراءة الا اذا تواتر نقله وثبت من الشارع بيانه وليس بعذر من زل فى مثله عما هو المنزل حتى يراجع الصواب ويفرغ الى الاستغفار وقد يكون ما يختلف الحكم فيه على غير المبادلة لكن على الجمع بين الامرين بمنزلة ولا تقربوهن حتى يطهرن مشددة الطاء من التطهر فان القراءتين ههنا تقتضيان حكمين مختلفين يلزم الجمع بينهما وذلك ان الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولا يجوز القراءة فى أمثال هذه الا بالنقل الظاهر ومن زل فى مثله الى ما يقتضى أمرا وقد علم ثبوته ولم يقرأ به لم يلزمه فيه حرج كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا وصحفه أحد فقرأ الربا بالراء والباء من الربا فى المال فانه منهى عنه كالزنا فان كان عدوله عن ظاهر التلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم على ذلك وأما التضاد والتنافى فغير موجود فى كتاب الله والنسخ ليس من هذا القبيل لان اتحاد الزمان شرط التنافى وعند ورود الناسخ ينتهى المنسوخ وتبين ان فى علم الله حكم المنسوخ كان مؤجلا الى ورود الناسخ والله أعلم وقوله لكل آية ظهر وبطن أى ظاهر وباطن فالظاهر ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى عليهم فنقول فى ذلك كما أمرنا ونكل علمه الى الله تعالى وقيل هو ان يؤمن به باطنا كما يؤمن به ظاهرا وقوله ولكل حد مطلع أى لكل طرف من حدود الله التى يوقف عندها ولا يتجاوز عنه من مأمور أو منهى أو مباح مصعد ومأتى يؤتى منه ويفهم كما هو أو مقدار من الثواب والعقاب يعاينه فى الآخرة ويطلع عليه كما قال عمر لو أن لى ما فى الارض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع يعنى ما يشرف عليه من أمر الله بعد الموت

(المقدمة الرابعة فى كيفية جمع القرآن) روى عن زيد بن ثابت انه قال أرسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة واذا عنده عمر فقال أبو بكر ان عمر أتانى فقال ان القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة وانى أخشى ان يستحر القتل بالقراء فى المواطن كلها فيذهب قرآن كثير من انى وأرى ان تأمر بجمع القرآن قال فقلت كيف أفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى هو والله خير فلم يزل عمر يراجعنى فى

من عند ربنا حدثني بذلك يونس بن عبد الاعلى قال أنبأنا ابن وهب قال أخبرني حيوة بن شريح عن عقيل بن خالد عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا غير ذلك حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عباد بن زكريا عن عوف عن أبي قلابة قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزل القرآن على سبعة أحرف أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل وروي عن أبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ما حدثني به أبو كريب قال حدثنا محمد بن فضيل عن اسمعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أمرني ان أقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمتي قال اقرأه على حرفين فقلت أي رب خفف عن أمتي فأمرني ان أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنة كلها شاف كاف وهو ما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا المحاربي عن الاحوص بن حكيم عن ضمرة بن حبيب عن القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود قال ان الله أنزل القرآن على خمسة أحرف حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحل الحلال وحرم الحرام واعمل بالمحكم وآمن بالمتشابه واعتبر بالامثال وكل هذه الاخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متقاربة المعاني لان قول القائل فلان مقيم على وجه من وجوه هذا الامر وهو مقيم على حرف من هذا الامر سواء ألا ترى ان الله جل ثناؤه وصف قوما عبدوه على وجه من وجوه العبادات وأخبر عنهم انهم عبدوه على حرف فقال ومن الناس من يعبد الله على حرف يعني انهم عبدوه على وجه الشك لا على اليقين به والتسليم لامره فكذلك رواية من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزل القرآن من سبعة أبواب ونزل على سبعة أحرف سواء معناهما مؤتلف وتأويلهما غير مختلف في هذا الوجه ومعنى ذلك كله الخبر منه صلى الله عليه وسلم عما خصه الله به وأمته من الفضيلة والكرامة التي لم يؤتها أحدا في تنزيله وذلك ان كل كتاب تقدم كتابنا نزوله على نبي من أنبياء الله صلوات الله عليهم فانما نزل بلسان واحد متى حول الى غير اللسان الذي نزل به كان ذلك له ترجمة وتفسيرا لا تلاوة له على ما أنزله الله وأنزل كتابنا بألسن سبعة بأي تلك الالسن السبعة تلاه التالي كان له تاليا على ما أنزله الله لا مترجما ولا مفسرا حتى يحوله عن تلك الالسن السبعة الى غيرها فيصير فاعل ذلك حينئذ اذا أصاب معناه له مترجما كما كان التالي لبعض الكتب التي أنزلها الله بلسان واحد اذا تلاه بغير اللسان الذي أنزله به له مترجما لا تاليا على ما أنزله الله به فذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم كان الكتاب الاول نزل على حرف واحد ونزل القرآن على سبعة أحرف وأما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الكتاب الاول نزل من باب واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب فانه صلى الله عليه وسلم عنى بقوله نزل الكتاب الاول من باب واحد والله أعلم ما نزل من كتب الله على من أنزله من أنبيائه خاليا من الحدود والاحكام والحلال والحرام كزبور داود الذي انما هو تذكير ومواعظ وانجيل عيسى الذي هو تمجيد ومحامد وحض على الصفح والاعراض دون غيرها من الاحكام والشرائع وما أشبه ذلك من الكتب التي نزلت ببعض المعاني السبعة التي يحوي جميعهن كتابنا الذي خص الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم

ذلك حتى شرح الله صدري له فرأيت فيه الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت قال أبو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال وكانت الصحف عند أبي بكر حتى مات ثم كانت عند عمر حتى مات ثم كانت عند حفصة مدة الى ان ارسل عثمان الى حفصة ان أرسلي الى بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها عليك فارسلت الى عثمان فارسل عثمان الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فامرهم ان ينسخوا الصحف في المصاحف ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان في كل أفق بمصحف من تلك المصاحف وأمر بما سوى ذلك من القرآن ان يحرق أو يخرق قال زيد بن ثابت فرأيت أصحاب محمد يقولون أحسن والله عثمان أحسن والله عثمان وقال علي لو وليت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان الآن عبد الله بن مسعود كره ان ولي زيد ابن ثابت نسخ المصاحف فقال يا معشر المسلمين أأعزل عن نسخ كتاب الله ويتولاها رجل والله لقد أسلمت وانه لفي صلب رجل كافر يعني زيدا فكان أول من أمر بجمع القرآن في المصحف أبا بكر مخافة ان يضيع منه شيء غير انه لم يجمع الناس عليه وكان الناس يقرؤون بقراآت مختلفة على سبيل ما أقرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى وقت عثمان ثم ان عثمان جمع الناس على مصحف واحد وحرف واحد ولذلك نسب المصحف اليه وجعل ذلك اماما *واعلموا ان القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله فانه ما أنزلت آية الا وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يكتب له ان يضعها في موضع كذا من سورة كذا ولا نزلت سورة الا وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكاتب ان يضعها بجنب سورة كذا روي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وعن أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من الانصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد قيل لانس من أبو زيد قال أحد عمومتي غير انهم لم يكونوا قد جمعوا الها فيما بين الدفتين ولم يلزموا القراءة

وأمته فلم يكن المتعبدون باقامته يجدون لرضى الله تعالى ذكره مطلبا ينالون به الجنة ويستوجبون منه القربة الا من الوجه الواحد الذي أنزل به كتابهم وذلك هو الباب الواحد من أبواب الجنة الذي نزل منه ذلك الكتاب وخص الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته بان أنزل عليهم كتابه على أوجه سبعة من الوجوه التي ينالون بها رضوان الله ويدركون بها الفوز بالجنة اذا أقاموها فلكل وجه من أوجهه السبعة باب من أبواب الجنة الذي نزل منه القرآن لان العامل بكل وجه من أوجهه السبعة عامل على باب من أبواب الجنة وطالب من قبله الفوز بها والعمل بما أمر الله جل ذكره في كتابه باب من أبواب الجنة وترك مانهى الله عنه فيه باب آخر ثان من أبوابها وتحليل ما أحل الله فيه باب ثالث من أبوابها وتحريم ما حرم الله فيه باب رابع من أبوابها والايمان بمحكمه المبين باب خامس من أبوابها والتسليم لمتشابهه الذي استأثر الله بعلمه وحجب علمه عن خلقه والاقرار بان كل ذلك من عند ربه باب سادس من أبوابها والاعتبار بامثاله والاتعاظ بعظاته باب سابع من أبوابها فجميع ما في القرآن من حروفه السبعة وأبوابه السبعة التي نزل منها جعله الله لعباده الى رضوانه هاديا ولهم الى الجنة قائدا فذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن من سبعة أبواب الجنة وأما قوله صلى الله عليه وسلم في القرآن لكل حرف منه حد يعني لكل وجه من أوجهه السبعة حد حده الله جل ثناؤه لا يجوز لاحد ان يتجاوزه وقوله صلى الله عليه وسلم وان لكل حرف منها ظهرا وبطنا فظهره الظاهر في التلاوة وبطنه ما بطن من تأويله وقوله وان لكل حد من ذلك مطلعا فانه يعني ان لكل حد من حدود الله التي حدها فيه من حلال وحرام وسائر شرائعه مقدارا من ثواب الله وعقابه يعاينه في الآخرة ويطلع عليه ويلاقيه في القيامة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو أن لي ما في الارض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع يعني بذلك ما يطلع عليه ويهجم عليه من أمر الله بعد وفاته

﴿ القول في الوجوه التي من قبلها يوصل الى معرفة تأويل القرآن ﴾ قال أبو جعفر قد قلنا في الدلالة على ان القرآن عربي وانه نزل بالسن بعض العرب دون ألسن جميعها وان قراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التي هي بين أظهرهم ببعض الالسن التي نزل بها القرآن دون جميعها وقلنا في البيان عما يحويه القرآن من النور والبرهان والحكمة والبيان التي أودعها الله اياه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده ومحكمه ومتشابهه ولطائف حكمه ما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه ونحن قائلون في البيان عن وجوه مطالب تأويله قال الله جل ذكره وتقدست أسماؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وقال أيضا جل ذكره وما أنزلنا اليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب فقد تبين ببيان الله جل ذكره ان مما أنزل الله من القرآن على نبيه ما لا يوصل الى علم تأويله الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره ونهيه وندبه وارشاده وصنوف نهيه ووظائف حقوقه وحدوده

قوالي سورها وذلك ان الواحد منهم اذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتبها ثم خرج في سرية فنزلت في وقت مغيبه سورة فانه كان اذا رجع يأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ويتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير من هذا الوجه وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ أنسابها وأشعار شعرائها من غير كتابة ومنهم من كان كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسب ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين في حفظ القرآن فلا يرون بأكثرهم حاجة الى مصحف ينظر فيه فلما ان مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبيله وجند المهاجرون والانصار أجنادا تفرقوا في أقطار الدنيا واستحر القتل في بعضهم كما سر خيف حينئذ ان يتطرق اليه ضياع فامروا بجمعه في المصحف (المقدمة الخامسة) في معاني المصحف والكتاب والقرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وغير ذلك المصحف مفعل من أصحف أي جمع فيه الصحف والصحف جمع الصحيفة والصحيفة قطعة من جلد أو ورق يكتب فيه وقد يقال مصحف بكسر الميم وروى ان أبا بكر الصديق استشار الناس بعد جمع القرآن في اسمه فسماه مصحفا والكتاب معناه ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض لانه مصدر كتب أي جمع قال الله تعالى أولئك كتب في قلوبهم الايمان أي جمع حتى آمنوا بجميع ما يجب عليهم فالكتاب فعل الكاتب ولكنه قد يسمى الشيء باسم الفعل نحو هذا الدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله والقرآن اسم للكتاب المنزل على نبينا محمد كما ان التوراة اسم للكتاب المنزل على موسى والانجيل للمنزل على عيسى والزبور للمنزل على داود عليه السلام والقرآن يهمز ولا يهمز فمن همزه وهو الاكثر فوزنه فعلان مثل قربان والتركيب يدل على الجمع والضم ومنه القرء للحيض لاجتماع الدم في ذلك الوقت ومنه قولهم قرأت الماء في الحوض فالقرآن نزل شيأ بعد شيء فلما جمع بعضه الى بعض سمي قرآنا وقيل سمي قرآنا لانه جمع السور وضمها قال تعالى ان علينا جمعه وقرآنه أي تأليفه وضم بعضه الى بعض وقولك قرأت معناه جمعت الحروف بعضها الى بعض ومن لم يهمز القرآن وهو قراءة أهل مكة فاما على تخفيف الهمزة وأصله كما مر واما على ان وزنه فعال من قرنت والنون لام الكلمة سمي بذلك لانه قرن السور وما فيها بعضها ومبالغ

ومبالغ فرائضه ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض وما أشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يدرك علمها الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته وهذا وجه لا يجوز لاحد القول فيه الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له بتأويله بنص منه عليه أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله وان منه ما لا يعلم تأويله الا الله الواحد القهار وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة وأوقات آتية كوقت قيام الساعة والنفخ في الصور ونزول عيسى بن مريم وما أشبه ذلك فان ذلك أوقات لا يعلم أحد حدودها ولا يعرف أحد من تأويلها الا الخبر باشراطها لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه وكذلك أنزل ربنا في محكم كتابه فقال يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذا ذكر شيأ من ذلك لم يدل عليه الا باشراطه دون تحديده بوقت كالذي روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لاصحابه اذا ذكر الدجال ان يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه وان يخرج بعدي فالله خليفتي عليكم وما أشبه ذلك من الاخبار التي يطول باستيعابها الكتاب الدالة على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده علم أوقات شئ منه بمقادير السنين والايام وان الله جل ثناؤه انما كان عرفه مجيئه باشراطه ووقته بادلته وان منه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن وذلك اقامة اعرابه ومعرفة المسميات باسمائها اللازمة غير المشترك فيها والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها فان ذلك لا يجهله أحد منهم وذلك كسامع منهم لو سمع تاليا يتلو واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون لم يجهل ان معنى الافساد هو ما ينبغي تركه مما هو مضرة وان الاصلاح هو ما ينبغي فعله مما فعله منفعة وان جهل المعاني التي جعلها الله فسادا والمعاني التي جعلها الله اصلاحا فالذي يعلمه ذو اللسان الذي بلسانه نزل القرآن من تأويل القرآن هو ما وصفت من أعيان المسميات باسمائها اللازمة غير المشترك فيها والموصوفات بصفاتها الخاصة دون الواجب من أحكامها وصفاتها وهيآتها التي خص الله بعلمها نبيه صلى الله عليه وسلم فلا يدرك علمه الا ببيانه دون ما استأثر الله بعلمها دون خلقه وبمثل ما قلنا من ذلك روى الخبر عن ابن عباس حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا مؤمل قال حدثنا سفيان عن أبي الزناد قال قال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله ۞ قال أبو جعفر وهذا الوجه الرابع الذي ذكره ابن عباس من ان أحدا لا يعذر بجهالته معنى غير الابانة عن وجوه مطالب تأويله وانما هو خبر عن ان من تأويله ما لا يجوز لاحد الجهل به وقد روى بنحو ما قلنا في ذلك أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر في اسناده نظر حدثني يونس بن عبد الاعلى الصدفي قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت عمرو بن الحارث يحدث عن الكلبي عن أبي صالح مولى أم هانئ عن عبد الله بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب ۞ ذكر بعض الاخبار التي رويت بالنهي عن القول في تأويل

الى بعض وقيل ان القرآن اسم موضوع على فعال من غير اشتقاق كالتوراة والانجيل ويسمى القرآن فرقانا لانه يفرق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر والحلال والحرام وأما السورة من القرآن فانهم يهمزون ولا يهمزون وهذا أكثر وعليه القراءة والسورة اسم لآى جمعت وقرنت بعضها الى بعض حتى تمت وكملت وبلغت في الطول المقدار الذي أراد الله تعالى ثم فصل بينها وبين سورة أخرى ببسم الله الرحمن الرحيم ولا تكون السورة لا معروف المبتدأ معلوم المنتهى وقيل اشتقاقها من سور البناء والمدينة لان السور يوضع بعضه فوق بعض حتى ينتهي الى الارتفاع الذي يراد فالقرآن أيضا وضع آية الى جنب آية حتى بلغت السورة في عدد الآى المبلغ الذي أراد الله تعالى وقيل سميت سورة لانها وضعت بالعلو والرفعة كما ان سور المدينة سمي سورا لارتفاعه قال النابغة

ألم تر ان الله أعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب

أي شرفا ورفعة وقيل سميت سورة لاحاطتها بما فيها من الآيات كما ان سورة المدينة محيطة بما كنها وأبنيتها وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو مثل جملة وجمل وجمع سورة البناء سور بالسكون مثل صوفة وصوف ومن همز سورة جعلها من أسأرت في الاناء سؤرا أي أفضلت منه بقية ومنه سؤر الدواب اذ كلها قطعة من القرآن على حدة وأما الآية فقد قال جمع من العلماء انها في القرآن عبارة عن كلام متصل الى انقطاعه وانقطاع معناه فصلا فصلا ولا يخفى توقف الآية على التوقيف وقال غيرهم معناها العلامة لانها تدل على نفسها بانفصالها عن الآية المتقدمة عليها والمتأخرة عنها وقيل معناها جماعة حروف من قولهم خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم ولم يدعوا وراءهم شيأ وقيل معناها العجيبة لانها عجيبة لمباينتها كلام المخلوقين من قولهم فلان آية من الآيات واختلف في وزنها فقال الفراء وزنها فعلة بالفتح أو بسكون العين وأصلها أية فاستثقلوا التشديد فاتبعوه الفتحة التي قبله وقال الخليل وأصحابه وزنها فعلة بالفتح والاصل أيية قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقال الكسائي أصلها آيية فاعلة كضاربة وكان يلزمه الياءين الادغام على نحو دابة وخاصة ويكون مثقلا فحذفوا احدى الياءين وأما الكلمة فان تراكيب ك ل م تفيد القوة والشدة وتقاليب هذه

القرآن بالرأى حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى قال حدثنا شريك عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا يحيى بن سعيد قال حدثنا سفيان قال حدثنا عبد الاعلى هو ابن عامر الثعلبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال فى القرآن برأيه او بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار وحدثنا أبو كريب قال حدثنا محمد بن بشر وقبيصة عن سفيان عن عبد الاعلى قال حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا الحكم بن بشير قال حدثنا عمرو بن قيس الملائى عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن ليث عن بكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال من تكلم فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وحدثنى أبو السائب سالم ابن جنادة السوائى قال حدثنا حفص بن غياث عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم عن أبي معمر قال قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى اذا قلت فى القرآن ما لا أعلم حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابن أبي عدى عن شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن أبي معمر قال قال أبو بكر الصديق أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى اذا قلت فى القرآن برأيى أو بما لا أعلم ۞ قال أبو جعفر وهذه الاخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا من ان ما كان من تأويل القرآن الذى لا يدرك علمه الا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لاحد القيل فيه برأيه بل القائل فى ذلك برأيه وان أصاب الحق فيه فمخطئ فيما كان من فعله بقيله فيه برأيه لان اصابته ليست اصابة موقن انه محق وانما هو اصابة خارص وظان والقائل فى دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك فى كتابه على عباده فقال قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون فالقائل فى تأويل كتاب الله الذى لا يدرك علمه الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جعل الله اليه بيانه قائل بما لا يعلم وان وافق قيله ذلك فى تأويله ما أراد الله به من معناه لان القائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به وهذا هو معنى الخبر الذى حدثنا به العباس بن عبد العظيم العنبرى قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا سهيل بن أبي حزم قال حدثنا أبو عمران الجوينى عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال فى القرآن برأيه فاصاب فقد أخطأ يعنى صلى الله عليه وسلم انه أخطأ فى فعله بقيله فيه برأيه وان وافق قيله ذلك عين الصواب عند الله لان قيله فيه برأيه ليس بقيل عالم ان الذى قال فيه من قول حق وصواب فهو قائل على الله ما لا يعلم آثم بفعله ما قد نهى عنه وحظر عليه ۞ ذكر بعض الاخبار التى رويت فى الحض على العلم بتفسير القرآن ومن كان يفسره من الصحابة حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق المروزى قال سمعت أبي يقول حدثنا الحسين بن واقد قال حدثنا الاعمش عن شقيق عن ابن مسعود قال كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن حدثنا ابن حميد قال حدثنا

الحروف الثلاثة بحسب الاشتقاق الكبير ستة واحد مهمل والبواقى معتبرة منها ك ل م فمنه الكلام لانه يقرع السمع و يؤثر فيه وأيضا يؤثر فى الذهن بواسطة افادة المعنى ومنه الكلم للجرح وفيه شدة ومنها ك م ل لان الكامل أقوى من الناقص ومنها ل ك م ومعنى الشدة فى اللكم واضح ومنها م ك ل ومنه بئر مكول اذا قل ماؤها واذا كان كذلك كان ورودها مكروها فيحصل نوع شدة عند ورودها وأيضا انها تدل على شدة منابعها ومنها م ل ك ملكت العجين اذا أنعمت عجنه ومنه ملك الانسان لانه نوع قوة ولفظ الكلمة قد يستعمل فى اللفظة الواحدة وقد يراد به الكلام الكثير المرتبط بعضه ببعض ومنه قولهم للقصيدة كلمة ومنه كلمة الشهادة والكلمة الطيبة صدقة ولان المجاز خير من الاشتراك فاطلاق الكلمة على الكلام المركب مجاز اما من باب اطلاق الجزء على الكل واما من باب المشابهة لان الكلام المرتبط يشبه المفرد فى الوحدة وأفعال الله تعالى كلماته اما لانه حدث بقوله كن أو لانه حدث فى زمان قليل كما يحدث الكلمة كذلك وعند النحويين الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد وفائدة القيود تذكر فى ذلك العلم والكلام ما تضمن كلمتين بالاسناد ومنكرو الكلام النفسى اتفقوا على ان الكلام اسم لهذه الالفاظ والكلمات والاشاعرة يثبتون الكلام النفسى ويقولون ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا وقد تسمى الكلمات والعبارات أحاديث لان كل واحدة منها تحدث عقيب صاحبتها قال تعالى فليأتوا بحديث مثله وجمع الكلمة كلم والتاء فى الكلمة ليست للوحدة كالبنة والابن والرطبة والرطب لان الرطب واللبن مذكر والكلم مؤنث وتصغير رطب رطيب وتصغير كلم كليمات بالرد الى كلمة ثم جمعه بالالف والتاء وقد يكون الكلام مصدرا بمعنى التكليم كالسلام بمعنى التسليم قال تعالى يسمعون كلام الله ثم يحرفونه فسره ابن عباس بتكليم الله موسى وقت المناجاة وأما الحرف فهو الواحد من حروف المعجم سمى حرفا لقلته ودقته ولذلك قيل حرف الشئ لطرفه لانه آخره والقليل منه والحرف أيضا الناقة المهزولة وقد يقال للسمينة أيضا حرف فهو من الاضداد والحرف اللغة أيضا قال عليه السلام أنزل القرآن على سبعة أحرف والحرف أيضا القراءة بكمالها والقصيدة بتمامها والحرف أيضا أحد أقسام الكلمة وذلك ان الكلمة ان احتاجت فى الدلالة على معناها

جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن قال حدثنا الذي كانوا يقرؤننا انهم كانوا يستقرؤن من النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا ما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا **وحدثنا** أبو كريب قال حدثنا جابر بن نوح قال حدثنا الاعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله والذي لا اله غيره ما نزلت آية في كتاب الله الا وأنا أعلم فيم نزلت وأين أنزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لاتيته **وحدثني** يحيى بن ابراهيم المسعودي قال حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن مسلم عن مسروق قال كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار **وحدثني** أبو السائب سالم بن جنادة قال حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن شقيق قال استعمل علي ابن عباس على الحج قال فخطب الناس خطبة لو سمعها الترك والروم لاسلموا ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسرها **وحدثنا** محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن الاعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال قرأ ابن عباس سورة البقرة فجعل يفسرها فقال رجل لو سمع هذا الديلم لاسلمت **وحدثنا** أبو كريب قال حدثنا ابن يمان عن أشعث بن اسحق عن جعفر عن سعيد بن جبير قال من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالاعمى أو كالاعرابي **وحدثنا** أبو كريب قال ذكر أبو بكر بن عياش الاعمش قال أبو وائل ولي ابن عباس الموسم فخطبهم فقرأ على المنبر سورة النور والله لو سمعها الترك لاسلموا فقيل له حدثنا به عن عاصم فسكت **وحدثنا** أبو كريب قال حدثنا ابن ادريس قال سمعت الاعمش عن شقيق قال شهدت ابن عباس وولي الموسم فقرأ سورة النور على المنبر وفسرها لو سمعت الروم لاسلمت ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي حث الله عز وجل عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والتبيان بقوله جل ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب وقوله ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون وما أشبه ذلك من آي القرآن والتي أمر الله عباده وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال آي القرآن والاتعاظ بمواعظه ما يدل على ان عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيه لانه محال ان يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان الا على معنى الامر بان يفهمه ويفقهه ثم يتدبره ويعتبر به فاما قبل ذلك فمستحيل أمره بتدبره وهو بمعناه جاهل كما محال ان يقال لبعض أصناف الامم الذين لا يعقلون كلام العرب ولا يفهمونه لو أنشدت قصيدة شعر من أشعار بعض العرب ذات أمثال ومواعظ وحكم اعتبر بما فيها من الامثال وادكر بما فيها من المواعظ الا بمعنى الامر لها بفهم كلام العرب ومعرفته ثم الاعتبار بما نبهه عليه ما فيها من الحكم فاما وهي جاهلة بمعاني ما فيها من الكلام والمنطق فمحال أمرها بما دلت عليه معاني ما حوته من الامثال والعبر بل سواء أمرها بذلك وأمر بعض البهائم به الا بعد العلم بمعاني المنطق والبيان الذي فيها فكذلك ما في آي كتاب الله من العبر والحكم والامثال والمواعظ لا يجوز ان يقال اعتبر بها الا لمن كان بمعاني بيانه عالما وبكلام العرب عارفا والا بمعنى الامر لمن كان بذلك منه جاهلا ان يعلم معاني كلام العرب ثم يتدبره بعد ويتعظ بحكمه وصنوف عبره فان كان ذلك كذلك وكان الله جل ثناؤه قد أمر عباده بتدبره وحثهم على الاعتبار بامثاله كان معلوما انه لم يأمر بذلك من كان

الافرادي الى ضميمة نحو من وقد فهو حرف والافان دلت في أصل الوضع بهيئتها التصريفية على أحد الازمنة الثلاثة الماضي والحال والاستقبال فهو فعل نحو نصر وينصر والا فهو اسم كالانسان فان معناه لا يقترن بالزمان أصلا ومثل اليوم والساعة والزمان فان الزمان كل معناه ومثل الصبوح والغبوق لان الزمان جزء معناه ومثل علم وجهل وضرب فان معناه يدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئة ومثل ضارب ومضروب فانه لو سلم ان معناه يدل على الزمان بحسب الهيئة اذ لكل منهما هيئة مخصوصة لغرض الانشاء ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمان بين الحال والاستقبال لان قولنا لأحد الازمنه تحديدي لكنها ليست في أصل الوضع ولا يخرج من حد الفعل نحو عسى مما لا يدل على زمان لان تجرده عن الزمان عرض لغرض الانشاء ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمان بين الحال والاستقبال لان قولنا باحد الازمنة تحديد لادنى درجات الاقتران ولو سلم انه يجب الاقتران باحد الازمنة فقط فذلك في أصل الوضع ولا مانع من اقترانه بعد ذلك بزمان آخر مجازا *(المقدمة السادسة)* في ذكر السبع الطوال والمثاني والمئين والطواسيم والحواميم والمفصل والمسبحات وغير ذلك فالسبع الطول مضمومة الطاء مفتوحة الواو جمع الطولى كالفضلى والفضل هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع التوبة لانهما نزلتا جميعا في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانتا تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقال بعضهم السابعة من السبع سورة يونس لا الانفال مع التوبة وأما المثاني فسبع سور تتلو السبع الطول أولها سورة يونس وآخرها سورة النحل لانها تثنت الطول أي تلتها واحدها مثنى مثل معنى ومعان وقد يكون المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني وقيل المثاني في هذه الآية آيات الفاتحة لانها نزلت مرتين أو لانها تثنى في كل صلاة وأما المئون فهي سبع أولها سورة بني اسرائيل وآخرها سورة المؤمنون لان كل سورة منها نحو من مائة آية وقيل المئون ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وقيل ان ما بعد السبع الطول الحواميم وبعد من المئين الى الحواميم المفصل وأما الطواسيم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت الطواسين قال الراجز * وبالطواسين التي قد ثلثت * وفي الحديث وأعطيت طه والطواسيم من ألواح موسى وأعطيت فاتحة الكتاب وأما الحواميم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت آل حم قال ابن عباس

ان لكل شيء لبابا وان لباب القرآن آل حم وقال الحواميم فكأن من قال آل حم نسب السور كلها الى حم وهو من أسماء الله تعالى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وتسمى الحواميم عرائس القرآن عن عاصم عن زر بن حبيش الاسدي قال قرأت على علي بن أبي طالب القرآن في المسجد الجامع بالكوفة فلما بلغت الحواميم قال يا زر بن حبيش عرائس القرآن فلما بلغت رأس العشرين من حم عسق والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات (٢٨) الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير بكى حتى ارتفع نحيبه ثم رفع رأسه الى السماء وقال يا زر أمن على دعائي ثم قال اللهم اني أسألك اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار يا زر اذا ختمت القرآن فادع بهؤلاء الدعوات فان حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ان أدعو بهن عند ختم القرآن * وأما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور الى آخر القرآن لكثرة التفصيل فيها بالبسملة وأما المسبحات فسورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والاعلى لان في فواتحهن ما يدل على التسبيح وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول ان فيها آية كالف آية وأفضل المسبحات سبح اسم ربك الاعلى فقد كان العلماء يقرؤن هذه السورة في التهجد والجمعة ويتعرفون بركتها وأما المقشقشتان فسورة الكافرون والاخلاص لانهما تبرئان من النفاق والشرك يقال قشقشه اذا برأه وتقشقش المريض من علته اذا أفاق منها وبرئ وأما المعوذتان فالفلق والناس وقد يضم اليهما الاخلاص فيقال المعوذات (المقدمة السابعة) في ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف وهي في الاصل واحدة فاول بسم الله كتب بحذف الالف التي قبل السين وكتب اقرأ باسم ربك وسبح اسم ربك وبئس الاسم الفسوق وروى ومنه اسمه بالالف والاصل في ذلك كله واحدة وهو ان يكتب بالالف وانما حذفت من باسم الله فقط لانها ألف وصل ساقطة من اللفظ كثيرا لقد كثر استعمال الناس اياها في صدور الكتب وفواتح السور وعند كل أمر يريدأنه فامنوا ان يجهل القارئ معناها وكتب فيما موصولا في كل القرآن الا في البقرة في ما فعلن في أنفسهن بالمعروف وفيها في ما فعلن في أنفسهن من معروف وفي الانعام في ما أوحي الى محرما وفيها ليبلوكم في ما آتكم

بما يدل عليه آية جاهلا واذا لم يجزان يأمرهم بذلك الا وهم بما يدلهم عليه عالمون صح انهم بتأويل ما لم يحجب عنهم علمه من انه الذي استأثر الله بعلمه دون خلقه الذي قد قدمنا صفته آنفا عارفون واذ صح ذلك فسد قول من أنكر تفسير المفسرين من كتاب الله وتنزيله ما لم يحجب عن خلقه تأويله

۞ ذكر بعض الاخبار التي غلط في تأويلها منكر والقول في تأويل القرآن

فان قال قائل فما أنت قائل فيما حدثكم به العباس بن عبد العظيم قال حدثنا محمد بن خالد بن عثمة قال حدثني جعفر ابن محمد الزبيري قال حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيأ من القرآن الا آيا تعد علمهن اياه جبريل حدثنا محمد بن يزيد الطرسوسي قال أخبرنا معن عن جبريل بن خالد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيأ من القرآن الا آيا تعد علمهن اياه جبريل عليه السلام وحدثنا أحمد بن عبدة الضبي قال حدثنا حماد بن زيد قال حدثنا عبيد الله بن عمر قال لقد أدركت فقهاء المدينة وانهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع وحدثنا محمد بن بشار قال حدثنا بشر بن عمر قال حدثنا مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد قال سمعت رجلا يسأل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال لا أقول في القرآن شيأ حدثنا يونس قال حدثنا ابن وهب قال أخبرني مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه كان اذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال أنا لا أقول في القرآن شيأ حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت الليث يحدث عن يحيى ابن سعيد عن ابن المسيب انه كان لا يتكلم الا في المعلوم من القرآن حدثنا ابن حميد قال حدثنا حكام قال حدثنا سفيان عن هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة السلماني عن آية قال عليك بالسداد فقد ذهب الذين علموا فيما أنزل القرآن حدثني يعقوب قال حدثنا ابن علية عن أيوب وابن عون عن محمد قال سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال ذهب الذين كانوا يعلمون فيما أنزل القرآن اتق الله وعليك بالسداد وحدثني يعقوب قال حدثنا ابن علية عن أيوب عن ابن أبي مليكة ان ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فأبى ان يقول فيها حدثني يعقوب قال حدثنا ابن علية عن مهدي بن ميمون عن الوليد بن مسلم قال جاء طلق بن حبيب الى جندب بن عبد الله فسأله عن آية من القرآن فقال له أحرج عليك ان كنت مسلما لما قمت عني أو قال ان تجالسني حدثني عباس ابن الوليد قال أخبرني أبي قال حدثنا عبد الله بن شوذب قال حدثني يزيد بن أبي يزيد قال كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام وكان أعلم الناس واذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال لا تسألني عن آية من القرآن وسل من يزعم انه لا يخفى عليه شيء منه يعني عكرمة وحدثنا ابن المثنى قال حدثنا سعيد بن عامر عن شعبة عن عبد الله بن أبي السفر قال قال الشعبي والله ما من آية الا قد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن صالح يعني ابن مسلم قال حدثني رجل عن الشعبي قال ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت القرآن والروح والرأي وما أشبه ذلك من الاخبار قيل له اما الخبر الذي

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يفسر من القرآن شيأ الا آيا تعد فان ذلك مصحح ماقلنا من القول فى الباب الماضى قبل وهو ان من تأويل القرآن مالا يدرك علمه الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بفصل مجل مافى آيه من أمر الله ونهيه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وسائر معانى شرائع دينه الذى هو مجمل فى ظاهر التنزيل وبالعباد الى تفسيره الحاجة لايدرك علم تأويله الا ببيان من عند الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أشبه ذلك مما تحويه آى القرآن من سائر حكمه التى جعل الله بيانه لخلقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعلم أحد من خلق الله تأويل ذلك الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بتعليم الله اياه ذلك بوحيه اليه اما مع جبريل أو مع من شاء من رسله اليه فذلك هو الآى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسرها لاصحابه بتعليم جبريل اياه وهن لاشك آى ذوات عدد ومن آى القرآن ماقد ذكرنا ان الله جل ثناؤه استأثر بعلم تأويله فلم يطلع على علمه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولكنهم يؤمنون بانه من عنده وانه لا يعلم تأويله الا الله فاما مالا بد للعباد من علم تأويله فقد بين لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم ببيان الله ذلك له بوحيه مع جبريل وذلك هو المعنى الذى أمره الله ببيانه لهم فقال له جل ذكره وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يفسر من القرآن شيأ الا آيا تعد هو ما يسبق اليه أوهام أهل الغباء من أنه لم يكن يفسر من القرآن الا القليل من آيه واليسير من حروفه كان انما أنزل اليه صلى الله عليه وسلم الذكر ليترك للناس بيان ما أنزل اليهم لا ليبين لهم ما أنزل اليهم وفى أمر الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم ببلاغ ما أنزل اليه واعلامه اياه انه انما نزل اليه ما أنزل ليبين للناس مانزل اليهم وقيام الحجة على ان النبى صلى الله عليه وسلم قد بلغ فادى ما أمره الله ببلاغه وأدائه على ما أمره به وصحة الخبر عن عبد الله بن مسعود بقيله كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن ماينبئ عن جهل من ظن أو توهم ان معنى الخبر الذى ذكرنا عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يفسر من القرآن شيأ الا آيا تعد هو انه لم يكن يبين لامته من تأويله الا اليسير القليل منه هذا مع مافى الخبر الذى روى عن عائشة من العلة التى فى اسناده التى لا يجوز معها الاحتجاج به لاحد ممن علم صحيح سند الآثار وفاسدها فى الدين لان راويه ممن لا يعرف فى أهل الآثار وهو جعفر بن محمد الزبيرى وأما الاخبار التى ذكرناها عمن ذكرناها عنه من التابعين باحجامه عن التأويل فان فعل من فعل ذلك منهم كفعل من أحجم منهم عن الفتيا فى النوازل والحوادث مع اقراره بان الله جل ثناؤه لم يقبض نبيه اليه الا بعد اكمال الدين به لعباده وعلمه بان لله فى كل نازلة وحادثة حكما موجودا بنص أو دلالة فلم يكن احجامه عن القول فى ذلك احجام جاحد ان يكون لله فيه حكم موجود بين أظهر عباده ولكن احجام خائف ان لا يبلغ اجتهاده ما كلف الله العلماء من عباده فيه فكذلك معنى احجام من أحجم عن القيل فى تأويل القرآن وتفسيره من العلماء السلف انما كان احجامه عنه حذارا أن لا يبلغ أداء ما كلف من اصابة صواب القول فيه لا على ان تأويل ذلك محجوب عن علماء الامة غير موجود بين أظهرهم ۞ ذكر الاخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محمودا

وفى الاحقاف ما احدهم عذاب عظيم وفى الانبياء فى ما اشتهت أنفسهم وفى النور فى ما أفضتم وفى الشعراء فى ما ههنا آمنين وفى الروم فى ما رزقناكم وفى الزمر فى ماهم فيه يختلفون وفيها فى ما كانوا فيه يختلفون وفى الواقعة فى مالا تعلمون فذلكن اثنا عشر حرفا مقطوع وماسوى ذلك موصول وكتب مما موصولا فى كل القرآن الا ثلاثة مواضع فى النساء فمن ماملكت أيمانكم وفى الروم من ماملكت أيمانكم وفى المنافقين من مارزقناكم وكتب أنما موصولا فى كل القرآن الا فى الحج وان ماتدعون من دونه هو (٢٩) الباطل وفى لقمان وان ماتدعون من دونه الباطل وفيها ولو أن مافى الارض وكتب انما موصولة فى كل القرآن الا فى الانعام ان ماتوعدون لآت وكتب لكيلا مقطوعة فى كل القرآن الا ثلاثة مواضع فى الحج لكيلا يعلم وفى الاحزاب لكيلا يكون عليك حرج وفى الحديد لكيلا تأسوا وكتب بئس مامقطوعا حيث كان الا ثلاثة مواضع فى البقرة بئسما يأمركم به ايمانكم وفيها ولبئسما شروا به أنفسهم وفى الاعراف بئسما خلفتمونى وكتب أينما مقطوعا فى جميع القرآن الا أربعة مواضع فى البقرة فاينما تولوا وفى النحل أينما يوجهه وفى الشعراء أينما كنتم وفى الاحزاب أينما ثقفوا وكتب ألا موصولا فى كل القرآن الا عشرة مواضع فى الاعراف ان لا أقول على الله الا الحق وفيها ان لا تقولوا على الله الا الحق وفى التوبة أن لا ملجأ من الله الا اليه وفى هود ان لا تعبدوا الا الله وفيها وان لا اله الا هو وفى الحج ان لا تشرك بى شيأ وفى يس ان لا تعبدوا الشيطان وفى الدخان وان لا تعلوا على الله وفى الممتحنة ان لا يشركن بالله شيأ وفى القلم ان لا يدخلنها اليوم واختلف فى يوسف ألا تعبدوا الا اياه وما سواهن فهو الا مدغما بغير نون وكتب الا باسقاط النون فى كل القرآن من غير استثناء مثل الا تفعلوا والا تغفر لى وكتب ألم موصولا فى كل القرآن الا فى الانعام ان لم يكن ربك وفى البلد ان لم يره أحد وكتب فى هود فالم يستجيبوا لكم موصولا مدغما وفى القصص فان لم يستجيبوا لك مقطوعا وكتب امن موصولا فى كل القرآن الا أربعة مواضع فى سورة الانعام أم من يكون عليهم وكيلا وفى التوبة أم من أسس بنيانه وفى الصافات أم من خلقنا وفى حم السجدة أم من يأتى آمنا وكتب اماوامام موصولا الا فى الرعد وان ما نرينك وكتب عما موصولا الا فى الاعراف عن مانهوا عنه وكتب ان لن مقطوعا الا ثلاثة مواضع فى الكهف ألن نجعل لكم موعدا وفى المزمل أن لن تحصوه وفى القيامة ألن نجمع عظامه وكتب

كلما موصولا الا خمسة مواضع في النساء كل ما ردوا الى الفتنة أركسوا وفي الاعراف كل ما دخلت أمة وفي سبحان كل ما خبت وفي الملك كل ما
ألقي فيها وفي نوح كل ما دعوتهم وكتب يومهم موصولا الا في المؤمن يوم هم بارزون وفي الذاريات يوم هم على النار يفتنون وكتبت الرحمة
في مواضع القرآن بالهاء الا سبعة مواضع في البقرة أولئك يرجون رحمت الله وفي الاعراف ان رحمت الله قريب وفي هود رحمت الله وبركاته
وفي مريم ذكر رحمت ربك وفي الروم الى آثار رحمت الله وفي الزخرف أهم يقسمون رحمت ربك وفيها ورحمت

علمه بالتفسير ومن كان منهم مذموما علمه بذلك حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان عن سليمان عن مسلم قال قال عبد الله نعم ترجمان القرآن ابن عباس وحدثني يحيى بن داود الواسطي قال حدثنا إسحق الأزرق عن سفيان عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله مسعود قال نعم ترجمان القرآن ابن عباس وحدثني محمد بن بشار قال حدثنا جعفر بن عون قال حدثنا الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بنحوه وحدثنا أبو كريب قال حدثنا طلق بن غنام عن عثمان المكي عن ابن أبي مليكة قال رأيت مجاهدا يسال ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول له ابن عباس اكتب قال حتى ساله عن التفسير كله وحدثنا أبو كريب قال حدثنا المحاربي ويونس بن بكير قالا حدثنا محمد بن اسحق عن أبان بن صالح عن مجاهد قال عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته أوقفه عند كل آية منه واساله عنها وحدثني عبيد الله بن يوسف الجبيري عن أبي بكر الحنفي قال سمعت سفيان الثوري يقول اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا سليمان أبو داود عن شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال لم يلق الضحاك ابن عباس وانما لقي سعيد بن جبير بالري وأخذ عنه التفسير حدثنا ابن المثنى قال حدثنا أبو داود عن شعبة عن مشاش قال قلت للضحاك سمعت من ابن عباس شيأ قال لا حدثنا أبو كريب قال حدثنا ابن ادريس قال حدثنا زكريا قال كان الشعبي يمر بابي صالح باذان فياخذ باذنه فيعركها ويقول تفسر القرآن وأنت لا تقرأ القرآن وحدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه قال حدثنا علي بن الحسين بن واقد قال حدثني أبي قال حدثنا الاعمش قال حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس والله يقضي بالحق قادر على ان يجزي بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة ان الله هو السميع البصير قال الحسين فقلت للاعمش حدثني به الكلبي الا انه قال ان الله قادر ان يجزي بالسيئة السيئة وبالحسنة عشرا فقال الاعمش لو أن الذي عند الكلبي عندي ما خرج مني بحقير وحدثني سليمان بن عبد الجبار قال حدثنا علي بن حكيم الاودي قال حدثنا عبد الله بن بكير عن صالح بن مسلم قال مر الشعبي على السدي وهو يفسر فقال لان يضرب على استك بالطبل خير لك من مجلسك هذا وحدثني سليمان بن عبد الجبار قال حدثني علي بن حكيم قال حدثنا شريك عن مسلم بن عبد الرحمن النخعي كنت مع ابراهيم فرأى السدي فقال اما انه يفسر تفسير القوم حدثنا ابن البرقي قال حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت سعيد بن بشير يقول عن قتادة قال ما أرى أحدا يجري مع الكلبي في التفسير في عنان ۞ قال أبو جعفر فقد قلنا في الذي مضى من كتابنا هذا في وجوه تاويل القرآن وان تاويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة أحدها لا سبيل الى الوصول اليه وهو الذي استاثر الله بعلمه وحجب علمه عن جميع خلقه وهو أوقات ما كان من آجال الامور الحادثة التي أخبر الله في كتابه انها كائنة مثل وقت قيام الساعة ووقت نزول عيسى ابن مريم ووقت طلوع الشمس من مغربها والنفخ في الصور وما أشبه ذلك والوجه الثاني ما خص الله بعلم تاويله نبيه صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته وهو ما فيه مما ٧ بعباده الى علم تاويله والثالث منها ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن وذلك علم تاويل عربيته واعرابه لا توصل الى

علم

٧ هكذا بالاصل ولينظر معناه اهـ مصححه

ربك فانها بالتاء وكتبت النعمة
بالهاء الا أحد عشر موضعا في البقرة
واذكروا نعمت الله عليكم وفي
آل عمران واذكروا نعمت الله
عليكم وفي المائدة واذكروا
نعمت الله عليكم اذ هم وفي ابراهيم
بدلوا نعمت الله كفرا وفيها وان
تعدوا نعمت الله وفي النحل
وبنعمت الله هم يكفرون وفيها
يعرفون نعمت الله وفيها واشكروا
نعمت الله وفي لقمان في البحر
بنعمت الله وفي الملائكة اذكروا
نعمت الله وفي الطور بنعمت ربك
بكاهن وكتب امرأة بالهاء الا سبعة
مواضع في آل عمران اذ قالت امرأت
عمران وفي يوسف امرأت العزيز
تراود فتاها وفيها امرأت العزيز
الآن وفي القصص وقالت امرأت
فرعون وفي التحريم امرأت نوح
وامرأت لوط وامرأت فرعون
وكتب سنة بالهاء في كل القرآن الا
خمسة مواضع في الانفال مضت سنت
الاولين وفي فاطر الا سنت الاولين
فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد
لسنت الله تحويلا وفي المؤمن سنت
الله التي قد خلت وكتب معصية
بالهاء حيث كانت الا موضعين
في المجادلة ومعصيت الرسول بالتاء
وكتب لعنة بالهاء في كل القرآن
الا في آل عمران فنجعل لعنت الله
وفي النور ان لعنت الله وكتب
جنة بالهاء الا في الواقعة وجنت
نعيم وكتب شجرة بالهاء الا في الدخان ان شجرت الزقوم وكتب قرة بالهاء الا في القصص قرت عين لي ولك وكتب بقية
بالهاء الا في هود بقيت الله وكتب ثمرة بالهاء الا في حم السجدة من ثمرت من أكمامها وكتب كلمة بالهاء الا أربعة مواضع في الانعام وتمت
كلمت ربك وفي يونس حرفان كلمت ربك وفي المؤمن حقت كلمت ربك وكتب غيابت الجب بالتاء فهم على بينت منه بالتاء وكتب كل ما في
القرآن من ذكر الآية بالهاء الا في العنكبوت لولا أنزل عليه آيت فانها بالتاء وكتب فطرت وعفريت وأفرأيتم اللات والعزى ولات حين

علم ذلك الامن قبلهم فاذا كان ذلك كذلك فاحق المفسرين باصابة الحق فى تاويل القرآن الذى الى علم تاويله للعباد سبيل أوضحهم حجة فيما تاول وفسر من كان تاويله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه امامن وجه النقل المستفيض فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض واما من وجه نقل العدول الاثبات فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض أو من وجه الدلالة المنصوبة على صحته وأوضحهم برهانا فيما ترجم وبين من ذلك مما كان مدركا علمه من قبل جهة اللسان اما بالشواهد من أشعارهم السائرة واما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة كائنا من كان ذلك المتاول والمفسر بعد أن لا يكون خارجا تاويله وتفسيره ما تاول وفسر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والائمة والخلف من التابعين وعلماء الامة ﴿القول فى تاويل أسماء القرآن وسوره وآيه﴾ قال أبو جعفر ان الله تعالى ذكره سمى تنزيله الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أسماء أربعة منهن القرآن فقال فى تسميته اياه بذلك فى تنزيله نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ومنهن الفرقان قال جل ثناؤه فى وحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم يسميه بذلك تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ومنهن الكتاب قال تبارك اسمه فى تسميته اياه به الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ومنهن الذكر قال تعالى ذكره فى تسميته اياه به انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولكل اسم من أسمائه الاربعة فى كلام العرب معنى ووجه غير معنى الآخر ووجهه فاما القرآن فان المفسرين اختلفوا فى تأويله والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس مصدرا من قول القائل قرأت القرآن كقولك الخسران من خسرت والغفران من غفر الله لك والكفران من كفرتك والفرقان من فرق الله بين الحق والباطل وذلك ان يحيى بن عثمان بن صالح السهمى حدثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فاذا قرأناه يقول بيناه فاتبع قرآنه يقول اعمل بما بيناه لك بالقراءة ومما يوضح صحة ماقلنا فى تأويل حديث ابن عباس هذا ما حدثنى به محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن عبد الله بن عباس ان علينا جمعه وقرآنه قال ان نقرئك فلا تنسى فاذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه يقول اذا تلى عليك فاتبع مافيه ﴿قال أبو جعفر﴾ فقد صرح هذا الخبر عن ابن عباس ان معنى القرآن عنده القراءة فانه مصدر من قول القائل قرأت على ماقد قلناه وأما على قول قتادة فان الواجب أن يكون مصدرا من قول القائل قرأت الشئ اذا جمعته وضممت بعضه الى بعض كقولك ماقرأت هذه الناقة سلا قط تريد بذلك انها لم تضم رحما على ولد كما قال عمرو بن كلثوم التغلبى

تريك اذا دخلت على خلاء * وقد أمنت عيون الكاشحينا

ذراعى عيطل ادماء بكر * هجان اللون لم تقرأ جنينا

يعنى بقوله لم تقرأ جنينا لم تضمم رحما على ولد وذلك ان بشر بن معاذ العقدى حدثنا قال حدثنا

مناص وذات بهجة وهيهات ومريم ابنت عمران ومرضات كلها بالتاء وكتب الملأ بالالف الا فى أربعة مواضع فى المؤمنون فقال الملؤا الذين كفروا وفى النمل يا أيها الملؤا انى ألقى يا أيها الملؤا أفتونى يا أيها الملؤا أيكم يأتينى فانها كتبت بالواو وكتب فى البقرة يبصط بالصاد وما سواه بالسين وكتب فى البقرة بسطة بالسين وفى الاعراف بالصاد وكتب فى آل عمران منهم تقية بالياء وحق تقاته بالالف وكتب فى أول يوسف والزخرف قرآنا عربيا بغير ألف وسائر القرآن قرآنا بالالف وكتب فى الاعراف ويونس (٣١) بكل سحر عليم بغير ألف وفى الشعراء سحار عليم بالالف بعد الحاء وكتب فى الذاريات ساحر أو مجنون بالالف وما سواه بغير الف وكتب فى يونس لننظر كيف تعملون بنون واحدة واختلف فى قوله انا لننصر رسلنا فى المؤمن وكتب فى يونس ننج المؤمنين بنونين وحذف الياء وفى آخر يوسف فنجى من نشاء بنون واحدة وفى الانبياء وكذلك ننجى المؤمنين بالياء ونون واحدة وكتب جميع مافى القرآن من ذكر الايدى بياء واحدة الا فى الذاريات والسماء بنيناها بأييد فانها كتبت بياءين والاصل كتبه بياء واحدة وكتب الن بغير ألف فى كل القرآن الا فى الجن فمن يستمع الآن فانه بالالف وكتب فى حم السجدة سماوات بالالف وما سواه كتبت سموات بغير ألف وكتب فى أول سبا عالم الغيب بغير ألف وكتب فى البقرة خطايكم بحرف واحد بين الطاء والكاف وفى الاعراف خطيئاتكم بحرفين بينهما وكتب رأى بغير ياء فى كل القرآن الا فى النجم لقد رأى من آيات ربه الكبرى وما كذب الفؤاد ما رأى وكتب فى يونس وما تغنى الآيات بالياء على الاصل وفى القمر فما تغن النذر بغير ياء على اللفظ وكتب فى البقرة يؤتى الحكمة بالياء وفى النساء وسوف يؤت الله بغير ياء وكتب ويمح الله الباطل بغير واو ويمحوا الله مايشاء بالواو والالف وكتب الداع بغير ياء حيث كان الا قوله أجيبوا داعى الله وكتب ثمودا بالالف فى حال النصب وهى فى أربعة مواضع فى هود والفرقان والعنكبوت والنجم وكتب ثمود الناقة بغير ألف وكتب فى النمل وما أنت بهادى بالياء وفى الروم بهاد بغير ياء والاصل فيهما الياء وكتب فى الحج ولؤلؤا بالالف وفى فاطر بغير ألف وكتب فى الاعراف قال ابن أم بالالف مقطوعا وفى طه يابنؤم بالواو موصولا وكتب فى الحجر وق أصحاب الايكة بالالف وفى الشعراء وص ليكة بغير ألف وكتب فى يوسف لذو علم لما علمناه وفى المؤمن ذو العرش وفى السجدة لذو مغفرة وذو عقاب أليم

يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى ان علينا جمعه وقرآنه يقول حفظه وتأليفه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه يقول اتبع حلاله واجتنب حرامه وحدثنا محمد بن عبد الاعلى الصنعاني قال حدثنا محمد بن ثور قال حدثنا معمر عن قتادة بمثله فرأى قتادة ان تأويل القرآن التأليف ﴿ قال أبو جعفر ولكلا القولين أعني قول ابن عباس وقول قتادة اللذين حكيناهما وجه صحيح في كلام العرب غير ان أولى قوليهما بتأويل قول الله تعالى ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قول ابن عباس لان الله جل ثناؤه أمر نبيه في غير آية من تنزيله باتباع ما أوحي اليه ولم يرخص له في ترك اتباع شيء من أمره الى وقت تأليفه القرآن له فكذلك قوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه نظير سائر ما في آي القرآن التي أمره الله فيها باتباع ما أوحى اليه في تنزيله ولو وجب ان يكون معنى قوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا ألفناه فاتبع ما ألفنا لك فيه لوجب ان لا يكون كان لزمه فرض اقرأ باسم ربك الذي خلق ولا فرض يا أيها المدثر قم فانذر قبل ان يؤلف الى ذلك غيره من القرآن وذلك ان قاله قائل خروج من قول أهل الملة واذا صح ان حكم كل آية من آي القرآن كان لازما النبي صلى الله عليه وسلم اتباعه والعمل به مؤلفة كانت الى غيرها أو غير مؤلفة صح ما قال ابن عباس في تأويل قوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه انه يعني به فاذا بيناه لك بقراءتنا فاتبع ما بيناه لك بقراءتنا دون قول من قال معناه فاذا ألفناه فاتبع ما ألفناه وقد قيل ان قول الشاعر

ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

يعني به قائله تسبيحا وقراءة فان قال قائل وكيف يجوز ان يسمى قرآنا بمعنى القراءة وانما هو مقروء قيل كما جاز ان يسمى المكتوب كتابا بمعنى كتاب الكاتب كما قال الشاعر في صفة كتاب طلاق كتبه لامرأته

تؤمل رجعة مني وفيها * كتاب مثل ما لصق الغراء

يريد طلاقا مكتوبا فجعل المكتوب كتابا * وأما تأويل اسمه الذي هو فرقان فان تفسير أهل التفسير جاء في ذلك بألفاظ مختلفة هي في المعاني مؤتلفة فقال عكرمة فيما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا حكام بن سالم عن عنبسة عن جابر عن عكرمة انه كان يقول هو النجاة وكذلك كان السدي يتأوله حدثنا بذلك محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن المفضل قال حدثنا اسباط عن السدي وهو قول جماعة غيرهما وكان ابن عباس يقول الفرقان المخرج حدثني بذلك يحيى بن عمر بن صالح قال حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذلك كان مجاهد يقول في تأويله حدثنا ابن حميد قال حدثنا حكام عن عنبسة عن جابر عن مجاهد وكان مجاهد يقول في قول الله عز وجل يوم الفرقان يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل حدثني بذلك محمد بن عمرو الباهلي قال حدثني أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فكل هذه التأويلات في معنى الفرقان على اختلاف ألفاظها متقاربات المعاني وذلك من جعل له مخرج من أمر كان فيه فقد جعل له ذلك المخرج منه نجاة وكذلك اذا نجي منه فقد نصر على من بغاه فيه سوأ وفرق بينه وبين باغيه بالسوء فجميع ما روينا عمن روينا عنه في معنى الفرقان قول صحيح المعنى لاتفاق معاني

وفي الجمعة ذو الفضل العظيم وفي البروج ذو العرش بغير ألف في هذه المواضع وما سواها ذوا بالالف وكتب الربوا بواو بعدها ألف في كل القرآن الا قوله وما آتيتم من ربا فانه بغير واو وكتب لدا الباب بالالف ولدى الحناجر بالياء وكتب ولا أوضعوا خلالكم ولا أذبحنه بزيادة ألف وفي مصاحف الشام ولا أمة مؤمنة بزيادة ألف أيضا وكتب أيه المؤمنون وأيه الساحر وأيه الثقلان بغير ألف وما سواها يا أيها ويا أيتها بالالف وكتب في الاحزاب الظنونا والرسولا والسبيلا بالالف وفي الفرقان أم هم ضلوا السبيل وفي الاحزاب وهو يهدي السبيل وهما رأس آية وكتب في الانسان قوارير بالالف قوارير من فضة بغير ألف وكتب في الانعام أئنكم لتشهدون وفي الاعراف أئنكم لتأتون الرجال وفي العنكبوت أئنكم لتأتون الرجال وفي حم السجدة أئنكم لتكفرون بالياء وما سواها بغير ياء وكتب في الاعراف أئن لنا لاجرا بغير ياء وفي الشعراء أئن لنا لاجرا بالياء وكتب في النمل أئنا لمخرجون بالياء وكذلك في الصافات أئنا لتاركوا وما سواهما فهو أءنا بغير ياء وكتب في الواقعة أئذا بالياء وفي سائر القرآن أءذا بغير ياء وكتب في هود في أموالنا ما نشاء بالالف بعد الواو ومثله في الانعام يأتيهم أنباء وفيها أنهم فيكم شركاء وفي حم عسق أم لهم شركاء وفي الروم من شركائهم شفعاء وفي ابراهيم فقال الضعفاء وفي الشعراء فسيأتيهم أنباء وفيها أيضا أن يعلمه علماء وفي فاطر من عباده العلماء وفي الصافات لهو البلاء وفي حم الاولى وما دعاء الكافرين وفي الدخان ما فيه بلاؤ بالواو وفي الممتحنة انا برآؤا وكتب جزاؤ بالواو الا في الكهف فله جزاء الحسنى وكتب ان امرؤ هلك ويتفيؤا ظلاله ويعبؤا بكم وأتوكؤا عليها وتفتؤا تذكر ويدرؤا عنها ونبؤ الذين ونبؤ الخصم وينشؤا في الحلية ولا تظمؤا فيها ويبدؤا الخلق وما أشبهها بواو وألف ليتقوم بها الهمزة المضمومة أو على لغة من لا يهمز ولو كتب كلها بالواو وحدها أو بالالف وحدها جاز وكتب في الانعام من نبإي المرسلين بياء بعد الهمزة وكذلك في يونس تلقاءي نفسي وفي النحل وايتاءي ذي القربى وفي طه ومن آناءي الليل وفي حم عسق أو من وراءي حجاب وكتب ما في القرآن من كل ذوات الواو بالالف مثل دعا عفا وتلا الا ضحيها وتليها وطحيها وسجى وما زكى وذوات الياء يكتب بالياء مثل هدى يرى وقضى الأخرى فهي ومضيها مثل الاولين وجنا الجنتين

معانى ألفاظهم فى ذلك وأصل الفرقان عندنا الفرق بين الشيئين والفصل بينهما وقد يكون ذلك بقضاء واستنقاذ واظهار حجة وتصرف وغير ذلك من المعانى المفرقة بين المحق والمبطل فقد تبين بذلك ان القرآن سمى فرقانا لفصله بحججه وأدلته وحدوده وفرائضه وسائر معانى حكمه بين المحق والمبطل وفرقانه بينهما بنصرة المحق وتخذيله المبطل حكما وقضاء * وأما تأويل اسمه الذى هو كتاب فهو مصدر من قولك كتبت كتابا كما تقول قمت قياما وحسبت الشئ حسابا والكتاب هو خط الكاتب حروف المعجم مجموعة ومفترقة وسمى كتابا وانما هو مكتوب كما قال الشاعر فى البيت الذى استشهدنا به * وفيها كتاب مثل ما لصق الغراء * يعنى به مكتوبا وأما تأويل اسمه الذى هو الذكر فانه محتمل معنيين أحدهما انه ذكر من الله جل ذكره ذكر به عباده فعرفهم فيه حدوده وفرائضه وسائر ما أودعه من حكمه والآخر انه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به وصدق بما فيه كما قال جل ثناؤه وانه لذكر لك ولقومك يعنى به انه شرف له ولقومه ﴿ ثم لسور القرآن أسماء سماهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا أبو داود الطيالسى قال حدثنا أبو العوام وحدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال حدثنا داود بن الجراح قال حدثنا سعيد بن بشير جميعا عن قتادة عن أبى المليح عن واثلة بن الاسقع ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أعطيت مكان التوراة السبع الطول وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الانجيل المثانى وفضلت بالمفصل وحدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن خالد الحذاء عن أبى قلابة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت السبع الطول مكان التوراة وأعطيت المثانى مكان الزبور وأعطيت المئين مكان الانجيل وفضلت بالمفصل قال خالد كانوا يسمون المفصل العربى قال خالد قال بعضهم ليس فى العربى سجدة وحدثنا محمد بن حميد قال حدثنا حكام بن سلم عن عمرو بن أبى قيس عن عاصم عن المسيب عن ابن مسعود قال الطوال كالتوراة والمئين كالانجيل والمثانى كالزبور وسائر القرآن بعد فضل على الكتب حدثنى أبو عبيد الوصابى محمد بن حفص قال أنبأنا ابن حمير حدثنا الفزارى عن ليث ابن أبى سليم عن ابى بردة عن أبى المليح عن واثلة بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطانى ربى مكان التوراة السبع الطول ومكان الانجيل المثانى ومكان الزبور المئين وفضلنى بالمفصل ﴿ قال أبو جعفر فالسبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس فى قول سعيد بن جبير حدثنى بذلك يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير وقد روى عن ابن عباس قول يدل على موافقته قول سعيد هذا وذلك ما حدثنا به محمد بن بشار قال حدثنا ابن أبى عدى ويحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر وسهل بن يوسف قالوا حدثنا عوف قال حدثنى يزيد الفارسى قال حدثنى ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهى من المثانى والى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها فى السبع الطول ما حملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتى عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان اذا نزل عليه الشئ دعا ببعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا

ذات وطغا الماء واقصا المدينة واحيا الناس وكل يأ من اجمعتانى كلمة مثل الدنيا والعليا جعلت الاخيرة ألفا كراهة الجمع بين اليائين الا فى قوله تعالى يحيى وأمات وأحيى فى بعض المصاحف وكتب الزكوة والحيوة ومنوة ومشكوة و بالغدوة بالواو وكتب الصلوة بالواو الا فى الانعام وهم على صلاتهم يحافظون وصلاتى ونسكى وفى الانفال وما كان صلاتهم وفى أول المؤمنين فى صلاتهم خاشعون وفى المعارج على صلاتهم دائمون وفيها على صلاتهم يحافظون وفى أرأيت عن صلاتهم ساهون وكتب فاذا لا يأتون الناس نقيرا وليكونا من الصاغرين ولنسفعا بالناصية بالالف والوقف عليها بالالف وكتب فى البقرة واخشونى ولأتم بالياء وفى المائدة واخشون اليوم واخشون ولا بغير ياء وكتب فى يوسف ومن اتبعنى وسبحان الله بالياء وفى آل عمران ومن اتبعن وقل بغير ياء وكتب فى سبحان الذى لئن أخرتن بغير ياء وفى المنافقون لولا أخرتنى بالياء وكتب فى يوسف ما نبغى بالياء وفى الكهف ما كنا نبغ بغير ياء وفى هود يوم يأت لا تكلم بغير ياء وفى النحل يوم تأتى كل نفس بالياء وفى الدخان يوم تأتى السماء بالياء وفى الانعام وقد هدان بغير ياء واننى هدانى بالياء وفى الاعراف ثم كيدون بغير ياء وفى هود فكيدونى جميعا بالياء وفى هود فلا تسئلن بغير ياء وفى الكهف فلا تسألنى بالياء وفى الكهف ان يهدين ربى بغير ياء وفى القصص ان يهدينى سواء السبيل بالياء وفى طه فاتبعونى وأطيعوا أمرى بالياء وفى الزخرف فاتبعون هذا بغير ياء وكذلك فى المؤمن وفى الاعراف فهو المهتدى بالياء وفى سبحان الذى وسورة الكهف فهو المهتد بغير ياء وفى ابراهيم قل لعبادى الذين آمنوا بالياء وفى الزمر وبشر عباد الذين بغير ياء وكتب الذى والذين بلام واحدة واللذان واللذين بلامين وكتب جزاء بغير واو وهزوا وكفوا بالواو وكتب بين المرء وجزء مقسوم ويخرج الخبأ وملأ الارض ودفء باسقاط الهمزة ومن غرائب الهجاء ونوادره ما كتب فى الفرقان وعتوا عتوا كبيرا بغير ألف وفى سبأ والذين سعو بغير ألف وفى الحشر والذين تبوؤ الدار بواوين من غير ألف وفى المعصرات كنت ترابا بغير ألف وفى القلم بأييكم المفتون بياءين وفى آل عمران أفائن مات بالياء وفى الانبياء أفائن مت بغير ياء وكتب أئاقلتم ونحوه بالالف وكتب

وكانت الانفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت انها منها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع الطول فهذا الخبر ينبئ عن عثمان بن عفان رحمة الله عليه انه لم يكن تبين له ان الانفال وبراءة من السبع الطول ويصرح عن ابن عباس انه لم يكن يرى ذلك منهما وانما سميت هذه السور السبع الطول لطولها على سائر سور القرآن وأما المئون فهي ما كان من سور القرآن عدد آيه مائة آية أو تزيد عليها شيأ أو تنقص منها شيأ يسيرا وأما المثاني فانها ما ثنى المئين فتلاها وكان المئون لها أوائل وكان المثاني لها ثواني وقد قيل ان المثاني سميت مثاني لتثنية الله جل ذكره فيها الامثال والخبر والعبر وهو قول ابن عباس حدثنا بذلك أبو كريب قال حدثنا ابن يمان عن سفيان عن عبد الله بن عثمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وروى عن سعيد بن جبير انه كان يقول انما سميت مثاني لانها بينت فيها الفرائض والحدود حدثنا بذلك محمد بن بشار قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير وقد قال جماعة يكثر تعدادهم القرآن كله مثان وقال جماعة أخر بل المثاني فاتحة الكتاب لانها تثنى قراءتها في كل صلاة وسنذكر أسماء قائلي ذلك وعللهم والصواب من القول فيما اختلفوا فيه من ذلك اذا انتهينا الى تأويل قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني ان الله شاء ذلك وبمثل ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسماء سور القرآن التي ذكرت جاء شعر الشاعر فقال بعضهم

حلفت بالسبع اللواتي طولت * وبمئين بعدها قد أمئيت

وبالحواميم التي قد سبعت * وبالمفصل اللواتي فصلت

﴿ قال أبو جعفر رحمة الله عليه وهذه الابيات تدل على صحة التأويل الذي تأولنا في هذه الاسماء وأما المفصل فانها سميت مفصلا لكثرة الفصول التي بين سورها بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قال أبو جعفر ثم تسمى كل سورة من سور القرآن سورة وتجمع سورا على تقدير خطبة وخطب وغرفة وغرف والسورة بغير همز المنزلة من منازل الارتفاع ومن ذلك سور المدينة سمي بذلك الحائط الذي يحويها الارتفاعه على ما يحويه غير ان السور من سور المدينة لم يسمع في جمعها سور كما سمع في جمع سورة من القرآن سور وقال العجاج في جمع السورة من البناء

فرب ذي سرادق محجور * سرت اليه في أعالي السور

فخرج بتقدير جمعها على تقدير جمع برة وبسرة لان ذلك جمع برى وبسر وكذلك لم يسمع في جمع سورة من القرآن سور ولو جمعت كذلك لم يكن خطأ في القياس اذا أريد به جميع القرآن وانما تركوا فيما يرى جمعه كذلك لان كل جمع كان بلفظ الواحد المذكر مثل بر وشعير وقصب وما أشبه ذلك فان جماعه كالواحد من الاشياء غيره لان حكم الواحد منه منفردا قلما يصاب يجري جماعه مجرى الواحد من الاشياء غيره ثم جعلت الواحدة منه كالقطعة من جميعه فقيل برة وشعيرة وقصبة يراد به قطعة منه ولم يكن سور القرآن موجودة مجتمعة اجتماع البر والشعير وسور المدينة بل كل

فالدار أثم ليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء ألف في جميع المصاحف وكتب في الحاقة لبيان الحركة كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وفي القارعة ماهيه باثبات الهاء واختلف في لم يتسنه وفبهديهم اقتده ان الهاء فيها لبيان الحركة أو لغير ذلك وكتب في سورة النساء فمال هؤلاء القوم وفي الكهف مال هذا الكتاب وفي الفرقان مال هذا الرسول وفي المعارج فمال الذين كفروا باللام مع ما مقطوعة عما بعدها واعلم ان هجاء المصحف كثير وقد ذكرنا منها ما هو أنفع للقارئ وأكثر فائدة وأما الحركات كلها فقد راعيناها الا ما شاء الله في كتابة متن القرآن من هذا الكتاب كما بلغنا عمن تقدمنا من السلف الصالحين والعلماء المتقنين ورووا انهم وجدوها في الامام كذلك وستراها في مواضعها ان شاء الله وانما كتبت هذه الحروف بعضها على خلاف بعض وفي الاصل واحدة لان الكتابة بالوجهين كانت جائزة عندهم فكتبوا بعضها على وجه وبعضها على وجه آخر جمعا بين المذهبين على انهم كتبوا أكثرها على الاصل وكل ما كتب في المصحف على أصل لا يقاس عليه غيره من الكلام لان القرآن يلزمه لكثرة الاستعمال ما لا يلزم غيره واتباع المصحف في هجائه واجب ومن طعن في شئ من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته لانه بالهجاء يتلى والفائدة للقارئ في معرفته ان يكون على يقين ان الذي يقرأ هو القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلا خلل فيه من جهة من الجهات وقال جماعة من الائمة ان الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب ان يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحيه وعلم من هذا العلم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلم غيره فما كتب شيأ من ذلك الا لعلة لطيفة وحكمة بليغة وان قصر عنه رأينا لا ترى انه لو كتب على صلواتهم وان صلوتك بالالف بعد الواو وبالالف من غير واو لما دل ذلك الا على وجه واحد وقراءة واحدة وكذلك وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار كتب وسيعلم الكفر بغير ألف قبل الفاء ولا بعدها ليدل على القراءتين والله تعالى أعلم * (المقدمة الثامنة) * في أقسام الوقف قطع الكلمة اسما وفعلا وحرفا عما بعدها ولو فرضا وله عند أكثر الائمة خمس مراتب لازم ومطلق

سورة

سو رةمنهاموجودةمنفردةبنفسـهاانفرادكل غـرفةمن الغرف وخطبـةمن الخطب فجعل جمعها جمع الغرف والخطب المثنى جمعهامن واحدهاومن الدلالةعلى ان معنى السو رةالمنزلة من الارتفاع قول نابغةبنى ذبيان

ألم تران الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب

يعنى بذلك ان الله أعطاه منزلة من منازل الشرف التى قصرت عنها منازل الملوك وقد همز بعضـهم الســو رة من القرآن وتاويلها فى لغة من همزها القطعــةالتى قدأفضلت من القرآن عمـاسواها وابقيت وذلك ان سؤر كل شئ البقيةمنه تبقى بعد الذى يؤخــذمنه ولذلك سميت الفضلة من شراب الرجل يشرب به ثم يفضلها فيبقيها فى الاناء سؤ راومن ذلك قول أعشى بنى ثعلبة يصف امرأة فارقته فابقت فى قلبه من وجدها بقية

فبانت وقد أسأرت فى الفؤا * د صدعا على نأيها مستطيرا

وقال الاعشى فى مثل ذلك

بانت وقد أسأرت فى النفس حاجتها * بعد ائتلاف وخير الود ما نفعا

وأما الآية من آى القرآن فانها تحتمل وجهين فى كلام العرب أحــدهما ان تكون سميت آية لانها علامة يعرف بها تمام ما قبلها وابتــداؤها كالآية التى تكون دلالة على الشئ يسـتدل به عليه كقول الشاعر

ألكنى اليها عمرك الله يافتى * بآية ما جاءت الينا تهاديا

يعنى بعلامة ذلك ومنه قوله جل ذكره ربنا أنزل علينا مائدة من السمـاء تكون لنا عيــدا لاولنا وآخرنا وآية منك لا جابتك دعاءنا واعطائك ايانا سؤلنا والآخر منهما القصــة كما قال كعب بن زهير بن أبى سلمى

الا أبلغا هذا المعرض آية * أيقظان قال القول اذ قال أم حلم

يعنى بقوله آية رسالة منى وخبرا عنى فيكون معنى الآيات القصص قصة تتلو قصة بفصول و وصول

القول فى تاويل أسمـاء فاتحة الكتاب قال أبو جعفر صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثنى به يونس بن عبد الاعلى قال حدثنا ابن وهب قال أخبرنى ابن أبى ذئب عن ســعيد المقبرى عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هى أم القرآن وهى فاتحة الـكتاب وهى السبع المثانى فهــذه أسمـاء فاتحة الـكتاب وسميت فاتحــة الـكتاب لانها يفتتح بكتابتها المصاحف ويقرأ بها فى الصلوات فهى فواتح لما يتلوها من سور القرآن فى الـكتابة والقراءة وسميت أم القرآن لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها وتأخر ما سواها خلفها فى القراءة والـكتابة وذلك من معناها شبيه بمعنى فاتحــة الـكتاب وانمـا قيــل لها لكونها كذلك أم القرآن لتسمية العرب كل جامع أمرا أو مقدم لامر اذا كانت له توابع تتبعه هو لها امام جامع أما فتقول للجلدة التى تجمع الدماغ أم الرأس وتسمى لواء الجيش ورايتهــم التى يجتمعون تحتها للجيش أما ومن ذلك قول ذى الرمــة يصف راية معقودة على قناة يجتمع تحتها هو وصحبه

وجائز ومجوز لوجه ومرخص ضرورة فاللازم من الوقف مالو وصل طرفاه غير المرام وشنع الـكلام كقوله تعالى وما هم بمؤمنين اذلو وصل بقوله يخادعون الله صارت الجملة صفة للمؤمنين فانتفى الخداع عنهم وتقرر الايمان خالصا عن الخداع كما تقول ما هو بمؤمن مخادع ومراد الله جل ذكره نفى الايمان واثبات الخداع وفى نظائر ذلك كثرة يوصلك المرور بها الى العثور عليها والمطلق ما يحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدأ به نحو الله يجتبى اليه من يشاء وكالفعل المستأنف مع السين نحو سيقول السفهاء سيجعل الله بعد عسر يسرا ونحو يعبدوننى لا يشركون بى شيا الى غير ذلك من النظائر والجائز ما يتجاذب فيه طرفا الوصل والوقف مثــل وما أنزل من قبلك لان واو العطــف تقتضى الوصل وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم فان التقدير ويوقنون بالآخرة والمجوز لوجه مثل أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة لان الفاء فى قوله فلا يخفف عنهــم والتعقيب يتضمن معنى الجواب والجزاء وذلك يوجب الوصل الا ان نظم الفعل على الاستئناف يرى للفصل وجها والمرخص ضرورة ما لا يستغنى ما بعــده عما قبــله لكن يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس لطول الـكلام ولا يلزمه الوصــل بالعود لان ما بعــده جملة مفهومة كقــوله والسمـاء بناء لان قــوله وأنزل لا يستغنى عن سياق الـكلام فان فاعله ضمير يعود الى الصريح المذكور قبله غير انها جملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وان كان لا يبرز الى النطق وأما ما لا يجوز الوقف عليه ففى مواجبه ومواقعه كثرة وسيتلى عليك مواقع الفصل والوصل فى جميــع القرآن مع علل ذلك مفصــلة ان شاء الله تعالى وبعضــهم قسم مراتب الوقوف الى ثلاث التام والـكافى والحسن ولا مشاحة فى الاصطلاحات بعــد رعاية المعنى ولكن علامة اللازم م وعــلامــة المطلق ط والجائز ج والمجوز ز والمرخص ص وما لا وقف عليه فعلامته لا وعلامة الآية دائرة صغيرة هكذا) وانما التزمنا ايراد هذه الوقوف لدقة مسالكها وبلوغها فى الغموض الى حيث قصروا البلاغة على معرفة الفصل والوصل الا ان ذلك بحسب الصياغة وما نحن فيه بطريق الصناعة وكل منهما تابع لارتباط المعنى بالمعنى وانفصاله عنه بالكل أو بالبعض وسيتلى عليك تفاصيلهما وبالله التوفيق *(المقدمة التاسعة)* فى تقسيمات يعرف منها اصطلاحات مهمة اللفظ اما ان يعتبر دلالته على تمام مسماه أو على جزء مسماه أو على لازمه المذهنى الاول دلالة مطابقة

كدلالة البيت على مجموع الحائط والسقف والثاني دلالة تضمن كدلالة البيت على السقف أو الحائط والثالث دلالة الالتزام كدلالة السقف على الحائط والدلالة الاولى وضعية صرفة والباقيتان يشارك فيهما الوضع والعقل * تقسيم آخر اللفظ اما ان يقصد بجزء منه دلالة على جزء معناه وهو المركب كعبد الله غير علم أولا يقصد وهو المفرد ويشمل ما لا جزء له أصلا مثل ق علما وما كان له جزء ولكن لا يدل على معنى أصلا نحو زيد وما كان له جزء دال على معنى لكن لا في ذلك المسمى نحو أسد الله علما لشخص انساني وماله جزء دال على معنى

وأبكم قوام اذا نام صحبتي * خفيف الثياب لا توارى له ازرا
على رأسه أم لنا نقتدي بها * جماع أمور لا نعاصي لها أمرا
اذا نزلت قيل انزلوا واذا غدت * غدت ذات تزريق تنال بها الفخرا

يعني بقوله على رأسه أم لنا أي على رأس الرمح راية يجتمعون لها في النزول والرحيل وعند لقاء العدو وقد قيل ان مكة سميت أم القرى لتقدمها امام جميعها وجمعها ما سواها وقيل انما سميت بذلك لان الارض دحيت منها فصارت لجميعها أما ومن ذلك قول حميد بن ثور الهلالي

اذا كانت الخمسون أمك لم يكن * لدائك الا الموت طبيب

لان الخمسين جامعة ما دونها من العدد فسماها أما للذي قد بلغها وأما تأويل اسمها انها السبع فانها سبع آيات لا خلاف بين الجميع من القراء والعلماء في ذلك وانما اختلفوا في الآي التي صارت بها سبع آيات فقال أعظم أهل الكوفة صارت سبع آيات ببسم الله الرحمن الرحيم وروى ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وقال آخرون هي سبع آيات وليس منهن بسم الله الرحمن الرحيم ولكن السابعة أنعمت عليهم وذلك قول أعظم قراء أهل المدينة ومتفقهيهم ۞ قال أبو جعفر وقد بينا الصواب من القول عندنا في ذلك في كتابنا كتاب اللطيف في أحكام شرائع الاسلام بوجيز من العلل وسنستقصي بيان ذلك بحكاية أقوال المختلفين فيه من الصحابة والتابعين والمتقدمين والمتأخرين في كتابنا الاكبر من أحكام شرائع الاسلام ان شاء الله ذلك وأما وصف النبي صلى الله عليه وسلم آياتها بالسبع بأنهن مثان فلانها تثنى قراءتها في كل صلاة تطوع ومكتوبة وكذلك كان الحسن البصري يتأول ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سألت الحسن عن قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب ثم سئل عنها وأنا أسمع فقرأها الحمد لله رب العالمين حتى أتى على آخرها فقال تثنى في كل قراءة أو قال في كل صلاة الشك من أبي جعفر والمعنى الذي قلنا في ذلك قصد أبو النجم العجلي بقوله

الحمد لله الذي عافاني * وكل خير بعده أعطاني * من القرآن ومن المثاني

وكذلك قول الراجز الآخر الذي يقول

نشدتكم بمنزل الفرقان * أم الكتاب السبع من مثاني
ثنين من آي من القرآن * والسبع سبع الطول الدواني

وليس في وجود اسم السبع المثاني لفاتحة الكتاب ما يدفع صحة وجود اسم المثاني للقرآن كله ولما يثنى من السور لان لكل ذلك وجها ومعنى مفهوما لا يفسد بتسمية بعض ذلك بالمثاني تسمية غيره بها فاما وجه تسمية ما ثنى المئين من سور القرآن بالمثاني فقد بينا صحته وسندل على صحة وجه تسمية جميع القرآن به عند انتهائنا اليه في سورة الزمر ان شاء الله ۞ القول في تأويل الاستعاذة تأويل قوله أعوذ ۞ قال أبو جعفر والاستعاذة الاستجارة وتأويل قول القائل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أستجير بالله دون غيره من سائر خلقه من الشيطان ان يضرني في ديني أو يصدني عن حق يلزمني لربي ۞ تأويل قوله من الشيطان ۞ قال أبو جعفر والشيطان في كلام العرب

في ذلك المسمى لكنه لم يقصد مثل عبد الله علما له * تقسيم آخر اللفظ المفرد باعتبار وحدته ووحدة مدلوله وتعددهما أربعة أقسام الاول اللفظ واحد والمدلول واحد الثاني مقابل ذلك أي اللفظ كثير والمعنى كثير الثالث اللفظ واحد والمعنى كثير الرابع عكسه المعنى واحد واللفظ كثير فالاول ان اشترك في مفهومه كثيرون مجردا عن سبب من خارج فهو الكلي ويقال له اسم الجنس وهو أقسام ستة لانه اما موجود أو معدوم والموجود اما واحد او كثير والواحد اما أن يكون مثله ممكنا كالشمس او غير ممكن كالاله والكثير اما متناه كالكواكب أو غير متناه كالعدد والمعدوم اما ممكن الوجود في الخارج كجبل من ذهب أو غير ممكن كشريك الاله وعلى التقادير فان تفاوت وقوعه على افراده بان يكون لبعضها أولى أو أول أو أشد كالوجود للخالق والمخلوق فان وقوعه على الخالق أول وأولى وأشد وكالابيض على الثلج والعاج فان وقوعه على الثلج أشد فاللفظ مشكك لانه يشكك بالنسبة الى السامع في انه متواطئ نظرا الى اشتراك الكل في أصل المعنى أو مشترك نظرا الى اختلافها في ذلك وان لم يكن في وقوعه تفاوت فمتواطئ كالانسان بالنسبة الى افراده فان كلها متوافقة في الانسانية مستوية فيها وان لم يشترك في مفهومه كثيرون فهو كل الجزئي علم ان استقل في الدلالة بحيث لا يحتاج الى أمر ينضم اليه من قرينة التخاطب والتكلم وتقدم الذكر ولام العهد والاشارة مضمر ان احتاج الى احدى القرائن الثلاث الاول ومبهم ان احتاج الى شيء من الباقيتين والعلم اما اسم كابراهيم وموسى وعيسى واما ان يكون لقبا اشتهر المسمى به مدحا أو ذما كاسرائيل أو كنية ويختص بما في أوله الاب أو الام أو البنت أو الابن نحو أبي لهب وأم القرى وابنة عمران وابن مريم

وقد يكون العلم علما للجنس باسره بحيث لا يكون بعض افراده الخارجة أولى به من بعض لكونه للحقيقة الخارجية واذا أطلق على فرد من افراد الخارجية نحو هذا أسامة مقبلا فليس ذلك بالوضع بل لمطابقة الحقيقة الذهنية لكل فرد خارجي مطابقة كل كلي طبيعي لجزئياته فهذه تمام الاقسام القسم الاول وهو ان اللفظ واحد والمعنى واحد الثاني من الاربعة متباينة كالانسان والفرس الثالث ان كان اللفظ حقيقة للمتعدد من مدلولاته بان كان موضوعا للجميع فمشترك والا فمنقول ان نقل من الموضوع له الى معنى آخر لعلاقة

كل متمرد من الجن والانس والدواب وكل شئ وكذلك قال ربنا جل ثناؤه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن فجعل من الانس شياطين مثل الذي جعل من الجن وقال عمر بن الخطاب رحمة الله عليه وركب برذونا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد الا تبخترا فنزل عنه وقال ما حملتموني الا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي حدثنا بذلك يونس بن عبد الاعلى قال أنبانا ابن وهب قال أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر ۞ قال أبو جعفر وانما سمي المتمرد من كل شئ شيطانا لمفارقة اخلاقه وأفعاله اخلاق سائر جنسه وأفعاله وبعده من الخير وقد قيل انه أخذ من قول القائل شطنت داري من دارك يريد بذلك بعدت ومن ذلك قول نابغة بني ذبيان

نأت بسعاد عنك نوى شطون * فبانت والفؤاد بها رهين

والنوى الوجه الذي نوته وقصدته والشطون البعيد فكان الشيطان على هذا التأويل فيعال من شطن ومما يدل على ان ذلك كذلك قول أمية بن أبي الصلت

أيما شاطن عصاه عكاه * ثم يلقى في السجن والاكبال

ولو كان فعلان من شاط يشيط لقال أيما شائط ولكنه قال أيما شاطن لانه من شطن يشطن فهو شاطن ۞ تأويل قوله الرجيم * وأما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول به كقول القائل كف خضيب ولحية دهين ورجل لعين يريد بذلك مخضوبة ومدهونة وملعون وتأويل الرجيم الملعون المشتوم وكل مشتوم بقول ردئ أو سب فهو مرجوم وأصل الرجم الرمي بقول كان أو بفعل ومن الرجم بالقول قول أبي ابراهيم لابراهيم صلوات الله عليه لئن لم تنته لارجمنك وقد يجوز ان يكون قيل للشيطان رجيم لان الله جل ثناؤه طرده من سمواته ورجمه بالشهب الثواقب وقد روي عن ابن عباس ان أول ما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم علمه الاستعاذة حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال أول ما نزل جبريل على محمد قال يا محمد قل أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق قال عبد الله وهي أول سورة أنزلها الله على محمد بلسان جبريل فامره ان يتعوذ بالله دون خلقه ۞ القول في تأويل بسم الله الرحمن الرحيم القول في تأويل بسم ۞ قال أبو جعفر ان الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه أدب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى امام جميع أفعاله وتقدم اليه في وصفه بها قبل جميع مهماته وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه اياه منه لجميع خلقه سنة يستنون بها وسبيلا يتبعونه عليها فيه افتتاح أوائل منطقهم وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل بسم الله على ما بطن من مراده الذي هو محذوف وذلك ان الباء من بسم الله مقتضية فعلا يكون لها جالبا ولا فعل معها ظاهر فاغنت سامع القائل بسم الله معرفته بمراد قائله من اظهار قائل ذلك مراده قولا اذ كان كل ناطق به عند افتتاحه أمرا قد احضر منطقه به اما معه واما قبله بلا فصل ما قد أغنى سامعه من دلالة شاهدة على الذي من أجله افتتح قبله به فصار استغناء سامع ذلك منه عن اظهار ما حذف منه نظير استغنائه اذا سمع قائلا قيل له ما أكلت اليوم فقال طعاما عن ان يكون المسؤل مع

واشتهر فيه عرفي ان كان الناقل هو العرف العام واصطلاحي ان كان العرف الخاص وشرعي ان كان الشرع والا فبالنسبة الى المنقول عنه حقيقة وبالنسبة الى المنقول اليه مجاز ان انتقل من الملزوم الى اللازم وكناية ان كان العكس وان نقل لا لعلاقة فمرتجل الرابع من الاقسام مترادفة كالليث والاسد ولا يخفى ان القسمين الاولين والقسم الرابع ثلاثتها نصوص في معناها اما الاول فلاتحاد المعنى الموجب لعدم احتمال الغير وهو معنى النص واما المتكثرة اللفظ والمعنى فلانه حينئذ يكون لكل معنى لفظ فيتحد المعنى فلا يحتمل اللفظ غير ذلك وأما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى وأما القسم الثالث وهو ان اللفظ واحد والمعنى كثير فينقسم الى مجمل وظاهر ومؤول لان اللفظ بالنسبة الى تلك المعاني ان كان متساوي الدلالة فهو المجمل وبازائه المبين وان كانت متفاوتة فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المؤول فالاول كقوله تعالى ثلثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثاني نحو وأقيموا الصلوة فان الامر كما يحتمل الوجوب يحتمل الندب والصلاة كما يحتمل ذات الاركان يحتمل الدعاء الا ان الامر بالنسبة الى الوجوب راجح والصلوة بالنسبة الى الهيآت المخصوصة راجحة والثالث نحو يد الله فوق أيديهم فان اليد تحتمل القدرة والجارحة لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة فالرجحان مشترك بين النص والظاهر ويسمى بالمحكم وعدم الرجحان مشترك بين المجمل والمؤول ويشملهما المتشابه والنص ممتاز عن الظاهر بانه لا يحتمل الغير والظاهر يحتمله احتمالا مرجوحا والمجمل يتميز بكونه غير مرجوح والمؤول مرجوح والتاويل اشتقاقه من آل يؤول أي رجع وفي الاصطلاح كما تقرر حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فيشمل التأويل الفاسد والتأويل الصحيح فان أريد التأويل الصحيح فقط فيه

اذاوحرا الحرف الذي يأتي بمعنى الاغراء وقد تفعل العرب ذلك اذا أخرت الاغراء وقدمت المغرى به وان كانت قد تنصب به وهو مؤخر ومن ذلك قول الشاعر

يا أيها المائح دلوى دونكا * انى رأيت الناس يحمدونكا

فاغرى بدونك وهي مؤخرة وانما معناه دونك دلوى فكذلك قول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما يعني عليكما اسم السلام أي الزماذكر الله ودعاذكرى والوجد بي لان من بكى حولا على امرئ ميت فقد اعتذر فهذا أحد وجهيه والوجه الآخر منهما ثم تسميتي الله عليكما كما يقول القائل للشئ يراه فيعجبه اسم الله عليك يعوذه بذلك من السوء فكأنه قال ثم اسم الله عليكما من السوء وكان الوجه الاول أشبه المعنيين بقول لبيد ويقال لمن وجه بيت لبيد هذا الى ان معناه ثم السلام عليكما أترى ماقلنا من هذين الوجهين جائزا أو أحدهما أو غير ماقلت فيه فان قال لا أبان مقداره من العلم بتصاريف وجوه كلام العرب وأغنى خصمه عن مناظرته وان قال بلى قيل له فما برهانك على صحة ماادعيت من التأويل انه الصواب دون الذي ذكرت انه محتمله من الوجه الذي يلزمنا تسليمه لك ولا سبيل الى ذلك وأما الخبر الذي حدثنا به اسمعيل بن الفضل قال حدثنا ابراهيم بن العلاء بن الضحاك قال حدثنا اسمعيل بن عياش عن اسمعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود ومسعر بن كدام عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى بن مريم أسلمته أمه الكتاب ليعلمه فقال له المعلم اكتب بسم فقال له عيسى وما بسم فقال له المعلم ما أدرى فقال عيسى الباء بهاء الله والسين سناؤه والميم مملكته فاخشى ان يكون غلطا من المحدث وان يكون أراد ب س م على سبيل مايعلم المبتدئ من الصبيان في الكتاب حروف أبي جاد فغلط بذلك فوصله فقال بسم لانه لا معنى لهذا التأويل اذا تلى بسم الله الرحمن الرحيم على مايتلوه القارئ في كتاب الله لاستحالة معناه عن المفهوم به عند جميع العرب وأهل لسانها اذا حمل تأويله على ذلك ﴿ القول في تأويل قول الله الله ﴾ قال أبو جعفر وأما تأويل قول الله الله فانه على معنى ماروى لنا عن عبد الله ابن عباس هو الذي يألهه كل شئ ويعبده كل خلق وذلك ان أبا كريب حدثنا قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال الله ذو الالوهية والعبودية على خلقه أجمعين فان قال لنا قائل فهل لذلك في فعل ويفعل أصل كان منه بناء هذا الاسم قيل اما سماعا من العرب فلا ولكن استدلالا فان قال ومادل على ان الالوهية هي العبادة وان الاله هو المعبود وان له أصلا في فعل ويفعل قيل لا تمانع بين العرب في الحكم لقول القائل يصف رجلا بعبادة ويطلب مما عند الله جل ذكره تأله فلان بالصحة خلاف ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج

لله در الغانيات المده * سبحن واسترجعن من تألهى

يعني من تعبد وطلب الله بعمل ولا شك ان التأله التفعل من أله يأله وان معنى أله اذا نطق به عبد الله وقد جاء منه مصدر يدل على ان العرب قد نطقت منه بفعل يفعل غير زيادة وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع قال حدثنا أبي عن نافع بن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس انه قرأ ويذرك

مثلهم كمثل الذى استوقد نارا الآية وسيجيء تفسيرها ثم ان التشبيه التمثيلى اذا فشا استعماله على سبيل الاستعارة لاغير سمى مثلا كقولك لمن تردد في أمر يقدم رجلا ويؤخر أخرى وذلك ان الاستعارة هي ان تذكر أحد طرفى التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه مايخص المشبه به كما تقول في الحمام أسد وأنت تريد به الشجاع مدعيا انه من جنس الاسد فتثبت للشجاع مايخص المشبه به وهو اسم جنسه أعني الاسد مع سد طريق التشبيه بافراده في الذكر لان التشبيه لابد له من طرفين مشبه ومشبه به فاذا أفردت بالذكر أحدهما فكأنك قد سددت طريق التشبيه فاذن الاستعارة نوع من المجاز لان المستعير له وهو زيد مثلا في قولك زيد أسد يبرز في معرض المستعار منه وهو الاسد نظرا الى الدعوى وهذا شأن العارية وانما جرأهم على الدعوى مارأوا بينهما من الاشتراك في اللازم وهو الشجاعة والاستعارة في نحو عندى أسد اذا لم تعقب بصفات ملائمة أو تفريع كلام لاتكون مجردة ولا مرشحة لفقد موضوعى التجريد والترشيح وانما يلحقها التجريد والترشيح اذا عقبت بذلك فتى عقبت بصفات ملائمة للمستعار له سميت مجردة نحو شاورت أسدا شاكى السلاح طويل القناة واذا عقبت بصفات ملائمة للمستعار منه سميت مرشحة نحو شاورت أسدا وافى البراثن مصورا وقد بقى من الاصطلاحات قولهم هذا عام أو خاص أو مطلق أو مقيد فالعام مادل على مسميات باعتبار أمر اشتركت فيه مطلقا ضربة فقولنا مادل ليشمل العموم باللفظ والمعنى جميعا فان العموم من عوارض المعانى أيضا حقيقة كقولهم عم المطر والخصب وكذلك المعنى الكلى كالانسان لشموله الجزئيات التى تحته وقولنا على مسميات ليخرج المسمى وليدخل فى العام المعدوم والمستحيل اذ لو قلنا على أشياء لخرجا بناء على انهما ليسا بشئ وقولنا باعتبار أمر اشتركت تلك المسميات فيه ليخرج نحو عشرة وغيرها من أسماء العدد المنكرات فانها وان دلت على مسميات هي آحادها لكن لا باعتبار أمر اشتركت هي فيه بل باعتبار وضع اسم العدد للمجموع وكذا الكلام في كل ذى أجزاء حسية أو عقلية وقولنا مطلقا ليخرج الرجال المعهودون فانها بقرينة العهد وضربة احتراز من نحو رجل فانه وان دل على مسميات باعتبار كون كل منها ذكرا من بنى آدم مطلقا لكن لا دفعة بل على سبيل البدل ولهذا يخرج نحو رجال اذا تأملت وهذا احد وآلهتك

وآلهتك قال عبادتك و يقول انه كان يعبد ولا يعبد وحدثنا سفيان قال حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن محمد بن عمرو بن الحسن عن ابن عباس و يذرك وآلهتك قال انما كان فرعون يعبد ولا يعبد وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين بن داود قال أخبرني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله و يذرك وآلهتك قال وعبادتك ولاشك ان الآلهة على ما فسره ابن عباس ومجاهد مصدر من قول اله الله فلان الاهة كما يقال عبد الله فلان عبادة وعبر الرؤيا عبارة فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا ان أله عبد وان الآلهة مصدره فان قال فان كان جائزا ان يقال لمن عبد الله أله على تأويل قول ابن عباس ومجاهد فكيف الواجب في ذلك ان يقال اذا أراد المخبر الخبر عن استيجاب الله ذلك على عبده قيل اما الرواية فلا رواية عندنا ولكن الواجب على قياس ماجاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى حدثنا به اسمعيل بن الفضل قال حدثنا ابراهيم بن العلاء قال حدثنا اسمعيل بن عباس عن اسمعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكه عمن حدثه عن ابن مسعود ومسعر بن كدام عن عطية العوفي عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى أسلمته أمه الى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم اكتب الله فقال له عيسى أتدرى ما الله الله اله الآلهة ان يقال الله جل جلاله أله العبد والعبد أله وأن يكون قول القائل الله من كلام العرب أصله الاله فان قال وكيف يجوز ان يكون ذلك كذلك مع اختلاف لفظيهما قيل كما جاز ان يكون قوله لكن هو الله ربي أصله لكن أنا الله ربي كما قال الشاعر

وترمينني بالطرف أي أنت مذنب * وتقلينني لكن اياك لا أقلي

يريد لكن انا اياك لا أقلي فحذف الهمزة من انا فالتقت نون انا ونون لكن وهي ساكنة فادغمت في نون انا فصارتا نونا مشددة فكذلك الله أصله الاله أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة التي دخلت مع الالف الزائدة وهي ساكنة فادغمت في الاخرى التي هي عين الاسم فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة كما وصفنا من قول الله لكن هو الله ربي

﴿القول في تأويل قوله (الرحمن الرحيم)﴾ قال أبو جعفر أما الرحمن فهو فعلان من رحم والرحيم فعيل منه والعرب كثيرا ما تبني الاسماء من فعل يفعل على فعلان كقولهم من غضب غضبان ومن سكر سكران ومن عطش عطشان فكذلك قولهم رحمن من رحم لان فعل منه رحم يرحم وقيل رحيم وان كانت عين فعل منها مكسورة لانه مدح ومن شأن العرب ان يحملوا أبنية الاسماء اذا كان فيها مدح أو ذم على فعيل وان كانت عين فعل منها مكسورة أو مفتوحة كما قالوا من علم عالم وعليم ومن قدر قادر وقدير وليس ذلك منها بناء على أفعالها لان البناء من فعل يفعل وفعل يفعل فاعل فلو كان الرحمن والرحيم خارجين على بناء أفعالهما لكانت صورتهما الراحم فان قال قائل فاذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة فما وجه تكرير ذلك وأحدهما مؤد عن معنى الآخر قيل له ليس الامر في ذلك على ما ظننت بل لكل كلمة منهما معنى لا تؤدى الاخرى منهما عنها فان قال وما المعنى الذى انفردت به كل واحدة منهما فصارت احداهما غير مؤدية المعنى عن الاخرى قيل اما من جهة العربية فلا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب ان قول القائل الرحمن عن أبنية الاسماء من فعل

العام والخاص بخلافه وهو مادل لا على متميات الى آخره فمن صيغ العموم أسماء الشرط والاستفهام مثل من وما والموصولات نحو الذى والتي والجموع المعرفة تعريف جنس كالرجال والمسلمات والجموع المضافة نحو عبيدى حر واسم الجنس المضاف وتعريف المعرف الجنس مثل غلامى والغلام والنكرة في سياق النفي نحو ما في الدار أحد * والتخصيص قصر العام على بعض مسمياته وقد يطلق التخصيص أيضا على قصر اللفظ على بعض ما يتناوله وان لم يكن ذلك اللفظ عاما كما يطلق عليه أيضا انه عام (٤١) لتعدده وتكثره وان لم يكن من صيغ العموم كعشرة والمسلمين المعهودين وكضمائر الجمع ولا يستقيم تخصيص الاخير ما يستقيم توكيده بكل لكونه ذا أجزاء يصح افتراقها حسا أو حكما الا النكرة مثل قوله تعالى تلك عشرة كاملة ونحو جاءني رجال كرماء * والمخصص أحد أربعة أشياء الاول الاستثناء بالا ونحوها والثاني الشرط وهو ما يتوقف تأثير المؤثر عليه لا وجوده كالاحصان فانه يتوقف عليه اقتضاؤه الرجم لا وجود الزنا والثالث الصفة مثل فتحرير رقبة مؤمنة والرابع الغاية نحو أتموا الصيام الى الليل هذا هو التخصيص بالمتصل وقد يخص بالمنفصل وذلك اما العقل كقوله تعالى الله خالق كل شئ واما الحس نحو أوتيت من كل شئ واما الدليل السمعي كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء خصصته الآية الاخرى وأولات الاحمال اجلهن أن يضعن حملهن و يوصيكم الله في أولادكم خصصه قوله صلى الله عليه وسلم القاتل لا يرث * والمطلق هو اللفظ الدال على الماهية من حيث هي هي و يلزم منه تمكن المأمور من الاتيان بفرد منها أى فرد كان لانه لا يمكن الاتيان بالماهية الا باتيان بفرد منها وذلك اما في معرض الامر مثل أعتق رقبة أو مصدر الامر كقوله تعالى فتحرير رقبة مؤمنة أو للاخبار عن المستقبل مثل سأعتق رقبة ولا يتصور الاطلاق في معرض الخبر المتعلق بالماضي مثل رأيت رجلا ضرورة تعينه باسناد الرؤية اليه * والمقيد بخلاف المطلق فهو لفظ دال على مدلول غير شائع في جنسه فيدخل فيه الدال على المتعين مطلقا نحو زيد وهذا الرجل وأنا وأنت والدال على الشائع لا في جنسه بل في افراده كالعام فهو مقيد لغة لا اصطلاحا و يطلق المقيد على ما أخرج من شياع بوجه بان يذكر الدال على الماهية بوصف زائد عليها كرقبة مؤمنة فانها وان كانت مطلقة في جنسها من حيث هي رقبة مؤمنة الا انها مقيدة بالنسبة الى مطلق الرقبة فهي مطلقة من وجه ومقيدة من وجه وتقييد المطلق شبيه بتخصيص العام بخبر والتقييد بالمتصل استثناء كان أو صفة

أوشرطا أوغاية أو بدل بعض و بالمنفصل عقلا كان أونقلا كتابا أوسنة * وتقسيم آخر التركيب المفيد أعني الكلام قسمان أحدهما الذي يحتمل ان يقال لقائله صدقت أوكذبت من حيث ذلك التركيب لامن أمر خارج عن ذات التركيب و يقال له الخبر واذا بلغ رواة الخبر مبلغا أحال العقل تواطؤهم على الكذب فهو متواتر والا فخبر الواحد والثاني مالا يحتمل ذلك و يقال له الطلب والاول عبارة عن الجمل الاربع الاسمية والفعلية والشرطية والظرفية والثاني نوعان نوع لا يستدعى في مطلوبه امكان الحصول وهو التمنى ونوع يستدعى في مطلوبه ذلك ثم ان كان طلب فعل فامر وان كان طلب ترك فنهي وان كان طلب فهم فاستفهام وان كان طلب اقبال فنداء فمتى امتنع اجراء هذه الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كالاستبطاء والاغراء والتعجب والتوبيخ ونحو ذلك * تقسيم آخر الحكم خطاب الله أومن أذن له الله متعلقا بافعال المكلفين بالاقتضاء أوالتخيير أوالوضع اما التخيير فيراد به الاباحة واما الاقتضاء فاما اقتضاء فعل مع امتناع الترك وهو الوجوب أومع جواز الترك وهو الندب واما اقتضاء ترك مع امتناع الفعل وهو الحظر والتحريم أومع جوازه وهو الكراهة وأما الوضع فيراد به ماجعله الشارع بوضعه دليلا على شيء كدلوك الشمس على وجوب الصلاة أو سبب لشيء كالزنا لوجوب الحد أوشرطا كالوضوء لصحة الصلاة وأما الصحة والبطلان أوالحكم بهما فامر عقلي لاحكم شرعي لان صحة العبادات اما كون الفعل مسقطا للقضاء كالفقهاء واما موافقة أمر شرعي كالمتكلمين ولاشك ان العبادات اذا اشتملت على أركانها وشرائطها حكم العقل بصحتها بكل من التفسيرين سواء حكم الشارع بها أولا والصحة في المعاملات أيضا حكم عقلي لانها فيها كون الشيء بحيث يترتب عليه أثره واذا كان البيع مشتملا على الاسباب والشرائط وارتفاع الموانع حكم العقل بترتب أثره عليه سواء حكم الشرع بها أولم يحكم وفسر البطلان والفساد على ماقلنا وكل حكم ثبت على خلاف الدليل لعذر فهو رخصة كحل الميتة للمضطر والقصر والفطر للمسافر واجبا ومندوبا ومباحا والا فعزيمة واذا عرفت ماذكرنا من التقسيمات لايخفى عليك المقصود من ايرادها الان معاني كتاب الله تعالى منها محكم ومتشابه ومنها مجمل ومبين ومندرج فيها

و يفعل أشد عدولا من قوله الرحيم ولاخلاف مع ذلك بينهم ان كل اسم كان له أصل في فعل و يفعل ثم كان عن أصله من فعل و يفعل أشد عدولا ان الموصوف به مفضل على الموصوف بالاسم المبني على أصله من فعل و يفعل اذا كانت التسمية به مدحا أوذما فهذا مافي قول القائل الرحمن من زيادة المعنى على قوله الرحيم في اللغة وأما من جهة الاثر والخبر ففيه بين أهل التأويل اختلاف فحدثني السري ابن يحيى التميمي قال حدثنا عثمان بن زفر قال سمعت العزرمي يقول الرحمن الرحيم قال الرحمن بجميع الخلق الرحيم قال بالمؤمنين وحدثنا اسمعيل بن الفضل قال حدثنا ابراهيم بن العلاء قال حدثنا اسمعيل بن عياش عن اسمعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود ومسعر بن كدام عن عطية العوفي عن أبي سعيد يعني الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى بن مريم قال الرحمن رحمن الآخرة والدنيا والرحيم رحيم الآخرة فهذان الخبران قد أنبآ عن فرق مابين تسمية الله جل ثناؤه باسمه الذي هو رحمن وتسميته باسمه الذي هو رحيم واختلاف معنى الكلمتين وان اختلفا في معنى ذلك الفرق فدل أحدهما على ان ذلك في الدنيا ودل الآخر على انه في الآخرة فان قال فاي هذين التأويلين أولى عندك بالصحة قيل لجميعهما عندنا في الصحة مخرج فلا وجه لقول قائل أيهما أولى بالصحة وذلك ان المعنى الذي في تسمية الله بالرحمن دون الذي في تسميته بالرحيم هو انه بالتسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه وانه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه اما في كل الاحوال واما في بعض الاحوال فلاشك اذ كان ذلك كذلك ان ذلك الخصوص الذي في وصفه بالرحيم لايستحيل عن معناه في الدنيا كان ذلك أوفي الآخرة أوفيهما جميعا فاذا كان صحيحا ماقلنا من ذلك وكان الله جل ثناؤه قد خص عباده المؤمنين في عاجل الدنيا بما لطف بهم من توفيقه اياهم لطاعته والايمان به و برسله واتباع أمره واجتناب معاصيه مما خذل عنه من اشرك به فكفر وخالف ما أمره به وركب معاصيه وكان مع ذلك قد جعل جل ثناؤه ما أعد في آجل الآخرة في جنانه من النعيم المقيم والفوز المبين لمن آمن به وصدق رسله وعمل بطاعته خالصا دون من أشرك وكفر به كان بينا ان الله قد خص المؤمنين من رحمته في الدنيا والآخرة مع ماقد عمهم به والكفار في الدنيا من الافضال والاحسان الى جميعهم في البسط في الرزق وتسخير السحاب بالغيث واخراج النبات من الارض وصحة الاجسام والعقول وسائر النعم التي لاتحصى التي يشترك فيها المؤمنون والكافرون فربنا جل ثناؤه رحمن جميع خلقه في الدنيا والآخرة ورحيم المؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة فاما الذي عم جميعهم به في الدنيا من رحمته وكان رحمانا لهم به فيما ذكرنا مع نظائره التي لاسبيل الى احصائها لاحد من خلقه كما قال جل ثناؤه وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها وأما في الآخرة فالذي عم جميعهم به فيها من رحمته فكان لهم رحمانا تسويته بين جميعهم جل ذكره في عدله وقضائه فلايظلم أحدا منهم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما و توفى كل نفس ما كسبت فذلك معنى عمومه في الآخرة جميعهم برحمته الذي كان به رحمانا في الآخرة وأما ماخص به المؤمنين في عاجل الدنيا من رحمته الذي كان به رحيما لهم فيها كما قال جل ذكره وكان بالمؤمنين رحيما فما وصفنا من اللطف لهم في دينهم

فخصهم

المنسوخ والناسخ باعتبار لان النسخ بيان انتهاء أمد الحكم الشرعي ومنها مطلق ومقيد ومنها أمر ونهي ومنها ظاهر ومؤول ومنها حقيقة ومجاز ومنها تشبيه وتمثيل ومنها كناية وتصريح ومنها الكلي والجزئي ومنها الخبر والطلب باقسامهما ومنها الاحكام باصنافها ولا ريب ان تصور هذه الاصطلاحات وتذكرها في علم التفسير أمر مهم والله أعلم *(المقدمة العاشرة)* في ان كلام الله تعالى قديم أولا ذكر قوم من أئمة الامة ان كلام الله تعالى قديم بعد ان عنوا بكلامه هذه الحروف المنتظمة المسموعة اما ان

كلامه تعالى هو هذه الحروف فلقوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ومعلوم ان المسموع ليس الا من هذه الحروف وأما انها قديمة فلان الكلام صفة الله تعالى ومن المحال قيام الحادث بالقديم وأيضا كل حادث متغير والتغير على ذات الله تعالى وصفاته محال وزعم قوم ان الكلام المؤلف من الحروف والاصوات يمتنع ان يكون قديما بالبديهة وكيف لا وانها أصوات تحدث عن قارئها شيأ بعد شيء فلو قلنا انها عين كلام الله تعالى لزمنا القول بان الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى وحالة في بدن هذا الانسان وهذا معلوم الفساد وجمع قوم بين المذهبين فقالوا الشيء وجود في الاعيان ووجود في الاذهان ووجود في العبارة ووجود في الكتابة فالقرآن وجود عيني وهو القائم بذات الله تعالى وانه قديم لا محالة لا يتطرق اليه شيء من سمات النقص ووجود ذهني كالحفاظ للقرآن ووجود في العبارة وهو على لسان القارئ ووجود كتابي وهو المثبت في المصاحف ولا ريب ان القرآن من حيثيات هذه الوجودات حادث بل القرآن انما يطلق على المحفوظ والمتلو والمكتوب بالمجاز من حيث انها دالة على الكلام القائم بذات الله تعالى واعلم انه لا برهان على ان كل صوت فانه يقوم بجسم ولا على ان كل حرف فانما يقدر عليه ذو جارحة بل لعل ذلك في الشاهد فقط فالكلام للقديم كمال قديم نطق وسمع و بصر ولا آلة ولا جارحة كما انه أدرك وعلم من غير ما قوى وعضو ومن لم يدركه كما ينبغي لم يدرك ادراكه كما ينبغي فلا يلومن الا نفسه كلامه كتاب وكتابه صواب وقوله فصل وحكمه عدل ونوره ظهور ووجوده شهود وعيانه بيان والكفر بما سواه ايمان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام *(المقدمة الحادية عشرة)* في كيفية استنباط المسائل

خصهم به دون من خذله من أهل الكفر به وأما ما خصهم به في الآخرة فكان به رحيما لهم دون الكافرين فيما وصفنا آنفا مما أعد لهم دون غيرهم من النعيم والكرامة التي تقصر عنها الاماني وأما القول الآخر في تأويله فهو ما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال الرحمن الفعلان من الرحمة وهو من كلام العرب قال الرحمن الرحيم الرقيق الرفيق بمن أحب ان يرحمه والبعيد الشديد على من أحب ان يعنف عليه العذاب وكذلك أسماؤه كلها وهذا التأويل من ابن عباس يدل على ان الذي به ربنا رحمن هو الذي هو به رحيم وان كان لقوله الرحمن من المعنى ما ليس لقوله الرحيم لانه جعل معنى الرحمن بمعنى الرقيق على من رق عليه ومعنى الرحيم بمعنى الرفيق بمن رفق به والقول الذي رويناه في تأويل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكرناه عن العزرمي أشبه بتأويله من هذا القول الذي رويناه عن ابن عباس وان كان هذا القول موافقا معناه معنى ذلك في ان للرحمن من المعنى ما ليس للرحيم وللرحيم تأويلا غير تأويل الرحمن والقول الثالث في تأويل ذلك ما حدثني به عمران بن بكار الكلاعي قال حدثنا يحيى بن صالح قال حدثنا أبو الازهر نصر بن عمرو اللخمي من أهل فلسطين قال سمعت عطاء الخراساني يقول كان الرحمن فلما اختزل الرحمن من اسمه كان الرحمن الرحيم والذي أراد ان شاء الله عطاء بقوله هذا ان الرحمن كان من أسماء الله التي لا يتسمى بها أحد من خلقه فلما تسمى به الكذاب مسيلمة وهو اختزاله اياه يعني اقتطاعه من أسمائه لنفسه أخبر الله جل ثناؤه ان اسمه الرحمن الرحيم ليفصل بذلك لعباده اسمه من اسم من قد تسمى باسمائه اذ كان لا يسمى أحد الرحمن الرحيم فيجمع له هذان الاسمان غيره جل ذكره وانما تسمى بعض خلقه اما رحيما أو يتسمى رحمن فاما رحمن رحيم فلم يجتمعا قط لاحد سواه ولا يجتمعان لاحد غيره وكأن معنى قول عطاء هذا ان الله جل ثناؤه انما فصل بتكرير الرحيم على الرحمن بين اسمه واسم غيره من خلقه اختلف معناهما أو اتفقا والذي قال عطاء من ذلك غير فاسد المعنى بل جائز ان يكون جل ثناؤه خص نفسه بالتسمية بهما معا مجتمعين ابانة لها من خلقه ليعرف عباده بذكرهما مجموعين انه المقصود بذكرهما دون من سواه من خلقه مع ما في تأويل كل واحد منهما من المعنى الذي ليس في الآخر منهما وقد زعم بعض أهل الغباء ان العرب كانت لا تعرف الرحمن ولم يكن ذلك في لغتها ولذلك قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا انكارا منهم لهذا الاسم كأنه كان محالا عندهم ان ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته أو كأنه لم يتل من كتاب الله قول الله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعني محمدا كما يعرفون أبناءهم وهم مع ذلك به مكذبون ولنبوته جاحدون فيعلم بذلك انهم قد كانوا يدافعون حقيقة ما قد ثبت عندهم صحته واستحكمت لديهم معرفته وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهلاء

الا ضربت تلك الفتاة هجينها * الا قضب الرحمن ربي يمينها

وقال سلامة بن جندل الطهوي

عجلتم علينا عجلتينا عليكم * وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق

وقد زعم أيضا بعض من ضعفت معرفته بتأويل أهل التأويل وقلت روايته لاقوال السلف من

الكثيرة من الالفاظ القليلة اذا شرعنا مثلا فى تفسير قول القائل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فههنا مباحث لفظية ومباحث معنوية أما اللفظية فمنها ما يتعلق بالقراءة ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بعلم الاشتقاق ومنها ما يتعلق بعلم الصرف ومنها ما يتعلق بالنحو ومنها ما يتعلق بعلم البديع أعنى المحسنات اللفظية وأما المعنوية فمنها ما يتعلق بالمعانى ومنها ما يتعلق بالبيان ومنها ما يتعلق بالاستدلال ومنها ما يتعلق باصول الدين ومنها ما يتعلق باصول الفقه ومنها ما يتعلق بالفقه ومنها ما يتعلق بعلم الاحوال أما القراءة فكما مر وأما اللغة فاذا قلنا العوذ معناه كذا واسم الله معناه كذا والشيطان كذا والرجيم كذا والباء واللام ومن معانيها ههنا كذا فكل واحد منها مسئلة وأما الاشتقاق فان اعتبرنا الاشتقاق الكبير وقلنا ان التراكيب الستة الممكنة من ع و ذ هل هى مستعملة أو مهملة وكذا كل من تراكيب أ ل ش ط ن أو ش ى ط ومن تراكيب ر ج م واذا كانت مستعملة فاصل المعنى فى كل من المستعملات كيف يعتبر فيحصل مسائل كثيرة وان اعتبرنا الاشتقاق الصغير فهل للعوذ معنى آخر غير الالتجاء وان كان فما به الاشتراك بينهما أى شئ هو فيحصل مسائل وأما الصرف فكان نقول أعوذ فعل مضارع متكلم وأصله أعوذ مثل أطلب نقلت الضمة من الواو الى ما قبلها تخفيفا والله الاله كالناس أصله الاناس فعال بمعنى مفعول نقلت الكسرة من الهمزة الى اللام وحذفت الهمزة للتخفيف فاجتمعت لامان فاسكنت الاولى وأدغمت فى الثانية وقالوا يا الله فى النداء خاصة بالقطع لانها كالعوض من المحذوفة فكانك قلت يا اله وقيل أصله لاه ألحقوا بها الالف واللام وأنشدوا * كحلفة من أبى رياح يسمعها * لاهه الكبار ولو عد هذه المسئلة من اللغة جاز لانها غير قياس والشيطان فعلان أو فيعال والرجيم فعيل بمعنى مفعول وكلاهما للمبالغة فهذه مسائل وأما النحو فاعوذ فعل فاعله ضمير المتكلم المستتر وهو انا والمجموع جملة فعلية وبالله متعلق به وكذا من الشيطان الرجيم نحو سرت من البصرة الى الكوفة والرجيم صفة الشيطان معرف مثله وشيطان منصرف لانه اسم جنس لا علم فهذه مسائل وأما البديع فان نقول انما اختير الرجيم دون اللعين أو المرجوم مثلا ليوافق الفاصلة الاخرى وهو الرجيم اذا ابتدأ القارئ بعد الاستعاذة بالبسملة وهو الاكثرى مع ان أول القرآن أيضا البسملة واعتبار

أهل التفسير ان الرحمن مجازه ذو الرحمة والرحيم مجازه الراحم ثم قال قد يقدرون اللفظين من لفظ والمعنى واحد وذلك لاتساع الكلام عندهم قال وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا ندمان ونديم ثم استشهد بقول برج بن مسهر الطائى

ونَدمان يزيد الكاس طيبا * سقيت وقد تغورت النجوم

واستشهد بأبيات نظائر له فى النديم والندمان ففرق بين معنى الرحمن والرحيم فى التأويل لقوله الرحمن ذو الرحمة والرحيم الراحم وان كان قد ترك بيان تأويل معنييهما على صحته ثم مثل ذلك باللفظين يأتيان بمعنى واحد فعاد الى ما قد جعله بمعنيين فجعله مثال ما هو بمعنى واحد مع اختلاف الالفاظ ولا شك ان ذا الرحمة هو الذى ثبت ان له الرحمة وصح انها له صفة وان الراحم هو الموصوف بانه سيرحم أو قد رحم فانقضى ذلك منه أو هو فيه ولا دلالة فيه حينئذ ان الرحمة له صفة كالدلالة على انها له صفة اذا وصفه بانه ذو الرحمة فاين معنى الرحمن الرحيم على تأويله من معنى الكلمتين يأتيان مقدمتين من لفظ واحد باختلاف الالفاظ واتفاق المعانى ولكن القول اذا كان على غير أصل معتمد عليه كان واضحا عواره وان قال لنا قائل ولم قدم اسم الله الذى هو الله على اسمه الذى هو الرحمن واسمه الذى هو الرحمن على اسمه الذى هو الرحيم قيل لان من شأن العرب اذا أرادوا الخبر عن مخبر عنه ان يقدموا اسمه ثم يتبعوه صفاته ونعوته وهذا هو الواجب فى الحكم ان يكون الاسم مقدما قبل نعته وصفته ليعلم السامع الخبر عمن الخبر فاذ كان ذلك كذلك وكان لله جل ذكره أسماء قد حرم على خلقه ان يتسموا بها خص بها نفسه دونهم وذلك مثل الله والرحمن والخالق وأسماء أباح لهم ان يسمى بعضهم بعضا بها وذلك كالرحيم والسميع والبصير والكريم وما أشبه ذلك من الاسماء كان الواجب ان يقدم أسماءه التى هى له خاصة دون جميع خلقه ليعرف السامع ذلك من توجه اليه الخبر والتمجيد ثم يتبع ذلك باسمائه التى قد تسمى بها غيره بعد علم المخاطب أو السامع من توجه اليه ما يتلو ذلك من المعانى فبدأ الله جل ذكره باسمه الذى هو الله لان الالوهية ليست لغيره جل ثناؤه بوجه من الوجوه لا من جهة التسمى به ولا من جهة المعنى وذلك انا قد بينا ان معنى الله هو المعبود ولا معبود غيره جل جلاله وان التسمى به قد حرمه الله جل ثناؤه وان قصد المتسمى به ما يقصد المتسمى بسعيد وهو شقى وبحسن وهو قبيح أولا ترى ان الله جل جلاله قال فى غير آية من كتابه أإله مع الله فاستكبر ذلك من المقر به وقال فى خصوصية نفسه بالله وبالرحمن قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ثم ثنى باسمه الذى هو الرحمن اذ كان قد منع بعض خلقه التسمى به وان كان من خلقه من قد يستحق تسميته ببعض معانيه وذلك انه قد يجوز وصف كثير ممن هو دون الله من خلقه ببعض صفات الرحمة وغير جائز ان يستحق بعض الالوهية أحد دونه فلذلك جاء الرحمن ثانيا لاسمه الذى هو الله وأما اسمه الذى هو الرحيم فقد ذكرنا انه مما هو جائز وصف غيره به والرحمة من صفاته جل ذكره فكان اذ كان الامر على ما وصفنا واقعا مواقع نعوت الاسماء اللواتى هن توابعها بعد تقدم الاسماء عليها فهذا وجه تقديم اسم الله الذى هو الله على اسمه الذى هو الرحمن واسمه الذى هو الرحمن على اسمه الذى هو الرحيم وقد كان الحسن البصرى يقول فى الرحمن مثل ما قلنا انه من

اسماء

[illegible] وأما المعانى فان تقول انما اختير المضارع على الماضى ليدل على الاستمرار والدوام أى
شأنى انى أعوذ كقولك يشرب الخطيب وانما لم يقل أنا أعوذ أو أنا عائذ وان كانت الجملة الاسمية تدل على الثبات لان المراد انى على تجدد وهذا
القول منى لحظة فلحظة ثابت مستمر لان عوذى مستمر وانما لم يقل بالله أعوذ ليفيد الحصر كما يقال فى بسم الله ابتدئ لان الاستعاذة ههنا
أهم امتثالا للامر ولانه لا يعوذ الا بالانقطاع عن الغير والتبرى عن سوى الحق جل ذكره فلا حاجة الى التخصيص
ولانه موافق لما ورد فى القرآن
فاستعذ بالله وانما اختير اسم الله
لانه كالعلم والمقام مقام احضاره
فى ذهن السامع بعينه ليكون أدل
على انقطاعه عما سواه وانما ذكر
الشيطان معرفا باللام الجنسى
ليدل على هذه الحقيقة التى هى مادة
كل شر ويشمل كل فرد منها ضرورة
وجود الحقيقة فى أى فرد يفرض
ولو أريد العهد أيضا جاز كما مر ولو
نكرت بان قلت من شيطان رجيم
لم يفد العموم وان قلت من كل
شيطان لاطلت والمقام مقام
اختصار وانما وصف بالرجيم
لان المقام مقام تأكيد وذم ولا ذم
أبلغ من البعد عن حضرة من هو
منشأ كل كمال ومصدر كل خير
وأما البيان فان قوله أعوذ معناه
التصق ولا ريب ان الالتصاق بالله
محال لان ذلك من شان الاجسام
والمراد التصق برحمة الله وفضله فهو
اذن مجاز لغوى وفى نفس الالتصاق
أيضا بعد تقدير الرحمة تجوز بعيد
على ما لا يخفى ولو أريد بالشيطان
شيطان الانس أيضا ويثبت كون
اللفظ موضوعا لشيطان الجن
فقط كان استعارة واذا قدرنا
الاستعاذة من شر الشيطان كما مر
كان مجازا بالنقصان أيضا وأما
ما يتعلق بالاستدلال فاما من جهة
التصور واما من جهة التصديق
اما الاول فنحو كيفية اقتناص التصورات الواقعة فى التركيب من مفهوم العوذ ومفهوم اسم الله ومفهوم الشيطان ومفهوم الرجيم وان
كلا منها كيف يعرف بالحد أو الرسم فان عرف بالحد فكيف يرتب جنسه وفصله وان عرف بالرسم فكيف يركب لوازمه وأما معرفة الجنس
والفصل واللوازم انفسها لكل منها فمن الامور العامة وأما الثانى فان قولنا أعوذ لفظه خبر ومعناه اما دعاء أى اللهم أعذنى واما انشاء نحو
بعت واشتريت واذا كان كل فلا يتطرق اليه احتمال الصدق والكذب فلا يحتاج الى البرهان على أحدهما واستعمال الخبر فى معنى

أسماء الله التى منع التسمى بها العباده حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا حماد بن مسعدة عن
عوف عن الحسن قال الرحمن اسم ممنوع مع ان فى اجماع الامة من منع التسمى به جميع الناس
ما يغنى عن الاستشهاد على صحة ما قلنا فى ذلك بقول الحسن وغيره ﴿القول فى تأويل فاتحة الكتاب﴾
﴿قال أبو جعفر معنى (الحمد لله) الشكر خالصا لله جل ثناؤه دون سائر ما يعبد من دونه ودون كل
ما برى من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التى لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد فى تصحيح
الآلات لطاعته وتمكين جوارح أجسام المكلفين لاداء فرائضه مع ما بسط لهم فى دنياهم من الرزق
وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم لذلك عليه ومع ما نبههم عليه ودعاهم اليه من
الاسباب المؤدية الى دوام الخلود فى دار المقام فى النعيم المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرا وبما
ذكرنا من تأويل قول ربنا جل ذكره وتقدست أسماؤه الحمد لله جاء الخبر عن ابن عباس وغيره
حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق
عن الضحاك عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد قل يا محمد الحمد لله قال ابن عباس الحمد لله هو الشكر
والاستخذاء لله والاقرار بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك وحدثنى سعيد بن عمرو السكرى
قال حدثنا بقية بن الوليد قال حدثنى عيسى بن ابراهيم عن موسى بن أبى حبيب عن الحكم بن عمير
وكانت له صحبة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك
قال وقد قيل ان قول القائل الحمد لله ثناء على الله باسمائه وصفاته الحسنى وقوله الشكر لله ثناء
عليه بنعمه وأياديه وقد روى عن كعب الاحبار انه قال الحمد لله ثناء على الله ولم يبين فى الرواية عنه
من أى معنى الثناء الذى ذكرنا ذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى الصدفى قال أنبأنا ابن وهب قال
حدثنى عمر بن محمد عن سهيل عن أبى صالح عن أبيه قال أخبرنى السلولى عن كعب قال من قال الحمد
لله فذلك ثناء على الله وحدثنى على بن الحسن الخراز قال حدثنا مسلم بن عبد الرحمن الجرمى قال
حدثنا محمد بن مصعب القرقسانى عن مبارك بن فضالة عن الحسن عن الاسود بن سريع ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ أحب اليه الحمد من الله ولذلك أثنى على نفسه فقال الحمد لله ﴿قال
أبو جعفر ولا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحكم لقول القائل الحمد لله شكرا بالصحة فقد
تبين اذ كان ذلك عند جميعهم صحيحا ان الحمد لله قد ينطق به فى موضع الشكر وان الشكر قد
يوضع موضع الحمد لان ذلك لو لم يكن كذلك لما جاز ان يقال الحمد لله شكرا فيخرج من قول القائل
الحمد لله مصدرا اشكر لان الشكر لو لم يكن بمعنى الحمد كان خطأ ان يصدر من الحمد غير معناه وغير
لفظه فان قال لنا قائل وما وجه ادخال الالف واللام فى الحمد وهلا قيل حمدا لله رب العالمين قيل ان
لدخول الالف واللام فى الحمد معنى لا يؤديه قول القائل حمدا باسقاط الالف واللام وذلك ان
دخولهما فى الحمد مبنى على ان معناه جميع المحامد والشكر الكامل لله ولو أسقطا منه ما دل الا على
ان حمد قائل ذلك لله دون المحامد كلها اذ كان معنى قول القائل حمد الله أو حمد الله أو حمدا لله حمدا
وليس التأويل الحمد لله رب العالمين تاليا سورة أم القرآن أحمد الله بل التأويل فى ذلك ما وصفنا قبل
من ان جميع المحامد لله بالوهيته وانعامه على خلقه بما أنعم به عليهم من النعم التى لا كفء لها فى الدين

والدنيا والعاجل والآجل ولذلك من المعنى تتابعت قراءة القراء وعلماء الامة على رفع الحمد من الحمد لله رب العالمين دون نصبها الذي يؤدي الى الدلالة على ان معنى تاليه كذلك أحمد الله حمدا ولو قرأ قارئ ذلك بالنصب لكان عندي محيلا معناه ومستحقا العقوبة على قراءته اياه كذلك اذا تعمد قراءته كذلك وهو عالم بخطئه وفساد تأويله فان قال لنا قائل وما معنى قوله الحمد لله أحمد الله نفسه جل ثناؤه فأثنى عليها ثم علمناه لنقول ذلك كما قال ووصف به نفسه فان كان ذلك كذلك فما وجه قوله تعالى ذكره اياك نعبد واياك نستعين وهو عز ذكره معبود لا عابد أم ذلك من قيل جبريل أو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بطل ان يكون ذلك لله كلاما قيل بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه ولكنه جل ذكره حمد نفسه وأثنى عليها بما هو له أهل ثم علم ذلك عباده وفرض عليهم تلاوته اختبارا منه لهم وابتلاء فقال لهم قولوا الحمد لله رب العالمين وقولوا اياك نعبد واياك نستعين فقوله اياك نعبد مما علمهم جل ذكره ان يقولوه ويدينوا له بمعناه وذلك موصول بقوله الحمد لله رب العالمين وكأنه قال قولوا هذا وهذا فان قال وأين قوله قولوا فيكون تأويل ذلك ما ادعيت قيل قد دللنا فيما مضى ان العرب من شأنها اذا عرفت مكان الكلمة ولم تشك ان سامعها يعرف بما أظهرت من منطقها ما حذفت حذف ما كفى منه الظاهر من منطقها ولا سيما ان كانت تلك الكلمة التي حذفت قولا أو تأويل قول كما قال الشاعر

واعلم انني سأكون رمسا * اذا سار النواعج لا يسير
فقال السائلون لمن حفرتم * فقال المخبرون لهم وزير

۞ قال أبو جعفر فقال المخبرون لهم الميت وزير فأسقط الميت اذ كان قد أتى من الكلام بما يدل على ذلك وكذلك قول الآخر

ورأيت زوجك في الوغا * متقلدا سيفا ورمحا

وقد علم ان الرمح لا يتقلد وانما أراد وحاملا رمحا ولكن لما كان معلوما معناه اكتفى بما قد ظهر من كلامه عن اظهار ما حذف منه وقد يقولون للمسافر اذا ودعوه مصاحبا معافى يحذفون سر واخرج اذ كان معلوما معناه وان أسقط ذكره فكذلك ما حذف من قول الله تعالى ذكره الحمد لله رب العالمين لما علم بقوله جل وعز اياك نعبد ما أراد بقوله الحمد لله رب العالمين من معنى تأويل أمره عباده أغنت دلالة ما ظهر عليه من القول عن ابداء ما حذف وقد روينا الخبر الذي قدمنا ذكره مبتدأ في تنزيل قول الله الحمد لله رب العالمين وبينا ان جبريل انما علم محمدا صلى الله عليه وسلم لما أمر بتعليمه اياه وهذا الخبر ينبئ عن صحة ما قلنا في تأويل ذلك ۞ القول في تأويل قول الله (رب)

قال أبو جعفر قد مضى البيان عن تأويل اسم الله الذي هو الله في بسم الله فلا حاجة بنا الى تكراره في هذا الموضع وأما تأويل قوله رب فان الرب في كلام العرب متصرف على معان فالسيد المطاع فيهم يدعى ربا ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة

وأهلكن يوما رب كندة وابنه * ورب معد بين خبت وعرعر

يعني رب كندة سيد كندة ومنه قول نابغة بني ذبيان

الطلب من مسائل علم المعاني أيضا وأما ما يتعلق بأصول الدين فان يعلم ذات الله تعالى وصفاته من انه قادر مختار عليم الى غير ذلك من الصفات التي بها يتمكن المستعاذ به من دفع المضار والشرور وعن المستعيذ بحيث لا يمنعه مانع ولا يغلبه منازع وتصور الشيطان ولوازمه وكيفية وسوسته بنحو مما سبق في المقدمة الثانية وأما ما يتعلق بأصول الفقه فان يعرف ان الاستعاذة الواردة في الكتاب والسنة واجبة أم لا بل مندوبة وان كانت واجبة فتتكرر بتكرر القراءة أم لا وانه يقتضي الفور أو يحتمل التراخي وأما ما يتعلق بالفقه فانها تستحب في الصلاة أم لا وان استحب فيجوز في المكتوبة أم لا وان جازت ففي كل ركعة أم في الاولى وحدها ويسر بها أم يجهر وأما ما يتعلق بعلم الاحوال فكالنكت التي زينا بها المقدمة الثانية وانها لا تكاد تنحصر فهكذا يجب ان نستنبط المسائل من كل كلام يراد تفسيره من غير ان يتخطى في شيء من ذلك الى ما ليس من العلم كان تقول في كل قراءة الاستعاذة والقرآت المشهورة سبع هي كذا وكذا ورواة كل قراءة من هم وما منشأ كل قراءة وفي اللغات واضعها من هو وكيف نشأت اللغات وما معنى الاشتقاق وما فائدته وفي الصرف انه معرفة أحوال الكلم التي ليست باعراب ومن جملة الاحوال صيغة المضارع وما معناها وما حد الفعل والكلمة الى غير ذلك من قواعد الصرف بل ما فوق ذلك من مباحث الحرف والصوت بل مقولة الكيف وفي النحو ان التركيب مشتمل على الاسم والفعل والحرف والاسم معرب منصرف وغير منصرف ومبني وما سبب الاعراب والبناء والصرف ومنع الصرف وأنواع الاعراب كم هي وكل منها يختص بأي شيء من الفاعل والمفعول والمضاف اليه ولم يختص بكل صنف ما يختص وأصناف الفعل كم هي وأصناف الحرف كم هي ولا سيما حروف الجر وما معنا كل منها الى غير ذلك وبالجملة فن كل علم يوجد نكت مخصوصة بهذه المادة يلزمنا ايرادها فقط اذ لو تعدينا الى ما فوق ذلك من القواعد والقوانين لزم ايراد كل العلوم أو أكثرها في تفسير كلام واحد وانه محال شنيع اذ يلزم تداخل العلوم واضطراب القوانين وأيضا لو فسر الشيطان الرجيم بما يلزمه من أنواع الضلالات والجهالات والعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة في الملة الاسلامية وغيرها أو فسر بما هو مباين عنه كأنواع الآفات وأصناف

الخلافات حتى يلزم تكثير المسائل لم يخل عن التعسف والاغنات ومن ارتكب شيأ من ذلك فقد نطق بالخلف وزاغ عن الجادة وانحرف عن سواء السبيل نعم لو أورد طرف من الاصطلاحات أو المسائل على سبيل التصدير من غير اشارة الى مآخذها الاصلية ودلائلها الكلية الا نادرا جاز مالم يتجاوز حد الضرورة ومقدار الواجب كما أشرنا اليها فى المقدمات وقد بقى مما يمكن ان يعد من المقدمات ذكر ابتداء الوحى وكيفية نزول القرآن شيأ بعد شئ وبيان كيفية اعجاز القرآن ونحن قد رأينا الاليق بها ايرادها فى مواضعها اذا أفضت النوبة اليها فلنشرع الآن فى المقصود وهو التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان والله المستعان وعليه التكلان

(سورة الفاتحة وهى سبع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) القراآت مالك بالالف سهل ويعقوب وعاصم وعلى وخلف والباقون ملك الرحيم ملك مدغما أبو عمرو وكذلك يدغم كل حرفين التقيا من كلمتين اذا كانا من جنس واحد مثل قال لهم أو مخرج واحد مثل ولتات طائفة أو قريبى المخرج مثل خلقكم ولقد جاءكم سواء كان الحرف المدغم ساكنا مثل أنبتت سبع سنابل ويسمى بالادغام الصغير أو متحركا فاسكن للادغام مثل قيل لهم ولذهب بسمعهم ويسمى بالادغام الكبير الا ان يكون مضاعفا نحو أحل لكم ومس سقرا ومنقوصا مثل وما كنت ترجو وكنت ترابا ونعنى الاجوف المحذوف العين أو مفتوحا قبله ساكن مثل البحر لتاكلوا والحمير لتركبوها الا فى مواضع أربعة كاد تزيغ وقال رب كل القرآن والصلاة طرفى النهار وبعد توكيدها ويكون الاظهار أخف من الادغام نحو أفانت تهدى أفانت تسمع وعن يعقوب ادغام الجنسين فى جميع القرآن اذا التقيا من كلمتين الصراط باشمام الزاى ههنا وفى جميع القرآن حمزة وعن يعقوب بالسين فى كل القرآن وعن الكسائى باشمام السين كل القرآن والباقون بالصاد عليهم واليهم ولديهم بضم الهاآت كل القرآن حمزة وسهل ويعقوب يضم كل ميم جمع ويصلها ابن كثير ونافع غير ورش بضم الميم عند ألف القطع نحو ءأنذرتهم أم الوقوف العالمين (لا) لاتصال

تخب الى النعمان حتى تناله * فدى لك من رب تليدى وطارفى

والرجل المصلح للشئ يدعى ربا ومنه قول الفرزدق بن غالب

كانوا كسالئة حمقاء اذ حقنت * سلاءها فى أديم غير مربوب

يعنى بذلك فى أديم غير مصلح ومن ذلك قيل ان فلانا يرب صنعته عند فلان اذا كان يحاول اتمامها واداءها ومن ذلك قول علقمة بن عبدة

فكنت امرأ أفضت اليك ربابتى * وقبلك ربتنى فضعت ربوب

يعنى بقوله أفضت اليك أى وصلت اليك ربابتى فصرت أنت الذى ترب أمرى فتصلحه لما خرجت من ربابة غيرك من الملوك الذين كانوا قبلك على فضيعوا أمرى وتركوا تفقده وهم الربوب واحدهم رب والمالك للشئ يدعى ربه وقد يتصرف أيضا معنى الرب فى وجوه غير ذلك غير انها تعود الى بعض هذه الوجوه الثلاثة فربنا جل ثناؤه السيد الذى لا شبه له ولا مثل فى سودده والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه والمالك الذى له الخلق والامر وبالذى قلنا فى تاويل قوله جل ثناؤه رب العالمين جاءت الرواية عن ابن عباس **حدثنا** أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد يا محمد قل الحمد لله رب العالمين قال ابن عباس يقول قل الحمد لله الذى له الخلق كله السموات كلهن ومن فيهن والارض كلهن ومن فيهن وما بينهن مما يعلم ومما لا يعلم يقول اعلم يا محمد ان ربك هذا لا يشبهه شئ

❁ القول فى تاويل قوله (العالمين) قال أبو جعفر والعالمون جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالانام والرهط والجيش ونحو ذلك من الاسماء التى هى موضوعات على جماع لا واحد له من لفظه والعالم اسم لاصناف الامم وكل صنف منها عالم وأهل كل قرن من كل صنف منها عالم ذلك القرن وذلك الزمان فالانس عالم وكل أهل زمان منهم عالم ذلك الزمان والجن عالم وكذلك سائر أجناس الخلق كل جنس منها عالم زمانه ولذلك جمع فقيل عالمون وواحده جمع لكون عالم كل زمان من ذلك عالم ذلك الزمان ومن ذلك قول العجاج * فخندف هامة هذا العالم * فجعلهم عالم زمانه وهذا القول الذى قلناه قول ابن عباس وسعيد بن جبير وهو معنى قول عامة المفسرين **حدثنا** أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس الحمد لله رب العالمين الحمد لله الذى له الخلق كله السموات والارض ومن فيهن وما بينهن مما يعلم ولا يعلم **وحدثنى** محمد بن سنان القزاز قال حدثنا أبو عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس رب العالمين الجن والانس **وحدثنى** على بن الحسن قال حدثنا مسلم بن عبد الرحمن قال حدثنا مصعب عن قيس بن الربيع عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قول الله جل وعز رب العالمين قال رب الجن والانس **وحدثنا** أحمد بن اسحق بن عيسى الاهوازى قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قوله رب العالمين قال الجن والانس **وحدثنى** أحمد بن عبد الرحيم البرقى قال حدثنى ابن أبى مريم عن ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير رب العالمين قال ابن آدم والجن والانس كل أمة منهم عالم على

الصفة بالموصوف الرحيم (لا) لذلك الدين (ط) العدول عن الغائب الى المخاطب نستعين (ط ه) لابتداء الدعاء المستقيم (لا) لاتصال البدل بالمبدل أنعمت عليهم (لا) لاتصال البدل أو الصفة الضالين (ه) التفسير روى عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد أخطأ وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار فذكر العلماء ان النهى عن تفسير القرآن بالرأى لا يخلو اما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط أو المراد به امر آخر وباطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم أحد فى القرآن الا بما سمعه فان الصحابة رضى الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا فى تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه كيف وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك وانما النهى يحمل على وجهين أحدهما ان يكون له فى الشئ رأى واليه ميل من طبعه وهواه فيؤول القرآن على وفق هواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا قد يكون مع العلم بان المراد من الآية ليس ذلك ولكن يلبس على خصمه وقد يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذى يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برأيه وهواه ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وقد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما أريد به كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسى فيقول المراد بفرعون فى قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى هو النفس * الوجه الثانى ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فالنقل والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير أولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع للتفهيم والاستنباط والغرائب التى لا تفهم الا بالسماع كثيرة كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن المراد ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وما يدرى بما ظلموا وانهم ظلموا غيرهم أو

حدثه وحدثنى محمد بن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن مجاهد الحمد لله رب العالمين قال الانس والجن وحدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى عن سفيان عن رجل عن مجاهد مثله وحدثنا بشر بن معاذ العقدى قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة رب العالمين قال كل صنف عالم وحدثنى أحمد بن حازم الغفارى قال حدثنا عبيد الله بن موسى عن أبى جعفر عن ربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله رب العالمين قال الانس عالم والجن عالم وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم أو أربعة عشر ألف عالم هو يشك من الملائكة على الارض وللارض أربع زوايا فى كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته وحدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنا حجاج عن ابن جريج فى قوله رب العالمين قال الجن والانس ۞ القول فى قوله (الرحمن الرحيم) قال أبو جعفر قد مضى البيان عن تاويل قوله الرحمن الرحيم فى تاويل بسم الله الرحمن الرحيم فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع ولم يحتج الى الابانة عن وجه تكرير الله ذلك فى هذا الموضع اذ كنا لا نرى ان بسم الله الرحمن الرحيم من فاتحة الكتاب آية فيكون علينا لسائل مسئلة بان يقول ما وجه تكرير ذلك فى هذا الموضع وقد مضى وصف الله عز وجل به نفسه فى قوله بسم الله الرحمن الرحيم مع قرب مكان احدى الآيتين من الاخرى ومجاورتها صاحبتها بل ذلك لنا حجة على خطأ دعوى من ادعى ان بسم الله الرحمن الرحيم من فاتحة الكتاب آية اذ لو كان ذلك كذلك لكان ذلك اعادة آية بمعنى واحد ولفظ واحد مرتين من غير فصل يفصل بينهما وغير موجود فى شئ من كتاب الله آيتان متجاورتان مكررتان بلفظ واحد ومعنى واحد لا فصل بينهما من كلام يخالف معناهما معناهما وانما يأتى تكرير آية بكمالها فى السورة الواحدة مع فصول تفصل بين ذلك وكلام يعترض به غير معنى الآيات المكررات وغير ألفاظها ولا فاصل بين قول الله تبارك وتعالى اسمه الرحمن الرحيم من بسم الله الرحمن الرحيم وقول الله الرحمن الرحيم من الحمد لله رب العالمين فان قال قائل فان الحمد لله رب العالمين فاصل بين ذلك قيل قد أنكر ذلك جماعة من أهل التاويل وقالوا ان ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم وانما هو الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين ملك يوم الدين واستشهدوا على صحة ما ادعوا من ذلك بقوله ملك يوم الدين فقالوا ان قوله ملك يوم الدين تعليم من الله عبده ان يصفه بالملك فى قراءة من قرأ ملك وبالملك فى قراءة من قرأ مالك قالوا فالذى هو أولى ان يكون مجاور وصفه بالملك أو الملك ما كان نظير ذلك من الوصف وذلك هو قول رب العالمين الذى هو خبر عن ملكه جميع أجناس الخلق وان يكون مجاور وصفه بالعظمة والالوهة ما كان له نظيرا فى المعنى من البناء عليه وذلك قوله الرحمن الرحيم فزعموا ان ذلك لهم دليل على ان قوله الرحمن الرحيم بمعنى التقديم قبل رب العالمين وان كان فى الظاهر مؤخرا وقالوا فى نظائر ذلك من التقديم ثم الذى هو بمعنى التأخير والمؤخر الذى هو بمعنى التقديم فى كلام العرب أفشى وفى منطقها أكثر من ان يحصى من ذلك قول جرير بن عطية

طاف الخيال وأين منك لماما * فارجع لزورك بالسلام سلاما

بمعنى طاف الخيال لماما وأين هو منك وكما قال جل ثناؤه فى كتابه الحمد لله الذى أنزل على عبده

الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما أي قيما ولم يجعل له عوجا وما أشبه ذلك ففي ذلك دليل شاهد على صحة قول من أنكر أن تكون بسم الله الرحمن الرحيم من فاتحة الكتاب آية ۞ القول في تأويل (مالك يوم الدين)

۞ قال أبو جعفر القراء مختلفة في تلاوة ملك يوم الدين فبعضهم يتلو مالك يوم الدين وبعضهم يتلو ملك يوم الدين وبعضهم يتلو مالك يوم الدين بنصب الكاف وقد استقصينا حكاية الرواية عمن روي عنه في ذلك قراءة في كتاب القراآت وأخبرنا بالذي نختار من القراءة فيه والعلة الموجبة صحة ما اخترنا من القراءة فيه فكرهنا اعادة ذلك في هذا الموضع اذ كان الذي قصدنا له في كتابنا هذا البيان عن وجوه تأويل آي القرآن دون وجوه قراءتها ولا خلاف بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب ان الملك من الملك مشتق وان المالك من الملك مأخوذ فتأويل قراءة من قرأ ذلك ملك يوم الدين ان لله الملك يوم الدين خالصا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكا جبابرة ينازعونه الملك ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصغرة الأذلة وان له دونهم ودون غيرهم الملك والكبرياء والعزة والبهاء كما قال جل ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيله يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فأخبر انه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم الى ذلة وصغار ومن دنياهم في المعاد الى خسار وأما تأويل قراءة من قرأ مالك يوم الدين فما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس مالك يوم الدين يقول لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكما كملكهم في الدنيا ثم قال لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا وقال وخشعت الأصوات للرحمن وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ۞ قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالآية وأصح القراءتين في التلاوة عندي التأويل الأول وقراءة من قرأ ملك بمعنى الملك لأن في الاقرار له بالانفراد بالملك ايجابا لانفراده بالملك وفضيلة زيادة الملك على المالك اذ كان معلوما ان لا ملك الا وهو مالك وقد يكون المالك لا ملكا وبعد فان الله جل ذكره قد أخبر عباده في الآية التي قبل قوله ملك يوم الدين انه مالك جميع العالمين وسيدهم ومصلحهم والناظر لهم والرحيم بهم في الدنيا والآخرة بقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم فاذ كان جل ذكره قد أنبأهم عن ملكه اياهم كذلك بقوله رب العالمين فأولى الصفات من صفاته جل ذكره أن يتبع ذلك ما لم يحوه قوله رب العالمين الرحمن الرحيم مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة اذ كانت حكمته الحكمة التي لا تشبهها حكمة وكان في اعادة وصفه جل ذكره بأنه مالك يوم الدين اعادة ما قد مضى من وصفه به في قوله رب العالمين مع تقارب الآيتين وتجاور الصفتين وكان في اعادة ذلك تكرار ألفاظ مختلفة بمعان متفقة لا تفيد سامع ما كرر منه فائدة به اليها حاجة والذي لم يحوه من صفاته جل ذكره ما قبل قوله مالك يوم الدين المعنى الذي في قوله ملك يوم الدين وهو وصفه بأنه الملك فبين اذا أن أولى القراءتين بالصواب وأحق التأويلين بالكتاب قراءة من قرأه ملك يوم الدين بمعنى اخلاص الملك له يوم الدين دون قراءة من قرأ مالك يوم الدين بمعنى أنه يملك الحكم بينهم وفصل القضاء متفردا به دون سائر خلقه فان ظن ظان ان قوله رب العالمين نبأ عن ملكه اياهم في الدنيا

التفسير وما عداهذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه مادام على قوانين العلوم العربية والقواعد الأصلية والفرعية واعلم ان مقتضى الديانة ان لا يؤول المسلم شيأ من القرآن والحديث بالمعاني بحيث تبطل له الاعيان التي فسرها النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها ولكنه يجب ان يثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها حقائق أخرى ورموزا ولطائف بحسب ما كوشف فلا بأس فان الله تعالى ما خلق شيأ في عالم الصورة الا وله نظير في عالم المعنى وما خلق شيأ في عالم المعنى وهو الآخرة الا وله حقيقة في عالم الحق وهو غيب الغيب وما خلق في العالمين شيأ الا وله انموذج في عالم الانسان والله تعالى أعلم والتفسير أصله الكشف والاظهار وكذلك سائر تقاليبه من ذلك سفرت المرأة كشفت عن وجهها والسفر لانه يكشف به عن وجوه الحوائج ومنه السرف لانه يكشف به عن ماله حينئذ والرفس لانه يكشف عن عضوه وانكشاف حال المقيد في رسغانه واضح فمن التفسير ما يتعلق باللغة ومنه ما يتعلق بالصرف او النحو أو المعاني أو البيان الى غير ذلك من العلوم كما اشرنا الى ذلك في آخر المقدمة العاشرة ومنه أسباب النزول وذكر القصص والاخبار وغير ذلك ونحن على ان نورد بعد القرآن مع الترجمة القراءة ثم الوقوف منه ثم أسباب النزول ثم التفسير الشامل لجميع ذلك ثم التأويل ان كان ولم نذكره في التفسير ونذكر منه ما هو اقرب الى الامكان والله المستعان فنشتغل بتفسير الفاتحة فنقول في البسملة مسائل الاولى الجار والمجرور لا بد له من متعلق وليس بمذكور فيكون مقدرا وانه يكون فعلا أو اسما فيه رائحة الفعل وعلى التقديرين فاما ان يقدر مقدما أو مؤخرا نحو أبدأ بسم الله أو ابتدائي بسم الله أو بسم الله ابتدئ أو الابتداء وتقدير الفعل أولى من تقدير الاسم لان كل فاعل يبدأ في فعله باسم الله يكون مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له فيكون المراد ان انشاء ذلك الفعل انما هو على اسم الله فيقدر ههنا بسم الله اقرأ أو أتلو وبدأ لان الذي يتلوا التسمية مقروء ومبدوء به كما أن المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله متبركا كان المعنى بسم الله أحل أو أرتحل وكذلك الذابح ونظيره في حذف متعلق الجار قولهم في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين أي بالرفاء أعرست وتقدير

المحذوف متأخراً أولى على نحو قوله تعالى بسم الله مجريها ومرساها لان تقديم ذكر الله أدخل في التعظيم ولان ما هو السابق في الوجود يستحق السبق في الذكر ولهذا قال المحققون ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله تعالى قبله ولأنهم كانوا يبدؤن بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما في اياك نعبد صرح بتقديم الاسم لإرادة الاختصاص قال في الكشاف وانما قدم الفعل في اقرأ باسم ربك لأن تقديم الفعل هناك أوقع لانها أول سورة نزلت

دون الآخرة فوجب وصله بالنبأ عن نفسه انه قد ملكهم في الآخرة على نحو ملكه اياهم في الدنيا بقوله مالك يوم الدين فقد أغفل وظن خطأ وذلك انه لو جاز لظان ان يظن ان قوله رب العالمين محصور معناه على الخبر عن ربوبية عالم الدنيا دون الآخرة مع عدم الدلالة على ان معنى ذلك كذلك في ظاهر التنزيل أو في خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم به منقول أو بحجة موجودة في العقول لجاز لآخر ان يظن ان ذلك محصور على عالم الزمان الذي فيه نزل قوله رب العالمين دون سائر ما يحدث بعده في الازمنة الحادثة من العالمين اذ كان صحيحا بما قد قدمنا من البيان ان عالم كل زمان غير عالم الزمان الذي بعده فان غبي عن علم صحة ذلك بما قد قدمنا ذو غباء فان في قول الله جل ثناؤه ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين دلالة واضحة على ان عالم كل زمان غير عالم الزمان الذي كان قبله وعالم الزمان الذي بعده اذ كان الله جل ثناؤه قد فضل أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الامم الخالية وأخبرهم بذلك في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية فمعلوم بذلك ان بني اسرائيل في عصر نبينا لم يكونوا مع تكذيبهم به صلى الله عليه وسلم أفضل العالمين بل كان أفضل العالمين في ذلك العصر وبعده الى قيام الساعة المؤمنون به المتبعون منهاجه دون من سواهم من الامم المكذبة الضالة عن منهاجه فاذ كان بينا فساد تأويل متأول لو تأول قوله رب العالمين انه معني به ان الله رب عالم زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون عالمي سائر الازمنة غيره كان واضحا فساد قول من زعم ان تأويله رب عالم الدنيا دون عالم الآخرة وان مالك يوم الدين استحق الوصل به ليعلم انه في الآخرة من ملكهم وربوبيتهم بمثل الذي كان عليه في الدنيا ويسئل زاعم ذلك الفرق بينه وبين متحكم مثله في تأويل قوله رب العالمين تحكم فقال انه انما عني بذلك انه رب عالم زمان محمد دون عالمي غيره من الازمان الماضية قبله والحادثة بعده كالذي زعم هذا القول انه عني به عالم الدنيا دون عالم الآخرة من أصل أو دلالة فلن يقول في أحدهما شيئاً الا ألزم في الآخر مثله وأما الزاعم ان تأويل قوله مالك يوم الدين انه الذي يملك اقامة يوم الدين فان الذي ألزمنا قائل القول الذي قبله له لازم اذ كانت اقامة القيامة انما هي اعادة الخلق الذين قد بادوا لهيآتهم التي كانوا عليها قبل الهلاك في الدار التي أعد الله لهم فيها ما أعد وهم العالمون الذين قد أخبر جل ذكره عنهم انه ربهم في قوله رب العالمين * وأما تأويل ذلك في قراءة من قرأ مالك يوم الدين فانه أراد يا مالك يوم الدين فنصبه بنية النداء والدعاء كما قال جل ثناؤه يوسف أعرض عن هذا بتأويل يا يوسف أعرض عن هذا وكما قال الشاعر من بني أسد وهو شعر فيما يقال لجاهلي

ان كنت ان تسمى بها كذبا * جز فلاقيت مثلها عجلا

يريد يا جز وكما قال الآخر

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها * بني شاب قرناها تصر وتحلب

يريد يا بني شاب قرناها وانما أورطه في قراءة ذلك بنصب الكاف من مالك على المعنى الذي وصفت حيرته في توجيه قوله اياك نعبد واياك نستعين وجهته مع جر مالك يوم الدين وخفضت ٧ فظن انه لا يصح معنى ذلك بعد جر مالك يوم الدين فنصب مالك يوم الدين ليكون اياك نعبد واياك نستعين ولو كان علم

٧ هكذا بالاصل ولعله لاداعي اليه اهـ مصححه

وكان الامر بالقراءة أهم قال صاحب المفتاح الصواب ان يقال معنى اقرأ أوجد القراءة ثم يكون باسم ربك متعلقاً باقرأ الثاني وذكر في معنى تعلق اسم الله بالقراءة وجهان اما تعلق الكتبة بالقلم في قولك كتبت بالقلم كأن فعله لا يجيء معتداً به شرعاً الا بعد تصديره بذكره قال صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر واما تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن أي متبركا باسم الله اقرأ كما في قوله بالرفاء والبنين أي أعرست متلبسا بالرفاء وهذا أعرب وأحسن أما كونه أدخل في العربية فلانه لا يعرفه الا من له دربة بفنون الاستعمالات بخلاف الاول فانه مبتذل واما كونه أحسن فلان جعل اسم الله كالآلة خروج عن الادب لان الآلة من حيث انها آلة غير مقصودة بالذات واسم الله تعالى عند الموحد أهم شيء وانه معول على السنة العباد تعليماً لهم كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخر الثانية انهم استحسنوا تفخيم الكلام وتغليظها من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة اما الاول فالفرق بينه وبين لفظ اللات في الذكر ولان التفخيم مشعر بالتعظيم ولان اللام الرقيقة تذكر بطرف اللسان والغليظة تذكر بكل اللسان فكان العمل فيه أدخل في الثواب وهذا كما جاء في التوراة أحبب ربك بكل قلبك وأما الثاني فلان النقل من الكسرة الى اللام الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود بعد الانحدار وانما لم يعدوا اللام الغليظة حرفاً والرقيقة حرفاً آخر كما عدوا الدال حرفاً والطاء حرفاً آخر مع ان نسبة الرقيقة الى الغليظة كنسبة الدال الى الطاء فان الدال بطرف اللسان والطاء بكل اللسان لاطراد استعمال الغليظة مكان كل رقيقة مالم يعق عائق الكسرة

وقدم أطراف الطاء مكان كل دال الثالثة طولوا الباء من بسم الله اما للدلالة على همزة الوصل المحذوفة واما لانهم أرادوا ان لا يستفتحوا كتاب الله الا بحرف معظم وكان يقول عمر بن عبد العزيز لكتابه طولوا الباء وأظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله وقال أهل الاشارة الباء حرف منخفض فى الصوت فلما اتصل بكتابة لفظ الله ارتفعت واستعلت فلا يبعد ان القلب اذا اتصل بحضرة الله يرتفع حاله ويعلو شأنه الرابعة ابقاء لام التعريف فى الخط على أصله فى لفظ الله كما فى سائر أسماء المعرفة وأما (٥١) حذف الالف قبل الهاء فلكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة فى الصورة عند الكتابة ولانه يشبه اللات فى الكتابة قال أهل الاشارة الاصل فى قولنا الله الاله وهى ستة أحرف ويبقى بعد التصرف أربعة فى اللفظ ألف ولامان وهاء فالهمزة من أقصى الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من أقصى الحلق وهذه حال العبد يبتدئ من النكرة والجهالة ويترقى قليلا قليلا فى مقامات العبودية حتى اذا وصل الى آخر مراتب الوسع والطاقة ودخل فى عالم المكاشفات والانوار أخذ يرجع قليلا قليلا حتى ينتهى الى الفناء فى بحر التوحيد كما قيل النهاية رجوع الى البداية وأما حذف الالف قبل النون من لفظ الرحمن فهو جائز فى الخط ولو كتب كان أحسن الخامسة الاسم أحد الاسماء العشرة التى بنوا أوائلها على السكون وهو عند البصريين فى الاصل سمو بدليل تكسيره على أسماء وتصغيره على سمى وتصريفه على سميت ونحوه فاشتقاقه من السمو العلو وهو مناسب لان التسمية تنويه بالمسمى واشارة بذكره وقيل لان اللفظ معرف للمعنى والمعرف متقدم على المعرف فى المعلومية فهو عال عليه حذف عجزه كما فى يد ودم فبقى حرفان أولهما متحرك والثانى ساكن فلما حول الساكن للاعراب أسكن المتحرك للاعتدال فاحتيج الى همزة الوصل اذ كان دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن حذرا من الكلفة والبشاعة ومنهم من لم يزد الهمزة وأبقى السين بحاله فيقول سم كما قال * باسم الذى فى كل سورة سمه * وقد يضم السين فيقال سم كان الاصل عنده سمو وعند الكوفيين اشتقاق الاسم من الوسم والسمة لان الاسم كالعلامة المعرفة وزيف بانه لو كان كذلك لكان تصغيره وسيما وجمعه أوساما السادسة قال بعض المتكلمين ومنهم الاشعرى ان الاسم غير المسمى وغير التسمية وهو حق لان الاسم قد يكون موجودا والمسمى

تأويل أول السورة وان الحمد لله رب العالمين أمر من الله عبده فقيل ذلك كما ذكرنا قبل من الخبر عن ابن عباس ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم عن الله قل يا محمد الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وقل أيضا يا محمد اياك نعبد واياك نستعين وكان عقل عن العرب ان من شأنها اذا حكت أو أمرت بحكاية خبر يتلو القول ان تخاطب ثم تخبر عن غائب ثم تعود الى الخطاب لما فى الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب كقولهم للرجل قد قلت لاخيك لو قمت لقمت وقد قلت لاخيك لو قام لقمت لسهل عليه مخرج ما استصعب عليه وجهته من جر مالك يوم الدين ومن نظير مالك يوم الدين مجرورا ثم عوده الى الخطاب باياك نعبد لما ذكرنا قبل البيت السائر من شعر أبى كبير الهذلى

يالهف نفسى كان جلدة خالد * وبياض وجهك للتراب الاعفر

فرجع الى الخطاب بقوله وبياض وجهك بعدما قد مضى الخبر عن خالد على معنى الخبر عن الغائب ومنه قول لبيد بن ربيعة

باتت تشكى الى النفس مجهشة * وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فرجع الى مخاطبة نفسه وقد تقدم الخبر عنها على وجه الخبر عن الغائب ومنه قول الله وهو أصدق قيل وأبين حجة حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب ثم رجع الى الخبر عن الغائب ولم يقل وجرين بكم والشواهد من الشعر وكلام العرب فى ذلك أكثر من ان تحصى وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه فقراءة مالك يوم الدين محظورة غير جائزة لاجماع جميع الحجة من القراء وعلماء الامة على رفض القراءة بها ۞ القول فى تأويل قوله (يوم الدين) قال أبو جعفر والدين فى هذا الموضع بتأويل الحساب والمجازاة بالاعمال كما قال كعب بن جعيل

اذا ما رمونا رميناهم * ودناهم مثل ما يقرضونا

وكما قال الآخر

واعلم وأيقن ان ملكك زائل * واعلم بانك ما تدين تدان

يعنى ما تجزى تجازى ومن ذلك قول الله جل ثناؤه كلا بل تكذبون بالدين يعنى بالجزاء وان عليكم لحافظين يحصون ما تعملون من الاعمال وقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين يعنى غير مجزيين باعمالكم ولا محاسبين وللدين معان فى كلام العرب غير معنى الحساب والجزاء سنذكرها فى أماكنها ان شاء الله وبما قلنا فى تأويل قوله يوم الدين جاءت الآثار عن السلف من المفسرين مع تصحيح الشواهد لتأويلهم الذى تأولوه فى ذلك حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس يوم الدين قال يوم حساب الخلائق وهو يوم القيامة يدينهم باعمالهم ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا الا من عفا عنه فالامر أمره ثم قال ألا له الخلق والامر وحدثنى موسى بن هرون الهمدانى قال حدثنا عمرو بن حماد القناد قال حدثنا اسباط بن نصر الهمدانى عن اسمعيل ابن عبد الرحمن السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى

مقدرناً كلفظ المعدوم والمنفي ونحوه ذلك وقد يكون بالعكس كالحقائق التي لم توضع لها أسماء ولان الاسماء قد تكون كثيرة مع كون المسمى واحداً كالاسماء المترادفة وكأسماء الله التسعة والتسعين أو بالعكس كالاسماء المشتركة ولان كون الاسم اسماً للمسمى وكون المسمى مسمى له من باب الاضافة كالمالكية والمملوكية والمضافان متغايران لامحالة ولا يشكل ذلك بكون الشخص عالماً بنفسه لانهما متغايران اعتباراً ولان الاسم أصوات وحروف هي (٥٢) اعراض غير باقية والمسمى قد يكون باقياً بل واجب الوجود لذاته ولانه لا يلزم من التلفظ بالعسل وجود الحلاوة في اللسان ومن التلفظ بالنار وجود الحرارة وقالت المعتزلة الاسم نفس المسمى لقوله تعالى تبارك اسم ربك مكان تبارك ربك والجواب انه كما يجب علينا تنزيه ذات الله تعالى من النقائص يجب تنزيه اسمه عما لا ينبغي وأيضاً قد يزاد لفظ الاسم مجازاً كقوله الى * الحول ثم اسم السلام عليكما * قالوا اذا قال الرجل زينب طالق وكان له زوجة مسماة بزينب طلقت شرعاً قلنا المراد الذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق فلهذا وقع الطلاق عليها والتسمية أيضاً مغايرة للمسمى وللاسم لانها عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه قصد الواضع وارادته والاسم عبارة عن ذلك اللفظ المعين فافترقا السابعة وضع الاسماء والافعال سابق على وضع الحروف لان الحروف رابطة بينهما والظاهر ان وضع الاسماء سابق على وضع الافعال لان الاسم لفظ دال على الماهية والفعل لفظ دال على حصول الماهية لشيء من الاشياء في زمان معين فكان الاسم مفرداً والفعل مركباً والمفرد سابق على المركب طبعاً فيكون سابقاً عليه وضعاً وأيضاً الفعل مفتقر الى الفاعل والفاعل لا يفتقر الى الفعل وأيضاً الاسم مستقل في الافادة عن الفعل دون العكس والاظهر ان اسماء الماهيات سابقة بالرتبة على الاسماء المشتقات لان الاولى مفردة والثانية مركبة ويشبه ان تكون أسماء الصفات سابقة بالرتبة على أسماء الذوات القائمة بانفسها الا انا لا نعرف الذوات الا بتوسط الصفات القائمة بها والمعرف معلوم قبل المعرف فتناسب السبق في الذكر الثامنة أقسام الاسماء الواقعة على المسميات تسعة أولها الاسم الواقع على الذات ثانيها الاسم الواقع على الشيء بحسب جزء من أجزائه كالحيوان على الانسان ثالثها الواقع عليه بحسب صفة

عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مالك يوم الدين هو يوم الحساب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله مالك يوم الدين قال يوم يدين الله العباد بأعمالهم وحدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثني حجاج عن ابن جريج مالك يوم الدين قال يوم يدان الناس بالحساب ﴿ القول في تأويل قوله (اياك نعبد) ﴾ قال أبو جعفر وتأويل قوله اياك نعبد لك اللهم نخشع ونذل ونستكين اقراراً لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك كما حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال قال جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اياك نعبد نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك وذلك قول ابن عباس بمعنى ما قلنا وانما اخترنا البيان عن تأويله بانه بمعنى نخشع ونذل ونستكين دون البيان عنه بانه بمعنى نرجو ونخاف وان كان الرجاء والخوف لا يكونان الا مع ذلة لان العبودة عند جميع العرب أصلها الذلة وانها تسمى الطريق المذلل الذي قد وطئته الاقدام وذللته السابلة معبداً ومن ذلك قول طرفة بن العبد

تباري عتاق الناجيات واتبعت * وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد

يعني بالمور الطريق وبالمعبد المذلل الموطوء ومن ذلك قيل للبعير المذلل بالركوب في الحوائج معبد ومنه سمي العبد عبداً لذلته لمولاه والشواهد من أشعار العرب وكلامها على ذلك أكثر من ان تحصى وفيما ذكرناه كفاية لمن وفق لفهمه ان شاء الله تعالى ﴿ القول في تأويل قوله (واياك نستعين) ﴾ قال أبو جعفر ومعنى قوله واياك نستعين واياك ربنا نستعين على عبادتنا اياك وطاعتنا لك وفي أمورنا كلها لا أحداً سواك اذ كان من يكفر بك يستعين بسواك ونحن بك نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة كالذي حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثني بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس واياك نستعين قال اياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها فان قال قائل وما معنى أمر الله عباده بان يسألوه المعونة على طاعته أوجائز وقد أمرهم بطاعته ان لا يعينهم عليها أم هل يقول قائل لربه اياك نستعين على طاعتك الا وهو على قوله ذلك معان وذلك هو الطاعة فما وجه مسئلة العبد ربه ما قد أعطاه اياه قيل ان تأويل ذلك على غير الوجه الذي ذهبت اليه وانما الداعي ربه من المؤمنين ان يعينه على طاعته اياه داع ان يعينه فيما بقي من عمره على ما كلفه من طاعته دون ما قد تقضى ومضى من أعماله الصالحة فيما خلا من عمره وجازت مسئلة العبد ربه في ذلك لان اعطاء الله عبده ذلك مع تمكينه جوارحه لاداء ما كلفه من طاعته وافترض عليه من فرائضه فضل منه جل ثناؤه تفضل به عليه ولطف منه لطف له فيه وليس في تركه التفضل على بعض عبيده بالتوفيق مع اشتغال عبده بمعصيته وانصرافه عن محبته ولا في بسطه فضله على بعضهم مع اجهاد العبد نفسه في محبته ومسارعته الى طاعته فساد في تدبير ولا جور في حكم فيجوز ان يجهل جاهل موضع حكم الله وأمره عبده بمسئلته عونه على طاعته وفي أمر الله جل ثناؤه عباده ان يقولوا اياك نعبد واياك نستعين بمعنى مسألتهم اياه المعونة على العبادة أدل الدليل على فساد قول القائلين بالتفويض من أهل القدر الذين أحالوا ان يأمر الله أحداً من عبيده بأمر

أو يكلفه فرض عمل الابعد اعطائه المعونة على فعله لا على تركه ولو كان الذى قالوا من ذلك كما قالوا لبطلت الرغبة الى الله فى المعونة على طاعته اذ كان على قولهم مع وجود الامر والنهى والتكليف حقا واجبا على الله للعبد اعطاؤه المعونة عليه ساله عبده ذلك أو ترك مسئلة ذلك بل ترك اعطائه ذلك عندهم منه جور ولو كان الامر فى ذلك على ما قالوا لكان القائل اياك نعبد واياك نستعين انما يسأل ربه ان لا يجور وفى اجماع أهل الاسلام جميعا على تصويب قول القائل اللهم انا نستعينك وتخطئتهم قول القائل اللهم لا تجر علينا دليل واضح على خطأ ما قال الذين وصفت قولهم اذ كان تأويل قول القائل عندهم اللهم انا نستعينك اللهم لا تترك معونتنا التى تركها جور منك فان قال قائل وكيف قيل اياك نعبد واياك نستعين فقدم الخبر عن العبادة وأخرت مسئلة المعونة عليها بعدها وانما تكون العبادة بالمعونة فمسئلة المعونة كانت أحق بالتقديم قبل المعان عليه من العمل والعبادة بها قيل ولما كان معلوما ان العبادة لا سبيل للعبد اليها الا بمعونة من الله جل ثناؤه وكان محالا ان يكون العبد عابدا الا وهو للعبادة معان وان يكون معانا عليها الا وهو لها فاعل كان سواء تقديم ما قدم منهما على صاحبه كما سواء قولك للرجل اذا قضى حاجتك فاحسن اليك فى قضائها قضيت حاجتى فاحسنت الى فقدمت ذكر قضائه حاجتك أو قلت أحسنت الى فقضيت حاجتى فقدمت ذكر الاحسان على ذكر قضاء الحاجة لانه لا يكون قاضيا حاجتك الا وهو اليك محسن ولا محسنا اليك الا وهو لحاجتك قاض فكذلك سواء قول القائل اللهم انا اياك نعبد فاعنا على عبادتك وقوله اللهم أعنا على عبادتك فانا اياك نعبد قال أبو جعفر وقد ظن بعض أهل الغفلة ان ذلك من المقدم الذى معناه التأخير كما قال امرؤ القيس

ولو ان ما أسعى لادنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال

يريد بذلك كفانى قليل من المال ولم أطلب كثيرا وذلك من معنى التقديم والتأخير ومن مشابهة بيت امرئ القيس بمعزل من أجل انه قد يكفيه القليل من المال ويطلب الكثير فليس وجود ما يكفيه منه بموجب له ترك طلب الكثير فيكون نظير العبادة التى بوجودها وجود المعونة عليها أو بوجود المعونة عليها وجودها ويكون ذكر أحدهما دالا على الآخر فيعتدل فى صحة الكلام تقديم ما قدم منهما قبل صاحبه ان يكون موضوعا فى درجته ومرتبته فان قال * فما وجه تكراره اياك مع قوله نستعين وقد تقدم ذلك قبل نعبد وهلا قيل اياك نعبد ونستعين اذ كان المخبر عنه انه هو المعبود هو المخبر عنه انه المستعان قيل له ان الكاف التى مع ايا هى الكاف التى كانت تتصل بالفعل أعنى بقوله نعبد لو كانت مؤخرة بعد الفعل وهى كناية اسم المخاطب المنصوب بالفعل فكثرت بايا متقدمة وكانت الاسماء اذا انفردت بانفسها لا تكون فى كلام العرب على حرف واحد فلما كانت الكاف من اياك هى كناية اسم المخاطب التى كانت تكون كافا وحدها متصلة بالفعل اذا كانت بعد الفعل ثم كان حظها ان تعاد مع كل فعل اتصلت به فيقال اللهم انا نعبدك ونستعينك ونحمدك ونشكرك وكان ذلك أفصح فى كلام العرب من ان يقال اللهم انا نعبدك ونستعين ونحمد كان كذلك اذا قدمت كناية اسم المخاطب قبل الفعل موصولة بايا كان الافصح

حقيقية فالمشتاقه كالاسود واطار رابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا الشئ انه معلوم ومفهوم [illegible] خامسها الواقع عليه بحسب صفة سلبية كالاعمى والفقير سادسها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية لها اضافة كالعالم والقادر عند القائل بأن العلم صفة حقيقية ولها اضافة الى المعلومات وكذا القدرة سابعها صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع قولنا قادر لا يعجز عن شئ وعالم لا يجهل شيأ ثامنها صفة اضافية مع صفة سلبية كالاول فان معناه سابق غير مسبوق تاسعها صفة حقيقية مع صفة اضافية وصفة سلبية فهذه أقسام الاسماء لا تكاد تجد اسما خارجا عنها سواء كان لله تعالى او لمخلوقاته * التاسعة هل الله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم أم لا ذكر بعضهم ان حقيقته تعالى لما كانت غير مدركة للبشر فكيف يوضع له اسم مخصوص بذاته وما الفائدة فى ذلك أقول لا ريب ان الادراك التام عبارة عن الاحاطة التامة والمحاط لا يمكن ان يحيط بمحيطه أبدا وانه تعالى بكل شئ محيط فلا يدركه شئ مما دونه كما ينبغى الا ان وضع الاسم للذات لا ينافى عدم ادراكه كما ينبغى وانما ينافى عدم ادراكه مطلقا فيجوز ان يقال الشئ الذى تدرك منه هذه الآثار واللوازم مسمى لهذا اللفظ وأيضا اذا كان الواضع هو الله تعالى وانه يدرك ذاته على ما هو عليه فله ان يضع لذاته اسما مخصوصا لا يشاركه فيه غير حقيقته واذا كان وضع الاسم لتلك الحقيقة المخصوصة ممكنا فينبغى ان يكون ذلك الاسم اعظم الاسماء وذلك الذكر أشرف الاذكار لان شرف العلم والذكر بشرف المعلوم والمذكور فلو اتفق لعبد من عبيده المقربين الوقوف على ذلك الاسم حال ما يكون قد تجلى له معناه لم يبعد ان ينقاد له عوالم الجسمانيات والروحانيات ثم القائلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا فيه على وجوه منهم من قال هو ذو الجلال والاكرام ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام وورد بان الجلال من الصفات السلبية والاكرام من الاضافية ومن البين ان حقيقته المخصوصة مغايرة للسلوب والاضافات ومنهم من يقول انه الحى القيوم لقوله صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب حين قال له ما أعظم آية فى كتاب الله فقال الله لا اله الا هو الحى القيوم فقال صلى الله عليه وسلم ليهنك العلم يا أبا المنذر وزيف بان الحى هو الدراك الفعال وهذا ليس فيه عظمة ولانه صفة واما القيوم فمعناه كونه قائما بنفسه مقوما لغيره والاول

مفهوم سلبي وهو استغناؤه عن غيره والثاني اضافي ومنهم من قال ان أسماء الله تعالى كلها عظيمة لا ينبغي ان يفاوت بينها وربما امتاز من آثر
اسم الذات أشرفه من اسم الصفة ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله وهذا أقرب لانا سنقيم الدلالة على ان هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم
في حقه سبحانه واذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة ويؤيد ذلك ما روت أسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم
الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم (٥٤) اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم

وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني أسالك باني أشهد انك أنت الله لا اله الا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال والذي نفسي بيده لقد سال الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى ولا شك ان اسم الله في الآية والحديث أصل والصفات مرتبة عليه هذا وأما الاسم الدال على المسمى بحسب جزء من أجزائه فمحال في حق الله تعالى لان ذاته تعالى مبرأ عن شائبة التركيب بوجه من الوجوه وأما الاسم الدال بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته المخصوصة فتلك الصفة اما أن تكون هي الوجود واما أن تكون كيفية من كيفيات الوجود واما أن تكون صفة أخرى مغايرة للوجود ولكيفيات الوجود فهذه ثلاثة أقسام القسم الاول الاسماء الدالة على الوجود منها الشيء ويجوز اطلاقه على الله تعالى عند الاكثرين لقوله تعالى قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم كل شيء هالك الا وجهه أي ذاته وفي الخبر كان الله ولم يكن شيء غيره ولان الشيء عبارة عما يصح ان يعلم ويخبر عنه وذاته تعالى كذلك حجة المخالف قوله تعالى الله خالق كل شيء فلو كان الله تعالى شيا لزم ان يكون خالق نفسه ومثله وهو على كل شيء قدير قلنا خص بالدليل العقلي قالوا لا
ليس من صفات المدح قلنا نعم هو خير من لا شيء وان كان سائر الاشياء مشتركة معه في ذلك كالموجود والكريم والحليم فان كلا منها مدح
بالنسبة الى من لا وجود له ولا كرم ولا حلم بل الشيء بالحقيقة هو وباقي الاشياء شيئيتها مستعارة كوجودها ومنها الموجود وأطبق
المسلمون على جواز اطلاقه عليه تعالى وكيف لا ومعنى قول الموحد لا اله الا الله أي لا اله في الوجود الا الله ومنها الذات ولا شك في جواز

اعادتها مع كل فعل كما كان الفصيح من الكلام اعادتها مع كل فعل اذ كانت بعد الفعل متصلة به وان كان ترك اعادتها جائزا وقد ظن بعض من لم يمعن النظر ان اعادة اياك مع نستعين بعد تقدمها في قوله اياك نعبد بمعنى قول عدي بن زيد العبادي

وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به * بين النهار وبين الليل قد فصلا

وكقول أعشى همدان

بين الاشج وبين قيس باذخ * بخ بخ لوالده وللمولود

وذلك جهل من قائله من أجل أن حظ اياك ان تكون مكررة مع كل فعل لما وصفنا آنفا من العلة وليس ذلك حكم بين لانها لا تكون اذا اقتضت اثنين الا تكررا اذا أعيدت اذ كانت لا تنفرد بالواحد وانها لو أفردت باحد الاسمين في حال اقتضائها اثنين كان الكلام كالمستحيل وذلك ان قائلا لو قال الشمس قد فصلت بين النهار لكان من الكلام خلفا لنقصان الكلام عما به الحاجة اليه من تمامه الذي يقتضيه بين ولو قال القائل اللهم اياك نعبد لكان ذلك كلاما تاما فكان معلوما بذلك ان حاجة كل كلمة نظيرة اياك نعبد الى اياك كحاجة نعبد اليها وان الصواب ان تكرر معها اياك اذ كانت كل كلمة منها جملة خبر مبتدأ وبينا حكم مخالفة ذلك حكم بين فيما وفق بينهما الذي وصفنا قوله

القول في تاويل قوله (اهدنا) قال أبو جعفر ومعنى قوله اهدنا الصراط المستقيم في هذا الموضع عندنا وفقنا للثبات عليه كما روي ذلك عن ابن عباس حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال قال جبريل لمحمد قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم يقول ألهمنا الطريق الهادي والهامه اياه ذلك هو توفيقه اياه كالذي قلنا في تاويله ومعناه نظير معنى قوله اياك نستعين في انه مسئلة العبد ربه التوفيق للثبات على العمل بطاعته واصابة الحق والصواب فيما أمره به ونهاه عنه فيما يستقبل من عمره دون ما قد مضى من أعماله وتقضى فيما سلف من عمره كما في قوله اياك نستعين مسئلة منه ربه المعونة على أداء ما قد كلفه من طاعته فيما بقي من عمره فكان معنى الكلام اللهم اياك نعبد وحدك لا شريك لك مخلصين لك العبادة دون ما سواك من الآلهة والاوثان فاعنا على عبادتك ووفقنا لما وفقت له من أنعمت عليهم من أنبيائك وأهل طاعتك من السبل والمنهاج فان قال قائل وأنى وجدت الهداية في كلام العرب بمعنى التوفيق قيل له ذلك في كلامها أكثر وأظهر من ان يحصى عدد ما جاء عنهم في ذلك من الشواهد فمن ذلك قول الشاعر

لا تحرمني هداك الله مسئلتي * ولا أكونن كمن أودى به السفر

يعني به وفقك الله لقضاء حاجتي ومنه قول الآخر

ولا تعجلني هداك المليك * فان لكل مقام مقالا

فمعلوم انه انما أراد وفقك الله لاصابة الحق في أمري ومنه قول الله جل ثناؤه والله لا يهدي القوم الظالمين في غير آية من تنزيله وقد علم بذلك انه لم يعن انه لا يبين للظالمين الواجب عليهم من فرائضه وكيف يجوز ان يكون ذلك معناه وقد عم بالبيان جميع المكلفين من خلقه ولكنه عنى جل وعز انه

الملائه عليه اذ يصدق على كل حقيقة ام اذات الصفات أى صاحبة الصفات القائمة بها ويؤيده الشمار وى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم لم يكذب الا فى ثلاث ثنتين فى ذات الله أى فى طلب مرضاته ومنها النفس قال تعالى تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك وقال صلى الله عليه وسلم أنت كما أثنيت على نفسك أى على ذاتك وحقيقتك ومنها الشخص قال لاشخص أغير من الله تعالى ومن أجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص أحب اليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث (٥٥) المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص أحب اليه المدحة من الله والمراد بالشخص الحقيقة المتعينة الممتازة عما عداها ومنها النور قال عز من قائل الله نور السموات والارض وليس المراد به ما يشبه الكيفية المبصرة وانما المراد انه الظاهر فى نفسه المطهر لغيره واذ لا ظهور ولا اظهار فوق ظهوره واظهاره فانه واجب الوجود لذاته أزلا وأبدا ومخرج جميع الممكنات من العدم الى الوجود فاذن هو نور الانوار تعالى وتقدس وسوف يأتيك تمام التحقيق اذا وصلنا الى سورة النور وهو أعلم بحقائق الامور ومنها الصورة وقد ورد فى الخبر ان الله خلق آدم على صورته فقيل معناه خلق آدم على صورته التى كان عليها يعنى ما تولد من نطفة ودم وما كان جنينا ورضيعا بل خلقه الله تعالى رجلا كاملا دفعة واحدة وقيل فى حديث آخر لا تقبحوا الوجه فان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن المراد من الصورة الصفة كما يقال صورة هذه المسئلة كذا أى خلقه على صفته فى كونه خليفة أرضه متصرفا فى جميع الاجسام الارضية كما انه تعالى نافذ القدرة فى جميع العالم ويمكن ان يقال الصورة اشارة الى وجه المناسبة التى ينبغى ان تكون بين كل علة ومعلولها فان الظلمة لا تصدر عن النور وبالعكس وكما قد كتبنا فى هذا رسالة ومنها الجوهر وانه لا يطلق عليه بمعنى موجود لا فى موضوع أى اذا وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج الى محل يقوم به ويستغنى المحل عنه لان ذلك ينبئ عن كون وجوده زائدا على ماهيته وانما يمكن ان يطلق عليه بمعنى آخر وهو كونه قائما بذاته غير مفتقر الى شئ فى شئ أصلا لكن الاذن الشرعى حيث لم يرد بذلك وجب الامتناع عنه ومنها الجسم ولا يطلقه عليه الا المجسمة فان أرادوا الجوهر القابل للابعاد الثلاثة فمحال للزوم التركيب والتجزى وان أرادوا معنى يليق بذاته من كونه موجودا قائما بالنفس غنيا عن المحل فلا اذن الشرعى

لا يوفقهم ولا يشرح للحق والايمان صدورهم وقد زعم بعضهم ان تأويل قوله اهدنا زدنا هداية وليس يخلو هذا القول من أحد أمرين اما ان يكون قائله قد ظن ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بمسئلة ربه الزيادة فى البيان أو الزيادة فى المعونة والتوفيق فان كان ظن انه أمر بمسئلة الزيادة فى البيان فذلك ما لا وجه له لان الله جل ثناؤه لا يكلف عبدا فرضا من فرائضه الا بعد تبيينه له وأقاموا الصلاة عليه ولو كان معنى ذلك معنى مسئلة البيان لكان قد أمر ان يدعو ربه ان يبين له ما فرض الله عليه٧ وذلك من الدعاء خلف لانه لا يفرض فرضا الا مبينا لمن فرضه عليه أو يكون أمر ان يدعو ربه ان يفرض عليه الفرائض التى لم يفرضها وفى فساد وجه مسئلة العبد ربه ذلك ما يوضح عن ان معنى اهدنا الصراط المستقيم غير معنى بين لنا فرائضك وحدودك أو يكون ظن انه أمر بمسئلة ربه الزيادة فى المعونة والتوفيق فان كان ذلك كذلك فلن تخلو مسئلته من ان تكون مسئلة للزيادة فى المعونة على ما قد مضى من عمله أو على ما يحدث وفى ارتفاع حاجة العبد الى المعونة على ما قد قضى من عمله ما يعلم ان معنى مسئلة تلك الزيادة انما هو مسئلة الزيادة لما يحدث من عمله واذا كان ذلك كذلك صار الامر الى ما وصفنا وقلنا فى ذلك من انه مسئلة العبد ربه التوفيق لاداء ما كلف من فرائضه فيما يستقبل من عمره وفى صحة ذلك فساد قول أهل القدر الزاعمين ان كل مأمور بأمر أو مكلف فرضا فقد أعطى من المعونة عليه ما قد ارتفعت معه فى ذلك الفرض حاجته الى ربه لانه لو كان الامر على ما قالوا من ذلك لبطل معنى قول الله جل ثناؤه اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم وفى صحة معنى ذلك على ما بينا فساد قولهم وقد زعم بعضهم ان معنى قوله اهدنا الصراط المستقيم اسلكنا طريق الجنة فى المعاد أى قدمنا له وامض بنا اليه كما قال جل ثناؤه فاهدوهم الى صراط الجحيم أى ادخلوهم النار كما تهدى المرأة الى زوجها يعنى بذلك انها تدخل اليه وكما تهدى الهدية الى الرجل وكما تهدى الساق القدم نظير قول طرفة بن العبد

لعبت بعدى السيول به * وجرى فى رونق رهمه

للفتى عقل يعيش به * حيث تهدى ساقه قدمه

أى ترد به الموارد وفى قول الله جل ثناؤه اياك نعبد واياك نستعين ما ينبئ عن خطأ هذا التأويل مع شهادة الحجة من المفسرين على تخطئته وذلك ان جميع المفسرين من الصحابة والتابعين مجمعون على ان معنى الصراط فى هذا الموضع غير المعنى الذى تأوله قائل هذا القول وان قوله اياك نستعين مسئلة العبد ربه المعونة على عبادته فكذلك قوله اهدنا انما هو مسئلة الثبات على الهدى فيما بقى من عمره والعرب تقول هديت فلانا الطريق وهديته للطريق وهديته الى الطريق اذا أرشدته اليه وسددته له وبكل ذلك جاء القرآن قال الله جل ثناؤه وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وقال فى موضع آخر اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وقال اهدنا الصراط المستقيم وكل ذلك فاش فى منطقها موجود فى كلامها من ذلك قول الشاعر

أستغفر الله ذنبا لست محصيه * رب العباد اليه الوجه والعمل

يريد أستغفر الله الذنب كما قال جل ثناؤه واستغفر لذنبك ومنه قول نابغة بنى ذبيان

٧ قوله وأقاموا الخ هكذا بالاصل وانظر ما معناه ولعل الصواب عدم ذكره كما لا يخفى اه مصححه

فتصيدنا العير المذل بحضرة * قبل الونا والاشعث النباحا

يريد تصيد لنا وذلك كثير في أشعارهم وكلامهم وفيما ذكرنا منه كفاية ﴿ القول في تأويل قوله (الصراط المستقيم) قال أبو جعفر أجمعت الحجة من أهل التأويل جميعا على ان الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وكذلك ذلك في جميع لغة العرب فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي

أمير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

يريد على طريق الحق ومنه قول الهذلي أبو ذؤيب

صبحنا أرضهم بالخيل حتى * تركناها أدق من الصراط

ومنه قول الراجز * فصد عن نهج الصراط القاصد * والشواهد على ذلك أكثر من ان تحصى وفيما ذكرنا غنى عما تركنا ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل وصف باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعني اهدنا الصراط المستقيم ان يكون معناه وفقنا الثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل وذلك هو الصراط المستقيم لان من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء فقد وفق للاسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به والانزجار عما زجره عنه واتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكل عبد لله صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم وقد اختلفت تراجمة القرآن في المعنى بالصراط المستقيم يشمل معاني جميعهم في ذلك ما أخبرنا من التأويل فيه ومما قالته في ذلك ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وذكر القرآن فقال هو الصراط المستقيم **حدثنا** بذلك موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال حدثنا حسين الجعفي عن حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحرث عن الحرث عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم **وحدثنا** عن اسمعيل بن أبي كريمة قال حدثنا محمد بن سلمة عن أبي سنان عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن الحرث عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله **وحدثنا** أحمد بن اسحق الاهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحرث الاعور عن الحرث عن علي قال الصراط المستقيم كتاب الله **حدثنا** أحمد بن اسحق الاهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا سفيان ح **وحدثنا** محمد بن حميد الرازي قال حدثنا مهران عن سفيان عن منصور عن أبي وائل قال قال عبد الله الصراط المستقيم كتاب الله **وحدثني** محمود ابن خداش الطالقاني قال حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي قال حدثنا علي والحسن قال أنبأنا صالح جميعا عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله اهدنا الصراط المستقيم قال الاسلام قال هو أوسع مما بين السماء الى الارض **حدثنا** أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال قال جبريل لمحمد قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم يقول ألهمنا الطريق الهادي وهو دين الله الذي لا اعوجاج له **وحدثنا** موسى ابن سهل الرازي قال حدثنا يحيى بن عوف عن الفرات بن السائب عن

لم يرد به فلزم الامتناع ومنها الماهية والانية أي الحقيقة التي يسئل عنها بما هي وثبوته الدال عليه لفظ انا ولا بأس باطلاقهما عليه اذا أريد بهما الحقيقة والذات المخصوصة الا من حيث الشرع ومنها الحق فانه تعالى أحق الاشياء بهذا الاسم اما بحسب ذاته فلانه الموجود الذي يمتنع عدمه وزواله والحق يقال بازاء الباطل والباطل يقال المعدوم قال لبيد * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * واما بحسب ما يقال ان هذا الخبر حق وصدق فهذا الخبر أحق وأصدق واما بحسب ما يقال هذا الاعتقاد حق فلان اعتقاد وجوده ووجوبه أصوب الاعتقادات المطابقة القسم الثاني في الاسماء الدالة على كيفية الوجود منها القديم وهو في اللغة يفيد طول المدة وفي الشرع يراد به الازلي ويراد بهما ما لا أول له في الطرف الماضي كالابدي في الطرف المستقبل وكذا السرمدي واشتقاقه من السرد التوالي والتعاقب زيدت الميم للمبالغة ونعني بالنسبة في هذه الالفاظ انه منسوب الى عدم البداية والنهاية في كلا طرفي الامتداد الوهمي المسمى بالزمان ومنها الممتد والمستمر ونعني بهما تلاحق الاجزاء وتعاقب الابعاض ولا يخفى ان أمثال هذه الالفاظ انما يصح اطلاقها بالحقيقة على الزمان والزمانيات وأما في حق الله جل ذكره فلا يصح الا بالمجاز بعد التوقيف ومنها الباقي قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وانه تعالى أحق الاشياء بهذا الاسم ومنها الدائم وهو كالباقي ومنها واجب الوجود لذاته أي ذاته اقتضى وجوده وما بالذات لا ينفك عنه أبدا فهو ممتنع الفناء والعدم أزلا وأبدا ولهذا قيل خداي معناه خوداي أي انه جاء بنفسه ومنها الكائن قال تعالى وكان الله عليما حكيما وفي بعض الادعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم يا كائنا قبل كل كون ويا حاضرا مع كل كون ويا باقيا بعد انقضاء كل كون واعلم ان لفظة كان يفيد الحصول والثبوت والوجود الا ان هذا قسمان منه ما يفيد حصول الشئ في نفسه ومنه ما يفيد حصول موصوفية شئ بشئ والاول يتم باسناده الى ذلك الشئ وهي التامة والثاني لا يتم الا بذكر شيئين وهي الناقصة نحو كان زيد عالما أي حصل موصوفية زيد بالعلم وكلا القسمين يجوز اطلاقه عليه تعالى القسم الثالث في الصفات الحقيقية المغايرة للوجود ولكيفيات الوجود الفلاسفة والمعتزلة أنكروا قيام مثل هذه الصفات بذات الله تعالى أشد انكار لان

واجب الوجود لذاته يجب ان يكون واحدا من جميع جهاته ولان تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود لزم شريك البارى ويمتنع ان الجمع بين الوجوب الذاتى وبين كونه صفة للغير والصفة مفتقرة الى الموصوف محال وان كانت ممكنة الوجود فلها علة موجدة ومحال ان يكون هو الله تعالى لانه قابل لها فلا يكون فاعلا لها ولان ذاته لو كانت كافية فى تحصيل تلك الصفة فتكون ذاته بدون تلك الصفة كاملة فى العلية وهو المطلوب وان لم تكن كافية لزم النقص المنافى لوجوب الوجود حجة المثبتين ان اله العالم يجب ان يكون عالما قادرا حيا ثم انا ندرك التفرقة

بين قولنا ذات الله تعالى ذات وبين قولنا ذاته عالم قادر وذلك يدل على المغايرة بين الذات وهذه الصفات واذا قلنا باثبات الصفات الحقيقية فنقول العلم صفة يلزمها كونها متعلقة بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صفة تعلقها بايجاد المقدور والصفة الحقيقية العارية عن النسب والاضافات فى حقه تعالى ليست الا صفة الحياة ان لم نقل انها عبارة عن الدراكية والفعالية بل يقال انها صفة باعتبارها يصح ان يكون عالما وقادرا والتحقيق ان الحياة عبارة عن كون الشئ بحيث يصدر عنه ما من شانه ان يصدر عنه كما ينبغى ان يصدر عنه ولا ريب ان واجب الوجود تعالى أحق الاشياء بهذا الاسم لان وجوب الوجود يقتضى اتصافه بجميع الصفات الكمالية وصدور الاشياء الممكنة عنه على النحو الافضل ولهذا مدح الله تعالى به نفسه فقال الله لا اله الا هو الحى القيوم وعنت الوجوه للحى القيوم وأما الاسماء الدالة على الصفات الاضافية فمنها التكوين وهو عند المعتزلة والاشعرى نفس المكون وقال غيرهم انه غيره حجة الاولين ان الصفة المسماة بالتكوين اما ان يؤثر على سبيل الصحة وهى القدرة لا غير أو على سبيل الوجوب ويلزم كونه موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وأيضا ان كانت قديمة لزم قدم الآثار وان كانت حادثة افتقرت الى تكوين آخر وتسلسل الآخرون قالوا كونه خالقا ليس عبارة عن الصفة الاضافية فقط بل هو عبارة عن صفة حقيقية موصوفة بصفة اضافية لان المعقول من كونه موجدا مغاير للمعقول من كونه قادرا فان القادر على الفعل قد يوجد وقد لا يوجد ومنها كونه تعالى معلوما مذكورا مسبحا ممجدا فيقال يا أيها المسبح بكل لسان ويا أيها الممدوح عند كل انسان ويا أيها المرجوع اليه فى كل حين وأوان ولما كان هذا النوع من الاضافات غير متناه

عن ميمون بن مهران عن ابن عباس فى قوله اهدنا الصراط المستقيم قال ذلك الاسلام **وحدثنى** محمود بن خداش قال حدثنا محمد بن ربيعة الكلابى عن اسمعيل الازرق عن أبى عمر البزار عن ابن الحنفية فى قوله اهدنا الصراط المستقيم قال هو دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره **وحدثنى** موسى بن هرون الهمدانى قال حدثنا عمرو بن طلحة القناد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اهدنا الصراط المستقيم هو الاسلام **وحدثنا** القاسم ابن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله اهدنا الصراط المستقيم قال الطريق **حدثنا** عبدالله بن كثير أبو صديف الاملى قال حدثنا هاشم ابن القاسم قال حدثنا حمزة بن أبى المغيرة عن عاصم عن أبى العالية فى قوله اهدنا الصراط المستقيم قال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر قال فذكرت ذلك للحسن فقال صدق أبو العالية ونصح **وحدثنى** يونس بن عبد الاعلى قال حدثنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم اهدنا الصراط المستقيم قال الاسلام ۞ قال أبو جعفر وانما وصفه الله بالاستقامة لانه صواب لا خطأ فيه وقد زعم بعض أهل الغباء انه سماه مستقيما لاستقامته باهله الى الجنة وذلك تاويل لتأويل جميع أهل التفسير خلاف وكفى باجماع جميعهم على خلافه دليلا على خطئه **حدثنا** المثنى قال حدثنا أبو صالح قال حدثنى معاوية بن صالح ان عبد الرحمن ابن جبير حدثه عن أبيه عن نواس بن سمعان الانصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما والصراط الاسلام **حدثنا** المثنى قال حدثنا آدم العسقلانى قال حدثنا الليث عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن نواس بن سمعان الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله ۞ القول فى تاويل قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) وقوله صراط الذين أنعمت عليهم ابانة عن الصراط المستقيم أى الصراط هو اذ كان كل طريق من طرق الحق صراطا مستقيما فقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اهدنا يا ربنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين وذلك نظير ما قال ربنا جل ثناؤه فى تنزيله ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ۞ قال أبو جعفر فالذى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ان يسألوه ربهم من الهداية للطريق المستقيم هى الهداية للطريق الذى وصف الله جل ثناؤه صفته وذلك الطريق هو طريق الذين وصفهم الله بما وصفهم به فى تنزيله ووعد من سلكه فاستقام فيه طائعا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ان يورده مواردهم والله لا يخلف الميعاد وبنحو ما قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس وغيره **حدثنا** محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس صراط الذين أنعمت عليهم يقول طريق من أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة

والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين الذين أطاعوك وعبدوك وحدثني أحمد بن حازم الغفاري قال أخبرنا عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن ربيع صراط الذين أنعمت عليهم قال النبيون وحدثني القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس أنعمت عليهم قال المؤمنين وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال قال وكيع أنعمت عليهم المسلمين وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد في قول الله صراط الذين أنعمت عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ۞ قال أبو جعفر وفي هذه الآية دليل واضح على ان طاعة الله جل ثناؤه لا ينالها المطيعون الا بانعام الله بها عليهم وتوفيقه اياهم لها أولا يسمعونه يقول صراط الذين أنعمت عليهم فاضاف كل ما كان منهم من اهتداء وطاعة وعبادة الى انه انعام منه عليهم * فان قال قائل وأين تمام هذا الخبر وقد علمت ان القائل لآخر أنعمت عليك مقتض الخبر عما أنعم به عليه فاين ذلك الخبر في قوله صراط الذين أنعمت عليهم وما تلك النعمة التي أنعمها عليهم قيل له قد قدمنا البيان فيما مضى من كتابنا هذا عن اجتزاء العرب في منطقها ببعض من بعض اذا كان البعض الظاهر دالا على البعض الباطن وكافيا منه فقوله صراط الذين أنعمت عليهم من ذلك لان أمر الله جل ثناؤه بمسئلته المعونة وطلبهم منه الهداية للصراط المستقيم لما كان متقدما قوله صراط الذين أنعمت عليهم الذي هو ابانة عن الصراط المستقيم وابدال منه كان معلوما ان النعمة التي أنعم الله بها على من أمرنا بمسئلته الهداية لطريقهم هو المنهاج القويم والصراط المستقيم الذي قد قدمنا البيان عن تأويله آنفا فكان ظاهر ما ظهر من ذلك مع قرب تجاور الكلمتين مغنيا عن تكراره كما قال نابغة بني ذبيان

كانك من جمال بني أقيش * يقعقع خلف رجليه بشن

يريد كانك من جمال بني أقيش جمل يقعقع خلف رجليه فاكتفى بما ظهر من ذكر الجمال الدال على المحذوف من اظهار ما حذف وكما قال الفرزدق بن غالب

ترى أرباقهم متقلديها * اذا صدى الحديد على الكمات

يريد متقلديها هم فحذف هم اذ كان الظاهر من قوله أرباقهم دالا عليها والشواهد على ذلك من شعر العرب وكلامها أكثر من ان يحصى فكذلك ذلك في قوله صراط الذين أنعمت عليهم ۞ القول في تاويل قوله (غير المغضوب عليهم) قال أبو جعفر والقراء مجمعة على قراءة غير بجر الراء منها والخفض يأتيها من وجهين أحدهما ان يكون غير صفة للذين ونعتا لهم فتخفضها اذ كان الذين خفضا وهي لهم نعت وصفة وانما جاز ان يكون نعتا للذين والذين معرفة وغير نكرة لان الذين بصلتها ليست بالمعرفة الموقتة كالاسماء التي هي أمارات بين الناس مثل زيد وعمرو وما أشبه ذلك فلما كان الذين كذلك صفتها وكانت غير مضافة الى مجهول من الاسماء نظير الذين في انه معرفة غير موقتة كما الذين معرفة غير موقتة جاز من أجل ذلك ان يكون غير المغضوب عليهم نعتا للذين أنعمت عليهم كما يقال لا أجلس الا الى العالم غير الجاهل يراد لا أجلس الا الى من يعلم لا الى من يجهل ولو كان الذين أنعمت عليهم معرفة موقتة كان غير جائز ان يكون غير المغضوب عليهم لها نعتا وذلك

كانت الاسماء الممكنة لله بحسب هذا النوع من الصفات غير متناهية * ومنها ألفاظ متقاربة تدل على مجرد كونه موجدا مثل الموجد ومعناه المؤثر في الوجود والمحدث وهو أخص لانه الذي جعله موجودا بعد العدم والمكون وهو كالموجد والمنشئ ومعناه ينشئ على التدريج والمبدع والمخترع ويفهم منهما الايجاد الدفعي وكذا الفاطر مثل الصانع ويفهم منه تكلف وأما الخالق فهو التقدير وانه في حق الله تعالى يرجع الى العلم وأما البارى فهو الذي يحدثه على الوجه الموافق للمصلحة يقال برى القلم اذا أصلحه وجعله موافقا للغرض معين * ومنها ألفاظ تدل على ايجاد شئ بعينه وانها تكاد تكون غير متناهية * ومنها ألفاظ تدل على ايجاد النوع الفلاني لاجل الحكمة الفلانية فاذا خلق المنافع سمي نافعا واذا خلق الالم سمي ضارا واذا خلق الحياة سمي محييا واذا خلق الموت سمي مميتا واذا خصهم بالاكرام سمي برا لطيفا واذا خصهم بالقهر سمي قهارا جبارا واذا أقل العطاء سمي قابضا واذا أكثر سمي باسطا واذا جازى الذنوب بالعقاب سمي منتقما واذا ترك ذلك الجزاء سمي عفوا غفورا رحمانا رحيما واذا حصل المنع والاعطاء في المال سمي قابضا باسطا واذا حصل في الجاه والحشمة سمي خافضا رافعا * وأما الصفات السلبية فمنها ما يعود الى الذات كقولنا انه ليس جوهرا ولا جسما ولا مكانيا ولا زمانيا ولا حالا ولا محلا ولا مفتقرا الى شئ غيره تعالى في ذاته وفي صفاته وانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ومنها ما يعود الى الصفات ولا يخفى ان كل صفة من صفات النقص يجب تنزيه الله عنها وذلك اما راجع الى اضداد العلم كنفي النوم لا تاخذه سنة ولا نوم وكنفي النسيان وما كان ربك نسيا وكنفي الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وكانه لا يمنعه العلم ببعض المعلومات عن العلم بغيره لا يشغله شان عن شان انه واما راجع الى اضداد القدرة ككونه منزها في أفعاله عن التعب والنصب وما مسنا من لغوب وانه لا يحتاج في فعله الى الآلات وتقديم المادة والمدة انما أمرنا الشئ اذا أردناه ان نقول له كن فيكون وانه لا يتفاوت في قدرته القليل والكثير وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب وانه لا تنتهي قدرته ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واما راجع الى صفة الوحدة كنفي الانداد والاضداد

انه خطأ فى كلام العرب اذا وصفت معرفة موقتة بنكرة ان تلزم نعتها النكرة اعراب المعرفة المنعوت بها الا على نية تكرير ما أعرب المنعوت بها خطأ فى كلامهم ان يقال مررت بعبد الله غير العالم فتخفض غير الا على نية تكرير الباء التى عربت عبد الله فكان معنى ذلك لو قيل كذلك مررت بعبد الله مررت بغير العالم فهذا أحد وجهى الخفض فى غير المغضوب عليهم والوجه الآخر من وجهى الخفض فيها ان يكون الذين بمعنى المعرفة الموقتة واذا وجه الى ذلك كانت غير مخفوضة بنية تكرير الصراط الذى خفض الذين عليها وكانك قلت صراط الذين أنعمت عليهم صراط غير المغضوب عليهم وهذان التاويلان فى غير المغضوب عليهم وان اختلفا باختلاف معربيهما فانهما يتقارب معناهما من أجل ان من أنعم الله عليه فهداه لدينه الحق فقد سلم من غضب ربه ونجى من الضلال فى دينه فسواء اذ كان سامع قوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير جائز ان يرتاب مع سماعه ذلك من تاليه فى ان الذين أنعم الله عليهم بالهداية للصراط غير غاضب ربهم عليهم مع النعمة التى قد عظمت منته بها عليهم فى دينهم ولا أن يكونوا ضلالا وقد هداهم الحق ربهم اذ كان مستحيلا فى فطرهم اجتماع الرضا من الله جل ثناؤه عن شخص والغضب عليه فى حال واحدة واجتماع الهدى والضلال له فى وقت واحد وصف القوم مع وصف الله اياهم بما وصفهم به من توفيقه اياهم وهدايته لهم وانعامه عليهم بما أنعم الله به عليهم فى دينهم بانهم غير مغضوب عليهم ولا هم ضالون أم لم يوصفوا بذلك لان الصفة الظاهرة التى وصفوا بها قد أنبأت عنهم انهم كذلك وان لم يصرح وصفهم به هذا اذا وجهنا غير الى انها مخفوضة على نية تكرير الصراط الخافض الذين ولم يجعل غير المغضوب عليهم ولا الضالين من صفة الذين أنعمت عليهم بل اذا جعلناهم غيرهم وان كان الفريقان لا شك منعما عليهما فى أديانهما فاما اذا وجهنا غير المغضوب عليهم ولا الضالين الى انها من نعت الذين أنعمت عليهم فلا حاجة بسامعه الى الاستدلال اذ كان الصريح من معناه قد أغنى عن الدليل وقد يجوز نصب غير فى غير المغضوب عليهم وان كنت للقراءة بها كارها لشذوذها عن قراءة القراء وان ما شذ من القراآت عما جاءت به الامة نقلا ظاهرا مستفيضا فرأى للحق مخالف وعن سبيل الله وسبيل رسوله صلى الله عليه وسلم وسبيل المسلمين متجانف وان كان له لو كانت القراءة جائزة به فى الصواب مخرج وتاويل وجه صوابه اذا نصبت ان يوجه الى ان يكون صفة للهاء والميم اللتين فى عليهم العائدة على الذين لانها وان كانت مخفوضة بعلى فهى فى محل نصب بقوله أنعمت فكان تاويل الكلام اذا نصبت غير التى مع المغضوب عليهم صراط الذين هديتهم انعاما منك عليهم غير مغضوب عليهم أى لا مغضوبا عليهم ولا ضالين فيكون النصب فى ذلك حينئذ كالنصب فى غير فى قولك مررت بعبد الله غير الكريم ولا الرشيد فتقطع غير الكريم من عبد الله اذ كان عبد الله معرفة موقتة وغير الكريم نكرة مجهولة وقد كان بعض نحوى البصريين يزعم ان قراءة من نصب غير فى غير المغضوب عليهم على وجه استثناء غير المغضوب عليهم من معانى صفة الذين أنعمت عليهم كانه كان يرى ان معنى الذين قرؤا ذلك نصبا اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم الا المغضوب عليهم الذين لم ينعم عليهم فى أديانهم ولم يهدهم للحق فلا تجعلنا منهم كما قال نابغة بنى ذبيان

ليس كمثله شئ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله او الى صفة الاستغناء وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه ومنها ما يعود الى الافعال لا يخلق الباطل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لا يخلق اللعب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لا يخلق العبث افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا يرضى بالكفر لا يريد الظلم لا يحب الفساد لا يؤذى من غير سابقة جرم ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لا ينتفع بطاعات المطيعين ولا يتضرر بمعاصى المذنبين ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها ليس لاحد ان يعترض عليه فى أفعاله وأحكامه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لا يخلف الله الميعاد ومن أسماء السلوب القدوس والسلام لانه منزه وسالم من نقائص الامكان ومنها العزيز وهو الذى لا يوجد له نظير أو لا يغلبه شئ والحليم الذى لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من ايصال الرحمة والصبور والذى لا يعاقب المسئ مع القدرة عليه *وأما الاسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافية فمنها القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك والمليك والقوى وذو القوة ومعانيها ترجع الى القدرة ومنها ما يرجع الى العلم ولا يحيطون بشئ من علمه عالم الغيب والشهادة وهو بكل شئ عليم علام الغيوب الله أعلم حيث يجعل رسالته علم الله انكم كنتم تختانون والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وعلم آدم الاسماء ولم يرد علامة وان كان يفيد المبالغة لان ذلك بتاويل أمة أو جماعة والخبير يقرب من العلم وكذا الشهيد اذا فسر بكونه مشاهدا لها اما اذا أخذ من الشهادة كان من وصف الكلام والحكمة تشارك العلم من حيث انها ادراك حقائق الاشياء كما هى وتباينه بانها أيضا صدور الاشياء عنه كما ينبغى واللطيف قد يراد به ايصال المنافع الى الغير بطرق خفية عجيبة والتحقيق انه الذى ينفذ تصرفه فى جميع الاشياء *ومنها ما يرجع الى الكلام وكلم الله موسى تكليما وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا واذ قال ربك ما يبدل القول لدى ومن أصدق من الله قيلا انما أمره ان الله يأمركم وعد الله حقا فاوحى الى عبده ما أوحى وكان الله شاكرا عليما كان سعيكم مشكورا وذلك انه أثنى على عبده بمثل قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وهذا صورة الشكر ومنها ما يرجع الى الارادات يريد الله بكم اليسر رضى الله عنهم أى صار مريدا لافعالهم

وقفت فيها أصيلا لا أسائلها * أعيت جوابا وما بالربع من أحد

الأأواري لاياما ٧ أبينها * والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد

والاوارى معلوم انها ليست من عداد أحد فى شئ فكذلك عنده استثنى غير المغضوب عليهم من الذين أنعمت عليهم وان لم يكونوا من معانيهم فى الدين فى شئ وأما نحويو الكوفيين فانكروا هذا التأويل واستخطؤه وزعموا ان ذلك لو كان كما قاله الزاعم من أهل البصرة لكان خطأ أن يقال ولا الضالين لان لا نفى وجحد ولا يعطف بجحد الا على جحد وقالوا لم نجد فى شئ من كلام العرب استثناء يعطف عليه بجحد وانما وجدناهم يعطفون على الاستثناء بالاستثناء وبالجحد على الجحد فيقولون فى الاستثناء قام القوم الا أخاك والا أباك وفى الجحد ما قام أخوك ولا أبوك وأما قام القوم الا أباك ولا أخوك فلم نجده فى كلام العرب قالوا فلما كان ذلك معدوما فى كلام العرب وكان القرآن بافصح لسان العرب نزوله علمنا اذ كان قوله ولا الضالين معطوفا على قوله غير المغضوب عليهم ان غير بمعنى الجحد لا بمعنى الاستثناء وان تأويل من وجهها الى الاستثناء خطأ فهذه أوجه تأويل غير المغضوب عليهم باختلاف أوجه اعراب ذلك وانما اعترضنا بما اعترضنا فى ذلك من بيان وجوه اعرابه وان كان قصدنا فى هذا الكتاب الكشف عن تأويل القرآن لما فى اختلاف وجوه اعراب ذلك من اختلاف وجوه تأويله فاضطرتنا الحاجة الى كشف وجوه اعرابه لتنكشف لطالب تأويله وجوه تأويله على قدر اختلاف المختلف فى تأويله وقراءته والصواب من القول فى تأويله وقراءته عندنا القول الاول وهو قراءة غير المغضوب عليهم بخفض الراء من غير بتأويل انها صفة للذين أنعمت عليهم ونعت لهم لما قد قدمنا من البيان ان شئت وان شئت فبتأويل تكرير صراط كل ذلك صواب حسن فان قال لنا قائل فمن هؤلاء المغضوب عليهم الذين أمرنا الله جل ثناؤه بمسئلته ان لا يجعلنا منهم قيل هم الذين وصفهم الله جل ثناؤه فى تنزيله فقال قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل فاعلمنا جل ذكره بمنه ما أحل بهم من عقوبته بمعصيتهم اياه ثم علمنا منه منة علينا وجه السبيل الى النجاة من ان يحل بنا مثل الذى حل بهم من المثلات ورأفة منه بنا فان قال وما الدليل على انهم الذين وصفهم الله وذكر نبأهم فى تنزيله على ما وصفت قيل حدثنى أحمد بن الوليد الرملى قال حدثنا عبد الله بن جعفر الرقى قال حدثنا سفيان بن عيينة عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن عدى بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المغضوب عليهم اليهود وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عدى بن حاتم قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المغضوب عليهم اليهود وحدثنى على بن الحسن قال حدثنا مسلم بن عبد الرحمن قال حدثنا محمد بن مصعب عن حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن مرى بن قطرى عن عدى بن حاتم قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قول الله جل وعز غير المغضوب عليهم قال هم اليهود وحدثنا حميد بن مسعدة الشامى قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا الجريرى عن عبد الله بن شقيق ان رجلا أتى

---

٧ قوله لاياما الخ هكذا بيت بالاصل وهو كما لا يخفى لا معنى له فلينظر

يحبهم ويحبونه والله يحب المتطهرين ويريد ايصال الخير اليهم كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها * الاشعرية الكراهة عبارة عن ارادة عدم الفعل المعتزلة صفة أخرى غير الارادة ومنها ما يرجع الى السمع والبصر اننى معكما أسمع وأرى انه هو السميع البصير لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وأما الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول لانه مركب من معنيين أحدهما انه سابق على غيره والثانى لا يسبق عليه غيره وكالآخر فانه الذى يبقى بعد غيره ولا (٦٠) يبقى بعده غيره وكالقيوم فانه الذى يفتقر اليه غيره ولا يفتقر هو الى غيره والظاهر اضافة محضة وكذا الباطن أى انه ظاهر بحسب الدلائل باطن بحسب الماهية وأما الاسم الدال على مجموع الذات والصفات الحقيقية والاضافية والسلبية فالاله ولا يجوز اطلاق هذا اللفظ فى الاسلام على غير الله وأما الله فسيأتى انه اسم علم وقد بقى ههنا أسماء يطلقها عليه تعالى أهل التشبيه ككونه متحيزا أو حالا فى المتحيز استبعادا منهم انه كيف يكون موجودا خاليا عن كلا الوصفين وهو عند أهل التقديس محال للزوم الافتقار اللهم الا ان يقال استصحاب المكان لا يستلزم الافتقار الى المكان ومنها العظيم والكبير وهما متقاربان لقوله تعالى فى موضع وهو العلى العظيم وفى آخر وهو العلى الكبير وقد يفرق بينهما بانه ورد الكبرياء ردائى والعظمة ازارى والرداء أرفع من الازار وأيضا اختص تحريم الصلاة بالله أكبر دون الله أعظم ولا ريب ان اطلاق العظمة والكبر على الله تعالى بحسب الجمية والمقدار كما للاجسام محال للزوم التبعيض والتجزئة ومنها العلى والمتعالى فان العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله فاما ان يراد بمثل هذه الالفاظ مزيد الرتبة والشرف على الممكنات واما أن يقال انا نطلق هذه الاسماء لاذن الشرعى فنكل معانيها الى مراد الله تعالى واما ان نستمد فى ادراكها بضرب من الكشف والعيان أى فى الاسماء المضمرة قال عز من قائل اننى أنا الله لا اله الا أنا ولا يصح لغيره هذا الذكر الا حكاية وما جاء من قول بعض أهل الكمال * انا من أهوى ومن أهوى أنا * اشارة الى كمال المحبة وغاية ارادة الاتصاف بصفة المحبوب وفناء ارادته فى ارادته وقال لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ولا يصح هذا الا من العبد بشرط الحضور والمشاهدة وقال لا اله الا هو وانما يصح هذا من الغائبين

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر وادي القرى فقال ما هؤلاء الذين تحاصر يا رسول الله قال هؤلاء المغضوب عليهم اليهود **وحدثني** يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن سعيد الجريري عن عروة عن عبد الله بن شقيق ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه **وحدثنا** الحسن بن يحيي قال أنبانا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن بديل العقيلي قال أخبرني عبد الله بن شقيق انه أخبره من سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو بوادي القرى وهو على فرسه وساله رجل من بني القين فقال يا رسول الله من هؤلاء قال المغضوب عليهم وأشار الى اليهود **وحدثنا** القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين قال حدثنا خالد الواسطي عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه **وحدثنا** أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس غير المغضوب عليهم يعني اليهود الذين غضب الله عليهم **وحدثني** موسى بن هرون الهمداني قال حدثنا عمرو بن طلحة قال حدثنا اسباط بن نصر عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير المغضوب عليهم هم اليهود **وحدثنا** ابن حميد الرازي قال حدثنا مهران عن سفيان عن مجاهد غير المغضوب عليهم قال هم اليهود **حدثنا** ابن حازم الغفاري قال حدثنا عبيد الله عن أبي جعفر عن ربيع غير المغضوب عليهم قال اليهود **وحدثنا** القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس غير المغضوب عليهم قال اليهود **وحدثني** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد غير المغضوب عليهم اليهود **وحدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال حدثني ابن زيد عن أبيه قال المغضوب عليهم اليهود ۞ قال أبو جعفر واختلف في صفة الغضب من الله جل ذكره فقال بعضهم غضب الله على من غضب عليه من خلقه احلال عقوبته بمن غضب عليه اما في دنياه واما في آخرته كما وصف به نفسه جل ذكره في كتابه فقال فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين وكما قال قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وقال بعضهم غضب الله على من غضب عليه من عباده ذم منه لهم ولافعالهم وشتم منه لهم بالقول وقال بعضهم الغضب منه معنى مفهوم كالذي يعرف من معاني الغضب غير انه وان كان كذلك من جهة الاثبات فمخالف معناه معنى ما يكون من غضب الذين يزعجهم ويحركهم ويشق عليهم ويؤذيهم لان الله جل ثناؤه لا تحل ذاته الآفات ولكنه له صفة كما العلم له صفة والقدرة له صفة على ما يعقل من جهة الاثبات وان خالفت معاني ذلك معاني علوم العباد التي هي معارف القلوب وقواهم التي توجد مع وجود الافعال وتعدم مع عدمها ۞ القول في تاويل قوله (ولا الضالين) قال أبو جعفر كان بعض أهل البصرة يزعم ان لا مع الضالين أدخلت تتميما للكلام والمعنى الغاؤها ويستشهد على قيله ذلك ببيت العجاج * في بئر لا حور سرى وما شعرا * ويتاوله معنى في بئر حور سرى أي في بئر هلكة وان لا بمعنى الالغاء والصلة ويعتل أيضا لذلك بقول أبي النجم

فما ألوم البيض ان لا تسخرا * لما رأينا الشمط القفندرا

واعلم ان درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلي ونقصانه فكل حاضر غائب بالنسبة الى ما فوقه ثلاث درجات ورب غائب حاضر كما قيل

أيا غائبا حاضرا في الفؤاد * سلام على الغائب الحاضر

وفي لفظة هو أسرار عجيبة منها ان العبد اذا قال يا هو فكانه يقول ما للتراب ورب الارباب وما المناسبة بين المتولد من النطفة والدم وبين الموصوف بالازلية والقدم فلهذا ينادي نداء الغائبين ويقول يا هو ومنها انه اذا قال يا هو فقد حكم على ان كل ما سوى الله تعالى نفي محض لانه لو حصل في الوجود شيآن لكان قوله هو صالحا لهما جميعا فلا يتعين النداء ومنها اذا قال يا رحمن فكانه يتذكر رحمته أو يطلب جنته وكذا اذا قال يا كريم وغيره من الصفات فاما اذا قال يا هو فكانه استغرق في بحر العرفان وفني عما سوى الذات ومنها اذا قال يا هو فكانه يقول أجل حضرتك ان أمدحك وأثني عليك بسلب نقائص المخلوقات عنك وهي صفات الجلال نحو لا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا في المحل أو باسناد كمالات الممكنات اليك وهي صفات الاكرام ككونه مرتبا للموجودات على النحو الاكمل بل لا أمدحك ولا أثني عليك الا بهويتك من حيث هي ومنها ان هذا الذكر يفيد ان المنادى بسيط محض لا طريق الى تصوره الا بالاشارة العقلية ومنها ان العبد كانه دهش وذهل عن كل ما يوصف به مالكه الا عن هذه الاشارة ولاختصاص هذا الذكر بهذه الاسرار ذكر الغزالي لا اله الا الله توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص وذلك ان قوله لا هو معناه كل شيء هالك وقوله الا هو معناه الا وجهه ومن جملة الاذكار الشريفة يا هو يا من لا هو الا هو يا أزل يا أبد يا دهر يا ديهور يا من هو الحي الذي لا يموت ولقد لقنني بعض المشايخ من الذكر يا هو يا من لا هو الا هو يا هو يا من لا هو بلا هو الا هو فالاول فناء عما سوى الله والثاني فناء في الله والثالث فناء عمن سوى الذات والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات وباقي بقية مباحث الاسماء اختلفوا في ان أسماء الله تعالى توقيفية أم لا فمال بعضهم الى التوقيف لانا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا وفقيها ومستقيا فلولا ان أسماء توقيفية لوصف بمثلها وان كان على سبيل التجوز القائلون بعدم التوقيف احتجوا بان أسماء الله تعالى وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وان شيأ منها لم يرد في القرآن ولا في الاخبار مع ان المسلمين أجمعوا على جواز اطلاقها والجواب ان عدم

التوقيف في غير اللغة العربية لا يوجب عدمه في العربية وبان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وكل اسم دل على صفات الكمال ونعوت الجلال كان حسنا ويجوز اطلاقه والجواب انه يجوز ولكن بعد التوقيف لم قلتم انه ليس كذلك والغزالي فرق بين اسم الذات وبين أسماء الصفات فمنع الاول وجوز الثاني واعلم انه قد ورد في القرآن ألفاظ دالة على معان لا يمكن اثباتها بالحقيقة في حق الله تعالى منها الاستهزاء الله يستهزئ بهم والاستهزاء مذموم لكونه جهلا قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ومنها المكر ومكروا ومكر الله ومنها الغضب وغضب الله عليهم ومنها التعجب بل عجبت ويسخرون فيمن قرأ بضم التاء والتعجب حالة القلب تعرض عند الجهل بسبب الشيء ومنها التكبر الجبار المتكبر ومنها الحياء ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا والحياء تغير يعرض للقلب والوجه عند فعل شيء قبيح والقانون في تصحيح هذه الالفاظ ان يقال لكل واحدة من هذه الاحوال أمور توجد معها في البداية وآثار تصدر منها في النهاية مثاله الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دم وسخونة مزاجه والاثر الحاصل ايصال الضرر الى المغضوب عليه فالغضب في حقه تعالى محمول على الاثر الحاصل في النهاية لا الامر الكائن في البداية وقس على هذا قيل ان لله تعالى أربعة آلاف اسم ألف منها في القرآن والاخبار وألف في التوراة وألف في الانجيل وألف في الزبور وقد يقال ألف آخر في اللوح المحفوظ ولم يصل ذلك الى البشر وهذا غير مستبعد فان أقسام صفات الله تعالى بحسب السلوب والاضافات لا تكاد تنحصر وكل من كان اطلاعه على آثار حكمة الله تعالى في تدبير العالم العلوي والعالم السفلي أكثر كان اطلاعه على اسماء الله أكثر وان قلنا ان لله بكل مخلوق اسما وكذا بكل خاصية ومنفعة فيه كمنافع الاعضاء والحيوان والنبات والاحجار خرجت الاسماء عن حيز العد والاحصاء وكما قال عز من قائل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان قلت انا نرى في كتب العزائم أذكارا غير معلومة ورقى غير مفهومة وقد يكون كتابتها أيضا غير معلومة فما بال تلك الاذكار والرقى قلت لا نشك ان تلك الكلمات ان لم تدل على شيء أصلا لم تفد وان دلت فأحسن أحوال تلك الكلمات ان تكون شيئا من هذه الادعية ولا ريب ان الاذكار المعلومة أدخل في التأثير من قراءة تلك

وهو يريد فألوم البيض ان تسخرا ويقول

ويحيني في الهوان لا أحبه * وللهو داع دائب غير غافل

يريد ويحيني في الهوان أحبه وكقوله ما منعك أن لا تسجد يريد ان تسجد وحكي عن قائل هذه المقالة انه كان يتأول غير التي مع المغضوب عليهم انها بمعنى سوى فكان معنى الكلام عنده اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم الذين هم سوى المغضوب عليهم والضالين وكان بعض نحويي الكوفيين يستنكر ذلك من قوله ويزعم ان غير التي مع المغضوب عليهم لو كانت بمعنى سوى لكان خطأ أن يعطف عليها بلا اذ كانت لا لا يعطف بها الا على جحد وقد تقدمها كما خطأ قول القائل عندي سوى أخيك ولا أبيك لان سوى ليست من حروف النفي والجحود ويقول لما كان ذلك خطأ في كلام العرب وكان القرآن بأفصح اللغات من لغات العرب كان معلوما ان الذي زعمه القائل ان غير المغضوب عليهم بمعنى سوى المغضوب عليهم خطأ اذ كان قد كر عليه الكلام بلا وكان يزعم ان غير هنالك انما هي بمعنى الجحد اذ كان صحيحا في كلام العرب وفاشيا ظاهرا في منطقها توجيه غير الى معنى النفي ومستعملا فيهم أخوك غير محسن ولا مجمل يراد بذلك أخوك لا محسن ولا مجمل ويستنكر ان تأتي لا بمعنى الحذف في الكلام مبتدأ ولما يتقدمها جحد وكان يتأول في لا التي في بيت العجاج التي ذكرنا ان البصري استشهد به بقوله انها جحد صحيح وان معنى البيت سرى في بئر لا يحير عليه خيرا ولا يتبين له فيها أثر عمل وهو لا يشعر بذلك ولا يدري به من قولهم طحنت الطاحنة فما أحارت شيئا أي لم يتبين لها أثر عمل ويقول في سائر الابيات الاخر أعني مثل بيت أبي النجم

* فما ألوم البيض ان لا تسخرا * انما جاز ذلك لا يكون لا بمعنى الحذف لان الجحد قد تقدمها في أول الكلام فكان الكلام الآخر مواصلا للاول كما قال الشاعر

ما كان يرضى رسول الله فعلهم * والطيبان أبو بكر ولا عمر

فجاز ذلك اذ كان قد تقدم الجحد في أول الكلام * قال أبو جعفر وهذا القول الآخر أولى بالصواب من الاول اذ كان غير موجود في كلام العرب ابتداء الكلام من غير جحد تقدمه بلا التي معناها الحذف ولا جائز العطف بها على سوى ولا على حرف الاستثناء وانما لغير في كلام العرب معان ثلاثة أحدها الاستثناء والآخر الجحد والثالث سوى فاذا بطل خطأ لا أن يكون بمعنى الالغاء مبتدأ وفسد ان يكون عطفا على غير التي مع المغضوب عليهم لو كانت بمعنى الا التي هي استثناء ولم يجز أيضا ان يكون عطفا عليها لو كانت بمعنى سوى وكانت لا موجودة عطفا بالواو التي هي عاطفة بها على ما قبلها صح وثبت ان لا وجه لغير التي مع المغضوب عليهم يجوز توجيهها اليه على صحة الا معنى الجحد والنفي وان لا وجه لقوله ولا الضالين الا العطف على غير المغضوب عليهم فتأويل الكلام اذا اذ كان صحيحا ما قلنا بالذي عليه استشهدنا اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم لا المغضوب عليهم ولا الضالين * فان قال لنا قائل ومن هؤلاء الضالون الذين أمرنا الله بالاستعاذة بالله ان يسلك بنا سبيلهم أو نضل ضلالهم قيل هم الذين وصفهم الله في تنزيله فقال يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل فان قالوا وما

برهانك

المجهولات الان أكثر الناس اذا قرؤا هذه الاذكار المعلومة ولم يكن لهم نفوس مشرفة تنجذب بهم الى عالم القدس ويلوح عليهم آثار الالهيات لم يكد يظهر عليهم شروق أنوارها ولهذا قدور دبتالى القرآن والقرآن يلعنه نعوذ بالله من هذه الحالة أما اذا قرؤا تلك الالفاظ المجهولة ولم يفهموا منها شيأ وحصلت عندهم أوهام انها كلمات عالية استولى الفزع والرعب على قلوبهم فيحصل لهم بهذا السبب نوع تجرد عن الجسمانيات وتوجه الى الروحانيات فتتأثر نفوسهم ويؤثر وهذا

وجه مناسب فى قراءة الرقى المجهولة * واعلم ان بين الخلق وبين أسماء الله تعالى مناسبات عجيبة والنفوس مختلفة والجنسية علة الضم فكل اسم يغلب معناه على بعض النفوس فاذا واظب صاحبه على ذلك الاسم كان انتفاعه به أسرع والله الموفق * حكى ان الشيخ أبا النجيب البغدادى كان يأمر المريد بالاربعين مرة أو مرتين بقدر ما يرى مصلحته فيه ثم يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين وكان ينظر الى وجهه فان رآه عديم التأثر عند قراءتها عليه قال له اخرج الى السوق واشتغل بمهمات الدنيا فانك ما خلقت لهذا الطريق وان رآه تأثر عند سماع اسم خاص أمره بالمواظبة على ذلك الذكر وقال ان أبواب المكاشفات تنفتح عليك من هذا الطريق وذلك ان الرياضة والمجاهدة لا تقلب النفوس عن أحوالها الفطرية ولكنها تضعف بحيث لا تستولى على الانسان ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الارواح جنود مجندة اعملوا فكل ميسر لما خلق له فهذا تمام البحث عن مطلق الاسماء

(الثانى عشر فى الابحاث المختصة باسم الله) المختار عند الخليل ومتابعيه وعند أكثر الاصوليين والفقهاء ان هذا اللفظ ليس بمشتق ألبتة وانه اسم علم له سبحانه وتعالى لانه لو كان مشتقا لكان معناه معنى كليا لا يمنع نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه وحينئذ لا يكون قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد المحض فلا يدخل الكافر بقوله أشهد أن لا اله الا الله فى الاسلام كما لو قال أشهد أن لا اله الا الرحمن أو الا الملك لا يدخل بذلك فى الاسلام بالاتفاق وأيضا الترتيب العقلى ذكر الذات ثم تعقيبه بالصفات نحو زيد الفقيه الاصولى النحوى ثم انا نقول الله الرحمن الرحيم العالم القادر ولا نقول بالعكس فدل ذلك على ان الله اسم علم وقراءة من قرأ الى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما فى السموات وما فى

برهانك على انهم أولاه قيل حدثنا أحمد بن الوليد الرملى قال حدثنا عبد الله بن جعفر قال حدثنا سفيان بن عيينة عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن عدى بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الضالين قال النصارى حدثنا محمد بن المثنى أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا شعبة عن سماك قال سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عدى بن حاتم قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الضالين النصارى وحدثنى على بن الحسن قال حدثنا مسلم بن عبد الرحمن قال حدثنا محمد بن مصعب عن حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن مرى بن قطرى عن عدى بن حاتم قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قول الله ولا الضالين قال النصارى هم الضالون وحدثنا حميد بن مسعدة الشامى قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا الجريرى عن عبد الله بن شقيق ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر وادى القرى قال قلت من هؤلاء قال هؤلاء الضالون النصارى وحدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن سعيد الجريرى عن عروة يعنى ابن عبد الله بن قيس عن عبد الله بن شقيق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وحدثنا الحسن بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن بديل العقيلى قال أخبرنى عبد الله بن شقيق انه أخبره من سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو بوادى القرى وهو على فرسه وسأله رجل من بنى القين فقال يا رسول الله من هؤلاء قال هؤلاء الضالون يعنى النصارى وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا خالد الواسطى عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم وهو محاصر وادى القرى وهو على فرس من هؤلاء قال الضالون يعنى النصارى وحدثنا محمد بن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن مجاهد ولا الضالين قال النصارى وحدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس ولا الضالين قال وغير طريق النصارى الذين أضلهم الله بفريتهم عليه قال يقول فألهمنا دينك الحق وهو لا اله الا الله وحده لا شريك له حتى لا تغضب علينا كما غضبت على اليهود ولا تضلنا كما أضللت النصارى فتعذبنا بما عذبتهم به يقول امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك وقدرتك وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الضالين النصارى وحدثنى موسى ابن هرون الهمدانى قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط بن نصر عن اسمعيل السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ولا الضالين هم النصارى وحدثنى أحمد بن حازم الغفارى قال أخبرنا عبيد الله بن موسى عن أبى جعفر عن ربيع ولا الضالين النصارى وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن ولا الضالين النصارى وحدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنى ابن زيد عن أبيه قال الضالين النصارى وكل حائد عن قصد السبيل وسالك غير المنهج القويم فضال عند العرب لاضلاله وجه الطريق فلذلك سمى الله جل ذكره النصارى ضلالا لخطئهم فى الحق منهج السبيل وأخذهم من الدين فى غير الطريق المستقيم * فان قال قائل أو ليس ذلك أيضا من صفة اليهود قيل بلى فان قال كيف خص النصارى بهذه الصفة وخص

اليهود بما وصفهم به من انهم مغضوب عليهم قيل ان كلا الفريقين ضلال مغضوب عليهم غير ان الله جل ثناؤه وسم كل فريق منهم من صفته لعباده بما يعرفونه به اذا ذكرهم أو أخبرهم عنه ولم يسم واحدا من الفريقين الا بما هو له صفة على حقيقته وان كان له من صفات الذم زيادات عليه وقد ظن بعض أهل الغباء من القدرية ان في وصف الله جل ثناؤه النصارى بالضلال بقوله ولا الضالين واضافته الضلال اليهم دون اضافة اضلالهم الى نفسه وتركه وصفهم بانهم المضللون كالذي وصف به اليهود انه مغضوب عليهم دلالة على صحة ما قاله اخوانه من جهلة القدرية جهلا منه بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهه ولو كان الامر على ما ظنه الغبي الذي وصفنا شأنه لوجب ان يكون كل موصوف بصفة أو مضاف اليه فعل لا يجوز ان يكون فيه سبب لغيره وان يكون كل ما كان فيه من ذلك من فعله لوجب ان يكون خطأ قول القائل تحركت الشجرة اذا حركتها الرياح واضطربت الارض اذا حركتها الزلزلة وما أشبه ذلك من الكلام الذي يطول باحصائه الكتاب وفي قول الله جل ثناؤه حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وان كان جريها باجراء غيرها اياها ما يدل على خطأ التأويل الذي تأوله من وصفنا قوله في قوله ولا الضالين وادعائه ان في نسبة الله جل ثناؤه الضلالة الى من نسبها اليه من النصارى تصحيحا لما ادعى المنكرون ان يكون الله جل ثناؤه في أفعال خلقه سبب من أجله وجدت أفعالهم مع ابانة الله عز ذكره نصا في آي كثيرة من تنزيله انه المضل الهادي فمن ذلك قوله جل ثناؤه أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون فأنبأ جل ذكره انه المضل الهادي دون غيره ولكن القرآن نزل بلسان العرب على ما قدمنا البيان عنه في أول الكتاب ومن شأن العرب اضافة الفعل الى من وجد منه وان كان مسببه غير الذي وجد منه الفعل غيره فكيف بالفعل الذي يكتسبه العبد كسبا ويوجده الله جل ثناؤه عينا منشأة بل ذلك أحرى ان يضاف الى مكتسبه كسبا له بالقوة منه عليه والاختيار منه له والى الله جل ثناؤه بايجاد عينه وانشائها تدبيرا * (مسئلة) * يسأل عنها أهل الالحاد الطاعنون في القرآن ان سألنا منهم سائل فقال انك قد قدمت في أول كتابك هذا في وصف البيان بان اعلاه درجة وأشرفه مرتبة أبلغه في الابانة عن حاجة المبين به عن نفسه وأبينه عن مراد قائله وأقربه من فهم سامعه وقلت مع ذلك ان أولى البيان بان يكون كذلك كلام الله جل ثناؤه لفضله على سائر الكلام وبارتفاع درجته على أعلى درجات البيان فما الوجه ان كان الامر على ما وصفت في اطالة الكلام بمثل سورة أم القرآن بسبع آيات وقد حوت معاني جميعها منها آيتان وذلك قوله مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اذ كان لا شك ان من عرف مالك يوم الدين فقد عرفه باسمائه الحسنى وصفاته المثلى وان من كان لله مطيعا فلا شك انه لسبيل من أنعم الله عليه في دينه متبع وعن سبيل من غضب عليه وضل منعدل فما في زيادة الآيات الخمس الباقية من الحكمة التي لم تحوها الآيتان اللتان ذكرنا قيل له ان الله تعالى ذكره جمع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولامته بما أنزل اليه من كتابه معاني لم يجمعهن بكتاب أنزله الى نبي قبله ولا لامة من الامم قبلهم وذلك ان كل كتاب أنزله جل ذكره على نبي من أنبيائه قبله فانما أنزله ببعض المعاني

التي

الارض بخفض اسم الله ليست لاجل انه جعله وصفا وانما هو للبيان فوزانه وزان قولك مررت بالعالم الفاضل الكامل زيد وأيضا قال تعالى هل تعلم له سميا وليس المراد به الصفة والا لزم خلاف الواقع فوجب ان يكون المراد اسم العلم وليس ذلك الا الله حجة القائلين باشتقاقه قوله عزم قائل وهو الله في السموات وفي الارض فانه لا يجوز ان يقال هو زيد في البلد وانما يقال هو العالم في البلد قلنا لم لا يجوز ان يكون ذلك جاريا مجرى قولك هو زيد الذي لا نظير له في البلد قالوا لما كانت الاشارة ممتنعة في حقه تعالى كان اسم العلم له ممتنعا وأيضا العلم للتمييز ولا مشاركة فلا حاجة الى التمييز قلنا وضع العلم لتعيين الذات المعينة ولا حاجة فيه الى الاشارة الحسية ولا يتوقف على حصول الشركة وكان النزاع بين الفريقين لفظيا لان القائلين بالاشتقاق متفقون على ان الاله مشتق من اله بالفتح الاهة أي عبد عبادة وانه اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره وينبغي ان يكون المراد من كون الله تعالى معبودا كونه مستحقا ومستأهلا لان يعبده كل من سواه كما يليق بحال العابد فان اللائق بحال المعبودات لا يقدر عليه أحد من المخلوقات ولا يخفى ان الاستحقاق والاستئهال حاصل له أزلا وأبدا فيكون الها أزلا وأبدا وان كل من سواه عابد له بقدر استعداده وعلى حسب حاله حتى النبات والجماد والكافر والفاسق وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا والعبد الصالح من يعبد الله تعالى لذاته لا لغرض رغبة في الثواب ورهبة من العقاب حتى لو فرض حصول المرغوب أو فقد المرهوب لم يكن عابدا أو مع ذلك فينبغي ان يقطع النظر عن عبادته أيضا وقيل اشتقاقه من أله الى فلان أي سكنت اليه فالنفوس لا تسكن الا اليه تعالى والعقول لا تقف الا اليه لان الكمال محبوب لذاته ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وقيل من الوله وهو ذهاب العقل سواء فيه الواصلون الى ساحل بحر العرفان والواقفون في ظلمات الجهالة وتيه الخذلان وقيل من لاه ارتفع لانه تعالى ارتفع عن مشابهة

التى يحوى جميعها كتابه الذى أنزله الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كالتوراة التى هى موعظة وتفصيل والزبور الذى هو تحميد وتمجيد والانجيل الذى هو مواعظ وتذكير لا معجزة فى واحدة منها تشهد لمن أنزله بالتصديق والكتاب الذى أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يحوى معانى ذلك كله ويزيد عليه كثيرا من المعانى التى سائر الكتب غيره منها خال وقد قدمنا ذكرها فيما مضى من هذا الكتاب ومن أشرف تلك المعانى التى فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله نظمه العجيب ووصفه الغريب وتأليفه البديع الذى عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء وكلت عن وصف شكله البلغاء وتحيرت فى تأليفه الشعراء وتبلدت قصورا عن ان تأتى بمثله لديه افهام الفهماء فلم يجدوا له الا التسليم والاقرار بانه من عند الواحد القهار مع ما يحوى من ذلك من المعانى التى هى ترغيب وترهيب وأمر وزجر وقصص وجدل ومثل وما أشبه ذلك من المعانى التى لم تجتمع فى كتاب أنزل الى الارض من السماء فمهما يكن فيه من اطالة على نحو ما فى أم القرآن فلما وصفت قبل من ان الله جل ذكره أراد ان يجمع بوصفه العجيب ونظمه الغريب المنعدل عن أوزان الاشعار وسجع الكهان وخطب الخطباء ورسائل البلغاء العاجز عن وصف مثله جميع الانام وعن نظم نظيره كل العباد الدلالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبما فيه من تحميد وتمجيد وثناء عليه تنبيه العباد على عظمته وسلطانه وقدرته وعظم مملكته ليذكروه بآلائه ويحمدوه على نعمائه فيستحقوا به منه المزيد ويستوجبوا عليه الثواب الجزيل وبما فيه من نعت من أنعم عليه بمعرفته وتفضل عليه بتوفيقه لطاعته تعريف عباده ان كل ما بهم من نعمة فى دينهم ودنياهم فمنه ليصرفوا رغبتهم اليه ويبتغوا حاجاتهم من عنده دون ما سواه من الآلهة والانداد وبما فيه من ذكره ما أحل بمن عصاه من مثلاته وأنزل بمن خالف أمره من عقوباته ترهيب عباده عن ركوب معاصيه والتعرض لما لا قبل لهم به من سخطه فيسلك بهم فى النكال والنقمات سبيل من ركب ذلك من الهلاك وذلك من وجوه اطالة البيان فى سورة أم القرآن وفيما كان نظيرا لها من سائر سور الفرقان وذلك هو الحكمة البالغة والحجة الكاملة حدثنا أبو كريب قال حدثنا المحاربى عن محمد بن اسحق قال حدثنى العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبى السائب مولى زهرة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الحمد لله قال الله حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى فهذا لى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين الى ان يختم السورة قال فذاك له حدثنا أبو كريب قال حدثنا عبدة عن ابن اسحق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبى السائب عن أبى هريرة قال اذا قال العبد الحمد لله فذكر نحوه ولم يرفعه حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو اسامة قال حدثنا الوليد بن كثير قال حدثنى العلاء بن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبى السائب عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله حدثنى صالح بن مسمار قال حدثنا زيد بن الحباب قال حدثنا عنبسة بن سعد عن مطرف بن طريف عن سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة عن جابر ابن عبد الله الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل قسمت الصلاة بينى وبين عبدى وله ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال

الممكنات ومناسبة المحدثات وقيل من اله فى الشئ اذا تحير فيه لان العقل وقف بين اقدام على اثبات ذاته نظرا الى وجوه مصنوعاته وبين تكذيب لنفسه لتعاليه عن ضبط وهمه وحسه فلم يبق الا ان يقر بالوجود الكامل مع الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه الجلال والجمال وفهمنا العجز عن درك الادراك ادراك وقيل من لاه يلوه اذا احتجب لانه بكنه صمديته محتجب عن العقول فانا انما نستدل على كون الشعاع مستفادا من الشمس بدورانه معها وجودا وعدما وشروقا وأفولا ولو كانت الشمس ثابتة فى كبد السماء لما حصل الاطمئنان بكون الشعاع مستفادا منها ولما كان ذاته تعالى باقيا على حاله وكذا الممكنات التابعة له فربما يخطر ببال الضعفاء ان هذه الاشياء موجودة بذواتها فلا سبب لاحتجاب نوره الا كمال ظهوره فالحق محتجب والخلق محجوب وقيل من اله الفصيل اذا ولع بامه لان العباد تتضرع اليه فى البليات واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه هذا شأن الناقصين واما الكاملون فهو جليسهم وأنيسهم أبدا شكى بعض المريدين كثرة الوسواس فقال الشيخ كنت حدادا عشر سنين وقصارا عشرا وبوابا عشرا فقيل وكيف وما رأينا منك قال القلب كالحديد ألينه بنار الخوف عشرا ثم شرعت فى غسله عن الاوضار والاوزار عشرا ثم وقفت على باب القلب عشرا أسل سيف لا اله الا الله فلم أزل حتى يخرج منه حب غير الله ويدخل فيه حب الله فلما خلت عرصة القلب عن غيره وقويت فيه محبته سقت عن بحر عالم الجلال قطرة من النور فغرق القلب فبقى فى تلك القطرة وفنى عن الكل ولم يبق فيه الا محض سر لا اله الا الله وقيل من اله الرجل يأله اذا فزع من أمر نزل به فالهه اى أجاره والمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله وهو يجير ولا يجار عليه ومن لطائف اسم الله انك اذا لم تتلفظ بالهمزة بقى لله ولله جنود السموات والارض فان تركت من هذه البقية اللام الاولى بقيت البقية على صورة له له ما فى السموات وما فى الارض وان تركت اللام الباقية بقى الهاء المضمومة من هو قل هو الله أحد والواو زائدة بدليل سقوطها فى التثنية والجمع هما هم هذا بحسب اللفظ واما بحسب المعنى فاذا دعوت الله به فكانك دعوته بجميع الصفات لا كسائر الاسماء ولهذا صحت كلمة الشهادة به فقط والله تعالى أعلم الثالث عشر فيما يتعلق بالرحمن الرحيم الرحمن

أثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى فان هذا لى وله مابقى آخر سورة فاتحة الكتاب

القول فى تاويل قول الله جل ثناؤه (الم) اختلفت تراجمة القراء فى تاويل قول الله تعالى ذكره الم فقال بعضهم هو اسم من أسماء القرآن * ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله الم قال اسم من أسماء القرآن حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الم اسم من أسماء القرآن حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال الم اسم من أسماء القرآن * وقال بعضهم هو فواتح يفتح الله بها القرآن * ذكر من قال ذلك حدثنى هرون بن ادريس الاصم قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن ابن جريج عن مجاهد الم فواتح يفتح الله بها القرآن حدثنا أحمد بن حازم الغفاري قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن مجاهد قال الم فواتح حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن يحيى بن داود بن آدم عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الم وحم والمص وص فواتح افتتح الله بها حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثل حديث هرون بن ادريس * وقال بعضهم هو اسم للسورة * ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أنبأنا عبد الله بن وهب قال سألت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن قول الله الم ذلك الكتاب والم تنزيل والمر تلك فقال قال أبى انما هى أسماء السور * وقال بعضهم هو اسم الله الاعظم * ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال حدثنا شعبة قال سألت السدى عن حم وطسم والم فقال قال ابن عباس هو اسم الله الاعظم حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنى أبو النعمان قال حدثنا شعبة عن اسمعيل السدى عن مرة الهمدانى قال قال عبد الله فذكر نحوه حدثنى المثنى قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن عبيد الله ابن موسى عن اسمعيل عن الشعبي قال فواتح السور من أسماء الله * وقال بعضهم هو قسم أقسم الله به وهو من أسمائه * ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى بن عثمان بن صالح السهمى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس قال هو قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية قال حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال الم قسم * وقال بعضهم هو حروف مقطعة من أسماء وأفعال كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر * ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع وحدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا ابن أبي شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس الم قال أنا الله أعلم وحدثت عن أبي عبيد قال حدثنا أبو اليقظان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال قوله الم قال أنا الله أعلم حدثنى موسى بن هرون الهمدانى قال حدثنا عمرو بن حماد القناد قال حدثنا أسباط بن نصر عن اسمعيل السدى فى خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الميم فهو حرف اشتق من حروف هجاء أسماء الله جل ثناؤه حدثنا محمد بن معمر قال حدثنا عباس

ابن

فعلان من رحم والرحيم فعيل منه واشتقاقهما من الرحمة وهى فى اللغة رقة القلب تقتضى التفضل والاحسان على من يستحقها أو ارادة الخير لاهله وأصله الرقة والتعطف ومنه الرحم لرقتها وانعطافها على مافيها واختلف فى منع صرف رحمن اذ ليس له مؤنث على فعلى كعطشى ولا على فعلانة كندمانة فمن شرط فى منع صرف فعلان صفة وجود فعلى صرفه ومن شرط فيه انتفاء فعلانة لم يصرفه واذا تساقط الدليلان للتعارض فللصرف وجه وهو ان الاصل فى الاسماء الصرف ولمنع الصرف وجه وهو القياس على اخواته من بابه نحو عطشان وغرثان وزعم قوم انهما بمعنى واحد كندمان ونديم وجمع بينهما للتأكيد والاتساع كقولهم جاد مجد قال طرفة

متى أدن منه ينأ عنى ويبعد

وقال قوم الرحمن أشد مبالغة استدلالا بالزيادة فى اللفظ على الزيادة فى المعنى قالوا ولهذا جاء رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وربما يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان رحمته فى الدنيا عمت المؤمن والكافر والبر والفاجر وفى الآخرة اختصت بالمؤمنين فالرحمن خاص اللفظ عام المعنى والرحيم بالعكس أما خصوص الرحمن فمن حيث لا يسمى به الا الله تعالى لانه من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق واما عمومه فمن حيث انه يشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع واما عموم الرحيم فاشتراك تسمية الخلق به واما خصوصه فرجوعه الى اللطف بالمؤمنين والتوفيق الضحاك الرحمن باهل السماء حيث أسكنهم السموات وعلمهم الطاعات وأنطق ألسنتهم بانواع التسبيحات وجنبهم الآفات وقطع عنهم المطامع واللذات والرحيم باهل الارض حيث أرسل اليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب قال عكرمة الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة وانه أنزل منها رحمة واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة قال ابن المبارك الرحمن الذى اذا سئل أعطى والرحيم الذى اذا لم يسئل غضب قال صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه الرحمن بالنعماء وهى ما أعطى وحبا والرحيم بالالاء وهى ما صرف وزوى الرحمن بالانقاذ من النار وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها والرحيم بادخالهم الجنان ادخلوها بسلام آمنين الرحمن القادر على كشف الضر والرحيم الراحم وان لم يقدر

على كشف الضر وتعمية مسيلمة الكذاب بالرحمن تعنت منهم واقتطاع من أسماء الله تعالى بالعطاء والكثرة الله تعالى بالرحيم لان هذا
المجموع لم يسم به غيره وانما قدم الرحمن وهو الاعلى على الرحيم والعادة التدريج من الادنى الى الاعلى لان الرحمن يتناول عظائم النعم وأصولها
وارداف بالرحيم كالتتمة ليتناول مادق منها ولطف واعلم ان الاشياء التى أنعم الله تعالى بها على الخلق أربعة أقسام الاول ما يكون نافعا
وضرور يا معا وذلك فى الدنيا التنفس فانه لو انقطع لحظة واحدة مات وفى (٦٧) الآخرة معرفة الله فانها اذا زالت عن القلب لحظة
مات القلب واستوجب عذاب الابد
الثانى ان يكون نافعا لا ضرور يا
كالمال فى الدنيا وكسائر العلوم
والمعارف فى الآخرة الثالث
ان يكون ضرور يا لا نافعا
كالآفات والعلل ولا نظير لهذا
القسم فى الآخرة الرابع ان لا يكون
نافعا ولا ضرور يا كالفقر فى
الدنيا والعذاب فى الآخرة وبالجملة
فكل نعمة أو نقمة دنيوية أو
أخروية فانما تصل الى العبد أو
تندفع عنه برحمة الله تعالى وفضله
من غير شائبة غرض ولا ضميمة
علة لانه الجواد المطلق والغنى الذى
لا يفتقر فينبغى ان لا يرجى الا رحمته
ولا يخشى الا عقابه *(فوائد)*
فى نكت شريفة الاولى كل
العلوم يندرج فى الكتب الاربعة
وعلومها فى القرآن وعلوم القرآن
فى الفاتحة وعلوم الفاتحة فى
بسم الله الرحمن الرحيم وعلومها فى
الباء من بسم الله وذلك ان المقصود
من كل العلوم وصول العبد الى الرب
وهذا الباء للالصاق فهو يوصل
العبد الى الرب وهو نهاية الطلب
وأقصى الامد وقيل انما وقع
ابتداء كتاب الله تعالى بالباء دون
الالف لان الالف تطاول وترفع
والباء انكسر وتساقط ومن تواضع
لله رفعه الله * الثانية مرض موسى
عليه السلام واشتد وجع بطنه
فشكى الى الله فدله على عشب فى
المفازة فأكله فعوفى باذن الله ثم عاوده ذلك المرض فى وقت آخر فأكل ذلك العشب فازداد مرضه فقال يارب أكلته أولا فانتفعت به وأكلته
ثانيا فضرنى فقال لانك فى المرة الاولى ذهبت منى الى الكلأ فحصل فيه الشفاء وفى الثانية ذهبت منك الى الكلأ فازداد المرض أما علمت ان
الدنيا كلها سم وترياقها اسمى * الثالثة بات ترابعة ليلة فى التهجد والصلاة فلما انفجر الصبح نامت فدخل السارق دارها وأخذ ثيابها وقصد
الباب فلم يهتد الى باب فوضعها فوجد الباب ففعل ذلك ثلاث مرات فنودى من زاوية البيت ضع القماش واخرج فان نام الحبيب فالسلطان

ابن بزيع الباهلى قال حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله الم وحم
ون قال اسم مقطع * وقال بعضهم هى حروف هجاء موضوع * فذكر عن منصور بن أبى نويرة قال
حدثنا أبو سعيد المؤدب عن خصيف عن مجاهد قال فواتح السور كلها ق وص وحم وطسم والر
وغير ذلك هجاء موضوع * وقال بعضهم هى حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى مختلفة * ذكر
من قال ذلك حدثنى المثنى بن ابراهيم الطبرى قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن عبد الله بن أبى
جعفر الرازى قال حدثنى أبى عن الربيع بن أنس فى قول الله تعالى ذكره الم قال هذه الاحرف من
التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الالسن كلها ليس منها حرف الا وهو مفتاح اسم من أسمائه
وليس منها حرف الا وهو فى آلائه وبلائه وليس منها حرف الا وهو مدة قوم وآجالهم وقال عيسى
ابن مريم وعجب ينطقون فى أسمائه ويعيشون فى رزقه فكيف يكفرون قال الالف مفتاح اسمه
الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والالف آلاء الله واللام لطفه والميم مجده الالف
سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة حدثنا ابن حميد قال حدثنا حكام عن أبى جعفر عن
الربيع بنحوه * وقال بعضهم هى حروف من حساب الجمل كرهت أن أذكر الذى حكى ذلك عنه اذ
كان الذى رواه ممن لا يعتمد على روايته ونقله وقد مضت الرواية بنظير ذلك من القول عن الربيع
ابن أنس وقال بعضهم لكل كتاب سر وسر القرآن فواتحه * وأما أهل العربية فانهم اختلفوا
فى معنى ذلك فقال بعضهم هى حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها فى أوائل السور
عن ذكر بواقيها التى هى تتمة الثمانية والعشرين حرفا كما استغنى المخبر عمن أخبر عنه انه فى حروف
المعجم الثمانية والعشرين بذكر الف با تا ثا عن ذكر بواقى حروفها التى هى تتمة الثمانية والعشرين
قال ولذلك رفع ذلك الكتاب لان معنى الكلام الالف واللام والميم من الحروف المقطعة ذلك
الكتاب الذى أنزلته اليك مجموعا لا ريب فيه فان قال قائل فان الف با تا ثا قد صارت كالاسم فى
حروف الهجاء كما صارت الحمد اسما لفاتحة الكتاب قيل له لما كان جائزا ان يقول القائل ابنى فى
ط ظ وكان معلوما بقيله ذلك لو قال انه يريد الخبر عن ابنه انه فى الحروف المقطعة يعلم بذلك ان الف
با تا ثا ليس لها باسم وان كان ذلك يؤثر فى الذكر من سائرها قال وانما خولف بين ذكر حروف
المعجم فى فواتح السور فذكرت فى أوائلها مختلفة وذكرها اذا ذكرت بأوائلها التى هى الف ب
ت ث مؤتلفة ليفصل بين الخبر عنها اذا أريد بذكر ما ذكر منها مختلفا الدلالة على الكلام المتصل
واذا أريد بذكر ما ذكر منها مؤتلفا الدلالة على الحروف المقطعة بأعيانها واستشهد لاجازة قول
القائل ابنى فى ط ظ وما أشبه ذلك من الخبر عنه انه فى حروف المعجم وان ذلك من قيله فى البيان
يقوم مقام قوله ابنى فى الف ب ت ث برجز بعض الرجاز من بنى أسد

لما رأيت أمرها فى حطى * وفنكت فى كذب ولط
أخذت منها بقرون شمط * فلم يزل ضربى بها ومعطى
* حتى علا الرأس دم يغطى *

فزعم انه أراد بذلك الخبر عن المرأة انها فى أبى جاد فأقام قوله لما رأيت أمرها فى حطى مقام خبره عنها

انه ابى أبي جاداذ كان ذلك من قوله يدل سامعه مايدله عليه قوله لما رأيت أمرها فى أبي جاد * وقال آخرون بل ابتدئت بذلك أوائل السور ليفتح لاستماعها اسماع المشركين اذ تواصوا بالاعراض عن القرآن حتى اذا استمعوا له تلي عليهم المؤلف منه وقال بعضهم الحروف التي هي فواتح السور حروف يستفتح الله بها كلامه وقال فان قيل هل يكون من القرآن ماليس له معنى فان معنى هذه انه افتتح بها ليعلم ان السورة التي قبلها قد انقضت وانه قد أخذ فى أخرى فجعل هذا علامة انقطاع مابينهما وذلك فى كلام العرب ينشد الرجل منهم الشعر فيقول بل

* وبلدة ما الانس من آهالها * ويقول لا بل * ماهاج أحزانا وشجوا قد شجا *

وبل ليست من البيت ولا تعد فى وزنه ولكن يقطع بها كلاما ويستأنف الآخر ولكل قول من الاقوال التى قالها الذين وصفنا قولهم فى ذلك وجه معروف فاما الذين قالوا الم اسم من أسماء القرآن فلقولهم ذلك وجهان أحدهما ان يكونوا أرادوا ان الم اسم للقرآن كما الفرقان اسم له واذا كان معنى قائل ذلك كذلك كان تأويل قوله الم ذلك الكتاب على معنى القسم كأنه قال والقرآن هذا الكتاب لاريب فيه والآخر منهما ان يكونوا أرادوا انه اسم من أسماء السورة التى تعرف به كما تعرف سائر الاشياء باسمائها التى هي لها أمارات يعرفونها فيفهم السامع من القائل يقول قرأت اليوم المص ون أى السورة التى قرأها من سور القرآن كما يفهم عنه لو قال لقيت اليوم عمرا أو زيدا وهما بزيد وعمرو عارفان من الذى لقى من الناس وان أشكل ذلك على امرئ فقال وكيف يجوز ان تكون الاسماء أمارات اذا كانت مميزة بين الاشخاص فاما اذا كانت غير مميزة فليست أمارات قيل ان الاسماء وان كانت قد صارت لاشتراك كثير من الناس فى الواحد منها غير مميزة الا بمعان أخر معها من ضم نسبة المسمى بها اليها أو نعته وصفته بما يفرق بينه وبين غيره من أشكالها فانها وضعت ابتداء للتمييز لا شك ثم احتيج عند الاشتراك الى المعانى المفرقة بين المسمى بها فكذلك ذلك فى أسماء السور جعل كل اسم فى قول قائل هذه المقالة أمارة للمسمى به من السور فلما شارك المسمى به فيه غيره من سور القرآن احتاج المخبر عن سورة منها ان يضم الى اسمها المسمى به من ذلك الى ما يفرق به للسامع بين الخبر عنها وعن غيرها من نعت وصفة أو غير ذلك فيقول المخبر عن نفسه انه تلا سورة البقرة اذا سماها باسمها الذى هو الم قرأت الم البقرة وفى آل عمران قرأت الم آل عمران والم ذلك الكتاب والم الله لا اله الا هو الحى القيوم كما لو أراد الخبر عن رجلين اسم كل واحد منهما عمرو وغير ان أحدهما تميمى والآخر أزدى للزمه ان يقول لمن أراد اخباره عنهما لقيت عمرا التميمى وعمرا الازدى اذ كان لا فرق بينهما وبين غيرهما ممن يشاركهما فى اسمائهما الا بنسبتهما كذلك فكذلك ذلك فى قول من تأول فى الحروف المقطعة انها أسماء للسور وأما الذين قالوا ذلك فواتح يفتتح الله عز وجل بها كلامه فانهم وجهوا ذلك الى نحو المعنى الذى حكيناه عمن حكينا عنه من أهل العربية انه قال ذلك أدلة على انقضاء سورة وابتداء فى أخرى وعلامة لانقطاع مابينهما كما جعلت بل فى ابتداء قصيدة دلالة على ابتداء فيها وانقضاء أخرى قبلها كما ذكرنا عن العرب اذا أرادوا الابتداء فى انشاد قصيدة قالوا بل * ماهاج أحزانا وشجوا قد شجا * وبل

ليست

يقظان * الرابعة كان بعض العارفين يرعى غنما فحضر فى غنمه الذئب ولا يضر أغنامه فمر عليه رجل وناداه متى اصطلح الغنم والذئب قال الراعى من حين اصطلح الراعى مع الله * الخامسة روى ان فرعون قبل ان ادعى الالهية قصد أو أمر ان يكتب بسم الله على بابه الخارج فلما ادعى الالهية وأرسل الله اليه موسى ودعا فلم ير به أثر الرشد قال الهى كم أدعوه ولا أرى به خيرا فقال تعالى ياموسى لعلك تريد اهلاكه أنت تنظر الى كفره وأنا أنظر الى ما كتبه على بابه والنكتة ان من كتب هذه الكلمة على بابه الخارج صار آمنا من الهلاك وان كان كافرا فالذى كتبه على سويداء قلبه من أول عمره الى آخره كيف يكون حاله * السادسة سمى نفسه رحمانا ورحيما فكيف لا يرحم روى ان سائلا وقف على باب رفيع فسال شيأ فأعطى قليلا فجاء بفأس وأخذ يخرب الباب فقيل له لم تفعل قال اما ان تجعل الباب لائقا بالعطية أو العطية لائقة بالباب الهى كما أثبت فى أول كتابك صفة رحمتك فلا تجعلنا محرومين من فضلك * السابعة اذا اشترى العبيد شيأ من الدواب أو المتاع وضعوا عليه سمة الملك لئلا يطمع فيه العدو فالله تعالى يقول عبدى عدوك الشيطان فاذا شرعت فى عمل وطاعة فاجعل عليها سمتى وقل بسم الله الرحمن الرحيم الثامنة اجعل ذكر الله قرينك حتى لا تبعد عنه فى أحوالك روى ان النبي صلى الله عليه وسلم دفع خاتما الى أبي بكر وقال اكتب فيه لا اله الا الله فدفعه الى النقاش وقال اكتب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب النقاش ذلك فاتى أبو بكر بذلك الخاتم الى النبي صلى الله عليه وسلم فرأى فيه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق فقال يا أبا بكر ماهذه الزوائد فقال يارسول الله مارضيت ان أفرق اسمك من اسم الله فارضى الله ان يفرق اسمى عن اسمك * التاسعة ان نوحا صلى الله عليه وسلم لما ركب السفينة قال بسم الله مجريها ومرساها فنجا بنصف هذه الكلمة فما ظنك بمن واظب على الكلمة طول عمره كيف يبقى محروما عن النجاة * العاشرة الناس ثلاثة سابق بالخيرات ومقتصد وظالم لنفسه فقال الله للسابق بن الرحمن للمقتصد بن الرحيم للظالمين الله معطى العطاء الرحمن المجاوز عن زلات الاولياء الرحيم الساتر لعيوب الاغبياء يعلم منك مالو علمه أبواك لفارقاك ولو علمت المرأة لجفتك ولو علمت الامة لاقدمت

ليست من البيت ولا داخلة فى وزنه ولكن يدل به على قطع كلام وابتداء آخر وأما الذين قالوا ذلك حروف مقطعة بعضها من أسماء الله عز وجل وبعضها من صفاته ولكل حرف من ذلك معنى غير الحرف الآخر فانهم نحوا بتأويلهم ذلك نحو قول الشاعر

قلنا لها قفي لنا قالت قاف * لا تحسبي انا نسينا الايجاف

يعني بقوله قالت قاف قالت قد وقفت فدلت باظهار القاف من وقفت على مرادها من تمام الكلمة التي هي وقفت فصرفوا قوله الم وما أشبه ذلك فى نحو هذا المعنى فقال بعضهم الالف الف انا واللام لام الله والميم ميم اعلم وكل حرف منها دال على كلمة تامة قالوا فجملة هذه الحروف المقطعة اذا أظهر مع كل حرف منهن تمام حروف الكلمة انا الله أعلم قالوا وكذلك سائر جميع ما فى أوائل سور القرآن من ذلك فعلى هذا المعنى وبهذا التأويل قالوا ومستفيض ظاهر فى كلام العرب ان ينقص المتكلم منهم من الكلمة الاحرف اذا كان فيما بقي دلالة على ما حذف منها وتزيد فيها ما ليس منها اذا لم تكن الزيادة ملبسة معناها على سامعها كحذفهم فى النقص فى الترخيم من حارث الثاء فيقولون يا حار ومن مالك الكاف وما أشبه ذلك وكقول راجزهم

ما للظليم عال كيف لا يا * ينقد عنه جلده اذا يا

كأنه أراد ان يقول اذا يفعل كذا وكذا فاكتفى بالياء من يفعل وكما قال آخر منهم

بالخير خيرات وان شرا فا * ولا أريد الشر الا ان تا

يريد الا ان تشاء فاكتفى بالتاء والفاء فى الكلمتين جميعا من سائر حروفهما وما أشبه ذلك من الشواهد التي يطول الكتاب باستيعابه كما حدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن أيوب وابن عون عن محمد قال لما مات يزيد بن معاوية قال لي عبيدة اني لا أراها الا كائنة فتنة فافزع من ضيعتك والحق باهلك قلت فما تأمرني قال أحب الى لك ان تا قال أيوب وابن عون بيده تحت خده الايمن يصف الاضطجاع حتى ترى أمرا تعرفه يعني بتا تضطجع فاجتزأ بالتاء من تضطجع وكما قال الآخر فى الزيادة فى الكلام على النحو الذى وصفت كما قال الآخر يريد الكلكل

أقول اذ خرت على الكلكال * يا ناقتي ما جلت من مجال

وكما قال الآخر

ان شكلي وان شكلك شتى * فالزمي الخص واخفضي تبيضضي

فزاد ضادا وليست فى الكلمة قالوا فكذلك ما نقص من تمام حروف كل كلمة من هذه الكلمات التي ذكرنا انها تتمة حروف الم ونظائرها نظير ما نقص من الكلام الذى حكيناه عن العرب فى أشعارها وكلامها وأما الذين قالوا كل حرف من الم ونظائرها دال على معان شتى نحو الذى ذكرنا عن الربيع بن أنس فانهم وجهوا ذلك الى مثل الذى وجهه اليه من قال هو بتأويل أنا الله أعلم فى ان كل حرف منه بعض حروف كلمة تامة استغنى بدلالته على تمامه عن ذكر تمامه وان كانوا له مخالفين فى كل حرف من ذلك أهو من الكلمة التي ادعى انه منها قائلو القول الاول أم من غيرها فقالوا بل الالف من الم من كلمات شتى هي دلالة على معاني جميع ذلك وعلى

على الفرار ولو علم الجار لسعى فى تخلية الدار الله ويحبوا لاية الله ولي الذين آمنوا الرحمن بسند في ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الرحيم يفيض رحمته وكان بالمؤمنين رحيما هو رحيم بهم فى ستة مواضع فى القبر وحسراته والقيامة وظلماته ومخافته والصراط ومخافاته والنار ودركاته والجنة ودرجاته * الحادية عشرة مر عيسى عليه السلام بقبر فرأى ملائكة العذاب يعذبون ميتا فلما انصرف من حاجته ومر بالقبر فرأى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك ودعا الله من هذه فاوحى الله تعالى اليه يا عيسى كان هذا العبد عاصيا وكان قد ترك امرأة حبلى فولدت وربت ولده حتى كبر فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت من عبدي ان أعذبه بناري فى بطن الارض وولده يذكر اسمي على ظهر الارض * الثانية عشرة كتب عارف بسم الله الرحمن الرحيم وأوصى ان يجعل فى كفنه فقيل له فى ذلك فقال أقول يوم القيامة الهي بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملني بعنوان كتابك * الثالثة عشرة بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا والزبانية تسعة عشر فالله تعالى يدفع بليتهم بهذه الحروف التسعة عشر * الرابعة عشرة اليوم بليلته أربع وعشرون ساعة فرض خمس صلوات فى خمس ساعات فبقي التسعة عشر ساعة لا تستغرق بذكر الله تعالى وهذه التسعة عشر حرفا تقع كفارات الذنوب الواقعة فى تلك التسع عشرة * الخامسة عشرة لما كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب فى أولها بسم الله الرحمن الرحيم وأيضا السنة ان يقال عند الذبح بسم الله والله أكبر ولا يقال بسم الله الرحمن الرحيم فلما وفقك الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبع عشرة مرة فى الصلوات المفروضة دل ذلك على انه ما خلقك للقتل والعذاب وانما خلقك للرحمة والثواب * السادسة عشرة قال صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا من المشركين وعن على رضي الله عنه قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما نزلت هذه الآية على آدم قال أمن ذريتي من العذاب ما داموا على قراءتها ثم رفعت فانزلت على ابراهيم عليه السلام فتلاها وهو فى كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار بردا وسلاما ثم رفعت بعده فما أنزلت الا على سليمان

أو عندها قالت الملائكة الآن تم والله ملكك ثم رفعت فأنزلها الله تعالى على ثم يأتي أمتي يوم القيامة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فإذا وضعت أعمالهم في الميزان ترجحت حسناتهم وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أبا هريرة إذا توضأت فقل بسم الله الرحمن الرحيم فإن حفظتك لا يستريحون أن يكتبوا لك الحسنات حتى تفرغ وإذا غشيت أهلك فقل بسم الله الرحمن الرحيم فإن حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فإن حصل من تلك المواقعة ولد كتبت له من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد أنفاس أعقابه

إن كان له عقب حتى لا يبقى منهم أحد يا أبا هريرة إذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات بعدد كل خطوة وإذا ركبت سفينة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا نزعوا ثيابهم أن يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم والإشارة فيه إذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين أعدائك من الجن في الدنيا أفلا يصير حجابا بينك وبين الزبانية في العقبى شعر

كانت لنفسي أهواء مفرقة
فاستجمعت إذ رأتك النفس أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده
وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم
شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

هذا تمام الكلام في تفسير البسملة وأما تفسير الفاتحة ففيه أيضا مسائل الأولى في أسماء هذه السورة وهي كثيرة وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى فالأول فاتحة الكتاب سميت بذلك لأنه يفتتح بها في المصاحف وفي التعليم وفي القراءة في الصلاة ولأن الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القرآن وقيل لأنها أول سورة نزلت من السماء الثاني سورة الحمد لأن أولها الحمد

تمامه قالوا وإنما أفرد كل حرف من ذلك وقصر به عن تمام حروف الكلمة التي تظهر التي بعض هذه الحروف المقطعة بعض لها إلا على معنى واحد لا على معنيين وأكثر منهما قالوا وإذا كان لا دلالة في ذلك لو أظهر جميعها إلا على معناها الذي هو معنى واحد وكان الله جل ثناؤه قد أراد الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لشيء واحد لم يجز إلا أن يفرد الحرف الدال على تلك المعاني ليعلم المخاطبون به أن الله عز وجل لم يقصد قصد معنى واحد ودلالة على شيء واحد بما خاطبهم به وأنه إنما قصد الدلالة به على أشياء كثيرة قالوا فالألف من الم مقتضية معاني كثيرة منها تمام اسم الرب الذي هو الله وتمام اسم نعماء الله التي هي آلاء الله والدلالة على أجل قوم أنه ثلاثون سنة والميم مقتضية تمام اسم الله الذي هو مجيد وتمام اسم عظمته التي هي مجد والدلالة على أجل قوم أنه أربعون سنة فكان معنى الكلام في تأويل قائل القول الأول أن الله جل ثناؤه افتتح كلامه بوصف نفسه بأنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء وجعل ذلك لعباده منهجا يسلكونه في مفتتح خطبهم ورسائلهم ومهم أمورهم ليستوجبوا به عظيم الثواب في دار الجزاء كما افتتح بالحمد لله رب العالمين والحمد لله الذي خلق السموات والأرض وما أشبه ذلك من السور التي جعل مفاتحها الحمد لنفسه وكما جعل مفاتح بعضها تعظيم نفسه وإجلالها بالتسبيح كما قال جل ثناؤه سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وما أشبه ذلك من سائر سور القرآن التي جعل مفاتح بعضها تحميد نفسه ومفاتح بعضها تمجيدها ومفاتح بعضها تعظيمها وتنزيهها فكذلك جعل مفاتح السور الأخر التي أوائلها بعض حروف المعجم مدائح نفسه أحيانا بالعلم وأحيانا بالعدل والإنصاف وأحيانا بالإفضال والإحسان بإيجاز واختصار ثم اقتصاص الأمور بعد ذلك وعلى هذا التأويل يجب أن يكون الألف واللام والميم في أماكن الرفع مرفوعا بعضها ببعض دون قوله ذلك الكتاب ويكون ذلك الكتاب خبر مبتدإ منقطعا عن معنى الم وكذلك ذلك في تأويل قول قائل القول الثاني مرفوع بعضه ببعض وإن كان مخالفا معناه معنى قول قائل القول الأول وأما الذين قالوا هو من حروف حساب الجمل دون ما خالف ذلك من المعاني فإنهم قالوا لا نعرف للحروف المقطعة معنى يفهم سوى حساب الجمل وسوى تهجي قول القائل الم وقالوا غير جائز أن يخاطب الله جل ثناؤه عباده إلا بما يفهمونه ويعقلونه عنه فلما كان ذلك كذلك وكان قوله الم لا يعقل لها وجه توجه إليه إلا أحد الوجهين اللذين ذكرنا فبطل أحد وجهيه وهو أن يكون مرادا به تهجي الم صح وثبت أنه مراد به الوجه الثاني وهو حساب الجمل لأن قول القائل الم لا يجوز أن يليه من الكلام ذلك الكتاب لاستحالة معنى الكلام وخروجه عن المعقول إذا ولي الم ذلك الكتاب واحتجوا لقولهم ذلك أيضا بما حدثنا به محمد بن حميد الرازي قال حدثنا سلمة ابن الفضل قال حدثني محمد بن إسحق قال حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رئاب قال مر أبو ياسر بن أخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه حيي بن أخطب في رجال من يهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله عز وجل عليه الم ذلك الكتاب فقالوا أنت سمعته قال نعم فمشى حيي بن أخطب في أولئك النفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد الم يذكر

الثالث أم الكتاب وأم القرآن لأنها أصل القرآن وأصل كل كتاب منزل لاشتمالها على الإلهيات والمعاد لنا
وإثبات القضاء والقدر والنبوات أو لأن فيها حاصل جميع الكتب السماوية وذلك هو الثناء على الله والاشتغال بالخدمة والطاعة وطلب المكاشفات والمشاهدات أو لأن المقصود من جميع العلوم معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية أو لأنها أفضل سور القرآن كما أن مكة وهي أم القرى أشرف البلدان أو أصل لجميع البلدان حيث دحيت من تحتها وكما أن الحمى سميت أم ملدم لأنهم جعلوها معظم الأوجاع والدم

لنا انك تتلو فيما أنزل عليك الم ذلك الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا أجاءك بها جبريل من عند الله قال نعم قالوا لقد بعث الله جل ثناؤه قبلك أنبياء ما نعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك فقال حيي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه احدى وسبعون سنة قال فقال لهم أتدخلون في دين نبي انما مدة ملكه وأجل أمته احدى وسبعون سنة قال ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره قال نعم قال ماذا قال المص قال هذه أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه مائة واحدى وستون سنة هل مع هذا يا محمد غيره قال نعم قال ماذا قال الر قال هذه أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه احدى وثلاثون ومائتا سنة فقال هل مع هذا غيره يا محمد قال نعم المر قال فهذه أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان فهذه احدى وسبعون ومائتا سنة ثم قال لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندرى أقليلا أعطيت أم كثيرا ثم قاموا عنه فقال أبو ياسر لأخيه حيي بن أخطب ولمن معه من الاحبار ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد احدى وسبعون ومائتان واحدى وثلاثون ومائتان واحدى وسبعون واحدى وستون ومائة فذلك سبعمائة سنة وأربع وثلاثون فقالوا لقد تشابه علينا أمره ويزعمون ان هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فقالوا قد صرح هذا الخبر بصحة ما قلنا في ذلك من التأويل وفساد ما قاله مخالفونا فيه والصواب من القول عندى في تأويل مفاتح السور التى هى حروف المعجم ان الله جل ثناؤه جعلها حروفا مقطعة ولم يصل بعضها ببعض فيجعلها كسائر الكلام لغصل الحروف لانه عز ذكره أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معان كثيرة لا معنى واحد كما قال الربيع بن أنس وان كان الربيع قد اقتصر به على معان ثلاث دون ما زاد عليها والصواب في تأويل ذلك عندى ان كل حرف منه يحوى ما قاله الربيع وما قاله سائر المفسرين غيره فيه سوى ما ذكرت من القول عمن ذكرت عنه من أهل العربية انه كان يوجه تأويل ذلك الى انه حروف هجاء استغنى بذكر ما ذكر منه في مفاتح السور عن ذكر تتمة الثمانية والعشرين حرفا من حروف المعجم بتأويل ان هذه الحروف ذلك الكتاب مجموعة لا ريب فيه فانه قول خطأ فاسد لخروجه عن أقوال جميع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين من أهل التفسير والتأويل فكفى دلالة على خطئه شهادة الحجة عليه بالخطأ مع ابطال قائل ذلك قوله الذى حكيناه عنه اذ صار الى البيان عن رفع ذلك الكتاب بقوله مرة انه مرفوع كل واحد منهما بصاحبه ومرة أخرى انه مرفوع بالراجع من ذكره في قوله لا ريب فيه ومرة بقوله هدى للمتقين وذلك ترك منه لقوله ان الم رافعة ذلك الكتاب وخروج من القول الذى ادعاه في تأويل الم ذلك الكتاب وان تأويل هذه الحروف ذلك الكتاب فان قال لنا قائل وكيف يجوز أن يكون حرف واحد شاملا الدلالة على معان كثيرة مختلفة قيل كما جاز ان تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة مختلفة كقولهم للجماعة من الناس أمة وللحين من الزمان أمة وللرجل المتعبد المطيع لله أمة وللدين والملة أمة وكقولهم للجزاء القصاص دين وللسلطان

الضرب الرابع السبع المثاني لانها سبع آيات ولانها تثنى في كل صلاة أو لان نصفها ثناء العبد للرب والنصف الآخر عطاء الرب للعبد أو لانها مستثناة لهذه الامة قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما أنزلت في التوراة والانجيل ولا في الزبور مثل هذه السورة وانها سبع المثاني والقرآن العظيم أو لانها نزلت مرتين أو لانها أثنية ومدائح لله تعالى الخامس الوافية لانها تجب قراءة كلها ولا يجزئ بعضها في الصلاة السادس الكافية قال صلى الله عليه وسلم أم القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها السابع الشفاء والشافية لقوله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفاء من كل سقم الثامن الاساس لانها أول سور القرآن فهى كالاساس او لانها تشتمل على أساس العبادات والمطالب قال الشعبي سمعت عبد الله بن عباس يقول أساس الكتب القرآن وأساس القرآن فاتحة الكتاب وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فاذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالاساس تشف باذن الله تعالى التاسع الصلاة قال النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين يعنى الفاتحة وهو من باب تسمية الشئ بمعظم أركانه ومنه يعلم وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة العاشر سورة تعليم المسئلة لان الله تعالى علم عباده فيها آداب السؤال كانه قال فابدأ بالثناء ثم بالاخلاص ثم بالدعاء الحادى عشر سورة الكنز لما روى عن على بن ابى طالب عليه السلام انه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش ولهذا قال أكثر العلماء انها مكية وخطؤا مجاهدا في قوله انها مدنية وكيف لا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب انها من أول ما نزل من القرآن وانها السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا خلاف وفيها قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني ولا يسعنا القول بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث بضع عشرة سنة بلا فاتحة الكتاب وقد جمع طائفة من العلماء بين القولين فقالوا انها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى وعلى هذا فانها لم تثبت في المصحف مرتين لانه لم يقع التواتر على نزولها مرتين ومن فضائل هذه السورة انه لم يوجد فيها الثاء وهو الثبور لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم وهو جهنم وان جهنم لموعدهم أجمعين والخاء وهو الخزى يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه والزاء وهو الزفير والزقوم والشين وهو

والطاعة والتذلل دين والحساب دين في أسماء لذلك كثيرة يطول الكتاب باحصائها مما يكون من الكلام بلفظ واحد وهو مشتمل على معان كثيرة وكذلك قول الله جل ثناؤه الم والمر والمص وما أشبه ذلك من حروف المعجم التي هي فواتح أوائل السور كل حرف منها دال على معان شتى شامل جميعا من أسماء الله عز وجل وصفاته ما قاله المفسرون من الاقوال التي ذكرناها عنهم وهن مع ذلك فواتح السور كما قاله من قال ذلك وليس كون ذلك من حروف أسماء الله جل ثناؤه وصفاته بمانعها ان تكون للسور فواتح لان الله جل ثناؤه قد افتتح كثيرا من سور القرآن بالحمد لنفسه والثناء عليها وكثيرا منها بتمجيدها وتعظيمها فغير مستحيل ان يبتدئ بعض ذلك بالقسم بها فالذي ابتدئ أوائلها بحروف المعجم أحد معاني أوائلها انهن فواتح ما افتتح بهن من سور القرآن وهن مما أقسم بهن لان أحد معانيهن انهن من حروف أسماء الله تعالى ذكره وصفاته على ما قدمنا البيان عنها ولا شك في صحة معنى القسم بالله وأسمائه وصفاته وهن من حروف حساب الجمل وهن للسور التي افتتحت بهن شعار وأسماء فكذلك يحوي معاني جميع ما وصفنا مما بينا من وجوهه لان الله جل ثناؤه لو أراد بذلك أو بشيء منه الدلالة على معنى واحد مما يحتمله ذلك دون سائر المعاني غيره لابان ذلك لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابانة غير مشكلة اذ كان جل ثناؤه انما أنزل كتابه على رسوله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم ما اختلفوا فيه وفي تركه صلى الله عليه وسلم ابانة ذلك انه مراد به من وجوه تاويله البعض دون البعض أوضح الدليل على انه مراد به جميع وجوهه التي هو لها محتمل اذ لم يكن مستحيلا في العقل وجه منها ان يكون من تاويله ومعناه كما كان غير مستحيل اجتماع المعاني الكثيرة للكلمة الواحدة باللفظ الواحد في كلام واحد ومن أبى ما قلناه في ذلك سئل الفرق بين ذلك وبين سائر الحروف التي تاتي بلفظ واحد مع اشتمالها على المعاني الكثيرة المختلفة كالامة والدين وما أشبه ذلك من الاسماء والافعال فلن يقول في أحد ذلك قولا الا ألزم في الآخر مثله وكذلك يسأل كل من تاول شيأ من ذلك على وجه دون الاوجه الاخر التي وصفنا عن البرهان على دعواه من الوجه الذي يجب التسليم له ثم يعارض بقول يخالفه في ذلك ويسأل الفرق بينه وبينه من أصل أو مما يدل عليه أصل فلن يقول في أحدهما قولا الا ألزم في الآخر مثله وأما الذي زعم من النحويين ان ذلك نظير بل في قول المنشد شعرا بل * ماهاج أحزانا وشجوا قد شجا * وانه لا معنى له وانما هو زيادة في الكلام معناه الطرح فانه اخطا من وجوه شتى أحدها انه وصف الله تعالى ذكره بانه خاطب العرب بغير ما هو من لغتها وغير ما هو في لغة أحد من الآدميين اذ كانت العرب وان كانت قد كانت تفتتح أوائل انشادها ما أنشدت من الشعر ببل فانه معلوم منها انها لم تكن تبتدئ شيأ من الكلام بالم والر والمص بمعنى ابتدائها ذلك ببل واذ كان ذلك ليس من ابتدائها وكان الله جل ثناؤه انما خاطبهم بما خاطبهم من القرآن بما يعرفون من لغاتهم ويستعملون بينهم من منطقهم في جميع آيه فلا شك ان سبيل ما وصفنا من حروف المعجم التي افتتحت بها أوائل السور التي هن لها فواتح سبيل سائر القرآن في آيه لم يعدل بها عن لغاتهم التي كانوا بها عارفين ولها بينهم في منطقهم مستعملين لان ذلك لو كان معدولا به عن سبيل لغاتهم ومنطقهم كان خارجا عن معنى

الشهيق لهم فيها زفير وشهيق والظاء وهو لظى كلا انها لظى والفاء ونحو الفراق ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فلما أسقط الله تعالى من الفاتحة هذه الحروف الدالة على العذاب وهي بعدد أبواب جهنم لقوله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم غلب على الظن ان من قرأ الفاتحة نجى من جهنم ودخول أبوابها وتخلص من دركات النار وعذابها *الثاني في المباحث اللفظية الحمد مبتدأ ولله خبره أي الحمد ثابت لله وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله كقولهم شكرا وعجبا وسبحانك ومعاذ الله فعدل الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره نحو قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام ولهذا كان تحية ابرهيم صلى الله عليه وسلم أحسن من تحيتهم كما جاء واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها ومما يدل على ان أصله النصب ان قوله اياك نعبد واياك نستعين بيان لحمدهم وكانه قيل كيف يحمدون فقيل اياك نعبد والاصل توافق الجملتين واللام في الحمد لتعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والاستغراق وهم لانه لو سلم كون اللام للاستغراق فحمد أبويه مثلا لا يدخل فيه وأيضا نحو نحمد الله لا يفهم منه الا حقيقة الحمد من حيث هي فكذا ما ناب منابه وهو الحمد لله وقرأ بعضهم بكسر الدال اتباعا وبعضهم بضم اللام الرب المالك ربه يربه فهو رب أو مصدر وصف به للمبالغة كالعدل وهو مطلقا مختص بالله تعالى ومضافا يجوز اطلاقه على غيره نحو رب الدار ارجع الى ربك وقرئ بالنصب على المدح أو بتقدير الحمد والعالم اسم موضوع للجمع كالانام والرهط وهو ما يعقل من الملائكة والثقلين قاله ابن عباس والاكثرون وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر والاعراض كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما فعلى الاول مشتق من العلم وخصوا بالذكر للتغليب وعلى الثاني من العلامة وجمع ليشمل كل جنس مما سمي به وجمع بالواو والنون تغليبا لما فيه من صفات العقلاء مالك يوم الدين صفة أخرى واليوم هو المدة من طلوع نصف جرم الشمس الى غروب نصف جرمها أو من ابتداء طلوعها الى غروب كلها أو من طلوع الفجر الثاني الى غروبها وهذا في عرف الشرع ويراد به في الآية الوقت لعدم الشمس ثمة والدين الجزاء بالخير والشر كما تدين تدان واضافة اسم الفاعل الى الظرف اتساع واجراء الظرف مجرى

الابانة التي وصف الله عز وجل بها القرآن فقال نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وأنى يكون مبينا ما لا يعقله ولا يفقهه أحد من العالمين في قول قائل هذه المقالة ولا يعرف في منطق أحد من المخلوقين في قوله وفي اخبار الله جل ثناؤه عنه انه عربي مبين ما يكذب قائل هذه المقالة وينبئ عنه ان العرب كانوا به عالمين وهو لها مستبين فذلك أحد أوجه خطئه والوجه الثاني من خطئه في ذلك اضافته الى الله جل ثناؤه انه خاطب عباده بما لا فائدة لهم فيه ولا معنى له من الكلام الذي سواء الخطاب به وترك الخطاب به وذلك اضافة العبث الذي هو منفي في قول جميع الموحدين عن الله تعالى ذكره والوجه الثالث من خطئه ان بل من كلام العرب مفهوم تأويلها ومعناها وانهم أدخلوها في كلامهم رجوعا عن كلام لها قد تقضى كقولهم ما جاءني أخوك بل أبوك وما رأيت عمرا بل عبد الله وما أشبه ذلك كما قال أعشى بني ثعلبة

لاثمرن ثمانيا وثمانيا * وثلاث عشرة واثنتين وأربعا

ثم مضى في كلمته حتى بلغ قوله * بالجلسان وطيب أردانه *

ثم قال بل عد هذا في قريض غيره * واذكر فتى سمح الخليقة أروعا

فكأنه قال دع هذا وخذ في قريض غيره فبل انما يأتي في كلام العرب على هذا النحو من الكلام فاما افتتاحا لكلام مها مبتدأ بمعنى التطويل والحذف من غير ان يدل على معنى فذلك مما لا يعلم أحد ادعاه من أهل المعرفة بلسان العرب ومنطقها سوى الذي ذكرت قوله فيكون ذلك أصلا يشبه به حروف المعجم التي هي فواتح سور القرآن التي افتتحت بها لو كانت لها مشبهة فكيف وهي من الشبه به بعيدة ﴿القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ذلك الكتاب)﴾ قال عامة المفسرين تأويل قول الله تعالى ذلك الكتاب هذا الكتاب * ذكر من قال ذلك حدثني هرون بن ادريس الاصم قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن ابن جريج عن مجاهد ذلك الكتاب قال هو هذا الكتاب حدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية قال أخبرنا خالد الحذاء عن عكرمة قال ذلك الكتاب هذا الكتاب حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي في قوله ذلك الكتاب قال هذا الكتاب حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين ابن داود قال حدثني حجاج عن ابن جريج قوله ذلك الكتاب قال قال ابن عباس ذلك الكتاب هذا الكتاب * فان قال قائل وكيف يجوز ان يكون ذلك بمعنى هذا وهذا لا شك اشارة الى حاضر معاين وذلك اشارة الى غائب غير حاضر ولا معاين قيل جاز ذلك لان كل ما تقضى وقرب تقضيه من الاخبار فهو وان صار بمعنى غير الحاضر فكالحاضر عند المخاطب وذلك كالرجل يحدث الرجل الحديث فيقول السامع ان ذلك والله لكما قلت وهذا والله كما قلت وهو والله كما ذكرت فيخبر عنه مرة بمعنى الغائب اذ كان قد تقضى ومضى ومرة بمعنى الحاضر لقرب جوابه من كلام مخبره كأنه غير منقض فكذلك ذلك في قوله ذلك الكتاب لانه جل ذكره لما قدم قبل ذلك الكتاب الم التي ذكرنا تصرفها في وجوهها من المعاني على ما وصفنا قال لنبيه صلى الله عليه وسلم يا محمد هذا الذي

المفعول به مثل يا سارق الليلة أهل الدار وانما أفادت التعريف حتى جاز وقوعه صفة للمعرفة لانه اما بمعنى الماضي نحو ونادى أصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا أو بمعنى الاستمرار نحو زيد مالك العبيد فيكون بمعنى من عادته المفيد للاستمرار نحو فلان يعطي و يمنع وحينئذ لا تعمل فتكون الاضافة حقيقية وقرئ بنصب الكاف و رفعها مدحا و بسكون اللام تخفيف ملك مكسور اللام و بجعله فعلا ماضيا ونصب يوم ومليك رفعا ونصبا وجرا ايا ضمير منصوب منفصل ولا محل لكاف الخطاب نحو أرأيتك وهو مذهب الاخفش والمحققين وحكاية الخليل اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب شاذ والاصل نعبدك ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار منفصلا وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل

فهياك والامر الذي ان تواجهت * موارده ضاقت عليك مصادره

فان قيل لم عدل عن الغيبة الى الخطاب قلنا هذا يسمى الالتفات في علم البيان وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والنقل من أسلوب الى أسلوب تطرية لنشاط السامع وقد يختص مواقعه بفوائد وستنظم لك في سلك التقرير فائدته في هذا الموضع والعبادة أقصى غاية الخضوع طريق معبد أي مذلل وثوب ذو عبدة في غاية الصفاقة وقوة النسج هدى يتعدى باللام أو بالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم نحو مل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه والاصل فيه الامالة ومنه انا هدنا اليك أي ملنا والهدية لانها تمال من ملك الى ملك والهدى الذي يساق الى الحرم أي أمل قلوبنا الى الحق والصراط الجادة وأصله السين من سرط الشئ ابتلعه لانه يسرط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم ومثله مسيطر ومصيطر والصراط يذكر و يؤنث كالطريق والسبيل وصراط الذين أنعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم وفائدته التوكيد كقولك هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان و يكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا أولا ومفصلا ثانيا وقراءة ابن مسعود صراط من أنعمت عليهم وغير المغضوب بدل من الذين أو صفة وانما جاز وقوعه صفة للمعرفة لان تعريف الذين كلا تعريف كقوله * ولقد

ذكرته و بينته لك الكتاب ولذلك حسن وضع ذلك في مكان هذا لانه أشير به الى الخبر عما تضمنه قوله الم من المعاني بعد تقضي الخبر عنه بالم فصار اقرب الخبر عنه من تقضيه كالحاضر المشار اليه فاخبر عنه بذلك لانقضائه ومصير الخبر عنه كالخبر عن الغائب وترجمه المفسرون انه بمعنى هذا لقرب الخبر عنه من انقضائه فكان كالشاهد المشار اليه بهذا نحو الذي وصفنا من الكلام الجاري بين الناس في محاوراتهم وكما قال جل ذكره واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر فهذا ما في ذلك اذا عنى بها هذا وقد يحتمل قوله جل ذكره ذلك الكتاب ان يكون معنيا به السور التي نزلت قبل سورة البقرة بمكة والمدينة فكانه قال جل ثناؤه لنبيه محمد يا محمد اعلم ان ما تضمنته سور الكتاب التي قد أنزلتها اليك هو الكتاب الذي لا ريب فيه ثم ترجمه المفسرون بان معنى ذلك هذا الكتاب اذ كانت تلك السور التي نزلت قبل سورة البقرة من جملة جميع كتابنا هذا الذي أنزله الله عز وجل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكان التاويل الاول أولى بما قاله المفسرون لان ذلك أظهر معاني قولهم الذي قالوه في ذلك وقد وجه معنى ذلك بعضهم الى نظير بيت خفاف بن زيد السلمي

فان تك خيل قد أصيب صميمها * فعمدا على عين تيممت مالكا

أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني انا ذلكا

كانه أراد تأملني أنا ذلك فرأى ان ذلك الكتاب بمعنى هذا نظير ما أظهر خفاف من اسمه على وجه الخبر عن الغائب وهو مخبر عن نفسه فلذلك أظهر ذلك بمعنى الخبر عن الغائب وفيه الاشارة الى الحاضر المشاهد والقول الاول أولى بتاويل الكتاب لما ذكرنا من العلل وقد قال بعضهم ذلك الكتاب يعني به التوراة والانجيل واذا وجه تاويل ذلك الى هذا الوجه فلا مؤنة فيه على متأوله كذلك لان ذلك يكون حينئذ اخبارا عن غائب على صحة ۞ القول في تاويل قوله (لا ريب فيه) وتاويل لا ريب فيه لا شك فيه كما حدثني هرون بن أبي ادريس الاصم قال حدثنا عبد الرحمن المحاربي عن ابن جريج عن مجاهد لا ريب فيه قال لا شك فيه حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال حدثنا خلف بن ادريس الكوفي عن عبد العزيز بن أبي رواد عن عطاء لا ريب فيه أي لا شك فيه حدثني أحمد بن اسحق الاهوازي قال حدثنا أبو احمد الزبيري قال حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي لا ريب فيه لا شك فيه حدثني موسى بن هرون الهمداني قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن اناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا ريب فيه لا شك فيه حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لا ريب فيه قال لا شك فيه حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لا ريب فيه يقول لا شك فيه حدثنا الحسن بن يحيي قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة لا ريب فيه يقول لا شك فيه وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قوله لا ريب فيه يقول لا شك فيه وهو مصدر من قولك رابني الشئ يريبني ريبا ومن

ذلك

زعلى الشيم يسبني * أولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك عليك بالحركة غير السكون و يجوز ان يكون بدلا
ن كان من معرفة ولا نعت للافادة والفرق بين عليهم الاولى والثانية ان الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على انها مفعول
نيم مقام الفاعل وأصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فانعمت دقه أي بالغت في دقه وكل ما في القرآن من ذكر النعمة بكسر
نون فهي المنة والعطية والنعمة بفتح النون التنعم وسعة العيش ونعمة كانوا فيها فاكهين والغضب في اللغة
لشدة وقد عرفت معناه بحسب
طلاقه على الخلق وعلى الخالق
وأصل الضلال الغيبوبة ضل الماء
ي اللبن اذا غاب فيه وضل الكافر
اب عن الحق قال أئذا ضللنا في
لارض وغير ههنا بمعنى لا ولا بمعنى
غير ولذلك جاز عطف أحدهما على
لآخر تقول أنا زيدا غير ضارب
كما تقول أنا زيدا لا ضارب و يعضده
ما قرئ وغير الضالين وقرأ أيوب
السختياني ولا الضألين بالهمزة
كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وآمين
مدا وقصرا معناه استجب كما ان
رويد معناه امهل وعن ابن عباس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
معناه افعل * الثالث في المباحث
الفقهية البحث الاول أجمع
الاكثرون ومنهم الشافعي على
ان قراءة الفاتحة واجبة في الصلاة
وان ترك منها حرفا واحدا وهو
يحسنها لم تصح صلاته وعند أبي
حنيفة قراءتها غير واجبة لنا انه
صلى الله عليه وسلم واظب طول عمره
على قراءتها في الصلاة فيجب علينا
لقوله فاتبعوه وأيضا أقيموا الصلاة
معناه الصلاة التي أتى بها الرسول صلى
الله عليه وسلم لكنه كان يقرأ
الفاتحة فيها فيجب وأيضا روى في
ذلك أخبار كثيرة مثل لا صلاة الا
بفاتحة الكتاب كل صلاة لم يقرأ
فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج
وروى رفاعة بن مالك ان رجلا
دخل المسجد وصلى فلما فرغ من صلاته وذكر الخبر الى ان قال الرجل علمني الصلاة يا رسول الله قال
اذا توجهت الى القبلة فكبر واقرأ بفاتحة الكتاب وظاهر الامر للوجوب ولا سيما في معرض التعليم وأيضا الخلفاء الراشدون واظبوا على
قراءتها طول العمر وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين وأيضا المواظبة على قراءة الفاتحة توجب هجران سائر السور
فذلك غير جائز ان لم تكن واجبة فثبت انها واجبة حجة أبي حنيفة فاقرؤا ما تيسر من القرآن قلنا الفاتحة هي المتيسرة المحفوظة على جميع

الالسنة ثم قال اذا قرأ آية واحدة كفت مثل الم أو حم والطور ومدهامتان أبو يوسف ومحمد لا بد من قراءة ثلاث آيات أو آية واحدة
طويلة مثل آية الدين البحث الثاني قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور
وانما كتبت للفصل والتبرك وهو مذهب أبي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها
آية من كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه لما روي عن أم سلمة انها قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة
الكتاب فقال بسم الله الرحمن
الرحيم آية الحمد لله رب العالمين آية
الرحمن الرحيم آية مالك يوم الدين
آية اياك نعبد واياك نستعين آية
اهدنا الصراط المستقيم آية صراط
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين آية وعن سعيد
المقبري عن أبيه عن أبي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن
بسم الله الرحمن الرحيم وروى
الثعلبي في تفسيره باسناده عن أبي
بريدة عن أبيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بآية
لم تنزل على أحد بعد سليمان بن
داود غيري فقلت بلى فقال باي شئ
تفتتح القرآن اذا افتتحت الصلاة
قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال
هي هي وباسناده عن جعفر بن محمد
عن أبيه عن جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال له كيف تقول اذا
قمت الى الصلاة قال أقول الحمد لله
قال قل بسم الله الرحمن الرحيم
وباسناده عن علي بن أبي طالب انه
كان اذا افتتح السورة في الصلاة
يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان
يقول من ترك قراءتها فقد نقص
في صلاته وباسناده عن ابن عباس
في قوله ولقد آتيناك سبعا من
المثاني قال فاتحة الكتاب فقيل لابن
عباس فاي السابع فقال بسم
الله الرحمن الرحيم وعن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله سبحانه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد
بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله أثنى على عبدي
واذا قال مالك يوم الدين قال الله فوض الى عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم
قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سال الى غير ذلك من الاخبار وأيضا التسمية مكتوبة بخط القرآن في مصاحف السلف مع توصيتهم بتجريد

ذلك قول ساعدة بن جوية الهذلي

فقالوا تركنا الحي قد حصروا به * فلا ريب ان قد كان ثم لحيم

ويروى حصر واو حصروا والفتح أكثر والكسر جائز يعني بقوله حصروا به أطافوا به ويعني بقوله لا ريب لا شك وبقوله ان قد كان ثم لحيم يعني قتيلا يقال قد لحم اذا قتل والهاء التي في فيه عائدة على الكتاب كانه قال لا شك في ذلك الكتاب انه من عند الله هدى للمتقين ﴿ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (هدى) حدثني أحمد بن حازم الغفاري قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن بيان عن الشعبي هدى قال هدى من الضلالة حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط بن نصر عن اسمعيل السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هدى للمتقين يقول نور للمتقين والهدى في هذا الموضع مصدر من قولك هديت فلانا الطريق اذا أرشدته اليه ودللته عليه وبينته له أهديه هدى وهداية * فان قال لنا قائل أوما كتاب الله نور الا للمتقين ولا رشاد الا للمؤمنين قيل ذلك كما وصفه ربنا عز وجل ولو كان نورا لغير المتقين ورشادا لغير المؤمنين لم يخصص الله عز وجل المتقين بانه لهم هدى بل كان يعم به جميع المنذرين ولكنه هدى للمتقين وشفاء لما في صدور المؤمنين ووقر في آذان المكذبين وعمى لابصار الجاحدين وحجة لله بالغة على الكافرين فالمؤمن به مهتد والكافر به محجوج وقوله هدى يحتمل أوجها من المعاني أحدها ان يكون نصبا بمعنى القطع من الكتاب لانه نكرة والكتاب معرفة فيكون التاويل حينئذ الم ذلك الكتاب هاديا للمتقين وذلك مرفوع بالم والم به والكتاب نعت لذلك وقد يحتمل ان يكون نصبا على القطع من راجع ذكر الكتاب الذي في فيه فيكون معنى ذلك حينئذ الم الذي لا ريب فيه هاديا وقد يحتمل ان يكون أيضا نصبا على معنى ذلك حينئذ على هذين الوجهين أعني على وجه القطع من الهاء التي في فيه ومن الكتاب على ان الم كلام تام كما قال ابن عباس ان معناه أنا الله أعلم ثم يكون ذلك الكتاب خبرا مستأنفا ويرفع حينئذ الكتاب بذلك وذلك بالكتاب ويكون هدى قطعا من الكتاب وعلى ان يرفع ذلك بالهاء العائدة عليه التي في فيه والكتاب نعت له والهدى قطع من الهاء التي في فيه وان جعل الهدى في موضع رفع لم يجز ان يكون ذلك الكتاب الا خبرا مستأنفا والم كلاما تاما مكتفيا بنفسه الا من وجه واحد وهو ان يرفع حينئذ هدى بمعنى المدح كما قال الله جل وعز الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين في قراءة من قرأ رحمة بالرفع على المدح للآيات والرفع في هدى حينئذ يجوز من ثلاثة أوجه أحدها ما ذكرنا من انه مدح مستأنف والآخر على ان يجعل رافع ذلك والكتاب نعت لذلك والثالث ان يجعل تابعا لموضع لا ريب فيه ويكون ذلك الكتاب مرفوعا بالعائد في فيه فيكون كما قال تعالى ذكره وهذا كتاب أنزلناه مبارك وقد زعم بعض المقدمين في العلم بالعربية من الكوفيين ان الم رافع ذلك الكتاب بمعنى هذه الحروف من حروف المعجم ذلك الكتاب الذي وعدتك ان أوحيه اليك ثم نقض ذلك من قوله فاسرع نقضه وهدم ما بنى فاسرع هدمه فزعم ان الرفع في هدى من وجهين والنصب من وجهين وان أحد وجهي الرفع ان يكون الكتاب نعتا لذلك الهدى في

القرآن عما ليس منه ولذلك لم يثبتوا آمين وأيضا قال صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب ما أعظم آية في كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم أنها ليست آية تامة في قوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فتكون آية في غير هذا الموضع وأيضا ان أكثر الأنبياء أوجبوا على أنفسهم الابتداء بذكر الله قال نوح عند ركوب السفينة بسم الله مجريها ومرساها وكتب سليمان الى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم وقوله انه من سليمان من قول بلقيس قبل فتح الكتاب فلما فتحت

موضع رفع خبرا لذلك كأنك قلت ذلك لا شك فيه قال وان جعلت لا ريب فيه مضمرا رفعت أيضا هدى بجعله تابعا للموضع لا ريب فيه كما قال الله جل ثناؤه وهذا كتاب أنزلناه مبارك كأنه قال وهذا كتاب هدى من صفته كذا وكذا قال وأما أحد وجهي النصب فان تجعل الكتاب خبرا لذلك وتنصب هدى على القطع لأن هدى نكرة اتصلت بمعرفة وقد تم خبرها فنصبتها لأن النكرة لا تكون دليلا على معرفة وان شئت نصبت هدى على القطع من الهاء التي في فيه كأنك قلت لا شك فيه هاديا فترك الأصل الذي أصله في الم وانها مرفوعة بذلك الكتاب ونبذه وراء ظهره واللازم له على الأصل الذي كان أصله أن لا يجيز الرفع في هدى بحال الا من وجه واحد وذلك من قبل الاستئناف اذ كان مدحا فأما على وجه الخبر لذلك أو على وجه الاتباع لموضع لا ريب فيه فكان اللازم على قوله أن يكون خطأ وذلك أن الم اذا رفعت ذلك الكتاب فلا شك أن هدى غير جائز حينئذ أن يكون خبرا لذلك بمعنى الرافع له أو تابعا لموضع لا ريب فيه لأن موضعه حينئذ نصب لتمام الخبر قبله وانقطاعه بمخالفته اياه عنه

﴿ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (للمتقين) حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا أبي عن سفيان عن رجل عن الحسن قوله للمتقين قال اتقوا ما حرم عليهم وأدوا ما افترض عليهم حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس للمتقين أي الذين يحذرون من الله عز وجل عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته من التصديق بما جاء به حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هدى للمتقين هم المؤمنون حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو بكر بن عياش قال سألني الأعمش عن المتقين قال فأجبته فقال لي سل عنها الكلبي فسألته فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم قال فرجعت الى الأعمش فقال نرى أنه كذلك ولم ينكره حدثني المثنى بن ابراهيم الطبري قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثنا عمر أبو حفص عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة هدى للمتقين من هم نعتهم ووصفهم فأثبت صفتهم فقال الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس للمتقين قال المؤمنين الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعتي وأولى التأويلات بقول الله جل ثناؤه هدى للمتقين تأويل من وصف القوم بأنهم الذين اتقوا الله تبارك وتعالى في ركوب ما نهاهم عن ركوبه فتجنبوا معاصيه واتقوه فيما أمرهم به من فرائضه فأطاعوه بأدائها وذلك أن الله عز وجل انما وصفهم بالتقوى فلم يخص تقواهم اياه على بعض ما هو تعالى ذكره أهل بعضا منهم دون بعض فليس لأحد من الناس أن يحصر معنى ذلك على وصفهم بشيء من تقوى الله عز وجل دون شيء الا بحجة يجب التسليم لها لأن ذلك من صفة القوم لو كان محصورا على خاص من معاني التقوى دون العام لم يدع الله جل ثناؤه بيان ذلك لعباده اما في كتابه واما على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن في العقل دليل على استحالة وصفهم بعموم التقوى فقد تبين

اذا

الكتاب قرأت التسمية فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم ولما ثبت الابتداء بالتسمية في حقهم ثبت في حق نبينا أيضا أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وعن عبد الله بن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عمر قال نزلت بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة وأيضا البسملة من القرآن في النمل ثم انا نراه مكررا بخط القرآن فوجب أن نعتقد كونه من القرآن مثل فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين * حجة المخالف خبر أبي هريرة أيضا في رواية أخرى قال يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي الى آخره قال لم يذكر التسمية ولو كانت آية من الفاتحة لذكرها قلنا اذا تعارضت الروايتان فالترجيح للمثبت لا النافي قالوا التنصيف انما يحصل اذا لم تعد التسمية آية حتى يحصل للرب ثلاث آيات ونصف وللعبد ثلاث ونصف من اياك نستعين الى آخر السورة أما اذا قلنا التسمية آية صار القسم الأول أربع آيات ونصفا ولا يتحقق التنصيف قلنا نحن نعد التسمية آية ولا نعد أنعمت عليهم وهذا أولى رعاية لتشابه المقاطع ولأن غير صفة أو بدل ولم يختل الكلام بجعله منقطعا عما قبله لأن طلب الاهتداء بصراط المنعم عليهم لا يجوز الا بشرط كون المنعم عليه غير المغضوب عليه ولا ضالا بدليل قوله تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وهذا المجموع كلام واحد وهذا بخلاف الرحمن الرحيم فانا لو قطعنا النظر عن الصفة كان الكلام مع الموصوف غير مختل النظام قالوا روت عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قلنا قال الشافعي لعل عائشة جعلت الحمد لله رب العالمين اسما

اذا بذلك فساد قول من زعم ان تاويل ذلك انما هو الذين اتقوا الشرك وبرؤا من النفاق لانه قد يكون كذلك وهو فاسق غير مستحق ان يكون من المتقين الا ان يكون عند قائل هذا القول معنى النفاق ركوب الفواحش التى حرمها الله جل ثناؤه وتضييع فرائضه التى فرضها عليه فان جماعة من أهل العلم قد كانت تسمى من كان يفعل ذلك منافقا فيكون وان كان مخالفا فى تسميته من كان كذلك بهذا الاسم مصيبا تأويل قول الله عز وجل للمتقين ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (الذين يؤمنون) حدثنا محمد بن حميد الرازى قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الذين يؤمنون قال يصدقون حدثنى يحيى بن عثمان بن صالح السهمى قال حدثنا أبو صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس يؤمنون يصدقون حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا اسحق بن الحجاج قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع يؤمنون يخشون حدثنا محمد بن عبد الاعلى الصنعانى قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الزهرى الايمان العمل وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن العلاء بن المسيب بن رافع عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله قال الايمان التصديق ومعنى الايمان عند العرب التصديق فيدعى المصدق بالشئ قولا مؤمنا به ويدعى المصدق قوله بفعله مؤمنا ومن ذلك قول الله جل ثناؤه وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين يعنى ما أنت بمصدق لنا فى قولنا وقد تدخل الخشية لله فى معنى الايمان الذى هو تصديق القول بالعمل والايمان كلمة جامعة للاقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الاقرار بالفعل فاذا كان ذلك كذلك فالذى هو أولى بتاويل الآية وأشبه بصفة القوم ان يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب قولا واعتقادا وعملا اذ كان جل ثناؤه وصفهم به من غير خصوص شئ من معانيه أخرجه من صفتهم بخبر ولا عقل ۞ القول فى تاويل قول الله جل ثناؤه (بالغيب) حدثنا محمد بن حميد الرازى قال حدثنا سلمة ابن الفضل عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بالغيب قال بما جاء منه يعنى من الله جل ثناؤه حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك أو عن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالغيب اما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر الله تبارك وتعالى فى القرآن لم يكن تصديقهم بذلك يعنى المؤمنين من العرب من قبل أصل كتاب أو علم كان عندهم حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا سفيان عن عاصم عن زر قال الغيب القرآن حدثنا بشر بن معاذ العقدى قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى قوله الذين يؤمنون بالغيب قال آمنوا بالجنة والنار والبعث بعد الموت وبيوم القيامة وكل هذا غيب حدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس الذين يؤمنون بالغيب آمنوا بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه وآمنوا بالحياة بعد الموت فهذا غيب كله وأصل الغيب كل ما غاب عنك من شئ وهو من قولك غاب فلان يغيب غيبا وقد اختلف أهل

لهذه السورة كما يقال قرأت الآن الحمد لله الذى خلق السموات والأرض قالوا كانت من الفاتحة لزم التكرار وفى الرحمن الرحيم قلنا التكرار لو لتأكيد غير عزيز فى القرآن فان قيل اذا عد التسمية آية من كل سورة على ما يروى عن ابن عباس فمن تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله فأوجه ما روى عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى سورة الملك وانها ثلاثون آية وفى الكوثر انها ثلاث آيات مع ان العدد حاصل بدون التسمية قلنا اما ان يعد التسمية مع ما بعدها آية وذلك غير بعيد الا ترى ان قوله الحمد لله رب العالمين آية تامة وفى قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين بعض آية واما ان يراد ما هو خاصة الكوثر ثلاث آيات فان التسمية كالشئ المشترك فيه بين السور البحث الثالث عن أحمد بن حنبل ان التسمية آية من الفاتحة ويسر بها فى كل ركعة أبو حنيفة ليست بآية ويسر بها مالك لا ينبغى ان يقرأها فى المكتوبة لا سرا ولا جهرا الشافعى آية ويجهر بها لانها بعد ما ثبت كونها من الفاتحة والقرآن لا يعقل فرق بينها وبين باقى الفاتحة حتى يسر بهذه ويجهر بذلك وأيضا انه ثناء على الله وذكر له فوجب ان يكون الاعلان به مشروعا لقوله عز من قائل فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وأيضا الاخفاء والسر انما يليق بما فيه نقيصة ومثلبة لا بما فيه مفخرة وفضيلة قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن مات ولسانه رطب من ذكر الله وكان على بن أبى طالب يقول يا من ذكره شرف للذاكرين وكان مذهبه الجهر بها فى جميع الصلوات وقد ثبت هذا منه تواترا ومن اقتدى به لن يضل قال صلى الله عليه وسلم اللهم أدر الحق معه حيث دار وروى البيهقى فى السنن الكبرى عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر فى الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم وعن عمر وابنه وابن عباس وابن الزبير مثل ذلك وروى الشافعى باسناده ان معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معاوية سرقت من الصلاة اين بسم الله الرحمن الرحيم أين التكبير عند الركوع والسجود ثم انه أعاد الصلاة مع التسمية والتكبير قال وكان معاوية شديد الشكيمة ذا شوكة فلولا ان الجهر بالتسمية كان مقررا عند كل الصحابة لم يجسروا على

ذلك حجة المخالف ما روى البخاري في صحيحه عن أنس قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين وفي رواية ولم أسمع أحدا منهم قال بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية ولم يجهر أحد منهم ببسم الله الرحمن الرحيم وعن عبد الله بن المغفل أنه قال سمعني أبي وأنا أقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال أي بني إياك والحدث في الإسلام فقد صليت خلف أبي بكر فقال الحمد لله رب العالمين وصليت (٧٨) خلف عمر فقال الحمد لله رب العالمين وصليت خلف عثمان فقال الحمد لله رب العالمين فإذا صليت فقل الحمد لله رب العالمين والجواب أن حديث أنس معارض بما روي عنه أيضا أن معاوية لما ترك التسمية في الصلاة أنكر عليه المهاجرون والأنصار وروى أيضا أبو قلابة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ويروى أيضا أنه سئل عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ويروى والإسرار به فقال لا أدري هذه المسألة وإذا اضطربت الروايات عنه وجب الرجوع إلى سائر الدلائل وأيضا ففيها تهمة أخرى وهي أن عليا رضي الله عنه كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما كان زمن بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سعيا في إبطال آثار علي بن أبي طالب فلعل أنسا خاف منهم فلهذا اضطربت أقواله وأيضا من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقدم أولي الأحلام والنهى والأكابر والعلماء على غيرهم ولا شك أن عليا وابن عباس وابن عمر كانوا أعلى حالا من أنس وابن المغفل وأقرب موقفا وأنه صلى الله عليه وسلم ما كان يبالغ في الجهر لقوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فلهذا لم يسمعا ورواية المثبت أولى من النافي والدلائل العقلية معنا ويؤيدها عمل علي بن أبي طالب كرم * البحث الرابع تقديم التسمية على الوضوء سنة عند العلماء وليست بواجبة خلافا لبعض أهل الظاهر حيث قالوا لو تركها عمدا أو سهوا لم تصح صلاته لنا قوله صلى الله عليه وسلم توضأ كما أمرك الله والتسمية غير مذكورة في آية الوضوء والصحيح عندنا أن الجنب والحائض لا تقولها بقصد القراءة والتسمية عند الذبح وعند الرمي إلى الصيد وعند إرسال الكلب مستحبة فلو تركها عامدا أو ناسيا لم تحرم الذبيحة عند الشافعي ولكن تركها عمدا مكروه وعند أبي حنيفة إن ترك التسمية عمدا لم يحل وإن نسي

التأويل في أعيان القوم الذين أنزل الله جل ثناؤه هاتين الآيتين من أول هذه السورة فيهم وفي نعتهم وصفتهم التي وصفهم بها من إيمانهم بالغيب وسائر المعاني التي حوتها الآيتان من صفاتهم غيره فقال بعضهم هم مؤمنو العرب خاصة دون غيرهم من مؤمني أهل الكتابين واستدلوا على صحة قولهم ذلك وحقيقة تأويلهم بالآية التي تتلو هاتين الآيتين وهو قول الله عز وجل والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك قالوا فلم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم تدين بتصديقه والإقرار والعمل به وإنما كان الكتاب لأهل الكتابين غيرها قالوا فلما قص الله عز وجل نبأ الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد وما أنزل من قبله بعد اقتصاصه نبأ المؤمنين بالغيب علمنا أن كل صنف منهم غير الصنف الآخر وأن المؤمنين بالغيب نوع غير النوع المصدق بالكتابين الذين أحدهما منزل على محمد صلى الله عليه وسلم والآخر منهما على من قبله من رسل الله تعالى ذكره قالوا وإذا كان ذلك كذلك صح ما قلنا أن تأويل قول الله تعالى الذين يؤمنون بالغيب إنما هم الذين يؤمنون بما غاب عنهم من الجنة والنار والثواب والعقاب والبعث والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله وجميع ما كانت العرب لا تدين به في جاهليتها بما أوجب الله جل ثناؤه على عباده الدينونة به دون غيرهم * ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أما الذين يؤمنون بالغيب فهم المؤمنون من العرب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار وما ذكر الله في القرآن لم يكن تصديقهم بذلك من قبل أصل كتاب أو علم كان عندهم والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب * وقال بعضهم بل نزلت هذه الآيات الأربع في مؤمني أهل الكتاب خاصة لإيمانهم بالقرآن عند إخبار الله جل ثناؤه إياهم فيه عن الغيوب التي كانوا يخفونها بينهم ويسرونها فعلموا عند إظهار الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك منهم في تنزيله أنه من عند الله جل وعز فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوا بالقرآن وما فيه من الإخبار عن الغيوب التي لا علم لهم بها لما استقر عندهم بالحجة التي احتج الله تبارك وتعالى بها عليهم في كتابه من الإخبار فيه عما كانوا يكتمونه من ضمائرهم أن جميع ذلك من عند الله وقال بعضهم بل الآيات الأربع من أول هذه السورة أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم بوصف جميع المؤمنين الذين ذلك صفتهم من العرب والعجم وأهل الكتابين سواهم وإنما هذه صفة صنف من الناس والمؤمن بما أنزل الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل من قبله هو المؤمن بالغيب قالوا وإنما وصفهم الله بالإيمان بما أنزل إلى محمد وبما أنزل إلى من قبله بعد تقضي وصفه إياهم بالإيمان بالغيب لأن وصفه إياهم بما وصفهم به من الإيمان بالغيب كان معنيا به أنهم يؤمنون بالجنة والنار والبعث وسائر الأمور التي كلفهم الله جل ثناؤه الإيمان به مما لم يروه ولم يأت بعد مما هو آت دون الإخبار عنهم أنهم يؤمنون بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الرسل والكتب قالوا فلما كان معنى قوله والذين يؤمنون بما أنزل

اليك

حل والعلماء أجمعوا على انه يستحب ان لا نشرع في عمل من الاعمال الا ان يقول بسم الله فاذا نام قال بسم الله واذا قام من المقام قال بسم الله واذا أكل أو شرب قال بسم الله واذا أعطى أو أخذ قال بسم الله ويستحب للقابلة اذا أخذت الولد من الام ان تقول بسم الله وهذا أول أحواله من الدنيا واذا مات وأدخل القبر قيل بسم الله وهذا آخر أحواله من الدنيا واذا قام من القبر قال بسم الله واذا حضر الموقف قال بسم الله فلا جرم يدخل الجنة ببركة اسم الله * البحث الخامس قال الشافعي ترجمة القرآن لاتكفي في صحة الصلاة لافي حق من

اليك وما أنزل من قبلك غير موجود في قوله الذين يؤمنون بالغيب كانت الحاجة من العباد الى معرفة صفتهم بذلك ليعرفوهم نظير حاجتهم الى معرفتها بالصفة التي وصفوا بها من ايمانهم بالغيب ليعلموا ما يرضى الله من أفعال عباده ويحبه من صفاتهم فيكونوا به ان وفقهم له ربهم * ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو بن العباس الباهلي قال حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد قال حدثنا عيسى بن ميمون المكي قال حدثنا عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد قال أربع آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين وآيتان في نعت الكافرين وثلاث عشرة في المنافقين حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد بمثله وحدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا موسى بن مسعود قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال أربع آيات من فاتحة هذه السورة يعني سورة البقرة في الذين آمنوا وآيتان في قادة الاحزاب وأولى القريقين عندي بالصواب وأشبههما بتأويل الكتاب القول الاول وهو ان الذين وصفهم الله تعالى ذكره بالايمان بالغيب وما وصفهم به جل ثناؤه في الآيتين الاولتين غير الذين وصفهم بالايمان بالذي أنزل على محمد والذي أنزل الى من قبله من الرسل لما ذكرت من العلل قبل لمن قال ذلك ومما يدل أيضا مع ذلك على صحة هذا القول انه جنس بعد وصف المؤمنين بالصفتين التي وصف وبعد تصنيفه كل صنف منهما على ما صنف الكفار جنسين فجعل أحدهما مطبوعا على قلبه مختوما عليه مأيوسا من ايمانه والآخر منافقا يرائي باظهار الايمان في الظاهر ويستسر النفاق في الباطن فصير الكفار جنسين كما صير المؤمنين في أول السورة جنسين ثم عرف عباده نعت كل صنف منهم وصفتهم وما أعد لكل فريق منهم من ثواب أو عقاب وذم أهل الذم منهم وشكر سعي أهل الطاعة منهم ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ويقيمون) اقامتها أداؤها بحدودها وفروضها والواجب فيها على من فرضت عليه كما قال أقام القوم سوقهم اذا لم يعطلوها من البيع والشراء فيها كما قال الشاعر

أقمنا لاهل العراقين سوق الضرا * ب فخاموا وولوا جميعا

وكما حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد ابن ثابت عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ويقيمون الصلاة قال الذين يقيمون الصلاة بفرضها حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ويقيمون الصلاة قال اقامة الصلاة تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها فيها ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (الصلاة) حدثني يحيى بن أبي طالب قال حدثنا يزيد قال حدثنا جويبر عن الضحاك في قوله الذين يقيمون الصلاة يعني الصلاة المفروضة وأما الصلاة في كلام العرب فانها الدعاء كما قال الاعشى

لها حارس لا يبرح الدهر بيتها * وان ذبحت صلى عليها وزمزما

يعني بذلك دعا لها وكقول الآخر

وقابلها الريح في دنها * وصلى على دنها وارتسم

يحسن القراءة ولا في حق من لا يحسنها وقال أبو حنيفة انها كافية في حق القادر والعاجز وقال أبو يوسف ومحمد كافية في حق العاجز لا القادر لنا انه والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرؤا في الصلاة الا هذا القرآن العربي فوجب علينا اتباعهم وكيف يجوز عاقل قيام الترجمة بأى لغة كانت وهي كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر قالوا وروى عن عبد الله بن مسعود أنه كان يعلم رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والرجل لا يحسنه فقال قل طعام الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطأ في القرآن أن يقرأ مكان العليم الحكيم انما الخطأ بان تضع آية الرحمة مكان آية العذاب قلنا الظن بابن مسعود غير ذلك قالوا وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ولا ريب ان القرآن بهذا اللفظ ما كان في زبر الاولين لكن بالعبرية والسريانية قلنا ان القصص والمواعظ موجودة لا باللفظ بل بالمعنى ولا يلزم من ذلك ان يكون الموجود فيها قرآنا فان النظم المعجز جزء من ماهية القرآن والكل بدون الجزء مستحيل * البحث السادس الشافعي في القول الجديد قال تجب قراءة الفاتحة على المقتدي سواء أسر الامام بالقراءة أو جهر بها وفي القديم تجب اذا أسر الامام ولا تجب اذا جهر وهو قول مالك وأحمد أبو حنيفة تكره القراءة خلف الامام بكل حال لنا قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن وقوله لا صلاة الا بفاتحة الكتاب يشمل المنفرد والمقتدي وأيضا روى الترمذي في جامعه باسناده عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال اني أراكم تقرؤن خلف امامكم قلت اي والله قال لا تفعلوا الا بأم القرآن فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها قال وهذا حديث حسن وأيضا قراءتها لا تخل بالصلاة فتجب وللكن

يجوز ون تركها و يبطلها عليهم القراءة عندنا فالاحوط قراءتها احتج المخالف بقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وبأخبار بين
لضعفها البيهقي في كتابه ونحن نقول اما القرآن فمخصوص بغير الفاتحة لما مر وأما الاخبار فهب انها صحيحة الا ان الترجيح معنا لان الاشتغال
بقراءة القرآن من أعظم الطاعات ولانه أحوط * البحث السابع مذهب الشافعي ان الفاتحة واجبة في كل ركعة فان تركها في ركعة بطلت
صلاته وبه قال أبو بكر وعمر وعلي عليهم السلام وابن مسعود ومعظم الصحابة لانه صلى الله عليه وسلم كان يقرأها

وأرى ان الصلاة المفروضة سميت صلاة لان المصلي متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه فيهما من حاجاته وتعرض الداعي بدعائه ربه استنجاح حاجاته وسؤله ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ومما رزقناهم ينفقون) اختلف المفسرون في تأويل ذلك فقال بعضهم بما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومما رزقناهم ينفقون قال يؤتون الزكاة احتسابا بها حدثني المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ومما رزقناهم ينفقون قال الزكاة أموالهم حدثني يحيى بن أبي طالب قال حدثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك ومما رزقناهم ينفقون قال كانت النفقات قربات يتقربون بها الى الله على قدر ميسورهم وجهدهم حتى نزلت فرائض الصدقات سبع آيات في سورة براءة مما يذكر فيهن الصدقات هن المثبتات الناسخات وقال بعضهم بما حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومما رزقناهم ينفقون هي نفقة الرجل على أهله وهذا قبل ان تنزل الزكاة وأولى التأويلات بالآية وأحقها بصفة القوم ان يكونوا كانوا لجميع اللازم لهم في أموالهم مؤدين زكاة كان ذلك أو نفقة من لزمته نفقته من أهل وعيال وغيرهم ممن تجب عليهم نفقته بالقرابة والملك وغير ذلك لان الله جل ثناؤه عم وصفهم بالانفاق مما رزقهم فمدحهم بذلك من صفتهم فكان معلوما انه اذ لم يخصص مدحهم ووصفهم بنوع من النفقات المحمود عليها صاحبها دون نوع بخبر ولا غيره انهم موصوفون بجميع معاني النفقات المحمود عليها صاحبها من طيب ما رزقهم ربهم من أموالهم واملاكهم وذلك الحلال منه الذي لم يشبه حرام ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) قد مضى البيان عن المنعوتين بهذا النعت وأي اجناس الناس هم غير انا نذكر ما روى في ذلك عمن روى عنه في تأويله قول فحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك أي يصدقونك بما جئت به من الله جل وعز وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جاؤهم به من عند ربهم حدثنا موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وبالآخرة هم يوقنون) أما الآخرة فانها صفة للدار كما قال جل ثناؤه وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وانما وصفت بذلك لمصيرها آخرة لاولى كانت قبلها كما تقول للرجل أنعمت عليك مرة بعد أخرى فلم تشكر لي الاولى ولا الآخرة وانما صارت الآخرة آخرة للاولى لتقدم الاولى امامها وكذلك الدار الآخرة سميت آخرة

في كل ركعة ولانه قال للاعرابي الذي علمه الصلاة وكذلك فافعل في كل ركعة وعن أبي سعيد الخدري انه قال أمرنا النبي ان نقرأ فاتحة الكتاب في كل ركعة فريضة كانت أو نافلة وأيضا القراءة في كل ركعة أحوط فيجب المصير اليها وقيل غير واجبة أصلا وقيل تجب في كل صلاة في ركعة واحدة فقط وبه يحصل امتثال قوله لا صلاة الا بفاتحة الكتاب وعند أبي حنيفة القراءة تجب في الركعتين الاوليين لقول عائشة فرضت الصلاة في الاصل ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فهما أصل والزائد تبع قلنا ما ذكرنا أحوط وقيل تجب الفاتحة في الاوليين وتكره في الاخريين وعند مالك تجب في أكثر الركعات ففي الثنائية فيهما وفي الثلاثية في اثنتين وفي الرباعية في ثلاث * البحث الثامن اذا ثبت ان القراءة شرط في الصلاة فلو تركها أو حرفا من حرف فيها عمدا بطلت صلاته وكذا سهوا على الجديد وما روى ان عمر بن الخطاب صلى المغرب فترك القراءة فقيل له تركت القراءة قال كيف كان الركوع والسجود قالوا احسنا قال فلا بأس معارض بما روى الشعبي عنه انه أعاد الصلاة وأيضا لعله ترك الجهر بالقراءة
لا نفس القراءة * البحث التاسع يجب رعاية الترتيب في أجزاء الفاتحة وما وقع غير مرتب فغير محسوب * البحث العاشر لم يحفظ شيا من الفاتحة قرأ بقدرها من غيرها من القرآن ثم من ذكر من الاذكار ثم عليه مثل وقفة بقدرها * البحث الحادي عشر ما نقل عن ابن مسعود انه كان ينكر أن تكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القرآن والظن به ان هذا النقل عنه كذب والا فجحود المتواتر كيف يليق بحاله * الرابع فيما يختص بتفسير الحمد لله من الفوائد الفائدة الاولى في الفرق بين

الحمد والمدح والشكر المدح للحي ولغير الحي كاللؤلؤ والياقوتة الثمينة والحمد للحي فقط والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده والحمد انما يكون مطلقا وبعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه قال صلى الله عليه وسلم أحثوا التراب في وجوه المداحين والحمد مامور به مطلقا قال صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الناس لم يحمد الله والمدح عبارة عن القول الدال على انه مختص بنوع من أنواع الفضائل باختياره وبغير اختياره والحمد قول دال على انه مختص بفضيلة اختيارية معينة وهي فضيلة الانعام اليك والى غيرك ولابد ان يكون

لتقدم الدار الاولى أمامها فصارت الثانية لها آخرة وقد يجوز ان تكون وصفت بانها آخرة لتأخرها عن الخلق كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق واما الذي وصف الله جل ثناؤه به المؤمنين بما أنزل الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الى من قبله من المرسلين من ايقانهم به من أمر الآخرة وهو ايقانهم بما كان المشركون به جاحدين من البعث والنشر والثواب والعقاب والحساب والميزان وغير ذلك مما أعد الله لخلقه يوم القيامة كما حدثنا به محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وبالآخرة هم يوقنون أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان أي لا هؤلاء الذين يزعمون انهم آمنوا بما كان قبلك ويكفرون بما جاءك من ربك وهذا التأويل من ابن عباس قد صرح عن ان السورة من أولها وان كانت الآيات التي في أولها من نعت المؤمنين تعريض من الله عز وجل بذم الكفار أهل الكتاب الذين زعموا انهم بما جاءت به رسل الله عز وجل الذين كانوا قبل محمد صلوات الله عليهم وعليه مصدقون وهم بمحمد عليه السلام مكذبون ولما جاء به من التنزيل جاحدون ويدعون مع جحودهم ذلك انهم مهتدون وانه لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فاكذب الله جل ثناؤه ذلك من قيلهم بقوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون وأخبر جل ثناؤه عباده ان هذا الكتاب هدى لاهل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به المصدقين بما أنزل اليه والى من قبله من رسله من البينات والهدى خاصة دون من كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وادعى انه مصدق بمن قبل محمد عليه السلام من الرسل وبما جاء به من الكتاب ثم أكد جل ثناؤه أمر المؤمنين من العرب ومن أهل الكتاب المصدقين بمحمد عليه السلام وبما أنزل اليه والى من قبله من الرسل بقوله أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون وأخبر انهم هم أهل الهدى والفلاح خاصة دون غيرهم وان غيرهم هم أهل الضلال والخسار ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (أولئك على هدى من ربهم) اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله جل ثناؤه بقوله أولئك على هدى من ربهم فقال بعضهم عنى بذلك أهل الصفتين المتقدمتين أعني المؤمنين بالغيب من العرب والمؤمنين بما أنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم والى من قبله من الرسل واياهم جميعا وصف بانهم على هدى منه وانهم هم المفلحون ذكر من قال ذلك من أهل التأويل حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أما الذين يؤمنون بالغيب فهم المؤمنون من العرب والذين يؤمنون بما أنزل اليك المؤمنون من أهل الكتاب ثم جمع الفريقين فقال أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون وقال بعضهم بل عنى بذلك المتقين الذين يؤمنون بالغيب وهم الذين يؤمنون بما أنزل الى محمد وبما أنزل الى من قبله من الرسل وقال آخرون بل عنى بذلك الذين يؤمنون بما أنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل الى من قبله وهم مؤمنو أهل الكتاب الذين صدقوا بمحمد

على جهة التفضيل لا على سبيل التهكم والاستهزاء والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان وقد يكون بالقلب والجوارح قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها وأدل على مكانها من الاعتقاد وأداء الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد نقيضه الذم ولهذا قيل الشعير يؤكل ويذم والمدح نقيضه الهجاء والشكر نقيضه الكفران اذا عرفت ذلك فنقول لو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا لما مر ان المدح قد يكون لغير المختار ولو قال الشكر لله كان ثناء بسبب انعام وصل الى ذلك القائل واذا قال الحمد لله فكأنه يقول سواء أعطيتني أو لم تعطني فانعامك واصل الى كل العالمين وأنت مستحق للحمد العظيم ولا ريب ان هذا أولى وقيل الحمد لله على ما دفع من البلاء والشكر لله على ما أعطى من النعماء والنعمة في الاعطاء أكثر من النعمة في دفع البلاء فكأنه يقول أنا شاكر لادنى النعمتين فكيف باعلاهما ويمكن ان يقال ان المنع غير متناه والاعطاء متناه والابتداء بشكر دفع البلاء الذي لا نهاية له أولى وأيضا دفع الضرر أهم من جلب النفع فتقديمه أحرى الثالثة لو قال أحمد الله أفاد كون ذلك القائل على حمده واذا قال الحمد لله أفاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين وأيضا الحمد والثناء لله معناه ان مطلق الحمد والثناء حق لله وملكه كما ينبغي

صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وكانوا مؤمنين من قبل بسائر الانبياء والكتب وعلى هذا التأويل الآخر يحتمل ان يكون الذين يؤمنون بما أنزل اليك في محل خفض ومحل رفع فاما الرفع فيه فانه يأتيها من وجهين أحدهما من قبل العطف على ما في يؤمنون بالغيب من ذكر الذين والثاني ان يكون خبر مبتدا ويكون أولئك على هدى من ربهم رافعها وأما الخفض فعلى العطف على المتقين واذا كانت معطوفة على الذين اتجه لها وجهان من المعنى أحدهما ان تكون هي والذين الاولى من صفة المتقين وذلك على تاويل من رأى ان الآيات الاربع بعد الم نزلت في صنف واحد من أصناف المؤمنين والوجه الثاني ان تكون الذين الثانية معطوفة في الاعراب على المتقين بمعنى الخفض وهم في المعنى صنف غير الصنف الاول وذلك على مذهب من رأى ان الذين نزلت فيهم الآيتان الاولتان من المؤمنين بعد قوله الم غير الذين نزلت فيهم الآيتان الآخرتان اللتان تليان الاولتين وقد يحتمل ان تكون الثانية مرفوعة في هذا الوجه بمعنى الاستئناف اذ كانت مبتدأ بها بعد تمام آية وانقضاء قصة وقد يجوز الرفع فيها أيضا بنية الاستئناف اذ كانت في مبتدأ به وان كانت من صفة المتقين والرفع اذا يصح فيها من أربعة أوجه والخفض من وجهين وأولى التأويلات عندي بقوله أولئك على هدى من ربهم ما ذكرت من قول ابن مسعود وابن عباس وان تكون أولئك اشارة الى الفريقين أعني المتقين والذين يؤمنون بما أنزل اليك وتكون اولئك مرفوعة بالعائد من ذكرهم من قوله على هدى من ربهم وان تكون الذين الثانية معطوفة على ما قبل من الكلام على ما قد بيناه وانما رأينا ان ذلك أولى التأويلات بالآية لان الله جل ثناؤه نعت الفريقين بنعتهم المحمود ثم أثنى عليهم فلم يكن عز وجل ليخص أحد الفريقين بالثناء مع تساويهما فيما استحقا به الثناء من الصفات كما غير جائز في عدله ان يتساويا فيما يستحقان به الجزاء من الاعمال فيخص أحدهما بالجزاء دون الآخر ويحرم الآخر جزاء عمله فكذلك سبيل الثناء بالاعمال لان الثناء أحد أقسام الجزاء وأما معنى قوله أولئك على هدى من ربهم فان معنى ذلك انهم على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد بتسديد الله اياهم وتوفيقه لهم كما حدثني ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أولئك على هدى من ربهم أي على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (وأولئك هم المفلحون) وتاويل قوله وأولئك هم المفلحون أي أولئك هم المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله تعالى ذكره بأعمالهم وايمانهم بالله وكتبه ورسله من الفوز بالثواب والخلود في الجنان والنجاة مما أعد الله تبارك وتعالى لاعدائه من العقاب كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأولئك هم المفلحون أي الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا ومن الدلالة على ان أحد معاني الفلاح ادراك الطلبة والظفر بالحاجة قول لبيد بن ربيعة

اعقلي ان كنت لما تعقلي * ولقد أفلح من كان عقل

عند الامام الجنسي والامام الجاري وذلك بسبب كثرة الائه وأنواع آلائه على عبيده واماته ولا يخفى ان هذا أولى من ان يحمده شخص واحد فقط ولهذا الوجه لك هل حصل لفلان عليك نعمة فان قلت نعم فقد حمدته ولكن حمدا ضعيفا ولو قلت في الجواب بل نعمه على كل الخلائق كان أكمل فان قيل أليس ان المنعم يستحق الحمد من المنعم عليه فالاستاذ يستحق الحمد من التلميذ والسلطان العادل يستحق الحمد من الرعية وقال صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الناس لم يحمد الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله لانه خلق تلك الداعية في ذلك المنعم بعد ان خلق تلك النعمة وسلط المنعم عليها ومكن المنعم عليه من الانتفاع وامنه من فوات الانتفاع ولهذا قال عز من قائل وما بكم من نعمة فمن الله وأيضا كل مخلوق ينعم على غيره فانه يطلب بذلك الانعام غرضا اما ثوابا أو ثناء أو تحصيل خلق أو تخليصا من رذيلة البخل وطالب العوض لا يكون منعما ولا مستحقا للحمد في الحقيقة اما الله سبحانه فانه كامل لذاته والكامل لذاته لا يطلب الكمال لان تحصيل الحاصل محال فكان عطاؤه جودا محضا فثبت ان لا مستحق للحمد الا الله تعالى الثالثة انما لم يقل أحمد الله لان الانسان عاجز من الاتيان بحمد الله وشكره فلم يحسن ان يكلف فوق ما يستطيعه وذلك ان نعم الله على العباد غير محصورة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها امتنع اقتداره على الشكر والثناء اللائق بها وأيضا انما يمكنه القيام بحمد الله وشكره اذا أقدره الله على ذلك الحمد والشكر وخلق في قلبه داعية ذلك وأزال عنه العوائق والصوارف وكل ذلك انعام من الله فيتسلسل وأيضا الاشتغال بالحمد والشكر معناه ان المنعم عليه يقابل انعام المنعم بشكر نفسه ومن اعتقد ان حمده وشكره يساوي نعمة الله فقد أشرك وهذا معنى قول الواسطي الشكر شرك أما اذا قال الحمد لله فالمعنى ان كمال الحمد حقه وملكه سواء قدر الخلق على الاتيان به أو لم يقدر وا ونقل ان داود عليه السلام قال يارب كيف أشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعامك على وهو ان توفقني لذلك الشكر فقال يا داود لما علمت عجزك عن شكري فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك الرابعة عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا أنعم الله على عبد فقول الحمد لله يقول الله تعالى انظروا الى عبدي أعطيته ما لا قدر له فاعطاني ما لا قيمة له ومعناه ان ما أنعم الله على العبد شيء يعني

والحمد واذا قال الحمد فمعناه المحامد التي اتى بها الاولون والآخرون من الملائكة والثقلين لله تعالى وكذا المحامد التي سيذكرونها الى وقت قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والى أبد الآبدين ودهر الداهرين فالمنعم به متناه والحمد غير متناه واذا أسقط المتناهي من غير المتناهي بقي غير المتناهي فالذي بقي للعبد المؤيد طاعات غير متناهية فلابد من مقابلتها بنعم غير متناهية فلهذا يستحق العبد الثواب الابدي والخير السرمدي * الخامسة لاشك ان الوجود خير من العدم وان وجود كل

يعني ظفر بحاجته وأصاب خيرا ومنه قول الراجز

عدمت اما ولدت رباحا * جاءت به مفركا فركاحا

تحسب ان قد ولدت نجاحا * أشهد لا يزيدها فلاحا

يعني خيرا وقربا من حاجتها والفلاح مصدر من قولك أفلح فلان يفلح فلاحا وفلحا والفلاح أيضا البقاء ومنه قول لبيد

نحل بلادا كلها حل قبلنا * ونرجو الفلاح بعد عاد وحمير

يريد البقاء ومنه أيضا قول عبيد

افلح بما شئت فقد يدرك بالضعف وقد يخدع الاريب

يريد عش وابق بما شئت وكذلك قول نابغة بني ذبيان

وكل فتى ستشعبه شعوب * وان أثرى وان لاقى فلاحا

أي نجاحا بحاجته وبقاء ۞ القول في تاويل قوله (ان الذين كفروا) اختلف أهل التاويل فيمن عني بهذه الآية وفيمن نزلت فكان ابن عباس يقول كما حدثنا به محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الذين كفروا أي بما أنزل اليك من ربك وان قالوا انا قد آمنا بما جاءنا من قبلك وكان ابن عباس يرى ان هذه الآية نزلت في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا لهم في جحودهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به مع علمهم به ومعرفتهم بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم والى الناس كافة وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان صدر سورة البقرة الى المائة منها نزل في رجال سماهم باعيانهم وأنسابهم من أحبار يهود ومن المنافقين من الاوس والخزرج كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم وقد روي عن ابن عباس في تاويل ذلك قول آخر وهو ما حدثنا به المثنى بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على ان يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله جل ثناؤه انه لا يؤمن الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول وقال آخرون بما حدثت به عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال آيتان في قادة الاحزاب ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون الى قوله ولهم عذاب عظيم قال وهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار فهم الذين قتلوا يوم بدر وأولى هذه التاويلات بالآية تاويل ابن عباس الذي ذكره محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد عنه وان كان لكل قول مما قاله الذين ذكرنا قولهم في ذلك مذهب فاما مذهب من تاول في ذلك ما قاله الربيع بن أنس فهو ان الله جل وعز

ماسوى الله فانه حصل بايجاد الله وجوده فانعام الله تعالى واصل الى كل من سواه فاذا قال العبد الحمد لله فكانه قال الحمد لله على كل مخلوق وعلى كل محدث أحدثه من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني وانسي وذات وصفة وجسم وعرض من أزل الآزال الى ابد الآباد وانا أشهد انها باسرها ملك لا شركة لاحد فيها معك * السادسة التسبيح مقدم على التحميد لانه يقول سبحان الله والحمد لله فما السبب في وقوع البداية بالتحميد والجواب ان التسبيح داخل في التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على كونه مبرأ في ذاته وصفاته عن النقائص والتحميد يدل على كونه محسنا الى العباد ولا يكون محسنا اليهم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات ليعلم مواقع الحاجات والا اذا كان قادرا على المقدورات ليقدر على تحصيل ما يحتاجون اليها والا اذا كان غنيا في ذاته والا شغله حاجة نفسه عن حاجة غيره فثبت ان كونه محسنا لا يتم الا بعد كونه منزها عن النقائص والآفات * السابعة الحمد لله تعلق بالماضي وهو وقوعه شكرا على النعم السابقة وتعلق بالمستقبل وهو اقتضاء تجدد النعم لقوله لئن شكرتم لازيدنكم فبالاول يغلق عنك أبواب النيران وبالثاني يفتح لك أبواب الجنان فان الحمد لله ثمانية أحرف بعدد أبواب الجنة * الثامنة الحمد لله كلمة جليلة لكنه يجب ان يذكر في موضعها ليحصل المقصود قال السري منذ ثلاثين سنة أستغفر الله لقولي مرة واحدة الحمد لله وذلك انه وقع الحريق في بغداد وأحرقت دكاكين الناس فاخبرني واحد ان دكاني لم يحترق فقلت الحمد لله وكان من حق الدين والمروءة ان لا أفرح بذلك فانا في الاستغفار منذ ثلاثين سنة فالحمد على نعم الدين افضل من الحمد على نعم الدنيا والحمد على اعمال القلوب أولى من الحمد على اعمال الجوارح

والحمد على النعم من حيث انها عطية المنعم أولى من الحمد عليها من حيث هي ثم فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد في موضعه اللائق به * التاسعة أول ما بلغ الروح الى سرة آدم عطس فقال الحمد لله رب العالمين وآخر دعوى أهل الجنة الحمد لله رب العالمين ففاتحة العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهد ان يكون أول أعمالك وآخرها مقرونا بكلمة الواحدة * العاشرة لا يحسن عندنا ان يقدر قولوا الحمد لله لان الاضمار خلاف القياس ولان الوالد اذا قال لولده اعمل كذا وكذا فلم يمتثل كان عاقا فالاولى ان يقول الامر الفلاني ينبغي ان يفعل ثم ان كان الولد بارا فانه يجيبه ويطيعه وان كان عاقا كان اثمه أقل فكذلك اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا حمده ومن كان عاصيا كان اثمه أقل بخلاف ما لو قدر قولوا الحمد لله * الحادية عشرة شنعت الجبرية على المعتزلة ومن يجري مجراهم بانكم تثبتون للعبد فعلا واختيارا واستحقاق الحمد انما يكون على أشرف النعم وهو الايمان فلو كان الايمان بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد والجواب ان الايمان باختيار العبد لكن الاختيار أيضا مستند الى الله تعالى فاستحق الحمد لذلك وشنعت المعتزلة على الجبرية بان قوله الحمد لله لا يتم الا على مذهبنا لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذي لا قبح في فعله ولا جور في قضيته وعندكم لا قبح الا وهو فعله ولا جور الا وهو حكمه والجواب ان القبح والجور انما يثبتان لو أمكن تصور الفعل المخصوص في القابل المخصوص أحسن وأتم مما صدر لكنه محال فانه تعالى حكيم وكل ما يصدر عن الحكيم كان على أفضل ما يمكن بالنسبة الى المحل المخصوص * الثانية عشرة اختلفوا في ان شكر المنعم واجب عقلا أو شرعا فمنهم من قال عقلا ومن جملة أدلتهم قوله الحمد لله فانه يدل على ثبوت الاستحقاق على الاطلاق وأيضا عقبه بقوله رب العالمين وترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فدل ذلك على ان استحقاقه للحمد ثابت بكونه ربا للعالمين قبل مجيء الشرع وبعده والجواب ان استحقاقه لمثل هذا الحمد عرفناه من قبل الشرع * واعلم ان الحمد سبيله سبيل سائر الاذكار والعبادات في انها انما يؤتى بها لا لان الله تعالى مستكمل بها ولا لانه تعالى مجازيهم بها ولكنها لتحقيق نسبة العبودية واضافة الامكان الى الله حسبي الخامس في فوائد قوله رب العالمين الاولى الموجود اما واجب لذاته

ذكره لما أخبر عن قوم من أهل الكفر بانهم لا يؤمنون وان الانذار غير نافعهم ثم كان من الكفار من قد نفعه الله بانذار النبي صلى الله عليه وسلم اياه لايمانه بالله وبالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله بعد نزول هذه السورة لم يجز ان تكون الآية نزلت الا في خاص من الكفار واذ كان ذلك كذلك وكانت قادة الاحزاب لا شك انهم ممن لم ينفعه الله عز وجل بانذار النبي صلى الله عليه وسلم اياه حتى قتلهم الله تبارك وتعالى بايدي المؤمنين يوم بدر علم انهم ممن عنى الله جل ثناؤه بهذه الآية وأما علتنا في اختيارنا ما اخترنا من التاويل في ذلك فهي ان قول الله جل ثناؤه ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون عقيب خبر الله جل ثناؤه عن مؤمني أهل الكتاب وعقيب نعتهم وصفتهم وثنائه عليهم بايمانهم به وبكتبه ورسله فاولى الامور بحكمة الله ان يتلي ذلك الخبر عن كفارهم ونعوتهم وذم أسبابهم وأحوالهم واظهار شتمهم والبراءة منهم لان مؤمنيهم ومشركيهم وان اختلفت أحوالهم باختلاف أديانهم فان الجنس يجمع جميعهم بانهم بنو اسرائيل وانما احتج الله جل ثناؤه باول هذه السورة لنبيه صلى الله عليه وسلم على مشركي اليهود من أحبار بني اسرائيل الذين كانوا مع علمهم بنبوته منكرين نبوته باطلاع نبيه صلى الله عليه وسلم ما كانت تسره الاحبار منهم وتكتمه فيجهله عظم اليهود وتعلمه الاحبار منهم ليعلموا ان الذي أطلعه على علم ذلك هو الذي أنزل الكتاب على موسى اذ كان ذلك من الامور التي لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم ولا قومه ولا عشيرته يعلمونه ولا يعرفونه من قبل نزول الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم فيمكنهم ادعاء اللبس في أمره عليه السلام انه نبي وان ما جاء به فمن عند الله وانى يمكنهم ادعاء اللبس في صدق أمي نشأ بين أميين لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فيقال قرأ الكتب فعلم أو حسب فنجم وانبعث على اخبار قراء كتب قد درسوا الكتب ودارسوا الامم يخبرهم عن مستور عيوبهم ومصون علومهم ومكتوم اخبارهم وخفيات أمورهم التي جهلها من هو دونهم من احبارهم ان أمر من كان كذلك لغير مشكل وان صدقه لبين ومما ينبئ عن صحة ما قلنا من ان الذين عنى الله تعالى ذكره بقوله ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون هم أحبار اليهود الذين قتلوا على الكفر وماتوا عليه اقتصاص الله تعالى ذكره نبأهم وتذكيره اياهم ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق في أمر محمد عليه السلام بعد اقتصاصه تعالى ذكره ما اقتص من أمر المنافقين واعتراضه بين ذلك بما اعترض به من الخبر عن ابليس وآدم في قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم الآيات واحتجاجه لنبيه عليهم بما احتج به عليهم فيها عند جحودهم نبوته فاذا كان الخبر أولا عن مؤمني أهل الكتاب وآخرا عن مشركيهم فاولى أن يكون وسطا عنهم اذ كان الكلام بعضه لبعض تبع الا ان تأتيهم دلالة واضحة بعدول بعض ذلك عما ابتدئ به من معانيه فيكون معروفا حينئذ انصرافه عنه فاما معنى الكفر في قوله ان الذين كفروا فانه الجحود وذلك ان الاحبار من يهود المدينة جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وستروه عن الناس وكتموا أمره وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأصل الكفر عند العرب تغطية الشيء ولذلك سموا الليل كافرا لتغطية ظلمته ما لبسته وكما قال الشاعر

فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما * ألقت ذكاء يمينها في كافر

وقال لبيد بن ربيعة * في ليلة كفر النجوم غمامها * يعني غطاها فكذلك الاحبار من اليهود غطوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكتموه الناس مع علمهم بنبوته ووجودهم صفته في كتبهم فقال الله جل ثناؤه فيهم ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وتأويل سواء معتدل مأخوذ من التساوي كقولك متساو هذان الامران عندي وهما عندي سواء أي هما متعادلان عندي ومنه قول الله جل ثناؤه فانبذ اليهم على سواء يعني أعلمهم وآذنهم بالحرب حتى يستوي علمك وعلمهم بما عليه كل فريق منهم للفريق الآخر فكذلك قوله سواء عليهم معتدل عندهم أي الامرين كان منك اليهم الانذار أم ترك الانذار لانهم كانوا لا يؤمنون وقد ختمت على قلوبهم وسمعهم ومن ذلك قول عبد الله بن قيس الرقيات

تعدت بي الشهباء نحو ابن جعفر * سواء عليها ليلها ونهارها

يعني بذلك معتدل عندها في السير الليل والنهار لانه لا فتور فيه ومنه قول الآخر

وليل يقول المرء من ظلماته * سواء صحيحات العيون وعورها

لان الصحيح لا يبصر فيه الا بصرا ضعيفا من ظلمته وأما قوله أأنذرتهم فانه ظهر به الكلام ظهور الاستفهام وهو خبر لانه وقع موقع أي كما تقول لا نبالي أقمت أم قعدت وأنت مخبر لا مستفهم لوقوع ذلك موقع أي وذلك ان معناه اذا قلت ذلك ما نبالي أي هذين كان منك فكذلك ذلك في قوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لما كان معنى الكلام سواء عليهم أي هذين كان منك اليهم حسن في موضعه مع سواء أفعلت أم لم تفعل وقد كان بعض نحويي أهل البصرة يزعم ان حرف الاستفهام انما دخل مع سواء وليس باستفهام لان المستفهم اذا استفهم غيره فقال أزيد عندك أم عمرو مستثبت صاحبه أيهما عنده فليس أحدهما أحق بالاستفهام من الآخر فلما كان قوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم بمعنى التسوية أشبه ذلك الاستفهام اذ أشبهه في التسوية وقد بينا الصواب في ذلك فتأويل الكلام اذا معتدل يا محمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك من أحبار يهود المدينة بعد علمهم بها وكتموا بيان أمرك للناس بانك رسولي الى خلقي وقد أخذت عليهم العهد والميثاق ان لا يكتموا ذلك وان يبينوه للناس ويخبروهم انهم يجدون صفتك في كتبهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولا يرجعون الى الحق لا يصدقون بك وبما جئت به كما حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون أي انهم قد كفروا بما عندهم من العلم من ذكرك وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك فكيف يسمعون منك انذارا وتحذيرا وقد كفروا بما عندهم من علمك ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) وأصل الختم الطبع والخاتم هو الطابع يقال منه ختمت الكتاب اذا طبعته فان قال لنا قائل وكيف يختم على القلوب وانما الختم طبع على الاوعية والظروف والغلف

وهو الله سبحانه وتعالى فقط واما ممكن لذاته وهو كل ما سواه ويسمى العالم كما مر وذلك اما متحيز أو صفة للمتحيز أو لا هذا ولا ذاك القسم الاول ان كان قابلا للقسمة فهو الجسم والا فالجوهر الفرد فالجسم اما علوي أو سفلي والعلوي كالسموات ويندرج فيها العرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة والكواكب والسفلي اما بسيط وهو العناصر الاربعة الارض بما عليها وفيها والماء وهو البحر المحيط وما يتشعب منه في القدر المكشوف من الارض والهواء ومنه كرة البخار وكرة النسيم ومنه الهواء الصافي والنار واما مركب وهو المعادن والنبات والحيوان على تباين أنواعها واصنافها القسم الثاني الاعراض باجناسها وأنواعها القسم الثالث الارواح وهي اما سفلية خيرة كالجن أو شريرة كالشياطين واما علوية متعلقة بالاجسام كملائكة السموات قال صلى الله عليه وسلم ما في السموات موضع شبر الا وفيه ملك قائم أو قاعد أو غير متعلقة وهي الملائكة المقربون وما يعلم جنود ربك الا هو ولان كل موجود سوى الواجب يحتاج الى الواجب في الوجود وفي البقاء أيضا فهو اله العالمين من حيث انه أخرجها من العدم الى الوجود ورب العالمين من حيث انه يبقيها حال استقرارها فكل من كان أكثر احاطة باحوال الموجودات وتفاصيلها كان أكثر وقوفا على تفسير قوله رب العالمين الثانية المربي قسمان أحدهما ان يربي ليربح عليهم والثاني ان يربي ليربحوا عليه والاول شان المخلوقين الذين غرضهم من التربية اما ثواب أو ثناء أو تعصب أو غير ذلك والثاني دأب الحق سبحانه وتعالى كما قال خلقتكم لتربحوا علي لا لاربح عليكم وكيف لا يربحون عليه وانه متعال عن الاستكمال منزه عن ان يحدث في حق خزائنه بسبب التربية والارادة والافاضة اختلال يحب الملحين في الدعاء ويزيد في الخلق كيف يشاء يكفي علمه عن المقال ويغني كونه عن السؤال وسع كل شيء رحمة وعلما وربي كل حي كرما وحلما ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم الم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا

قيل فان قلوب العباد بمعنى أوعية لما أودعت من العلوم وظروف لما جعل فيها من المعارف بالامور فمعنى الختم عليها وعلى الاسماع التى بها تدرك المسموعات ومن قبلها يوصل الى معرفة حقائق الانباء عن المغيبات نظير الختم على سائر الاوعية والظروف فان قال فهل لذلك من صفة تصفها لنا فنفهمها أهى مثل الختم الذى يعرف لما ظهر للابصار أم هى بخلاف ذلك قيل قد اختلف أهل التأويل فى صفة ذلك وسنخبر بصفته بعد ذكرنا قولهم * فحدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال حدثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش قال أرانا مجاهد بيده فقال كانوا يرون ان القلب فى مثل هذا يعنى الكف فاذا أذنب العبد ذنبا ضم منه وقال باصبعه الخنصر هكذا فاذا أذنب ضم وقال باصبع أخرى فاذا أذنب ضم وقال باصبع أخرى فاذا أحسنى أصابعه كلها قال ثم يطبع عليه بطابع قال مجاهد وكانوا يرون ان ذلك الرين حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع عن الاعمش عن مجاهد قال القلب مثل الكف فاذا أذنب ذنبا قبض أصابعه كلها وكان أصحابنا يرون انه الران حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنى حجاج قال حدثنا ابن جريج قال قال مجاهد تنبت الذنوب على القلب تحف به من نواحيه حتى تلتقى عليه فالتقاؤها عليه الطبع والطبع الختم قال ابن جريج الختم الختم على القلب والسمع حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال حدثنى عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول الران أيسر من الطبع والطبع أيسر من الاقفال والاقفال أشد ذلك كله وقال بعضهم انما معنى قوله ختم الله على قلوبهم اخبار من الله جل ثناؤه عن تكبرهم واعراضهم عن الاستماع لما دعوا اليه من الحق كما يقال ان فلانا لاصم عن هذا الكلام اذا امتنع من سماعه ورفع نفسه عن تفهمه تكبرا والحق فى ذلك عندى ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا به محمد بن يسار قال حدثنا صفوان بن عيسى قال حدثنا ابن عجلان عن القعقاع عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى يغلف قلبه فذلك الران الذى قال الله جل ثناؤه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاخبر صلى الله عليه وسلم ان الذنوب اذا تتابعت على القلوب أغلقتها واذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع فلا يكون للايمان اليها مسلك ولا للكفر منها مخلص فذلك هو الطبع والختم الذى ذكره الله تبارك وتعالى فى قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم نظير الطبع والختم على ما تدركه الابصار من الاوعية والظروف التى لا يوصل الى ما فيها الا بفض ذلك عنها ثم حلها فكذلك لا يصل الايمان الى قلوب من وصف الله انه ختم على قلوبهم الا بعد فضه خاتمه وحله رباطه عنها ويقال لقائلى القول الثانى الزاعمين ان معنى قوله جل ثناؤه ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم هو وصفهم بالاستكبار والاعراض عن الذى دعوا اليه من الاقرار بالحق تكبرا أخبرونا عن استكبار الذين وصفهم الله جل ثناؤه بهذه الصفة واعراضهم عن الاقرار بما دعوا اليه من الايمان وسائر المعانى واللواحق به افعل منهم أم فعل من الله تعالى ذكره بهم فان زعموا ان ذلك فعل منهم وذلك قولهم قيل لهم فان الله تبارك وتعالى قد أخبر انه هو الذى ختم على قلوبهم

وسمعهم

وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا الثالثة لما كان الله أحسن الاسماء عقبه بأكمل الصفات وهو رب العالمين اذ معناه ان وجود ما سواه فائض عن تربيته واحسانه وجوده وامتنانه فالاول يدل على التمام والثانى على انه فوق التمام الرابعة ترب العالمين ثم انه يربيك كانه ليس له عبد سواك وهو الله الواحد الاحد الصمد وأنت تخدمه كان لك أربابا غيره فما انصافك أيها الانسان قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن خلقت لعبادة الرب فلا تهدم حقيقتك بمعصية الرب الآدمى بنيان الرب ملعون من هدم بنيان الرب والخامسة فى فوائد قوله الرحمن الرحيم الاولى الرحمن بما لا يتصور صدوره من العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد انا الرحمن لانك تسلم الى نطفة مذرة فاسلمها اليك صورة حسنة انا الرحيم لانك تسلم الى طاعة ناقصة فاسلم اليك جنة خالصة الثانية ذهب بعضهم الى ملك فقال جئتك لمهم يسير فقال اطلب المهم اليسير من الرجل اليسير فكان الله تعالى يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت منى ولتعذر عليك سؤال الامور اليسيرة فانا الرحمن لتطلب منى الامور العظيمة وانا الرحيم لتطلب منى شراك نعلك وملح قدرك الثالثة الوالد اذا أهمل ولده ولم يؤدبه ظن ان ذلك رحمة وهو فى الحقيقة عذاب ومن لم يؤدبه الابوان أدبه الملوان وعكسه حال من يقطع يده لاكلة فيها أو يضرب لتعليم حرفة أو لتأديب بخصلة شريفة فكل ما فى العالم من محنة وبلية فهو فى الحقيقة رحمة ونعمة عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وقصة موسى مع الخضر كم تجىء فى موضعها تؤيد ما ذكرناه والحكيم المحقق هو الذى يبنى الامور على الحقائق لا على الظواهر فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الرابعة أعطى مريم عليها السلام رحمة ولنجعله آية للناس ورحمة منا فصارت سببا لنجاتها من توبيخ الكفار والفجار واعطانا رحمة وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا ننجو بسببه من عذاب النار الخامسة وصف النبى صلى الله عليه وسلم بالرحمة فكان من حاله انه لما كسرت أسنانه قال اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون وانه يوم القيامة يقول أمتى أمتى فلما وصف نفسه بكونه رحمانا رحيما أيضا فكانه يقول الرحمة الواحدة لا تكفى

وسمعهم وكيف يجوز ان يكون اعراض الكافر عن الايمان وتكبره عن الاقرار به وهو فعله عندكم ختما من الله على قلبه وسمعه وختمه على قلبه وسمعه فعل الله عز وجل دون فعل الكافر فان زعموا ان ذلك جاز ان يكون كذلك لان تكبره واعراضه كانا عن ختم الله على قلبه وسمعه فلما كان الختم سببا لذلك جاز ان يسمى مسببه به تركوا قولهم وأوجبوا ان الختم من الله على قلوب الكفار واسماعهم معنى كفر الكافر وعين تكبره واعراضه عن قبول الايمان والاقرار به وذلك الدخول فيما أنكروه وهذه الآية من أوضح الادلة على فساد قول المنكرين تكليف ما لا يطاق الا بمعونة الله لان الله جل ثناؤه أخبر انه ختم على قلوب صنف من كفار عباده واسماعهم ثم لم يسقط التكليف عنهم ولم يضع عن أحد منهم فرائضه ولم يعذره في شيء مما كان منه من خلاف طاعته بسبب ما فعل به من الختم والطبع على قلبه وسمعه بل أخبر ان لجميعهم منه عذابا عظيما على تركهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه من حدوده وفرائضه مع حتمه القضاء عليهم مع ذلك بانهم لا يؤمنون ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وعلى أبصارهم غشاوة) وقوله وعلى أبصارهم غشاوة خبر مبتدأ بعد تمام الخبر عما ختم الله جل ثناؤه عليه من جوارح الكفار الذين مضت قصصهم وذلك ان غشاوة مرفوعة بقوله وعلى أبصارهم فذلك دليل على انه خبر مبتدأ وان قوله ختم الله على قلوبهم قد تناهى عند قوله وعلى سمعهم وذلك هو القراءة الصحيحة عندنا لمعنيين أحدهما اتفاق الحجة من القراء والعلماء على الشهادة بتصحيحها وانفراد المخالف لهم في ذلك وشذوذه عما هم على تخطئته مجمعون وكفى باجماع الحجة على تخطئة قراءته شاهدا على خطئها والثاني ان الختم غير موصوفة به العيون في شيء من كتاب الله ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موجود في لغة أحد من العرب وقد قال تبارك وتعالى في سورة أخرى وختم على سمعه وقلبه ثم قال وجعل على بصره غشاوة فلم يدخل البصر في معنى الختم وذلك هو المعروف في كلام العرب فلم يجز لنا ولا لاحد من الناس القراءة بنصب الغشاوة لما وصفت من العلتين اللتين ذكرت وان كان لنصبها مخرج معروف في العربية وبما قلنا في ذلك من القول والتأويل روي الخبر عن ابن عباس حدثني محمد بن سعد قال ... قال حدثني عمي الحسين بن الحسن عن أبيه عن جده عن ابن عباس ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم والغشاوة على أبصارهم فان قال قائل وما وجه مخرج النصب فيها قيل له ان نصبها باضمار جعل كأنه اذ كان في أول الكلام ما يدل عليه وقد يحتمل نصبها على اتباعها موضع السمع اذ كان موضعه نصبا وان لم يكن حسنا اعادة العامل فيه على غشاوة ولكن على اتباع الكلام بعضه بعضا كما قال تعالى ذكره يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب وأباريق ثم قال وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين فخفض اللحم والحور العين على العطف به على الفاكهة اتباعا لآخر الكلام أوله ومعلوم ان اللحم لا يطاف به ولا بالحور العين ولكن ذلك كما قال الشاعر يصف فرسه

علفتها تبنا وماء باردا * حتى مشت همالة عيناها

ومعلوم ان الماء يشرب ولا يعلف به ولكنه نصب ذلك على ما وصفت قبل وكما قال الآخر * ورأيت زوجك في الوغا * متقلدا سيفا ورمحا * وكان ابن جريج يقول في انتهاء الخبر عن الختم الى قوله وعلى

لصلاح المخلوقات فذرني وعبيدي فاني انا الرحمن الرحيم رحمتي غير متناهية ومعصيتهم متناهية والمتناهي لا يدرك غير المتناهي فتستغرق معصيتهم في بحار رحمتي ولسوف يعطيك ربك فترضى السادسة حكى عن ابراهيم بن أدهم انه قال كنت ضيفا لبعض القوم فقدم المائدة فنزل غراب وسلب رغيفا فاتبعته تعجبا فنزل في بعض التلال فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين فالقى الغراب ذلك الرغيف على وجهه وعن ذي النون انه قال كنت في البيت اذ وقعت في قلبي داعية ان اخرج من البيت فانتهيت الى شط النيل فرأيت عقربا قويا يعدو فلما وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النهر فقفز العقرب عليه وأخذ الضفدع يسبح فركبت السفينة فاتبعته حتى اذا وصل الضفدع الى الطرف الآخر نزل العقرب عن ظهره وأخذ يعدو فتبعته فرأيت شابا نائما تحت شجرة وعنده أفعى يقصده فلما قرب الافعى من ذلك الشاب وصل العقرب الى الافعى فلدغها والافعى أيضا لدغتها وماتتا معا وفي أدعية العرب يا رازق النغاب في عشه وحكايته ان ولد الغراب كما يخرج من البيض يكون كأنه قطعة لحم فتهجره أمه تنفرا حتى اذا خرج ريشه عادت اليه فيبعث الله تعالى اليه في تلك المدة ذبابا يغتذي به وروي ان فتى قربت وفاته واعتقل لسانه عن شهادة ان لا اله الا الله فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه فقام فدخل عليه وكان يعرض عليه الشهادة ولا يعمل لسانه فقال صلى الله عليه وسلم أما كان يصلي أما كان يزكي أما كان يصوم فقالوا بلى فقال فهل عق والدته قالوا نعم فقال هاتوا بامه فاتى بعجوز عوراء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلا عفوت عنه فقالت لا أعفو لانه لطمني ففقأ عيني فقال صلى الله عليه وسلم هاتوا بالحطب والنار فقالت وما تصنع بالنار فقال صلى الله عليه وسلم أحرقه بالنار بين يديك جزاء بما عمل فقالت عفوت عفوت أللنار حملته تسعة أشهر أللنار أرضعته سنتين فاين رحمة الام فعند ذلك انطلق لسانه وذكر أشهد أن لا اله الا الله والنكتة انها كانت رحيمة فقط ولم تجوز الاحراق فالرحمن الرحيم كيف يجوز احراق عبد واظب على ذكر الرحمن الرحيم سبعين سنة قال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم والهوام فيها يتعاطفون ويتراحمون وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ولعل هذا على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكرمه لا غاية له ورحمته لا نهاية

سمعهم وابتداء الخبر بعده بمثل الذي قلنا فيه ويتاول فيه من كتاب الله فان يشأ الله يختم على قلبك حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج قال حدثني ابن جريج قال الختم على القلب والسمع والغشاوة على البصر قال الله تعالى ذكره فان يشأ الله يختم على قلبك وقال وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة والغشاوة في كلام العرب الغطاء ومنه قول الحارث بن خالد بن العاص

هويتك اذعيني عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

ومنه يقال تغشاني الهم اذا تجلله وركبه ومنه قول نابغة بني ذبيان

هلا سألت بني ذبيان ما حسبي * اذا الدخان تغشى الأشمط البرما

يعني بذلك اذا تجلله وخالطه وانما خبر الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن الذين كفروا به من أحبار اليهود انه قد ختم على قلوبهم وطبع عليها فلا يعقلون لله تبارك وتعالى موعظة وعظهم بها فيما آتاهم من علم ما عندهم من كتبه وفيما حده في كتابه الذي أوحاه وأنزله الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سمعهم فلا يسمعون من محمد صلى الله عليه وسلم نبي الله تحذيرا ولا تذكيرا ولا حجة أقامها عليهم بنبوته فيتذكروا ويحذروا عقاب الله عز وجل في تكذيبهم اياه مع علمهم بصدقه وصحة أمره وأعلمه مع ذلك ان على أبصارهم غشاوة عن ان يبصروا سبيل الهدى فيعلموا قبح ما هم عليه من الضلالة والردى وبنحو ما قلنا في ذلك روي الخبر عن جماعة من أهل التأويل حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة أي عن الهدى ان يصيبوه أبدا بغير ما كذبوك به من الحق الذي جاءك من ربك حتى يؤمنوا به وان آمنوا بكل ما كان قبلك حدثني موسى بن هرون الهمداني قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم يقولون فلا يعقلون ولا يسمعون ويقول وجعل على أبصارهم غشاوة يقول على أعينهم فلا يبصرون وأما آخرون فانهم كانوا يتأولون أن الذين أخبر الله عنهم من الكفار انه فعل ذلك بهم هم قادة الاحزاب الذين قتلوا يوم بدر حدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا اسحق بن الحجاج قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال هاتان الآيتان الى ولهم عذاب عظيم هم الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار وهم الذين قتلوا يوم بدر فلم يدخل من القادة أحد في الاسلام الا رجلان أبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاص وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن الحسن قال أما القادة فليس فيهم مجيب ولا ناج ولا مهتد وقد دللنا فيما مضى على أولى هذين التأويلين بالصواب فكرهنا اعادته ❁ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ولهم عذاب عظيم) وتأويل ذلك عندي كما قاله ابن عباس وتأوله حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولهم بما هم عليه من خلافك عذاب عظيم قال فهذا في الاحبار من يهود فيما كذبوك به من الحق الذي جاءك من ربك

السابعة في فوائد قوله مالك يوم الدين الاولى هي قضية العدالة الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي والموافق والمخالف ولا يظهر ذلك الا في يوم الجزاء ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره روي انه يجاء برجل يوم القيامة فينظر في أحوال نفسه ولا يرى لنفسه حسنة البتة فيأتيه النداء يا فلان ادخل الجنة بعملك فيقول الهي ماذا عملت فيقول الله ألست لما كنت نائما تقلب من جنب الى جنب ليلة كذا فقلت في خلال ذلك الله ثم غلبك النوم في الحال فنسيت اما انا فلا تأخذني سنة ولا نوم فما نسيت ذلك ويجاء برجل ويوزن حسناته بسيآته فتخف حسناته فيأتيه ببطاقة فيثقل ميزانه فاذا فيها شهادة أن لا اله الا الله فلا يثقل مع ذكر الله غيره * واعلم ان حقوق الله تعالى على المسامحة لانه غني عن العالمين وأما حقوق العباد فهي أولى بالاحتراز عنها روي عن أبي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار الثانية من قرأ مالك احتج بوجوه الاول ان فيه حرفا زائدا فيكون ثوابه أكثر الثاني في القيامة يكون ولا مالك الا الله الثالث المالكية سبب لاطلاق التصرف والملكية ليست كذلك الرابع العبد أدون حالا من الرعية فيكون القهر في المالكية أكثر منه في الملكية الخامس الرعية يمكنهم اخراج أنفسهم عن كونهم رعية لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك السادس الملك يجب عليه رعاية حال الرعية كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ولا يجب على الرعية خدمة الملك أما المملوك فيجب عليه خدمة مالكه وان لا يشتغل في الامر الا باذنه حتى انه لا يصح منه القضاء والامامة والشهادة ويصيره مسافرا اذا نوى مولاه السفر ومقيما اذا نوى الاقامة يجب ثم من قرأ ملك ان كل واحد من أهل البلد يكون مالكا والملك لا يكون الا أعلاهم شأنا وأضعاف أعوذ برب الناس لم يقرأ

فيه تغير ملك فيعين وايضا فالملك ... وما ليس يلزم منه ... بل الامل فانه يمكن ان يترك الموت ة بل تمام ... الملك بالحق ... تقوم بالفعل

الفعل لومات قبل الاتمام كالونوى بعد فجر وب الشمس صوم يوم يجب صومه بخلاف مالونوى فى النهار عن الغد ثم يتفرع على كل من القراءتين

أحكام أما المتفرعة على الاولى فقراءة المالك أرجى من قراءة الملك لان أقصى مايرجى من الملك العدل والانصاف وان ينجوا الانسان منه رأسا

براس والمالك يطلب العبد منه الكسوة والطعام والتربية والانعام ياعبادى كلكم جائع الامن أطعمته فاستطعمونى

بعد معرفتهم ﴿ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين) أما قوله ومن الناس فان فى الناس وجهين أحدهما ان يكون جمعا لا واحد له من لفظه وانما واحدهم انسان و واحدتهم انسانة والوجه الآخر ان يكون أصله اناس أسقطت الهمزة منها لكثرة الكلام بها اذ دخلتها الالف واللام المعرفتان فادغمت اللام التى دخلت مع الالف فيها للتعريف فى النون كما قيل لكن هو الله ربى على ماقد بينا فى اسم الله الذى هو الله وقد زعم بعضهم ان الناس لغة غير اناس وانه سمع العرب تصغره نويس من الناس وان الاصل لو كان أناس لقيل فى التصغير أنيس فرد الى أصله * وأجمع جميع أهل التأويل على ان هذه الآية نزلت فى قوم من أهل النفاق وان هذه الصفة صفتهم * ذكر بعض من قال ذلك من أهل التأويل بأسمائهم حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يعنى المنافقين من الاوس والخزرج ومن كان على أمرهم وقد سمى فى حديث ابن عباس هذا أسماءهم عن أبى بن كعب غير انى تركت تسميتهم كراهة اطالة الكتاب بذكرهم حدثنا الحسين بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن قتادة فى قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر حتى بلغ فماربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قال هذه فى المنافقين حدثنا محمد بن عمرو الباهلى قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون قال حدثنا عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد قال هذه الآية الى ثلاث عشرة فى نعت المنافقين حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا سفيان قال حدثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن اسمعيل السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين هم المنافقون حدثنى المثنى قال حدثنا اسحق عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فى قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الى فزادهم الله مرضا قال هؤلاء أهل النفاق حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين ابن داود قال حدثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين قال هذا المنافق يخالف قوله فعله وسره علانيته ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه * وتأويل ذلك ان الله جل ثناؤه لما جمع لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أمره فى دار هجرته واستقر بها قراره وأظهر الله بها كلمته وفشا فى دور أهلها الاسلام وقهر بها المسلمون من فيها من أهل الشرك من عبدة الاوثان وذل بها من فيها من أهل الكتاب أظهر أحبار يهودها لرسول الله صلى الله عليه وسلم الضغائن وأبدوا له العداوة والشنآن حسدا و بغيا الانفرا منهم هداهم الله للاسلام فاسلموا كما قال جل ثناؤه ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق وطابقهم سرا على معاداة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه و بغيهم الغوائل

أطعمكم ياعبادى كلكم عار الامن كسوته فاستكسونى أكسكم والملك يطمع فيك والمالك أنت تطمع فيه والملك لايختار من العسكر الا كل قوى سوى ويترك من كان مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبده عالجه وان ضعف أعانه الملك له هيبة وسياسة والمالك له رأفة ورحمة واحتياجنا الى الرأفة والرحمة أشد من احتياجنا الى الهيبة والسياسة وأما المتفرعة على الثانية فانه فى الدنيا ملك الملوك قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وفى الآخرة لاملك الا هو لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وملكه لايشبه ملك المخلوقين لانهم اذا بذلوا قلت خزائنهم ونفدت ذخائرهم وانه سبحانه كلما كان أكثر عطاء كان أوسع ملكا ... أعطاك عشرة أولادزاد فى ... عشرة أعبد ومن لوازم ملك ... الرحمة فلهذا قرن بقوله ... الدين قوله رب العالمين الرحيم ومنه الملك يومئذ ... قل أعوذ برب الناس ... فمن اتصف بهذه ال... الدنيا صدق ... الارض الكة ... تكاد السموات ... الارض و ... الرحمن ... يوم ... لرحمن رحيم من ... آيات كثيرة محصورة من ... مع انفتاح وانخلاع ربقة ... وأما المستقبل فاموره مما بعد الموت وانه مالك ... من هذه الحيثية فلا مفزع ... له عالما قادرا جوادا غنيا حكيما

المعاش والمعاد من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن

أجرهم باحسن ما كانوا يعملون فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم وعلى الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى ... فيه وان كنا نجزم بانه لا نأثير لها

... وصف نفسه بانه ملك يوم الدين أظهر للعالمين كمال عدله بنفى الظلم تارة ... لك ... لام للعبيد و ... ثبوت ما كان اولى أشرف وأعلى كانت

يوم القيامة فلا حاجة للمالك ... نعم فعلوا ثم وفعلي ... ومن ... ظهر الحركة فى العدم ... نه أولى وأيضا كل ماسوى الواجب

يحكى ان أنوشروان خرج يوما الى الصيد وانقطع عن عسكره واستولى عليه العطش فرأى بستانا فدمر مات فلما دخله قال لصبي فيه أعطني رمانة فعصرها وأخرج منها ماء كثيرا فشربه وأعجبه ذلك فعزم على ان يأخذ ذلك البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبي أعطني رمانة أخرى فاعطاه فوجدها أطيب من الاولى فعصرها فخرج منها ماء قليل فشربه فوجده عفصا فقال أيها الصبي لم صار الرمان هكذا فقال الصبي فلعل ملك البلد عزم على الظلم فلشؤم ظلمه صار (٩٠) هكذا فتاب أنوشروان فى قلبه وأناب فقال للصبي اعطني رمانة أخرى فعصرها فوجده أطيب من الاولى فقال الصبي لم بدلت هذه الحالة فقال الملك تاب عن ظلمه فلما وجد أنوشروان مقالة الصبي مطابقة لاحواله فى قلبه تاب بالكلية فكان من ميامن عدله ان ورد فى حقه قول نبينا صلى الله عليه وسلم ولدت فى زمن الملك العادل * الثالثة كونه مالكا وملكا معناه انه قادر على ترجيح جانب وجود الممكنات على عدمها وانه قادر على نقلها من صفة الى صفة كما يشاء من غير مانع ولا منازع وعلى قضية الحكمة والعدالة فهو الملك الحق وانه مالك يوم الدين أيضا لان القدرة على احياء الخلق بعد اماتتهم والعلم بتلك الاجزاء المتفرقة من أبدان الناس وأ ... ر لا يختص به أحد غيره فاذا كان ... شر والنشور لا يتاتى الا بعلم ... ذاته بجميع المعلومات وقدرة ... ذاته كل الممكنات فلا مالك ... الا الله فان قيل لا يكون ... كان المملوك موجودا ... غير موجودة فينبغي ... م الدين بالتنوين بدليل مالكا ... اقرارا و لكن العين ... فيما قاتل زيد كان تهديدا ... زيدا كان ... يقال مالك ... قيام القيامة أمرا حقا لا يلي انه لو قال لاخلال به فى الحكمة جعله قال أمات ... كالشئ القائم فى الحال ولو قيل لما كان ... فقد قامت قيامته زال السؤال ... عبث وعقابه على مالم يفعله وجوده ... ابعة قالت القدرية ان كان الكل من الله فثواب الرجل على مالم يعمله ... يعطها لطف وصفة قهر كما ينبغي لكل ... من ما ... بطل كونه مالكا ليوم الدين قلنا خلق الجنة وخلق أهلا لها وخلق النار وخلق اهلا لها وذلك ان له صفة أسماء الله تعالى خمسة الله الرب ... ال * الر ... خلق لكل صفة مظهرا ولا يسئل عما يفعل لان كل سؤال ينقلب فهو باطل * الخامسة فى هذه السورة من ظلمة ... الرحيم المالك كأنه يقول خلقتك أولا فانا الله ثم ربيتك باصناف النعم فانا الرب ثم عصيت فسترت

قوم من أراهط الانصار الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه كانوا قد عتوا فى شركهم وجاهليتهم قد سموا لنا باسمائهم كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم وأنسابهم وظاهروهم على ذلك فى خفاء غير جهار حذار القتل على أنفسهم والسباء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وركونا الى اليهود لما هم عليه من الشرك وسوء البصيرة بالاسلام فكانوا اذا لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان به من أصحابه قالوا لهم حذارا على أنفسهم انا مؤمنون بالله وبرسوله وبالبعث وأعطوهم بالسنتهم كلمة الحق ليدرؤا عن نفسهم حكم الله فيمن اعتقد ما هم عليه مقيمون من الشرك لو أظهروا بالسنتهم ماهم معتقدوه من شركهم واذا لقوا اخوانهم من اليهود وأهل الشرك والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به فخلوا بهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن فاياهم عنى جل ذكره بقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يعني بقوله تعالى خبرا عنهم آمنا بالله وصدقنا بالله وقد دللنا على ان معنى الايمان التصديق فيما مضى من كتابنا هذا قبل وقوله وباليوم الآخر يعني بالبعث يوم القيامة وانما سمى يوم القيامة اليوم الآخر لانه آخر يوم لا يوم بعده سواه فان قال قائل وكيف لا يكون بعده يوم ولا انقطاع للآخرة ولا فناء ولا زوال قيل ان اليوم عند العرب انما سمي يوما بليلته التى قبله فاذا لم يتقدم النهار ليل لم يسم يوما فيوم القيامة يوم لا ليل بعده سوى الليلة التى قامت فى صبيحتها القيامة فذلك اليوم هو آخر الايام ولذلك سماه الله جل ثناؤه اليوم الآخر ونعته بالعقم ووصفه بالعقيم لانه لا ليل بعده * وأما تأويل قوله وما هم بمؤمنين ونفيه عنهم جل ذكره اسم الايمان وقد أخبر عنهم انهم قد قالوا بالسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر فان ذلك من الله جل وعز تكذيب لهم فيما أخبروا عن اعتقادهم من الايمان والاقرار بالبعث واعلام منه نبيه صلى الله عليه وسلم ان الذى يبدونه له بافواههم خلاف ما فى ضمائر قلوبهم وضد ما فى عزائم نفوسهم وفى هذه الآية دلالة واضحة على بطول ما زعمته الجهمية من ان الايمان هو التصديق بالقول دون سائر المعانى غيره وقد أخبر الله جل ثناؤه عن الذين ذكرهم فى كتابه من أهل النفاق انهم قالوا بالسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر ثم نفى عنهم ان يكونوا مؤمنين اذ كان اعتقادهم غير مصدق قيلهم وقوله وما هم بمؤمنين يعني بمصدقين فيما يزعمون انهم به مصدقون ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (يخادعون الله والذين آمنوا) وخداع المنافق ربه والمؤمنين اظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذى فى قلبه من الشك والتكذيب ليدرأ عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم الله عز وجل اللازم من كان بمثل حاله من التكذيب لو لم يظهر بلسانه ما أظهر من التصديق والاقرار من القتل والسباء فذلك خداعه ربه وأهل الايمان بالله فان قال قائل وكيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعا وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد الا تقية قيل لا تمتنع العرب ان تسمى من أعطى بلسانه غير الذى هو فى ضميره تقية لينجو مما هو له خائف فنجا بذلك مما خافه مخادعا لمن تخلص منه بالذى أظهر له من التقية فكذلك المنافق سمي مخادعا لله وللمؤمنين باظهاره ما أظهر بلسانه تقية مما تخلص به من القتل والسباء فى العاجل وهو لغير ما أظهر مستبطن وذلك من فعله وان كان خداعا للمؤمنين فى عاجل الدنيا فهو لنفسه بذلك من فعله خادع لانه يظهر لها بفعله من ذلك ... انه

عليك فأنا الرحمن ثم ثبت تقصيرك فأنا الرحيم ثم أجازيك بما عملت فأنا مالك يوم الدين وذكر الرحمن الرحيم مرة في التسمية ومرة في السورة أخرى دليل على ان العناية بالرحمة أكثر منها بسائر الاوصاف ومع ذلك عقبها بقوله مالك يوم الدين كيلا يغتر وا بها ونظيره غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب * السادسة الحمد والمدح والتعظيم فيما بين الناس انما يكون لكونه كاملا في ذاته وان لم يكن له احسان اليك واما لكونه محسنا اليك واما رجاء وطمعا في المستقبل واما خوفا ورهبة فكأنه سبحانه يقول ان كنتم تعظمون للكمال الذاتي فاحمدوني فاني أنا الله وان كنتم تعظمون للاحسان السالف فأنا رب العالمين وان كنتم تعظمون للاحسان المترقب فأنا الرحمن الرحيم وان كنتم تعظمون رهبة عن العقاب فأنا مالك يوم الدين * الثامن في فوائد قوله اياك نعبد الاولى لاشك ان تقديم المفعول مفيد للاختصاص أي لانعبد أحدا سواك والحاكم فيه الذوق السليم واستحقاق هذا الاختصاص لله تعالى ظاهر لان العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا يليق الا لمن صدر منه غاية الانعام وهو الله تعالى وذلك ان للعبد أحوالا ثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل أما الماضي فقد كان معدوما فأوجده وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ وكان ميتا فأحياه وكنتم أمواتا فأحياكم وكان جاهلا فعلمه أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيأ ثم أسمعه وأبصره وأعقله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهو اله بهذه المعاني وأما الحاضر فحاجات كثيرة ووجوه افتقاره غير محصورة من أول عمره الى آخره مع انفتاح أبواب المعصية وانخلاع ربقة الطاعة فهو رب رحمن رحيم من هذه الوجوه وأما المستقبل فأموره المتعلقة بما بعد الموت وانه مالك يوم الدين بهذه الحيثية فلا مفزع للعبد في شئ من أحواله الا اليه فلا يستحق عبادة العبد الا هو وأيضا ثبت بالدلائل القاطعة وجوب كونه تعالى عالما قادرا جوادا غنيا حكيما الى غير ذلك من الصفات الكمالية وأما كون غيره من الفلكيات والطبائع والنفوس كذلك فمشكوك فيه وان كنا نجزم بانه لا تأثير لها فوجب طرح المشكوك والاخذ باليقين فلا معبود بالحق الا الله سبحانه وأيضا العبودية تذلل ومهانة وكلما كان المولى أشرف وأعلى كانت العبودية أهنأ وأمرأ ولما كان الله تعالى أشرف الموجودات وأعلاها وأولاها بالصفات العلى فعبوديته أولى وأيضا كل ماسوى الواجب

يعطيها أمنيتها ويسقيها كاس سرورها وهو موردها به حياض عطبها ومجرعها به كاس عذابها ومزيدها من غضب الله وأليم عقابه مالاقبل لها به فذلك خديعته نفسه ظنا منه مع اساءته اليها في أمر معادها انه اليها محسن كما قال جل ثناؤه وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون اعلاما منه عباده المؤمنين ان المنافقين باساءتهم الى أنفسهم واسخاطهم ربهم بكفرهم وشركهم وتكذيبهم غير شاعرين ولا دارين ولكنهم على عمياء من أمرهم مقيمون وبنحو ماقلنا في تاويل ذلك كان ابن زيد يقول حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال سألت عبد الرحمن بن زيد عن قول الله جل ذكره يخادعون الله والذين آمنوا الى آخر الآية قال هؤلاء المنافقون يخادعون الله ورسوله والذين آمنوا انهم مؤمنون بما أظهروا وهذه الآية من أوضح الدليل على تكذيب الله جل ثناؤه قول الزاعمين ان الله لا يعذب عباده الا من كفر به عنادا بعد علمه بوحدانيته وبعد تقرر صحتها عنده ربه تبارك وتعالى عليه من توحيده والاقرار بكتبه ورسله عنده لان الله جل ثناؤه قد أخبر عن الذين وصفهم بما وصفهم به من النفاق وخداعهم اياه والمؤمنين انهم لا يشعرون انهم مبطلون فيما هم عليه من الباطل مقيمون وانهم بخداعهم الذي يحسبون انهم به يخادعون ربهم وأهل الايمان به مخدوعون ثم أخبر تعالى ذكره ان لهم عذابا أليما بتكذيبهم بما كانوا يكذبون من نبوة نبيه واعتقاد الكفر به وبما كانوا يكذبون في زعمهم انهم مؤمنون وهم على الكفر مصرون * فان قال لنا قائل قد علمت ان المفاعلة لا تكون الا من فاعلين كقولك ضاربت أخاك وجالست أباك اذا كان كل واحد مجالس صاحبه ومضاربه فأما اذا كان الفعل من أحدهما فانما يقال ضربت أخاك وجلست الى أبيك فمن خادع المنافق فجائز أن يقال فيه يخادع الله والمؤمنين قيل قد قال بعض المنسوبين الى العلم بلغات العرب ان ذلك حرف جاء بهذه الصورة أعني يخادع بصورة يفاعل وهو بمعنى يفعل في حروف أمثالها شاذة من منطق العرب نظير قولهم قاتلك الله بمعنى قتلك الله وليس القول في ذلك عندي كالذي قال بل ذلك من التفاعل الذي لا يكون الا من اثنين كسائر ما يعرف من معنى يفاعل ومفاعل في كل كلام العرب وذلك ان المنافق يخادع الله جل ثناؤه بكذبه بلسانه على ماقد تقدم وصفه والله تبارك اسمه خادعه بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه في آجل معاده كالذي أخبر في قوله ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وبالمعنى الذي أخبر أنه فاعل به في الآخرة بقوله يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم الآية فذلك نظير سائر ما يأتي من معاني الكلام بتفاعل ومفاعل وقد كان بعض أهل النحو من أهل البصرة يقول لا تكون المفاعلة الا من شيئين ولكنه انما قيل يخادعون الله عند أنفسهم بظنهم ان لا يعاقبوا وقد علموا خلاف ذلك في أنفسهم بحجة الله تبارك اسمه الواقعة على خلقه بمعرفته وما يخدعون الا أنفسهم قال وقد قال بعضهم وما يخدعون يقول يخدعون أنفسهم بالتخلية بها وقد تكون المفاعلة من واحد في أشياء كثيرة ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (وما يخدعون الا أنفسهم) ان قال لنا قائل أوليس المنافقون قد خدعوا المؤمنين بما أظهروا بالسنتهم من قيل الحق عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم حتى سلمت لهم دنياهم وان كانوا قد كانوا مخدوعين في أمر

الثنى يمكن لمثير والتقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه التفكر بمطلق المحاجات هو الله فلا يستحق العبادة الا هو وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه * الثانية تقديم ذكره تعالى يورث الخشية والمهابة حتى لا يلتفت في العبادة يمينا وشمالا بخلاف العكس يحكى ان واحدا من المصارعين الاستاذين صارع بعض من هو دونه ولا يعرفه فصرع الاستاذ مرارا فقيل له فلان الاستاذ فانصرع في الحال وما ذاك الا لاحتشامه بعد عرفانه وأيضا ذكره تعالى أولا مما يورث العبد قوة يسهل ما عليه ثقل العبودية فوجب تقديمه كما ان من أراد حمل ثقيل يقدم عليه دواء أو غذاء يعينه على ذلك كما ان العاشق يسهل عليه جميع الآلام عند حضور معشوقه وأيضا ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فالنفس اذا مسها طائف الشيطان من الكسل والغفلة والبطالة طلع لها جلال الله من مشرق اياك نعبد فتصير مبصرة مستعدة لاداء حق العبودية وايضا ان بدأ بالعبادة فض ابليس قلبه ان المعبود من هو فيلقى في نفسه وساوس أما اذا غير هذا الترتيب وقال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وأيضا الواجب لذاته متقدم في الوجود فيناسب ان يكون مقدما في الذكر وأيضا المحققون نظرهم على المعبود لا على العبادة وعلى المنعم لا على النعمة ولهذا قيل لبني اسرائيل اذكروا نعمتي ولامة محمد اذكروني فذكر المعبود عندهم أولى من ذكر العبادة * الثالثة النون في قوله نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انه تشريف من الله تعالى للعبد حيث لقنه لفظا ينبئ عن التعظيم والتكريم كقوله حكاية عن نفسه نحن نقص عليك أحسن القصص كأنه قال لما أظهرت عبوديتي اعبدالي جعلناك أمة ان ابراهيم كان أمة ومنها انه لو قال اياك أعبد كان اخبارا عن كونه عبدا فقط ولما قال اياك نعبد صار معناه اني واحد من عبيدك ولا ريب وهب ان الثاني أدخل في الادب والتواضع ومنها ان يكون تنبيها على ان الصلاة بالجماعة أولى قال صلى الله عليه وسلم التكبيرة الاولى في صلاة خير من الدنيا وما فيها وههنا نكتة وهي ان الانسان اذا أكل الثوم والبصل فليس له ان يحضر الجماعة كيلا يتاذى منه جاره واذا كان ثواب الجماعة لا يفي بهذا القدر من الايذاء فكيف يفي بما هو أكثر من ذلك ايذاء المسلمين من الغيبة والتهمة والنميمة والسعاية وسائر

آخرتهم قيل خطأ ان يقال انهم خدعوا المؤمنين لانا اذا قلنا ذلك أوجبنا لهم حقيقة خدعة جازت لهم على المؤمنين كما انا لو قلنا قتل فلان فلانا أوجبنا له حقيقة قتل كانت منه لفلان ولكنا نقول خادع المنافقون ربهم والمؤمنين ولم يخدعوهم بل خدعوا أنفسهم كما قال جل ثناؤه دون غيرها نظير ما تقول في رجل قاتل آخر فقتل نفسه ولم يقتل صاحبه قاتل فلان فلانا ولم يقتل الا نفسه فتوجب له مقاتلة صاحبه وتنفي عنه قتله صاحبه وتوجب له قتل نفسه فكذلك تقول خادع المنافق ربه والمؤمنين فلم يخدع الا نفسه فتثبت منه مخادعة ربه والمؤمنين وتنفي منه ان يكون خدع غير نفسه لان الخادع هو الذي قد صحت له الخديعة ووقع منه فعلها فالمنافقون لم يخدعوا غير أنفسهم لان ما كان لهم من مال وأهل فلم يكن المسلمون ملكوه عليهم في حال خداعهم اياهم عنه بنفاقهم ولا قبلها فيستنقذوه بخداعهم منهم وانما دافعوا عنه بكذبهم واظهارهم بالسنتهم غير الذي في ضمائرهم ويحكم الله لهم في أموالهم وأنفسهم وذراريهم بحكم ما انتسبوا اليه من الملة والله بما يخفون من أمورهم عالم وانما الخادع من ختل غيره عن شيه والمخدوع غير عالم بموضع خديعة خادعه فاما والمخادع عارف بخداع صاحبه اياه وغير لاحقه من خداعه اياه مكروه بل انما يتجافى ٧ متطان به انه له مخادع استدراجا ليبلغ غاية يتكامل له عليها الحجة للعقوبة التي هي موقع عند بلوغه اياها والمستدرج غير عالم بحال نفسه عند مستدرجه ولا عارف باطلاعه على ضميره وان امهال مستدرجه وترك معاقبته على جرمه ليبلغ المخاتل المخادع من استحقاقه عقوبة مستدرجه بكثرة اساءته وطول عصيانه اياه وكثرة صفح المستدرج وطول عفوه عنه أقصى غايته فانما هو خادع نفسه لا شك دون من حدثت نفسه انه له مخادع ولذلك نفى الله جل ثناؤه عن المنافق ان يكون خدع غير نفسه اذ كانت الصفة التي وصفنا صفته واذ كان الامر على ما وصفنا في خداع المنافق ربه وأهل الايمان به وانه غير صائر بخداعه ذلك الى خديعة صحيحة الا لنفسه دون غيرها لما يورطها بفعله من الهلاك والعطب فالواجب اذا أن يكون الصحيح من القراءة وما يخدعون الا أنفسهم دون وما يخادعون لان لفظ المخادع غير موجب خديعة على صحة ولفظ خادع موجب خديعة على صحة ولا شك ان المنافق قد أوجب خديعة الله عز وجل لنفسه بما ركب من خداعه ربه ورسوله والمؤمنين بنفاقه فلذلك وجبت الصحة لقراءة من قرأ وما يخدعون الا أنفسهم ومن الدلالة أيضا على ان قراءة من قرأ وما يخدعون أولى بالصحة من قراءة من قرأ وما يخادعون ان الله جل ثناؤه قد اخبر عنهم انهم يخادعون الله والمؤمنين في أول الآية فمحال ان ينفي عنهم ما قد أثبت انهم قد فعلوه لان ذلك تضاد في المعنى وذلك غير جائز من الله جل وعز ۞ القول في تأويل قول الله جل ثناؤه (وما يشعرون) يعني بقوله جل ثناؤه وما يشعرون وما يدرون يقال ما شعر فلان بهذا الامر وهو لا يشعر به اذا لم يدر ولم يعلم شعرا وشعورا كما قال الشاعر

عقرا بسهم فلم يشعر به أحد * ثم استقلوا وقالوا حبذا الوضح

يعني بقوله لم يشعر به لم يدر به أحد ولم يعلم فاخبر الله تعالى ذكره عن المنافقين انهم لا يشعرون بان الله خادعهم باملائه لهم واستدراجه اياهم الذي هو من الله جل ثناؤه ابلاغ اليهم في الحجة والمعذرة ومنهم لانفسهم خديعة ولها في الآجل مضرة كالذي حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن

٧ هكذا بالاصل ولعله محرف لان التجافي التباعد والمقصود هنا اظهار انه مخدوع فليتأمل اه مصححه

وهب قال سألت ابن زيد عن قوله وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون قال ما يشعرون انهم ضروا أنفسهم بما أسروا من الكفر والنفاق وقرأ قول الله يوم يبعثهم الله جميعا قال هم المنافقون حتى بلغ ويحسبون انهم على شئ وقد كان الايمان ينفعهم ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (فى قلوبهم مرض) وأصل المرض السقم ثم يقال ذلك فى الاجساد والاديان فاخبر الله جل ثناؤه ان فى قلوب المنافقين مرضا وانما عنى تبارك وتعالى بخبره عن مرض قلوبهم الخبر عن مرض ما فى قلوبهم من الاعتقاد ولكن لما كان معلوما بالخبر عن مرض القلب انه معنى به مرض ما هم معتقدون من الاعتقاد استغنى بالخبر عن القلب بذلك والكناية عن تصريح الخبر عن ضمائرهم واعتقاداتهم كما قال عمر بن لجا وسبحت المدينة لا تلمها * رأت قرا بسوقهم نهارا
يريد وسبح أهلها ومنه قول عنترة العبسى
هلا سألت الخيل يا ابنة مالك * اذ كنت جاهلة بما لم تعلمى

يريد هلا سألت أصحاب الخيل ومنه قولهم يا خيل الله اركبى يراد يا أصحاب خيل الله اركبوا والشواهد على ذلك أكثر من ان يحصيه كتاب وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه فكذلك معنى قول الله جل ثناؤه فى قلوبهم أغنى معناه عن تصريح الخبر عن اعتقادهم والمرض الذى ذكر الله جل ثناؤه انه فى اعتقاد قلوبهم الذى وصفناه هو شكهم فى أمر محمد وما جاء به من عند الله وتحيرهم فيه فلاهم به موقنون ايقان ايمان ولاهم له منكرون انكار اشراك ولكنهم كما وصفهم الله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كما يقال فلان يمرض فى هذا الامر أى يضعف العزم ولا يصحح الروية فيه وبمثل الذى قلنا فى تاويل ذلك تظاهر القول فى تفسيره من المفسرين حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قلوبهم مرض أى شك وحدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال المرض النفاق حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى قلوبهم مرض يقول فى قلوبهم شك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد فى قلوبهم مرض قال هذا مرض فى الدين وليس مرضا فى الاجساد قال هم المنافقون حدثنى المثنى قال حدثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن سعيد عن قتادة فى قوله فى قلوبهم مرض قال فى قلوبهم ريبة وشك فى أمر الله جل ثناؤه وحدثت عن عمار ابن الحسن قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فى قلوبهم مرض قال هؤلاء أهل النفاق فالمرض الذى فى قلوبهم الشك فى أمر الله تعالى ذكره حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر حتى بلغ فى قلوبهم مرض قال المرض الشك الذى دخلهم فى الاسلام ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (فزادهم الله مرضا) قد دللنا آنفا على ان تاويل المرض الذى وصف الله جل ثناؤه انه فى قلوب المنافقين هو

لما أثنيت على بقولك الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ارتفعت منزلتك عندنا فلا تقتصر على اصلاح حالك بل عليك بالسعى فى اصلاح حال جميع اخوانك فقل اياك نعبد واياك نستعين ومنها ان العبد يقول الهى عبادتى مخلوطة بالتقصير وانى أخلطها بعبادة جميع العابدين فلا يليق بكرمك ان تميز بين العبادات ولا ان ترد الكل وفيها عبادة الانبياء والاولياء بل الملائكة المقربين وهذا كما ان الرجل اذا باع من غيره عشرة أعبد فالمشترى اما ان يقبل الكل أو يرد الكل وليس له ان يقبل البعض دون البعض فى تلك الصفقة الرابعة من عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها وثقل عليه الاشتغال بغيرها لان الكمال محبوب لذاته وأكمل أحوال الانسان اشتغاله بخدمة مولاه فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جماله ولهذا قد ورد من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وأيضا التكاليف أمانة انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان وأداء الامانة واجب عقلا وشرعا ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها وأداء الامانات من أحد الجانبين سبب لادائها من الجانب الآخر قال بعض الصحابة أتى اعرابى باب المسجد فنزل عن ناقته وتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فتعجبنا فلما خرج لم يجد الناقة فقال الهى أديت أمانتك فاين أمانتى قال الراوى فزدنا تعجبا فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته وقد قطع يده وسلم الناقة اليه وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس يا غلام احفظ الله فى الخلوات يحفظك فى الفلوات وأيضا الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم الغرور الى دار السرور وركون من الخلق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة يحكى عن أبى حنيفة ان حية سقطت من السقف وتفرق الناس وهو فى الصلاة فلم يشعر به وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين يشرع فى الصلاة كانوا يسمعون من صدره أزيزا كأزيز المرجل ومن استبعد فليقرأ قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن فاذا كان لجمال البشر مثل هذا التاثير فكيف جلال الله وعظمته اذ تجلى على قلب الموحد العابد وقد تحدث الحيرة والدهش عند رؤية بعض السلاطين فكيف اذا كان الوقوف بين يدى رب العالمين واعلم ان العبادة

الهاثلاث درجات لانه اماان يعبدالله رغبة فى ثوابه أو رهبة من عقابه ويختص باسم الزاهد حيث يعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو أشرف منها وأدوم وهذه مرتبة نازلة عند المحققين واماان يعبدالله تشرفا بعبادته أو بقبول تكاليفه أو بالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة وتسمى بالعبودية واماان يعبدالله لكونه الها ولكونه عبداله والالهية توجب العزة والهيبة والعبودية تقتضى الخضوع والذلة وهذه أعلى الدرجات وتسمى بالعبودية واليها الاشارة بقول المصلى أصلى لله فانه لوقال أصلى لثواب الله أوهربا من عقابه فسدت صلاته يحكى ان عابدا فى بنى اسرائيل اعتزل وعبدالله تعالى سبعين سنة فارسل الله تعالى اليه ملكا فقال عبادتك غير مقبولة فلا تشق على نفسك ولا تجاهد فاجاب العابد بان الذى على هو العبودية وانى لا أزال أفعل ما على فاما القبول وعدم القبول فموكول الى المعبود فرجع الملك فقال الله ثم أجاب العابد فقال أنت أعلم يارب انه قال كذا وكذا فقال الله تعالى ارجع اليه وقل له قبلنا طاعتك بسبب ثبات نيتك والتحقيق ان اثبات نسبة الامكان هو قصارى مجهود العابدين ونهاية مطامح أبصار العارفين وفى العبادة انشراح صدور المؤمنين وانها عاقبة حال المتقين قال عزمن قائل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ولان العبودية أشرف المقامات مدح الله تعالى به نبيه فى قوله سبحان الذى أسرى بعبده ليلا وافتخر عيسى بذلك أول ما نطق فقال انى عبدالله وكان على يقول كفانى فخرا ان أكون لك عبدا وكفانى شرفا ان تكون لى ربا اللهم انى وجدتك الها كما أردت فاجعلنى عبدا كما أردت ومنهم من قال العبودية أشرف من الرسالة فبالعبودية ينصرف من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق وبالعبودية ينعزل عن التصرفات وبالرسالة يقبل على التصرفات ولهذا قال ثناؤه شرف التقدم فى قول الموحد أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدالله ولا الملائكة المقربون التاسع فى فوائد قوله واياك نستعين الاولى لاشك ان العبد قدرة بها يتمكن من الفعل والترك وانما يحصل الرجحان بمرجح ولو كان ذلك المرجح من عند العبد عاد التقسيم فلا بدان ينتهى الى الله تعالى وأيضا كل الخلائق يطلبون طريق الحق مع استوائهم فى

الشك فى اعتقادات قلوبهم وأديانهم وما هم عليه فى أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر نبوته وما جاء به مقيمون فالمرض الذى أخبر الله جل ثناؤه عنهم انه زادهم على مرضهم هو نظير ما كان فى قلوبهم من الشك والحيرة قبل الزيادة فزادهم الله بما أحدث من حدوده وفرائضه التى لم يكن فرضها قبل الزيادة التى زادها المنافقين من الشك والحيرة اذ شكوا وارتابوا فى الذى أحدث لهم من ذلك الى المرض والشك الذى كان فى قلوبهم فى السالف من حدوده وفرائضه التى كان فرضها قبل ذلك كما زاد المؤمنين به الى ايمانهم الذى كانوا عليه قبل ذلك بالذى أحدث لهم من الفرائض والحدود اذ آمنوا به الى ايمانهم بالسالف من حدوده وفرائضه ايمانا كالذى قال جل ثناؤه فى تنزيله واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون فالزيادة التى زيدها المنافقون من الرجاسة الى رجاستهم هو ما وصفنا والزيادة التى زيدها المؤمنون الى ايمانهم هو ما بينا وذلك هو التأويل المجمع عليه ذكر بعض من قال ذلك من أهل التأويل **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فزادهم الله مرضا قال شكا **حدثنى** موسى بن هرون قال أخبرنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فزادهم الله مرضا يقول فزادهم الله ريبة وشكا **حدثنى** المثنى بن ابراهيم قال حدثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن سعيد عن قتادة فزادهم الله مرضا يقول فزادهم الله ريبة وشكا فى أمر الله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا قال زادهم رجسا وقرأ قول الله عز وجل فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم قال شرا الى شرهم وضلالة الى ضلالتهم **وحدثت** عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبى جعفر عن ابيه عن الربيع فزادهم الله مرضا زادهم الله شكا ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ولهم عذاب أليم) والاليم هو الموجع ومعناه ولهم عذاب مؤلم فصرف مؤلم الى أليم كما يقال ضرب وجيع بمعنى موجع والله بديع السموات والارض بمعنى مبدع ومنه قول عمرو بن معديكرب الزبيدى

أمن ريحانة الداعى السميع * يؤرقنى وأصحابى هجوع

بمعنى المسمع ومنه قول ذى الرمة

ويرفع من صدور شمردلات * يصد وجوهها وهج أليم

ويروى يصك وانما الاليم صفة للعذاب كأنه قال ولهم عذاب مؤلم وهو مأخوذ من الالم والالم الوجع كما **حدثنى** المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا عبدالله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال الاليم الموجع **حدثنا** يعقوب قال حدثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال الاليم الموجع **وحدثت** عن المنجاب بن الحارث قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك فى قوله أليم قال هو العذاب الموجع وكل شىء فى القرآن من الاليم فهو الموجع ۞ القول فى تأويل قوله جل

ثناؤه (بما كانوا يكذبون) اختلفت القراء في قوله ذلك فقرأه بعضهم بما كانوا يكذبون مخففة الذال مفتوحة الياء وهي قراءة معظم أهل الكوفة وقرأه آخرون يكذبون بضم الياء وتشديد الذال وهي قراءة معظم أهل المدينة والحجاز والبصرة وكان الذين قرؤا ذلك بتشديد الذال وضم الياء رأوا ان الله جل ثناؤه انما أوجب للمنافقين العذاب الاليم بتكذيبهم نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وان الكذب لولا التكذيب لا يوجب لاحد اليسير من العذاب فكيف بالاليم منه وليس الامر في ذلك عندي كالذي قالوا وذلك ان الله عز وجل أنبأ عن المنافقين في أول النبائه عنهم في هذه السورة بانهم يكذبون بدعواهم الايمان واظهارهم ذلك بالسنتهم خداعا لله عز وجل ولرسوله وللمؤمنين فقال ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا بذلك من قبلهم مع استسرارهم الشك والريبة وما يخدعون الا أنفسهم بصنيعهم ذلك دون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وما يشعرون بموضع خديعتهم أنفسهم واستدراج الله عز وجل اياهم باملائه لهم في قلوبهم شك أي نفاق وريب والله زائدهم شكا وريبا بما كانوا يكذبون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم بالسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم في قيلهم ذلك كذبة لاستسرارهم الشك والمرض في اعتقادات قلوبهم في أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فاولى في حكم الله جل جلاله ان يكون الوعيد منه لهم على ما افتتح به الخبر عنهم من قبيح أفعالهم وذميم أخلاقهم دون مالم يجر له ذكر من أفعالهم اذ كان سائر آيات تنزيله بذلك نزل وهو ان يفتتح ذكر محاسن أفعال قوم ثم يختم ذلك بالوعد على ما افتتح به ذكره من أفعالهم ويفتتح ذكر مساوي أفعال آخرين ثم يختم ذلك بالوعيد على ما ابتدأ به ذكره من أفعالهم فكذلك الصحيح من القول في الآيات التي افتتح فيها ذكر بعض مساوي أفعال المنافقين ان يختم ذلك بالوعيد على ما افتتح به ذكره من قبائح أفعالهم فهذا مع دلالة الآية الاخرى على صحة ما قلنا وشهادتها بان الواجب من القراءة ما اخترنا وان الصواب من التاويل ما تاولنا من ان وعيد الله به المنافقين في هذه الآية العذاب الاليم على الكذب الجامع معنى الشك والتكذيب وذلك قول الله تبارك وتعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون والآية الاخرى في المجادلة اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين فاخبر جل ثناؤه ان المنافقين بقيلهم ما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اعتقادهم فيه ماهم معتقدوه كاذبون ثم أخبر ان العذاب المهين لهم على ذلك من كذبهم ولو كان الصحيح من القراءة على ما قرأه القارئ في سورة البقرة ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون لكانت القراءة في السورة الاخرى والله يشهد ان المنافقين لمكذبون ليكون الوعيد لهم الذي هو عقيب ذلك وعيدا على التكذيب لا على الكذب وفي اجماع المسلمين على ان الصواب من القراءة في قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون بمعنى الكذب وان ايعاد الله تبارك وتعالى فيه المنافقين العذاب الاليم على ذلك من كذبهم أوضح الدلالة على ان الصحيح من القراءة في سورة البقرة بما كانوا يكذبون بمعنى الكذب وان الوعيد من الله تعالى ذكره للمنافقين فيها على الكذب حق لا على التكذيب الذي لم

القدرة والفعل والجد والطلب ولا يفوز به الا بعضهم فليس ذلك الا باعانة الحق وأيضا قد يطلب الانسان حاجة من غيره ويدا فعه مدة مديدة ثم يقضي حاجته فالقاء تلك الداعية في القلب ليس الا من الله فثبت انه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ويظهر فائدة الاستعانة في انه انما جعل الله تعالى ذلك واسطة الى نيل المطلوب كالشبع الحاصل عقيب أكل الطعام ونحوه فيسقط اعتراض الجبري والقدري فافهم الثانية لقائل أن يقول شرعت في العبادة فتستعين وان الاستعانة على العمل انما تحسن قبل الشروع فيه لا بعده فهلا قدمت الاستعانة على ذكر العبادة والجواب كأنه يقول شرعت في العبادة فاستعين بك في اتمامها حتى لا يمنعني مانع ولا يعارضني صارف فان قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن وأيضا ان قيل الاستعانة مطلقة تتناول كل مستعان فيه فذكر العبادة كالوسيلة الى طلب الاعانة على الحوائج وتقديم الوسيلة مناسب *الثالثة لا أريد بالاعانة غيرك اقتداء بالخليل صلى الله عليه وسلم حيث قيد نمرود يديه ورجليه ورماه الى النار فجاءه جبرائيل وقال هل لك حاجة فقال له أما اليك فلا قال فاسأل الله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وههنا نكتة وهي ان المؤمن في الصلاة مقيد رجلاه عن المشي ويداه عن البطش ولسانه الا عن القراءة والذكر فكما ان الله قال يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فكذلك تقول له نار جهنم جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي الرابعة لا أستعين غيرك لان الغير لا يمكنه اعانتي الا اذا أعنته فانا أقطع الواسطة ولا أنظر الا الى اعانتك الخامسة اياك نعبد تورث العجب بالعبادة فاردفه بقوله واياك نستعين لازالة ذلك السادسة ههنا مقامات معرفة الربوبية ومعرفة العبودية وعند اجتماعهما يحصل الرابط المذكور في قوله أوفوا بعهدي أوف بعهدكم أما معرفة الربوبية فكمالها مذكور في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فانتقال العبد من العدم السابق الى الوجود يدل على كونه الها وحصول الفوائد للعبد حال وجوده يدل على كونه ربا رحمانا ورحيما وأحوال معاده يدل على انه مالك يوم الدين وأما معرفة العبودية فبدؤها اياك نعبد وكمالها واياك نستعين في جميع المطالب واذا تم الوفاء بالعهدين ترتبت عليه الثمرة وهو قوله اهدنا الى آخره وهذا ترتيب لا يتصور [illegible] السابعة في الاتيان [illegible] حتى [illegible] عند الشروع في [illegible] الا [illegible]

الى قوله مالك يوم الدين ثم الله تعالى كانه يقول لحمد تني وأقررت بانى اله رب العالمين وتحن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد أنت يا عبد رفعنا الحجاب وأبدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة وقل اياك نعبد ومنها انه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام من كونه ربا لا يخرج شئ من ملكوته منعما على الخلق بانواع النعم جليلها ودقيقها مالكا للامر كله فى العاقبة تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بغاية الخضوع والاستعانة فى المهام نخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة ليكون الخطاب أدل على ان العبادة له لذلك التميز الذى لا تحق العبادة الا به ومنها ان الدعاء بالحضور أولى كان الثناء فى الغيبة أوقع وأحرى وهكذا فعل الانبياء عليهم السلام ربنا ظلمنا أنفسنا رب هب لى حكما رب زدنى علما رب أرنى رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين ومنها انه اذا شرع فى الصلاة نوى القربة فاثنى على الله بما هو أهله فاستجاب الله دعاءه فى تحصيل تلك القربة ونقله الى مقام الحضور من مقام الغيبة الثانية اعلم ان المشركين طوائف منهم من اتخذ الهه من الاجسام المعدنية كالحجر والذهب والفضة والنحاس ومنهم من اتخذه من النبات كالشجر المعين ومنهم من اتخذه من الانسان كعبدة المسيح وعزير ومنهم من اتخذه من الاجسام البسيطة اما السفلية كعبدة النار وهم المجوس أو العلوية كعبدة الشمس والقمر وسائر الكواكب ومنهم من قال مدبر العالم نور وظلمة وهم الثنوية ومنهم من قال الملائكة عبارة عن الارواح الفلكية ولكل اقليم روح من الارواح الفلكية يدبره وكذا لكل نوع من أنواع العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا وتماثيل ويعبدونها وهم عبدة الملائكة ومنهم من قال للعالم الهان أحدهما خير وهو الله والآخر شرير وهو ابليس هو

اذا عرفت ذلك فنقول تقدم ان الحمد لله يتضمن التسبيح له وسائر الصفات منبئة عن ثبات جميع أنواع الحمد لله واياك نعبد يدل على التوحيد المحض والبراءة من كل ما يعبد من دون الله وان الله أكبر من جميع المعبودين فيقوم مقام قوله لا اله الا الله والله أكبر واياك نستعين يدل على قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فثبت ان سورة الفاتحة مشتملة الى هنا على الذكر المشهور سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

بجره ذكر نظير الذى فى سورة المنافقين سواء وقد زعم بعض نحوى البصرة ان ما من قول الله تبارك اسمه بما كانوا يكذبون اسم للمصدر كما ان ان والفعل اسمان للمصدر مثل قوله أحب ان تأتينى وان المعنى انما هو بكذبهم وتكذيبهم قال وأدخل كان ليخبر انه كان فيما مضى كما يقال ما أحسن ما كان عبد الله فانت تعجب من عبد الله لا من كونه وانما وقع التعجب فى اللفظ على كونه وكان بعض نحوى الكوفة ينكر ذلك فى قوله ويستخطئه ويقول انما ألغيت كان فى التعجب لان الفعل كانه قد تقدمها فكانه قال حسنا كان زيد وحسن كان فى التعجب لا تبطل كان وتعمل مع الاسماء والصفات التى بالفاظ الاسماء اذا جاءت قبل كان ووقعت كان بينها وبين الاسماء ٧ وأما العلة فى ابطالها اذا أبطلت فى هذا الحال فشبه الصفات فى الاسماء فى فعل ويفعل التى لا يظهر عمل كان فيها ألا ترى انك تقول يقوم كان زيد ولا يظهر عمل كان فى يقوم وكذلك قام كان زيد فلذلك أبطل عملها مع فاعل تمثيلا بفعل ويفعل وأعملت مع فاعل أحيانا لانه اسم كما تعمل فى الاسماء فاما اذا تقدمت كان الاسماء والافعال وكان الاسم والفعل بعدها فخطأ عنده ان تكون كان مبطلة فلذلك أحال قول البصرى الذى حكيناه وتأول قول الله عز وجل بما كانوا يكذبون انه بمعنى الذى يكذبونه

۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض) اختلف أهل التأويل فى هذه الآية فروى عن سلمان الفارسى انه كان يقول لم يجئ هؤلاء بعد حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثام بن على قال حدثنا الاعمش قال سمعت المنهال بن عمرو يحدث عن عباد بن عبد الله عن سلمان قال ما جاء هؤلاء بعد الذين اذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون حدثنى أحمد بن عثمان بن حكيم قال حدثنا عبد الرحمن بن شريك قال حدثنا أبى قال حدثنى الاعمش عن زيد بن وهب وغيره عن سلمان انه قال فى هذه الآية واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون قال ما جاء هؤلاء بعد وقال آخرون بما حدثنى به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون هم المنافقون أما لا تفسدوا فى الارض فان الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قالوا انما نحن مصلحون قال فكان فسادهم على أنفسهم ذلك معصية الله جل ثناؤه لانه من عصى الله فى الارض وأمر بمعصيته فقد أفسد فى الارض لان صلاح الارض والسماء بالطاعة وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال ان قول الله تبارك اسمه واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون نزلت فى المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان معنيا بها كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم الى يوم القيامة وقد يحتمل قول سلمان عند تلاوة هذه الآية ما جاء هؤلاء بعد ان يكون قاله بعد فناء الذين كانوا بهذه الصفة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا منه عمن

---

٧ قوله وأما العلة الى آخره هكذا هذه العبارة بالاصل وهى فى غاية الخفاء كما لا يخفى فليراجع من مظانها اهـ مصححه

هو جاءمنهم بعدهم ولما يجئ بعد لأنه عنى انه لم يمض ممن هذه صفته أحد وانما قلنا أولى التاويلين بالآية ماذكرنا الاجماع الحجة من أهل التاويل على ان ذلك صفة من كان بين ظهرانى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين وان هذه الآيات فيهم نزلت والتاويل المجمع عليه أولى بتاويل القرآن من قول لادلالة على صحته من أصل ولا نظير والافساد فى الارض العمل فيها بما نهى الله جل ثناؤه عنه وتضييع ما أمر الله بحفظه فذلك جملة الافساد كما قال جل ثناؤه فى كتابه مخبرا عن قيل ملائكته قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يعنون بذلك أتجعل فى الارض من يعصيك ويخالف أمرك فكذلك صفة أهل النفاق مفسدون فى الارض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه وشكهم فى دين الله الذى لا يقبل من أحد عملا الا بالتصديق به والايقان بحقيته وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب وبمظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله اذا وجدوا الى ذلك سبيلا فذلك افساد المنافقين فى أرض الله وهم يحسبون انهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها فلم يسقط الله جل ثناؤه عنهم عقوبته ولا خفف عنهم أليم ما أعد من عقابه لاهل معصيته بحسبانهم انهم فيما أتوا من معاصى الله مصلحون بل أوجب لهم الدرك الاسفل من ناره والاليم من عذابه والعار العاجل بسب الله اياهم وشتمه لهم فقال الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وذلك من حكم الله جل ثناؤه فيهم أدل الدليل على تكذيبه قول القائلين ان عقوبات الله لا يستحقها الا المعاند ربه فيما لزمه من حقوقه وفروضه بعد علمه وثبوت الحجة عليه بمعرفته بلزوم ذلك اياه ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (قالوا انما نحن مصلحون) وتاويل ذلك كالذى قاله ابن عباس حدثنا به محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله انما نحن مصلحون أى قالوا انما نريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب وخالفه فى ذلك غيره فحدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قال اذا ركبوا معصية الله فقيل لهم لا تفعلوا كذا وكذا قالوا انما نحن على الهدى وأى الامرين كان منهم فى ذلك أعنى فى دعواهم انهم مصلحون فهم لاشك انهم كانوا يحسبون انهم فيما أتوا من ذلك مصلحون فسواء بين اليهود والمسلمين كانت دعواهم الاصلاح أو فى أديانهم وفيما ركبوا من معصية الله وكذبهم المؤمنين فيما أظهروا لهم من القول وهم بغير ما أظهروا مستبطنون لانهم كانوا فى جميع ذلك من أمرهم عند أنفسهم محسنين وهم عند الله مسيؤن ولامر الله مخالفون لان الله جل ثناؤه قد كان فرض عليهم عداوة اليهود وحربهم مع المسلمين وألزمهم التصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله كالذى ألزم من ذلك المؤمنين فكان لقاؤهم اليهود على وجه الولاية منهم لهم وشكهم فى نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به انه من عند الله أعظم الفساد وان كان ذلك عندهم اصلاحا وهدى فى أديانهم أو فيما بين المؤمنين واليهود فقال جل ثناؤه فيهم ألا انهم هم المفسدون دون الذين ينهونهم من المؤمنين عن الافساد فى الارض ولكن لا يشعرون

والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم العاشر فى فوائد قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سئل ان طلب الهداية من المؤمن وهو مهدى تحصيل للحاصل وأجيب بان المراد منه صراط الاولين فى تحمل ما يشق وكان تحمل المشاق العظيمة لاجل مرضاة الله تعالى يحكى أن نوحا عليه السلام كان يضرب فى كل يوم مرات بحيث يغشى عليه وكان يقول اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون وأيضا ان فى كل خلق من الاخلاق طرفى افراط وتفريط هما مذمومان والحق هو الوسط والصواب فالمؤمن بعد ان عرف الله بالدليل صار مهتديا لكنه لابد مع ذلك من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التى هى وسط بين الطرفين ومستقيم بين المنحرفين ففى القوة الشهوية طرف الافراط فجور وطرف التفريط خمود وهما مذمومان والوسط وهو استعمالها فى مواضعها على قضية العدالة والشريعة محمود وهو عفة وكذا فى القوة الغضبية طرفا التهور والجبن مذموم والوسط هو الشجاعة محمود وفى القوة النفسانية الجربزة والبله مذمومان والوسط وهو الحكمة محمود وبالجملة فانه يحصل من توسط استعمال القوة الشهوية الحياء والرفق والصبر والقناعة والورع والحرية والسخاء ومن توابع السخاء الكرم والايثار والعفو والمروءة والمسامحة ويلزم من توسط استعمال القوة الغضبية كبر النفس وعلو الهمة والثبات والحلم والتواضع والحمية والرقة ومن توسط استعمال القوة النطقية الذكاء وسرعة الفهم وصفاء الذهن وسهولة التعلم وحسن التعقل والتحفظ والتذكر ويحصل من كمال التوسط فى القوى الثلاث كمال العدالة ويتبعها الصداقة والالفة والوفاء والشفقة وصلة الرحم والمكافاة وحسن الشركة والتسليم والتوكل وتعظيم

 المعبود الحق وملائكته وأنبيائه وولى الامر والانقياد لاوامره ونواهيه والتقوى تكمل هذه المعانى وتتمها ولان القوة النطقية ذاتية للانسان والشهوية والغضبية حصلتا له بواسطة التعلق البدنى فكمال التوسط فى النطقية أن يستعملها بحيث لا يمكن أن يزيد منه وكمال التوسط فى الاخريين أن يستعملهما بحيث لا يمكن أقل من ذلك يفضى الى تحصيل سعادة الدارين [illegible]

المكنات الاوفيه دلالة على وجود الله وعلمه وقدرته وجوده ورحمته وحكمته وربما هم دين الاسلام بالدليل الواحد وبقي غافلا عن سائر الدلائل فكأنه يقول عرفنا الهنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وعلمك وقدرتك وأيضا قد يراد بالصراط المستقيم الاقتداء بالانبياء وهو أن يكون الانسان معرضا عما سوى الله مقبلا بكلية قلبه وفكره وذكره على الله حتى لو أمر بذبح ولده لاطاع كالخليل ولو أمر ان يذبح انقاد كاسمعيل ولو أمر بالقاء نفسه في البحر امتثل كيونس ولو أمر بتتلمذه من هو أعلم منه بعد بلوغه أعلى منصب ائتمر كموسى مع الخضر وعن خباب قال شكونا الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من كان قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه ويجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد مما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه وأيضا كأن العبد يقول الاحباب يدعونني الى طريق والاعداء الى طريق ثان والشيطان الى ثالث وكذا القول في الشهوة والغضب والاعتقادات والآراء والعقل ضعيف والعمر قصير والقضاء عسير فاهدني هذا الطريق السوي الذي لا أزيغ به وحكي عن ابراهيم بن أدهم انه كان يسير الى بيت الله فاذا اعرابي على ناقة له فقال يا شيخ الى اين فقال الى بيت الله قال كأنك مجنون لا أرى لك مركبا ولا زادا والسفر طويل فقال ابراهيم ان لي مراكب كثيرة ولكنك لا تراها قال وما هي قال اذا نزلت على بلية ركبت مركب الصبر واذا أسديت الى نعمة ركبت مركب الشكر واذا أتى بي القضاء ركبت مركب الرضا واذا دعتني النفس الى شيء علمت ان ما بقي من العمر أقل مما مضى فقال الاعرابي سر باذن الله فانت الراكب وأنا الراجل وقيل الصراط القرآن أو الاسلام ولا شيء ان يصير المعنى اهدنا الصراط المتقدمين مع انه لم يكن لهم قرآن ولا اسلام اللهم الا أن يراد أصول هذه الشريعة وقوانينها كما قال فبهداهم اقتده وعن علي كرم الله وجهه ثبتنا على الهداية كقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فكم من عالم زل ومهتد يضل وفي اختيار لفظ الصراط دون الطريق أو السبيل تذكير الصراط الذي هو الجسر الممدود بين طرفي جهنم سهل الله تعالى علينا عبوره وورود الثانية انما قيل اهدنا بلفظ الجمع

﴿القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)﴾ وهذا القول من الله جل ثناؤه تكذيب المنافقين في دعواهم اذا أمروا بطاعة الله فيما أمرهم به ونهوا عن معصية الله فيما نهاهم عنه قالوا انما نحن مصلحون لا مفسدون ونحن على رشد وهدى فيما أنكرتموه علينا دونكم لا ضالون فكذبهم الله عز وجل في ذلك من قيلهم فقال الا انهم هم المفسدون المخالفون أمر الله عز وجل المتعدون حدوده الراكبون معصيته التاركون فروضه وهم لا يشعرون انهم كذلك لا الذين يأمرونهم بالقسط من المؤمنين وينهونهم عن معاصي الله في أرضه من المسلمين

﴿القول في تأويل قول الله جل ثناؤه (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس)﴾ وتأويل قوله واذا قيل لهم آمنوا يعني واذا قيل لهؤلاء الذين وصفهم الله ونعتهم بانهم يقولون آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين صدقوا بمحمد وبما جاء به من عند الله كما صدق به الناس ويعني بالناس المؤمنين الذين آمنوا بمحمد ونبوته وما جاء به من عند الله كما حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس يقول واذا قيل لهم صدقوا كما صدق أصحاب محمد قالوا انه نبي ورسول وان ما أنزل عليه حق وصدقوا بالآخرة وانكم مبعوثون من بعد الموت وانما أدخلت الالف واللام في الناس وهم بعض الناس لا جميعهم لانهم كانوا معروفين عند الذين خوطبوا بهذه الآية باعيانهم وانما معناه آمنوا كما آمن الناس الذين تعرفونهم من أهل اليقين والتصديق بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وباليوم الآخر فلذلك أدخلت الالف واللام فيه كما أدخلتا في قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم لانه أشير بدخولها الى ناس معروفين عند من خوطب بذلك

﴿القول في تأويل قوله جل ثناؤه (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء)﴾ والسفهاء جمع سفيه كالعلماء جمع عليم والحكماء جمع حكيم والسفيه الجاهل الضعيف الرأي القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار ولذلك سمى الله عز وجل النساء والصبيان سفهاء فقال ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما فقال عامة أهل التأويل هم النساء والصبيان لضعف رأيهم وقلة معرفتهم بمواضع المصالح والمضار التي تصرف اليها الاموال وانما عنى المنافقون بقيلهم أنؤمن كما آمن السفهاء اذ دعوا الى التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله والاقرار بالبعث فقال لهم آمنوا كما آمن أصحاب محمد وأتباعه من المؤمنين المصدقين به من أهل الايمان واليقين والتصديق بالله وبما افترض عليهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم محمد وفي كتابه وباليوم الآخر فقالوا اجابة لقائل ذلك لهم أنؤمن كما آمن أهل الجهل ونصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم كما صدق به هؤلاء الذين لا عقول لهم ولا أفهام كالذي حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو ابن حماد قال حدثنا اسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء يعنون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا اسحق بن الحجاج قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء

لان الدعاء متى كان أعم كان الى الاجابة أقرب ولهذا قال بعض العلماء لتلميذه اذا قلت قبل القراءة رضى الله عنك وعن جماعة المسلمين فاياك وان تنسانى فى قولك وعن جماعة المسلمين فان ذلك أوقع عندى من قولك رضى الله عنك لان هذا تخصيص بالدعاء ويجوز ان لا يقبل وأما قولك وعن المسلمين فانه أرجى لانه لابد ان يكون فى المسلمين من يستحق الاجابة واذا أجاب الله دعاء فى البعض فهو أكرم من ان يرده فى الباقى ومن هنا ورد فى السنة ان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم قبل كل دعاء وبعده لان الدعاء فى الطرفين مستجاب البتة لانه

يعنون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنى** يونس بن عبد الاعلى قال أنبأنا ابن وهب قال حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء قال هذا قول المنافقين يريدون أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم **حدثنا** أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء يقولون أنقول كما تقول السفهاء يعنون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لخلافهم لدينهم ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن المنافقين الذين تقدم نعته لهم ووصفه اياهم بما وصفهم به من الشك والتكذيب انهم هم الجهال فى أديانهم الضعفاء الآراء فى اعتقاداتهم واختياراتهم التى اختاروها لانفسهم من الشك والريب فى أمر الله وأمر رسوله وأمر نبوته وفيما جاء به من عند الله وأمر البعث لاساءتهم الى أنفسهم بما أتوا من ذلك وهم يحسبون انهم اليها محسنون وذلك عين السفه لان السفيه انما يفسد من حيث يرى انه يصلح ويضيع من حيث يرى انه يحفظ فكذلك المنافق يعصى ربه من حيث يرى انه يطيعه ويكفر به من حيث يرى انه يؤمن به ويسىء الى نفسه من حيث يحسب انه يحسن اليها كما وصفهم به ربنا جل ذكره فقال ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وقال الا انهم هم السفهاء دون المؤمنين المصدقين بالله وبكتابه وبرسوله وثوابه وعقابه ولكن لا يعلمون وكذلك كان ابن عباس يتأول هذه الآية **حدثنا** أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس يقول الله جل ثناؤه الا انهم هم السفهاء يقول الجهال ولكن لا يعلمون يقول ولكن لا يعقلون وأما وجه دخول الالف واللام فى السفهاء فشبيهة بوجه دخولهما فى الناس فى قوله واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس وقد بينا العلة فى دخولهما هنالك والعلة فى دخولهما فى السفهاء نظيرتها فى دخولهما فى الناس هنالك سواء والدلالة التى تدل عليها هذه الآية من خطأ قول من زعم ان العقوبة من الله لا يستحقها الا المعاند ربه بعد علمه بصحة ما عاند فيه نظير دلالة الآيات الاخر التى قد تقدم ذكرنا تأويلها فى قوله ولكن لا يشعرون ونظير ذلك ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم) وهذه الآية نظير الآية الاخرى التى أخبر الله جل ثناؤه فيها عن المنافقين بخداعهم الله ورسوله والمؤمنين فقال ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ثم أكذبهم تعالى ذكره بقوله وماهم بمؤمنين وانهم بقيلهم ذلك يخادعون الله والذين آمنوا وكذلك أخبر عنهم فى هذه الآية انهم يقولون للمؤمنين المصدقين بالله وكتابه ورسوله بألسنتهم آمنا وصدقنا بمحمد وبما جاء به من عند الله خداعا عن دمائهم وأموالهم وذراريهم ودرأ لهم عنها وانهم اذا خلوا الى مردتهم وأهل العتو والشر والخبث منهم ومن سائر أهل الشرك الذين هم على مثل الذى هم عليه من الكفر بالله وبكتابه ورسوله وهم شياطينهم وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على ان شياطين كل شىء مردته قالوا لهم انا معكم أى انا معكم على دينكم وظهراؤكم على من خالفكم فيه وأولياؤكم دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم انما نحن مستهزؤن بالله وبكتابه ورسوله وأصحابه كالذى **حدثنا** محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن

فى حق النبى صلى الله عليه وسلم فيستجاب الوسط بتبعية ذلك لامحالة وأيضا قال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله بألسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك وأيضا الحمد لله شامل لحمد جميع الحامدين واياك نعبد لعبادة الجميع واياك نستعين لاستعانة الكل فلا جرم لما طلب الهداية طلبها للكل كما طلب الاقتداء بالصالحين جميعا فى قوله صراط الذين أنعمت عليهم والفرار من الطالحين جميعا فى قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين واذا كان كذلك فى الدنيا يرجى أن يكون كذلك فى الآخرة ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. الثالثة الخط المستقيم أقرب خط يصل بين النقطتين والعبد عاجز فلا يليق بضعفه الا الطريق المستقيم وأيضا المستقيم واحد وما سواه معوجة بعضها فوق بعض فى الالتواء والاعوجاج فكان أبعد من الخوف وأقرب الى الاخلاص وأيضا ميل الطباع الى الاستقامة أكثر فلهذه الاسباب سئل الصراط المستقيم * الحادى عشر فى فوائد قوله صراط الذين أنعمت عليهم * الاولى حد النعمة بأنها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لانه لو قصد الفاعل منفعة نفسه ولا على جهة الاحسان لم يكن نعمة ولا يستحق الشكر ثم نقول كل ما يصل الى الخلق من نفع ودفع ضر فهو من الله تعالى لقوله وما بكم من نعمة فمن الله ولان الواصل من جهة غير الله ينتهى اليه أيضا لانه خلق تلك النعمة وتلك المنعم وداعية ذلك الانعام فيه والمنعم عليه وصلة النعمة البتة فيتناهى أيضا من الله [illegible] ولا يمكن الانتفاع بالمنافع

ولا احترازعن المضار قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم عقب ذلك بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
* الثانية هل لله تعالى على الكافر نعمة أم لا أنكر ذلك بعض أصحابنا لوجوه منها قوله صراط الذين أنعمت عليهم فانه لو كان له على
الكافر نعمة لزم طلب صراط الكفار لان المبدل منه وهو الصراط المستقيم في حكم المنحي والجواب ان قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين
يدفع ذلك ومنها قوله ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما والجواب انه لا يلزم

من ان لا يكون الاملاء خيرا ونعمة
لهم أن لا يكون أصل الحياة وسائر
أسباب الانتفاع نعمة فان الاملاء
تأخير النقمة بعد ثبوت استحقاقها
فما قبل هذه الحالة لا يكون كذلك
على ان نفس الاملاء أيضا تمتع حالي
قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره
الى عذاب النار وليس هذا كمن
جعل السم في الحلواء على ما ظن
وانما هو كمن تناول شخصا حلواء
لذيذة غير مسمومة ولكن ذلك
الشخص لفساد مزاجه
أولا استعماله الحلواء لا كما ينبغي
أفسد مزاج الحلواء أيضا وصيره
كالسم القاتل بالنسبة اليه ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم نعم المال
الصالح للرجل الصالح وكيف
لا نعم لله تعالى وقد قال على
العموم يا أيها الناس اعبدوا ربكم
الذي خلقكم والذين من قبلكم
لعلكم تتقون الذي جعل لكم
الارض فراشا والسماء بناء ونزل
من السماء ماء وقال وكنتم أمواتا
فأحياكم كل ذلك في معرض
الامتنان وشرح النعم وقال وقليل
من عبادي الشكور ولا تجد
أكثرهم شاكرين والشكر
لا يكون الا بعد النعمة * الثالثة
ما المراد بالنعمة المذكورة في قوله
أنعمت عليهم قلنا يتناول كل من
كان لله عليه نعم دينية ودنيوية ثم انه
يخرج بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين كل من عليه نعمة دنيوية فقط و يبقى الذين أنعم الله عليهم في الدنيا اذا
والآخرة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكما أن أصل النعم الدنيوية هو الحياة المستتبعة لكل المنافع فكذلك أصل النعم
الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات وكما ان كمال البدن بالحياة فكمال النفس بالايمان وموتها بفقده انك لا تسمع الموتى
وما أنت بمسمع من في القبور وكما ان حياة البدن من الله فكذا الايمان منه بتوفيقه واضافة الايمان الى العبد اضافة الاثر الى القابل

عباس في قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا قال كان رجال من اليهود اذا لقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو بعضهم قالوا انا على دينكم واذا خلوا الى أصحابهم وهم شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قال اذا خلوا الى شياطينهم من الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول قالوا انا معكم أي انا على مثل ما أنتم عليه انما نحن مستهزؤن حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا خلوا الى شياطينهم أما شياطينهم فهم رؤسهم في الكفر حدثنا بشر بن معاذ العقدي قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله واذا خلوا الى شياطينهم أي رؤسائهم وقادتهم في الشر قالوا انما نحن مستهزؤن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن قتادة في قوله واذا خلوا الى شياطينهم قال المشركون حدثني محمد بن عمرو الباهلي قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون قال حدثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل واذا خلوا الى شياطينهم قال اذا خلا المنافقون الى أصحابهم من الكفار حدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة عن شبل بن عباد عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد واذا خلوا الى شياطينهم قال أصحابهم من المنافقين والمشركين حدثني المثنى قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس واذا خلوا الى شياطينهم قال اخوانهم من المشركين قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا قال اذا أصابوا المؤمنين قالوا انا معكم انما نحن اخوانكم واذا خلوا الى شياطينهم استهزؤا بالمؤمنين حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد شياطينهم أصحابهم من المنافقين والمشركين فان قال لنا قائل أرأيت قوله واذا خلوا الى شياطينهم فكيف قيل خلوا الى شياطينهم ولم يقل خلوا بشياطينهم فقد علمت ان الجاري بين الناس في كلامهم خلوت بفلان أكثر وأفشى من خلوت الى فلان ومن ذلك ان القرآن أفصح البيان قيل قد اختلف في ذلك أهل العلم بلغة العرب فكان بعض نحويي البصرة يقول يقال خلوت الى فلان اذا أريد به خلوت اليه في حاجة خاصة لا يحتمل اذا قيل كذلك الا الخلاء اليه في قضاء الحاجة فأما اذا قيل خلوت به احتمل معنيين أحدهما الخلاء به في الحاجة والآخر في السخرية به فعلى هذا القول واذا خلوا الى شياطينهم لا شك أفصح منه لو قيل واذا خلوا بشياطينهم لما في قول القائل اذا خلوا بشياطينهم من التباس المعنى على سامعيه الذي هو منتف عن قوله واذا خلوا الى شياطينهم فهذا أحد الاقوال والقول الآخر ان توجيه معنى قوله واذا خلوا الى شياطينهم أي اذا خلوا مع شياطينهم اذ كانت حروف الصفات يعاقب بعضها بعضا كما قال الله مخبرا عن عيسى بن مريم انه قال للحواريين من أنصاري الى الله يريد مع الله وكما وضع على موضع من وفي وعن والباء وكما قال الشاعر

وبذلك القبول يستأهل الثواب والمؤمن لا يبقى مخلدا في النار فان من شرفه الله تعالى باعظام الانعام لن يعاقبه باشد الآلام لما أنعم الا بالانعام قيل لو كان رعاية الاصلح على الله واجبا لم يكن ذلك انعاما لان أداء الواجب لا يسمى انعاما قلت النزاع لفظي لان الاصلح لابد أن يصدر عنه ولا يليق بحكمته وكماله خلاف ذلك ثم ما شئت فسمه * الثاني عشر في فوائد قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين الاولى من المغضوب عليهم ومن الضالون قلت المغضوب عليهم هم المائلون في كل خلق أو اعتقاد الى طرف التفريط ومنهم اليهود والضالون

اذ رضيت علي بنو قشير * لعمر الله أعجبني رضاها

بمعنى عني. وأما بعض نحويي أهل الكوفة فانه كان يتأول ان ذلك بمعنى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم واذا صرفوا خلاءهم الى شياطينهم فيزعم ان الجالب الى المعنى الذي دل عليه الكلام من انصراف المنافقين عن لقاء المؤمنين الى شياطينهم خالين بهم لا قوله خلوا وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع الى غيرها لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها وهذا القول عندي أولى بالصواب لان لكل حرف من حروف المعاني وجها هو به أولى من غيره فلا يصلح تحويل ذلك عنه الى غيره الا بحجة يجب التسليم لها ولالى في كل موضع دخلت من الكلام حكم وغير جائز سلبها معانيها في أماكنها ﴿القول في تأويل قوله جل ثناؤه (انما نحن مستهزؤن)﴾ أجمع أهل التأويل جميعا لا خلاف بينهم على ان معنى قوله انما نحن مستهزؤن انما نحن ساخرون فمعنى الكلام اذا واذا انصرف المنافقون خالين الى مردتهم والمشركين قالوا انا معكم على ما أنتم عليه من التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ومعاداته ومعاداة اتباعه انما نحن ساخرون باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في قيلنا لهم اذا لقيناهم آمنا بالله وباليوم الآخر كما حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قالوا انما نحن مستهزؤن ساخرون باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انما نحن مستهزؤن أي انما نستهزئ بالقوم ونلعب بهم حدثنا بشر بن معاذ العقدي قال حدثنا يزيد ابن زريع عن سعيد عن قتادة انما نحن مستهزؤن انما نستهزئ بهؤلاء القوم ونسخر بهم حدثني المثنى قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع انما نحن مستهزؤن أي نستهزئ باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ﴿القول في تأويل قوله جل ثناؤه (الله يستهزئ بهم)﴾ اختلف في صفة استهزاء الله جل جلاله الذي ذكر انه فاعله بالمنافقين الذين وصف صفتهم فقال بعضهم استهزاؤه بهم كالذي أخبرنا تبارك اسمه انه فاعل بهم يوم القيامة في قوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وكالذي أخبرنا به فعل بالكفار بقوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما فهذا وما أشبهه من استهزاء الله جل وعز وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به عند قائلي هذا القول ومتأولي هذا التأويل وقال آخرون بل استهزاؤه بهم توبيخه اياهم ولومه لهم على ما ركبوا من معاصي الله والكفر به كما يقال ان فلانا ليهزأ منه منذ اليوم ويسخر منه يراد توبيخ الناس اياه ولومهم له أو اهلاكه اياهم وتدميره بهم كما قال عبيد بن الابرص

سائل بنا حجر ابن أم قطام اذ * ظلت به السمر النواهل تلعب

فزعموا ان السمر وهي القنا لا لعب منها ولكنها لما قتلتهم وشردتهم جعل ذلك من فعلها لعبا من

هم المائلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى وانما خص الاولون بالغضب عليهم لان الغضب لزمه البعد والطرد والمفرط في شيء هو المعرض عنه غير مجد بطائل فهو بعيد عن ذلك وأما المفرط فقد أقبل عليه وجاوز حد الاعتدال فغاب عن المقصود ومني بالحرمان كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران فاليهود فرطوا في شان نبي الله ولم يطيعوه وآذوه حتى قالوا بعد ان نجاهم الله من عدوهم ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولهذا قال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا والنصارى أفرطوا وقالوا المسيح ابن الله ان الله ثالث ثلاثة روي عن عدي بن حاتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غير المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى وتصديق ذلك من كتاب الله حيث قال في اليهود وباؤا بغضب من الله وفي النصارى وضلوا عن سواء السبيل هذا شان الفريقين وأما المؤمنون فطلبوا الوسط من المنحرفين وذلك من لطف الله تعالى بهم وفضله عليهم وكذلك جعلناكم أمة وسطا كنتم خير أمة أخرجت للناس وخير الامور أوسطها * الثانية الآية دل على ان أحدا من الملائكة والانبياء ما أقدم على عمل أو اعتقاد يخالف الحق والا لكان ضالا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ولم يصلح للاقتداء به والاهتداء بطريقه * الثالثة الفائدة في أن عدل من أن يقول اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى ما عدل قلت الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف كما قال صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فقوله صراط الذين أنعمت عليهم يوجب الرجاء وفي الآية يدل على الخوف فيكمل الايمان بطرفيه وركنيه * الثالث عشر في تفسير

فعلت ذلك به قالوا فكذلك استهزاء الله جل ثناؤه بمن استهزأ به من أهل النفاق والكفر به اما هلاكه اياهم وتدميره بهم واما املاؤه لهم ليأخذهم في حال أمنهم عند أنفسهم بغتة أو توبيخه لهم ولائمته اياهم قالوا وكذلك معنى المكر منه والخديعة والسخرية وقال آخرون قوله يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم على الجواب كقول الرجل لمن كان يخدعه اذا ظفر به أنا الذي خدعتك ولم تكن منه خديعة ولكن قال ذلك اذا صار الامر اليه قالوا وكذلك قوله ومكروا ومكر الله والله يستهزئ بهم على الجواب والله لا يكون منه المكر ولا الهزء والمعنى ان المكر والهزء حاق بهم وقال آخرون قوله انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم وقوله يخادعون الله وهو خادعهم وقوله فيسخرون منهم سخر الله منهم ونسوا الله فنسيهم وما أشبه ذلك من أخبار الله انه مجازيهم جزاء الاستهزاء ومعاقبهم عقوبة الخداع فاخرج خبره عن جزائه اياهم وعقابه لهم مخرج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ وان اختلف المعنيان كما قال جل ثناؤه وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم أن الاولى من صاحبها سيئة اذ كانت منه لله تبارك وتعالى معصية وان الاخرى عدل لانها من الله جزاء للعاصي على المعصية فهما وان اتفق لفظاهما مختلفا المعنى وكذلك قوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فالعدوان الاول ظلم والثاني جزاء لا ظلم بل هو عدل لانه عقوبة للظالم على ظلمه وان وافق لفظه لفظ الاول والى هذا المعنى وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك مما هو خبر عن مكر الله جل وعز بقوم وما أشبه ذلك وقال آخرون ان معنى ذلك ان الله جل وعز أخبر عن المنافقين انهم اذا خلوا الى مردتهم قالوا انا معكم على دينكم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وانما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم صدقنا بمحمد عليه السلام وما جاء به مستهزؤن يعنون انا نظهر لهم ما هو عندنا باطل لا حق ولا هدى قالوا وذلك هو معنى من معاني الاستهزاء فأخبر الله انه يستهزئ بهم فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلاف الذي لهم عنده في الآخرة كما أظهروا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في الدين ما هم على خلافه في سرائرهم والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا أن معنى الاستهزاء في كلام العرب اظهار المستهزئ للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ويوافقه ظاهرا وهو بذلك من قيله وفعله به مورثه مساءة باطنا وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر واذ كان ذلك كذلك وكان الله جل ثناؤه قد جعل لاهل النفاق في الدنيا من الاحكام بما أظهروا بألسنتهم من الاقرار بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله المدخل لهم في عداد من يسمله اسم الاسلام وان كانوا لغير ذلك مستبطنين من أحكام المسلمين المصدقين اقرارهم بألسنتهم بذلك بضمائر قلوبهم وصحائح عزائمهم وحميد أفعالهم المحققة لهم صحة ايمانهم مع علم الله عز وجل بكذبهم واطلاعه على خبث اعتقادهم وشكهم فيما ادعوا بألسنتهم انهم به مصدقون حتى ظنوا في الآخرة اذ حشروا في عداد من كانوا في عدادهم في الدنيا انهم واردون موردهم وداخلون مدخلهم والله جل جلاله مع اظهاره ما قد أظهر لهم من الاحكام الملحقتهم في عاجل الدنيا وآجل الآخرة الى حال تمييزه بينهم وبين أوليائه وتفريقه بينهم وبينهم معد لهم من أليم عقابه ونكال عذابه ما أعد منه لاعدى أعدائه وأشر عباده حتى ميز بينهم وبين أوليائه فالحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الاسفل كان معلوما انه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم

السورة مجموعة وفيه مناهج * المنهج الاول نسبة عالم الغيب الى عالم الشهادة نسبة الاصل الى الفرع والنور الى الظل فكل شاهد فله في الغائب أصل والا كان كسراب زائل وخيال باطل وكل غائب فله في الشاهد مثال والا كان كشجرة بلا ثمرة ومدلول بلا دليل وكل شريف فهو بالنسبة الى مادونه مطاع كما قال عز من قائل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ولكل مطاع في عالم الروحانيات مطاع في عالم الجسمانيات والمطاع في عالم الارواح هو المصدر والمطاع في عالم الاجسام هو المظهر ولا بد من أن يكون بينهما مقابلات ومجانسة وبهما تتم سعادة الدارين لانهما مبدأ وان الى الله بالرسالة وحاصل الدعوة أمور سبعة تشتمل عليها خواتيم سورة البقرة أربعة منها تتعلق بالمبدأ وهي معرفة الربوبية أعني معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله واثنان منها تتعلق بالوسط أحدهما مبدأ العبودية وقالوا سمعنا وأطعنا والثاني كمال العبودية وهو الالتجاء الى الله وطلب المغفرة منه غفرانك ربنا وواحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الى حضرة الملك الوهاب واليك المصير ويتفرع على هذه المراتب سبع مراتب في الدعاء والتضرع أولها ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فضد النسيان هو الذكر واذكر ربك اذا نسيت وهذا الذكر انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وثانيها ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ودفع الاصر والثقل يوجب الحمد لله رب العالمين * وثالثها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وذلك اشارة الى كمال رحمته الرحمن الرحيم * ورابعها واعف عنا لانك أنت المالك للقضاء والحكومة في يوم الدين * وخامسها واغفر لنا لانا التجأنا بكليتنا اليك وتوكلنا في جميع الامور عليك اياك نعبد واياك نستعين * وسادسها وارحمنا لانا طلبنا الهداية منك اهدنا الصراط المستقيم * وسابعها أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذه المراتب ذكرها محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الروحانيات عند صعوده الى المعراج فلما نزل من المعراج فاض أثر المصدر على المظهر ووقع التعبير عنها بسورة الفاتحة فمن قرأها في صلاته صعدت هذه الانوار من المظهر الى المصدر كما نزلت في عهد الرسول

من المصدر الى المظهر فلهذا السبب قال صلى الله عليه وسلم الصلاة معراج المؤمن * المنهج الثانى المداخل التى يأتى الشيطان منها قبلوا فى الاصل ثلاثة الشهوة والغضب والهوى الشهوة بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية أرضية ولهذا قال فالشهوة آفة لكن الغضب أعظم منها والغضب آفة لكن الهوى أعظم منه قال تعالى وينهى عن الفحشاء أى الشهوة والمنكر الغضب والبغى الهوى فبالشهوة يصير الانسان ظالما لنفسه وبالغضب ظالما لغيره وبالهوى لربه ولهذا قال الظلم ثلاثة ظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله أن يترك فالظلم الذى لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذى لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذى عسى الله أن يتركه هو ظلم الانسان نفسه ونتيجة الشهوة الحرص والبخل ونتيجة الغضب العجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة وتحصل من اجتماع هذه الست فى بنى آدم خصلة سابعة هى الحسد وهو نهاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية فى الاشخاص المذمومة ولهذا السبب ختم الله تعالى مجامع الشرور الانسانية بالحسد فى قوله ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم جوامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة فى قوله يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس روى ان ابليس أتى باب فرعون وقرع الباب فقال فرعون من هذا قال ابليس ولو كنت الها ما جهلت فلما دخل قال فرعون أتعرف فى الارض شرا منى ومنك قال نعم الحاسد وبالحسد وقعت فيما وقعت ثم نقول الاسماء الثلاثة فى التسمية دافعة للاخلاق الثلاثة الاصلية والآيات السبع التى هى الفاتحة دافعة للاخلاق السبعة بيان ذلك من عرف الله تباعد عنه شيطان الهوى أفرأيت من اتخذ الهه هواه يا موسى خالف هواك فانى ما خلقت خلقا نازعنى فى ملكى الا هو ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان منشأ الغضب طلب الولاية والولاية للرحمن الملك يومئذ الحق للرحمن ومن عرف انه رحيم صحح نسبته اليه فلا يظلم نفسه ولا يلطخها بالافعال البهيمية [illegible] فاذا قال الحمد لله فقد شكر الله وا كتفى بالحاصل فزالت شهوته ومن عرف انه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجد وبخله [illegible] ومن عرف انه مالك يوم الدين بعد ان عرف انه الرحمن الرحيم زال غضبه ومن قال اياك نعبد واياك نستعين زال كبره [illegible] كفره واذا قال اهدنا [illegible] شيطان الهوى [illegible]

وان كان جزاء لهم على أفعالهم وعدلا ما فعل من ذلك بهم لاستحقاقهم اياه منه بعصيانهم له كان بهم بما أظهر لهم من الامور التى أظهرها لهم من الحاقه أحكامهم فى الدنيا بأحكام أوليائه وهم له أعداء وحشره اياهم فى الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذبين الى أن ميز بينهم وبينهم مستهزئا وساخرا ولهم خادعا وبهم ماكرا اذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل دون ان يكون ذلك معناه فى حال فيها المستهزئ بصاحبه له ظالم أو عليه فيها غير عادل بل ذلك معناه فى كل أحواله اذا وجدت الصفات التى قدمنا ذكرها فى معنى الاستهزاء وما أشبهه من نظائره وبنحو ما قلنا فيه روى الخبر عن ابن عباس حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله الله يستهزئ بهم قال يسخر بهم للنقمة منهم ٧انما هو على وجه الجواب وانه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة فنافون عن الله عز وجل ما قد أثبته الله عز وجل لنفسه وأوجبه لها وسواء نفى انه يستهزئ ويسخر ويمكر به أو قال لم يخسف الله بمن أخبر انه خسف به من الامم ولم يغرق من أخبر انه أغرقه منهم ويقال لقائل ذلك ان الله جل ثناؤه أخبرنا انه مكر بقوم مضوا قبلنا لم نرهم وأخبر عن آخرين انه خسف بهم وعن آخرين انه أغرقهم فصدقنا الله تعالى ذكره فيما أخبرنا به من ذلك ولم نفرق بين شىء منه فما برهانك على تفريقك ما فرقت بينه بزعمك انه قد أغرق وخسف بمن أخبر انه أغرق وخسف به ولم يمكر بمن أخبر أنه قد مكر به ثم نعكس القول عليه فى ذلك فلن يقول فى أحدهما شيأ الا ألزم فى الآخر مثله فان لجأ الى أن يقول ان الاستهزاء عبث ولعب وذلك عن الله عز وجل منفى قيل له ان كان الامر عندك على ما وصفت من معنى الاستهزاء أفلست تقول الله يستهزئ بهم وسخر الله منهم ومكر بهم ان لم يكن عندك من الله هزء ولا سخرية فان قال لا كذب بالقرآن وخرج عن ملة الاسلام وان قال بلى قيل له أفتقول من الوجه الذى قلت يستهزئ بهم وسخر الله منهم يلعب بهم ويعبث ولا لعب من الله ولا عبث فان قال نعم وصف الله بما قد أجمع المسلمون على نفيه عنه وعلى تخطئة واصفه به وأضاف اليه ما قد قامت الحجة من العقول على ضلال مضيفه اليه وان قال لا أقول يلعب الله بهم ولا يعبث وقد أقول يستهزئ بهم ويسخر منهم قيل فقد فرقت بين معنى اللعب والعبث والهزء والسخرية والمكر والخديعة ومن الوجه الذى جاز قيل هذا ولم يجز قيل هذا افترق معنياهما فعلم ان لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر وللكلام فى هذا النوع موضع غير هذا كرهنا اطالة الكتاب باستقصائه وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق فهمه ❁ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ويمدهم) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ويمدهم فقال بعضهم بما حدثنى به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا اسباط عن السدى فى خبر ذكره عن ابى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يمدهم يملى لهم وقال آخرون بما حدثنى به المثنى بن ابراهيم قال حدثنا سويد بن نصر عن ابن المبارك عن ابن جريج قراءة عن مجاهد يمدهم قال يزيدهم وكان بعض نحويى البصرة يتأول ذلك انه بمعنى يمد لهم ويزعم ان ذلك نظير قول العرب الغلام يلعب الكعاب يراد به يلعب بالكعاب قال وذلك انهم قد يقولون

٧هكذا بالاصل ولعل هنا سقطا من النساخ وأصل الكلام فمن قال ان ذلك الخ تأمل اهـ مصححه

المغضوب عليهم ولا الضالين اندفعت بدعته واذا زالت عنه الاخلاق السيئة اندفع عنه الحسد ثم ان جملة القرآن كالنتائج والشعب عن الفاتحة وكذا جميع الاخلاق الذميمة كالنتائج والشعب من تلك السبعة فلا جرم القرآن كله كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة وههنا دقيقة تتعلق بالرب والملك والاله و بسببها ختم القرآن عليها كأنه قال ان أتاك الشيطان من قبل الشهوة قل أعوذ برب الناس وان أتاك من قبل الغضب فقل ملك الناس وان أتاك من قبل الهوى فقل اله الناس * المنهج الثالث في ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما يفتقر اليه الانسان في معرفة المبدأ والوسط والمعاد الحمد لله اشارة الى اثبات الصانع المختار العليم الحليم المستحق للحمد والثناء والتعظيم رب العالمين يدل على ان ذلك الاله واحد وان كل العالمين ملكه وملكه وليس في العالم اله سواه ولهذا جاء في القرآن الاستدلال بخلق الخلائق كثيرا قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت الذي خلقني فهو يهدين ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ربكم ورب آبائكم الاولين اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وهذه الدلالة كما انها في نفسها دليل على وجود الرب فكذلك هي في نفسها انعام عظيم وذلك ان تولد الاعضاء المختلفة الطبائع والصور من النطفة المتشابهة الاجزاء لا يمكن الا اذا قصد الخالق ايجاد تلك الاعضاء على تلك الصور والطبائع وكل منها مطابق للمطلوب وموافق للغرض كما يشهد به علم تشريح الابدان فلا أحق بالحمد والثناء من هذا المنعم المنان الكريم الرحمن الرحيم الذي شمل احسانه قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مالك يوم الدين يدل على أن من لوازم حكمته ورحمته أن يقدر بعد هذا اليوم يوما آخر يظهر فيه تمييز المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم وههنا تمت معرفة الربوبية ثم ان قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التي لا بد من معرفتها في تقرير العبودية وهي نوعان الاعمال والآثار المتفرعة على الاعمال أما الاعمال فلها ركنان أحدهما الاتيان بالعبادة وهو قوله اياك نعبد والثاني علمه بانه لا يمكنه ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك نستعين وأما الآثار المتفرعة على الاعمال فهي حصول هداية والتجلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين اهدنا الصراط

قد مددت له وأمددت في غير هذا المعنى وهو قول الله وأمددناهم وهذا من أمددناهم قال ويقال قد مد البحر فهو ماد وامد الجرح فهو ممد وحكى عن يونس الجرمي انه كان يقول ما كان من الشر فهو مددت وما كان من الخير فهو أمددت ثم قال وهو كما فسرت لك اذا أردت انك تركته فهو مددت له واذا أردت انك أعطيته قلت أمددت وأما بعض نحوي الكوفة فانه كان يقول كل زيادة حدثت في الشيء من نفسه فهو مددت بغير ألف كما تقول مد النهر ومده نهر آخر غيره اذا اتصل به فصار منه وكل زيادة احدثت في الشيء من غيره فهو بالف كقولك أمد الجرح لان المدة من غير الجرح وأمددت الجيش بمدد وأولى هذه الاقوال بالصواب في قوله ويمدهم ان يكون بمعنى يزيدهم على وجه الاملاء والترك لهم في عتوهم وتمردهم كما وصف ربنا انه فعل بنظرائهم في قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون يعني نذرهم ونتركهم فيه ونملي لهم ليزدادوا اثما الى اثمهم ولا وجه لقول من قال ذلك بمعنى يمد لهم لانه لا تدافع بين العرب وأهل المعرفة بلغتها ان يستجيز واقول القائل مد النهر نهر آخر بمعنى اتصل به فصار زائدا ماء اتصل به بماء المتصل من غير تأول منهم ذلك ان معناه مد النهر نهر آخر فكذلك ذلك في قول الله ويمدهم في طغيانهم يعمهون ۞ القول في تأويل قوله (في طغيانهم) والطغيان الفعلان من قولك طغى فلان يطغى طغيانا اذا تجاوز في الامر حده فبغى ومنه قول الله كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى أي يتجاوز حده ومنه قول أمية بن أبي الصلت

ودعا الله دعوة لات هنا * بعد طغيانه فظل مشيرا

وانما عنى الله جل ثناؤه بقوله ويمدهم في طغيانهم انه يملي لهم ويذرهم يبغون في ضلالهم وكفرهم حيارى يترددون كما حدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله في طغيانهم يعمهون قال في كفرهم يترددون وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا اسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في طغيانهم في كفرهم وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة في طغيانهم يعمهون أي في ضلالتهم يعمهون وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في طغيانهم في ضلالتهم وحدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله في طغيانهم قال طغيانهم كفرهم وضلالتهم ۞ القول في تأويل قوله (يعمهون) والعمه نفسه الضلال يقال منه عمه فلان يعمه عمهانا وعموها اذا ضل ومنه قول رؤبة بن العجاج يصف مضلة

ومخفق من أهله ومن لُه * من مهمه يكتنه في مهمه * أعمى الهدى بالجاهلين العمه

والعمه جمع عامه وهم الذين يضلون فيه فيتحيرون فمعنى قوله جل ثناؤه ويمدهم في طغيانهم يعمهون في ضلالهم وكفرهم الذي قد غمرهم دنسه وعلاهم رجسه يترددون حيارى ضلالا لا يجدون الى المخرج سبيلا لان الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها فاعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها فلا يبصرون رشدا ولا يهتدون سبيلا وبنحو ما قلنا في العمه جاء تأويل المتأولين حدثني موسى بن هرون قال حدثنا

حدثنا عمرو قال حدثنا اسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعمهون يتمادون فى كفرهم وحدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس يعمهون قال يتمادون وحدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال يعمهون قال يترددون وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يعمهون المتلذذ ٦ وحدثنا محمد بن عمرو الباهلى قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون قال حدثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قول الله فى طغيانهم يعمهون قال يترددون وحدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وحدثني المثنى قال حدثنا سويد بن نصر عن ابن المبارك عن ابن جريج قراءة عن مجاهد مثله وحدثت عن عمار قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع يعمهون قال يترددون ﴿القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) ان قال قائل وكيف اشترى هؤلاء القوم الضلالة بالهدى وانما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم ايمان فيقال فيهم باعوا هداهم الذى كانوا عليه بضلالتهم التى استبدلوها منه وقد علمت ان معنى الشراء المفهوم اعتياض شئ ببذل شئ مكانه عوضا منه والمنافقون الذين وصفهم الله بهذه الصفة لم يكونوا قط على هدى فيتركوه ويعتاضوا منه كفرا ونفاقا قيل قد اختلف أهل التاويل فى معنى ذلك فنذكر ما قالوا فيه ثم نبين الصحيح من التاويل فى ذلك ان شاء الله حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل قال حدثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أى الكفر بالايمان وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى يقول أخذوا الضلالة وتركوا الهدى وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى استحبوا الضلالة على الهدى وحدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى استحبوا الضلالة على الهدى وحدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى آمنوا ثم كفروا وحدثنا المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ﴿ قال أبو جعفر فكأن الذين قالوا فى تاويل ذلك أخذوا الضلالة وتركوا الهدى وجهوا معنى الشراء الى أنه أخذ المشترى مكان الثمن المشترى به فقالوا كذلك المنافق والكافر قد أخذا مكان الايمان الكفر فكان ذلك منهما شراء للكفر والضلالة اللذين أخذاهما بتركهما ما تركا من الهدى وكان الهدى الذى تركاه هو الثمن الذى جعلاه عوضا من الضلالة التى أخذاها وأما الذين تأولوا ان معنى قوله اشتروا استحبوا فانهم لما وجدوا الله جل ثناؤه قد وصف الكفار فى موضع آخر فنسبهم الى استحبابهم الكفر على الهدى

---

٦ هكذا بالنسخ ولعله تحرف عن المترددون فليتأمل اه مصححه

المستقيم الى آخره وفى قوله صراط الذين أنعمت عليهم دليل على ان الاستفادة بانوار أرباب الكمال خلة محمودة وسنة مرضية بل هم القوم لا يشقى بهم جليسهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفى قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى ان التجنب عن مرافقة أصحاب البدع والاهواء واجب شعر عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى والجمر يوضع فى الرماد فيخمد * الرابع قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي وفى رواية فوض الى عبدي واذا قال اياك نعبد يقول الله عبدني عبدي واذا قال واياك نستعين يقول الله توكل على عبدي وفى رواية فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول هذا لعبدي ولعبدي ما سأل فقوله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي اشارة الى ان أهم مهمات العبد ان يستنير قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية لانه انما خلق لرعاية هذا العهد وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم فلا جرم أنزل الله تعالى هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج اليه العبد فى الوفاء بذلك العهد وقوله اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي مناسب لقوله تعالى فاذكروني أذكركم أنا جليس من ذكرني فان ذكرني فى نفسه ذكرته فى نفسي وان ذكرني فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه والذكر مقام عال شريف ذكره الله تعالى فى القرآن كثيرا يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا واذكر ربك فى نفسك تذكروا فاذا هم مبصرون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وبهذا وقع الابتداء وقوله ذكرني عبدي يدل على ان ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهذا يدل على ان الله اسم علم وقوله اذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد أعلى من مقام الذكر لانه أوله كما فى أول خلق [illegible] الحمد [illegible] ونحن نسبح بحمدك [illegible] وآخر كلامهم فى الجنة وآخر

فقال وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى صرفوا قوله اشتروا الضلالة بالهدى الى ذلك وقالوا قد تدخل الباء مكان على وعلى مكان الباء كما يقال مررت بفلان ومررت على فلان بمعنى واحد وكقول الله جل ثناؤه ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك أى على قنطار فكان تاويل الآية على معنى هؤلاء أولئك الذين اختاروا الضلالة على الهدى وأراهم وجهوا معنى قول الله جل ثناؤه اشتروا الى معنى اختاروا لان العرب تقول اشتريت كذا على كذا يعنون اخترته عليه ومن الاشتراء قول أعشى بن ثعلبة

فقد أخرج الكاعب المشترا * ة من خدرها وأشيع القمارا

يعنى بالمشتراة المختارة وقال آخر فى مثل ذلك

ان الشراة روقة الاموال * وحزرة القلب خيار المال

قال أبو جعفر وهذا وان كان وجها من التاويل فلست له بمختار لان الله جل ثناؤه قال فما ربحت تجارتهم فدل بذلك على ان معنى قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى معنى الشراء الذى يتعارفه الناس من استبدال شئ مكان شئ وأخذ عوض على عوض وأما الذين قالوا ان القوم كانوا مؤمنين وكفروا فانه لا مؤنة عليهم لو كان الامر على ما وصفوا به القوم لان الامر اذا كان كذلك فقد تركوا الايمان واستبدلوا به الكفر عوضا من الهدى وذلك هو المعنى المفهوم من معانى الشراء والبيع ولكن دلالة أول الآيات فى نعوتهم الى آخرها دالة على ان القوم لم يكونوا قط استضاؤا بنور الايمان ولا دخلوا فى ملة الاسلام أوما تسمع الله جل ثناؤه من لدن ابتدأ فى نعتهم الى ان أتى على صفتهم انما وصفهم باظهار الكذب بالسنتهم بدعواهم التصديق بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به خداعا لله ولرسوله وللمؤمنين عند أنفسهم واستهزاء فى نفوسهم بالمؤمنين وهم لغير ما كانوا يظهرون مستبطنون لقول الله جل جلاله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ثم اقتص قصصهم الى قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فاين الدلالة على انهم كانوا مؤمنين فكفروا فان كان قائل هذه المقالة ظن ان قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى هو الدليل على ان القوم قد كانوا على الايمان فانتقلوا عنه الى الكفر فلذلك قيل لهم اشتروا فان ذلك تاويل غير مسلم له اذ كان الاشتراء عند مخالفيه قد يكون أخذ شئ بترك آخر غيره وقد يكون بمعنى الاختيار وبغير ذلك من المعانى والكلمة اذا احتملت وجوها فلم يكن لاحد صرف معناها الى بعض وجوهها دون بعض الا بحجة يجب التسليم لها قال أبو جعفر والذى هو أولى عندى بتاويل الآية ما روينا عن ابن عباس وابن مسعود من تاويلهما قوله اشتروا الضلالة بالهدى أخذوا الضلالة وتركوا الهدى وذلك ان كل كافر بالله فانه مستبدل بالايمان كفرا باكتسابه الكفر الذى وجد منه بدلا من الايمان الذى أمر به أوما تسمع الله جل ثناؤه يقول فيمن اكتسب كفرا به مكان الايمان به وبرسوله ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل وذلك هو معنى الشراء لان كل مشتر شيأ فانما يستبدل مكان الذى يؤخذ منه من البدل آخر بدلا منه فكذلك المنافق والكافر استبدلا بالهدى الضلالة والنفاق فاضلهما الله وسلبهما نور الهدى وترك جميعهم فى ظلمات

دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ولان الفكر فى ذات الله تعالى غير ممكن تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله وكل من تفكر فى مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله واحسانه أكثر فحمد الله تعالى أكثر فقوله حمدنى عبدى شهادة من الله تعالى على وقوف العبد بعقله وفكره على وجوه فضله وانعامه فى ترتيب العالم وتربية العالمين وانه أقر بقلبه ولسانه بكرمه واحسانه وقوله واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمنى عبدى يدل ذلك على ان الاله الكامل المكمل المنزه عن الشريك والنظير والمثل والند والضد هو فى غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده ولا شك ان غاية ما يصل العقل والفهم والوهم اليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس الا هذا المقام وهو التعظيم لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى أى نزهنى وقدسنى عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث قضيت معادا يحشر اليه العباد ويقضى فيه بين الظالم والمظلوم والقوى والضعيف أيحسب الظالم فى ظلمه ان الله مهمله القادر أم أمهله بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وقوله واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بينى وبين عبدى معناه ان اياك نعبد يدل على اقدام العبد على الطاعة والعبادة ولا يتم ذلك الا باعانة الله بخلق داعية فيه خالصة عن المعارض فان العبد غير مستقل بالاتيان بذلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا العبدى ولعبدى ما سال تقريره ان أهل العلم مختلفون بالنفى والاثبات فى جميع المسائل الالهية أو أكثرها وفى المعاد والنبوات وغيرها مع استواء الكل فى العقل والنظر فالاهتداء الى ما هو الحق فى الامر نفسه ليس الا بهداية الله تعالى وارشاده كما قالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابراهيم عليه السلام لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين وقال موسى رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى * المنهج الخامس آيات الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة فى الصلاة أيضا سبعة القيام والركوع والانتصاب منه والسجود الاول والانتصاب منه والسجود الثانى والقعدة فهذه الاعمال كالشخص والفاتحة لها كالروح وانما يحصل الكمال عند اتصال الروح بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام ألا ترى الباء فى بسم الله لما اتصل باسم الله حصل

لا يبصرون ﴿ القول في تاويل قوله (فما ربحت تجارتهم) وتاويل ذلك ان المنافقين بشراهم الضلالة بالهدى خسروا ولم يربحوا لان الرابح من التجار المستبدل من سلعته المملوكة عليه بدلا هو أنفس من سلعته أو أفضل من ثمنها الذي يبتاعها به فاما المستبدل من سلعته بدلا دونها ودون الثمن الذي يبتاعها به فهو الخاسر في تجارته لا شك فكذلك الكافر والمنافق لانهما اختارا الحيرة والعمى على الرشاد والهدى والخوف والرعب على الحفظ والامن فاستبدلا في العاجل بالرشاد والحيرة وبالهدى الضلالة وبالحفظ الخوف وبالامن الرعب مع ما قد أعد لهما في الآجل من أليم العقاب وشديد العذاب فخابا وخسرا ذلك هو الخسران المبين وبنحو الذي قلنا في ذلك كان قتادة يقول حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قد والله رأيتموهم خرجوا من الهدى الى الضلالة ومن الجماعة الى الفرقة ومن الامن الى الخوف ومن السنة الى البدعة ﴿ قال أبو جعفر فان قال قائل فما وجه قوله فما ربحت تجارتهم وهل التجارة مما تربح أو توكس فيقال ربحت أو وضعت قيل ان وجه ذلك على غير ما ظننت وانما معنى ذلك فما ربحوا في تجارتهم لا فيما اشتروا ولا فيما شروا ولكن الله جل ثناؤه خاطب بكتابه عربا فسلك في خطابه اياهم وبيانه لهم مسلك خطاب بعضهم بعضا وبيانهم المستعمل بينهم فلما كان فصيحا لديهم قول القائل لآخر خاب سعيك ونام ليلك وخسر بيعك ونحو ذلك من الكلام الذي لا يخفى على سامعه ما يريد قائله خاطبهم بالذي هو في منطقهم من الكلام فقال فما ربحت تجارتهم اذ كان معقولا عندهم ان الربح انما هو في التجارة كما النوم في الليل فاكتفى بفهم المخاطبين بمعنى ذلك عن ان يقال فما ربحوا في تجارتهم وان كان ذلك معناه كما قال الشاعر

وشر المنايا ميت وسط أهله * كهلك الفتاة أسلم الحي حاضره

يعني بذلك وشر المنايا ميتة ميت وسط أهله فاكتفى بفهم سامع قيله مراده من ذلك عن اظهار ما ترك اظهاره وكما قال رؤبة بن العجاج

حارث قد فرجت عني همي * فنام ليلي وتجلى غمي

فوصف بالنوم الليل ومعناه انه هو الذي نام وكما قال جرير بن الخطفى

وأعور من نبهان أما نهاره * فأعمى وأما ليله فبصير

فاضاف العمى والابصار الى النهار والليل ومراده وصف النبهاني بذلك ﴿ القول في تاويل قوله (وما كانوا مهتدين) يعني بقوله جل ثناؤه وما كانوا مهتدين ما كانوا رشداء في اختيارهم الضلالة على الهدى واستبدالهم الكفر بالايمان واشترائهم النفاق بالتصديق والاقرار ﴿ القول في تاويل قوله (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) قال أبو جعفر ان قال لنا قائل وكيف قيل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقد علمت ان الهاء والميم من قوله مثلهم كناية جماعة من الرجال أو الرجال والنساء والذي دلالة على واحد من الذكور فكيف جعل الخبر عن واحد مثلا لجماعة وهلا قيل مثلهم كمثل الذين استوقدوا نارا وان جاز عندك ان تمثل الجماعة بالواحد فتجيز لقائل رأى جماعة من الرجال فاعجبته صورهم وتمام خلقهم

فالتمام تفعا وأيضا التسمية لبداية الامور وكل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر والقيام أيضا أول الاعمال وقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوحيد نظر الى الحق والى الخلق والمنع والنعمة لانه الثناء على الله بسبب الانعام الصادر منه الى العبد فهو حالة متوسطة بين الاعراض والاستغراق كما ان الركوع متوسط بين القيام والسجود وأيضا ذكر النعم الكثيرة مما يثقل الظهر فينحني وقوله الرحمن الرحيم مناسب للانتصاب لان العبد لما تضرع الى الله بالركوع فاللائق برحمته ان يرده الى الانتصاب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله مالك يوم الدين مناسب للسجدة الاولى لدلالته على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع وقوله اياك نعبد واياك نستعين مناسب للقعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة التي تقدمت واياك نستعين استعانة بالله في ان يوفقه للسجدة الثانية وقوله اهدنا الصراط المستقيم سؤال لاهم الاشياء فيليق به السجدة الثانية ليدل على نهاية الخشوع وقوله صراط الذين أنعمت عليهم الى آخره مناسب للقعود لان العبد لما أتى بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه وحينئذ يقرأ التحيات لله كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم قرأها في معراجه فالصلاة معراج المؤمن * المنهج السادس آيات الفاتحة سبع واعمال الصلاة المحسوسة سبع كما تقدم ومراتب خلق الانسان سبع ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين فنور آيات الفاتحة يسري الى الاعمال السبعة ونور الاعمال السبعة يسري الى هذه المراتب فيحصل في القلب نور على نور ثم ينعكس الى وجه المؤمن من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار * المنهج السابع انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم معراجان من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم من المسجد الاقصى الى عالم الملكوت هذا في عالم الحس وأما في عالم الارواح فمن الشهادة الى الغيب ثم من الغيب الى غيب الغيب فهو بمنزلة قوسين متلاصقين فتخطاهما محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين وقوله أو أدنى اشارة الى فنائه في نفسه ونبه دعاء الشهادة كل ما يتعلق بعالم الجسم والجسمانيات وبعالم

وأجسامهم ان يقول كان هؤلاء أو كان أجسام هؤلاء نخلة قيل أما فى الموضع الذى مثل ربنا جل ثناؤه جماعة من المنافقين فالواحد الذى جعله لافعالهم مثلا فجائز حسن وفى نظائره كما قال جل ثناؤه فى نظير ذلك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت يعنى كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت وكقوله ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة بمعنى الا كبعث نفس واحدة وأما فى تمثيل أجسام الجماعة من الرجال فى الطول وتمام الخلق بالواحدة من النخيل فغير جائز ولا فى نظائره لفرق بينهما فاما تمثيل الجماعة من المنافقين بالمستوقد الواحد فانما جاز لان المراد من الخبر عن مثل المنافق الخبر على مثل استضاءتهم بما أظهروا بالسنتهم من الاقرار والمراد هم الافراد وهم لغيره مستبطنون من اعتقاداتهم الردية وخلطهم نفاقهم الباطن بالاقرار بالايمان الظاهر والاستضاءة وان اختلفت أشخاص أهلها معنى واحد لامعانى مختلفة فالمثل لها فى معنى المثل للشخص الواحد من الاشياء المختلفة الاشخاص وتاويل ذلك مثل استضاءة المنافقين بما أظهروه من الاقرار بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به قولا وهم به مكذبون اعتقادا كمثل استضاءة الموقد نارا ثم أسقط ذكر الاستضاءة وأضيف المثل اليهم كما قال نابغة بنى جعدة

وكيف تواصل من أصبحت * خلالته كابى مرحب

يريد كخلالة أبى مرحب فاسقط خلالة اذ كان فيما أظهر من الكلام دلالة لسامعة على ماحذف منه فكذلك القول فى قوله مثلهم كمثل الذى استوقد نارا لما كان معلوما عند سامعه بما أظهر من الكلام ان المثل انما ضرب لاستضاءة القوم بالاقرار دون أعيان أجسامهم حسن حذف ذكر الاستضاءة واضافة المثل الى أهله والمقصود بالمثل ماذكرنا فلما وصفنا جاز وحسن قوله مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ويشبه مثل الجماعة فى اللفظ بالواحد اذ كان المراد بالمثل الواحد فى المعنى وأما اذا أريد تشبيه الجماعة من أعيان بنى آدم أو أعيان ذوى الصور والاجسام بشئ فالصواب من الكلام تشبيه الجماعة بالجماعة والواحد بالواحد لان عين كل واحد منهم غير أعيان الآخرين ولذلك من المعنى افترق القول فى تشبيه الافعال والاسماء فجاز تشبيه أفعال الجماعة من الناس وغيرهم اذا كان بمعنى واحد بفعل الواحد ثم حذف أسماء الافعال واضافة المثل والتشبيه الى الذين لهم الفعل فيقال ما أفعالكم الا كفعل الكلب ثم يحذف فيقال ما أفعالكم الا كالكلب أو كالكلاب وأنت تعنى الا كفعل الكلب والا كفعل الكلاب ولم يجز ان تقول ماهم الا نخلة وأنت تريد تشبيه أجسامهم بالنخل فى الطول والتمام وأما قوله استوقد نارا فانه فى تاويل أوقد كما قال الشاعر

وداع دعا يامن يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

يريد فلم يجبه فكان معنى الكلام أولا مثل استضاءة هؤلاء المنافقين فى اظهارهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بالسنتهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وصدقنا بمحمد وبما جاء به وهم للكفر مستبطنون ثم الله فاعل بهم مثل استضاءة موقد نار بناره حتى أضاءت له النار ماحوله يعنى ماحول المستوقد وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة ان الذى فى قوله كمثل الذى استوقد نارا بمعنى الذين كما قال جل ثناؤه والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وكما قال الشاعر

لارواح ما فوق ذلك من الارواح السفلية ثم المتعلقة بسماء سماء الى الملائكة الحافين من حول العرش ثم الى حملة العرش ومن عند الله الذين طعامهم ذكر الله وشرابهم محبته وأنسهم بالثناء عليه ولذتهم فى خدمته لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهكذا يتصاعد الى ان ينتهى الى نور الانوار وروح الارواح ولا يعلم تفاصيلها الا الله أو من ارتضاه والمقصود ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما عرج وأراد أن يرجع قال رب العزة المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف أصحابه وان تحفة أمتك الصلاة الجامعة بين المعراجين الجسمانى بالافعال والروحانى بالاذكار فليكن المصلى ثوبه طاهرا وبدنه طاهرا لانه بالوادى المقدس طوى وأيضا عنده ملك وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى وخير وشر وصدق وكذب وحق وباطل وحلم وطيش وقناعة وحرص وسائر الاخلاق المتضادة والصفات المتنافية فلينظر أيتهما يختار فانه اذا استحكمت المرافقة تعذرت المفارقة اختار الصديق صحبة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يفارقه فى الدنيا وفى القبر ويكون معه فى القيامة وفى الجنة وصحب كلب أصحاب الكهف فلزمهم فى الدنيا والآخرة قال تعالى ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ثم اذا تطهر فليرفع يديه اشارة الى توديع الدنيا والآخرة وليوجه قلبه وروحه وسره الى الله ثم ليقل الله أكبر أى من كل الموجودات بل هو أكبر من ان يقاس اليه غيره بانه أكبر منه ثم ليقل سبحانك اللهم وبحمدك وفى هذا المقام ينكشف له نور سبحات الجلال ثم ليقل تبارك اسمك اشارة الى الدوام المنزه عن الافناء والاعدام ليطالع حقيقة الازل فى القدم وحقيقة الابد فى البقاء فيتجلى له نور الازل والابد ثم ليقل وتعالى جدك اشارة الى أنه أعلى وأعظم من ان يكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة فى القدر المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة الى ان صفات الجلال وسمات الكمال له تعالى لا لغيره فهو الكامل الذى لا كامل الا هو وفى الحقيقة لا هو الا هو وههنا يكل اللسان وتدهش الالباب ثم عد أيها المصلى الى نفسك وحالك وقل وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض فقولك سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملائكة المقربين حيث قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهو أيضا معراج محمد صلى الله عليه وسلم لان معراجه مفتتح بقوله سبحانك اللهم وبحمدك وقولك وجهت

فان

وجهى معراج الخليل صلى الله عليه وسلم وقولك ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى معراج الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم فقد جمع المصلى بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء الانبياء والمرسلين ثم اذا فرغت من هذه الحالة فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليدفع العجب عن نفسك وفى هذا المقام يفتح لك أحد أبواب الجنة وهو باب المعرفة و بقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر و بقولك الحمد لله رب العالمين يفتح باب الشكر و بقولك الرحمن الرحيم يفتح باب الرجاء

و بقولك مالك يوم الدين يفتح باب الخوف و بقولك اياك نعبد واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية و بقولك اهدنا الصراط المستقيم يفتح باب الدعاء والتضرع ادعونى أستجب لكم و بقولك صراط الذين أنعمت الى آخره يفتح باب الاقتداء بالارواح الطيبة والاهتداء بانوارهم فجنات المعارف الربانية انفتحت لك أبوابها الثمانية بهذه المقاليد الروحانية فهذا بيان المعراج الروحانى فى الصلاة وأما الجسمانى فاولى المراتب ان يقوم بين يدى الله كقيام أصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض بل قيام أهل القيامة يقوم الناس لرب العالمين ثم اقرأ سبحانك اللهم و بحمدك ثم وجهت وجهى ثم الفاتحة و بعدها ما تيسر لك من القرآن واجتهد فى ان تنظر من الله الى عبادتك حتى تستحقرها واياك ان تنظر من عبادتك الى الله فانك ان فعلت ذلك صرت من الهالكين وهذا سر قوله اياك نعبد واياك نستعين واعلم ان نفسك الى الآن جارية مجرى خشبة عرضتها على نار خوف الجلال فلانت فاجعلها منحنية بالركوع ثم اتركها لتستقيم مرة أخرى فان هذا الدين متين فوغل فيه بالرفق ولا تبغض طاعة الله الى نفسك فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى فاذا عادت الى استقامتها فاسجد الى الارض بغاية التواضع واذكر ربك بغاية العلو وقل سبحان ربى الاعلى فاذا سجدت ثانية فقد حصل لك ثلاثة أنواع من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فبالركوع تنجو من عقبة الشهوات وبالسجود الاول تنجو من عقبة الغضب الذى هو رئيس المؤذيات وبالسجود الثانى تنجو من عقبة الهوى الداعى الى كل المضلات فاذا تجاوزت هذه العقبات وتخلصت عن هذه الدركات وصلت الى الدرجات العاليات وملكت الباقيات الصالحات وانتهيت الى عقبة جلال مبدع الارض والسموات ثم تشهدت

فان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

قال أبو جعفر والقول الاول هو القول لما وصفنا من العلة وقد أغفل قائل ذلك فرق ما بين الذى فى الآيتين وفى البيت لان الذى فى قوله والذى جاء بالصدق قد جاءت الدلالة على ان معناها الجمع وهو قوله أولئك هم المتقون وكذلك الذى فى البيت وهو قوله دماؤهم وليست هذه الدلالة فى قوله كمثل الذى استوقد نارا فذلك فرق ما بين الذى فى قوله كمثل الذى استوقد نارا وسائر شواهده التى استشهد بها على ان معنى الذى فى قوله كمثل الذى استوقد بمعنى الجماعة وغير جائز لاحد نقل الكلمة التى هى الاغلب فى استعمال العرب على معنى الى غيره الا بحجة يجب التسليم لها ثم اختلف أهل التأويل فى ذلك فروى عن ابن عباس فيه أقوال أحدها ما حدثنا به محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ضرب الله للمنافقين مثلا فقال مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون أى يبصرون الحق و يقولون به حتى اذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفؤه بكفرهم ونفاقهم فيه فتركهم فى ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون على حق والآخر ما حدثنا به المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو صالح قال حدثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس مثلهم كمثل الذى استوقد نارا الى آخر الآية هذا مثل ضربه الله للمنافقين انهم كانوا يعتزون بالاسلام فيناكحهم المسلمون و يوارثونهم و يقاسمونهم الفىء فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوءه وتركهم فى ظلمات يقول فى عذاب والثالث ما حدثنى به موسى ابن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون زعم أن أناسا دخلوا فى الاسلام مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ثم انهم نافقوا فكان مثلهم كمثل رجل كان فى ظلمة فاوقد نارا فاضاءت له ما حوله من قذى أو أذى فابصره حتى عرف ما يتقى فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فاقبل لا يدرى ما يتقى من أذى فكذلك المنافق كان فى ظلمة الشرك فاسلم فعرف الحلال من الحرام والخير من الشر فبينا هو كذلك اذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر وأما النور فالايمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وكانت الظلمة نفاقهم والآخر ما حدثنى به محمد بن سعيد قال حدثنى أبى سعيد بن محمد قال حدثنى عمى عن أبيه عن جده عن ابن عباس قوله مثلهم كمثل الذى استوقد نارا الى فهم لا يرجعون ضربه الله مثل المنافق وقوله ذهب الله بنورهم قال أما النور فهو ايمانهم الذى يتكلمون به وأما الظلمة فهى ضلالتهم وكفرهم يتكلمون به وهم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم فعتوا بعد ذلك وقال آخرون بما حدثنى به بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون وان المنافق تكلم بلا اله الا الله فاضاءت له فى الدنيا فناكح بها المسلمين وغازى بها المسلمين و وارث بها المسلمين وحقن بها دمه وماله فلما كان عند

الموت سلبها المنافق لانه لم يكن لها أصل فى قلبه ولا حقيقة فى علمه وحدثنا يحيى بن الحسن قال انا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله هى لا اله الا الله أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا وأمنوا فى الدنيا ونكحوا النساء وحقنوا بها دماءهم حتى اذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم قوله كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله قال أما النور فهو ايمانهم الذى يتكلمون به وأما الظلمات فهى ضلالتهم وكفرهم وقال آخرون بما حدثنى به محمد بن عمرو الباهلى قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون قال حدثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله قال اما اضاءة النار فاقبالهم الى المؤمنين والهدى وذهاب نورهم اقبالهم الى الكافرين والضلالة وحدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله أما اضاءة النار فاقبالهم الى المؤمنين والهدى وذهاب نورهم اقبالهم الى الكافرين والضلالة حدثنى القاسم قال حدثنى الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وحدثنى المثنى قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال ضرب مثل أهل النفاق فقال مثلهم كمثل الذى استوقد نارا قال انما ضوء النار ونورها ما أوقدتها فاذا خمدت ذهب نورها كذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الاخلاص أضاء له فاذا شك وقع فى الظلمة وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنى عبد الرحمن بن زيد فى قوله كمثل الذى استوقد نارا الى آخر الآية قال هذه صفة المنافقين كانوا قد آمنوا حتى أضاء الايمان فى قلوبهم كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعه كما ذهب بضوء هذه النار فتركهم فى ظلمات لا يبصرون * وأولى التأويلات بالآية ما قاله قتادة والضحاك وما رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس وذلك ان الله جل ثناؤه انما ضرب هذا المثل للمنافقين الذين وصف صفتهم وقص قصصهم من لدن ابتدأ بذكرهم بقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين أى لا المعلنين بالكفر المجاهرين بالشرك ولو كان المثل لمن آمن ايمانا صحيحا ثم أعلن بالكفر اعلانا صحيحا على ما ظن المتأول قول الله جل ثناؤه كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ان ضوء النار مثل لايمانهم الذى كان منهم عنده على صحة وان ذهاب نورهم مثل لارتدادهم واعلانهم الكفر على صحة لم يكن هنالك من القوم خداع ونفاق ممن لا يبدى لك قولا ولا فعلا الا ما أوجب لك العلم بحاله التى هو لك عليها وبعزيمة نفسه التى هو مقيم عليها ان هذا بغير شك من النفاق بعيد ومن الخداع برىء فان كان القوم لم تكن لهم الا حالتان حال ايمان ظاهر وحال كفر ظاهر فقد سقط عن القوم اسم النفاق لانهم فى حال ايمانهم الصحيح كانوا مؤمنين وفى حال كفرهم الصحيح كانوا كافرين ولا حالة هنالك ثالثة كانوا بها منافقين وفى وصف الله جل ثناؤه اياهم بصفة النفاق ما ينبئ عن ان القول غير القول الذى زعمه من زعم ان القوم كانوا مؤمنين ثم ارتدوا الى الكفر فأقاموا عليه الا أن يكون قائل ذلك أراد

التحيات المباركات باللسان والصلوات بالاركان والطيبات بالجنان وقوة الايمان بالله فيصعد نور روحك وينزل نور روح محمد صلى الله عليه وسلم فيتلاقى الروحان ويحصل هنالك الروح والريحان فقل السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكأنه قيل لك بم نلت هذه الكرامات فقل بقولى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا رسول الله فقيل ان محمدا الذى هداك أى شئ هديتك له صلى الله عليه وسلم فقل اللهم صل على محمد وآل محمد فقيل لك ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم هو الذى قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاؤك له صلى الله عليه وسلم فقل كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين فيقال لك هذه الخيرات من محمد وابراهيم أو من الله فقل بل من الحميد المجيد انك حميد مجيد ثم ان العبد اذا ذكر الله تعالى بهذه الاثنية والمدائح ذكره الله تعالى فى محافل الملائكة اذا ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير من ملائه فاذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا الى العبد فقال الله تعالى ان الملائكة اشتاقوا الى زيارتك وقد جاؤك زائرين فابدأ بالسلام عليهم لتكون من السابقين فقل عن اليمين وعن الشمال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فلا جرم اذا دخل المصلون الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار * المنهج الثامن أعظم المخلوقين جلالة ومهابة المكان والزمان فالمكان فضاء لا نهاية له وخلاء لا غاية له والزمان امتداد وهمى شبيه بنهر خرج من قعر جبل الازل فامتد ودخل فى قعر الابد فلا يعرف لانفجاره مبدأ ولا لاستقراره منزل فالاول والآخر صفة الزمان والظاهر والباطن صفة المكان وكمال هذه الاربعة الرحمن الرحيم فالحق سبحانه وسع المكان ظاهرا وباطنا ووسع الزمان أولا وآخرا وهو منزه عن الافتقار الى المكان والزمان فانه كان ولا مكان ولا زمان فعقد المكان بالكرسى وسع كرسيه السموات والارض وعقد الزمان بالعرش وكان عرشه على الماء لان جرى الزمان يشبه جرى الماء فالعلو صفة الكرسى وسع كرسيه والعظمة صفة العرش رب العرش العظيم وكمال العلو والعظمة لله ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم والعلو والعظمة درجتان من درجات الكمال الا ان العظمة أقوى وتمام الكمال درجة الكبرياء والعظمة ازار ولا يخفى أن الرداء أعظم من الازار وفوق جميع

انهم

أنهم انتقلوا من ايمانهم الذى كانوا عليه الى الكفر الذى هو نفاق وذلك قول ان قاله لم تدرك صحته الا بخبر مستفيض أو ببعض المعانى الموجبة صحته فاما فى ظاهر الكتاب فلا دلالة على صحته لاحتماله من التاويل ما هو أولى به منه فاذا كان الامر على ما وصفنا فى ذلك فاولى تاويلات الآية بالآية مثل استضاءة المنافقين بما أظهروا بالسنتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاقرار به وقولهم له وللمؤمنين آمنا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر حتى حكم لهم بذلك فى عاجل الدنيا بحكم المسلمين فى حقن الدماء والاموال والامن على الذرية من السباء وفى المناكحة والموارثة كمثل استضاءة الموقد النار بالنار حتى ارتفق بضيائها وبصر به ما حوله مستضيئا بنوره من الظلمة حتى خمدت النار وانطفات فذهب نوره وعاد المستضىء به فى ظلمة وحيرة وذلك ان المنافق لم يزل مستضيئا بضوء القول الذى دافع عنه فى حياته القتل والسباء مع استبطانه ما كان مستوجبا به القتل وسلب المال لو أظهره بلسانه تخيل اليه بذلك نفسه انه بالله ورسوله والمؤمنين مستهزئ مخادع حتى سولت له نفسه اذ ورد على ربه فى الآخرة انه ناج منه بمثل الذى نجى به فى الدنيا من الكذب والنفاق أو ما يسمع الله جل ثناؤه يقول اذ بعثهم ثم أخبر خبرهم عند ورودهم عليه يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ ألا انهم هم الكاذبون ظنا من القوم ان نجاتهم من عذاب الله فى الآخرة فى الذى كان به نجاتهم من القتل والسباء وسلب المال فى الدنيا من الكذب والافك وان خداعهم نافعهم هنالك نفعه اياهم فى الدنيا حتى عاينوا من أمر الله ما أيقنوا به انهم كانوا من ظنونهم فى غرور وضلال واستهزاء بانفسهم وخداع اذ أطفأ الله نورهم يوم القيامة فاستنظروا المؤمنين ليقتبسوا من نورهم فقيل لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واصلوا سعيرا فذلك حين ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون كما انطفأت نار المستوقد النار بعد اضاءتها له فبقى فى ظلمته حيران تائها القول الله جل ثناؤه يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير فان قال لنا قائل انك ذكرت ان معنى قوله كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله خمدت وانطفأت وليس ذلك بموجود فى القرآن فما دلالتك على ان ذلك معناه قيل قد قلنا ان من شان العرب الايجاز والاختصار اذا كان فيما نطقت به الدلالة الكافية على ما حذفت وتركت كما قال أبو ذؤيب الهذلى

عصيت اليها القلب انى لامرها ❊ سميع فما أدرى أرشد طلابها

يعنى بذلك فما أدرى أرشد طلابها أم غى فحذف ذكر أم غى اذ كان فيما نطق به الدلالة عليها وكما قال ذو الرمة فى نعت حمير

فلما لبسن الليل أو حين نصبت ❊ له من حذا آذانها وهو جانح

يعنى أو حين أقبل الليل فى نفس قوله فلما لبسن الليل أو حين نصبت فحذف كالذى يجيب الليل لبسن يطرح فى ذلك دلالة الكلام عليه فكذلك قوله كمثل الذى

الصفات صفة الجلال وهى تقدسه فى هويته المخصوصة من مناسبة الممكنات وبه استحق الالهية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام وفى التنزيل ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فالمصلى يبتغى وجه الله والداخل على السلطان يجب أن يتطهر من الادناس والارجاس وأولى المراتب التطهر من دنس الذنوب توبوا الى الله توبة نصوحا ثم من الدنيا حلالها وحرامها وهو الزهد ثم من الكونين الدنيا والآخرة وهو مقام المعرفة ثم من الالتفات الى أعماله وهو مقام الاخلاص ثم من الالتفات الى عدم الالتفات وهو مقام المحبين ثم من الالتفات الى كل ما سوى الله وهو مقام الصديقين ثم قم قائما فاقم وجهك للدين حنيفا واستحضر فى نفسك جميع أقسام العالم من الروحانيات والجسمانيات فقل الله أكبر أى من الكل كأمر أو من أن لا يرانى ولا يسمع كلامى كما قال النبى صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك أو أكبر من أن يصل اليه عقول الخلق وافهامهم كما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه التوحيد ان لا تتوهمه أو أكبر من ان يقدر الخلق على قضاء حق عبوديته فاذا قلت الله أكبر فاجل طرف عقلك فى ميادين جلال الله وقل سبحانك اللهم وبحمدك ثم قل وجهت وجهى ثم انتقل الى عالم الامر والتكليف واجعل سورة الفاتحة مرآة لكى تبصر فيها عجائب الدنيا والآخرة وتطلع منها على أنوار أسماء الله الحسنى وصفاته العليا والاديان السالفة والكتب الالهية والشرائع النبوية فتصل الى الشريعة ومنها الى الطريقة ومنها الى الحقيقة وتشاهد درجات الكاملين ودركات الناقصين فاذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم أبصرت به الدنيا فبه قامت السموات والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين أبصرت به الآخرة فبالحمد قامت الآخرة وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين واذا قلت الرحمن الرحيم أبصرت به عالم الجمال المشتمل على أصول النعم وفروع النوال واذا قلت مالك يوم الدين أبصرت به عالم الجلال وما يحصل هنالك من الاحوال والاهوال واذا قلت اياك نعبد أبصرت به عالم الشريعة واذا قلت واياك نستعين أبصرت به عالم الطريقة واذا قلت صراط الذين أنعمت عليهم أبصرت به درجات أرباب السعادات و[illegible] المغضوب عليهم ولا الضالين لاحظت دركات أهل التفريط والافراط [illegible]

استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله لما كان فيه وفيما بعده من قوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون دلالة على المتروك كافية من ذكره اختصر الكلام طلب الايجاز وكذلك حذف ما حذف واختصار ما اختصر من الخبر عن مثل المستوقد النار لان معنى الكلام فكذلك المنافقون ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون بعد الضياء الذى كانوا فيه فى الدنيا بما كانوا يظهرون بالسنتهم من الاقرار بالاسلام وهم لغيره مستبطنون كما ذهب ضوء نار هذا المستوقد بانطفاء ناره وخمودها فبقى فى ظلمة لا يبصر والهاء والميم فى قوله ذهب الله بنورهم عائدة على الهاء والميم فى قوله مثلهم ﴿ القول فى تاويل قول الله (صم بكم عمى فهم لا يرجعون) قال أبو جعفر وان كان تاويل قول الله جل ثناؤه ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون هو ما وصفنا من أن ذلك خبر من الله جل ثناؤه عما هو فاعل بالمنافقين فى الآخرة عند هتك أستارهم واظهاره فضائح أسرارهم وسلبه ضياء أنوارهم من تركهم فى ظلم أهوال القيامة يترددون وفى حنادسها لا يبصرون فبين ان قوله جل ثناؤه صم بكم عمى فهم لا يرجعون من المؤخر الذى معناه التقديم وان معنى الكلام أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين صم بكم عمى فهم لا يرجعون مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون أو كمثل صيب من السماء واذ كان ذلك معنى الكلام فمعلوم ان قوله صم بكم عمى يأتيه الرفع من وجهين والنصب من وجهين فاما أحد وجهى الرفع فعلى الاستئناف لما فيه من الذم وقد تفعل العرب ذلك فى المدح والذم فتنصب وترفع وان كان خبرا عن معرفة كما قال الشاعر

لا يبعدن قومى الذين هم * سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك * والطيبين معاقد الازر

ويروى النازلين والنازلون وكذلك الطيبون والطيبين على ما وصفت من المدح والوجه الآخر على نية التكرير من أولئك فيكون المعنى حينئذ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أولئك صم بكم عمى فهم لا يرجعون وأما أحد وجهى النصب فان يكون قطعا مما فى مهتدين من ذكر أولئك لان الذى فيه من ذكرهم معرفة والصم نكرة والآخر ان يكون قطعا من الذين لان الذين معرفة والصم نكرة وقد يجوز النصب فيه أيضا على وجه الذم فيكون ذلك وجها من النصب ثالثا فاما على تاويل ما روينا عن ابن عباس من غير وجه رواية على بن أبى طلحة عنه فانه لا يجوز فيه الرفع الا من وجه واحد وهو الاستئناف وأما النصب فقد يجوز فيه من وجهين أحدهما الذم والآخر القطع من الهاء والميم اللتين فى تركهم أو من ذكرهم فى لا يبصرون وقد بينا القول الذى هو أولى بالصواب فى تاويل ذلك والقراءة التى هى قراءة الرفع دون النصب لانه ليس لاحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين واذا قرئ نصبا كانت قراءة مخالفة رسم مصاحفهم ﴿ القول فى تاويل قوله (صم بكم عمى) قال أبو جعفر وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن المنافقين انهم باشترائهم الضلالة بالهدى لم يكونوا للهدى والحق مهتدين بل هم صم عنهما فلا يسمعون بهما لغلبة خذلان الله عليهم بكم عن القيل بهما فلا ينطقون بهما والبكم الخرس وهو جمع

ابكم

تظن انك قد بلغت الغايات بل عد الى الاقرار للحق بالكبرياء ولنفسك بالهوان وقل الله أكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الى العظمة وقل سبحان ربى العظيم ثم انتصب ثانيا وادع لمن وقف موقفك وحمد حمدك وقل سمع الله لمن حمده فانك اذا سألتها لغيرك وجدتها لنفسك فالله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه المسلم ولا تكبير فى هذا المقام لان التكبير من الكبرياء والهيبة والخوف وهذا مقام الشفاعة ثم عد الى التكبير وانحدر به الى غاية العلو وقل سبحان ربى الاعلى لان السجود أكثر تواضعا وروى أن لله ملكا تحت العرش اسمه حزقيل فاوحى اليه أيها الملك طر فطار ثلاثين ألف سنة ثم ثلاثين ألف سنة فلم يبلغ من أحد طرفى العرش الى الثانى فاوحى الله اليه لو طرت الى نفخ الصور لم تبلغ الى الطرف الثانى من العرش فقال الملك عند ذلك سبحان ربى الاعلى * وفوائد السجدتين فالاولى الازل والثانية الابد والقعدة بينهما هى الدنيا فعرف بازليته انه لا أول له فسجد له وبابديته انه لا آخر له فسجد له ثانيا وأيضا الاولى فناء الدنيا فى الآخرة والثانية فناء الآخرة فى جلال الله تعالى وأيضا الاولى فناء الكل فى أنفسها والثانية بقاؤها ببقائه وأيضا الاولى انقياد عالم الشهادة لقدرته والثانية انقياد عالم الارواح لعزته ألا له الخلق والامر وأيضا الاولى سجدة الشكر بمقدار ما أعطانا من معرفة ذاته وصفاته والثانية سجدة الخوف مما فاتنا من أداء حقوق كبريائه وأيضا صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فتواضع السجدتين بازاء تواضع ركوع واحد وأيضا ليكونا شاهدين للعبد على أداء العبادة وأيضا ليناسب الوجود الآخذ من الوحدة الى الكثرة ومن الفردية الى الزوجية وأيضا الانتصاب صفة الانسان والانحناء صفة الانعام والجثوم صفة النبات ففى الركوع هضم للنفس بمرتبة واحدة وفى السجود بمرتبتين ولعل ما فاتنا من الفوائد أكثر مما أدركنا * المنهج التاسع فى اللطائف عن النبى صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم سال ربه فقال ما جزاء من حمدك فقال تعالى الحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته فقال أهل التحقيق من ههنا جعله الله فاتحة كتابه وخاتمة كلام أهل جنته وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وعن على عليه السلام ان أول ما خلق الله العقل من نوره المكنون ثم قيل له تكلم فقال الحمد لله فقال الرب وعزتى وجلالى

أبكم عمى ان يبصر وهما فيعقلوهما لان الله قد طبع على قلوبهم بنفاقهم فلا يهتدون وبمثل ما قلنا في ذلك قالت علماء أهل التأويل حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس صم بكم عمى عن الخير حدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس صم بكم عمى يقول لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بكم هو الخرس حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله صم بكم عمى صم عن الحق فلا يسمعونه عمى عن الحق فلا يبصرونه بكم عن الحق فلا ينطقون به

۞ القول في تأويل قوله (فهم لا يرجعون) قال أبو جعفر وقوله فهم لا يرجعون اخبار من الله جل ثناؤه عن هؤلاء المنافقين الذين نعتهم الله باشترائهم الضلالة بالهدى وصممهم عن سماع الخير والحق وبكمهم عن القيل بهما وعماهم عن ابصارهما انهم لا يرجعون الى الاقلاع عن ضلالتهم ولا يتوبون الى الانابة من نفاقهم فآيس المؤمنين من ان يبصر هؤلاء رشدا ويقولوا حقا أو يسمعوا داعيا الى الهدى أو ان يذكروا فيتوبوا من ضلالتهم كما آيس من توبة قادة كفار أهل الكتاب والمشركين وأحبارهم الذين وصفهم بانه قد ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وغشى على أبصارهم وبمثل الذى قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة فهم لا يرجعون أى لا يتوبون ولا يذكرون وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى في خبر ذكره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فهم لا يرجعون الى الاسلام وقد روى عن ابن عباس قول يخالف معناه معنى هذا القول وهو ما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فهم لا يرجعون أى ولا يرجعون الى الهدى ولا الى خير فلا يصيبون نجاة ما كانوا على ما هم عليه وهذا تأويل ظاهر التلاوة بخلافه وذلك ان الله جل ثناؤه أخبر عن القوم انهم لا يرجعون عن اشترائهم الضلالة بالهدى الى ابتغاء الهدى وابصار الحق من غير حصر منه جل ذكره من حالهم الى وقت دون وقت وحال دون حال وهذا الخبر الذى ذكرناه عن ابن عباس ينبئ عن ان ذلك من صفتهم محصور على وقت وهو ما كانوا على أمرهم مقيمين وان لهم السبيل الى الرجوع عنه وذلك من التأويل دعوى باطل لا دلالة عليها من ظاهر ولا من خبر تقوم بمثله الحجة فيسلم لها

۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (أو كصيب من السماء) قال أبو جعفر والصيب الفيعل من قولك صاب المطر يصوب صوبا اذا انحدر ونزل كما قال الشاعر

فلست بانسى ولكن ملائكا * تنزل من جو السماء يصوب

وكما قال علقمة بن عبدة

ما خلقت خلقا أعز على منك ونقل عن آدم صلى الله عليه وسلم لما عطس قال الحمد لله فاول كلام لفاتحة المحدثات الحمد وأول كلام لخاتمة المحدثات الحمد فلا جرم جعلها الله تعالى فاتحة كتابه وأيضا أول كلام الله الحمد لله وآخر أنبيائه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الاول والآخر مناسبة فجعل الحمد لله أول آية من كتاب محمد رسول الله ولما كان كذلك وضع لمحمد رسول الله من كلمة الحمد اسمان محمد وأحمد وعند هذا قال صلى الله عليه وسلم انا في السماء أحمد وفي الارض محمد فاهل السماء في تحميد الله ورسوله أحمدهم والله تعالى في تحميد أهل الارض كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا ورسول الله محمدهم * أخرى الحمد لا يحصل الا بعد الفوز بالرحمة والنعمة فلما كان الحمد أول الكلمات وجب ان تكون النعمة والرحمة أول الافعال فلهذا قال سبقت رحمتي غضبي * أخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه أحمد أى أكثر الحامدين حمدا فوجب ان تكون رحمة الله في حقه أكثر فلهذا جاء رحمة للعالمين * أخرى ان من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى اسمه محمد وأحمد الحمد والحامد والمحمود على ما جاء في الروايات وكلها تدل على الرحمة لان الحمد يتضمن النعمة فقال تعالى نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم فقوله نبئ اشارة الى محمد وهو مذكور وقبل العباد والياء في قوله عبادى ضمير الله سبحانه وكذا في انى وأنا والغفور والرحيم صفتان لله فالعبد يجئ يوم القيامة وقدامه الرسول صلى الله عليه وسلم مع خمسة أسماء تدل على الرحمة وخلفه خمسة ألفاظ من أسماء الله تعالى تدل على الرحمة ورحمة الرسول كثيرة وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ورحمة الله تعالى غير متناهية ورحمتي وسعت كل شئ فكيف يضيع المذنب فيما بين هذه الاصناف من الرحمة * أخرى في الفاتحة عشرة أشياء خمسة من صفات الربوبية لله الرب الرحمن الرحيم الملك وخمسة من صفات العبودية العبادة الاستعانة طلب الهداية طلب الاستقامة طلب النعمة في قوله أنعمت عليهم وكأنه قيل اياك نعبد لانك أنت الله واياك نستعين لانك رب اهدنا لانك رحمن وارزقنا الاستقامة لانك رحيم وأفض علينا سجال نعمك فضلا منك لانك مالك * أخرى الانسان مركب من خمسة أشياء بدن ونفس شيطانية ونفس سبعية ونفس بهيمية وجوهر ملكى عقلى فتجلى اسم الله لجوهر ملكى وصار فيه ملائكيا كريما تعمل الطيب

كأنهم صابت عليهم سحابة * صواعقها لطيرهن دبيب

فلا تعدلي بيني وبين معمر * سقيت روايا المزن حين تصوب

يعني تنحدر وهو في الاصل صيوب ولكن الواو لما سبقتها ياء ساكنة صيرتا جميعا ياء مشددة كما قيل سيد من ساد يسود وجيد من جاد يجود وكذلك تفعل العرب بالواو اذا كانت متحركة وقبلها ياء ساكنة تصيرهما جميعا ياء مشددة وبما قلنا من القول في ذلك قال أهل التاويل حدثني محمد بن اسمعيل الاحمسي قال حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس في قوله أو كصيب من السماء قال القطر وحدثني عباس بن محمد قال حدثنا حجاج قال قال ابن جريج قال لي عطاء الصيب المطر وحدثني المثنى قال حدثنا أبو صالح قال حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال الصيب المطر وحدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الصيب المطر وحدثني ابن سعد قال حدثني أبي سعد قال حدثني عمي الحسين عن أبيه عن جده عن ابن عباس مثله وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة أو كصيب قال المطر وحدثنا الحسين بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن قتادة مثله وحدثني محمد بن عمرو الباهلي قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الصيب المطر وحدثني المثنى قال حدثنا اسحق عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس الصيب المطر وحدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الصيب المطر وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد أو كصيب من السماء قال أو كغيث من السماء وحدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال قال سفيان الصيب الذي فيه المطر حدثنا عمرو بن علي قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا ابن جريج عن عطاء في قوله أو كصيب من السماء قال المطر * وتاويل ذلك مثل استضاءة المنافقين بضوء اقرارهم بالاسلام مع استسرارهم الكفر مثل اضاءة موقد النار بضوء ناره على ما وصف جل ثناؤه من صفته أو كمثل مطر مظلم ودقه يحدر من السماء تحمله مزنة ظلماء في ليلة مظلمة وذلك هو الظلمات التي أخبر الله جل ثناؤه انها فيه فان قال لنا قائل أخبرنا عن هذين المثلين أهما مثلان للمنافقين أو أحدهما فان يكونا مثلين للمنافقين فكيف قيل أو كصيب وأو تاتي بمعنى الشك في الكلام ولم يقل وكصيب بالواو التي تلحق المثل الثاني بالمثل الاول أو يكون مثل القوم أحدهما فما وجه ذكر الآخر باو وقد علمت ان أو اذا كانت في الكلام فانما تدخل فيه على وجه الشك من المخبر فيما أخبر عنه كقول القائل لقيني أخوك أو أبوك فانما لقيه أحدهما ولكنه جهل عين الذي لقيه منهما مع علمه ان أحدهما قد لقيه وغير جائز في الله جل ثناؤه ان يضاف اليه الشك في شيء أو عزوب علم شيء عنه فيما أخبر أو ترك الخبر عنه قيل له ان الامر في ذلك بخلاف الذي ذهبت اليه واو وان كانت في بعض الكلام تاتي بمعنى الشك فانها قد تاتي دالة على مثل ما تدل عليه الواو اما بسابق من الكلام قبلها واما بما ياتي بعدها كقول توبة بن الحمير

وتجلي النفس الشيطانية باسم الرب فلان وانقاد لطاعة الديان رب أعوذ بك من همزات الشياطين وتجلي النفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من القهر واللطف الملك يومئذ الحق للرحمن فترك الخصومة والعدوان وتجلي النفس البهيمية باسم الرحيم أحل لكم الطيبات فترك العصيان وتجلي للابدان بصفة القهر والمالكية لان البدن غليظ كثيف فيحتاج الى قهر شديد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فدان فلما كان هذه التجليات انغلقت له أبواب النيران وفتحت عليه أبواب الجنان ورجع القهقرى كما جاء فلطاعة الابدان قال اياك نعبد ولطاعة النفس البهيمية قال واياك نستعين على ترك اللذات وارتكاب المنكرات ولطاعة النفس السبعية قال اهدنا وارشدنا وعلى دينك ثبتنا ولطاعة النفس الشيطانية طلب الاستقامة فقال اهدنا الصراط المستقيم والجوهر العقلي الملكي طلب مرافقة الارواح المقدسة الانسية فقال صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * أخرى بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت فشهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة من تجلي نور اسم الله ومن تجلي نور اسم الرب لان الرب من التربية والعبد يربي أمانة عند الصلاة وايتاء الزكاة من تجلي اسم الرحمن لان الزكاة سببها الرحمة على الفقراء وصوم رمضان من تجلي اسم الرحيم لان الصائم اذا جاع يذكر جوع الفقراء فيعطيهم يحكى ان يوسف حين تمكن من مصر كان لا يشبع فقيل له في ذلك فقال أخاف ان أشبع فانسى الجياع وأيضا الصائم يرحم نفسه لانه اذا جاع حصل له فطام عن الالتذاذ بالمحسوسات فعند الموت يسهل عليه مفارقتها ووجوب الحج من تجلي اسم مالك يوم الدين لان الحج يوجب هجرة الوطن ومفارقة الاهل والولد وذلك يشبه سفر القيامة وأيضا الحاج يكون عاريا حافيا حاسرا وهو يشبه أحوال القيامة * أخرى الحواس خمس ولكل أدب فادب البصر ما زاغ البصر وما طغى فاعتبروا يا أولي الابصار وأدب السمع الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدب الذوق يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأدب الشم اني لاجد ريح يوسف وأدب اللمس والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فاستعن بانوار الاسماء الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك على تاديب هذه الحواس الخمس وقد

وقد زعمت ليلى بانى فاجر * لنفسي تقاها أوعليها فجورها

ومعلوم ان ذلك من توبة على غير الشك فيما قال ولكن لما كانت أو فى هذا الموضع دالة على مثل الذى كانت تدل عليه الواو لو كانت مكانها وضعها موضعها وكذلك قول جرير

نال الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

وكما قال الآخر فلو كان البكاء يرد شيا * بكيت على جبير أو عناق

على المرأين اذ مضيا جميعا * لشانهما بحزن واشتياق

فقد دل بقوله على المرأين ان بكاء الذى أراد ان يبكيه لم يردان يقصد به أحدهما دون الآخر بل أراد أن يبكيهما جميعا فكذلك ذلك فى قول الله جل ثناؤه أو كصيب لما كان معلوما ان أو دالة فى مثل ذلك على مثل الذى كانت تدل عليه الواو لو كانت مكانها كان سواء نطق فيه بأو أو بالواو وكذلك وجه حذف المثل من قوله أو كصيب لما كان قوله كمثل الذى استوقد نارا دالا على ان معناه كمثل صيب حذف المثل واكتفى بدلالة ما مضى من الكلام فى قوله كمثل الذى استوقد نارا على معناه أو كمثل صيب من اعادة ذكر المثل طلب الايجاز والاختصار ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا) قال أبو جعفر فاما الظلمات فجمع واحدها ظلمة وأما الرعد فان أهل العلم اختلفوا فيه فقال بعضهم هو ملك يزجر السحاب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد قال الرعد ملك يزجر السحاب بصوته وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله وحدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال حدثنا فضيل بن عياض عن ليث عن مجاهد مثله وحدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا هشيم قال أنبانا اسمعيل ابن سالم عن أبى صالح قال الرعد ملك من الملائكة يسبح وحدثنى نصر بن عبد الرحمن الاودى قال حدثنا محمد بن يعلى عن أبى الخطاب البصرى عن شهر بن حوشب قال الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه كما يسوق الحادى الابل يسبح كلما خالفت سحابة سحابة صاح بها فاذا اشتد غضبه طارت النار من فيه فهى الصواعق التى رأيتم وحدثت عن المنجاب بن الحارث قال حدثنا بشر ابن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الرعد ملك من الملائكة اسمه الرعد وهو الذى تسمعون صوته حدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا عبد الملك بن حسين عن السدى عن أبى مالك عن ابن عباس قال الرعد ملك يزجر السحاب بالتسبيح والتكبير وحدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا على بن عاصم عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال الرعد اسم ملك وصوته هذا تسبيحه فاذا اشتد زجره السحاب اضطرب السحاب واحتك فتخرج الصواعق من بينه حدثنا الحسن قال حدثنا عفان قال حدثنا أبو عوانة عن موسى البزار عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال الرعد ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادى الابل بحدائه حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا يحيى بن عباد وشبابة قالا حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد قال الرعد ملك يزجر السحاب حدثنا

* أخرى الشطر الاول من الفاتحة مشتمل على الاسماء الحسنة لله فيفيض أنوارها الى الاسرار والشطر الثانى مشتمل على الصفات الحسنة للعبد فيصعد منها أسراره الى تلك الانوار ويحصل للعبد معراج فى قراءته وتقرير الاسرار ان حاجة العبد اما لدفع ضر أو جلب خير وكل منهما اما فى الدنيا واما فى الآخرة فهذه أربعة وههنا قسم خامس هو الاشرف وذلك الاقبال على طاعة الله وعبوديته لا لاجل رغبة أو رهبة فان شاهدت نور اسم الله لم تطلب منها شيأ سوى الله وان طالعت نور الرب طلبت منه خيرات الجنة وان طالعت نور الرحمن طلبت منه خيرات الدنيا وان طالعت نور الرحيم طلبت منه العصمة عن مضار الآخرة وان طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه الصون عن آفات الدنيا الموقعة فى عذاب الآخرة أعاذنا الله منها * أخرى للتجلى ثلاث مراتب تجلى الذات قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وهذا للعظماء الانبياء والملائكة المقربين وهذه نهاية الاحوال ويدل عليها اسم الله وتجلى الصفات وهو فى أواسط الاحوال ويكون للاولياء وأولى الالباب الذين يتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ويدل عليه اسم الرحمن وتجلى الافعال والآيات وهو فى بداية الاحوال ويكون لعامة العباد الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى ويدل عليه لفظ الرحيم ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما * أخرى فى الفاتحة كلمتان مضافتان الى اسم الله بسم الله والحمد لله بسم الله لبداية الامور والحمد لله لخواتيم الامور بسم الله ذكر والحمد لله شكر بسم الله استحق الرحمة رحمن الدنيا وبالحمد لله استحق رحمة أخرى رحيم الآخرة وكلمتان أضيف اليهما اسمان لله رب العالمين مالك يوم الدين فالربوبية لبداية حالهم ألست بربكم قالوا بلى والملك لنهاية حالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وبينهما اسمان مطلقان لوسط حالهم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء * المنهج العاشر للخلق خمس أحوال أولها الايجاد والتكوين والابداع ويدل عليه اسم الله وثانيها التربية فى مصالح الدنيا ويدل عليه اسم الرب وثالثها التربية فى معرفة المبدأ ويدل عليه اسم الرحمن ورابعها فى معرفة المعاد ويدل عليه اسم الرحيم تقدم على مستغفر و يحجم عن ... وخامسها نقل الارواح من

أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا عتاب بن زياد عن عكرمة قال الرعد ملك فى السحاب يجمع السحاب كما يجمع الراعى الابل وحدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قال الرعد خلق من خلق الله جل وعز سامع مطيع لله جل وعز حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال ان الرعد ملك يؤمر بازجاء السحاب فيؤلف بينه فذلك الصوت تسبيحه وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الرعد ملك وحدثنى المثنى قال حدثنا الحجاج بن المنهال قال حدثنا حماد بن سلمة عن المغيرة بن سالم عن أبيه أو غيره ان على بن أبى طالب قال الرعد ملك حدثنا المثنى قال حدثنا حجاج قال حدثنا حماد قال أخبرنا موسى بن سالم أبو جهضم مولى ابن عباس قال كتب ابن عباس الى أبى الجلد يسأله عن الرعد فقال الرعد الملك حدثنا المثنى قال حدثنا مسلم بن ابراهيم قال حدثنا عمر بن الوليد الشنى عن عكرمة قال الرعد ملك يسوق السحاب كما يسوق الراعى الابل حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال حدثنا حفص بن عمر قال حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال كان ابن عباس اذا سمع الرعد قال سبحان الذى سبحت له قال وكان يقول ان الرعد ملك ينعق بالغيث كما ينعق الراعى بغنمه وقال آخرون ان الرعد ريح تختنق تحت السحاب فتصاعد فيكون منه ذلك الصوت ❁ ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا بشير بن اسمعيل عن أبى كثير قال كنت عند أبى الجلد اذ جاء رسول ابن عباس بكتاب اليه فكتب اليه كتبت تسألنى عن الرعد فالرعد الريح حدثنى ابراهيم بن عبد الله قال حدثنا عمران بن ميسرة قال حدثنا ابن ادريس عن الحسن بن الفرات عن أبيه قال كتب ابن عباس الى أبى الجلد يسأله عن الرعد فقال الرعد ريح ❁ قال أبو جعفر فان كان الرعد ما ذكره ابن عباس ومجاهد فمعنى الآية أو كصيب من السماء فيه ظلمات وصوت رعد لان الرعد ان كان ملكا يسوق السحاب فغير كائن فى الصيب لان الصيب انما هو ما تحدر من صوب السحاب والرعد انما هو فى جو السماء يسوق السحاب على انه لو كان فيه ثم لم يكن له صوت مسموع فلم يكن هنالك رعب يرعب به أحد لانه قد قيل ان مع كل قطرة من قطر المطر ملكا فلا يعدو الملك الذى اسمه الرعد لو كان مع الصيب اذا لم يكن مسموعا صوته ان يكون كبعض تلك الملائكة التى تنزل مع القطر الى الارض فى أن لا رعب على أحد بكونه فيه فقد علم اذ كان الامر كما وصفنا ان معنى الآية أو كمثل غيث تحدر من السماء فيه ظلمات وصوت رعد ان كان الرعد هو ما قاله ابن عباس وانه استغنى بدلالة ذكر الرعد باسمه على المراد فى الكلام من ذكر صوته وان كان الرعد ما قاله أبو الجلد فلا شئ فى قوله فيه ظلمات ورعد متروك لان معنى الكلام حينئذ فيه ظلمات ورعد الذى هو ما وصفنا صفته ❁ وأما البرق فان أهل العلم اختلفوا فيه فقال بعضهم بما حدثنا مطر بن محمد الضبى قال حدثنا أبو عاصم ح وحدثنى محمد بن بشار قال حدثنى عبد الرحمن بن مهدى ح وحدثنا محمد بن اسحق الاهوازى قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قالوا جميعا حدثنا سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن أشوع عن ربيعة بن الابيض عن على قال البرق مخاريق الملائكة حدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا

غام الاجساد الى المعاد ويدل عليه اسم مالك يوم الدين ثم ان العبد اذا تقوى بهذه الاسماء صار من أهل المشاهدة فقال اياك نعبد لانك أنت الله الخالق واياك نستعين لانك الرب الرزاق اياك نعبد لانك الرحمن واياك نستعين لانك الرحيم اياك نعبد لانك الملك واياك نستعين لانك المالك اياك نعبد لانا نتنقل من دار الشر والى دار السرور ولابد من زاد وخير الزاد العبادة واياك نستعين لان الذى نكتسب بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا فان السفر طويل والزاد قليل ثم اذا حصل الزاد باعانتك فالشقة شاسعة والطرق كثيرة فلا طريق الا أن يطلب الطريق ممن هو بارشاد السالكين حقيق اهدنا الصراط المستقيم ثم انه لابد لسالك الطريق الطويل من رفيق ودليل صراط الذين أنعمت عليهم فالانبياء أدلاء والصديقون والشهداء والصالحون رفقاء غير المغضوب عليهم ولا الضالين لان الحجب قسمان نارية وهى الدنيا وما فيها ونورية وهى ما سواهما اللهم ادفع عنا كل ما يحجب بينك وبيننا انك رب العالمين ومالك يوم الدين

❁ (سورة البقرة مدنية مائتان وست أو سبع وثمانون آية) ❁

❁ (بسم الله الرحمن الرحيم) ❁

(الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) القرآن لا ريب بالمد خلف والمحلى عن حمزة وخلف لنفسه وكذلك قوله تعالى لا خير ولا جرم وذلك لاجتماع الفتحة مع الالف أولنا كيد معنى النفى للجنس فيهى ابن كثير وكذلك يشبع كل هاء كناية فى جميع القرآن هدى للمتقين مدغما من غير غنة حمزة وعلى وخلف ويزيد وورش من طريق النجارى والهاشمى عن ابن كثير وكذلك يدغمون النون الساكنة والتنوين فى الراء حيث وقعت أبو عمرو بالوجهين ادغام الغنة واظهارها والباقون باظهار الغنة ولا خلاف بين القراء فى ادغام أصل النون والتنوين فى اللام والواو والراء والياء والميم انما الخلاف بينهم فى اظهار الغنة واسقاطها وهى صوت من الخيشوم يؤمنون غير مهموز أبو عمرو ويزيد وورش والاعشى وحمزة فى الوقف وكذلك ما أشبهها من الافعال فى أحرف يسيرة تذكر فى مواضعها الباقون بالهمزة (باب فى المد) (بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) بالمد عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن ذكوان فلا يفرقون بين مد الكلمة والكلمتين وكذلك روى ورش عن نافع والباقون

عبد الملك بن الحسين عن السدى عن أبي مالك عن ابن عباس البرق مخاريق بايدى الملائكة يزجرون بها السحاب وحدثني المثنى قال حدثنا الحجاج قال حدثنا حماد عن المغيرة بن سالم عن أبيه أوغيره ان على بن أبي طالب قال الرعد الملك والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد وقال آخرون هو سوط من نور يزجر به الملك السحاب حدثت عن المنجاب بن الحرث قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس بذلك وقال آخرون هو ماء * ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد ابن اسحق قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا بشير بن اسمعيل عن أبي كثير قال كنت عند أبي الجلد اذ جاءه رسول ابن عباس بكتاب اليه فكتب اليه تسالنى عن البرق فالبرق الماء حدثنا ابراهيم ابن عبد الله قال حدثنا ابن ادريس عن الحسن بن الفرات عن أبيه قال كتب ابن عباس الى أبي الجلد يساله عن البرق فقال البرق ماء حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن عطاء عن رجل من أهل البصرة من قرائهم قال كتب ابن عباس الى أبي الجلد رجل من أهل هجر يساله عن البرق فكتب اليه كتبت الى تسالنى عن البرق وانه من الماء * وقال آخرون هو مصع ملك حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال حدثنا سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال البرق مصع ملك حدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا هشام عن محمد بن مسلم الطائفى قال بلغنى ان البرق ملك له أربعة أوجه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فاذا مصع باجنحته فذلك البرق حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائى قال فى كتاب الله الملائكة حملة العرش لكل ملك منهم وجه انسان وثور وأسد فاذا حركوا أجنحتهم فهو البرق وقال أمية بن أبي الصلت

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للاخرى وليث مرصد

حدثنا الحسين بن محمد قال حدثنا على بن عاصم عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس البرق ملك وقد حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال الصواعق ملك يضرب السحاب بالمخاريق يصيب منه من يشاء ۞ قال أبو جعفر وقد يحتمل ان يكون ما قاله على بن أبي طالب وابن عباس ومجاهد بمعنى واحد وذلك ان تكون المخاريق التى ذكر على رضى الله عنه انها هى البرق هى السياط التى هى من نور التى يزجر بها الملك السحاب كما قال ابن عباس ويكون ازجار الملك السحاب مصعه اياه بها وذلك ان المصاع عند العرب أصله المجالدة بالسيوف ثم تستعمله فى كل شئ جولد به فى حرب وغير حرب كما قال أعشى بنى ثعلبة وهو يصف جوارى يلعبن بحليهن ويجالدن به

اذا هن نازلن اقرانهن * كان المصاع بما فى الجون

يقال منه ماصعه مصاعا وكان مجاهدا انما قال مصع ملك اذ كان السحاب لا يماصع الملك وانما الرعد هو المماصع له فجعله مصدرا من مصعه يمصعه مصعا وقد ذكرنا فى معنى الصاعقة ما قال شهر بن حوشب فيما مضى * وأما تاويل الآية فان أهل التاويل مختلفون فيه فروى عن ابن عباس فى ذلك أقوال أحدها ما حدثنا به محمد بن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى

يفرقون فيمدون الكلمة ولا يمدون الكلمتين فاطول الناس مدا ورش عن نافع وحمزة وخلف فى اختياره والاعشى ومذهم بمنزلة ربع ألفات وأوسطهم مدا على وابن ذكوان وعاصم غير الاعشى وأقصرهم مدا ابن كثير وأبو جعفر ونافع غير ورش وأبو عمرو وسهل ويعقوب وهشام وأصل المد ألف ساكنة على قدر فتحة فيك فتحا تاما و بالآخرة بترك الهمزة ونقلها الى الساكن الذى قبلها حيث كان ورش وكذلك حمزة فى الوقف فان مذهبه أن يقف على كل كلمة مهموزة بغير همزة (باب السكتة) روى عن حمزة وحماد الشمونى انهم يسكتون على حرف ساكن بعد همزة سكتة لطيفة نحو الارض والانهار وقالوا آمنا واشباه ذلك والسبب فيه التمكين والمبالغة فى تحقيقها لان الهمزة بعد السكتة كالمبتدأ بها والاختيار فى الكلمة الواحدة ان لا تسكت على ساكن غير لام التعريف احترازا عن قطع الكلمة * الوقوف الم للاختلاف لا ريب ج على حذف خبر لا تقديره لا ريب فيه ثم يستانف فيه هدى ومن وصل جعل فيه خبر لا أو وصف ريب وحذف خبر لا تقديره لا ريب فيه عند المؤمنين والوقف على التقديرين على فيه وهدى خبر مبتدا محذوف أى هو هدى ومن جعل هدى حالا للكتاب باعمال معنى الاشارة فى ذلك على تقدير أشير الى الكتاب هاديا لم يقف قبل هدى للمتقين لا لان الذين صفتهم ينفقون لا للعطف ليدخل عبد الله بن سلام وأصحابه فى المتقين فان القرآن لهم هدى وليدخل الصحابة المؤمنون بالغيب فى ثناء الهدى ووعد الفلاح ولو ابتدأ والذين كان أولئك على هدى خبرهم مختصا بهم واختص هدى القرآن واسم التقوى بالذين يؤمنون بالغيب من قبلك ج لاختلاف النظم بتقديم المفعول يوقنون ط لان أولئك مبتدأ وليس بخبر عما قبله وكذلك على كل آية وقف بها الامام أعلم بعلامة لا المفلحون لا * التفسير وفيه ابحاث البحث الاول فى الم اعلم ان الالفاظ التى يتهجى بها فى قولهم ألف با تا ثا أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها ركبت الكلم لان الضاد مثلا لفظ مفرد دال بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه غير مقترن باحد الازمنة وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب مثلا فيكون لفظ الضاد اسما ولهذا قد يتصرف فى بعضها بالامالة نحو يا تا و بالتفخيم نحو يا تا و بالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد اليه والاضافة وقولهم يا تا ثا متهجى

زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت أي هم من ظلمات ماهم فيه من الكفر والحذر من القتل على الذي هم عليه من الخلاف والتخوف منكم على مثل ماوصف من الذي هو في ظلمة الصيب فجعل أصابعه في أذنيه من الصواعق حذر الموت يكاد البرق يخطف أبصارهم أي لشدة ضوء الحق كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا أي يعرفون الحق ويتكلمون به فهم من قولهم به على استقامة فاذا ارتكبوا منه الى الكفر قاموا متحيرين والآخر ما حدثني به موسى ابن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق الى ان الله على كل شئ قدير أما الصيب والمطر كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين فاصابهما هذا المطر الذي ذكر الله فيه رعد شديد وصواعق وبرق فجعلا كلما أضاء بهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من الفرق ان تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما واذا لمع البرق مشوا في ضوئه واذا لم يلمع لم يبصرا قاما مكانهما لا يمشيان فجعلا يقولان ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمدا فنضع أيدينا في يده فاصبحا فاتياه فاسلما ووضعا أيديهما في يده وحسن اسلامهما فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلا للمنافقين الذين بالمدينة وكان المنافقون اذا حضروا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل فيهم شئ أو يذكروا بشئ فيقتلوا كما ذانك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما واذا أضاء لهم مشوا فيه فاذا كثرت أموالهم وولدهم الغلمان وأصابوا غنيمة أو فتحا مشوا فيه وقالوا ان دين محمد صلى الله عليه وسلم دين صدق فاستقاموا عليه كما كان ذانك المنافقان يمشيان اذا أضاء لهم البرق مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا فكانوا اذا هلكت أموالهم وولدهم الجواري وأصابهم البلاء قالوا هذا من أجل دين محمد فارتدوا كفارا كما قام ذانك المنافقان حين أظلم البرق عليهما والثالث ما حدثني به محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي عن أبيه عن جده عن ابن عباس او كصيب من السماء كمطر فيه ظلمات ورعد وبرق الى آخر الآية هو مثل المنافق في ضوء ما تكلم بما معه من كتاب الله وعمل مراآة للناس فاذا خلا وحده عمل بغيره فهو في ظلمة ما أقام على ذلك وأما الظلمات فالضلالة وأما البرق فالايمان وهم أهل الكتاب واذا أظلم عليهم فهو رجل يأخذ بطرف الحق لا يستطيع ان يجاوزه والرابع ما حدثني به المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أو كصيب من السماء وهو المطر ضرب مثله في القرآن يقول فيه ظلمات يقول ابتلاء ورعد يقول فيه تخويف وبرق يكاد البرق يخطف أبصارهم يقول يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين كلما أضاء لهم مشوا فيه يقول كلما أصاب المنافقون من الاسلام عزا اطمأنوا وان أصاب من الاسلام نكبة قالوا ارجعوا الى الكفر يقول واذا أظلم عليهم قاموا كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة الى آخر الآية ثم اختلف سائر أهل التأويل

ومقصودة نحو لا وقولهم كتبت باء بالمد نحو كتبت لاء لا يدل على انها حروف مثل لا فانهم انما قالوا كذلك في التهجي لكثرة الاستعمال واستدعائها التخفيف والذي رواه ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف وأيضا ماوقع في عبارات المتقدمين انها حروف التهجي خليق بان يصرف الى التسامح والتجوز لانه اسم للحرف وهما متلازمان أولان الحرف قد يطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع ويحكى عن الخليل انه سال أصحابه كيف تنطقون بالباء التي في ضرب والكاف التي في ذلك فقالوا نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم لا الحرف وقال أقول ب ك ثم انهم راعوا في هذه التسمية لطيفة وهي انهم جعلوا المسمى صدر كل اسم منها الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ابداع اللفظ دلالة على المعنى البسملة والحيعلة والتهليل ونحوها وحكم هذه الاسماء سكون الاعجاز مالم تلها العوامل فيقال الف لام ميم موقوفا عليها لفقد مقتضى الاعراب نحو واحد اثنان ثلاثة دار ثوب جارية فاذا وليتها العوامل أدركها الاعراب نحو هذه ألف وكتبت ألفا ونظرت الى ألف والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف وأين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين وللناس في الم وما يجري مجراه في فواتح السور قولان أحدهما ان هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله به والتخاطب بالحروف المفردة سنة الاحباب في سنن المحاب فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب شعر

بين المحبين سر ليس يفشيه
قول ولا قلم للخلق يحكيه

عن أبي بكر في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور وعن علي كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وقال بعض العارفين العلم كبحر أجرى منه واد ثم أجرى من الوادي نهر ثم أجرى من النهر جدول ثم أجرى من الجدول ساقية فالوادي لا يحتمل البحر والنهر لا يحتمل الوادي وبهذا قال عز من قائل أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فبحر العلم عند الله تعالى فأعطى الرسل منه أودية ثم أعطى الرسل من أوديتهم أنهارا الى العلماء ثم أعطى العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم

بعدفى ذلك نظيرمار وى عن ابن عباس بعدذلك من الاختلاف فحدثنى محمد بن عمر والباهلى قال حدثنا أبوعاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال اضاءة البرق واظلامه على نحو ذلك المثل وحدثنى المثنى قال حدثنا أبوحذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا عمرو بن على قال حدثنا أبوعاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة فى قول الله فيه ظلمات و رعد و برق الى قوله واذا أظلم عليهم قاموا فالمنافق اذا رأى فى الاسلام رخاء أو طمانينة أو سلوة من عيش قال أنا معكم وانا منكم واذا أصابته شدة حقحق والله عندها فانقطع به فلم يصبر على بلائها ولم يحتسب أجرها ولم يرج عاقبتها وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فيه ظلمات ورعد وبرق يقول أخبر عن قوم لا يسمعون شيأ الا ظنوا انهم هالكون فيه حذرا من الموت والله محيط بالكافرين ثم ضرب لهم مثلا آخر فقال يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه يقول هذا المنافق اذا كثر ماله وكثرت ماشيته وأصابته عافية قال لم يصبنى منذ دخلت فى دينى هذا الا خير واذا أظلم عليهم قاموا يقول اذا ذهبت أموالهم وهلكت مواشيهم وأصابهم البلاء قاموا متحيرين وحدثنى المثنى قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن عبدالله بن جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فيه ظلمات و رعد و برق قال مثلهم كمثل قوم ساروا فى ليلة مظلمة ولها مطر و رعد و برق على جادة فلما أبرقت أبصروا الجادة فمضوا فيها واذا ذهب البرق تحيروا وكذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الاخلاص أضاء له فاذا شك تحير و وقع فى الظلمة فكذلك قوله كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ثم قال فى أسماعهم وأبصارهم التى عاشوا بها فى الناس ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ۞ قال أبوجعفر وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا أبوتميلة عن عبيد بن سليمان الباهلى عن الضحاك فيه ظلمات قال أما الظلمات فالضلالة والبرق الايمان وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنى عبدالرحمن بن زيد فى قوله فيه ظلمات و رعد و برق فقرأ حتى بلغ ان الله على كل شئ قدير قال هذا أيضا مثل ضربه الله للمنافقين كانوا قد استناروا بالاسلام كما استنار هذا بنور هذا البرق وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج ليس شئ فى الارض سمعه المنافق الا ظن انه يراد به وانه الموت كراهية له والمنافق أكره خلق الله للموت كما اذا كانوا بالبراز فى المطر فروا من الصواعق حدثنا عمرو بن على قال حدثنا أبومعاوية قال حدثنا ابن جريج عن عطاء فى قوله أو كصيب من السماء فيه ظلمات و رعد و برق قال مثل ضرب للكافر وهذه الاقوال التى ذكرنا عمن رويناها عنه فانها وان اختلفت فيها ألفاظ قائليها متقاربات المعانى لانها جميعا تنبئ عن ان الله ضرب الصيب لظاهر ايمان المنافق مثلا ومثل ما فيه من ظلمات بضلالته وما فيه من ضياء برق بنور ايمانه واتقاءه من الصواعق بتصيير أصابعه فى أذنيه بضعف جنانه وتحير فؤاده من حلول عقوبة الله بساحته ومشيه فى ضوء البرق باستقامته على نور ايمانه وقيامه فى الظلام بحيرته فى ضلالته وارتكاسه فى عمهه فتأويل الآية اذا اذا كان الامر على ما وصفنا أو مثل ما استضاء

أجوبة العامة سواقى الى أفهامهم بقدر طاقتهم وهذا ماخوذ مما ورد فى الخبر للعلماء سر وللخلفاء سر وللانبياء سر وللملائكة سر ولله من بعد ذلك كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لابادوهم ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو اطلع الانبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة على سر الله لطاحوا حائرين و بادوا بائدين والسبب فى ذلك ان العقول الضعيفة لا تحتمل الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس أبصار الخفافيش وسئل الشعبى عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وقيل هو من المتشابه و زيف هذا القول بنحو قوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن تبيانا لكل شئ هدى للمتقين وانما يمكن التدبر و يكون تبيانا وهدى اذا كان مفهوما و بقوله صلى الله عليه وسلم انى تركت فيكم الثقلين ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم وأيضا لا يخاطب المكلف بما لا يفهمه كما لا يخاطب العربى بالعجمى ولا يجوز التحدى بما لا يكون معلوما وعورض بقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والوقف هنا لان الراسخين لو كانوا عالمين بتأويله كان الايمان به كالايمان بالمحكم فلا يكون فى الايمان به مزيد مدح ولا يكون فى قوله كل من عند ربنا فائدة على ما لا يخفى و بقوله صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد روينا عن أكابر الصحابة ما روينا وأيضا الافعال التى كلفنا بها منها ما يظهر وجه الحكمة فيه كالصلاة فان فيها تواضعا للمعبود والصوم ففيه كسر الشهوة والزكاة ففيها سد خلة المساكين ومنها ما لا يظهر فيه الحكمة ككثير من أفعال الحج ويحسن من الله تعالى الامر بالنوعين لظهور الامتثال بهما بل كمال الانقياد فى النوع الثانى أظهر وأكثر فلم لا يجوز ان يكون فى الاقوال أيضا مثل ذلك مع ان فيه فائدة أخرى هى اشتغال السر بذكر الله والتفكر فى كلامه * القول الثانى ان المراد من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه الاول انها أسماء وهو قول أكثر المتكلمين واختاره الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة بن لام الطائى وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين ولجبل قاف وللحوت نون وسيجئ تمام الكلام فى هذا القول الثانى انها أسماء الله تعالى روى عن على عليه السلام انه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق

و يقرب منه ما روى عن سعيد بن جبير انها ابعاض أسماء الله تعالى فان الر وحم ون مجموعها اسم الرحمن لكنا لا نقدر على كيفية تركيبها فى الجميع * الثالث انها أسماء القرآن وهو قول الكلبي والسدي وقتادة * الرابع كل واحد من الحروف دال على اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته فالالف اشارة الى انه أحد أول آخر أزلى ابدى والالام اشارة الى أنه لطيف والميم الى انه مجيد ملك منان وفى كهيعص الكاف كاف لعباده والهاء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق أو الكاف محمول على الكبير والكريم والياء على انه مجير والعين على العزيز والعدل ويروى هذا عن ابن عباس وعنه أيضا فى الم أنا الله أعلم وفى المص أنا الله اعلم وافصل وفى الر أنا الله أرى * الخامس انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده قاله محمد ابن كعب القرظى * السادس الالف من الله واللام من جبرائيل والميم من محمد صلى الله عليه وسلم أى أنزل الله الكتاب بواسطة جبرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم * السابع الالف أنا واللام لى والميم منى قاله بعض الصوفية * الثامن ان ورودها مسرودة هكذا على نمط التعديد ليكون كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن أى أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه كلام خالق القدر لم يعجز معشر البشر عن الاتيان بمثل الكوثر قاله المبرد وجم غفير * التاسع كأنه تعالى يقول اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك وهذا على طريقة تعليم الصبيان قاله عبد العزيز ابن يحيى * العاشر ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه أنزل الله تعالى هذه الاحرف رغبة فى اسماعهم ليهجم عليهم القرآن من حيث لا يشعرون قاله أبو روق وقطرب * الحادى عشر قول أبى العالية انه حسب على ما روى عن ابن عباس انه مر أبو ياسر بن أخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو سورة البقرة الم ذلك الكتاب ثم أتى أخوه حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف فسألوا عن الم وقالوا ننشدك الله الذى لا اله الا هو أحق انها أتتك من السماء فقال صلى الله عليه وسلم نعم كذلك نزلت فقال حيي ان كنت صادقا انى لاعلم اجل هذه الامة من السنين ثم قال كيف ندخل فى دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى مدته

به المنافقون من قيلهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بالسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر وبمحمد وما جاء به حتى صار لهم بذلك فى الدنيا أحكام المؤمنين وهم مع اظهارهم بالسنتهم ما يظهرون بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وباليوم الآخر مكذبون وبخلاف ما يظهرون بالالسن فى قلوبهم معتقدون على عمى منهم وجهالة بما هم عليه من الضلالة لا يدرون أى الامرين اللذين قد شرعا لهم الهداية فى الكفر الذى كانوا عليه قبل ارسال الله محمدا صلى الله عليه وسلم بما أرسله به اليهم أم فى الذى أتاهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربهم فهم من وعيد الله اياهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وجلون وهم مع وجلهم من ذلك فى حقيقته شاكون فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا كمثل غيث سرى ليلا فى مزنة ظلماء وليلة مظلمة يحدوها رعد ويستطير فى حافاتها برق شديد لمعانه كثير خطرانه يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ويختطفها من شدة ضيائه ونور شعاعه وينهبط منها تارات صواعق تكاد تدع النفوس من شدة أهوالها زواهق فالصيب مثل لظاهر ما أظهر المنافقون بالسنتهم من الاقرار والتصديق والظلمات التى هى فيه لظلمات ما هم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلوب وأما الرعد والصواعق فلما هم عليه من الوجل من وعيد الله اياهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فى آى كتابه اما فى العاجل واما فى الآجل ان يحل بهم مع شكهم فى ذلك هل هو كائن أم غير كائن وهل له حقيقة أم ذلك كذب وباطل مثل فهم من وجلهم ان يكون ذلك حقا يتقونه بالاقرار بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بالسنتهم مخافة على أنفسهم من الهلاك ونزول النقمات وذلك تأويل قوله جل ثناؤه يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت يعنى بذلك يتقون وعيد الله الذى أنزله فى كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بما يبدونه بالسنتهم من ظاهر الاقرار كما يتقى الخائف أصوات الصواعق بتغطية أذنيه وتصيير أصابعه فيها حذرا على نفسه منها وقد ذكرنا الخبر الذى روى عن ابن مسعود وابن عباس انهما كانا يقولان ان المنافقين كانوا اذا حضروا مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلوا أصابعهم فى آذانهم فرقا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل فيهم شئ أو يذكروا بشئ فيقتلوا فان كان ذلك صحيحا ولست أعلمه صحيحا اذ كنت باسناده مرتابا فان القول الذى روى عنهما هو القول وان يكن غير صحيح فأولى بتأويل الآية ما قلنا لان الله انما قص علينا من خبرهم فى أول مبتدأ قصصهم انهم يخادعون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر مع شك قلوبهم ومرض أفئدتهم فى حقيقة ما زعموا انهم به مؤمنون مما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربهم وبذلك وصفهم فى جميع آى القرآن التى ذكر فيها صفتهم فكذلك ذلك فى هذه الآية وانما جعل الله ادخالهم أصابعهم فى آذانهم مثلا لاتقائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بما ذكرنا انهم يتقونهم كما يتقى سامع صوت الصاعقة بادخال أصابعه فى أذنيه وذلك من المثل نظير تمثيل الله جل ثناؤه ما أنزل فيهم من الوعيد فى آى كتابه بأصوات الصواعق وكذلك قوله حذر الموت جعله جل ثناؤه مثلا لخوفهم واشفاقهم من حلول عاجل العقاب المهلك الذى توعده بساحتهم كما يجعل سامع أصوات الصواعق أصابعه فى أذنيه حذر العطب والموت على نفسه ان تزهق من شدتها وانما نصب قوله

حذر

حـذر الموت عـلى نحو ما تنصب به فى التكرمة فى قوله زرتك تكرمة لك تريد بذلك من أجل تكرمتك وكما قال جل ثناؤه و يدعوننا رغبا ورهبا على التفسير للفعل وقد روى عن قتادة انه كان يتاول قوله حذر الموت حذرا من الموت حدثنا بذلك الحسـن بن يحيى قال حدثنا عبـد الرزاق قال أنبانا معمر عنه وذلك مذهب من التأويل ضـعيف لان القوم لم يجعلوا أصابعهـم فى آذانهم حذرا من الموت فيكون معناه ما قال انه مراد به حذرا من الموت وانما جعلوها من حذار الموت فى آذانهم وكان قتادة وابن جريج يتاولان قوله يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت ان ذلك من الله جل ثناؤه صفة للمنافقين بالهلع وضعف القلوب وكراهة الموت و يتاولان فى ذلك قوله يحسبون كل صيحة عليهم وليس الامر فى ذلك عندى كالذى قالا وذلك انه قد كان فيهم من لا تنكر شجاعته ولا تدفع بسالته كقزمان الذى لم يقم مقامه باحد من المؤمنين كثـيرأحـد ودونه وانما كانت كراهتهم شهود المشاهد مع رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وتركهم معاونته على أعدائه لانهم لم يكونوا فى أديانهم مستبصرين ولا برسول الله صـلى الله عليه وسـلم مصدقين فكانوا للحضور معه مشاهده كارهين الا بالتخذير عنه ولكن ذلك وصف من الله جل ثناؤه لهم بالاشفاق من حلول عقوبة الله بهم على نفاقهم اما عاجلا واما آجلا ثم أخبر جـل ثناؤه ان المنافقين الذين نعتهم النعت الذى ذكر وضرب لهم الامثال التى وصف وان اتقوا عقابه وأشفقوا عذابه أشفاق الجاعل فى أذنيه أصابعه حذار حلول الوعيد الذى توعدهم به فى آى كتابه غير منجيهم ذلك من نزوله بعقوبتهم وحلوله بساحتهم اما عاجلا فى الدنيا واما آجـلا فى الآخرة للذى فى قلوبهم من مرضـها والشك فى اعتقادها فقال والله محيط بالكافرين يعنى جامعهـم فمحل بهـم عقوبته وكان مجاهد يتاول ذلك كما حدثنى محمد بن عمرو الباهلى قال حـدثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله والله محيط بالكافرين قال جامعهم فى جهنم وأما ابن عباس فروى عنـه فى ذلك ما حدثنى به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس والله محيط بالكافرين يقول الله منزل ذلك بهم من النقـمة حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله والله محيط بالكافرين قال جامعهم ثم عاد جل ذكره الى نعت اقرار المنافقين بالسنتهم والخبر عنه وعنهم وعن نفاقهم واتمام المثل الذى ابتدأ ضربه لهم ولشكهم ومرض قلوبهم فقال يكاد البرق يعـنى بالبرق الاقرار الذى أظهروه بالسنتهم بالله وبرسوله وما جاء به من عند ربهم فجعل البرق له مثلا على ما قدمنا صفته يخطف أبصارهم يعنى يذهب بها ويستلبها ويلتمعها من شدة ضيائها ونور شعاعها حدثت عن المنجاب ابن الحارث قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله يكاد البرق يخطف أبصارهم يعنى يذهب بها ولما يفعل ۞ قال أبو جعفر والخطف السلب ومنه الخبر الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الخطفة يعنى بها النهبة ومنه قيل للخطاف الذى يخرج به الدلو من البئر خطاف لاختطافه واستلابه ما علق به ومنه قول نابغة بنى ذبيان

خطاطيف حجن فى حبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع

احدى وسبعون سنة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حيى فهل غير ذلك فقال نعم المص فقال حيى هذا أثقل وأطول احدى وستون فهل غير هذه فقال نعم الر فقال حيى نشهد ان كنت صادقا ما ملكت أمتك الا مائتين واحدى وثلاثين سنة فهل غير هذا قال نعم المر قال حيى لا ندرى باى أقوالك نأخذ فقال أبو ياسر اما أنا فاشهد ان أنبياءنا قد أخبروا عن ملك هذه الامة ولم يبينوا أنها كم تكون فان كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا فيما يقوله انى لاراه يستجمع له هذا كله فقام اليهود وقالوا اشتبه علينا أمرك فأنزل الله تعالى هو الذى أنزل عليـك الكتاب منـه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات * الثانى عشر تدل على انقطاع كلام واستئناف كلام آخر * الثالث عشر قـول الاخفش ان الله تعالى أقسم بهذه الحروف المعجـمة لشرفها مـن حيث انها أصول اللغات بها يتعارفـون ويذكرون الله ويوحدونه واقتصر على البعض والمراد الكل كما تقول قرأت الحمد وتريد السورة كلها أقسم الله بها ان هذا الكتاب هو المثبت فى اللوح المحفوظ * الرابع عشر ان النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون وأهل الخط والكتاب بخلاف النطق بأسامى الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ فلما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بها من غير تعلم خط وقراءة كان ذلك دليلا على انه استفاد ذلك من قبل الوحى * الخامس عشر قال القاضى الماوردى معناه الم بكم ذلك الكتاب أى نزل وهذا لا يتاتى فى كل فاتحة * السادس عشر الالف اشارة الى ما لا بد منه من الاستقامة على الشريعة فى أول الامر ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واللام اشارة الى الحاصل عند المجاهدات وهو رعاية الطريقة والذين جاهدوا فينا لنهدينهم اشارة الى صيرورة العبد فى مقام المحبة كالدائرة التى يكون نهايتها عين بدايتها وهو مقام الفناء فى الله بالكلية وهو الحقيقة قل الله ثم ذرهـم * السابع عشر الالف من أقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة وهو آخر المخارج أى أول ذكر العبد ووسطه وآخره لا ينبغى الا الله * الثامن عشر عن بعض الصوفية ان هذه الحروف منها [illegible]

بعد حذف المكرر أربعة عشر نصف عدد حروف المعجم بعد الكسر وقد أورد الله الفواتح فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهذه الباقية تشتمل على انصاف اجناس الحروف من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والواو والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها ا كطق ومن الرخوة نصفها لمر صهسعين ومن المطبقة نصفها ص ط ومن المنفتحة نصفها الركهو س ج ف ى ت ومن المستعلية نصفها ق ص ط ومن

فجعل ضوء البرق وشدة شعاع نوره كضوء اقرارهم بالسنتهم بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله واليوم الآخر وشعاع نوره مثلا ثم قال كلما أضاء لهم يعنى ان البرق كلما أضاء لهم وجعل البرق لايمانهم مثلا وانما أراد بذلك انهم كلما أضاء لهم الايمان واضاءته لهم ان يروا فيه ما يعجبهم فى عاجل دنياهم من النصرة على الاعداء واصابة الغنائم فى المغازى وكثرة الفتوح وتتابعها والثراء فى الاموال والسلامة فى الابدان والاهل والاولاد فذلك اضاءته لهم لانهم انما يظهرون بالسنتهم ما يظهرونه من الاقرار ابتغاء ذلك ومدافعة عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم وذراريهم كما وصفهم جل ثناؤه بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ويعنى بقوله مشوا فيه مشوا فى ضوء البرق وانما ذلك مثل لاقرارهم على ما وصفنا فمعناه كلما رأوا فى الايمان ما يعجبهم فى عاجل دنياهم على ما وصفنا ثبتوا عليه وأقاموا فيه كما يمشى السائر فى ظلمة الليل وظلمة الصيب الذى وصفه جل ثناؤه اذا برقت فيها بارقة أبصر طريقه فيها واذا أظلم يعنى ذهب ضوء البرق عليهم يعنى بقوله عليهم على السائر فى الصيب الذى وصف جل ذكره وذلك للمنافقين مثل ومعنى اظلامه ذلك ان المنافقين كلما لم يروا فى الاسلام ما يعجبهم فى دنياهم عند ابتلاء الله مؤمنى عباده بالضراء وتمحيصه اياهم بالشدائد والبلاء من اخفاقهم فى مغزاهم وانالة عدوهم منهم أو ادبار من دنياهم عنهم أقاموا على نفاقهم وثبتوا على ضلالتهم كما قام السائرون فى الصيب الذى وصف جل ذكره اذا أظلم وخفت ضوء البرق فحار فى طريقه فلم يعرف منهجه ۞ القول فى تأويل قوله (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) قال أبو جعفر وانما خص جل ذكره السمع والابصار بانه لو شاء أذهبها من المنافقين دون سائر أعضاء أجسامهم للذى جرى من ذكرها فى الآيتين أعنى قوله يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق وقوله يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه فجرى ذكرها فى الآيتين على وجه المثل ثم عقب جل ثناؤه ذكر ذلك بانه لو شاء أذهبه من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم وعيدا من الله لهم كما توعدهم فى الآية التى قبلها بقوله والله محيط بالكافرين واصفا بذلك جل ذكره نفسه انه المقتدر عليهم وعلى جمعهم لاحلال سخطه بهم وانزال نقمته عليهم ومحذرهم بذلك سطوته ومخوفهم به عقوبته ليتقوا بأسه ويسارعوا اليه بالتوبة كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم لما تركوا من الحق بعد معرفته و حدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال ثم قال يعنى قال الله فى اسماعهم يعنى اسماع المنافقين وأبصارهم التى عاشوا بها فى الناس ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ۞ قال أبو جعفر وانما معنى قوله لذهب بسمعهم وأبصارهم لاذهب سمعهم وأبصارهم ولكن العرب اذا أدخلوا الباء فى مثل ذلك قالوا ذهبت ببصره واذا حذفوا الباء قالوا أذهبت بصره كما قال جل ثناؤه آتنا غداءنا ولو أدخلت الباء فى الغداء لقيل ائتنا بغدائنا ۞ قال أبو جعفر فان قال لنا قائل وكيف قيل لذهب بسمعهم فوحد وقال وأبصارهم فجمع وقد علمت ان الخبر فى السمع خبر عن سمع جماعة كما الخبر فى الابصار خبر عن ابصار جماعة قيل قد اختلف أهل العربية فى

ذلك

المخفضة نصفها الم ر ك ه ى ع س ح ن ومن حروف القلقلة نصفها ق ط وأكثر ألفاظ القرآن من هذه الحروف وهذا دليل على ان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التى منها تراكيب كلامهم تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم كما مر فى الوجه الثامن ويؤيد ذلك ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما جاءتا فى معظم هذه الفواتح مكررتين والله أعلم * التاسع عشر قيل معناه ألست بربكم الالف واللام من أوله والميم من آخره أى أخذت منكم كتاب العهد فى يوم الميثاق والمختار من هذه الاقوال عند الاكثرين القول بانها أسماء السور ثم انه عورض بوجوه الاول انا نجد سورا كثيرة اتفقت فى التسمية بالم وحم والمقصود من العلم رفع الاشتباه * الثانى لو كانت أسماء لاشتهرت وتواترت * الثالث العرب لم يتجاوز واما سموا به مجموع اسمين نحو معديكرب وبعلبك ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة فالقول بانها أسماء السور خروج عن لغتهم * الرابع لو كانت أسماء لاشتهرت السور بها لكنها اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وآل عمران * الخامس هذه الالفاظ داخلة فى السور وجزؤه وجزء الشئ متقدم على الشئ بالرتبة واسم الشئ متأخر عن الشئ فلزم ان يكون متقدما متأخرا معا وهو محال وليس هذا كتسميتهم صاد للحرف الاول منه فان هذا كتسمية المفرد بالمؤلف فلا يلزم الا تأخر المركب عن المفرد بوجهين وهذا تسمية المؤلف بالمفرد ويلزم المحال المذكور وأجيب عن الاول بما يجاب عن الاعلام المشتركة من انها ليست بوضع واحد مع انه لا يبعد ان تجعل مشتركا حتى يتميز كل واحد من الآخر بعلامة أخرى لحكمة تخفية وعن الثانى بان تسمية السورة بلفظة معينة ليست من

ذلك فقال بعض نحوى الكوفة وحد السمع لانه عنى به المصدر وقصد به الجزء وجمع الابصار لانه عنى به الاعين وكان بعض نحوى البصرة يزعم ان السمع وان كان فى لفظ واحد فانه بمعنى جماع ويحتج فى ذلك بقول الله لا يرتد اليهم طرفهم يريد لا ترتد اليهم أطرافهم وبقوله ويولون الدبر يراد به ادبارهم وانما جاز ذلك عندى لان فى الكلام ما يدل على انه مراد به الجمع فكان فيه دلالة على المراد منه وأدى معنى الواحد من السمع عن معنى جماعة مغنيا عن جماعة ولو فعل بالبصر نظير الذى فعل بالسمع أو فعل بالسمع نظير الذى فعل بالابصار من الجمع والتوحيد كان فصيحا صحيحا لما ذكرنا من العلة كما قال الشاعر

كلوا فى نصف بطنكم تعيشوا * فان زمانناز من خميص

فوحد البطن والمراد منه البطون لما وصفنا من العلة ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (ان الله على كل شئ قدير) وانما وصف نفسه جل ذكره بالقدرة على كل شئ فى هذا الموضع لانه حذر المنافقين باسه وسطوته وأخبرهم انه بهم محيط وعلى اذهاب اسماعهم وأبصارهم قدير ثم قال فاتقونى أيها المنافقون واحذروا خداعى وخداع رسولى وأهل الايمان بى لا أحل بكم نقمتى فانى على ذلك وعلى غيره من الاشياء قادر ومعنى قدير معنى قادر كما معنى عليم عالم على ما وصفت فيما تقدم من نظائره من زيادة معنى فعيل على فاعل فى المدح والذم ۞ القول فى تاويل قول الله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم) قال أبو جعفر فامر جل ثناؤه الفريقين الذين أخبرا عن أحدهما انه سواء عليهم أنذروا أو لم ينذروا انهم لا يؤمنون لطبعه على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم وعن الآخر انه يخادع الله والذين آمنوا بما يبدى بلسانه من قيله آمنا بالله وباليوم الآخر مع استبطانه خلاف ذلك ومرض قلبه وشكه فى حقيقة ما يبدى من ذلك وغيرهم من سائر خلقه المكلفين بالاستكانة والخضوع له بالطاعة وافراد الربوبية له والعبادة دون الاوثان والاصنام والآلهة لانه جل ذكره هو خالقهم وخالق من قبلهم من آبائهم وأجدادهم وخالق أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم فقال لهم جل ذكره فالذى خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائر الخلق غيركم وهو يقدر على ضركم ونفعكم أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نفع ولا ضر وكان ابن عباس فيما روى لنا عنه يقول فى ذلك نظير ما قلنا فيه غير انه كان يقول فى معنى اعبدوا ربكم وحدوا ربكم وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على ان معنى العبادة الخضوع لله بالطاعة والتذلل له بالاستكانة والذى أراد ابن عباس ان شاء الله بقوله فى تاويل قوله اعبدوا ربكم وحدوه أى أفردوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال الله يا أيها الناس اعبدوا ربكم للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين أى وحدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم وحدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد عن أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم يقول خلقكم وخلق الذين من قبلكم

الامور العظام التى يتوفر الدواعى على نقلها وعن الثالث بان التسمية بثلاثة أسماء خروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا تاما منثورة نثر اسماء فلا استنكار لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية نحو برق نحره وكما لو سمى ببيت شعر ابطا ئفة من أسماء حروف المعجم وعن الرابع انه لا يبعد ان يصير اللقب أشهر من الاسم وعن الخامس ان تأخرها هو متقدم باعتبار آخر غيره مستحيل وفى لسان الصوفية ان هيئة الصلاة ثلاث القيام والركوع والسجود فالالف اشارة الى القيام واللام الى الركوع والميم الى السجود أى من قرأ فاتحة الكتاب فى الصلاة التى هى معراج المؤمن شرفه الله بالهداية فى قوله هدى للمتقين وعلى هذا فيكون ذلك الكتاب اشارة الى الفاتحة لانها أم الكتاب ثم ان هذه الاسماء ضربان أحدهما ما لا يتاتى فيه الاعراب نحو كهيعص المر وثانيهما ما يتاتى فيه الاعراب لكونه اسما فردا كصاد وقاف ونون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكقولك طسم اذا فتح نونها صار كدارابجرد فالنوع الاول محكى ليس الا والثانى فيه أمران الاعراب والحكاية فاذا أعرب منع الصرف للعلمية والتانيث قال شعر

يذكرحاميم والرمح شاجر
فهلا تلا حاميم قبل التقدم

والحكاية ان تجىء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته نحو قولك بدأت بالحمد لله قال ذو الرمة شعر

سمعت الناس ينتجعون غيثا
فقلت لصيدح انتجعى بلالا

وأما من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات فبفعل مضمر نحو اذكر وحركت لالتقاء الساكنين واستكره جعلها مقسما بها على طريق قولهم نعم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لان القرآن والقلم بعدها محلوف بهما واستكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد ولهذا قال الخليل الواو الثانية فى قوله عز من قائل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى واو العطف لا القسم نحو وحياتى ثم حياتك لافعلن ولو كان انقضى قسمه بالاول على شئ لجاز ان يستعمل كلاما آخر نحو بالله لافعلن تالله لاخرجن ولا سبيل فيما نحن بصدده الى جعل الواو للعطف لمخالفة الثانى الاول فى الاعراب اللهم الا أن يقدر مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا غير انها فتحت فى موضع الجر لكونها غير مصروفة واما من قرأ صاد وقاف بالكسر فلالتقاء الساكنين وهذه الفواتح جاءت فى المصحف مكتوبة

﴿ قال أبو جعفر وهذه الآية من أدل دليل على فساد قول من زعم ان تكليف ما لا يطاق الا بمعونة الله غير جائز الا بعد اعطاء الله المكلف المعونة على ما كلفه وذلك ان الله أمر من وصفنا بعبادته والتوبة من كفره بعد اخباره عنهم انهم لا يؤمنون وانهم على ضلالتهم لا يرجعون ﴿ القول في تأويل قوله (لعلكم تتقون) قال أبو جعفر وتأويل ذلك لعلكم تتقون بعبادتكم ربكم الذي خلقكم وطاعتكم اياه فيما أمركم به ونهاكم عنه وافرادكم له بالعبادة لتتقوا سخطه وغضبه ان يحل عليكم وتكونوا من المتقين الذين رضي عنهم ربهم وكان مجاهد يقول في تأويل قوله لعلكم تتقون تطيعون حدثنا ابن وكيع قال حدثني أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لعلكم تتقون قال لعلكم تطيعون ﴿ قال أبو جعفر والذي أظن ان مجاهدا أراد بقوله هذا لعلكم ان تتقوا ربكم بطاعتكم اياه واقلاعكم عن ضلالتكم ﴿ قال أبو جعفر فان قال لنا قائل فكيف قال جل ثناؤه لعلكم تتقون أولم يكن عالما بما يصير اليه أمرهم اذا هم عبدوه وأطاعوه حتى قال لهم لعلكم اذا فعلتم ذلك ان تتقوا فأخرج الخبر عن عاقبة عبادتهم اياه مخرج الشك قيل ذلك على غير المعنى الذي توهمت وانما معنى ذلك اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لتتقوه بطاعته وتوحيده وافراده بالربوبية والعبادة كما قال الشاعر

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا * نكف ووثقتم لنا كل موثق
فلما كففنا الحرب كانت عهودكم * كلمح سراب في الملا متألق

يريد بذلك قلتم لنا كفوا لنكف وذلك ان لعل في هذا الموضع لو كان شكا لم يكونوا وثقوا لهم كل موثق ﴿ القول في تأويل قوله (الذي جعل لكم الارض فراشا) وقوله الذي جعل لكم الارض فراشا مردود على الذي الاولى في قوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم وهما جميعا من نعت ربكم فكأنه قال اعبدوا ربكم الخالقكم والخالق الذين من قبلكم الجاعل لكم الارض فراشا يعني بذلك انه جعل لهم الارض مهادا موطنا وقرارا يستقر عليها يذكر ربنا جل ذكره بذلك من قيله زيادة نعمه عليهم وآلاءه لديهم ليذكروا أياديه عندهم وينيبوا الى طاعته تعطفا منه بذلك عليهم ورأفة منه بهم ورحمة لهم من غير ما حاجة منه الى عبادتهم ولكن ليتم نعمته عليهم ولعلهم يهتدون كما حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي جعل لكم الارض فراشا فهي فراش يمشى عليها وهي المهاد والقرار وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة الذي جعل لكم الارض فراشا قال مهادا لكم وحدثني المثنى قال حدثنا اسحق عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس الذي جعل لكم الارض فراشا أي مهادا ﴿ القول في تأويل قوله (والسماء بناء) قال أبو جعفر وانما سميت السماء سماء لعلوها على الارض وعلى سكانها من خلقه وكل شئ كان فوق شئ آخر فهو لما تحته سماء ولذلك قيل لسقف البيت سماؤه لانه فوقه مرتفع عليه ولذلك قيل سما فلان لفلان اذا أشرف له وقصد نحوه عاليا عليه كما قال الفرزدق

على صور الحروف أنفسها الا على صور أساميها الان المألوف انه اذا قيل للكاتب اكتب صادا مثلا فانه يكتب مسماها ص وأيضا اشتهار أمرها بان المراد بها الاسامي لا المسميات أمن وقوع اللبس فيها وأيضا خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لان المعتبر هناك الملفوظ ومن لم يجعل هذه الفواتح أسماء السور فلا محل لها عنده كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعدودة ومن جعلها أسماء السور فسنخبرك عن تأليفها مع مابعدها الله حسبي * البحث الثاني في قوله ذلك الكتاب وفيه مسائل الاولى انما صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد لانه وقعت الاشارة بذلك الى الم بعد ما سبق التكلم به والمنقضي في حكم المتباعد ولهذا يحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا أولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيأ احتفظ بذلك أولانه وان كان حاضرا نظرا الى ألفاظه لكنه غائب نظرا الى اسراره وحقائقه أولانه على مقتضى الوضع اللغوي لا العرفي أولانه اشارة الى ما نزل بمكة قبل سورة البقرة وقد يسمى بعض القرآن قرآنا أولانه اشارة على ما وعد به الرسول عند مبعثه انا سنلقي عليك قولا ثقيلا أولانه اشارة الى ما أخبر به الانبياء ان الله ينزله على النبي المبعوث من ولد اسمعيل أو المراد ان هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ كقوله وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم الثانية انما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة في بعض الوجوه نظرا الى صفته وهو الكتاب كقولك هند ذلك الانسان قال الذبياني

نبئت نعما على الهجران عاتبة
سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري

وان جعلت الكتاب خبرا فنظرا الى ان ذلك في معناه ومسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما أجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت أمك الثالثة القرآن أسماء كثيرة منها الكتاب والقرآن وقد تقدم سمونا ومنها الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان لانه نزل متفرقا في نيف وعشرين سنة أولانه يفرق بين الحق والباطل ومنها التذكرة والذكرى والذكر وانه لتذكرة للمتقين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وانه لذكر لك ولقومك أي ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه أو شرف وفخر ومنها التنزيل وانه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل أحسن الحديث شبهه بما يتحدث به فان الله تعالى

سم ونا النجران اليماني وأهله * ونجران أرض لم تدب مغاوله

وكما قال نابغة بني ذبيان

سمت لي نظرة فرأيت منها * تحيت الخدر ناصعة القوام

يريد بذلك أنه شرفت لي نظرة وبدت فكذلك السماء سميت للارض سماء لعلوها واشرافها عليها كما حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والسماء بناء فبناء السماء على الارض كهيئة القبة وهي سقف على الارض وحدثنا بشر ابن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة في قول الله والسماء بناء قال جعل السماء سقفا لك وانما ذكر السماء والارض جل ثناؤه فيما عدد عليهم من نعمه التي أنعمها عليهم لان منها أقواتهم وأرزاقهم ومعايشهم وبها قوام دنياهم فاعلمهم ان ذلك الذي خلقهما وخلق جميع ما فيهما وما فيهم من النعم هو المستحق عليهم الطاعة والمستوجب منهم الشكر والعبادة دون الاصنام والاوثان التي لا تضر ولا تنفع ۞ القول في تأويل قول الله جل ثناؤه (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) يعني بذلك انه أنزل من السماء مطرا فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الارض من زرعهم وغرسهم ثمرات رزقا لهم غذاء وأقواتا فنبههم بذلك على قدرته وسلطانه وذكرهم به آلاءه لديهم وانه هو الذي خلقهم وهو الذي يرزقهم ويكفلهم دون من جعلوه له ندا وعدلا من الاوثان والآلهة ثم زجرهم عن أن يجعلوا له ندا مع علمهم بان ذلك كما أخبرهم وانه لا ند له ولا عدل ولا لهم نافع ولا ضار ولا خالق ولا رازق سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا) قال أبو جعفر والانداد جمع ند والند العدل والمثل كما قال حسان بن ثابت

أتهجوه ولست له بند * فشركما لخيركما الفداء

يعني بقوله ولست له بند لست له بمثل ولا عدل وكل شيء كان نظيرا لشيء وشبيها فهو له ند كما حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة فلا تجعلوا لله أندادا أي عدلا وحدثني المثنى قال حدثني أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا تجعلوا لله أندادا أي عدلا وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا تجعلوا لله أندادا قال أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله فلا تجعلوا لله أندادا قال الانداد الآلهة التي جعلوها معه وجعلوا لها مثل ما جعلوا له وحدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله فلا تجعلوا لله أندادا قال أشباها حدثني محمد بن سنان قال حدثنا أبو عاصم عن شبيب عن عكرمة فلا تجعلوا لله أندادا أي تقولوا لولا كلبنا لدخل علينا اللص الدار لولا كلبنا صاح في الدار ونحو ذلك فنهاهم الله تعالى جل ذكره ان يشركوا به شيئا وان يعبدوا غيره أو يتخذوا له ندا وعدلا في الطاعة فقال كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي اياكم ونعمتي التي

خاطب به المكافين ومنها الموعظة قد جاءتكم موعظة من ربكم ومنها الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وكذلك أنزلناه حكما عربيا حكمة بالغة يس والقرآن الحكيم كتاب فصلت آياته ومنها الشفاء والرحمة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنها الهدى والهادي هدى للمتقين ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ومنها الصراط المستقيم وأن هذا صراطي مستقيما ومنها حبل الله واعتصموا بحبل الله جميعا ومنها الروح وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا لانه سبب لحياة الارواح ومنها القصص ان هذا لهو القصص الحق ومنها البيان والتبيان والمبين هذا بيان للناس تبيانا لكل شيء تلك آيات الكتاب المبين ومنها البصائر هذا بصائر من ربكم ومنها الفصل انه لقول فصل ومنها النجوم فلا أقسم بمواقع النجوم لانه نزل نجما نجما ومنها المثاني مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم لانه يثني فيه القصص والاخبار ومنها النعمة وأما بنعمة ربك فحدث قال ابن عباس أي القرآن ومنها البرهان قد جاءكم برهان من ربكم ومنها البشير والنذير قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا ومنها القيم قيما لينذر بأسا شديدا ومنها المهيمن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ومنها النور واتبعوا النور الذي أنزل معه ومنها الحق وانه لحق اليقين ومنها العزيز وانه لكتاب عزيز ومنها الكريم انه لقرآن كريم ومنها العظيم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ومنها المبارك كتاب أنزلناه اليك مبارك فهذه جملة الاسماء وسيجيء تفاسيرها في مواضعها * الرابعة في تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول أي هو الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية وكقوله شعر * هم القوم كل القوم يا أم خالد * وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف أي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا أو بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم وذلك الكتاب جملة أخرى وفقد العاطف لان الثانية بيان للاولى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل أو الكتاب صفة والخبر ما بعده أو قدر مبتدأ

أنعمتها عليكم فكذلك فافردوا لى الطاعة وأخلصوا لى العبادة ولا تجعلوا لى شريكا وندا من خلقى فانكم تعلمون ان كل نعمة عليكم منى ۞ القول فى تاويل قوله (وأنتم تعلمون) اختلف أهل التاويل فى الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها جميع المشركين من مشركى العرب وأهل الكتاب وقال بعضهم عنى بذلك أهل الكتابين التوراة والانجيل ذكر من قال عنى بها جميع عبدة الاوثان من العرب وكفار أهل الكتابين حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزل ذلك فى الفريقين جميعا من الكفار والمنافقين وانما عنى بقوله فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون أى لا تشركوا بالله غيره من الانداد التى لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون انه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم ان الذى يدعوكم اليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه حدثنا بشر قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة فى قوله وأنتم تعلمون أى تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والارض ثم تجعلون له أندادا * ذكر من قال عنى بذلك أهل الكتابين حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن رجل عن مجاهد فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون انه اله واحد فى التوراة والانجيل وحدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا قبيصة قال حدثنا سفيان عن مجاهد مثله وحدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنتم تعلمون يقول وأنتم تعلمون أنه لا ندله فى التوراة والانجيل ۞ قال أبو جعفر وأحسب ان الذى دعا مجاهدا الى هذا التاويل واضافة ذلك الى انه خطاب لاهل التوراة والانجيل دون غيرهم الظن منه بالعرب انها لم تكن تعلم ان الله خالقها ورازقها بجحودها وحدانية ربها واشراكها معه فى العبادة غيره وان ذلك القول ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر فى كتابه انها كانت تقر بوحدانيته غير أنها كانت تشرك فى عبادته ما كانت تشرك فيها فقال جل ثناؤه ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقال قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فالذى هو أولى بتاويل قوله وأنتم تعلمون اذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانية الله وانه مبتدع الخلق وخالقهم ورازقهم نظير الذى كان من ذلك عند أهل الكتابين ولم يكن فى الآية دلالة على ان الله جل ثناؤه عنى بقوله وأنتم تعلمون أحد الحزبين بل مخرج الخطاب بذلك عام للناس كافة لهم لانه تحدى الناس كلهم بقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم ان يكون تاويله ما قاله ابن عباس وقتادة من أنه يعنى بذلك كل مكلف عالم بوحدانية الله وانه لا شريك له فى خلقه مشرك معه فى عبادته غيره كائنا من كان من الناس عربيا كان أو أعجميا كاتبا أو أميا وان كان الخطاب لكفار أهل الكتاب الذين كانوا حوالى دار هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل النفاق منهم وممن بين ظهرانيهم ممن كان مشركا فانتقل الى النفاق بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تاويل قوله (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله) قال أبو جعفر وهذا من الله عز وجل احتجاج لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على مشركى قومه من العرب ومنافقيهم وكفار أهل الكتاب وضلالهم

محذوف أى هو يعنى المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وفى قراءة عبد الله بن مسعود الم تنزيل الكتاب * البحث الثالث فى قوله لا ريب فيه الريب مصدر رابنى وحقيقته قلق النفس روى الحسن بن على عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة أى كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له ومنه ريب الزمان لنوائبه المقلقة وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بظبى حاقف أى معوج مضطجع وهم محرمون فقال لا يريبه أحد بشئ أى لا يزعجه والحاصل ان الريب شك وزيادة ظن سوء فان قلت كيف نفى الريب لانه على سبيل الاستغراق وكم من شقى مرتاب فيه قلت ما نفى ان أحدا لا يرتاب فيه وانما المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب ان يقع فيه ومثله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لم يقل واذ كنتم مع وقوع الشك منهم فى الواقع دلالة على ان الشك فيه مما لا ينبغى ان يوجد الا على سبيل الفرض والتقدير ولو فرض فوجه ازالته ان يجردوا أنفسهم ويبرزوا قواهم فى البلاغة هل تتم للمعارضة أم تتضاءل دونها فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول فى قوله تعالى لا فيها غول قلنا لان المقصود منها ليس الا نفى الريب عنه واثبات انه حق وصدق ولو عكس لافاد ذلك مع ما ليس بمراد ولا هو بصادق فى نفس الامر وهو التعريض بان ريبا فى غيره من الكتب كما ان فى قوله لا فيها غول تعريضا بان خمور الدنيا تغتال العقول وقرأ أبو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع قيل والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه ويمكن ان يقال كلاهما يوجب الاستغراق الا أن الاول بطريق نفى الماهية والثانى لان قوله لا ريب جواب قول القائل هل ريب فيه وهذا يفيد بثبوت فرد واحد فنقيضه يكون سلب جميع الافراد * البحث الرابع فى قوله هدى للمتقين وفيه مسائل الاولى فى حقيقة الهدى وهو مصدر على فعل كالسرى وهو على الاصح عبارة عن الدلالة وقيل بشرط كونها موصلة الى البغية بدليل وقوعه فى مقابل الضلالة أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولانه يقال مهدى فى معرض المدح فلو احتمل ان يقال هدى فلم يهتد لم يكن مدحا ولان مطاوعه اهتدى فلزمه

الذين

الذين افتتح بقصصهم قوله جل ثناؤه ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم واياهم يخاطب بهذه الآيات وأخبرناهم نعوتها قال الله جل ثناؤه لهم وان كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين في شك وهو الريب مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النور والبرهان وآيات الفرقان وانى الذى أنزلته اليه فلم تؤمنوا به ولم تصدقوه فيما يقول فاتوا بحجة تدفع حجته لانكم تعلمون ان حجة كل ذى نبوة على صدقه فى دعواه النبوة ان يأتى ببرهان يعجز أن يأتى بمثله جميع الخلق ومن حجة محمد صلى الله عليه وسلم على صدقه وبرهانه على نبوته وان ما جاء به من عندى عجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم عن ان يأتوا بسورة من مثله واذا عجزتم عن ذلك وأنتم أهل البراعة فى الفصاحة والبلاغة والدراية فقد علمتم ان غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز كما كان برهان من سلف من رسلى وأنبيائى على صدقه وحجته على نبوته من الآيات ما يعجز عن الاتيان بمثله جميع خلقى فيتقرر حينئذ عندكم ان محمدا لم يتقوله ولم يختلقه لان ذلك لو كان منه اختلاقا وتقولا لم يعجز جميع خلقى عن الاتيان بمثله لان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يعد ان يكون بشرا مثلكم وفى مثل حالكم فى الجسم وبسطة الخلق وذرابة اللسان فيمكن ان يظن به اقتدار على ما عجزتم عنه أو يتوهم منكم عجز عما اقتدر عليه ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فاتوا بسورة من مثله فحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة فاتوا بسورة من مثله يعنى من مثل هذا القرآن حقا وصدقا لا باطل فيه ولا كذب وحدثنا الحسن بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فاتوا بسورة من مثله يقول بسورة مثل هذا القرآن وحدثنى محمد بن عمرو الباهلى قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد فاتوا بسورة من مثله مثل القرآن وحدثنا المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاتوا بسورة من مثله قال مثله مثل القرآن فمعنى قول مجاهد وقتادة اللذين ذكرنا عنهما ان الله جل ذكره قال لمن حاجه فى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار فاتوا بسورة من مثل هذا القرآن من كلامكم أيها العرب كما أتى به محمد بلغاتكم ومعانى منطقكم وقد قال قوم آخرون ان معنى قوله فاتوا بسورة من مثل محمد من البشر لان محمدا بشر مثلكم ۞ قال أبو جعفر والتأويل الاول الذى قاله مجاهد وقتادة هو التأويل الصحيح لان الله جل ثناؤه قال فى سورة أخرى أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله ومعلوم ان السورة ليست لمحمد بنظير ولا شبيه فيجوز ان يقال فاتوا بسورة مثل محمد فان قال قائل انك ذكرت ان الله عنى بقوله فاتوا بسورة من مثله قيل انه لم يعن به ائتوا بسورة من مثله فى التأليف والمعانى التى باين بها سائر الكلام غيره وانما عنى ائتوا بسورة من مثله فى البيان لان القرآن أنزله الله بلسان عربى فكلام العرب لا شك له مثل فى معنى العربية فاما فى المعنى الذى باين به القرآن سائر كلام المخلوقين فلا مثل له من ذلك الوجه ولا نظير ولا شبيه وانما احتج الله جل ثناؤه عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم بما احتج له عليهم من القرآن اذ ظهر عجز القوم عن ان يأتوا بسورة من مثله فى البيان اذ كان القرآن بيانا مثل بيانهم وكلاما نزل بألسنتهم فقال لهم جل

وأجيب بان مقابل الضلالة الاهتداء لا الهدى وبان قولنا مهدى انما أفاد المدح لانه من الله ... الوسائل اذا لم يفض الى المقصود كانت كالعدم وبالمنع من أن اهتدى لازم هدى لزوما كليا اذ يصح فى العرف ان يقال هديته فلم يهتد قال عز من قائل وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقال بعضهم الهدى الاهتداء فان زعم مطلقا فخطأ لوقوعه صفة للقرآن وان زعم حينا فصحيح لوقوعه فى مقابلة الضلالة الثانية المتقى اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهذه الدابة تقى من وجعها اذا أصابها ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقى حافره ان يصيبه أدنى شئ وهو فى الشرع المؤتمر للمأمورات المجتنب عن المحظورات واختلف فى الصغائر انه اذا لم يتقها فهل يستحق هذا الاسم روى عنه صلى الله عليه وسلم انه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس فحقيقة التقوى الخشية يا أيها الناس اتقوا ربكم وقد يراد بها الايمان وألزمهم كلمة التقوى أى التوحيد وقد يراد التوبة ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا أى تابوا وقد يراد الطاعة ان أنذروا انه لا اله الا أنا فاتقون وقد يراد ترك المعصية وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله وقد يراد الاخلاص فانها من تقوى القلوب أى من اخلاصها والتقوى مقام شريف ان الله مع الذين اتقوا وتزودوا فان خير الزاد التقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من أحب ان يكون أكرم الناس فليتق الله ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب ان يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده وقال على عليه السلام التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وعن ابراهيم بن أدهم ان لا يجد الخلق فى لسانك عيبا ولا الملائكة المقربون فى أقوالك عيبا ولا ملك العرش فى سرك عيبا الواقدى ان تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق ويقال التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك ولله در القائل خل الذنوب صغيرها * وكبيرها فهو التقى كن مثل ماش فى طريق * الشوك يحذر ما يرى * لا تحقرن صغيرة * ان الجبال من الحصى وفى قوله هدى للمتقين ثم فى موضع آخر شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس دليل على ان الناس محصورون فى المتقين والباقون كالانعام بل هم أضل الثالثة لم اختص كون القرآن هدى

للمتقين وأيضا المتقى مهتد فكيف يهتدى ثانيا والجواب ان المتقين لما كانوا هم المنتفعين بالهداية خصوا بالذكر مدحا لهم كقوله انما أنت
منذر من يخشاها انما تنذر من اتبع الذكر مع انه صلى الله عليه وسلم منذر كل الناس وأيضا قوله هدى للمتقين كقولك للعزيز المكرم أعزك الله
وأكرمك تريد طلب الزيادة واستدامة ماهو ثابت فيه وبوجه آخر سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين نحو من قتل قتيلا
فله سلبه فهذا مجاز من باب تسمية الشئ بما (١٢٨) هو آيل اليه واللطيف فيه انه لو قال هدى للصائرين الى التقوى بعد الضلال كان اطنابا
فى غير موضعه فان تصدير السورة
التى هى أولى الزهراوين وسنام
القرآن وأول المثانى بذكر أولياء
الله والمرتضين من عباده هو اللائق
بالمقام فاختص الكلام باجرائه
على الطريقة التى ذكرنا فان قلت
كيف وصف القرآن بانه كله هدى
وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدى فيه
الى المقصود الا بحكم العقل فيكون
الهدى فى ذلك للعقل لا للقرآن
ومما يؤكد ما قلنا مانقل عن على
عليه السلام انه قال لابن عباس
حين بعثه رسولا الى الخوارج لا تحتج
عليهم بالقرآن فانه خصم ذو
وجهين ولهذا كان فرق الاسلام
المحق منهم والمبطل يحتجون به قلنا
المتشابه لما لم ينفك عما يبين المراد
معه على التعيين عقلا كان أو سمعا
صار كله هدى فان قيل كل
مايتوقف صحة كون القرآن
هدى على صحته كمعرفة الله تعالى
وصفاته وكمعرفة النبوة فالقرآن
ليس هدى فيه فكيف جعل هدى
على الاطلاق قلنا المراد كونه هدى فى
تعريف الشرائع والمطلق لا يقتضى
العموم أو كونه هدى فى تأكيد مافى
العقول أيضا فيه الرابعة محل
هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ
محذوف أو خبر مع لاريب فيه لذلك
أو مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم
خبرا عنه ويجوز أن ينصب على
الحال والعامل فيه معنى الاشارة أو الظرف والذى هو أرسخ عرقا فى البلاغة ان يقال الم جملة برأسها
أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولاريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وفقد العاطف بينها لمجيئها
متآخية آخذا بعضها بحجزة بعض لانه نبه أولا على انه الكلام المتحدى به ثم أشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة
التحدى ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان تسجيلا بكماله فلا كمال أكمل مما للحق واليقين ثم أخبر عنه بانه هدى للمتقين فتقرر

مثله وان كنتم فى ريب من ان ما أنزلت على عبدى من القرآن من عندى فاتوا بسورة من كلام مثله
الذى هو مثله فى العربية اذ كنتم عربا وهو بيان نظير بيانكم وكلام شبيه كلامكم فلم يكلفهم جل
ثناؤه ان يأتوا بسورة من غير اللسان الذى هو نظير اللسان الذى نزل به القرآن فيقدروا ان يقولوا
كلفتنا مالو اجتهدنا ما أتينا به وانا لا نقدر على الاتيان به لانا لسنا من أهل اللسان الذى كلفتنا الاتيان
به فليس لك علينا حجة بهذا لانا وان عجزنا ان نأتى بمثله من غير ألسنتنا لانا لسنا باهله ففى الناس خلق
كثير من غير أهل لساننا يقدر على ان يأتى بمثله من اللسان الذى كلفتنا الاتيان به ولكنه جل ثناؤه
قال لهم ائتوا بسورة من مثله لان مثله من الالسن بالسنتكم وأنتم ان كان محمد اختلقه وافتراه اذا
اجتمعتم وتظاهرتم على الاتيان بمثل سورة منه من لسانكم وبيانكم أقدر على اختلاقه ووصفه
وتأليفه من محمد صلى الله عليه وسلم وان لم تكونوا أقدر عليه منه فلن تعجزوا وأنتم جميع عما قدر
عليه محمد من ذلك وهو وحده ان كنتم صادقين فى دعواكم وزعمكم ان محمدا افتراه واختلقه وانه من
عند غيرى واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين
فقال ابن عباس بما حدثنا به محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد
عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن عباس وادعوا شهداءكم من دون الله يعنى أعوانكم على ما أنتم عليه
ان كنتم صادقين وحدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
وادعوا شهداءكم ناس يشهدون وحدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى
نجيح عن مجاهد مثله وحدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن رجل عن مجاهد قال
قوم يشهدون لكم وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن
مجاهد وادعوا شهداءكم قال ناس يشهدون قال ابن جريج شهداءكم عليها اذا أتيتم بها انها مثله
مثل القرآن وذلك قول الله لمن شك من الكفار فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقوله فادعوا يعنى
استنصروا واستعينوا كما قال الشاعر

فلما التقت فرساننا ورجالهم * دعوا يالكعب واعتزينا لعامر

يعنى بقوله دعوا يالكعب استنصروا كعبا واستعانوا بهم وأما الشهداء فانها جمع شهيد كالشركاء
جمع شريك والخطباء جمع خطيب والشهيد يسمى به الشاهد على الشئ لغيره بما يحقق دعواه وقد
يسمى به المشاهد للشئ كما يقال فلان جليس فلان يعنى به مجالسه ونديمه يعنى به منادمه وكذلك يقال
شهيده يعنى به مشاهده فاذا كانت الشهداء محتملة ان تكون جمع الشهيد الذى هو منصرف
للمعنيين اللذين وصفت فاولى وجهيه بتأويل الآية ماقاله ابن عباس وهو ان يكون معناه واستنصروا
على ان تأتوا بسورة من مثله أعوانكم وشهداءكم الذين يشاهدونكم ويعاونونكم على تكذيبكم
الله ورسوله ويظاهرونكم على كفركم ونفاقكم ان كنتم محقين فى جحودكم ان ما جاءكم به محمد صلى
الله عليه وسلم اختلاق وافتراء لتمتحنوا أنفسكم وغيركم هل يقدرون على ان يأتوا بسورة من مثله
فيقدر محمد على ان يأتى بجميعه من قبل نفسه اختلاقا وأما ماقاله مجاهد وابن جريج فى تأويل ذلك فلا
وجه له لان القوم كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافا ثلاثة أهل ايمان صحيح وأهل
كفر

كفر صحيح وأهل نفاق بين ذلك فاهل الايمان كانوا بالله و برسوله مؤمنين فكان من المحال ان يدعى الكفار ان لهم شهداء على حقيقة ما كانوا ياتون به لو أتوا باختلاق من الرسالة ثم ادعوا انه للقرآن نظير من المؤمنين فاما أهل النفاق والكفر فلا شك انهم لو دعوا الى تحقيق الباطل وابطال الحق لسارعوا اليه مع كفرهم وضلالهم فمن أى الفريقين كانت تكون شهداؤهم ولو ادعوا انهم أتوا بسورة من مثل القرآن ولكن ذلك كما قال جل ثناؤه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فاخبر جل ثناؤه فى هذه الآية ان مثل القرآن لا ياتى الجن والانس ولو تظاهروا وتعاونوا على الاتيان به وتحداهم بمعنى التوبيخ لهم فى سورة البقرة فقال وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين يعنى بذلك ان كنتم فى شك فى صدق محمد فيما جاءكم به من عندى انه من عندى فاتوا بسورة من مثله وليستنصر بعضكم بعضا على ذلك ان كنتم صادقين فى زعمكم حتى تعلموا انكم اذا عجزتم عن ذلك انه لا يقدر على ان ياتى به محمد صلى الله عليه وسلم ولا من البشر أحد ويصح عندكم انه تنزيلى ووحيى الى عبدى ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) قال أبو جعفر ويعنى بقوله فان لم تفعلوا ان لم تاتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم أنتم وشركاؤكم عليه وأعوانكم فتبين لكم بامتحانكم واختباركم وعجزكم وعجز جميع خلقى عنه وعلمتم انه من عندى ثم أقمتم على التكذيب به وقوله ولن تفعلوا أى لن تاتوا بسورة من مثله أبدا كما حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة فان لم تفعلوا ولن تفعلوا أى لا تقدرون على ذلك ولا تطيقونه وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد بين لكم الحق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة) قال أبو جعفر يعنى جل ثناؤه بقوله فاتقوا ان تصلوا النار بتكذيبكم رسولى بما جاءكم به من عندى انه من وحيى وتنزيلى بعد تبينكم انه كتابى ومن عندى وقيام الحجة عليكم بانه كلامى ووحيى بعجزكم وعجز جميع خلقى عن ان ياتوا بمثله ثم وصف جل ثناؤه النار التى حذرهم صليها فاخبرهم ان الناس وقودها وان الحجارة وقودها فقال التى وقودها الناس والحجارة يعنى بقوله وقودها حطبها والعرب تجعله مصدرا وهو اسم اذا فتحت الواو بمنزلة الحطب فاذا ضمت الواو من الوقود كان مصدرا من قول القائل وقدت النار فهى تقد وقودا وقدة ووقدانا ووقدا يراد بذلك انها التهبت فان قال قائل وكيف خصت الحجارة فقرنت بالناس حتى جعلت لنار جهنم حطبا قيل انها حجارة الكبريت وهى أشد الحجارة فيما بلغنا حرا اذا أحميت كما حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو معاوية عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن عبد الرحمن بن أسباط عن عمرو بن ميمون عن عبد الله فى قوله وقودها الناس والحجارة قال هى حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والارض فى السماء الدنيا يعدها للكافرين وحدثنا الحسن بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أنبأنا ابن عيينة عن مسعر عن عبد الملك الزراد عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود فى قوله وقودها الناس والحجارة قال حجارة الكبريت جعلها الله كما شاء وحدثنى موسى

بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله ثم فى كل من الجمل نكتة ذات جزالة ففى الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه كما مر فى الوجه الثامن وفى الثانية ما فى التعريف من الفخامة أى الكتاب الذى يستاهل ان يقال له الكتاب وفى الثالثة ما فى تقديم الريب على الظرف وفى الرابعة الحذف ووضع المصدر الذى هو هدى موضع هاد وايراده منكرا والايجاز فى ذكر المتقين * البحث الخامس فى قوله تعالى (الذين يؤمنون) الآية وفيه مسائل الاولى الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين (١٢٩) صفة أو نصب على المدح أو رفع كذلك بتقدير أعنى الذين أو هم الذين أو مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى الثانية الذين يؤمنون على تقدير كونه صفة يكون اما واردا بيانا وكشفا وذلك اذا فسر المتقى بانه الذى يفعل الحسنات ويجتنب السيآت لان الايمان أساس الحسنات والصلاة أم العبادات البدنية قال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وبين العبد وبين الكفر ترك الصلاة والزكاة أفضل العبادات المالية قال صلى الله عليه وسلم الزكاة قنطرة الاسلام فاختصر الكلام اختصارا بذكر ما هو كالعنوان لسائر الطاعات وكالاصول لبواقى الحسنات ويندرج فيها اجتناب الفواحش والمنكرات لقوله عز من قائل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر واما مسرودة مع المتقين مفيدة غير فائدتها وذلك اذا فسر المتقى بالمجتنب عن المعاصى فقط ثم انه يكون قد وصف بالايمان وهو فعل القلب وباداء الصلاة والزكاة وهما من أفعال الجوارح وهذا ترتيب مناسب لان لوح القلب يجب تخليته عن النقوش الفاسدة أولا ثم تحليته بالعقائد الحقة والاخلاق الجيدة واما معدودة عدا على سبيل المدح والثناء وذلك اذا فرض المتقى موسوما بهذه السمات مشهورا بهذه الصفات غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح كصفات الله الجارية عليه تعالى تمجيدا وتعظيما الثالثة الايمان افعال من الامن يقال أمنته وآمنته غيرى ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة والتعدية بالباء لتضمينه معنى أقر واعترف أو وثق به قال فى التفسير الكبير اختلف أهل القبلة فى مسمى الايمان على أربعة أقوال الاول قول المعتزلة والخوارج والزيدية وأهل الحديث انه اسم لافعال القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا الايمان اذا عدى بالباء فالمراد التصديق على تضمين الاقرار أو الوثوق كما مر من حيث

ابن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج في قوله وقودها الناس والحجارة قال حجارة من كبريت أسود في النار قال وقال لي عمرو بن دينار حجارة أصلب من هذه وأعظم حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا أبي عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال حجارة الكبريت خلقها الله عنده كيف شاء وكما شاء

﴿ القول في تأويل قوله (أعدت للكافرين) قد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على ان الكافر في كلام العرب هو الساتر شيأ بغطاء وان الله جل ثناؤه انما سمى الكافر كافرا لجحوده آلاءه عنده وتغطيته نعماءه قبله فمعنى قوله اذا أعدت للكافرين أعدت النار للجاحدين ان الله ربهم المتوحد بخلقهم وخلق الذين من قبلهم الذي جعل لهم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لهم المشركين معه في عبادته الانداد والآلهة وهو المتفرد لهم بالانشاء والمتوحد بالاقوات والارزاق كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن عباس أعدت للكافرين أي لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر

﴿ القول في تأويل قوله (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار) أما قوله وبشر فانه يعني أخبرهم والبشارة أصلها الخبر بما يسر المخبر به اذا كان سابقا به كل مخبر ٧ سوى مخبره الاول به اليه وهذا أمر من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بابلاغ رسالته خلقه الذين آمنوا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند ربه وصدقوا ايمانهم ذلك واقرارهم باعمالهم الصالحة فقال يا محمد بشر من صدقك انك رسولي وان ما جئت به من الهدى والنور فمن عندي وحقق تصديقه ذلك قولا باداء الصالح من الاعمال التي افترضتها عليه وأوجبتها في كتابي وعلى لسانك عليه ان له جنات تجري من تحتها الانهار خاصة دون من كذب بك وأنكر ما جئت به من الهدى من عندي وعاندك ودون من أظهر تصديقك وأقر بان ما جئته به فمن عندي قولا وجحده اعتقادا ولم يحققه عملا فان لاولئك النار التي وقودها الناس والحجارة معدة عندي والجنات جمع جنة والجنة البستان وانما عنى جل ذكره بذكر الجنة ما في الجنة من أشجارها وثمارها وغروسها دون أرضها فلذلك قال عز ذكره تجري من تحتها الانهار لانه معلوم انه انما أراد جل ثناؤه الخبر عن ماء أنهارها انه جار تحت أشجارها وغروسها وثمارها لا انه جار تحت أرضها لان الماء اذا كان جاريا تحت الارض فلا حظ فيه للعيون من فوقها الا بكشف الساتر بينها وبينه على ان الذي يوصف به أنهار الجنة انها جارية في غير أخاديد كما حدثنا أبو كريب قال حدثنا الاشجعي عن سفيان عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن مسروق قال نخل الجنة نضيد من أصلها الى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وماؤها يجري في غير أخدود وحدثنا مجاهد قال حدثنا يزيد قال أخبرنا مسعر بن كدام عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة بنحوه وحدثنا محمد بن

٧ قوله سوى الخ هكذا بالاصل ولا حاجة اليه ولم يفد غير قلاقة العبارة تأمل اهـ مصححه

بشار

اللغة وأما اذا ذكر مطلقا فنقول الى معنى آخر وهو ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن عطاء والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة أو مندوبة أو من باب الاقوال أو الافعال أو الاعتقادات وبعضهم كأبي علي وهاشم انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وبعضهم كالنظام انه عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكبائر وما لم يرد فيه من الوعيد فالمؤمن عند الله من اجتنب كل الكبائر والمؤمن عندنا من اجتنب كل ما ورد فيه الوعيد والخوارج قالوا الايمان بالله يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا أو نقليا من الكتاب والسنة ويتناول طاعة الله في جميع ما أمر به من الافعال والتروك صغيرا كان أو كبيرا فمجموع هذه الاشياء هو الايمان وترك خصلة من هذه الخصال كفر وأهل الحديث ذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة ايمان على حدة وهذه الطاعات لا يكون شئ منها ايمانا الا اذا كانت مرتبة على الاصل الذي هو المعرفة وزعموا ان الجحود وانكار القلب كفر ثم كل معصية بعده كفر على حدة ولم يجعل شيأ من الطاعات ايمانا ما لم يوجد المعرفة والاقرار ولا شيأ من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والانكار الثاني ان الايمان اسم للطاعات كلها فريضة أو نافلة الا أنه اذا ترك فريضة انتقص ايمانه وان ترك نافلة لم ينتقص ومنهم من قال الايمان اسم للفرائض دون النوافل القول الثاني قول من قال الايمان بالقلب واللسان معا ثم اختلفوا على مذاهب الاول ان الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالجنان وهو مذهب أبي حنيفة وعامة الفقهاء ثم اختلفوا في موضعين أحدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم من قال هي الاعتقاد الجازم سواء كان اعتقادا تقليديا أو علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما في أن العلم المعتبر في تحقق الايمان علم بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وبصفاته على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى فلا جرم أقدم كل طائفة على

تكفير من خالف من الطوائف والانصاف أن المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم أو بذاته ومرئيا وغير مرئي لا يكون داخلا في مسمى الايمان * والمذهب الثاني أن الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معا وهو مذهب أبي الحسن الاشعري وبشر المريسي والمراد من التصديق الكلام القائم بالنفس * المذهب الثالث كلام بعض الصوفية الايمان اقرار باللسان واخلاص بالقلب القول الثالث قول من قال الايمان عبارة عن عمل

القلب فقط فمن هؤلاء من قال الايمان معرفة الله بالقلب حتى ان من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل أن يقر به فهو مؤمن كامل الايمان وهو قول جهم بن صفوان وزعم أن معرفة الكتب والرسل واليوم الآخر غير داخلة في حقيقة الايمان وحكى الكعبي عنه ان الايمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال الايمان مجرد التصديق بالقلب القول الرابع قول من قال الايمان هو الاقرار باللسان فقط ثم منهم من قال شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب ومنهم من قال لا حاجة بنا الى هذا الشرط أيضا بل المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة فثبت له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة وهذا قول الكرامية ثم قال الامام رحمه الله تعالى عندي ان الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم مع الاعتقاد فهنا قيود الاول ان الايمان عبارة عن التصديق وذلك أن الايمان أكثر الالفاظ دورانا على ألسنة المسلمين فلو صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على نقل هذا النقل ولتواتر وليس كذلك وأيضا الايمان المعدى بالباء على أصله اتفاقا فغير المعدى أيضا يكون كذلك وأيضا كلما ذكر الله تعالى الايمان في القرآن أضافه الى القلب وقلبه مطمئن بالايمان كتب في قلوبهم الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم وأيضا قرن الايمان بالعمل الصالح ولو كان العمل داخلا في الايمان لزم التكرار وأيضا قرن الايمان بالمعاصي الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والذين آمنوا ولم يهاجروا مع عظم الوعيد في ترك الهجرة قال ابن عباس في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ايجاب القصاص على العاقل المتعمد ومع ذلك يدخل في الخطاب ثم قال فمن عفي له

بشار قال حدثنا ابن مهدي قال حدثنا سفيان قال سمعت عمرو بن مرة يحدث عن أبي عبيدة فذكر مثله قال فقلت لأبي عبيدة من حدثك فغضب وقال مسروق فاذا كان الامر كذلك في ان أنهارها جارية في غير أخاديد فلا شك ان الذي أريد بالجنات أشجار الجنات وغروسها وثمارها دون أرضها اذ كانت أنهارها تجري فوق أرضها وتحت غروسها وأشجارها على ما ذكره مسروق وذلك أولى بصفة الجنة من ان تكون أنهارها جارية تحت أرضها وانما رغب الله جل ثناؤه بهذه الآية عباده في الايمان وحضهم على عبادته بما أخبرهم انه أعده لاهل طاعته والايمان به عنده كما حذرهم في الآية التي قبلها بما أخبر من اعداده ما أعد لاهل الكفر به والجاعلين معه الآلهة والانداد من عقابه عن اشراك غيره معه والتعرض لعقوبته بركوب معصيته وترك طاعته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها) قال أبو جعفر يعني بقوله كلما رزقوا منها من الجنات والهاء راجعة على الجنات وانما المعنى لأشجارها فكأنه قال كلما رزقوا من أشجار البساتين التي أعدها الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات في جناته من ثمرة من ثمارها رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ثم اختلف أهل التأويل في تأويل هذا الذي رزقنا من قبل فقال بعضهم تأويل ذلك هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثني موسى ابن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا هذا الذي رزقنا من قبل قال انهم أتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا اليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل أي في الدنيا وحدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قالوا هذا الذي رزقنا من قبل يقولون ما أشبهه به حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا قال وأتوا به متشابها يعرفونه ۞ قال أبو جعفر وقال آخرون بل تأويل ذلك هذا الذي رزقنا من ثمار الجنة من قبل هذا لشدة مشابهة بعض ذلك في اللون والطعم بعضا ومن علة قائلي هذا القول ان ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله كما حدثنا ابن بشار قال حدثنا ابن مهدي قال حدثنا سفيان قال سمعت عمرو بن مرة يحدث عن أبي عبيدة قال نخل الجنة نضيد من أصلها الى فروعها وثمرها مثل القلال كلما نزعت منها ثمرة عادت مكانها أخرى قالوا فانما اشتبهت عند أهل الجنة لان التي عادت نظيرة التي نزعت فأكلت في كل معانيها قالوا ولذلك قال الله جل ثناؤه وأتوا به متشابها لاشتباه جميعه في كل معانيه وقال بعضهم بل قالوا هذا الذي رزقنا من قبل لمشابهته الذي قبله في اللون وان خالفه في الطعم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنا شيخ من المصيصة عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وهذا التأويل مذهب

من تاول الآية تغيير انه يدفع صحته ظاهر التلاوة والذى يدل على صحته ظاهر الآية و يحقق صحة قول القائلين ان معنى ذلك هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا وذلك ان الله جل ثناؤه قال كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا فاخبر جل ثناؤه ان من قيل أهل الجنة كلما رزقوا من ثمر الجنة رزقا ان يقولوا هذا الذى رزقنا من قبل ولم يخصص بان ذلك من قيلهم فى بعض ذلك دون بعض فاذ كان قد أخبر جل ذكره عنهم ان ذلك من قيلهم فى كل ما رزقوا من ثمرها فلا شك ان ذلك من قيلهم فى أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها الذى لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة فاذ كان لا شك ان ذلك من قيلهم فى أوله كما هو من قيلهم فى وسطه وما يتلوه فمعلوم انه محال ان يكون من قيلهم لاول رزق رزقوه من ثمار الجنة هذا الذى رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة وكيف يجوز ان يقولوا لاول رزق رزقوه من ثمارها ولما يتقدمه عندهم مثاله هذا هو الذى رزقناه قبل الا ان ينسبهم ذو غرة وضلال الى قيل الكذب الذى قد طهرهم الله منه أو يدفع دافع ان يكون ذلك من قيلهم لاول رزق يرزقونه من ثمارها فيدفع صحة ما أوجب الله صحته بقوله كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا من غير نصب دلالة على انه معنى به حال من أحوالهم دون حال فقد تبين بما بينا ان معنى الآية كلما رزق الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ثمرة من ثمار الجنة فى الجنة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا وان سالنا سائل فقال وكيف قال القوم هذا الذى رزقنا من قبل والذى رزقوه من قبل قد عدم بأكلهم اياه وكيف يجوز ان يقول أهل الجنة قولا لا حقيقة له قيل ان الامر على غير ما ذهبت اليه فى ذلك وانما معناه هذا من النوع الذى رزقناه من قبل هذا من الثمار والرزق كالرجل يقول لآخر قد أعد لك فلان من الطعام كذا وكذا من ألوان الطبيخ والشواء والحلوى فيقول المقول له ذلك هذا طعامى فى منزلى يعنى بذلك ان النوع الذى ذكر له صاحبه انه أعده له من الطعام هو طعامه لا ان أعيان ما أخبره صاحبه انه قد أعده له هو طعامه بل ذلك مما لا يجوز لسامع سمعه يقول ذلك ان يتوهم انه أراده أو قصده لان ذلك خلاف مخرج كلام المتكلم وانما يوجه كلام كل متكلم الى المعروف فى الناس من مخارجه دون المجهول من معانيه فكذلك ذلك فى قوله هذا الذى رزقنا من قبل اذ كان ما كان رزقوه من قبل قد فنى وعدم فمعلوم انهم عنوا بذلك هذا من النوع الذى رزقناه من قبل ومن جنسه فى التسميات والالوان على ما قد بينا من القول فى ذلك فى كتابنا هذا وقد زعم بعض أهل العربية ان معنى قوله وأتوا به متشابها انه متشابه فى الفضل ان كل واحد منه له من الفضل فى نحوه مثل الذى للآخر فى نحوه ❁ قال أبو جعفر وليس هذا قولا نستجيز التشاغل بالدلالة على فساده لخروجه عن قول جميع علماء أهل التاويل وحسب قول بخروجه عن قول أهل العلم دلالة على خطئه ❁ القول فى تاويل قوله (وأتوا به متشابها) قال أبو جعفر والهاء فى قوله وأتوا به متشابها عائدة على الرزق فتاويله وأتوا بالذى رزقوا من ثمارها متشابها وقد اختلف أهل التاويل فى تاويل التشابه فى ذلك فقال بعضهم تشابهه ان كله خيار لا رذل فيه ذكر من قال ذلك حدثنا خلاد بن مسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا أبو عامر عن الحسن فى قوله متشابها قال خيار كلها لا رذل فيها وحدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن أبى رجاء قرأ الحسن آيات من البقرة فاتى على هذه الآية

من أجل شئ وهذه الاخوة ليست الا اخوة الايمان انما المؤمنون اخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وهذا لا يليق الا بالمؤمن القيد الثانى ان الايمان ليس عبارة عن تصديق اللسان لقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين القيد الثالث ليس عبارة عن مطلق التصديق لان من صدق الا بالجبت والطاغوت لا يسمى مؤمنا القيد الرابع لا يشترط التصديق بجميع صفات الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم أعتقها فانها مؤمنة بعد قوله عليه السلام لها أين الله قالت فى السماء وبهذا ذكرنا ان من عرف الله بالدليل وكما تم العرفان مات ووجد من الوقت ما أمكنه التلفظ بكلمة الشهادة لكنه لم يتلفظ بها كان مؤمنا وكان الامتناع عن النطق جاريا مجرى المعاصى التى يؤتى بها مع الايمان وبهذا حكم الغزالى رضى الله عنه قلت وبالله التوفيق التحقيق فى المقام ان للايمان وجودا فى الاعيان ووجودا فى الاذهان ووجودا فى العبارة ولا ريب ان الوجود العينى لكل شئ هو الاصل وباقى الوجودات فرع وتابع فالوجود العينى للايمان هو النور الحاصل للقلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وهذا النور قابل للقوة والضعف والاشتداد والنقص كسائر الانوار واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا كلما ارتفع حجاب ازداد نور فيتقوى الايمان ويتكامل الى ان ينبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقائق الاشياء ويتجلى له الغيوب وغيوب الغيوب فيعرف كل شئ فى موضعه فيظهر له صدق الانبياء عليهم السلام ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فى جميع ما أخبروا عنه اجمالا أو تفصيلا على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره وينبعث من قلبه داعية العمل بكل مامور والاجتناب عن كل محظور فينضاف الى نور معرفته أنوار الاخلاق الفاضلة والملكات الجيدة نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء وأما الوجود الذهنى فملاحظة المؤمن لهذا النور ومطالعته له ولمواقعه وأما الوجود اللفظى فخلاصته ما اصطلح عليه الشارع بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان مجرد التلفظ بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير النور المذكور لا يفيد الا كما يفيد

وأتوا

وأتوابه متشابها قال الم يروا الى ثمار الدنيا كيف يرذلون بعضه وان ذلك ليس فيه رذل وحدثنا الحسن بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن وأتوابه متشابها قال يشبه بعضه بعضا ليس فيه مرذول حدثنا بشر قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة وأتوابه متشابها أى خيارا لارذل فيه وان ثمار الدنيا ينقى منها ويرذل منها وثمار الجنة خيار كله لا يرذل منها شئ وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال ثمر الدنيا منه ما يرذل ومنه نقاوة وثمر الجنة نقاوة كله يشبه بعضه بعضا فى الطيب ليس منه مرذول وقال بعضهم تشابهه فى اللون وهو مختلف فى الطعم ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتوابه متشابها فى اللون وليس يشبه الطعم حدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأتوابه متشابها مثل الخيار وحدثنا المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأتوابه متشابها لونه مختلفا طعمه مثل الخيار من القثاء وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس وأتوابه متشابها يشبه بعضه بعضا ويختلف الطعم وحدثنا الحسن بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله متشابها قال مشتبها فى اللون ومختلفا فى الطعم حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وأتوابه متشابها مثل الخيار وقال بعضهم تشابهه فى اللون والطعم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد قوله متشابها قال اللون والطعم حدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا عبد الرزاق عن الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويحيى بن سعيد متشابها قالا فى اللون والطعم وقال بعضهم تشابهه تشابه ثمر الجنة وثمر الدنيا فى اللون وان اختلف طعومهما ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وأتوابه متشابها قال يشبه ثمر الدنيا غير ان ثمر الجنة أطيب وحدثنا المثنى قال حدثنا اسحق قال قال حفص بن عمر قال حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله وأتوابه متشابها قال يشبه ثمر الدنيا غير ان ثمر الجنة أطيب وقال بعضهم لا يشبه شئ مما فى الجنة ما فى الدنيا الا الاسماء ذكر من قال ذلك حدثنى أبو كريب قال حدثنا الاشجعى ح وحدثنا محمد بن بشار قال حدثنا مؤمل قالا جميعا حدثنا سفيان عن الاعمش عن ابن عباس قال أبو كريب فى حديثه لا يشبه شئ مما فى الجنة ما فى الدنيا الا الاسماء وقال ابن بشار فى حديثه عن مؤمل قال ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء حدثنا عباس بن محمد قال حدثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال ليس فى الدنيا من الجنة شئ الا الاسماء وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أنبأنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد فى قوله وأتوابه متشابها قال يعرفون أسماءه كما كانوا فى الدنيا التفاح بالتفاح والرمان بالرمان قالوا فى الجنة هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا وأتوابه متشابها يعرفونه وليس هو مثله فى الطعم ۞ قال أبو جعفر وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية تأويل

العطشان بالماء الزلال الا أن التعبير عما فى الضمير لما لم يتيسر الا بواسطة النطق المفصح عن كل خفى والمعرب عن كل مشتبه كان التلفظ بكلمة الشهادة ولعدم التلفظ بها مدخل عظيم فى الحكم بايمان المرء وكفره فصح جعل ذلك وما ينخرط فى سلكه من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا عليهما وتفويض أمر الباطن الى عالم الخفيات المطلع على السرائر والنيات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس جميعا حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله الرابعة يجوز أن يكون بالغيب صلة للايمان أى يعترفون أو يثقون به وعلى هذا يكون الغيب بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر كما سمى الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمى المطمئن من الارض غيبا واما أن يكون مخفف فيعل والمراد به الخفى الذى لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما أعلمناه أو نصب لنا دليل عليه ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز أن يكون بالغيب حالا والغيب بمعنى الغيبة والخفاء أى يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب نحو الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم انى لم أخنه بالغيب وفيه تعريض بالمنافقين حيث ان باطنهم يخالف ظاهرهم وغيبتهم تباين حضورهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال بعض الشيعة المراد بالغيب المهدى المنتظر الذى وعد الله فى القرآن وورد فى الخبر وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أمتى يواطئ اسمه اسمى وكنيته كنيتى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما الخامسة معنى اقامة الصلاة أحد ثلاثة أشياء اما تعديل أركانها وحفظها عن ان يقع زيغ فى فرائضها وسننها وآدابها من اقام العود اذا قومه واما الدوام عليها والمحافظة والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال الاسدى شعر أقامت غزالة سوق الضراب * لاهل العراقين حولا قميطا غزالة اسم امرأة شبيب الخارجى قتله الحجاج فأقامت سنة تامة

من قال وأتوابه متشابها فى اللون والمنظر والطعم مختلف يعنى بذلك اشتباه ثمر الجنة وثمر الدنيا فى المنظر واللون مختلفا فى الطعم والذوق لما قدمنا من العلة فى تأويل قوله كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وان معناه كلما رزقوا من الجنان من ثمرة من ثمارها رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا فأخبر الله جل ثناؤه عنهم انهم قالوا ذلك من أجل انهم أتوا بما أتوا به من ذلك فى الجنة متشابها يعنى بذلك تشابه ما أتوا به فى الجنة منه والذى كانوا رزقوه فى الدنيا فى اللون والمرائى والمنظر وان اختلفا فى الطعم والذوق فتباينا فلم يكن لشئ مما فى الجنة من ذلك نظير فى الدنيا وقد دللنا على فساد قول من زعم ان معنى قوله قالوا هذا الذى رزقنا من قبل انما هو قول من أهل الجنة فى تشبيههم بعض ثمر الجنة ببعض وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هى الدلالة على فساد قول من خالف قولنا فى تأويل قوله وأتوا به متشابها لان الله جل ثناؤه انما أخبر عن المعنى الذى من أجله قال القوم هذا الذى رزقنا من قبل بقوله وأتوا به متشابها ويسئل من أنكر ذلك وزعم انه غير جائز ان يكون شئ مما فى الجنة نظير الشئ مما فى الدنيا بوجه من الوجوه فيقال له أيجوز ان يكون أسماء ما فى الجنة من ثمارها وأطعمتها وأشربتها نظائر أسماء ما فى الدنيا منها فان أنكر ذلك خالف نص كتاب الله لان الله جل ثناؤه انما عرف عباده فى الدنيا ما هو عنده فى الجنة بالاسماء التى يسمى بها ما فى الدنيا من ذلك وان قال ذلك جائز هو كذلك قيل فما أنكرت ان يكون ألوان ما فيها من ذلك نظائر ألوان ما فى الدنيا منه بمعنى البياض والحمرة والصفرة وسائر صنوف الالوان وان تباينت فتفاضلت بفضل حسن المرآة والمنظر خلاف الذى لما فى الدنيا منه كما جائز ذلك فى الاسماء مع اختلاف المسميات بالفضل فى أجسامها ثم يعكس عليه القول فى ذلك فلن يقول فى أحدهما شيأ الا ألزم فى الآخر مثله وكان أبو موسى الاشعرى يقول فى ذلك بما حدثنى به ابن بشار قال حدثنا ابن أبى عدى وعبد الوهاب ومحمد بن جعفر عن عوف عن قسامة عن الاشعرى قال ان الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شئ فثماركم هذه من ثمار الجنة غير ان هذه تغير وتلك لا تغير [7] وقد زعم بعض أهل العربية ان معنى قوله وأتوا به متشابها انه متشابه فى الفضل أى كل واحد منه له من الفضل فى نحوه مثل الذى للآخر فى نحوه وليس هذا قولا نستجيز التشاغل بالدلالة على فساده لخروجه عن قول جميع علماء أهل التأويل وحسب قول بخروجه عن قول جميع أهل العلم دلالة على خطئه ۞ القول فى تأويل قوله (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال أبو جعفر والهاء والميم اللتان فى لهم عائدتان على الذين آمنوا وعملوا الصالحات والهاء والالف اللتان فى فيها عائدتان على الجنات وتأويل ذلك وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات فيها أزواج مطهرة والازواج جمع زوج وهى امرأة الرجل يقال فلانة زوج فلان وزوجته وأما قوله مطهرة فان تأويله انهن طهرن من كل أذى وقذى وريبة مما يكون فى نساء أهل الدنيا من الحيض والنفاس والغائط والبول والمخاط والبصاق والمنى وما أشبه ذلك من الاذى والادناس والريب والمكاره كما حدثنا به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى

٧ قوله وقد زعم الخ هكذا هو بالنسخ وهو مكرر فقد سبقت هذه العبارة بعينها اه مصححه

ؤ الضراب القتال والعراقان الكوفة والبصرة وفيطأى كاملا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشئ النافق الذى يتوجه اليه الرغبات واما التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون فى مؤداها فتور عنها ولا توان من قولهم قام فى الامر خلاف تقاعد عنه فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع والسجود وبالتسبيح يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى فلولا انه كان من المسبحين ولا يخفى ان اقامة الصلاة بجميع هذه المعانى تستحق المدح والثناء السادسة الصلاة فى عرف الشرع عبارة عن الهيآت والاقوال المخصوصة التى مفتتحها التحريم ومختتمها التسليم فرضا كانت أو نفلا الا انه يحتمل ان يقال المراد بها فى الآية الفرض لان الفلاح قد نيط بها فى قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابى أفلح والله ان صدق بعد قول الاعرابى والله لا أزيد على هذا ولا أنقص أى على الصلوات المفروضة واشتقاقها لغة اما من الصلاة بمعنى الدعاء قال الاعشى

وقابلها الريح فى دنها
وصلى على دنها وارتسم

أى وضع عليها الرسم وهو الخاتم واما من قولهم صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها قال شعر

فلا تعجل بامرك واستدمه
فما صلى عصاك كمستديم

والمصلى يسعى فى تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذى يعرض على النار واما من قولهم صلى الفرس اذا جاء مصليا أى ملازما للسابق لان رأسه عند صلوه والصلوان ما عن يمين الذنب وشماله والمصلى ملازم لفعله من حين شروعه الى أوان فراغه والصلاة اسم وضع موضع المصدر يقال صليت صلاة ولا يقال تصلية قال فى الكشاف الصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتبها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعل ذلك فى ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه من التعسف السابعة الرزق لغة هو ما ينتفع به فيشمل الحلال والحرام والمأكول وغيره والمعتزلة ومن يجرى مجراهم زادوا قيدا آخر وهو ان لا يكون ممنوعا عن الانتفاع به وعلى هذا لا يكون الحرام عندهم رزقا قال فى الكشاف اسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال المطلق الذى يستاهل أن يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهى عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم

الله عليه وسلم اما أزواج مطهرة فانهن لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن **وحدثني** المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا معاوية بن صالح عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وأزواج مطهرة من القذر والاذى **حدثنا** محمد بن بشار قال حدثنا يحيى القطان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لهم فيها أزواج مطهرة قال لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمذين **وحدثنا** محمد بن اسحق الاهوازى قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه زاد فيه ولا يمنين ولا يحضن **وحدثني** محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قول الله لهم فيها أزواج مطهرة قال مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمنى والولد **وحدثني** المثنى بن ابراهيم قال حدثنا سويد بن نصر قال حدثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن مجاهد مثله **وحدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال لا يبلن ولا يتغوطن ولا يحضن ولا يلدن ولا يمنين ولا يبزقن * أخبرنا المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحو حديث محمد بن عمرو عن أبي عاصم **وحدثنا** بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة ولهم فيها أزواج مطهرة أى والله من الاثم والاذى **وحدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولهم فيها أزواج مطهرة قال طهرهن الله من كل بول وغائط وقذر ومن كل مأثم **وحدثت** عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن ليث عن مجاهد قال المطهرة من الحيض والحبل **وحدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد ولهم فيها أزواج مطهرة قال المطهرة التى لا تحيض قال وأزواج الدنيا ليست بمطهرة ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام قال ابن زيد وكذلك خلقت حواء حين عصت بهذه الشجرة **وحدثت** عن عمار قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن الحسن فى قوله ولهم فيها أزواج مطهرة قال يقول مطهرة من الحيض **حدثنا** عمرو بن على قال حدثنا خالد بن يزيد قال حدثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن الحسن فى قوله ولهم فيها أزواج مطهرة قال من الحيض **وحدثنا** عمرو قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا ابن جريج عن عطاء قوله لهم فيها أزواج مطهرة قال من الولد والحيض والغائط والبول وذكر أشياء من هذا النحو ۞ القول فى تأويل قوله (وهم فيها خالدون) قال أبو جعفر يعنى بذلك والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى الجنات خالدون فالهاء والميم من قوله وهم عائدة على الذين آمنوا وعملوا الصالحات والهاء والالف فى فيها على الجنات وخلودهم فيها دوام بقائهم فيها على ما أعطاهم الله فيها من الحبرة والنعيم المقيم ۞ القول فى تأويل قوله (ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أنزل الله جل ثناؤه فيه هذه الآية وفى تأويلها فقال بعضهم بما **حدثني** به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين يعنى قوله مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وقوله أو كصيب من السماء الآيات الثلاث قال المنافقون الله

كأنه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والحق ان لتمكين والانتفاع بالمرزوق مسند الى الله تعالى على الاطلاق اذ كل بقدرته الا أن مذهب المعتزلة الى الادب أقرب ولا سيما فى هذا المقام ليستحقوا المدح بالانفاق منه الثامنة أنفق الشيء وأنفده اخوان وكل فاؤه نون وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب وهو أقرب منه ويدخل فى هذا الانفاق الواجب من الزكاة التى هى أخت الصلاة وشقيقتها ومن الانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته ومن الانفاق فى الجهاد ويمكن ان يتناول كل منفق فى سبيل الخير لاطلاق قال تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت والمراد به الصدقة لقوله فاصدق وأكن من الصالحين * البحث السادس فى قوله تعالى والذين آمنوا الآية وفيه مسائل الاولى يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه الذين اشتمل ايمانهم على كل وحى نزل من عند الله سالف أو مترقب سبيله سبيل السالف لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وأيقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وان النار لن تمسهم الا أياما معدودات وان أهل الجنة لا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ ونحو ذلك فيكون المعطوف غير المعطوف عليه اما مغايرة المباينة وذلك اذا أريد بالاولين كل من آمن ابتداء بمحمد صلى الله عليه وسلم من غير ايمان قبل ذلك بموسى وعيسى عليهما السلام واما مغايرة الخاص للعام وذلك اذا أريد بالاولين كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم سواء كان قبل ذلك مؤمنا بموسى وعيسى عليهما السلام أو لم يكن ويكون السبب فى ذكر هذا الخاص بعد العام اثبات شرف لهم وترغيبا لامثالهم فى الدين ويحتمل ان يراد بهؤلاء الاولون ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه كقوله شعر الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم يالهف زيابة للحارث الصا * بح فالغانم فالآيب الثانية قال فى التفسير الكبير المراد من انزال الوحى ان جبريل سمع فى السماء كلام الله تعالى فنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل لكن المستمع يسمع الرسالة فى علو فينزل فيؤدى فى سفل وقول الامير لا يفارق ذاته ولكن السامع يسمع فينزل ويؤدى بلفظ نفسه قال فان قيل كيف سمع جبريل

تكلام الله وكلامه ليس حرفا ولا صوتا عندكم قلنا يحتمل ان يخلق الله له سمعا لكلامه ثم أقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ويجوز أن يكون خلق الله في اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم المخصوص فقرأه جبرائيل فحفظه ويجوز ان يخلق أصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص في جسم مخصوص فيتلقفه جبرائيل ويخلق له علما ضروريا بانه هو العبارة المؤدية لذلك الكلام وأقول انك اذا تاملت ما أشرنا اليه في المقدمة العاشرة من مقدمات الكتاب (١٣٦) انكشف لك الغطاء عن هذه المسئلة الثالثة الايمان بجميع الكتب السماوية أعني التصديق بها واجب لان الفلاح منوط بذلك ووجب تحصيل العلم بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل التأصيل لقوم واجبه علما وعملا لكنه فرض كفاية لقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الآية وأما المنزل على الانبياء المتقدمين فالايمان به واجب على الجملة لان الله تعالى ما تعبدنا الآن به حتى يلزمنا معرفتها مفصلة لكنا ان عرفنا شيئا من تفاصيلها فهناك يجب علينا الايمان بتلك التفاصيل الرابعة الآخرة صفة الدار تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة تأنيث الآخر نقيض الاول وكذلك الدنيا تأنيث الأدنى لانها أقرب واليقين هو العلم بالشيء ضرورة أو استدلالا بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه متيقن ولا يقال تيقنت ان السماء فوقي أو أني موجود وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته ومن غير ايقان وان اليقين بما عليه من آمن بما أنزل على محمد وعلى غيره من الانبياء وهذا في معرض المدح ومعلوم انه لا يمدح بتيقن وجود الآخرة فقط بل به وبما يتبعه من الحساب والسؤال وادخال المؤمنين الجنة والكافرين النار عن النبي صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب من الشاك في الله وهو يرى خلقه وعجبا ممن يعرف النشأة الاولى ثم ينكر النشأة الآخرة وعجبا ممن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحيا يعني النوم واليقظة وعجبا ممن يؤمن بالجنة وما فيها من النعيم ثم يسعى لدار الغرور وعجبا من المتكبر الفخور وهو يعلم ان أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة البحث السابع في قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم الآية وفيه مسائل الاولى في كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها وجوه أحدها ان ينوي

أعلى وأجل من أن يضرب هذه الامثال فأنزل الله ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة الى قوله أولئك هم الخاسرون وقال آخرون بما حدثني به أحمد بن ابراهيم قال حدثنا ٧ قراد عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في قوله تعالى ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها قال هذا مثل ضربه الله للدنيا ان البعوضة تحيا ما جاعت فاذا سمنت ماتت وكذلك مثل القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل اذا امتلؤا من الدنيا ريا أخذهم الله عند ذلك قال ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء الآية وحدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا اسحق بن الحجاج قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس بنحوه الا أنه قال فاذا خلت آجالهم وانقطعت مدتهم صاروا كالبعوضة تحيا ما جاعت وتموت اذا رويت فكذلك هؤلاء الذين ضرب الله لهم هذا المثل اذا امتلؤا من الدنيا ريا أخذهم الله فأهلكهم فذلك قوله حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال آخرون بما حدثنا به بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قوله ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها أي ان الله لا يستحيي من الحق ان يذكر منه شيئا ما قل منه أو كثر ان الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة ما أراد الله من ذكر هذا فأنزل الله ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما ذكر الله العنكبوت والذباب قال المشركون ما بال العنكبوت والذباب يذكران فأنزل الله ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وقد ذهب كل قائل ممن ذكرنا قوله في هذه الآية وفي المعنى الذي نزلت فيه مذهبا غير ان أولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحق ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عباس وذلك ان الله جل ذكره أخبر عباده انه لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها عقيب أمثال قد تقدمت في هذه السورة ضربها للمنافقين دون الامثال التي ضربها في سائر السور غيرها فلان يكون هذا القول أعني قوله ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما جوابا لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب لهم من الامثال في هذه السورة أحق وأولى من ان يكون ذلك جوابا لنكيرهم ما ضرب من الامثال في سائر السور لان الامثال التي ضربها الله لهم ولآلهتهم في سائر السور أمثال موافقة المعنى لما أخبر عنه انه لا يستحيي أن يضرب مثلا اذ كان بعضها تمثيلا لآلهتهم بالعنكبوت وبعضها تشبيها لها في الضعف والمهانة بالذباب وليس ذكر شيء من ذلك بموجود في هذه السورة فيجوز ان يقال ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما فان ذلك بخلاف ما ظن وذلك ان قول الله جل ثناؤه ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها انما هو خبر منه جل ذكره انه لا يستحيي أن يضرب في الحق من الامثال صغيرها وكبيرها ابتلاء بذلك عباده واختبارا منه لهم ليميز به أهل الايمان والتصديق به من أهل الضلال والكفر به اضلالا منه به لقوم وهداية منه به لآخرين كما حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله مثلا ما بعوضة يعني الامثال صغيرها وكبيرها يؤمن بها المؤمنون ويعلمون أنه الحق من ربهم ويهديهم الله بها ويضل بها الفاسقين يقول يعرفه المؤمنون فيؤمنون به ويعرفه الفاسقون

٧ قوله قراد هكذا بالنسخ ولم يوجد بكتب أسماء الرجال فلعله قرات اه مصححه

فيكفرون

فيكفرون به وحدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بمثله وحدثني القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله لانه جل ذكره قصد الخبر عن عين البعوضة انه لا يستحي من ضرب المثل بها ولكن البعوضة لما كانت أضعف الخلق كما حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال البعوضة أضعف ما خلق الله وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج بنحوه خصها الله بالذكر في القلة فاخبر انه لا يستحي ان يضرب أقل الامثال في الحق وأحقرها وأعلاها الى غير نهاية في الارتفاع جوابا منه جل ذكره لمن أنكر من منافقي خلقه ما ضرب لهم من المثل بموقد النار والصيب من السماء على ما نعتهما به من نعتهما فان قال لنا قائل وأين ذكر نكير المنافقين الامثال التي وصفت الذي هو هذا الخبر جوابه فنعلم ان القول في ذلك ما قلت قيل الدلالة على ذلك بينها جل ذكره في قوله فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا وان القوم الذين ضرب لهم الامثال التي في الآيتين المقدمتين اللتين مثل ما عليه المنافقون مقيمون فيهما بموقد النار وبالصيب من السماء على ما وصف من ذلك قبل قوله ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا قد أنكروا المثل وقالوا ماذا أراد الله بهذا مثلا فاوضح خطا قيلهم ذلك وقبح لهم ما نطقوا به وأخبرهم بحكمهم في قيلهم ما قالوا منه وانه ضلال وفسوق وان الصواب والهدى ما قاله المؤمنون دون ما قالوه وأما تاويل ان الله لا يستحي فان بعض المنسوبين الى المعرفة بلغة العرب كان يتاول معنى ان الله لا يستحي ان الله لا يخشى ان يضرب مثلا ويستشهد على ذلك من قوله بقوله وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه ويزعم ان معنى ذلك وتستحي الناس والله أحق ان تستحيه فيقال الاستحياء بمعنى الخشية والخشية بمعنى الاستحياء وأما معنى قوله ان يضرب مثلا فهو ان يبين ويصف كما قال جل ثناؤه ضرب لكم مثلا بمعنى وصف لكم وكما قال الكميت

وذلك ضرب أخماس أريدت * لاسداس عسى أن لا تكونا

بمعنى وصف أخماس والمثل الشبه يقال هذا مثل هذا ومثله كما يقال شبهه وشبيهه ومنه قول كعب بن زهير

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيده الا الاباطيل

يعني شبها فمعنى قوله اذا ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ان الله لا يخشى ان يصف شبها لما شبه به وأما ما التي في قوله مع مثل فانها بمعنى الذي لان معنى الكلام ان الله لا يستحي أن يضرب الذي هو بعوضة في الصغر والقلة فما فوقها مثلا فان قال قائل فان كان القول في ذلك كما قلت فما وجه نصب البعوضة وقد علمت ان تاويل الكلام على ما تاولت ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا الذي هو بعوضة فالبعوضة على قولك في محل الرفع فانى أتاها النصب قيل أتاها النصب من وجهين أحدهما ان ما كانت في محل نصب بقوله يضرب وكانت البعوضة لها صلة أعربت بتعريبها فالزمت اعرابها كما قال حسان بن ثابت

وكفى بنا فضلا على من غيرنا * حب النبي محمد ايانا

الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب على سبيل الاستئناف وأولئك على هدى الجملة خبره كانه لما قيل هدى للمتقين نخص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فاجيب بان الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح وهذا النوع من الاستئناف يجيء تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث نحو قد أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته مثل أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة كما في الآية أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه وثانيها ان يجعل الذين والذين تابعا للمتقين ويقع الاستئناف على أولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فقيل أولئك الموصوفون غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا وثالثها ان يجعل الموصول الاول صفة للمتقين ويرفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره ويكون اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون في انهم سيفلحون عند الله تعالى والفصل من هذه الوجوه لاولها لان الكلام المبني على السؤال والجواب أكثر فائدة ولان الاستئناف باعادة الصفة أبلغ ولان السؤال على الوجه الاخير كالضائع لان موجبات اختصاصهم بالهدى قد علمت وأيضا انه يجعل الموصولين تابعا والوجه الاول يجعل الموصول الاول ركنا من الكلام * الثانية الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى كقولهم هو على الحق وفلان على الباطل وقد يصرح بذلك فيقال جعل الغواية مركبا وامتطى الحق واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم أي منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اما اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير والترقي من الافضل لافضل واما الارشاد الى الدليل الموجب للثبات على ما اعتقدوه والدوام على ما عملوه ونكر هدى ليفيد ضربا من المبالغة أي هدى لا يبلغ كنهه قال الهذلي شعر

فلا وأبي الطير المربة بالضحى * على خالد لقد وقعت على لحم

أي لحم وأي لحم وأرب بالمكان اذا قام به والاب تنحم للاستعظام اذ التنكير انما يكون للاشراف كما أن الاقسام بالطير

فعرب غير باعراب من فالعرب تفعل ذلك خاصة فى من وما تعرب صلاتهما باعرابهما لانهما يكونان معرفة أحيانا ونكرة أحيانا وأما الوجه الآخر فان يكون معنى الكلام ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بين بعوضة الى ما فوقها ثم حذف ذكر بين والى اذ كان فى نصب البعوضة ودخول الفاء فى ما الثانية دلالة عليهما كما قالت العرب مطرنا ما زبالة فالثعلبية وله عشرون ما ناقة فجملا وهى أحسن الناس ما قرنا فقدما يعنون ما بين قرنها الى قدمها وكذلك يقولون فى كل ما حسن فيه من الكلام دخول ما بين كذا الى كذا ينصبون الاول والثانى ليدل النصب فيهما على المحذوف من الكلام فكذلك ذلك فى قوله ما بعوضة فما فوقها وقد زعم بعض أهل العربية ان ما التى مع المثل صلة فى الكلام بمعنى التطول وان معنى الكلام ان الله لا يستحيي أن يضرب بعوضة مثلا فما فوقها معطوفة على البعوضة لا على ما * وأما تأويل قوله فما فوقها فهو أعظم منها عندى لما ذكرنا قبل من قول قتادة وابن جريج ان البعوضة أضعف خلق الله فاذا كانت أضعف خلق الله فهى نهاية فى القلة والضعف واذ كانت كذلك فلا شك أن ما فوق أضعف الاشياء لا يكون الا أقوى منه فقد يجب ان يكون المعنى على ما قالاه فما فوقها فى العظم والكبر اذ كانت البعوضة نهاية فى الضعف والقلة وقيل فى تأويل قوله فما فوقها فى الصغر والقلة كما يقال فى الرجل يذكره الذاكر فيصفه باللؤم والشح فيقول السامع نعم وفوق ذلك يعنى فوق الذى وصف فى الشح واللؤم وهذا قول خلاف تأويل أهل العلم الذين ترتضى معرفتهم بتأويل القرآن فقد تبين اذا بما وصفنا ان معنى الكلام ان الله لا يستحيي أن يصف شبها لما شبه به الذى هو ما بين بعوضة الى ما فوق البعوضة فأما تأويل الكلام لو رفعت البعوضة فغير جائز فى ما الا ما قلنا من ان تكون اسما لا صلة بمعنى التطول ۞ القول فى تأويل قوله (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) قال أبو جعفر يعنى بقوله جل ذكره فأما الذين آمنوا فأما الذين صدقوا الله ورسوله وقوله فيعلمون أنه الحق من ربهم يعنى فيعرفون ان المثل الذى ضربه الله لما ضربه له مثل كما حدثنى المثنى قال حدثنا اسحق بن الحجاج قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم أى هذا المثل الحق من ربهم انه كلام الله ومن عنده وكما حدثنا بشر ابن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم أى يعلمون انه كلام الرحمن وانه الحق من الله وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ۞ قال أبو جعفر وقوله وأما الذين كفروا يعنى الذين جحدوا آيات الله وأنكروا ما عرفوا وستروا ما علموا انه حق وذلك صفة المنافقين واياهم عنى الله جل وعز ومن كان من نظائرهم وشركائهم من المشركين من أهل الكتاب وغيرهم بهذه الآية فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا كما قد ذكرنا قبل من الخبر الذى رويناه عن مجاهد الذى حدثنا به محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم الآية قال يؤمن بها المؤمنون ويعلمون انها الحق من ربهم ويهديهم الله بها ويضل بها الفاسقون يقول يعرفه المؤمنون فيؤمنون به ويعرفه الفاسقون فيكفرون به وتأويل قوله ماذا أراد الله بهذا مثلا الذى أراد الله

أيضا الاستعظام هن لوقوعهن على لحم عظيم وعن بعضهم الهدى من الله كثير ولا يبصره الا بصير ولا يعمل به الا يسير ألا ترى ان نجوم السماء يبصرها البصراء ولا يهتدى بها الا العلماء الثالثة فى تكرير أولئك تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاختصاص بالايمان ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ووسط العاطف بينهما الاختلاف خبريهما بخلاف قوله أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة الانعام شئ واحد الرابعة هم فصل وفائدته بعد الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة التوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره ويحتمل ان يكون هم مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك الخامسة المفلح الفائز بالبغية والمفلج بالجيم مثله كانه الذى انفتحت له وجوه الظفر وكذلك أخواته فى الفاء والعين يدل على معنى الشق والفتح نحو فلق وفلذ ومنه سمى الزارع فلاحا ومعنى التعريف فى المفلحون اما العهد أى المتقون هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون فى الآخرة أو الجنس على معنى انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهى ذكر اسم الاشارة فان فى ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه كالمذكورين قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التى عددت لهم وتكرير اسم الاشارة وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا فى زمرة من صدرت بذكرهم أولى الزهراوين وقد ورد فى الخبر يحشر الناس يوم القيامة ثم يقول الله عز وجل لهم طالما كنتم تتكلمون وأنا ساكت فاسكتوا اليوم حتى أتكلم انى رفعت نسبا وابيتم الا أنسابكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم أنتم فقلتم لا بل فلان بن فلان فرفعتم أنسابكم ووضعتم نسبي فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم فسيعلم أهل الجمع من أصحاب الكرم أين المتقون فليأخذ العاقل بحكمة الله تعالى وهو نوط الثواب وتعليق العقاب بالعمل الصالح والسيئ الا بها وغير مضبوط من عفوه عن بعض المذنبين ورده طاعة بعض المطيعين كان

بهذا المثل مثلا فذا مع ما في معنى الذي وأراد صلته وهذا اشارة الى المثل ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) قال أبو جعفر يعني بقوله جل وعز يضل به كثيرا يضل الله به كثيرا من خلقه والهاء في به من ذكر المثل وهذا خبر من الله جل ثناؤه مبتدأ ومعنى الكلام ان الله يضل بالمثل الذي يضرب به كثيرا من أهل النفاق والكفر كما حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضل به كثيرا يعني المنافقين ويهدي به كثيرا يعني المؤمنين فيزيد هؤلاء ضلالا الى ضلالهم لتكذيبهم بما قد علموه حقا يقينا من المثل الذي ضربه لما ضربه له وانه لما ضربه له موافق فذلك اضلال الله اياهم به ويهدي به يعني بالمثل كثيرا من أهل الايمان والتصديق فيزيدهم هدى الى هداهم وايمانا الى ايمانهم لتصديقهم بما قد علموه حقا يقينا انه موافق ما ضربه الله له مثلا واقرارهم به وذلك هداية الله لهم به وقد زعم بعضهم ان ذلك خبر عن المنافقين كأنهم قالوا ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كل أحد يضل به هذا ويهدي به هذا ثم استؤنف الكلام والخبر عن الله فقال الله وما يضل به الا الفاسقين وفيما في سورة المدثر من قول الله وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ما ينبئ عن انه في سورة البقرة كذلك مبتدأ أعني قوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وما يضل به الا الفاسقين) وتأويل ذلك ما حدثني به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وما يضل به الا الفاسقين هم المنافقون وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة وما يضل به الا الفاسقين فسقوا فأضلهم الله على فسقهم وحدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس وما يضل به الا الفاسقين هم أهل النفاق ۞ قال أبو جعفر وأصل الفسق في كلام العرب الخروج عن الشيء يقال منه فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ومن ذلك سميت الفارة فويسقة لخروجها عن جحرها فكذلك المنافق والكافر سميا فاسقين لخروجهما عن طاعة ربهما ولذلك قال جل ذكره في صفة ابليس الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه يعني به خرج عن طاعته واتباع أمره كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس في قوله بما كانوا يفسقون أي بما بعدوا عن أمري فمعنى قوله وما يضل به الفاسقين وما يضل الله بالمثل الذي يضربه لاهل الضلال والنفاق الخارجين عن طاعته والتاركين اتباع أمره من أهل الكفر به من أهل الكتاب وأهل الضلال من أهل النفاق ۞ القول في تأويل قوله (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) قال أبو جعفر وهذا وصف من الله جل ذكره الفاسقين الذين أخبر انه لا يضل بالمثل الذي ضربه لاهل النفاق غيرهم فقال وما يضل الله بالمثل الذي يضربه على ما وصف قبل في الآيات المتقدمة الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ثم اختلف أهل المعرفة في معنى

حكمته لما اقتضت ترتب الشبع والري على الاكل والشرب لم يعهد الاتكال على ما يمكن ان يقع بالنسبة الى قدرته من اشباع شخص أو ارواته من غير تناول الطعام والشراب أو بالعكس وهذه نكتة شريفة ينتفع بها (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) القراآت أأنذرتهم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن ذكوان وروى الحلواني عن هشام آأنذرتهم بهمزتين بينهما مدة والباقون يجيزون الاولى ويلينون الثانية والتليين جعل الهمزة بين بين أي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركة الهمزة وعلى أبصارهم بمالة أبو عمرو وعلي غير ليث وابن حمدون وحمدويه وحمزة وفي رواية ابن سعدان وأبي عمر وكذلك قوله عز وجل بقنطار وبالاسحار وكالفخار والغار ومن أنصار واشعارها وأشباه ذلك حيث كان يعني اذا كان قبل الالف حرف مانع وبعدها راء مكسورة في موضع اللام لان الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية غشاوة بالفصل وقرأ حمزة وفي رواية خلف وابن سعدان وخلف لنفسه وأبو اسحق ابراهيم ابن أحمد عن أبي الحرث عن علي وورش من طريق البخاري مدغمة النون والتنوين في الواو في جميع القرآن عظيم بالاشمام في الوقف وكذلك اذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلي وخلف وهو الاختيار عندنا * الوقوف لا يؤمنون ه على سمعهم ط لان الواو للاستئناف غشاوة ز لان الجملتين وان اتفقتا نظما فالاولى بيان وصف موجود والثانية اثبات عذاب موعود عظيم ه * التفسير وفيه مسائل الاولى فيما يتعلق بان أما عمله من نصب الاسم ورفع الخبر فمعلوم من علم النحو وأما فائدته فما ذكره المبرد في جواب الكندي من ان قولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر لقيامه وقد يضاف اليه القسم أيضا نحو والله ان عبد الله لقائم قال أبو نواس شعر عليك باليأس من الناس * ان غنى نفسك في اليأس حسن موقع ان لان الغالب على الناس خلاف هذا الظن وقد يجيء اذا خاف المتكلم في الذي وجد أنه لم يوجد كقولك انه كان مني اليه احسان فقابلني بالسوء وكأنك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وتبين الخطأ فيما توهمت كقوله تعالى حكاية عن أم مريم قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت

وكذلك قول نوح رب ان قومي كذبون * الثانية لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم الموجبة لامتداحه اياهم عقب ذلك بذكر اضدادهم وهم المردة من الكفار الذين لا ينجع فيهم الهدى وسواء عليهم الانذار وعدمه وانما فقد العاطف بين القصتين خلاف ما في نحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباين الجملتين ههنا في الغرض والاسلوب اذ الاولى مسبوقة بذكر الكتاب وانه هدى للمتقين والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وذلك اذا جعلت الذين يؤمنون مبتدأ وأولئك خبره لان الكلام المبتدأ على سبيل الاستئناف مبنى على تقدير سؤال وذلك ادراج له في حكم المتقين وتصييره تبعا له في المعنى فحكمه حكم الاول وكذا اذا جعلت الموصول الثاني مبتدأ وأولئك خبره لان الجملة برأسها من مستتبعات هدى للمتقين لارتباط بينهما من حيث المعنى * الثالثة التعريف في الذين اما أن يراد به ناس معهودون باعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واما ان يراد به الجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوى بعده فقط دون من عداهم من الكفار الذين أسلموا بدليل الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم الرابعة الكفر نقيض الايمان فيختلف تعريفه باختلاف تعريف الايمان وقد تقدم وأصل الكفر الستر والتغطية ومنه الكافر لانه يستر الحق ويجحده والزارع كافر لانه يستر الحب والليل المظلم كافر لانه بظلمته يستر كل شئ والكافر الذي كفر درعه بثوب أي غطى ولبسه فوقه قال في التفسير الكبير كفر والاخبار عن كفرهم بصيغة الماضي فيقتضي كون المخبر عنه متقدما على ذلك الاخبار فللمعتزلة ان يحتجوا بهذا على ان كلام الله محدث فان القديم يستحيل ان يكون مسبوقا بالغير قلت التحقيق في هذا وأمثاله ان كلامه أزلي الا ان حكمته في باب التفهيم والتعليم اقتضت ان يكون كلامه على حسب وصوله الى السامعين ضرورة كونهم مترمنين فكل ما هو متقدم على زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ الماضي وكل ما هو متأخر عن زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ المستقبل نحو لتدخلن المسجد الحرام سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب والا اختل نظام التفاهم والتخاطب ومن هذا يعلم ان قوله سنلقي ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل مقصودا بالنسبة الى المخاطبين وانما المقصود استقباله بالنظر الى زمان نزول الآية فافهم الخامسة سواء

العهد الذي وصف الله هؤلاء الفاسقين بنقضه فقال بعضهم هو وصية الله الى خلقه وأمره اياهم بما أمرهم به من طاعته ونهيه اياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ونقضهم ذلك تركهم العمل به وقال آخرون انما نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم واياهم عنى الله جل ذكره بقوله ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم وبقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر فكل ما في هذه الآيات فعذل لهم وتوبيخ الى انقضاء قصصهم قالوا فعهد الله الذي نقضوه بعد ميثاقه هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها واتباع محمد صلى الله عليه وسلم اذا بعث والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وانكارهم ذلك وكتمانهم علم ذلك الناس بعد اعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه فاخبر الله جل ثناؤه انهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وقال بعضهم ان الله عنى بهذه الآية جميع أهل الشرك والكفر والنفاق وعهده الى جميعهم في توحيده ما وضع لهم من الادلة الدالة على ربوبيته وعهده اليهم في أمره ونهيه ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم ان يأتي بمثلها الشاهدة لهم على صدقهم قالوا ونقضهم ذلك تركهم الاقرار بما قد ثبت لهم صحته بالادلة وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم ان ما أتوا به حق وقال آخرون العهد الذي ذكر الله جل ذكره هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصفه في قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الآيتين ونقضهم ذلك تركهم الوفاء به وأولى الاقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال ان هذه الآيات نزلت في كفار أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قرب منها من بقايا بني اسرائيل ومن كان على شركه من أهل النفاق الذين قد بينا قصصهم فيما مضى من كتابنا هذا وقد دللنا على ان قول الله جل ثناؤه ان الذين كفروا سواء عليهم وقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر فيهم أنزلت وفيمن كان على مثل الذي هم عليه من الشرك بالله غير ان هذه الآيات عندي وان كانت فيهم نزلت فانه معنى بها كل من كان على مثل ما كانوا عليه من الضلال ومعنى بما وافق منها صفة المنافقين وبما وافق منها صفة كفار أحبار اليهود جميع من كان لهم نظيرا في كفرهم وذلك ان الله جل ثناؤه يعم أحيانا جميعهم بالصفة لتقديمه ذكر جميعهم في أول الآيات التي ذكرت قصصهم ويخص أحيانا بالصفة بعضهم لتفصيله في أول الآيات بين فريقهم أعني فريق المنافقين من عبدة الاوثان وأهل الشرك بالله وفريق كفار أحبار اليهود والذين ينقضون عهد الله هم التاركون ما عهد الله اليهم من الاقرار بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتبيين نبوته للناس الكاتمون بيان ذلك بعد علمهم به وبما قد أخذ الله عليهم في ذلك كما قال واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم ونبذهم ذلك وراء ظهورهم هو نقضهم العهد الذي عهد اليهم في التوراة الذي وصفناه وتركهم العمل به وانما قلت عنى بهذه الآيات من قلت انه عنى بها لان الآيات من ابتداء الآيات الخمس والست من سورة البقرة فيهم نزلت الى تمام قصصهم وفي الآية التي بعد الخبر عن خلق آدم وأنبائه في قوله يا بني اسرائيل

اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم فى أربعة أيام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر ان وأنذرتهم أم لم تنذرهم فى موضع الفاعل أى مستو عليهم انذارك وعدمه نحو ان زيدا مختصم أخوه وابن عمه ويحتمل ان يكون أنذرتهم أم لم تنذرهم فى موضع الابتداء وسواء خبر مقدم والجملة خبر ان وانما صح وقوع الفعل مخبرا عنه مع انه أبدا خبر نظرا الى المعنى كقولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن (١٤١) وان كان ظاهر اللفظ على مالا يصح من عطف الاسم على الفعل فان أن مع الفعل فى تقدير المصدر على الفعل وهو النهى وقد جردت الهمزة وأم لمعنى الاستواء وسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه هذا مثل قولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعنى ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء فى الداخل عليهما الهمزة وأم استواؤهما فى علم المستفهم لانه قد علم ان أحد الامرين كائن لكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين والحاصل ان الاستفهام يلزمه معنيان أحدهما استواء طرفى الحكم فى ذهن المستفهم والثانى طلب معرفة أحدهما فجرد هذا التركيب لمعنى الاستواء وسلخ عنه الطلب وفائدة العدول عن العبارة الاصلية وهى سواء عليهم الانذار وعدمه ان يعلم ان قطع الرجاء وحصول اليأس عليهم انما حصل بعد اصرارهم وكانوا قبل ذلك مرجوا عنهم الايمان لا فى علم الله تعالى بل فى علمنا فنزلت الآية بحسب ما يليق بحالنا فى باب التقرير والتصوير أو نقول فائدته ان يعلم ان استواء الطرفين بلغ مبلغا يصح ان يستفهم عنه لكونه خاليا عن شوب التخمين وترجيح أحد الطرفين بوجه ما فان قول القائل الانذار وعدمه مستويان عليهم يمكن ان يحمل على التقريب لا التحقيق بخلاف ما لو أخبر عن لامرين بطريق الهمزة وأم فافهم والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصى وانما ذكر الانذار دون البشارة لان المقام مقام المبالغة وتأثير الانذار فى الفعل والترك أقوى لان دفع الضرر أهم من جلب النفع وقوله لا يؤمنون اما جملة مؤكدة للتى قبلها او خبر لان والجملة قبلها اعتراض * السادسة ختم والكتم اخوان لان ما فى الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه كتمانه وتغطية لئلا يتوصل اليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل عليه كالعصابة

اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وخطابه اياهم جل ذكره بالوفاء فى ذلك خاصة دون سائر البشر ما يدل على ان قوله الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه مقصود به كفارهم ومنافقوهم ومن كان من أشياعهم من مشركى عبدة الاوثان على ضلالهم غير ان الخطاب وان كان لمن وصفت من الفريقين فداخل فى أحكامهم وفيما أوجب الله عليهم لهم من الوعيد والذم والتوبيخ كل من كان على سبيلهم ومنهاجهم من جميع الخلق وأصناف الامم المخاطبين بالامر والنهى فمعنى الآية اذا وما يضل به الا التاركين عهود الله التى عهدها اليهم فى الكتب التى أنزلها الى رسله وعلى ألسن أنبيائه باتباع أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وطاعة الله فيما افترض عليهم فى التوراة من تبيين أمره للناس واخبارهم اياهم انهم يجدونه مكتوبا عندهم انه رسول من عند الله مفترضة طاعته وترك كتمان ذلك لهم ونكثهم ذلك ونقضهم اياه هو مخالفتهم الله فى عهده اليهم فيما وصفت انه عهد اليهم بعد اعطائهم ربهم الميثاق بالوفاء بذلك كما وصفهم به جل ذكره بقوله فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق وأما قوله من بعد ميثاقه فانه يعنى من بعد توثق الله منه بأخذ عهوده بالوفاء له بما عهد اليه فى ذلك غير ان التوثق مصدر من قولك توثقت من فلان توثقا والميثاق اسم منه والهاء فى الميثاق عائدة على اسم الله وقد يدخل فى حكم هذه الآية كل من كان بالصفة التى وصف الله بها هؤلاء الفاسقين من المنافقين والكفار فى نقض العهد وقطع الرحم والافساد فى الارض كما حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قوله الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه فاياكم ونقض هذا الميثاق فان الله قد كره نقضه واوعد فيه وقدم فيه فى آى القرآن حجة وموعظة ونصيحة انا لا نعلم الله جل ذكره أوعد فى ذنب ما أوعد فى نقض الميثاق فمن أعطى عهد الله وميثاقه من ثمرة قلبه فليف به لله وحدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض أولئك هم الخاسرون فهى ست خلال فى أهل النفاق اذا كانت لهم الظهرة أظهروا هذه الخلال الست اذا حدثوا كذبوا واذا وعدوا أخلفوا واذا ائتمنوا خانوا ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وأفسدوا فى الارض واذا كانت عليهم الظهرة أظهروا الخلال الثلاث اذا حدثوا كذبوا واذا وعدوا أخلفوا واذا ائتمنوا خانوا ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) والذى رغب الله فى وصله وذم على قطعه فى هذه الآية الرحم وقد بين ذلك فى كتابه فقال فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم وانما عنى بالرحم أهل الرحم الذين جمعتهم واياه رحم والدة واحدة وقطع ذلك ظلمه فى ترك أداء ما ألزم الله من حقوقها وأوجب من برها ووصلها أداء الواجب لها اليها من حقوق الله التى أوجب لها والتعطف عليها بما يحق التعطف به عليها وأن التى مع يوصل فى محل خفض بمعنى ردها على موضع الهاء التى فى به وكان معنى الكلام ويقطعون الذى أمر الله بأن يوصل والهاء التى فى به هى كناية عن ذكر أن يوصل وبما قلنا فى تأويل قوله ويقطعون

ماأمر الله به ان يوصل وهو الرحم كان قتادة يقول **حدثنا** بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل فقطع والله ماأمر الله به أن يوصل بقطيعة الرحم والقرابة وقد تاول بعضهم ذلك ان الله ذمهم بقطعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به وأرحامهم واستشهد على ذلك بعموم ظاهر الآية وان لادلالة على انه معنى بها بعض ماأمر الله بوصله دون بعض ۞ قال أبو جعفر وهذا مذهب من تاويل الآية غير بعيد من الصواب ولكن الله جل ثناؤه قد ذكر المنافقين فى غير آية من كتابه فوصفهم بقطع الارحام فهذه نظيرة تلك غير انها وان كانت كذلك فهى دالة على ذم الله كل قاطع قطع ماأمر الله بوصله رحما كانت أو غيرها ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (ويفسدون فى الارض) قال أبو جعفر وفسادهم فى الارض هو ما تقدم وصفناه قبل من معصيتهم ربهم وكفرهم به وتكذيبهم برسوله وجحدهم نبوته وانكارهم ما آتاهم به من عند الله انه حق من عنده ۞ القول فى تاويل قوله (أولئك هم الخاسرون) قال أبو جعفر والخاسرون جمع الخاسر والخاسرون الناقصون أنفسهم حظوظها بمعصيتهم الله من رحمته كما يخسر الرجل فى تجارته بان يوضع من رأس ماله فى بيعه فكذلك الكافر والمنافق خسر بحرمان الله اياه رحمته التى خلقها لعباده فى القيامة أحوج ما كان الى رحمته يقال منه خسر الرجل يخسر خسرا وخسرانا وخسارا كما قال جرير بن عطية

ان سليطا فى الخسار انه * أولاد قوم خلقوا أقنة

يعنى بقوله فى الخسار أى فيما يوكسهم حظوظهم من الشرف والكرم وقد قيل ان معنى أولئك هم الخاسرون أولئك هم الهالكون وقد يجوز ان يكون قائل ذلك أراد ما قلنا من هلاك الذى وصف الله صفته بالصفة التى وصفه بها فى هذه الآية بحرمان الله اياه ما حرمه من رحمته بمعصيته اياه وكفره به فحمل تاويل الكلام على معناه دون البيان عن تاويل عين الكلمة بعينها فان أهل التأويل ربما فعلوا ذلك لعلل كثيرة تدعوهم اليه وقال بعضهم فى ذلك بما **حدثت** به عن المنجاب قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كل شئ نسبه الله الى غير أهل الاسلام من اسم مثل خاسر فانما يعنى به الكفر وما نسبه الى أهل الاسلام فانما يعنى به الذنب ۞ القول فى تاويل قول الله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم ما **حدثنى** به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم يقول لم تكونوا شيأ فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة **وحدثنا** محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال حدثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله فى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال هى كالتى فى البقرة كنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم **وحدثنى** أبو حصين عن أبى مالك فى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال خلقتنا ولم نكن شيأ ثم أمتنا ثم أحييتنا **وحدثنى**

والعمامة والقلب يراد به تارة اللحم الصنوبرى المودع فى التجويف الايسر من الصدر وهو محل الروح الحيوانى الذى هو منشأ الحس والحركة وينبعث منه الى سائر الاعضاء بتوسط الاوردة والشرايين ويراد به تارة اللطيفة الربانية التى بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال الاوامر والنواهى والقيام بمواجب التكاليف ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وهى من عالم الامر الذى لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بعد ارادة موجده له انما أمرنا الشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون كما ان البدن بل اللحم الصنوبرى من عالم الخلق الذى هو نقيض ذلك الا له الخلق والامر وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وبالروح قل الروح من أمر ربى ونفخت فيه من روحى والسمع قوة مرتبة فى العصب المتفرق فى سطح الصماخ تدرك صورة ما يتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل للصوت فيتادى الى الهواء المحصور الراكد فى تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه ويماس أمواج تلك الحركة تلك العصبة فتسمع قاله ابن سينا ولعل هذا فى الشاهد فقط وأما البصر فقال ابن سينا هى قوة مرتبة فى العصبة المجوفة تدرك صورة ما ينطبع فى الرطوبة الجليدية من أشباح الاجسام ذوات اللون المتادية فى الاجسام الشفافة بالفعل الى سطوح الاجسام الصيقلية وزعم غيره ان البصر يخرج منه شئ فيلاقى المبصر ويأخذ صورته من خارج ويكون من ذلك ابصار وفى الاكثر يسمون ذلك الخارج شعاعا والحق عندى أن نسبة البصر الى العين نسبة البصيرة الى القلب ولكل من العين والقلب نور اما نور العين فمنطبع فيها لانه من عالم الخلق فهو نور جزئى ومدركه جزئى وأما نور القلب فمفارق لانه من عالم الامر وهو نور كلى ومدركه كلى وادراك كل منهما عبارة عن وقوع مدركه فى ذلك النور ولكل منهما بل لكل فرد من كل منهما حد ينتهى اليه بحسب شدته وضعفه وتبدرج فى الضعف بحسب تباعد المرئى حتى لا يدركه أو يدركه أصغر مما هو عليه ولا يلزم من قولنا ان البصر نور ان يشتد النور اذا اجتمع بصراء كثيرة فى موضع واحد قياسا على أنوار الكواكب والسرج فان ذلك الانضمام من خواص الانوار المحسوسات والملزومات المختلفة لا تستدعى الاشتراك فى اللوازم وهذا القدر من

من التحقيق فى تفسير القلب والسمع والبصر كاف بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلة فى حكم الختم وفى حكم التغشية الا
أن الاولى دخولها فى حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولهذا يوقف على سمعهم دون قلوبهم وفى تكرير
الجار ايذان باستقلال الختم على كل من القلب والسمع وانما وحد السمع لوجوه منها أمن اللبس كما فى قوله شعر كلوا فى بعض بطنكم تعفو *
فان زمانكم زمن خميص اذ لا يلتبس ان لكل واحد بطنا ولهذا لم يؤمن نحو فرسهم وثوبهم والمراد الجمع رفضوه
ومنها ان السمع فى الاصل مصدر
والمصادر لا تجمع فلمح الاصل ولهذا
جمع الاذن فى قوله وفى آذاننا وقر
*ومنها ان يقدر مضاف محذوف أى
على حواس سمعهم ومنها الاستدلال
بما قبله وبما بعده على ان المراد به
الجمع مثل عن اليمين والشمائل
يخرجهم من الظلمات الى النور
السابعة من الناس من قال السمع
أفضل من البصر لتقديمه فى اللفظ
ولانه شرط النبوة فما بعث رسول
أصم بخلاف البصر فمن الانبياء من
كان مبتلى بالعمى ولان السمع
سبب وصول المعارف ونتائج العقول
الى الفهم والبصر سبب وصول
المحسوسات الى البصر ولان السمع
يتصرف فى الجهات الست دون
البصر ولان فاقد السمع فى الاصل
فاقد النطق بخلاف فاقد البصر
ومنهم من فضل البصر لان متعلق
الابصار النور ومتعلق الاسماع
الريح والبصر يرى من بعيد دون
السمع ولان عجائب الله تعالى فى
تخليق العين أكثر منها فى تخليق
السمع وقد أسمع الله كلامه موسى
من غير سبق سؤال ونوقش فى
الرؤية وفى المثل ليس وراء العيان
بيان وفى العين جمال الوجه دون
السمع والحق ان من فقد حسا فقد
فقد علما وهو المتوقف على ذلك
الحس ولا ريب ان معظم العلوم
يتوقف تحصيلها على البصر والارشاد والتعليم على الاطلاق يتوقف على السمع فكل من الحواس فى موضعه ضرورى وتفضيل البعض على
البعض تطويل بلا طائل فسبحان من دقت فى كل مصنوع حكمته وأحسن كل شئ خلقه الثامنة الآية الاولى فيها الاخبار بان الذين
كفروا لا يؤمنون والانذار وعدمه عليهم سيان والآية الثانية فيها بيان السبب الذى لاجله لم يؤمنوا وهو الختم والتغشية فاحتج أهل السنة
بالآيتين ونظائرهما على تكليف ما لا يطاق وعلى ان الله تعالى هو الذى خلق فيهم الداعية الموجبة للكفر وختم على قلوبهم وسمعهم ومنعهم

يعقوب قال حدثنا هشيم عن حصين عن أبى مالك فى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال كانوا أمواتا فأحياهم الله ثم أماتهم ثم أحياهم **وحدثنا** القاسم قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم قال لم تكونوا شيأ حين خلقكم ثم يميتكم الموتة الحق ثم يحييكم وقوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين مثلها **وحدثنا** القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال حدثنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال هو قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين **وحدثت** عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال حدثنى أبو العالية فى قول الله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا يقول حين لم تكونوا شيأ ثم أحياهم حين خلقهم ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة ثم رجعوا اليه بعد الحياة **وحدثت** عن المنجاب قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال كنتم ترابا قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ثم أحياكم فخلقكم فهذه احياءة ثم يميتكم فترجعون الى القبور فهذه ميتة أخرى ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه احياءة فهما ميتتان وحياتان فهو قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون وقال آخرون بما **حدثنا** به أبو كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن السدى عن أبى صالح كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون قال يحييكم فى القبر ثم يميتكم وقال آخرون بما **حدثنا** به بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا الآية قال كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فأحياهم الله وخلقهم ثم أماتهم الموتة التى لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهما حياتان وموتتان وقال بعضهم بما **حدثنى** به يونس قال أنبأنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله تعالى ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال خلقهم من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق وقرأ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم حتى بلغ أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون قال فكسبهم العقل وأخذ عليهم الميثاق قال وانتزع ضلعا من اضلاع آدم القصيرى فخلق منه حواء ذكره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وذلك قول الله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء قال وبث فيهما بعد ذلك فى الارحام خلقا كثيرا وقرأ يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق قال خلقا بعد ذلك قال فلما أخذ عليهم الميثاق أماتهم ثم خلقهم فى الارحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة فذلك قول الله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا وقرأ قول الله وأخذنا منهم ميثاقا غليظا قال يومئذ قال وقرأ قول الله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا ۞ قال أبو جعفر ولكل من هذه الاقوال التى حكيناها عمن رويناها عنه وجه ومذهب من التأويل فأما وجه تأويل من تأول قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا أى لم تكونوا شيأ فانه ذهب الى نحو قول العرب للشئ الدارس والامر الخامل الذكر هذا شئ ميت وهذا أمر ميت يراد بوصفه بالموت خمول ذكره ودروس أثره من الناس وكذلك يقال فى ضد ذلك

عن قبول الحق والصدق وكل بتقدير ولا يسئل عما يفعل وأما المعتزلة وأمثالهم فيقولون كيف ينشئ فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون وخلق فيهم ما به لبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل ونحو ذلك من الآيات الدالة على ان الكفر باختيار العبد وقدرته فتاولوا الآية على انها جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا أو مفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه أو على انها تمثيل لحال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى دخلوا في زمرة الانعام لا تعي شيأ ولا تفقه كقولهم سال به الوادي

اذا هلك وطارت به العنقاء اذا أطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء والشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر الا أن الله تعالى لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب في قولهم بنى الامير المدينة أو انهم لما ترقى أمرهم في التصميم على الكفر الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء ثم لم يقسرهم الله ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم أو يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ويحكى ان الامام أبا القاسم الانصاري سئل عن تكفير المعتزلة في هذه المسئلة فقال لا لانهم نزهوه عما يشبه الظلم والقبيح ولا يليق بالحكمة وسئل عن أهل الجبر فقال لا لانهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة وتاثير وايجاد وزعم الامام فخر الدين ان اثبات الاله يلجئ الى القول بالجبر لان الفاعلية لو لم تتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسول يلجئ الى القول بالقدر لانه لو لم يقدر العبد على الفعل فاي فائدة فزعموا
في بعثة الرسول وانزال الكتب أو نقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا ان ما استوى الوجود والعدم بالنسبة اليه لا يترجح أحدهما على الآخر الا لمرجح وهذا يقتضي الجبر ونجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين حركات الجمادات والحركات الاضطرارية وذلك يقتضي مذهب الاعتزال فلذلك بقيت هذه المسئلة في حيز الاشكال قلت وبالله تعالى التوفيق عندي ان المسئلة في غاية الاستنارة

وخلافه هذا أمر حي وذكر حي يراد بوصفه بذلك انه نابه متعالم في الناس كما قال أبو نخيلة السعدي

فاحييت لي ذكري وما كنت خاملا ✽ ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

يريد بقوله فاحييت لي ذكري أي رفعته وشهرته في الناس حتى نبه فصار مذكورا حيا بعد ان كان خاملا ميتا فكذلك تاويل قول من قال في قوله وكنتم أمواتا لم تكونوا شيأ أي كنتم خمولا لاذكر لكم وذلك كان موتكم فاحياكم فجعلكم بشرا أحياء تذكرون وتعرفون ثم يميتكم بقبض أرواحكم واعادتكم كالذي كنتم قبل ان يحييكم من دروس ذكركم وتعفي آثاركم وخمول أموركم ثم يحييكم باعادة أجسامكم الى هيآتها ونفخ الروح فيها وتصييركم بشرا كالذي كنتم قبل الاماتة لتعارفوا في بعثكم وعند حشركم وأما وجه تاويل من تأول ذلك انه الاماتة التي هي خروج الروح من الجسد فانه ينبغي ان يكون ذهب بقوله وكنتم أمواتا الى انه خطاب لاهل القبور بعد احيائهم في قبورهم وذلك معنى بعيد لان التوبيخ هنالك انما هو توبيخ على ما سلف وفرط من اجرامهم لا استعتاب واسترجاع وقوله جل ذكره كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا توبيخ مستعتب عباده وتأنيب مسترجع خلقه من المعاصي الى الطاعة ومن الضلالة الى الانابة ولا انابة في القبور بعد الممات ولا توبة فيها بعد الوفاة وأما وجه تاويل قول قتادة ذلك انهم كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم فانه عنى بذلك انهم كانوا نطفا لا أرواح فيها فكانت بمعنى سائر الاشياء الموات التي لا أرواح فيها واحياؤه اياها تعالى ذكره نفخه الارواح فيها واماتته اياهم بعد ذلك قبضه أرواحهم واحياؤه اياهم بعد ذلك نفخ الارواح في أجسامهم يوم ينفخ في الصور ويبعث الخلق للموعود وأما ابن زيد فقد أبان عن نفسه ما قصد بتاويله ذلك وان الاماتة الاولى عنده اعادة الله جل ثناؤه عباده في أصلاب آبائهم بعدما أخذهم من صلب آدم وان الاحياء الآخر هو نفخ الارواح فيهم في بطون أمهاتهم وان الاماتة الثانية هي قبض أرواحهم للعود الى التراب والمصير في البرزخ الى يوم البعث وان الاحياء الثالث هو نفخ الارواح فيهم لبعث الساعة ونشر القيامة وهذا تاويل اذا تدبره المتدبر وجده خلافا لظاهر قول الله الذي زعم مفسره ان الذي وصفنا من قوله تفسيره وذلك ان الله جل ثناؤه أخبر في كتابه عن الذين أخبر عنهم من خلقه انهم قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين وزعم ابن زيد في تفسيره ان الله أحياهم ثلاث احياآت وأماتهم ثلاث اماتات والامر عندنا وان كان فيما وصف من استخراج الله جل ذكره من صلب آدم ذريته وأخذه ميثاقه عليهم كما وصف فليس ذلك من تاويل هاتين الآيتين أعني قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا الآية وقوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين في شئ لان أحدا لم يدع ان الله أمات من ذرأ يومئذ غير الاماتة التي صار بها في البرزخ الى يوم البعث فيكون جائزا ان يوجه تاويل الآية الى ما وجهها اليه ابن زيد وقال بعضهم الموتة الاولى مفارقة نطفة الرجل جسده الى رحم المرأة فهي ميتة من لدن فراقها جسده الى نفخ الروح فيها ثم يحييها الله بنفخ الروح فيها فيجعلها بشرا سويا بعد تارات تأتي عليها ثم يميته الميتة الثانية بقبض الروح منه فهو في البرزخ ميت الى يوم ينفخ في الصور فيرد في جسده روحه فيعود حيا سويا لبعث القيامة فذلك موتتان وحياتان وانما دعا هؤلاء الى هذا القول لانهم قالوا موت ذي الروح مفارقة الروح اياه

فزعموا ان كل شيء من ابن آدم حي مالم يفارق جسده الحي ذا الروح فكلما فارق جسده الحي ذا الروح فارقته الروح والحياة فصار ميتا كالعضو من أعضائه مثل اليد من يديه والرجل من رجليه لو قطعت وأبينت والمقطوع ذلك منه حي كان الذي بان من جسده ميتا لا روح فيه بفراقه سائر جسده الذي فيه الروح قالوا فكذلك نطفته حية بحياته مالم تفارق جسده ذا الروح فاذا فارقته مباينة له صارت ميتة نظير ماوصفنا من حكم اليد والرجل وسائر أعضائه وهذا قول ووجه من التأويل لو كان به قائل من أهل القدوة الذين يرتضى للقرآن تأويلهم وأولى ماذكرنا من الاقوال التي بينا بتأويل قول الله جل ذكره كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا الآية القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وعن ابن عباس من ان معنى قوله وكنتم أمواتا أموات الذكر خمولا في أصلاب آبائكم نطفا لاتعرفون ولاتذكرون فاحياكم بانشائكم بشرا سويا حتى ذكرتم وعرفتم وحييتم ثم يميتكم بقبض أرواحكم واعادتكم رفاتا لاتعرفون ولاتذكرون في البرزخ الى يوم تبعثون ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الارواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة ثم الى الله ترجعون بعد ذلك كما قال ثم اليه ترجعون لان الله جل ثناؤه يحييهم في قبورهم قبل حشرهم ثم يحشرهم لموقف الحساب كما قال جل ذكره يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون وقال ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون والعلة التي من أجلها اخترنا هذا التأويل ماقدقدمنا ذكره للقائلين به وفساد ماخالفه بما قد أوضحناه قبل وهذه الآية توبيخ من الله جل ثناؤه للقائلين آمنا بالله وباليوم الآخر الذين أخبر الله عنهم انهم مع قيلهم ذلك بافواههم غير مؤمنين به وانهم انما يقولون ذلك خداعا لله وللمؤمنين فعذلهم الله بقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ووبخهم واحتج عليهم في نكيرهم ما أنكروا من ذلك وجحودهم ماجحدوا بقلوبهم المريضة فقال كيف تكفرون بالله فتجحدون قدرته على احيائكم بعد اماتتكم واعادتكم بعد افنائكم وحشركم اليه لمجازاتكم باعمالكم ثم عدد ربنا عليهم وعلى أوليائهم من أحبار اليهود الذين جمع بين قصصهم وقصص المنافقين في كثير من آي هذه السورة التي افتتح الخبر عنهم فيها بقوله ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون نعمه التي سلفت منه اليهم والى آبائهم التي عظمت منهم مواقعها ثم سلب كثيرا منهم كثيرا منها بما ركبوا من الآثام واجترموا من الاجرام وخالفوا بين الطاعة الى المعصية يحذرهم بذلك تعجيل العقوبة لهم كالذي عجلها للاسلاف والافراط قبلهم ويخوفهم حلول مثلاته بساحتهم كالذي أحل باوائلهم ومعرفهم مالهم من النجاة في سرعة الاوبة اليه وتعجيل التوبة من الخلاص لهم يوم القيامة من العقاب فبدأ بعد تعديده عليهم ماعدد من نعمه التي هم فيها مقيمون بذكر أبينا وأبيهم آدم أبي البشر صلوات الله عليه وماسلف منه من كرامته اليه وآلائه لديه وما أحل به وبعدوه ابليس من عاجل عقوبته بمعصيتهما التي كانت منهما ومخالفتهما أمره بالذي أمرهما به وما كان من تغمده آدم برحمته اذ تاب وأناب اليه وما كان من احلاله بابليس من لعنته في العاجل واعداده له ما أعد له من العذاب المقيم في الآجل اذ استكبر وأبى التوبة اليه والانابة منبها لهم على حكمه في المنيبين اليه بالتوبة وقضائه في المستكبرين عن الانابة اعذارا من الله بذلك اليهم وانذارا

والسطوع اذا لوحظت المبادي ورتبت المقدمات فان مبدأ الكل لو لم يكن قادرا على كل الممكنات وخرج شيء من الاشياء عن علمه وقدرته وتأثيره وايجاده بواسطة أو بغير واسطة لم يصلح لمبدئية الكل فالهداية والضلالة والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضر وسائر المتقابلات كلها مستندة ومنتهية الى قدرته وتأثيره وعلمه وارادته والآيات الناطقة بصحة هذه القضية كقوله تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها قل كل من عند الله كثيرة وكذا الاحاديث اعملوا فكل (١٤٥) ميسر الى ماخلق له كل شيء بقدر حتى العجز والكيس احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى الحديث فهذه القضية مطابقة للعقل والنقل وبقي الجواب عن اعتراضات المخالف أما حكاية التنزيه عن الظلم والقبائح فاقول لاريب انه تعالى منزه عن جميع القبائح ولكن لا بالوجه الذي يذكره المخالف اذ يلزم منه النقص من جهة أخرى وهو الخلل في مبدئيته للكل وفي كونه مالك الملك بل الوجه ان يقال ان لله تعالى صفتي لطف وقهر ومن الواجب في الحكمة ان يكون الملك ولاسيما ملك الملوك كذلك اذ كل منهما من أوصاف الكمال ولا يقوم أحدهما مقام الآخر ومن منع ذلك كابر وعاند ولابد لكل من الوصفين من مظهر فالملائكة ومن ضاهاهم من الاخيار مظاهر اللطف والشياطين ومن والاهم من الاشرار مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم أهل الجنة والاعمال المستتبعة لها ومظاهر القهر هم أهل النار والافعال المعقبة اياها وههنا سر وهو ان اللطف والقهر والجنة والنار انما يصح وجود كل من كل منهما بوجود الآخر فلولا القهر لم يتحقق اللطف ولولا النار لم تثبت الجنة كما انه لولا الالم لم تتبين اللذة ولولا الجوع والعطش لم يظهر الشبع والري

ولله در القائل * وبضدها تتبين الاشياء * فخلق الله تعالى للجنة خلقا يعملون بعمل أهل الجنة وللنار خلقا يعملون بعمل أهل النار ولا اعتراض لاحد عليه في تخصيص كل من الفريقين بما خصصوا به فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله وههنا تظهر حقيقة الشقاوة والسعادة فمنهم شقي وسعيد الآية وقال صلى الله عليه وسلم ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله وأجله

لهم ليتدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب وخاصا أهل الكتاب بما ذكر من قصص آدم وسائر القصص التى ذكرها معها وبعدها مما علمه أهل الكتاب وجهلته الامة الامية من مشركى عبدة الاوثان بالاحتجاج عليهم دون غيرهم من سائر أصناف الامم الذين لا علم عندهم بذلك لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليعلموا باخباره اياهم بذلك انه لله رسول مبعوث وان ماجاءهم به فمن عنده اذ كان مااقتص عليهم من هذه القصص من مكنون علومهم ومصون مافى كتبهم وخفى أمورهم التى لم يكن يدعى معرفة علمها غيرهم وغير من أخذ عنهم وقرأ كتبهم وكان معلوما من محمد صلى الله عليه وسلم انه لم يكن قط كاتبا ولا لاسفارهم تاليا ولا لاحد منهم مصاحبا ولا مجالسا فيمكنهم ان يدعوا انه أخذ ذلك من كتبهم أو عن بعضهم فقال جل ذكره فى تعديده عليهم ماهم فيه مقيمون من نعمه مع كفرهم به وتركهم شكره عليها مما يجب له عليهم من طاعته هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم فاخبرهم جل ذكره انه خلق لهم مافى الارض جميعا لان الارض وجميع مافيها لبنى آدم منافع أما فى الدين فدليل على وحدانية ربه وأما فى الدنيا فمعاش وبلاغ له الى طاعته وأداء فرائضه فلذلك قال جل ذكره هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقوله هو مكنى من اسم الله جل ذكره عائد على اسمه فى قوله كيف تكفرون بالله ومعنى خلقه ماخلق جل ثناؤه انشاؤه عنه واخراجه من حال العدم الى الوجود ومابمعنى الذى فمعنى الكلام اذا كيف تكفرون بالله وكنتم نطفا فى أصلاب آبائكم فجعلكم بشرا أحياء ثم يميتكم ثم يحييكم بعد ذلك وباعثكم يوم الحشر للثواب والعقاب وهو المنعم عليكم بما خلق لكم فى الارض من معايشكم وأدلتكم على وحدانية ربكم وكيف بمعنى التعجب والتوبيخ لا بمعنى الاستفهام كانه قال ويحكم كيف تكفرون بالله كما قال فاين تذهبون وحل قوله وكنتم أمواتا محل الحال وفيه اضمار قد ولكنها حذفت لما فى الكلام من الدليل عليها وذلك ان فعل اذا حلت محل الحال كان معلوما انها مقتضية قد كما قال جل ثناؤه أوجاؤكم حصرت صدورهم يعنى قد حصرت صدورهم وكما تقول للرجل أصبحت كثرت ماشيتك تريد قد كثرت ماشيتك وبنحو الذى قلنا فى قوله هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا كان قتادة يقول حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا نعم والله سخر لكم مافى الارض ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات) قال أبو جعفر اختلف فى تأويل قوله ثم استوى الى السماء فقال بعضهم معنى استوى الى السماء أقبل عليها كما تقول كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى على يشاتمنى واستوى الى يشاتمنى بمعنى أقبل على والى يشاتمنى واستشهد على ان معنى الاستواء بمعنى الاقبال بقول الشاعر

أقول وقد قطعن بنا شرورى * سوامد واستوين من الضجوع

فزعم انه عنى به انهن خرجن من الضجوع وكان ذلك عندهم بمعنى أقبلن وهذا من التاويل فى هذا البيت خطأ وانما معنى قوله واستوين من الضجوع استوين على الطريق من الضجوع خارجات بمعنى استقمن وقال بعضهم لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحول ولكنه بمعنى فعله كما تقول كان

ورزقه وشقى أو سعيد الحديث واذا تؤمل فيما قلت ظهر ان لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبائح اليه تعالى لان هذا الترتيب والتمييز من لوازم الوجود والايجاد كما يشهد به العقل الصريح ولا سيما عند المخالف القائل بالتحسين والتقبيح العقليين وليت شعرى لم لا ينسب الظلم الى الملك المجازى حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزيرا وبعضهم كناسا بعيدا لان كلا منهما من ضرورات المملكة وينسب الظلم اليه تعالى فى تخصيص كل من عبيده بما خصص به مع ان كلا منهم ضرورى فى مقامه فهذا القائل يهدم بناء حكمته تعالى ويدعى انه يحفظه فافسد حين أصلح وأما قوله أى فائدة فى بعثة الرسل وانزال الكتب ففى غاية السخافة لانها لما بينا انه تعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد فكيف يبقى للمعترض ان يقول لم جعل الله تعالى الشئ الفلانى سببا وواسطة للشئ الفلانى كما انه ليس له ان يقول مثلا لم جعل الشمس سببا لانارة الارض غاية مافى الباب ان يقول اذا علم الله تعالى ان الكافر لا يؤمن فلم يامره بالايمان ويبعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم فاقول فائدة بعث الانبياء وانزال الكتب بالحقيقة ترجع الى المؤمنين الذين جعل الله بعثهم وانزالها سببا وواسطة لاهتدائهم انما أنت منذر من يخشاها كما ان فائدة نور الشمس تعود الى أصحاب العيون الصحاح وأما فائدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم فكفائدة نور الشمس بالنسبة الى الاكمه وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية ذلك الزام الحجة واقامة البينة عليهم ظاهرا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولو أنا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا وهو بالحقيقة النعى عليهم بانهم فى أصل الخلقة ناقصون أشقياء وهذا المعنى ربما لا يظهر لهم أيضا لغاية نقصانهم كما ان الاكمه بما لا يصدق البصراء ولا يعرف ان التقصير الحليقة والنقصان منه وان سائر الشرائط من محاذاة المرئى وظهور الغير موجودة وانما يعرف نقصانهم أرباب الابصار وأما حديث التفرقة الضرورية من الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية كالرعشة مثلا فاقول لاريب ان للانسان ارادات وقوى بها يتم له حصول الملائم واجتناب المنافى الا ان تلك الارادات والقوى مستندة الى الله تعالى فيكانه لا اختيار والتفرقة المذكورة سببها فى ان الرعشة

نقضت واسطة هي الداعية وفي الحركة المسماة بالاختيارية زادت واسطة فافهم هذه الحقائق والاشارات واستغن بها في سائر ما يفرع تمعك من هذا القبيل فلعلنا لا نكررها في كل موضع حذرا من التطويل ومن لم يستضئ بمصباح لا يستفيد باصباح والله يقول الحق وهو يهدي السبيل * التاسعة العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول أعذب عن الشئ اذا أمسكت عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش و يردعه بخلاف الملح فانه يزيده ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذابا وان لم يكن نكالا أي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير ويستعملان في المعاني والاعيان جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير ان على أبصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله نعوذ بالله منه * العاشرة اتفق المسلمون أكثرهم على انه يحسن من الله تعالى تعذيب الكفار وقال بعضهم لا يحسن وفسروا قوله ولهم عذاب عظيم وكذا كل وعيد ورد في القرآن بانهم يستحقون ذلك لكن كرمه يوجب عليه العفو وذكروا أيضا دلائل عقلية مبنية على الحسن والقبح كقولهم التعذيب ضرر خال عن المنفعة لان الله تعالى منزه عن ذلك والعبد يتضرر به ولو سلم انه ينتفع به فالله قادر على ايصال النفع اليه من غير توسط ذلك العذاب والضرر خال عن المنافع قبيح بالبديهة وكقولهم علم ان الكافر لا يظهر منه الا العصيان فتكليفه أمر امتى لم يفعل ترتب عليه العذاب وما كان مستعقبا للضرر من غير نفع كان قبيحا فلم يبق الا ان يقال لم يوجد هذا التكليف أو وجد لكنه لا يستعقب العقاب وكقولهم انه سبحانه هو الخالق لداعية المعصية فيقبح ان يعاقب عليها وكقولهم ان العبد لو واظب على الكفر طول عمره فاذا تاب ثم مات عفا الله عنه أترى هذا الكريم العظيم ما بقي في الآخرة أو سلبت عقول أولئك المعذبين ولا يتوبون عن معاصيهم واذا تابوا فلم لا يقبل الله منهم توبتهم ولم كان في الدنيا بحيث قال ادعوني أستجب لكم وفي الآخرة بحيث لا يجيب عن دعائهم الا بقوله اخسؤا فيها ولا تكلمون وأجيب بان تعذيبهم نقل الينا بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا مصير الى انكاره والشبه التي تمسكتم بها تنهدم بانهدام قاعدة الحسن والقبح وأقول قد

الخليفة في أهل العراق يوالفهم ثم تحول الى الشام انما يريد تحول فعله وقال بعضهم قوله ثم استوى الى السماء يعني به استوت كما قال الشاعر

أقول له لما استوى في ترابه * على أي دين قبل الرأس مصعب

وقال بعضهم ثم استوى الى السماء عمد اليها وقال كل تارك عملا كان فيه الى آخره فهو مستو لما عهد له ومستو اليه وقال بعضهم الاستواء هو العلو والعلو هو الارتفاع وممن قال ذلك الربيع بن أنس حدثت بذلك عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس ثم استوى الى السماء يقول ارتفع الى السماء ثم اختلف متأولو الاستواء بمعنى العلو والارتفاع في الذي استوى الى السماء فقال بعضهم الذي استوى الى السماء وعلا عليها هو خالقها ومنشئها وقال بعضهم بل العالي اليها الدخان الذي جعله الله للارض سماء ❁ قال أبو جعفر الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه منها انتهاء شباب الرجل وقوته فيقال اذا صار كذلك قد استوى الرجل ومنها استقامة ما كان فيه أود من الامور والاسباب يقال منه استوى لفلان أمره اذا استقام له بعد أود ومنه قول الطرماح بن حكيم

طال على رسم مهدد أبده * وعفا واستوى به بلده

يعني استقام به ومنها الاقبال على الشئ بالفعل كما يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الاحسان اليه ومنها الاحتياز والاستواء كقولهم استوى فلان على المملكة بمعنى احتوى عليها وحازها ومنها العلو والارتفاع كقول القائل استوى فلان على سريره يعني به علوه عليه وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه ثم استوى الى السماء فسواهن علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات والعجب ممن أنكر المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله ثم استوى الى السماء الذي هو بمعنى العلو والارتفاع هربا عند نفسه من ان يلزمه بزعمه اذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك ان يكون انما علا وارتفع بعد ان كان تحتها الى ان تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر ثم لم ينج مما هرب منه فيقال له زعمت ان تأويل قوله استوى أقبل أفكان مدبرا عن السماء فأقبل اليها فان زعم ان ذلك ليس باقبال فعل ولكنه اقبال تدبير قيل له فكذلك قل علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال ثم لن يقول في شئ من ذلك قولا الا ألزم في الآخر مثله ولولا انا كرهنا اطالة الكتاب بما ليس من جنسه لأنبأنا عن فساد قول كل قائل في ذلك قولا لقول أهل الحق فيه مخالفا وفيما بينا منه ما يشرف بذي الفهم على ما فيه له الكفاية ان شاء الله تعالى ❁ قال أبو جعفر وان قال لنا قائل أخبرنا عن استواء الله جل ثناؤه الى السماء كان قبل خلق السماء أم بعده قيل بعده وقبل ان يسويهن سبع سموات كما قال جل ثناؤه ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها والاستواء كان بعد ان خلقها دخانا وقبل ان يسويها سبع سموات وقال بعضهم انما قال استوى الى السماء ولا سماء كقول الرجل لآخر اعمل هذا الثوب وانما معه غزل وأما قوله فسواهن فانه يعني هيأهن وخلقهن ودبرهن وقومهن والتسوية في كلام العرب التقويم والاصلاح والتوطئة كما يقال سوى فلان لفلان هذا الامر اذا قومه وأصلحه ووطأه له فكذلك تسوية الله جل ثناؤه

سمواته تقويمه اياهن على مشيئته وتدبيره لهم على ارادته وتفتيقهن بعد ارتاقهن كما حدثت عن عمار قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فسواهن سبع سموات يقول سوى خلقهن وهو بكل شيء عليم وقال جل ذكره فسواهن فاخرج مكنيهن مخرج مكني الجمع وقد قال قبل ثم استوى الى السماء فاخرجها على تقدير الواحد وانما أخرج مكنيهن مخرج الجميع لان السماء جمع واحدها سماوة فتقدير واحدتها وجميعها اذا تقدير بقرة وبقر ونخلة ونخل وما أشبه ذلك ولذلك أنث السماء مرة فقال هذه سماء وذكر أخرى وقيل السماء منفطر به كما يفعل ذلك بالجمع الذي لا فرق بينه وبين واحده غير دخول الهاء وخروجها فيقال هذا بقر وهذه بقر وهذا نخل وهذه نخل وما أشبه ذلك وكان بعض أهل العربية يزعم ان السماء واحدة غير انها تدل على السموات فقيل فسواهن يراد بذلك التي ذكرت وما دلت عليه من سائر السموات التي لم تذكر معها قال وانما تذكر اذا ذكرت وهي مؤنثة ويقال السماء منفطر به كما يذكر المؤنث وكما قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

وكما قال أعشى بني ثعلبة

فاما ترى لمتي بدلت * فان الحوادث أزرى بها

وقال بعضهم السماء وان كانت سماء فوق سماء وأرض فوق أرض فهي في التأويل واحدة ان شئت ثم تكون تلك الواحدة جماعا كما يقال ثوب اخلاق واسمال وبرمة اعشار للمنكسرة وبرمة اكسار واجبار واخلاق أي ان نواحيه اخلاق فان قال لنا قائل فانك قد قلت ان الله جل ثناؤه استوى الى السماء وهي دخان قبل ان يسويها سبع سموات ثم سواها سبعا بعد استوائه اليها فكيف زعمت انها جماع قيل انهن كن سبعا غير مستويات فلذلك قال جل ذكره فسواهن سبعا كما حدثني محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل قال قال محمد بن اسحق كان أول ما خلق الله تبارك وتعالى النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا اسود مظلما وجعل النهار نهارا مضيأ مبصرا ثم سمك السموات السبع من دخان يقال والله أعلم من دخان الماء حتى استقللن ولم يحبكهن وقد أغطش في السماء الدنيا ليلها وأخرج ضحاها فجرى فيها الليل والنهار وليس فيها شمس ولا قمر ولا نجوم ثم دحى الارض وأرساها بالجبال وقدر فيها الاقوات وبث فيها ما أراد من الخلق ففرغ من الارض وما قدر فيها من أقواتها في أربعة أيام ثم استوى الى السماء وهي دخان كما قال فحبكهن وجعل في السماء الدنيا شمسها وقمرها ونجومها وأوحى في كل سماء أمرها فاكمل خلقهن في يومين ففرغ من خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى في اليوم السابع فوق سمواته ثم قال للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها لما أردت بكما فاطمئنا عليه طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقد أخبر ابن اسحق ان الله جل ثناؤه استوى الى السماء بعد خلقه الارض وما فيها وهن سبع من دخان فسواهن كما وصف وانما استشهدنا لقولنا الذي قلنا في ذلك بقول ابن اسحق لانه أوضح بيانا عن خبر السموات انهن كن سبعا من دخان قبل استواء ربنا اليها بتسويتها من غيره وأحسن شرحا لما أردنا الاستدلال به من ان معنى السماء التي قال الله فيها ثم استوى الى السماء بمعنى الجمع على ما وصفنا وانه انما قال جل ثناؤه

بيث بالبرهان النيرفي المسألة الثامنة ان وقوع فريق في طريق القهر ضروري في حكمته تعالى وكل ما تقتضيه حكمته وكماله كان حسنا ومن ظن انه قبيح كان الخلل في عقله وقصور في فهمه فلا قبيح في النظر الا وهو حسن من جهات أخرى لا يعلمها الا منشئها وموجدها وهل يستقبح أحد وقوع بعض الاحجار للملوك تيجانا وبعضها المحشوش جدرانا أو وقوع بعض من الحديد سيفا يتقلده الناس وبعضه نعلا يطؤها الافراس حيث يرى كلا منهما في مصالح الوجود ضروريا ثم العذاب وهو بالحقيقة البعد من الله تعالى لازم الكفر والعصيان والملزوم لا ينفك من اللازم وأما سبب عدم انتفاع الكافر والعاصي بالايمان والتوبة بعد المفارقة فذلك ان محل الكسب هو الدنيا والتكليف بامتثال الاوامر والنواهي انما وقع فيها فليس لاحد ان يؤخر الامتثال الى الآخرة ألا ترى انه لو قال طبيب حاذق لمريض اشرب الدواء الفلاني في اليوم الفلاني فقصر وأخر حتى اذا مضى وقته وأشرف على الهلاك قال اني أشرب الآن لم ينفعه ذلك الدواء ولا يسعه الا الهلاك وكذا لو قال ملك لواحد افعل الامر الفلاني في هذا الوقت ففعله في وقت آخر لم يعد ممتثلا ولا ينفعه الائتمار به لان غرض الامتثال قد فات ولا سيما اذا فعل بعد ان يرى أمارات الغضب وعلامات العذاب فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون صدق الله العظيم * (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) القراآت ومن الناس ممالة قرأ قتيبة ونصير كل القرآن ما كان مكررا من يقول مدغمة النون والتنوين في الياء حيث وقعت حمزة وعلي وخلف وورش من طريق

ثناؤه فسواهن اذ كانت السماء بمعنى الجمع على مابينا ۞ قال أبو جعفر فان قال لنا قائل فما صفة تسوية الله جل ثناؤه السموات التى ذكرها فى قوله فسواهن اذ كن قد خلقن سبعا قبل تسويته اياهن وما وجه ذكر خلقهن بعد ذكر خلق الارض الانها خلقت قبلها أم بمعنى غير ذلك قيل قد ذكرنا ذلك فى الخبر الذى رويناه عن ابن اسحق ونزيد ذلك توكيدا بما انضم اليه من اخبار بعض السلف المتقدمين وأقوالهم فحدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات قال ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيأ غير ماخلق قبل الماء فلما أراد ان يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم ايبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعل سبع أرضين فى يومين فى الاحد والاثنين فخلق الارض على حوت والحوت هو النون الذى ذكره الله فى القرآن ن والقلم والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة فى الريح وهى الصخرة التى ذكر لقمان ليست فى السماء ولا فى الارض فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الارض فارسى عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الارض فذلك قوله وجعل لها رواسى ان تميد بكم وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وماينبغى لها فى يومين فى الثلاثاء والاربعاء وذلك حين يقول أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها يقول أنبت شجرها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين يقول قل لمن يسالك هكذا الامر ثم استوى الى السماء وهى دخان وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين فى الخميس والجمعة وانما سمى يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض وأوحى فى كل سماء أمرها قال خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذى فيها من البحار وجبال البرد ومالا يعلم ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظا تحفظ من الشياطين فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش فذلك حين يقول خلق السموات والارض فى ستة أيام يقول كانتا رتقا ففتقناهما وحدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ثم استوى الى السماء قال خلق الارض قبل السماء فلما خلق الارض ثار منها دخان فذلك حين يقول ثم استوى الى السماء وهى دخان فسواهن سبع سموات قال بعضهن فوق بعض وسبع أرضين بعضهن تحت بعض وحدثنا الحسن بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فسواهن سبع سموات قال بعضهن فوق بعض بين كل سماء ين مسيرة خمسمائة عام وحدثنا المثنى قال حدثنا أبو صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله حيث ذكر خلق الارض قبل السماء ثم ذكر السماء قبل الارض وذلك ان الله خلق الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد

البخارى بمؤمنين غير مهموز أبو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى وورش وحمزة فى الوقف وكذلك ماأشبهها من الاسماء وما يخادعون أبو عمرو وابن كثير ونافع فزادهم الله وبابه مما كان ماضيا بالامالة حمزة ونصير وابن ذكوان من طريق ابن مجاهد والنقاش بن الاخرم ههنا بامالة فقط يكذبون خفيفا عاصم وحمزة وعلى وخلف قيل وغيض وجىء بالاشمام على وهشام ورويس السفهاء ألا بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر السفهاء ولا بقلب الثانية واوا أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وأبو جعفر ونافع السفهاء ألا بقلب الاولى واو روى الخزاعى وابن شنبوذ عن أهل مكة وكذلك ماأشبهها مما اختلفت الهمزتان فيها الا ان تكون الاولى منهما مفتوحة مثل شهداء واشباه ذلك مستهزؤن بترك الهمزة فى الحالين يزيد وافق حمزة فى الوقف وكذلك ماأشبهها وعن حمزة فى الوقف وجهان الحذف والتليين شبه الياء والواو طغيانهم حيث كان قتيبة ونصير وأبو عمرو بالهدى وماأشبهها من الاسماء والافعال وقراءة أهل المدينة بين الفتح والكسر من الاسماء والافعال من ذوات الياء بالامالة حمزة وعلى وخلف وقرأ أهل المدينة بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وكذلك كل كلمة تجوز الامالة فيها وذلك طبعهم وعادتهم * الوقوف بمؤمنين ن لما مر فى المقدمة الثامنة آمنوا ج لعطف الجملتين المتفقتين مع ابتداء النفى يشعرون ط للآية وانقطاع النظم والمعنى فان تعلق الجار بما بعده مرض ه لان الفاء للجزاء وكان تاكيد المنافى فلو بهم مرضا ج لعطف الجملتين المختلفتين يكذبون ه فى الارض لا لان قالوا جواب اذا وعامله مصلحون ه لا يشعرون ه كما آمن السفهاء ط للابتداء بكلمة التنبيه ومن وصل فليجعل رد السفه عليهم لا يعلمون (ا) آمنا ج لتبدل وجه الكلام معنى مع ان الوصل أولى لبيان حالتيهم المتناقضتين وهو المقصود شياطينهم لا لان قالوا جواب اذا معكم لا تحرزا عن قول مالا يقوله مسلم وان جاز الابتداء بانما مستهزؤن ه يعمهون ه بالهدى ص لانقطاع النفص ولا يلزم العود لان ما بعده بدون ماقبله مفهوم مهتدين * التفسير وفيه مباحث * المبحث الاول فى قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية وفيه مسائل الاولى عن مجاهد قال أربع آيات من أول هذه السورة نزلت فى المؤمنين وآيتان بعدها نزلتا فى الكافرين وثلاث عشرة بعدها نزلت فى المنافقين فاقول أحوال القلب أربع الاعتقاد المطابق عن

الدليل وهو العلم والاعتقاد المطابق لاعن الدليل وهو اعتقاد المقلد المحق والاعتقاد غير المطابق وهو الجهل وخلو القلب عن كل ذلك وأحوال اللسان ثلاث الاقرار والانكار والسكوت كل منها بالاختيار أو بالاضطرار فيحصل من التراكيب أربعة وعشرون قسما فلنتكلم في الاحوال القلبية ونجعل البواقي تبعا لها في الذكر النوع الاول العرفان القلبي ان انضم اليه الاقرار باللسان اختيارا فصاحبه مؤمن حقا بالاتفاق أو اضطرارا فهو منافق لانه لولا الخوف لما أقر فهو بقلبه منكر مكذب وجوب الاقرار وان انضم اليه الانكار اضطرارا فهو مسلم لقوله تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان واختيارا فهو كافر وان انضم اليه السكوت اضطرارا فمسلم حقا لانه خاف أو كما عرف مات فجأة فيكون معذورا واختيارا فمسلم أيضا عند الغزالي وعند كثير من الامة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان * النوع الثاني الاعتقاد التقليدي ان وجد معه الاقرار اختيارا فهو المسئلة المشهورة من أن المقلد مؤمن أم لا والاكثرون على ايمانه أو اضطرارا فمنافق بالطريق الاولى كما مر في النوع الاول وان وجد معه الانكار اختيارا فلا شك في كفره أو اضطرارا فمسلم عند من يحكم بايمان المقلد وان وجد معه السكوت اضطرارا فمسلم بناء على اسلام المقلد أو اختيارا فكافر معاند * النوع الثالث الانكار القلبي مع الاقرار اللساني اضطرارا نفاق وكذا اختيارا لانه أظهر خلاف ما أضمر ومع الانكار اللساني كفر كيف كان وكذا مع السكوت * النوع الرابع القلب الخالي عن جميع الاعتقادات مع الاقرار اللساني ان كان اختيارا فان كان صاحبه في مهلة النظر لم يلزمه الكفر لكنه فعل ما لا يجوز له حيث أخبر عما لا يدري انه هل هو صادق فيه أم لا وان كان لا في مهلة النظر ففيه نظر أما اذا كان اضطرارا فلا يكفر صاحبه لان توقفه اذا كان في مهلة النظر وكان يخاف على نفسه من ترك الاقرار لم يكن عمله قبيحا والقلب الخالي مع الانكار اللساني كيف كان نفاق والقلب الخالي مع اللسان الخالي ان كان في مهلة النظر وذلك هو الواجب وان كان خارجا عن مهلة النظر وجب تكفيره ولا نفاق فظهر من التقسيم ان المنافق هو الذي لا يطابق ظاهره باطنه سواء كان في باطنه ما يضاد ظاهره أو كان باطنه خاليا عما يشعر به ظاهره ومنه النافقاء احدى جحرة

ذلك فذلك قوله والارض بعد ذلك دحاها وحدثني المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني أبو معشر عن سعيد بن أبي سعيد عن عبد الله بن سلام انه قال ان الله بدأ الخلق يوم الاحد فخلق الارضين في الاحد والاثنين وخلق الاقوات والرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة ۞ قال أبو جعفر فمعنى الكلام اذا هو الذي أنعم عليكم فخلق لكم ما في الارض جميعا وسخره لكم تفضلا منه بذلك عليكم ليكون لكم بلاغا في دنياكم ومتاعا الى موافاة آجالكم ودليلا لكم على وحدانية ربكم ثم علا الى السموات السبع وهي دخان فسواهن وحبكهن وأجرى في بعضهن شمسه وقمره ونجومه وقدر في كل واحدة منهن ما قدر من خلقه ۞ القول في تأويل قوله (وهو بكل شئ عليم) يعني بقوله وهو جل جلاله نفسه وبقوله بكل شئ عليم ان الذي خلقكم وخلق لكم ما في الارض جميعا وسوى السموات السبع بما فيهن فأحكمهن من دخان الماء وأتقن صنعهن لا يخفى عليه أيها المنافقون والملحدون الكافرون به من أهل الكتاب ما تبدون وما تكتمون في أنفسكم وان أبدى منافقوكم بالسنتهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم على التكذيب به منطوون وكذبت أحباركم بما أتاهم به رسولي من الهدى والنور وهم بصحته عارفون وجحدوا وكتموا ما قد أخذت عليهم ببيانه لخلقي من أمر محمد ونبوته المواثيق وهم به عالمون بل أنا عالم بذلك من أموركم وغيره من أموركم وأمور غيركم اني بكل شئ عليم وقوله عليم بمعنى عالم وروي عن ابن عباس انه كان يقول هو الذي قد كمل في علمه حدثني المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا معاوية بن صالح قال حدثني علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال العالم الذي قد كمل في علمه ۞ القول في تأويل قوله (واذ قال ربك) قال أبو جعفر زعم بعض المنسوبين الى العلم بلغات العرب من أهل البصرة ان تأويل قوله واذ قال ربك الملائكة وقال ربك وان اذ من الحروف الزوائد وان معناها الحذف واعتل لقوله الذي وصفنا عنه في ذلك ببيت الاسود بن يعفر

فاذا وذلك لا مهاه لذكره * والدهر يعقب صالحا بفساد

ثم قال ومعناها وذلك لا مهاه لذكره وببيت عبد مناف بن ربع الهذلي

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

وقال معناه حتى أسلكوهم ۞ قال أبو جعفر والامر في ذلك بخلاف ما قال وذلك ان اذ حرف يأتي بمعنى الجزاء ويدل على مجهول من الوقت وغير جائز ابطال حرف كان دليلا على معنى في الكلام اذ سواء[7] قيل قائل بمعنى البطول وهو في الكلام دليل على معنى مفهوم وقال آخر في جميع الكلام الذي نطق به دليلا على ما أريد به هو بمعنى البطول وليس لمدعي الذي وصفنا قوله في بيت الاسود ابن يعفر ان اذ بمعنى البطول وجه مفهوم بل ذلك لو حذف من الكلام لبطل المعنى الذي أراده الاسود ابن يعفر من قوله * فاذا وذلك لا مهاه لذكره * وذلك انه أراد بقوله فاذا الذي نحن فيه وما مضى من عيشنا وأشار بقوله ذلك الى ما تقدم وصفه من عيشه الذي كان فيه لا مهاه لذكره يعني لا طعم له ولا فضل لاعقاب الدهر صالح ذلك بفساد وكذلك معنى قول عبد مناف بن ربع

---

7 قوله سواء الخ هكذا بالاصل وليس بواضح فلعل فيه تحريفا غير معناه اه مصححه

* حتى اذا أسلكوهم فى قيافدة * شلالو أسقط منه اذا ابطل معنى الكلام لان معناه حتى اذا
أسلكوهم فى قيافدة سلكوا شلالا فدل قوله أسلكوهم على معنى المحذوف فاستغنى عن ذكره
بدلالة اذا عليه فحذف كما قد ذكرنا فيما مضى من كتابنا على ما تفعل العرب فى نظائر ذلك وكما
قال النمر بن تولب فاذا المنية من يخشها * فسوف تصادفه أينما
وهو يريد أينما ذهب وكما تقول العرب أتيتك من قبل ومن بعد تريد من قبل ذلك ومن بعد ذلك
فكذلك ذلك فى اذا كما يقول القائل اذا أكرمك أخوك فأكرمه واذا لا فلا يريد واذا لم يكرمك فلا
تكرمه ومن ذلك قول الآخر

فاذا وذلك لا يضرك ضره * فى يوم أسل نائلا أو أنكدا

نظير ما ذكرنا من المعنى فى بيت الاسود بن يعفر وكذلك معنى قول الله جل ثناؤه واذ قال ربك
للملائكة لو أبطلت اذ وحذفت من الكلام لاستحال عن معناه الذى هو به وفسد فان قال قائل فما
معنى ذلك وما الجالب لاذ اذ لم يكن فى الكلام قبله ما يعطف به عليه قيل له قد ذكرنا فيما مضى ان الله
جل ثناؤه خاطب الذين خاطبهم بقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم بهذه الآيات
والتى بعدها موبخهم مقبحا اليهم سوء فعالهم ومقامهم على ضلالهم مع النعم التى أنعمها عليهم وعلى
اسلافهم ومذكرهم بتعديد نعمه عليهم وعلى اسلافهم بأسه ان يسلكوا سبيل من هلك من اسلافهم
فى معصية الله فيسلك بهم سبيلهم فى عقوبته ومعرفهم ما كان منه من تعطفه على التائب منهم استعتابا
منه لهم فكان مما عدد من نعمه عليهم انه خلق لهم ما فى الارض جميعا وسخر لهم ما فى السموات من
شمسها وقمرها ونجومها وغير ذلك من منافعها التى جعلها لهم ولسائر بنى آدم معهم منافع فكان فى
قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون معنى اذكروا
نعمتى التى أنعمت عليكم اذ خلقتكم ولم تكونوا شيأ وخلقت لكم ما فى الارض جميعا وسويت لكم
ما فى السماء ثم عطف بقوله واذ قال ربك على المعنى المقتضى قوله كيف تكفرون بالله اذ كان
مقتضيا ما وصفت من قوله اذكروا نعمتى اذ فعلت بكم وفعلت واذكروا فعلى بأبيكم آدم اذ قلت
للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة فان قال قائل فهل لذلك من نظير فى كلام العرب نعلم به صحة
ما قلت قيل نعم أكثر من ان يحصى من ذلك قول الشاعر

أجدك لن ترى بثعيلبات * ولا بيدان ناجية ذمولا
ولا متدارك والشمس طفل * ببعض نواشغ الوادى حمولا

فقال ولا متدارك ولم يتقدمه فعل بلفظه يعطف به عليه ولا حرف معرب اعرابه فيرد متدارك عليه فى
اعرابه ولكنه لما تقدمه فعل مجحود بأن يدل على المعنى المطلوب فى الكلام وعلى المحذوف استغنى
بدلالة ما ظهر منه عن اظهار ما حذف وعامل الكلام فى المعنى والاعراب معاملته ان لو كان ما هو
محذوف منه ظاهرا لان قوله أجدك ان ترى بثعيلبات بمعنى أجدك لست براء فرد متداركا على
موضع ترى كأن لست والباء موجودتان فى الكلام فكذلك قوله واذ قال ربك لما سلف قبله تذكير
الله المخاطبين به ما سلف قبلهم وقبل آبائهم من أياديه وآلائه وكان قوله واذ قال ربك للملائكة مع

البرقع بلثمها و يظهر غيرها فاذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق اى خرج * الثانية زعم قوم ان الكفر الاصلى أقبح
من النفاق لان الكافر جاهل بالقلب كاذب باللسان والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان وقال الآخرون المنافق أيضا كاذب باللسان لانه
يخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع أنه ليس عليه قال عز من قائل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وأيضا انه قصد التلبيس والكافر الاصلى
لا يقصد ذلك وأيضا الكافر الاصلى على طبع الرجال والمنافق على طبيعة الخناثى وأيضا الكافر ما رضى لنفسه بالكذب
بل استنكف منه والمنافق رضى
بالكذب وأيضا المنافق ضم الى
الكفر الاستهزاء والخداع دون
الكافر الاصلى ولغلظ كفر المنافقين
حلوا فى الدرك الاسفل من النار
ووصف حال الكفار فى آيتين وحال
المنافقين فى ثلاث عشرة آية نعى عليهم
فيها خبثهم ونكرهم وفضحهم
وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم
وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم
وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب
لهم الامثال الشنيعة * الثالثة
قصة المنافقين عن آخرها معطوفة
على قصة الذين كفروا كما تعطف
الجملة على الجملة وأصل ناس أناس
بدليل انسان وانس وأناسى
حذفت الهمزة تخفيفا وحذفها
مع لام التعريف كاللازم
وقوله
ان المنايا يطلعن على الاناس الا
قليل
ونويس من المصغر الآتى على
خلاف مكبره كأنيسيان سموا بذلك
لظهورهم وانهم يؤنسون أى
يبصرون كما سمى الجن لاجتنانهم
ووزن ناس فعال لان الزنة على
الاصول كما يقال وزن ق افعل
وهو اسم الجمع كرخال للانثى من
أولاد الضأن وأما الذى مفرده رخل
بكسر الخاء فرخال بكسر الراء ومن
فى من يقول موصوفة ان جعلت
اللام فى الناس للجنس كقوله من المؤمنين رجال ليكون معنى الكلام ان فى جنس الانس طائفة كيت وكيت فيعود فائدة الكلام الى
الوصف وان لم يكن مفيدا من حيث الحمل لان الطائفة الموصوفة تكون لا محالة من الناس ولا يجوز ان تكون من موصولة حينئذ لان الصلة
تكون جملة معلومة الانتساب الى الموصول فتبطل فائدة الوصف أيضا فيبقى الكلام غير مفيد رأسا وان جعلت اللام للعهد فمن تكون موصولة
نحو ومنهم الذين يؤذون النبى وتكون اللام اشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم ولا يجوز ان تكون موصوفة اذ ذاك لانه

مابعده من النعم التي عددها عليهـم ونبههم على مواقعها رداذ على موضع وكنتم أمواتا فاحيا كم لان معنى ذلك اذكر واهذه من نعمى وهذه التي قلت فيها الملائكة فلما كانت الاولى مقتضية اذ عطف واذ على موضعها في الاولى كما وصفنا من قول الشاعر فى ولا متـداركـ ۞ القول في تاويل قوله (للملائكة) قال أبو جعفر والملائكة جمع ملاك غير ان أحدهم بغير الهمز أكثر وأشهر في العرب منه بالهمز وذلك انهم يقولون في واحدهم ملك من الملائكة فيحذفون الهمز منه ويحركون اللام التي كانت مسكنة لو همز الاسم وانما يحركونها بالفتح لانهم ينقلون حركة الهمزة التي فيه بسـقوطها الى الحرف الساكن قبلها فاذا جمعوا واحدهـم ردوا في الجمع الى الاصـل وهمزوا فقالوا ملائكة وقد تفـعل العرب نحو ذلك كثيرا في كلامها فتترك الهـمز في الكلمة التي هي مهـموزة فيجرى كلامهم بترك همزها في حال وبهمزها في أخرى كقولهم رأيت فلانا فجرى كلامهم بهمز رأيت ثم قالوا نرى وترى ويرى فجرى كلامهم في يفعل ونظائرها بترك الهمز حتى صار الهمز معها شاذا مع كون الهمز فيها أصـلا فكذلك ذلك في ملك وملائكة جرى كلامهم بترك الهمز من واحدهم وبالهمز في جمعهم وربما جاء الواحد مهموزا كما قال الشاعر

فلست بجنى ولكن ملأكا * تحدر من جو السماء يصوب

وقد يقال في واحدهم مألك فيكون ذلك مثل قولهم جبذ وجذب وشأمل وشمأل وما أشـبه ذلك من الحروف المقلوبة غير ان الذي يجب اذا سمى واحدهم مألك ان يجمع اذا جمع على ذلك مآلك ولست أحفظ جمعهم كذلك سماعا ولكنهم قد يجمعون ملائك وملائكة كما تجمع أشعث أشاعث وأشاعثة ومسمع ومسامع ومسامعة قال أمية بن أبي الصلت في جمعهم كذلك

وفيها من عباد الله قوم * ملائك ذللوا وهم صعاب

وأصل الملك الرسالة كما قال عدى بن زيد العبادى

أبلغ النعمان عنى ملأكا * انه قد طال حبسي وانتظار

وقد ينشد مالكا على اللغة الاخرى فمن قال ملأكا فهو مفعل من لأك اليه يلئك اذا أرسل اليه رسالة ملأكة ومن قال مألكا فهو مفـعل من ألكت اليه الكة اذا أرسلت اليـه مالكة وألوكا كما قال لبيد بن أبي ربيعة

وغلام أرسلته أمه * بالوك فبذلنا ما سال

فهذا من الأك ومنه قول نابغة بني ذبيان

الكنى يا عيين اليك قولا * ساهديه اليك اليك عنى

وقال عبد بنى الحسحاس

الكنى اليها عمرك الله يافتى * بآية ما جاءت الينا تهاديا

يعنى بذلك أبلغها رسالة فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة لانها رسل الله بينه وبين أنبيائه ومن أرسلت اليه من عباده ۞ القول في تاويل قوله جـل ثناؤه (انى جاعل في الارض) اختلف أهـل التاويل في قوله انى جاعـل فقال بعضهم انى فاعل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم بن الحسين قال

فائدة الكلام تعود الى الوصف أيضا ولكن لا يجاوبه نظم الكلام اذ يصير المعنى ان من المختوم على قلوبهم طائفة يقولون كيت وكيت وماهم بمؤمنين ومن البين ان مدلول قوله وماهم بمؤمنين معـلوم من حال المطبوع على قلوبهـم فيقع ذكره ضائعا او الضمـير العائد الى من يكون موحدا تارة باعتبار اللفظ نحو ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة ومجموعا أخرى باعتبار المعنى مثـل ومنهـم من يستمعون اليك وقد اجتمع الاعتباران في الآية في يقول آمنا وانما اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر لانهمـا قطرا الايمان ومن أحاط بهما فقد حاز الايمان بحذافيره وفي تكرير الباء ايذان بانهـم ادعوا كل واحـد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت ان كان هـؤلاء المنافقـون من المشركين فظاهر عدم ايمانهـم بالله واليوم الآخر وان كانوا من اليهـود فكيف يصح ذلك قلت ايمان اليهـود بالله ليس بايمان لقولهـم عـزير ابن الله وكذلك ايمانهـم باليوم الآخر لانهـم يعتقدونه على خلاف صفته فقولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق بل على عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة واستهزاء وتخييلا للمسلمين انهم مثلهـم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر والمراد باليوم الآخر اما طرف الابد الذى لا ينقطـع لانه متاخر عن الاوقات المنقضيـة أو الوقت المحـدود من النشور الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة التي لا حد للوقت بعـده فان قلت كيف طابق قوله وماهم بمؤمنين قولهـم آمنا والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثانى بالعكس قلت لما أتوا بالجملة الفعلية ليكون معناها أحـدثنا الدخول في الايمان لترويج دعـواهـم الكاذبة جيء بالجملة الاسمية ليفيد نفى ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع وانهم ليس لهـم استهال ان يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين وكان هذا أوكد وأبلغ من ان يقال انهم لم يؤمنوا ونظير الآية قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ثم ان قوله وماهم بمؤمنين يحتمل ان يكون مقيدا وترك لدلالة التقييد في آمنا ويحتمل الاطلاق أى انهـم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغـيرهما * البحث الثانى في قوله يخادعون الله الى

قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبي بكر يعني الهذلي عن الحسن وقتادة قالوا قال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قال لهم اني فاعل * وقال آخرون اني خالق ذكر من قال ذلك حدثت عن المنجاب بن الحارث قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق قال كل شيء في القرآن جعل فهو خلق ﴿قال أبو جعفر والصواب في تاويل قوله اني جاعل في الارض خليفة أي مستخلف في الارض خليفة ومصير فيها خلفا وذلك أشبه بتاويل قول الحسن وقتادة وقيل ان الارض التي ذكرها الله في هذه الآية هي مكة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن عطاء عن ابن سابط ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دحيت الارض من مكة وكانت الملائكة تطوف بالبيت فهي أول من طاف به فهي الارض التي قال الله اني جاعل في الارض خليفة وكان النبي اذا هلك قومه ونجى هو والصالحون أتى هو ومن معه فعبدوا الله بها حتى يموتوا فان قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والركن والمقام ﴿القول في تاويل قوله (خليفة) والخليفة الفعيلة من قولك خلف فلان فلانا في هذا الامر اذا قام مقامه فيه بعده كما قال جل ثناؤه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون يعني بذلك انه أبدلكم في الارض منهم فجعلكم خلفاء يقال منه خلف الخليفة يخلف خلافة وخليفا وكان ابن اسحق يقول بما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق اني جاعل في الارض خليفة يقول ساكنا وعامرا يسكنها ويعمرها خلقا ليس منكم وليس الذي قال ابن اسحق في معنى الخليفة بتاويلها وان كان الله جل ثناؤه انما أخبر ملائكته انه جاعل في الارض خليفة يسكنها ولكن معناها ما وصفت قبل * فان قال قائل فما الذي كان في الارض قبل بني آدم لها عامرا فكان بنو آدم بدلا منه وفيها منه خلفا قيل قد اختلف أهل التاويل في ذلك فحدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن مسعود قال أول من سكن الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله اليهم ابليس في جند من الملائكة فقتلهم ابليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور واطراف الجبال ثم خلق آدم فاسكنه اياها فلذلك قال اني جاعل في الارض خليفة فعلى هذا القول اني جاعل في الارض خليفة من الجن يخلفونهم فيها فيسكنونها ويعمرونها وحدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله اني جاعل في الارض خليفة الآية قال ان الله خلق الملائكة يوم الاربعاء وخلق الجن يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة فكفر قوم من الجن فكانت الملائكة تهبط اليهم في الارض فتقاتلهم فكانت الدماء وكان الفساد في الارض وقال آخرون في تاويل قوله اني جاعل في الارض خليفة أي خلفا يخلف بعضهم بعضا وهم ولد آدم الذين يخلفون اباهم آدم ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله وهذا قول حكي عن الحسن البصري ونظيره ما حدثني به محمد بن بشار قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن ابن سابط في قوله اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال يعنون به بني آدم وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال الله للملائكة اني أريد أن أخلق في الارض خلقا وأجعل فيها خليفة وليس لله

يكذبون اعلم ان الله ذكر من قبائح أفعال المنافقين أربعة أشياء أحدها المخادعة وأصلها الاخفاء ومنه سميت الخزانة المخدع والاخدعان عرقان في العنق خفيان وخدع الضب خدعا اذا توارى في جحره فلم يظهر الا قليلا والخديعة مذمومة لانها اظهار ما يوهم السداد والسلامة وابطان ما يقتضي الاضرار بالغير أو التخلص منه فهي بمنزلة النفاق في الكفر والرياء في الافعال الحسنة فان قيل مخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الحليم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا كما قال ذو الرمة شعر

تلك الفتاة التي علقتها عرضا
ان الحليم وذا الاسلام يختلب

لم يجز ان يخدعوا قلنا كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث أمر باجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده أهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فاجروا أحكامه عليهم ويحتمل ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله تعالى نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي أو تجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم ويحتمل ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته والناطق باوامره ونواهيه مع عباده ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ويحتمل ان يكون من قولهم أعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم هذا المسلك ومثله والله ورسوله أحق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله وقولهم علمت زيدا فاضلا الغرض ذكر الاحاطة بفضل زيد لا نفس زيد اكان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكره توطئة وتمهيدا ووجه الاختصار يخادعت على واحد ان يقال عني به فعلت الا انه أخرج في زنة فاعلت لان الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبارز لزيادة قوة الداعي اليه ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستأنفا كانه

قيل ولم يدعون الايمان كاذبين فقيل يخادعون وكان غرضهم من الخداع الدفع عن أنفسهم أحكام الكفار من القتل والنهب وتعظيم المسلمين اياهم واعطائهم الحظوظ من المغانم واطلاعهم على أسرار المسلمين لاختلاطهم بهم والسؤال الذي يذكر ههنا ان انه تعالى لم أبقى المنافق على حاله من النفاق ولم يظهر أمره حتى لا يصل من اغراض الخداع الى ما وصل وارد على استبقاء الكفار وسائر أعداء الدين بل على استبقاء ابليس وذريته وتحل العقدة في (١٥٤) الجميع بما سلف لنا من الحقائق ولا سيما في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وقراءة من قرأ وما يخادعون الا أنفسهم أي وما يعاملون تلك المعاملة المشابهة لمعاملة المخادعين الا أنفسهم لان مكرها يحيق بهم ودائرتها تدور عليهم لان الله تعالى يدفع ضرر الخداع عن المؤمنين ويصرفه اليهم كقوله ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ويحتمل ان يراد حقيقة المخادعة لانهم يخدعون أنفسهم حيث يمنونها الاباطيل وأنفسهم أيضا تمنيهم وتحدثهم بالاكاذيب وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة والنفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام لقوله تعالى تعلم ما في نفسي والشعور علم الشيء علم حس ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له والمرض حالة توجب وقوع الخلل في الافعال الصادرة عن موضوعها واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة بان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض ومجازا بان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي فان صدورهم كانت تغلي على الرسول صلى الله عليه وسلم غلا وحنقا واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وناهيك بما كان من ابن أبي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة وذلك شيء منظوم بالجواهر شبه التاج أي يجعلوه ملكا فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك أو يراد ما بداخل قلوبهم من الضعف والخور لانهم كانوا يطمعون ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تركد فكانت تقوى قلوبهم بذلك الطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين واعلاء كلمة الحق وما قذف الله في قلوبهم من الرعب

يومئذ خلق الا الملائكة والارض ليس فيها خلق وهذا القول يحتمل ما حكي عن الحسن ويحتمل ان يكون أراد ابن زيد ان الله أخبر الملائكة انه جاعل في الارض خليفة له يحكم فيها بين خلقه بحكمه نظير ما حدثني به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناؤه قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس اني جاعل في الارض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه وأما الافساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله لانهما أخبرا ان الله جل ثناؤه قال للملائكته اذ سألوه ماذاك الخليفة انه خليفة يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فأضاف الافساد وسفك الدماء بغير حقها الى ذرية خليفته دونه وأخرج منه خليفته وهذا التاويل وان كان مخالفا في معنى الخليفة ما حكي عن الحسن من وجه فموافق له من وجه فاما موافقته اياه فصرف متاوليه اضافة الافساد في الارض وسفك الدماء الى غير الخليفة وأما مخالفته اياه فاضافتهم الخلافة الى آدم بمعنى استخلاف الله اياه فيها واضافة الحسن الخلافة الى ولده بمعنى خلافة بعضهم بعضا وقيام قرن منهم مقام قرن قبلهم واضافة الافساد في الارض وسفك الدماء الى الخليفة والذي دعا المتاولين قوله اني جاعل في الارض خليفة في التاويل الذي ذكر عن الحسن الى ما قالوا في ذلك انهم قالوا ان الملائكة انما قالت لربها اذ قال لهم ربهم اني جاعل في الارض خليفة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء اخبارا منها بذلك عن الخليفة الذي أخبر الله جل ثناؤه انه جاعله في الارض لا غيره لان المحاورة بين الملائكة وبين ربها عنه جرت قالوا فاذا كان ذلك كذلك وكان الله قد برأ آدم من الافساد في الارض وسفك الدماء وطهره من ذلك علم ان الذي عني به غيره من ذريته فثبت ان الخليفة الذي يفسد في الارض ويسفك الدماء هو غير آدم وانهم ولده الذين فعلوا ذلك وان معنى الخلافة التي ذكرها الله انما هي خلافة قرن منهم قرنا غيرهم لما وصفنا وأغفل قائلو هذه المقالة ومتاولو الآية هذا التاويل سبيل التأويل وذلك ان الملائكة اذ قال لها ربها اني جاعل في الارض خليفة لم تضف الافساد وسفك الدماء في جوابها ربها الى خليفته في أرضه بل قالت أتجعل فيها من يفسد فيها وغير منكر ان يكون ربها أعلمها انه يكون لخليفته ذلك ذرية يكون منهم الافساد وسفك الدماء فقالت يا رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما قال ابن مسعود وابن عباس ومن حكينا ذلك عنه من أهل التاويل ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه خبرا عن ملائكته (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) قال أبو جعفر ان قال قائل وكيف قالت الملائكة لربها اذ أخبرها انه جاعل في الارض خليفة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولم يكن آدم بعد مخلوقا ولا ذريته فيعلموا ما يفعلون عيانا أعلمت الغيب فقالت ذلك أم قالت ما قالت من ذلك ظنا فذلك شهادة منها بالظن وقول بما لا تعلم وذلك ليس من صفتها فما وجه قيلها ذلك لربها قيل قد قالت العلماء

من

ضعفت جبنا وخورا ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما أنزل على رسوله الوحى فكفروا به ازدادوا كفرا الى كفرهم فأسند الفعل الى المسبب له كما أسند الى السورة فى قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا كما قال الحكيم البدن الغير النقى كلما غذوته زدته شرا وكلما زاد رسوله نصرة وتبسطا ازدادوا حسدا وبغضا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع ويحتمل ان يقال الغل والحسد قد يفضى الى تغير مزاج القلب ويؤدى الى تلف صاحبه كقوله شعرا

اصبر على مضض الحسود * فان صبرك قاتله
النار تأكل نفسها
ان لم تجد ما تأكله

فافضاء صاحبه الى الهلاك هو المعنى بالزيادة والاليم الوجيع ووصف العذاب به على طريقة قولهم جد جده والالم بالحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفى ترتب الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب وسماجته وما يروى عن ابراهيم صلى الله عليه وسلم انه كذب ثلاث كذبات أحدها قوله انى سقيم وثانيها قوله لسارة حين أراد ان يغصبها ظالم انها أختى وثالثها قوله بل فعله كبيرهم هذا فالمراد التعريض ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمى به والكذب الاخبار بالشئ على خلاف ما هو به وقد يعتبر فيه علم المخبر بكون المخبر عنه مخالفا للخبر والصدق نقيضه وقراءة من قرأ يكذبون بالتشديد اما من كذبه الذى هو نقيض صدقه واما من كذب الذى هو مبالغة فى كذب كما بولغ فى صدق فقيل صدق نحو بان الشئ وبين الشئ ومنه قوله

قد بين الصبح لذى عينين

أو بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم أو من قولهم كذب الوحشى اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد فى أمره مذبذب بين ذلك وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وما فى قوله بما كانوا مصدرية أى بكذبهم وكان مقحمة لتفيد الثبوت والدوام أى بسبب ان هذا شأنهم ودأبهم * البحث الثالث فى قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا الى قوله ولكن لا يشعرون هذا هو النوع الثاني من قبائح أفعال المنافقين وقوله واذا قيل اما معطوف على كانوا يكذبون أى ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وبما كانوا اذا قيل لهم كذا قالوا كذا واما على يقول أى ومن الناس من اذا قيل لهم

من أهل التأويل فى ذلك أقوالا ونحن ذاكرو أقوالهم فى ذلك ثم مخبرون بأصحها برهانا وأوضحها حجة فروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة قال وكان اسمه الحرث قال وكان خازنا من خزان الجنة قال وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحى قال وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها اذا ألهبت قال وخلق الانسان من طين فأول من سكن الارض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله اليهم ابليس فى جند من الملائكة وهم هذا الحى الذين يقال لهم الجن فقتلهم ابليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال فلما فعل ابليس ذلك اغتر فى نفسه وقال قد صنعت شيأ لم يصنعه أحد قال فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه فقال الله للملائكة الذين معه انى جاعل فى الارض خليفة فقالت الملائكة مجيبين له أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما أفسدت الجن وسفكت الدماء وانما بعثتنا عليهم لذلك فقال انى أعلم ما لا تعلمون انى قد اطلعت من قلب ابليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره قال ثم أمر بتربة آدم فرفعت فخلق الله آدم من طين لازب واللازب اللزج الطيب من حمأ مسنون منتن وانما كان حمأ مسنونا بعد التراب قال فخلق منه آدم بيده قال فمكث أربعين ليلة جسدا ملقى فكان ابليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل أى فيصوت قال فهو قول الله من صلصال كالفخار يقول كالشئ المنفرج الذى ليس بمصمت قال ثم يدخل فى فيه ويخرج من دبره ويدخل من دبره ويخرج من فيه ثم يقول لست شيأ للصلصلة ولشئ ما خلقت لئن سلطت عليك لأهلكنك ولئن سلطت على لأعصينك قال فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة من قبل رأسه فجعل لا يجرى شئ منها فى جسده الا صار لحما ودما فلما انتهت النفخة الى سرته نظر الى جسده فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر فهو قول الله خلق الانسان عجولا قال ضجر لا صبر له على سراء ولا ضراء قال فلما تمت النفخة فى جسده عطس فقال الحمد لله رب العالمين بالهام من الله تعالى فقال الله له يرحمك الله يا آدم قال ثم قال للملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون الملائكة الذين فى السموات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم أجمعون الا ابليس أبى واستكبر لما حدث نفسه من كبره واغتراره فقال لا أسجد له وأنا خير منه وأكبر سنا وأقوى خلقا خلقتنى من نار وخلقته من طين يقول ان النار أقوى من الطين قال فلما أبى ابليس ان يسجد أبلسه الله وآيسه من الخير كله وجعله شيطانا رجيما عقوبة لمعصيته ثم علم آدم الاسماء كلها وهى هذه الاسماء التى يتعارف بها الناس انسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار وأشباه ذلك من الامم وغيرها ثم عرض هذه الاسماء على أولئك الملائكة يعنى الملائكة الذين كانوا مع ابليس الذين خلقوا من نار السموم وقال لهم أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ان كنتم تعلمون لم أجعل فى الارض خليفة قال فلما علمت الملائكة مؤاخذة الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب الذى لا يعلمه غيره الذى ليس لهم به علم قالوا سبحانك تنزيها لله من ان يكون أحد يعلم الغيب غيره تبنا اليك لا علم لنا

ويحتمل ان يقال الواو للاستئناف واسناد قيل الى لا تفسدوا وآمنوا ليس من اسناد الفعل الى الفعل فانه لا يصح ولكنه اسناد الى لفظ الفعل أى واذا قيل لهم هذا القول نحو زعم واطية الكذب والقائل لهم اما النبى صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عنهم النفاق ولم يقطع بذلك نصحهم فاجابوا بما يحقق ايمانهم وانهم فى الصلاح واما بعض من كانوا يلقون اليه الفساد كان لا يقبل منهم و يعظهم واما بعض المؤمنين ولا يجوز ان يكون القائل ممن لا يختص بالدين والفساد خروج الشئ عن ان يكون منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدى ان المراد بالافساد المنهى عنه اظهار معصية الله تعالى فان الشرائع سنن موضوعة بين العباد فاذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كل أحد شأنه فحقنت الدماء وضبطت الاموال وحفظت الفروج وكان ذلك صلاح الارض وأهلها وأما اذا أهملت الشريعة وأقدم كل واحد على ما يهواه اشتعلت نوائر الفتن من كل جانب وحدثت المفاسد وقيل هو مداراة المنافقين الكافرين ومخالطتهم اياهم لانهم اذا مالوا الى الكفار مع انهم فى الظاهر مؤمنون أوهم ذلك ضعف أمر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيصير سببا لطمع الكفار فى المؤمنين فتهيج الفتن والحروب وقيل كانوا يدعون فى السر الى تكذيبه و يلقون الشبه و يفشون أسرار المؤمنين ولما نهوا عن الافساد فى الارض كان قولهم انما نحن مصلحون كالمقابل له فههنا احتمالات أحدها انهم اعتقدوا فى دينهم انه هو الصواب وكان سعيهم لاجل تقوية ذلك الدين فزعموا انهم مصلحون وثانيها اذا فسر الافساد بموالاتهم الكافرين ان يكون مرادهم ان الغرض من تلك الموالاة هو الاصلاح بين المسلمين كقولهم فيما حكى الله سبحانه ان أردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها ان يكون المراد انكار اذاعة أسرار المسلمين ونسبة أنفسهم الى الاستقامة والسداد وجىء باداة القصر دلالة على ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت أى حالنا مقصورة على الاصلاح لا تتعداه الى غيره وألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفى فتفيد التنبيه على تحقق ما بعدها كقوله تعالى أليس ذلك بقادر ولافادتها التحقيق لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وأختها اما التى هى أمام مقدمات اليمين وطلائعها قال الشعر فقال

الا ما علمتنا تبريا منهم من علم الغيب الا ما علمتنا كما علمت آدم فقال يا آدم أنبئهم باسمائهم يقول أخبرهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم أيها الملائكة خاصة انى أعلم غيب السموات والارض ولا يعلم غيرى وأعلم ما تبدون يقول ما تظهرون وما كنتم تكتمون يقول أعلم السر كما أعلم العلانية يعنى ما كتم ابليس فى نفسه من الكبر والاغترار وهذه الرواية عن ابن عباس تنبئ عن ان قول الله جل ثناؤه واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة خطاب من الله جل ثناؤه لخاص من الملائكة دون الجميع وان الذين قيل لهم ذلك من الملائكة كانوا قبيلة ابليس خاصة الذين قاتلوا معه جن الارض قبل خلق آدم وان الله انما خصهم بقيل ذلك امتحانا منه لهم وابتلاء ليعرفهم قصور علمهم وفضل كثير ممن هو أضعف خلقا منهم من خلقه عليهم وان كرامته لا تنال بقوى الابدان وشدة الاجسام كما ظنه ابليس عدو الله ويصرح بان قيلهم لربهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كانت هفوة منهم ورجما بالغيب وان الله جل ثناؤه أطلعهم على مكروه ما نطقوا به من ذلك ووقفهم عليه حتى تابوا وأنابوا اليه مما قالوا ونطقوا من رجم الغيب بالظنون وتبرؤا اليه ان يعلم الغيب غيره وأظهر لهم من ابليس ما كان منطويا عليه من الكبر الذى قد كان عنهم مستخفيا وقد روى عن ابن عباس خلاف هذه الرواية وهو ما حدثنى به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع فى صدره وقال ما أعطانى الله هذا الا لمزية لى هكذا قال موسى بن هرون وقد حدثنى به غيره وقال لمزية لى على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر فى نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون فى الارض و يتحاسدون و يقتل بعضهم بعضا قالوا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون من شان ابليس فبعث جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت الارض انى أعوذ بالله منك ان تنقص منى فرجع ولم يأخذ وقال رب انها عاذت بك فأعذتها فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله ان أرجع ولم أنفذ أمره فأخذ من وجه الارض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء و بيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به فبل التراب حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذى يلتزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر ابليس عنه ليقول له تتكبر عما عملت بيدى ولم أتكبر أنا عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فزعا ابليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار تكون له صلصلة فذلك حين يقول من صلصال كالفخار و يقول لامر ما خلقت ودخل من فيه فخرج من دبره

أماوالذى أبكى وأضحك والذى هو أمات وأحيا والذى أمره الأمر رد الله ما ادعوه من الانضمام فى زمرة المصلحين أبلغ رد من جهة الاستئناف فان ادعاءهم ذلك مع توغلهم فى الفساد مما يشوق السامع ان يعرف ما حكمهم فرد الله عليهم وكان ورود بدون الواو وهو المطابق ومن جهة ما فى ألا وان من التأكيد ومن قبيل تعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون * البحث الرابع فى قوله واذا قيل لهم آمنوا الآية هذا هو النوع الثالث من قبائح أفعال المنافقين وذلك ان المؤمنين أتوهم فى النصيحة من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه مما يجر الى الفساد والفتنة والثانى دعوتهم الى الطريقة المثلى من اتباع ذوى الاحلام وبعبارة أخرى أمروهم أولا بالتخلية عما لا ينبغى وثانيا بالتحلية بما ينبغى لان كمال حال الانسان فى هاتين وكان من جوابهم فيما بينهم أو للقائل ان سفهوهم لتمادى سفههم وفى هذا تسلية للعالم اذا لم يعرف حقه الجاهل شعر

واذا أتتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بانى كامل

وما فى كما يجوز ان تكون كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة كقولك يكتب زيد كما يكتب عمرو أو زيد صديقى كما عمرو أخى ويجوز ان تكون مصدرية مثلها فى بما رحبت واللام فى الناس للعهد أى كما آمن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه وهم ناس معهودون أى ليكن ايمانكم ثابتا كما ان ايمان هؤلاء ثابت أو تحصيل ايمانكم كحصول ايمان هؤلاء أو آمنوا كما آمن عبد الله بن سلام وأتباعه لانهم من جلدتهم أى كما آمن أصحابكم ويحتمل ان تكون للجنس أى كما آمن الكاملون فى الانسانية من الاقرار اللسانى الناشئ عن الاعتقاد القلبى أو جعل المؤمنون كانهم الناس ومن عداهم كالنسناس فى عدم التمييز بين الحق والباطل والاستفهام فى أنؤمن فى معنى الانكار واللام فى السفهاء مشار بها الى الناس كقولك لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فتقول أو قد فعل السفيه أو للجنس وينطوى تحته الجارى ذكرهم على زعمهم لانهم عندهم أعرق الناس فى السفه وهو ضد الحلم وأصله الخفة والحركة يقال تسفهت الريح الشجرة اذا مالت به قال ذو الرمة شعر

جرين كما اهتزت رماح تسفهت * أعاليها مر الرياح النواسم

وانما سفهوا المؤمنين مع رجحان عقول أهل الايمان لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر الصحيح اعتقدوا ان ما هم فيه

فقال الملائكة لا ترهبوا من هذا فان ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لاهلكنه فلما بلغ الحين الذى يريد الله جل ثناؤه ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحى فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح فى رأسه عطس فقالت له الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال له الله رحمك ربك فلما دخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلا الى ثمار الجنة فذلك حين يقول خلق الانسان من عجل فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين أبى واستكبر وكان من الكافرين قال الله له ما منعك أن تسجد اذ أمرتك لما خلقت بيدى قال أنا خير منه لم أكن لاسجد لبشر خلقته من طين قال الله له اخرج منها فما يكون لك يعنى ما ينبغى لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين والصغار هو الذل قال وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرض الخلق على الملائكة فقال أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ان بنى آدم يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء فقالوا له سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال الله يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها فهذا الذى أبدوا واعلم ما تكتمون يعنى ما أسر ابليس فى نفسه من الكبر فهذا الخبر أوله مخالف معناه معنى الرواية التى رويت عن ابن عباس من رواية الضحاك التى قد قدمنا ذكرها قبل وموافق معنى آخره معناها وذلك انه ذكر فى أوله ان الملائكة سألت ربها ما ذاك الخليفة حين قال لها انى جاعل فى الارض خليفة فاجابهم انه تكون له ذرية يفسدون فى الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فقالت الملائكة حينئذ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فكان قول الملائكة ما قالت من ذلك لربها بعد اعلام الله اياها ان ذلك كائن من ذرية الخليفة الذى يجعله فى الارض فذلك معنى خلاف أول معنى خبر الضحاك الذى ذكرناه وأما موافقته اياه فى آخره فهو قولهم فى تأويل قوله أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ان بنى آدم يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء وان الملائكة قالت اذ قال لها ربها ذلك تبريا من علم الغيب سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم وهذا اذا تدبره ذو الفهم علم ان أوله يفسد آخره وان آخره يبطل معنى أوله وذلك ان الله جل ثناؤه ان كان أخبر الملائكة ان ذرية الخليفة الذى يجعل فى الارض تفسد فيها وتسفك الدماء فقالت الملائكة لربها أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلا وجه لتوبيخها على ان أخبرت عمن أخبرها الله عنه انه يفسد فى الارض ويسفك الدماء بمثل الذى أخبرها عنهم ربها فيجوز ان يقال لها فيما طوى عنها من العلوم ان كنتم صادقين فيما علمتم بخبر الله اياكم انه كائن من الامور فاخبرتم به فاخبرونا بالذى طوى الله عنكم علمه كما قد أخبرتمونا بالذى قد أطلعكم الله عليه بل ذلك خلف من التأويل ودعوى على الله ما لا يجوز ان تكون له صفة وأخشى ان يكون بعض نقلة هذا الخبر هو الذى غلط على من رواه عنه من الصحابة وان يكون التأويل منهم كان على ذلك أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فيما ظننتم انكم أدركتموه من العلم بخبرى اياكم ان بنى آدم يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء حتى استجزتم ان تقولوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فيكون

هو الحق ولانهم كانوا في رياسة وثروة وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم كما قال قوم نوح وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا أو أرادوا عبد الله بن سلام وأشياعه مما غاظهم من اسلامهم وفت في أعضادهم عن أنس انه سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض مخترف فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي فما أول أشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه قال صلى الله عليه وسلم أخبرني بهن جبريل آنفا أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة نزعت قال أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسألهم بهتوني فجاءت اليهود فقال أي رجل عبد الله فيكم قالوا أخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله بن سلام قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله ثم ان الله تعالى ألقب عليهم هذا اللقب مقرونا بالمؤكدات التي بيناها في قوله ألا انهم هم المفسدون وذلك ان من أعرض عن الدليل ثم نسب المتمسك به الى السفه فهو السفيه وكذا من باع آخرته بدنياه قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وأيضا من السفه معاداة المحمديين يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم شعر

* كالطود يحقر نطحة الاوعال *

انما فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لان الوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل أمر عقلي نظري وأما النفاق وما يؤول اليه من الفساد في الارض فأمر دنيوي مبني على العادات وخصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التحارب والتحاذب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له * البحث الخامس في قوله واذا لقوا الآيات هذا هو النوع الرابع من قبائح أفعالهم والفرق بين هذه الآية وبين قوله ومن الناس من يقول آمنا الخ في بيان

التوبيخ حينئذ واقعا على ما ظنوا انهم قد أدركوا بقول الله لهم انه يكون له ذرية يفسدون في الارض ويسفكون الدماء لا على اخبارهم بما أخبرهم الله به انه كائن وذلك ان الله جل ثناؤه وان كان أخبرهم عما يكون من بعض ذرية خليفته في الارض ما يكون منه فيها من الفساد وسفك الدماء فقد كان طوى عنهم الخبر عما يكون من كثير منهم ما يكون من طاعته ربه واصلاحه في أرضه وحقن الدماء ورفعه منزلته وكرامته عليهم فلم يخبرهم بذلك فقالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء على ظن منها على تأويل هذين الخبرين اللذين ذكرت وظاهرهما ان جميع ذرية الخليفة الذي يجعل في الارض يفسدون فيها ويسفكون فيها الدماء فقال الله لهم اذ علم آدم الاسماء كلها أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين انكم تعلمون ان جميع بني آدم يفسدون في الارض ويسفكون الدماء على ما ظننتم في أنفسكم انكارا منه جل ثناؤه لقيلهم ما قالوا من ذلك على الجميع والعموم وهو من صفة خاص ذرية الخليفة منهم وهذا الذي ذكرناه هو صفة منا لتأويل الخبر لا القول الذي نختاره في تأويل الآية ومما يدل على ما ذكرنا من توجيه خبر الملائكة عن افساد ذرية الخليفة وسفكها الدماء على العموم ما حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط قوله أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال يعنون الناس وقال آخرون في ذلك بما حدثنا به بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فاستشار الملائكة في خلق آدم فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقد علمت الملائكة من علم الله انه لا شيء أكره الى الله من سفك الدماء والفساد في الارض ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون فكان في علم الله جل ثناؤه انه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة قال وذكر لنا ان ابن عباس كان يقول ان الله لما أخذ في خلق آدم قالت الملائكة ما الله خالق خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم منا فابتلوا بخلق آدم وكل خلق مبتلى كما ابتليت السموات والارض بالطاعة فقال الله ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وهذا الخبر عن قتادة يدل على ان قتادة كان يرى ان الملائكة قالت ما قالت من قولها أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء على غير يقين علم تقدم منها بان ذلك كائن ولكن على الرأي منها والظن وان الله جل ثناؤه أنكر ذلك من قيلها ورد عليها ما رأت بقوله اني أعلم ما لا تعلمون من انه يكون من ذرية ذلك الخليفة الانبياء والرسل والمجتهد في طاعة الله وقد روي عن قتادة خلاف هذا التأويل وهو ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أتجعل فيها من يفسد فيها قال كان الله أعلمهم اذا كان في الارض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء فذلك قوله أتجعل فيها من يفسد فيها بمثل قول قتادة قال جماعة من أهل التأويل منهم الحسن البصري حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة قالا قال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قال لهم اني فاعل فعرضوا برأيهم فعلمهم علما وطوى عنهم علما علمه لا يعلمونه ٧ فقالوا بالعلم الذي علمهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء

٧ قوله فقالوا الخ هكذا بالنسخ ولا يظهر له معنى ولعل جواب العبارة فقال الملأ الذين علمهم اهـ مصححه

وكانت

مذهبهم والثزجة عن نفاقهم وهذه في بيان معاملتهم مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم عن ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله ابن أبي وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبي انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فأخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي عليه السلام فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ماخلا رسول الله ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فقال فاذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية أو من خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان عبث به ومعناه اذا أنهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد اليك فلانا أو أذمه اليك أي أنهي اليك حمدي لفلان أو ذمي وعن ابن عباس اني أحمد اليكم غسل الاحليل أي أعلمكم انه أمر محمود وشياطينهم رؤساؤهم وأكابرهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم اما أكابر المنافقين فالقائلون انا معكم أي مصاحبوكم وموافقوكم على أمر دينكم أصاغرهم وأما أكابر الكافرين فالقائلون يحتمل ان يكون جميع المنافقين وانما فسرنا الشياطين بالرؤساء لانهم هم القادرون على الافساد في الارض وانما خاطبوا المؤمنين باضعف الجملتين وهي الفعلية وشياطينهم باقواهما أعني الاسمية المحققة بان لانهم في ادعاء حدوث الايمان الناشئ عن صميم القلب منهم لا في دعاء انهم أوحديون في الايمان كاملون اما لان أنفسهم لا تساعدهم عليه وهكذا كل قول لم يصدر عن صدق رغبة وباعث داخلي واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار القائلين ربنا اننا آمنا وامنا مخاطبة اخوانهم فعن وفور نشاط ورغبة وفي حيز القبول والرواج فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد وانما فقد العاطف بين قوله انا معكم وبين قوله انما نحن مستهزؤن لانه

وكانت الملائكة علمت من علم الله انه لا ذنب أعظم عند الله من سفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون فلما أخذ في خلق آدم همت الملائكة فيما بينها فقالوا ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم ان يسجدوا له لما قالوا ففضله عليهم فعلموا انهم ليسوا بخير منه فقالوا ان لم نكن خيرا منه فنحن أعلم منه لانا كنا قبله وخلقت الامم قبله فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا فعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين اني لا أخلق خلقا الا كنتم أعلم منه فاخبروني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قال ففزع القوم الى التوبة واليها يفزع كل مؤمن فقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون لقولهم ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم منا قال علمه اسم كل شئ هذه الجبال وهذه البغال والابل والجن والوحش وجعل يسمي كل شئ باسمه وعرضت عليه كل أمة فقال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال اما ما أبدوا فقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وأما ما كتموا فقول بعضهم لبعض نحن خير منه وأعلم وحدثني المثنى ابن ابراهيم قال حدثنا اسحق بن الحجاج قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله اني جاعل في الارض خليفة الآية قال ان الله خلق الملائكة يوم الاربعاء وخلق الجن يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة قال فكفر قوم من الجن فكانت الملائكة تهبط اليهم في الارض فتقاتلهم فكانت الدماء وكان الفساد في الارض فمن ثم قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وحدثت عن عمار بن الحسين قال أخبرنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين الى انك أنت العليم الحكيم قال وذلك حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال فلما عرفوا انه جاعل في الارض خليفة قالوا بينهم لن يخلق الله خلقا الا كنا نحن أعلم منه وأكرم فاراد الله ان يخبرهم انه قد فضل عليهم آدم وعلم آدم الاسماء كلها فقال للملائكة أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين الى قوله وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وكان الذي أبدوا حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وكان الذي كتموا بينهم قولهم لن يخلق الله خلقا الا كنا نحن أعلم منه وأكرم فعرفوا ان الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم وقال ابن زيد بما حدثني به يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما خلق الله النار ذعرت منها الملائكة ذعرا شديدا وقالوا ربنا لم خلقت هذه النار ولاي شئ خلقتها قال لمن عصاني من خلقي قال ولم يكن لله خلق يومئذ الا الملائكة والارض ليس فيها خلق انما خلق آدم بعد ذلك وقرأ قول الله هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال عمر بن الخطاب يارسول الله ليت ذلك الحين ثم قال قالت الملائكة يارب أو يأتي علينا دهر نعصيك فيه لا يرون له خلقا غيرهم قال لا اني أريد ان أخلق في الارض خلقا واجعل فيها خليفة يسفكون الدماء ويفسدون في الارض فقالت الملائكة أتجعل في الارض

الاول معناه الثبات على الكفر والثانى رد الاسلام لان المستهزئ بالشئ منكرا له دافع ودفع نقيض الشئ اثبات و تأكيد الشئ أو لان الثانى بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر أو لانه استئناف كانه قيل ما بالكم ان صح انكم معنا توافقون أهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع ثم ان الله تعالى أجابهم بأشياء أحدها قوله الله يستهزئ بهم وهو استئناف فى غاية الجزالة (١٦٠) والفخامة كانه سئل ما مصير أمرهم وعقبى حالهم فقيل الله يستهزئ بهم وفى الالتفات

من الحكاية الى المظهر ان الله عز وجل هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذى استهزاؤهم بالنسبة الى ذلك كالعدم وفى تخصيص الله بالذكر مع قرينة ان المؤمنين هم الذين استهزئ بهم دلالة على ان الله هو الذى يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قيل الاستهزاء جهالة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين فما معنى استهزاء الله بهم قلنا معناه انزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصد الاقصى للمستهزئ أو سمى جزاء الاستهزاء استهزاء مثل فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم أو عاملهم الله معاملة المستهزئ فى الدنيا لانه كان يطلع الرسول على أسرارهم مع كونهم مبالغين فى اخفائها وفى الآخرة على ما روى عن ابن عباس اذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم فى الموضع الذى هو مسكن المنافقين فاذا رأى المنافقون الباب مفتوحا أخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون الى الجنة وأهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة فهنالك يغلق دونهم الباب فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون

فهذا هو الاستهزاء وانما لم يقل الله مستهزئ ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن لان المراد تجدد الاستهزاء بهم وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم ونزول الآيات فى شأنهم أولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون وثانيها قوله ويمدهم فى طغيانهم هو من مد الجيش وأمده اذا زاده وألحق به ما يقويه وكذلك مد الدواة والسراج زادهما ما يصلحهما وانما قلنا انه من المدد لا من المد فى العمر والامهال

من يفسد فيها ويسفك الدماء وقد أخبرها فاجعلنا نحن فيها فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونعمل فيها بطاعتك واعظم الملائكة أن يجعل الله فى الارض من يعصيه فقال انى أعلم ما لا تعلمون يا آدم أنبئهم بأسمائهم فقال فلان وفلان فلما رأوا ما أعطاه الله من العلم عليهم أقروا لآدم بالفضل عليهم وأبى الخبيث ابليس ان يقر له قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها وقال ابن اسحق بما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد ابن اسحق قال لما أراد الله أن يخلق آدم بقدرته ليبتليه ويبتلى به لعلمه بما فى ملائكته وجميع خلقه وكان أول بلاء ابتليت به الملائكة مما لها فيه ما تحب وما تكره للبلاء والتمحيص لما فيهم مما لم يعلموا واحاطه ٧ علم الله منهم جمع الملائكة من سكان السموات والارض ثم قال انى جاعل فى الارض خليفة يقول عامر أو ساكن يسكنها ويعمرها خلقا ليس منكم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء ويعملون بالمعاصى فقالوا جميعا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك لا نعصى ولا نأتى شيأ كرهته قال انى أعلم ما لا تعلمون قال أى فيكم ومنكم ولم يبدها لهم من المعصية والفساد وسفك الدماء واتيان ما أكره منهم مما يكون فى الارض مما ذكرت فى بنى آدم قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الى الا انما أنا نذير مبين الى قوله فقعوا له ساجدين فذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم الذى كان من ذكره آدم حين أراد خلقه ومراجعة الملائكة اياه فيما ذكر لهم منه فلما عزم الله تعالى ذكره على خلق آدم قال للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون بيدى تكرمة له وتعظيما لامره وتشريفا له حفظت الملائكة عهده ووعوا قوله وأجمعوا الطاعة الا ما كان من عدو الله ابليس فانه صمت على ما كان فى نفسه من الحسد والبغى والتكبر والمعصية وخلق الله آدم من أدمة الارض من طين لازب من حمأ مسنون بيديه تكرمة له وتعظيما لامره وتشريفا له على سائر خلقه قال ابن اسحق فيقال والله أعلم خلق الله آدم ثم وضعه ينظر اليه أربعين عاما قبل ان ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالا كالفخار ولم تمسه نار قال فيقال والله أعلم انه لما انتهى الروح الى رأسه عطس فقال الحمد لله فقال له ربه يرحمك ربك ووقع الملائكة حين استوى سجودا له حفظا لعهد الله الذى عهد اليهم وطاعة لامره الذى أمرهم به وقام عدو الله ابليس من بينهم فلم يسجد مكابرا متعظما بغيا وحسدا فقال له يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى الى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قال فلما فرغ الله من ابليس ومعاتبته وأبى الا المعصية أوقع عليه اللعنة وأخرجه من الجنة أقبل على آدم وقد علمه الاسماء كلها فقال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم أى انما أجبناك فيما علمتنا فاما ما لم تعلمنا فانت أعلم به فكان ما سمى آدم من شئ كان اسمه الذى هو عليه الى يوم القيامة وقال ابن جريج بما حدثنا به القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال انما تكلموا بما أعلمهم انه كائن من خلق آدم فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال بعضهم انما قالت الملائكة ما قالت أتجعل فيها

٧ هكذا هذه العبارة بالاصل ولينظر معناها اهـ مصححه

من

من يفسد فيها ويسفك الدماء لان الله أذن لها في السؤال عن ذلك بعدما أخبرها ان ذلك كائن من بني آدم فسألته الملائكة فقالت على التعجب منها وكيف يعصونك يارب وأنت خالقهم فأجابهم ربهم اني أعلم مالا تعلمون يعني ان ذلك كائن منهم وان لم تعلموه أنتم ومن بعض من ترونه لي طائعا يعرفهم بذلك قصور علمهم عن علمه وقال بعض أهل العربية قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها على غير وجه الانكار منهم على ربهم وانما سألوه ليعلموا وأخبروا عن أنفسهم انهم يسبحون وقال قالوا ذلك لانهم كرهوا ان يعصى الله لان الجن قد كانت أمرت قبل ذلك فعصت وقال بعضهم ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك فكأنهم قالوا يارب خبرنا مسئلة استخبار منهم لله لا على وجه مسئلة التوبيخ * قال أبو جعفر وأولى هذه التأويلات بقول الله جل ثناؤه مخبرا عن ملائكته قيلها له أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك الانكار منها لما أعلمها ربها انه فاعل وان كانت قد استقطعت لما أخبرت بذلك ان يكون لله خلق يعصيه وأما دعوى من زعم ان الله جل ثناؤه كان أذن لها بالسؤال عن ذلك فسألته على وجه التعجب فدعوى لا دلالة عليها في ظاهر التنزيل ولا خبر بها من الحجة يقطع العذر وغير جائز ان يقال في تأويل كتاب الله بما لا دلالة عليه من بعض الوجوه التي تقوم بها الحجة وأما وصف الملائكة من وصفت في استخبارها ربها عنه بالفساد في الارض وسفك الدماء فغير مستحيل فيما روي عن ابن عباس وابن مسعود من القول الذي رواه السدي ووافقهما عليه قتادة من التأويل وهو ان يكون الله جل ثناؤه أخبرهم انه جاعل في الارض خليفة تكون له ذرية يفعلون كذا وكذا فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها على ما وصفت من الاستخبار فان قال لنا قائل وما وجه استخبارها والامر على ما وصفت من انها أخبرت ان ذلك كائن قيل وجه استخبارها حينئذ يكون عن حالهم عند وقوع ذلك وهل ذلك منهم ومسئلتهم ربهم ان يجعلهم الخلفاء في الارض حتى لا يعصوه وغير فاسد أيضا ما رواه الضحاك عن ابن عباس وتابعه عليه الربيع بن أنس من ان الملائكة قالت ذلك لما كان عندها من علم سكان الارض قبل آدم من الجن فقالت لربها أجاعل فيها أنت مثلهم من الخلق يفعلون مثل الذي كانوا يفعلون على وجه الاستعلام منهم لربهم لا على وجه الايجاب ان ذلك كائن كذلك فيكون ذلك منها اخبارا عما لم تطلع عليه من علم الغيب وغير خطأ أيضا ما قاله ابن زيد من ان يكون قيل الملائكة ما قالت من ذلك على وجه التعجب منها من ان يكون لله خلق يعصي خالقه وانما تركنا القول الذي رواه الضحاك عن ابن عباس ووافقه عليه الربيع والذي قاله ابن زيد في تأويل ذلك لانه لا خبر عندنا بالذي قالوه من وجه يقطع مجيئه العذر ويلزم سامعه به الحجة والخبر عما مضى وما قد سلف لا يدرك علم صحته الا بمجيئه مجيئا يمتنع منه التشاغب والتواطؤ والسهو وليس ذلك بموجود كذلك فيما حكاه الضحاك عن ابن عباس ووافقه عليه الربيع ويستحيل فيه الكذب والخطأ ولا فيما قاله ابن زيد فأولى التأويلات ان كان الامر كذلك بالآية ما كان عليه من ظاهر التنزيل دلالة مما يصح مخرجه في المفهوم فان قال قائل فان كان أولى التأويلات بالآية هو ما ذكرت من ان الله أخبر الملائكة بان ذريته خليفته في الارض يفسدون فيها ويسفكون فيها الدماء فمن أجل ذلك قالت الملائكة

لقراءة نافع في موضع آخر واخوانهم يمدونهم في الغي على ان الذي بمعنى أمهله انما هو مدله مع اللام كأملى له قاله في الكشاف وهو مخالف لنقل الجوهري مده في غيه أي أمهله والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو ومعنى مدالله تعالى اياهم في الطغيان يعرف في تفسير ختم الله على قلوبهم وقد يوجه بانه لما منعهم الطاقة التي منحها المؤمنين بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في صدور المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا أو بانه لم ينورهم أو بانه أسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره ولا يخفى ما في هذا الوجه من التكلف لان انتهاء الكل الى مسبب الاسباب ومن هذا القبيل ما قيل ان النكتة في اضافة الطغيان اليهم هي ان يعلم أن التمادي في الضلالة مما اقترفته أنفسهم وان الله بري منه فان الانتهاء الى الله تعالى لما كان ضروريا فكيف تبرأ من ذلك ويعمهون في موضع الحال والعمه كالعمى الا أن العمى في البصر وفي الرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري أين يتوجه وثالثها قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أي اختاروها واستبدلوها به وهذه استعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر قال أبو النجم
شعر
أخذت بالجمة رأسا أزعرا
وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيذرا
كما اشترى المسلم اذ تنصرا
وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بني اسرائيل يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويبتاعون الدنيا بعمل الآخرة جعلوا لتمكنهم من الهدى بحسب الفطرة الانسانية الشخصية كأنه في أيديهم فتركوه واستبدلوا به الضلالة وهي الجور عن القصد وفقد الاهتداء وفي المثل ضل دريص نفقه أي جحره والدرص ولد الفارة ونحوها يضرب لمن يعي بامره فاستعيرت الضلالة للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على رأس المال والتجارة مصدر وانما أسند الخسران اليها وهو لصاحبها اسنادا مجازيا للملابسة التجارة للمشترين وقد يقال ربح عبدك وخسرت تجارتك مجازا اذا دلت الحال ولما ذكر الله سبحانه شراء الضلالة بالهدى مجازا أتبعه ما يشاكله ويواخيه من الربح والتجارة لتكون الاستعارة مرشحة كقوله شعر ولما رأيت النسر عز ابن داية * وعشش في وكريه جاش له صدري

أتجعل فيها من يفسد فيها فان ذكر اخبار الله اياهم فى كتابه بذلك قيل لها اكتفى بدلالة ما قد ظهر من الكلام عليه عنه كما قال الشاعر

فلا تدفنونى ان دفنى محرم * عليكم ولكن خامرى أم عامر

فحذف دعونى التى يقال لها عند صيدها خامرى أم عامر اذ كان فيما أظهر من كلامه دلالة على معنى مراده فكذلك ذلك فى قوله قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها لما كان فيه دلالة على ما ترك ذكره بعد قوله انى جاعل فى الارض خليفة من الخبر عما يكون من افساد ذريته فى الارض فاكتفى بدلالته وحذف فترك ذكره كما ذكرنا من قول الشاعر ونظائر ذلك فى القرآن وأشعار العرب وكلامها أكثر من ان يحصى فلما ذكرنا من ذلك اخترنا ما اخترنا من القول فى تأويل قوله قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) قال أبو جعفر أما قوله ونحن نسبح بحمدك فانه يعنى انا نعظمك بالحمد لك والشكر كما قال جل ثناؤه ونسبح بحمدك وكما قال والملائكة يسبحون بحمد ربهم وكل ذكر لله عند العرب فتسبيح وصلاة يقول الرجل منهم قضيت سبحتى من الذكر والصلاة وقد قيل ان التسبيح صلاة الملائكة حدثنا أبو حميد قال حدثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فمر رجل من المسلمين على رجل من المنافقين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يصلى وأنت جالس فقال له امض الى عملك ان كان لك عمل فقال ما أظن الا سيمر عليك من ينكر عليك فمر عمر بن الخطاب فقال له يا فلان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى وأنت جالس فقال له مثلها فقال هذا من عملى فوثب عليه فضربه حتى انتهى ثم دخل المسجد فصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فلما انفتل النبى صلى الله عليه وسلم قام اليه عمر فقال يا نبى الله مررت آنفا على فلان وأنت تصلى فقلت له النبى صلى الله عليه وسلم يصلى وأنت جالس فقال سر الى عملك ان كان لك عمل فقال النبى صلى الله عليه وسلم فهلا ضربت عنقه فقام عمر مسرعا فقال يا عمر ارجع فان غضبك عز ورضاك حكم ان لله فى السموات السبع ملائكة يصلون له غناء عن صلاة فلان فقال عمر يا نبى الله وما صلاتهم فلم يرد عليه شيأ فأتاه جبريل فقال يا نبى الله سألك عمر عن صلاة أهل السماء قال نعم فقال اقرأ على عمر السلام وأخبره ان أهل السماء سجود الى يوم القيامة يقولون سبحان ذى الملك والملكوت وأهل السماء الثانية ركوع الى يوم القيامة يقولون سبحان رب العزة والجبروت وأهل السماء الثالثة قيام الى يوم القيامة يقولون سبحان الحى الذى لا يموت ۞ قال أبو جعفر وحدثنى يعقوب بن ابراهيم وسهل بن موسى الرازى قالا حدثنا ابن علية قال أخبرنا الجريرى عن أبى عبد الله الجسرى عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده أو ان أبا ذر عاد النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بأبى أنت أى الكلام أحب الى الله فقال ما اصطفى الله لملائكته سبحان ربى وبحمده سبحان ربى وبحمده فى أشكال لما ذكرنا من الاخبار كرهنا اطالة الكتاب واستقصاءه وأصل التسبيح لله عند العرب التنزيه له من اضافة ما ليس من صفاته اليه والتنزيه له من ذلك كما قال أعشى بنى ثعلبة

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر وما كانوا مهتدين لطرق التجارة لان مطلوب التاجر فى متصرفاته شيآن سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة والضلالة أمر عدمى فلا عوض ولا معوض فلا ربح ولا رأس المال وهكذا حال من يدعى الارادة ولا يخرج من العادة ويريد الجمع بين مقاصد الدنيا ومصالح الدين كالمنافق اراد الجمع بين عشرة الكفار وصحبة المسلمين والمكاتب عبد ما بقى عليه درهم واذا أقبل الليل أدبر النهار من ههنا نعوذ بالله من الغواية ونسأل ان يعصمنا من الضلالة بعد الهداية

(مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شئ قدير)

القراآت آذانهم وبابه بالامالة نصير وأبو عمرو بالكافرين وما أشبههما مما كان فى محل الخفض بالامالة أبو عمرو وقتيبة ونصير وأبو عمرو و يعقوب غير روح شاء الله حيث كان بالامالة حمزة وعلى وخلف وابن ذكوان الوقوف نارا* لان جواب لما منتظر المافيها من معنى الشرط مع دخول فاء التعقيب فيها لا يبصرون ه لا يرجعون ه للعطف باو وهو للتخيير ومعنى التخيير لا يبقى مع الفصل ومن جعل أو بمعنى الواو جاز وقفه لعطفه الجملتين مع انها رأس آية وقد اعترضت بينهما آية على تقدير ومثلهم كصيب وبرق ج لان قوله يجعلون يحتمل ان يكون خبرا لمحذوف أى هم يجعلون أو حالا عامله معنى التشبيه فى الكاف وذوا الحال محذوف أى كأصحاب صيب الموت ط بالكافرين ه أبصارهم ط لان كلما استئناف فيه (٧) لان تمام المقصود بيان الحال المضاد للحال الاول قاموا ط وأبصارهم ط قدير ه* التفسير لما جاء بحقيقة صفة المنافقين عقبها بضرب المثل تتميما للبيان ولضرب الامثال شان ليس بالخفى فى رفع الاستار عن الحقائق حتى يبرز المتخيل فى معرض اليقين والغائب كأنه شاهد وفيه تبكيت للخصم الالد ولامر ما أكثر الله تعالى فى كتبه أمثاله وتلك الامثال نضربها للناس وفشت

اقول

أقول لما جاءني فخره * سبحان من علقمة الفاخر

يريد سبحان الله من فخر علقمة أي تنزيهاً لله مما أتى علقمة من الافتخار على وجه التنكير منه وكذلك قد اختلف أهل التأويل في معنى التسبيح والتقديس في هذا الموضع فقال بعضهم قولهم نسبح بحمدك نصلي لك ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال يقولون نصلي لك وقال آخرون نسبح لك التسبيح المعلوم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ونحن نسبح بحمدك قال التسبيح التسبيح ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ونقدس لك) قال أبو جعفر والتقديس هو التطهير والتعظيم ومنه قولهم سبوح قدوس يعني بقولهم سبوح تنزيه لله وبقولهم قدوس طهارة له وتعظيم ولذلك قيل للارض أرض مقدسة يعني بذلك المطهرة فمعنى قول الملائكة اذاً ونحن نسبح بحمدك ننزهك ونبرئك مما تضيفه اليك أهل الشرك بل ونصلي لك ونقدس لك ننسبك الى ما هو من صفاتك من الطهارة من الادناس وما أضاف اليك أهل الكفر بك وقد قيل ان تقديس الملائكة لربها صلاتها حدثنا ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ونقدس لك قال التقديس الصلاة وقال بعضهم نقدس لك نعظمك ونمجدك ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال حدثنا هاشم بن القاسم قال حدثنا أبو سعيد المؤدب قال حدثنا اسمعيل عن ابي صالح في قوله ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال نعظمك ونمجدك وحدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثني عيسى وحدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ونقدس لك قال نعظمك ونكبرك وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة ابن الفضل عن ابن اسحق ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك لا نعصي ولا نأتي شيئاً تكرهه وحدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك في قوله ونقدس لك قال التقديس التطهير وأما قول من قال ان التقديس الصلاة والتعظيم فان معنى قوله ذلك راجع الى المعنى الذي ذكرناه من التطهير من أجل ان صلاتها لربها تعظيم منها له وتطهير مما ينسبه اليه أهل الكفر به ولو كان مكان ونقدس لك ونقدسك كان فصيحاً من الكلام وذلك ان العرب تقول فلان يسبح الله ويقدسه ويسبح لله ويقدس له بمعنى واحد وقد جاء بذلك القرآن قال الله جل ثناؤه كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً وقال في موضع آخر يسبح لله ما في السموات وما في الارض ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال اني أعلم ما لا تعلمون) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم يعني بقوله أعلم ما لا تعلمون مما اطلع عليه من ابليس واضماره المعصية لله واخفائه الكفر مما اطلع عليه تبارك وتعالى وخفي على ملائكته ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس اني أعلم ما لا تعلمون يقول اني قد اطلعت من قلب ابليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره وحدثني موسى قال حدثنا

في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ظلك ان طلبته تباعد وان تركته تتابع مثل الجليس الصالح كمثل الداري وأمثال العرب أكثر من ان تحصى حتى صنف فيها كتب مشهورة والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثيل وهو النظير ثم قيل القول السائر المشبه مضربه بمورده مثل ولا يخلو من غرابة ومن ثم حوفظ عن التغيير وأما ههنا فاستعير المثل للحال أو الصفة أو القصة التي فيها غرابة ولها شأن شبهت حالهم العجيبة الشأن من حيث انهم أوتوا ضرباً من الهدى بحسب الفطرة ولما نطقت به ألسنتهم من كلمة الاسلام فحقنوا دماءهم وأموالهم عاجلاً ثم لم يتوصلوا بذلك الى نعيم الابد باستبطانهم الكفر فيؤل مآلهم الى أنواع الحسرات وأصناف العقوبات بحال الذي استوقد ناراً في توجه الطمع الى شيء مطلوب بسبب مباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب والمراد بالذي استوقد اما جمع كقوله وخضتم كالذي خاضوا وحذف النون لاستطالته بصلته أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد ناراً ولولا عود الضمير الى الذي مجموعاً في قوله بنورهم وتركهم لم يحتج الى التكلفات المذكورة على انه يمكن ان يشبه قصة جماعة بقصة شخص واحد نحو مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها وأوقدتها أنا واستوقدتها أيضاً والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير واشتقاقهما من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطراباً والاضاءة فرط الانارة جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وهي في الآية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد أماكن وأشياء أو يستتر في الفعل اللازم ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة أو موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والاطافة والعام حول لانه يدور وجواب لما ذهب الله بنورهم فالضمير يعود الى الذي استوقد نظراً الى المعنى كأن الضمير في حوله راجع اليه من حيث اللفظ وقيل الاولى ان يقال جوابه محذوف مثل فلما ذهبوا به لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من الذكر في أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله كأن ما كان من حصول لهم خابطين في ظلام

عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انى أعلم مالا تعلمون يعنى من شان ابليس **وحدثنا** أحمد بن اسحق الاهوازى قال حدثنا أبو أحمد **وحدثنا** محمد ابن بشار قال حدثنا مؤمل قالا جميعا حدثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انى أعلم مالا تعلمون قال علم من ابليس المعصية وخلقه لها **وحدثنى** موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا سفيان عن على بن بذيمة عن مجاهد بمثله **وحدثنا** ابن حميد قال حدثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله انى أعلم مالا تعلمون قال علم من ابليس المعصية وخلقه لها **وحدثنى** جعفر بن محمد البروزى قال حدثنا حسن بن بشر عن حمزة الزيات عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله انى أعلم مالا تعلمون قال علم من ابليس الكبر ان لا يسجد لآدم **وحدثنى** محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن ابن أبى نجيح عن مجاهد **وحدثنى** المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله انى أعلم مالا تعلمون قال علم من ابليس المعصية **وحدثنا** أبو كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن رجل عن مجاهد مثله **وحدثنى** المثنى قال حدثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان قال قال مجاهد فى قوله انى أعلم مالا تعلمون قال علم من ابليس المعصية وخلقه لها وقال مرة آدم **وحدثنى** المثنى قال حدثنا حجاج بن المنهال قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عبد الوهاب بن مجاهد يحدث عن أبيه فى قوله انى أعلم مالا تعلمون قال علم من ابليس المعصية وخلقه لها وعلم من آدم الطاعة وخلقه لها **وحدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه والثورى عن على بن بذيمة عن مجاهد فى قوله انى أعلم مالا تعلمون قال علم من ابليس المعصية وخلقه لها **وحدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق انى أعلم مالا تعلمون أى فيكم ومنكم ولم يبدها لهم من المعصية والفساد وسفك الدماء وقال آخرون معنى ذلك انى أعلم مالا تعلمون من انه يكون من ذلك الخليفة أهل الطاعة والولاية لله ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قال انى أعلم مالا تعلمون فكان فى علم الله انه سيكون من تلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة وهذا الخبر من الله جل ثناؤه ينبئ عن ان الملائكة التى قالت أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء استعظمت ان يكون لله خلق يعصيه وعجبت منه اذ أخبرت ان ذلك كائن فلذلك قال لهم ربهم انى أعلم مالا تعلمون يعنى بذلك والله أعلم انكم لتعجبون من أمر وتستفظعونه وأنا أعلم انه فى بعضكم وتصفون ألسنتكم بصفة أعلم خلافها من بعضكم وتعرضون بأمر قد جعلته لغيركم وذلك ان الملائكة لما أخبرها ربها بما هو كائن من ذرية خليفته من الفساد وسفك الدماء قالت لربها يارب أجاعل أنت فى الارض خليفة من غيرنا يكون من ذريته من يعصيك أم منا فانا نعظمك ونصلى لك ونطيعك ولا نعصيك ولم يكن عندها علم بما قد انطوى عليه كشحا ابليس من استكباره على ربه فقال لهم ربهم انى أعلم غير الذى تقولون من بعضكم وذلك هو ما كان مستورا عنهم من أمر ابليس

متحير بن خائبين فيها بعد الكدح فى احياء النار ثم ان سائلا كأنه يسأل ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم أى بنور المنافقين وعلى هذا يحتمل ان يكون الذى مفردا ويمكن ان يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان أى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وكمثل الذى ذهب الله بنورهم ومعنى اسناد الفعل الى الله انه اذا طفئت النار بسبب سماوى كريح أو مطر فقد أطفأها الله وذهب بنور المستوقد أو يكون المستوقد مستوقدا نارا لا يرضاها الله ثم اما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها واضاءتها قليلة الانتفاع بها الدنيوية قليل له البقاء وللباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله واما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصى ويهتدوا بها فى طرق العبث فاطفأها الله وخيب أمانيهم وانما لم يقل ذهب الله بضوءهم على سياق فلما أضاءت لان ذكر النور أبلغ فى الغرض وهو ازالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا فان الضوء شدة النور وزيادته وذهاب الاصل يوجب زوال الزيادة عليه دون العكس والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله أخذه وأمسكه وما يمسكه الله فلا مرسل له فهو أبلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد واذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجرى مجرى أفعال القلوب كقول عنترة شعر

* فتركته جزر السباع ينشنه *

ومنه قوله تعالى وتركهم فى ظلمات والظلمة عدم النور عما من شانه ان يستنير وقيل عرض ينافى النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا أى ما منعك وشغلك لانها تستر الرؤية وتمنع الظلمة وفى جمع الظلمة وتنكيرها واتباعها واطوائه ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وفى قوله لا يبصرون دلالة على ان الظلمة بلغت مبلغا يبهت معها الواصفون وكذا فى اسقاط مفعول لا يبصرون وجعله من قبيل المتروك المطرح الذى لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوى كان الفعل غير متعد ليسوا من أهل الابصار عن سعيد أصلا أو محل لا يبصرون اما جر صفة لظلمات أى لا يبصرون فيها شيئا واما نصب مفعولا ثانيا أو حالا من هم مثل وذرهم فى

طغيانهم يعمهون أي حال كونهم ليسوا من أهل الابصار عن سعيد بن جبير نزلت في اليهود وانتظارهم لخروج النبي صلى الله عليه وسلم واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وكان انتظارهم له كايقادا النار وكفرهم به بعد ظهوره كزوال ذلك النور ثم انه كان من المعلوم من حالهم انهم يسمعون وينطقون ويبصرون لكنهم شبهوا بمن أفنيت مشاعرهم فقيل لهم صم بكم عمي حيث صدوا عن الاصاغة الى الحق مسامعهم وأبوا ان تنطق به ألسنتهم وان ينظروا ويستبصروا بعيونهم وانما قلنا ان ما في الآية

وانطوائه على ما قد كان انطوى عليه من الكبر وعلى قيلهم ذلك ووصفهم أنفسهم بالعموم من الوصف عوتبوا ۞ القول في تاويل قوله تعالى ذكره (وعلم آدم) قال أبو جعفر حدثنا محمد ابن حميد قال حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث رب العزة ملك الموت فاخذ من أديم الارض من عذبها ومالحها فخلق منه آدم ومن ثم سمي آدم لانه خلق من أديم الارض وحدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا عمر بن ثابت عن أبيه عن جده عن علي قال ان آدم خلق من أديم الارض فيه الطيب والصالح والرديء فكل ذلك أنت راء في ولده الصالح والرديء حدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا مسعر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال خلق آدم من أديم الارض فسمي آدم وحدثنا ابن المثنى قال حدثنا أبو رواد قال حدثنا شعبة عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال انما سمي آدم لانه خلق من أديم الارض وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان ملك الموت لما بعث ليأخذ من الارض تربة آدم أخذ من وجه الارض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ولذلك سمي آدم لانه أخذ من أديم الارض وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر يحقق ما قال من حكينا قوله في معنى آدم وذلك ما حدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن عوف وحدثنا ابن بشار قال حدثنا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر وعبد الوهاب الثقفي وحدثنا محمد ابن بشار وعمر بن شبة قالا حدثنا يحيى بن سعيد قالوا حدثنا عوف وحدثني محمد بن عمارة الاسدي قال حدثنا اسمعيل بن أبان قال حدثنا عنبسة عن عوف الاعرابي عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض جاء منهم الاحمر والاسود والابيض وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب فعلى التاويل الذي تاول آدم بمعنى انه خلق من أديم الارض يجب ان يكون أصل آدم فعلا سمي به أبو البشر كما سمي أحمد بالفعل من الاحماد وأسعد من الاسعاد فلذلك لم يجر ويكون تاويله حينئذ آدم الملك الارض يعني به بلغ أدمتها وأدمتها وجهها الظاهر لرأي العين كما ان جلدة كل ذي جلدة له أدمة ومن ذلك سمي الادام اداما لانه صار كالجلدة العليا مما هي منه ثم نقل من الفعل فجعل اسما للشخص بعينه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (الاسماء كلها) قال أبو جعفر اختلف أهل التاويل في الاسماء التي علمها آدم ثم عرضها على الملائكة فقال ابن عباس ما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس فلما علم الله آدم الاسماء كلها وهي هذه الاسماء التي يتعارف بها الناس انسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار وأشباه ذلك من الامم وغيرها وحدثنا محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثني عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وحدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وعلم آدم الاسماء كلها قال علمه اسم كل شيء

تشبيه لا استعارة مع ان المشبه مطوي ذكره كما هو حق الاستعارة لان ذلك في حكم المنطوق به والا بقي الخبر بلا مبتدا ومعنى لا يرجعون لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه أو عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع أو أراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين لا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون

شعر

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي
متأخر عنه ولا متقدم

ومثله حال مريد طريقة الذي له بداية ولازم خلوته وصحبته حتى شرقت له من صفات القلب شوارق الشوق وبرقت له من أنوار الروح بوارق الذوق فطرقته الهواجس وأزعجته الوساوس فيرجع قهقرى الى ما كان من حضيض عالم الطبيعة فغابت شمسه وأظلمت نفسه وفضل يومه أمسه ثم ان الله تعالى ضرب للمنافقين مثلا آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا عقيب ايضاح لان المقام مقام تفصيل واشباع فيكون تقدير الكلام مثل المنافقين كمثل المستوقدين أو كمثل ذوي صيب على معنى ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين فانهما سواء في صحة التشبيه بهما فانت مخير في التشبيه بايتهما شئت نحو جالس الحسن أو ابن سيرين والتمثيلان جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا يتكلف واحد واحد شيء يقدر شبهه به بل تراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام وهي انهم في مقام الطمع في حصول المطالب ونجح المآرب لا يحظون الا بضد المطموع فيه من مجرد مقاساة الاهوال وشدائد الاحوال ولا يخفى ان التمثيل الثاني أبلغ لانه أدل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك أخر يتدرجا من الاهون الى الاغلظ وانما قدرنا المضاف المحذوف حيث قلنا أو كمثل ذوي صيب مع انه لا يلزم في التشبيه المركب أن يلي حرف

وحدثنا وكيع قال حدثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن مجاهد وعلم آدم الاسماء كلها قال علمه اسم كل شئ وحدثنا على بن الحسن قال حدثنا مسلم الجرمى عن محمد بن مصعب عن قيس بن الربيع عن خصيف عن مجاهد قال علمه اسم الغراب والحمامة واسم كل شئ وحدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبي عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال علمه اسم كل شئ حتى البعير والبقرة والشاة وحدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبي عن شريك عن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس قال علمه اسم القصعة والفسوة والفسية وحدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا شريك عن عاصم بن كليب عن الحسن بن سعد عن ابن عباس وعلم آدم الاسماء كلها حتى الفسوة والفسية حدثنا على بن الحسن قال حدثنا مسلم قال حدثنا محمد بن مصعب عن قيس عن عاصم بن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس فى قول الله وعلم آدم الاسماء كلها قال علمه اسم كل شئ حتى الهنة والهنية والفسوة والضرطة وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا على بن مسهر عن عاصم بن كليب قال قال ابن عباس علمه القصعة من القصيعة والفسوة من الفسية وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله وعلم آدم الاسماء كلها حتى بلغ انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فانبأ كل صنف من الخلق باسمه وألجأه الى جنسه وحدثنا الحسن ابن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن قتادة فى قوله وعلم آدم الاسماء كلها قال علمه اسم كل شئ هذا جبل وهذا بحر وهذا كذا وهذا كذا لكل شئ ثم عرض تلك الاشياء على الملائكة فقال أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة قال علمه اسم كل شئ هذه الخيل وهذه البغال والابل والجن والوحش وجعل يسمى كل شئ باسمه وحدثت عن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال اسم كل شئ وقال آخرون علم آدم الاسماء كلها أسماء الملائكة ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وعلم آدم الاسماء كلها قال أسماء الملائكة وقال آخرون انما علمه أسماء ذريته ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعلم آدم الاسماء كلها قال أسماء ذريته أجمعين وأولى هذه الاقوال بالصواب وأشبهها بما دل على صحته ظاهر التلاوة قول من قال فى قوله وعلم آدم الاسماء كلها انها أسماء ذريته وأسماء الملائكة دون سائر أجناس الخلق وذلك ان الله جل ثناؤه قال ثم عرضهم على الملائكة يعنى بذلك أعيان المسمين بالاسماء التى علمها آدم ولا تكاد العرب تكنى بالهاء والميم الا عن أسماء بنى آدم والملائكة وأما اذا كانت عن أسماء البهائم وسائر الخلق سوى من وصفنا فانها تكنى عنها بالهاء والالف و بالهاء والنون فقالت عرضهن أو عرضها وكذلك تفعل اذا كنت عن أصناف من الخلق كالبهائم والطير وسائر أصناف الامم وفيها أسماء بنى آدم والملائكة تكنى عنها بما وصفنا من الهاء والنون والهاء والالف و ربما كنت عنها اذ كان كذلك بالهاء والميم كما قال جل ثناؤه والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع فكنى

التشبيه مفرد ينافى التشبيه ألا ترى الى قوله انما مثل الحياة كماء كيف ولى الماء الكاف اذ التشبيه مركب لان الضمير فى يجعلون لابد له من راجع هذا هو التحقيق وقد يقال شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر وما يحرم حوله من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الاسلام بالصواعق وعلى هذا يكون تقدير المضاف ضرورياً ليصح تشبيه المنافقين بهم ويكون المعنى مثلهم كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا ويكون ذكر المشبهات مطوياً على سنن الاستعارة والصيب المطر الذى يصوب أى ينزل و يقع و يقال للسحاب صيب أيضاً وتنكير صيب للدلالة على انه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار فى التمثيل الاول والسماء هذه المظلة والفائدة فى ذكره والصيب لا يكون الا من السماء انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء أى من أفق واحد من بين سائر الآفاق ولكنه غمام مطبق أخذ بآفاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب من ص و ب والبناء على فيعل والتنكير أمد ذلك بان جعله مطبقاً واعلم انه اذا وقعت القوى الفلكية على العناصر باذن الله تعالى فحركتها وخالطتها حصل من اختلاطها موجودات شتى فاذا هيج الفلك باسخانه الحرارة بخاراً عن الاجسام المائية اودخاناً من الاجسام الارضية واثار شيأ بين البخار والدخان من الاجسام المائية والارضية أما الدخان فانه قد يتعدى صعوده حيز الهواء الى أن يوافى تخوم النار فيشتعل و ربما سرى فيه الاشتعال فتراءى كأن كوكباً يقذف به و ربما لم يشتعل بل احترق وثبت فيه الاحتراق فرأيت العلامات الهائلة الحمرة والسواد وأما البخار الصاعد فمنه ما يلطف و يرتفع جداً فيتراكم و تكثر مدته فى أقصى الهواء عند منقطع الشعاع عنها فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحاباً والقاطر مطراً ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعاً فينزل كما وافيه برد الليل قبل أن يتراكم سحاباً وهذا هو الطل و ربما جمد البخار المتراكم فى الاعالى أعنى السحاب فنزل و كان ثلجاً و ربما جمد البخار الغير المتراكم فى الاعالى أعنى مادة الطل فنزل و كان صقيعاً وهو ما يسقط بالليل من السماء شبيهاً بالثلج و ربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات

عنها بالهاء والميم وهى أصناف مختلفة فيها الآدمى وغيره وذلك وان كان جائزا فان الغالب المستفيض فى كلام العرب ما وصفنا من اخراجهم كناية أسماء أجناس الامم اذا اختلطت بالهاء والالف والهاء والنون فلذلك قلت أولى بتأويل الآية أن تكون الاسماء التى علمها آدم أسماء أعيان بنى آدم وأسماء الملائكة وان كان ما قال ابن عباس جائزا على مثال ما جاء فى كتاب الله من قوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه الآية وقد ذكر انها فى حرف ابن مسعود وعرضهن وانها فى حرف أبى ثم عرضها ولعل ابن عباس تأول ما تأول من قوله علمه كل شئ حتى الفسوة والفسية على قراءة أبى فانه فيما بلغنا كان يقرأ قراءة أبى وتأويل ابن عباس على ما حكى عن أبى من قراءته غير مستنكر بل هو صحيح مستفيض فى كلام العرب على نحو ما تقدم وصفى ذلك

القول فى تأويل قوله تعالى (ثم عرضهم على الملائكة) قال أبو جعفر قد تقدم ذكرنا التأويل الذى هو أولى بالآية على قراءتنا ورسم مصحفنا وان قوله ثم عرضهم بالدلالة على بنى آدم والملائكة أولى منه بالدلالة على أجناس الخلق كلها وان كان غير فاسد أن يكون دالا على جميع أصناف الامم للعلل التى وصفنا ويعنى جل ثناؤه بقوله ثم عرضهم ثم عرض أهل الاسماء على الملائكة وقد اختلف المفسرون فى تأويل قوله ثم عرضهم على الملائكة نحو اختلافهم فى قوله وعلم آدم الاسماء كلها وسأذكر بعض قول من انتهى الينا عنه فيه قول حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس ثم عرضهم على الملائكة ثم عرض هذه الاسماء يعنى أسماء جميع الاشياء التى علمها آدم من أصناف جميع الخلق وحدثنى موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم عرضهم ثم عرض الخلق على الملائكة وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أسماء ذريته كلها أخذهم من ظهره قال ثم عرضهم على الملائكة وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ثم عرضهم قال علمه اسم كل شئ ثم عرض تلك الاسماء على الملائكة وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ثم عرضهم عرض أصحاب الاسماء على الملائكة وحدثنا على بن الحسن قال حدثنا مسلم قال حدثنا محمد بن مصعب عن قيس بن خصيف عن مجاهد ثم عرضهم على الملائكة يعنى عرض الاسماء الحمامة والغراب وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبى بكر عن الحسن وقتادة قالا علمه اسم كل شئ وجعل يسمى كل شئ باسمه وعرضت عليه أمة أمة

القول فى تأويل قوله (فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء) قال أبو جعفر وتأويل قوله أنبئونى أخبرونى كما حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان قال حدثنا بشر عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس أنبئونى يقول أخبرونى بأسماء هؤلاء ومنه قول نابغة بنى ذبيان

وأنبأه المنبى ان حيا * حلول من حذام أو جذام

ماء فكان بردا وانما يكون جوده فى الشتاء وقد فارق السحاب وفى الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجه فبطنت البرودة الى داخله فتكاثف داخله واستحال ماء وأجمده شدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال سحابا فاستحال مطرا وأما الجواهر البخارية والدخانية المركبة من مادتى الرطوبة واليبوسة فمنها ما يتخلص من الارض فتكون منها الرياح واذا تصعدت فتميز البخار من الدخان انعقد البخار سحابا ببرد فتغلغل فيه الدخان طلبا للنفوذ الى العلو فحصل من تغلغله فيه ضرب من الرعد وهو صوت ريح عاصفة فى سحاب كثيف وربما امتد ذلك التغلغل لكثرة وصول المواد ويكون أعالى السحاب أكثف لان البرد هناك أشد أو يكون هناك ريح مقاومة تعوقها عن النفوذ فيندفع الى أسفل وقد أشعلته المحاكة والحركة نارا تبرق فتشق السحاب شعلة كجمر يطفأ فيسمع من ذلك ضرب من الرعد وان كان قويا شديدا غليظ المادة كان صاعقة وربما وجد منفذ فعاديه سهل الانشقاق فخرج بلا رعد واشتعال فهذا القدر من الحقائق فى هذا المقام لا ضير فى معرفتها بعد أن يعتقد انتهاء أسبابها الى مدبر الكل سبحانه وتعالى ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول ارتفع ظلمات بالظرف على الاتفاق من سيبويه والاخفش لاعتماده على موصوف والصيب ان كان سحابا فظلماته سحمته وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل وان كان مطرا فظلماته تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال الغمام مع ظلمة الليل ثم ان كان الصيب سحابا فكونه مكانا للرعد والبرق ظاهر وان كان مطرا فكونهما متلبسين به فى الجملة سوغ ذلك وانما لم يجمع الرعد والبرق كما قال البحترى

يا عارضا متلفعا ببروده * يختال بين بروقه ورعوده

وكما قيل ظلمات لانهما فى الاصل مصدران فروعى حكم الاصل ويمكن ان يراد بهما الحدث كانه قيل وارعاد وابراق ونكرت هذه الاشياء لان المراد أنواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير فى يجعلون الى أصحاب الصيب لانه فى حكم المذكور قال حسان شعر

يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل

ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى وهى واد بدمشق والبريص نهر من أنهارها ويصفق أى يمزج والرحيق الخمر ولا محل لقوله يجعلون لكونه

يعنى بقوله أنبأه أخبره وأعلمه ۞ القول فى تأويل قوله جل ذكره (بأسماء هؤلاء) قال أبو جعفر حدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى وحدثنا المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قول الله بأسماء هؤلاء قال بأسماء هذه التى حدثت بها آدم حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا ابن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين يقول بأسماء هؤلاء الذين حدثت بها آدم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (ان كنتم صادقين) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى ذلك فحدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ان كنتم صادقين ان كنتم تعلمون لم أجعل فى الارض خليفة وحدثنا موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان كنتم صادقين ان بنى آدم يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء وحدثنا القاسم بن الحسين قال حدثنا حجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة قال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين انى لم أخلق خلقا الا كنتم أعلم منه فاخبرونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ۞ قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية تأويل ابن عباس ومن قال بقوله ومعنى ذلك فقال أنبئونى بأسماء من عرضته عليكم أيتها الملائكة القائلون أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء من غيرنا أم منا فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ان كنتم صادقين فى قيلكم انى ان جعلت خليفتى فى الارض من غيركم عصانى ذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء وان جعلتكم فيها أطعتمونى واتبعتم أمرى بالتعظيم لى والتقديس فانكم اذا كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضتهم عليكم من خلقى وهم مخلوقون موجودون ترونهم وتعاينونهم وعلمه غيركم بتعليمى اياه فانتم بما هو غير موجود من الامور الكائنة التى لم توجد بعد وبما هو مستتر من الامور التى هى موجودة عن أعينكم أحرى ان تكونوا غير عالمين فلا تسألونى ما ليس لكم به علم فانى أعلم بما يصلحكم ويصلح خلقى وهذا الفعل من الله جل ثناؤه بملائكته الذين قالوا له أتجعل فيها من يفسد فيها من جهة عتابه جل ذكره اياهم نظير قوله جل جلاله لنبيه نوح صلوات الله عليه اذ قال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين فكذلك الملائكة سألت ربها ان تكون خلفاءه فى الارض يسبحوه ويقدسوه فيها اذ كان ذريته من أخبرهم انه جاعله فى الارض خليفة يفسدون فيها ويسفكون الدماء فقال لهم جل ذكره انى أعلم ما لا تعلمون يعنى بذلك انى أعلم ان بعضكم فاتح المعاصى وخاتمها وهو ابليس منكرا بذلك تعالى ذكره قولهم ثم عرفهم موضع هفوتهم فى قيلهم ما قالوا من ذلك بتعريفهم قصور علمهم عما هم له شاهدون عيانا فكيف بما لم يروه ولم يخبروا عنه بعرضه ما عرض عليهم من خلقه الموجودين يومئذ وقيله لهم أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين انكم ان استخلفتكم فى أرضى سبحتمونى وقدستمونى وان استخلفت فيها غيركم عصانى ذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء فلما اتضح

مستأنفا كأنه قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم ثم سئل فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فاجيب يكاد البرق يخطف أبصارهم وانما لم يقل أناملهم مع انها هى التى تجعل فى الاذن لان فى ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس فى ذكر الانامل ولان اسم الكل قد يطلق على البعض نحو فاقطعوا أيديهما والمراد الى الرسغ وليس بعض الاصابع كالمسبحة مثلا لجعلها فى الاذن أولى من بعض حتى يقال لم ذكر العام والمراد الخاص وقوله من الصواعق أى من أجل الصواعق نحو سقيه من الغيمة وقد تحصل مما ذكرنا ان الصاعقة قصيفة رعد تنقض معها شعلة من نار تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهى نار لطيفة حديدة لا تمر بشىء الا أتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا أهلكته فصعق أى مات اما بشدة الصوت أو بالاحراق وبناؤها اما أن يكون صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء للمبالغة كما فى الرواية أو مصدرا كالعافية والكاذبة وحذر الموت مفعول له كقوله شعر

وأغفر عوراء الكريم ادخاره
وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض معاقب للحياة لا يصح معه احساس واحاطة الله بالكافرين مجاز أى لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة والجملة معترضة لا محل لها يكاد من أفعال المقاربة كاد يفعل كذا يكاد كودة ومكادة وضعت لمقاربة الشىء فعل أو لم يفعل فمجرده ينبئ عن نفى الفعل ومقرونه بالجحد ينبئ عن وقوع الفعل وخبر كاد فعل مضارع بغير ان وهو ههنا يخطف والبرق اسمه والخطف الاخذ بسرعة كلما أضاء لهم استئناف ثالث كأنه قيل كيف يصنعون فى حالتى خفوق البرق وخطوره واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره والمشى جنس الحركة المخصوصة وفوقها السعى وفوقه العدو وأظلم اما لازم وهو الظاهر واما متعد منقول من ظلم الليل أى أظلم البرق الطريق عليهم بان فتر عن لمعانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا فى مكانهم من قام الماء جمد وانما قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشى وتأتيه وكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها فخطوا خطوات يسيرة وليس كذلك التوقف

والتحبس ولوشاء الله لزادفي قصيف الرعد فاصمهم أوفي ضوء البرق فاعماهم ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولوشاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها وهذا الحذف في شاء وأراد كثير لا يكادون يبرزون المفعول الافي الشيء المستغرب كقوله شعر فلوشئت أن أبكي دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع قال عز من قائل لوأردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه وكلمة لو تفيد انتفاء الثاني لانتفاء الاول وقد يجيء للمبالغة كقوله نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه والمراد أن عدم العصيان ثابت على كل حال لانه

لهم موضع خطا قيلهم وبدت لهم هفوة زلتهم أنابوا الى الله بالتوبة فقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا فسارعوا الرجعة من الهفوة وبادروا الانابة من الزلة كما قال نوح حين عوتب في مسئلته فقيل له فلا تسألن ما ليس لك به علم فقال رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والا تغفرلي وترحمني أكن من الخاسرين وكذلك فعل كل مسدد للحق موفق له سريعة الى الحق انابته قريبة اليه أوبته وقد زعم بعض نحويي أهل البصرة ان قوله أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين لم يكن ذلك لان الملائكة ادعوا شيأ انما أخبر عن جهلهم بعلم الغيب وعلمه بذلك وفضله فقال أنبئوني ان كنتم صادقين كما يقول الرجل للرجل أنبئني بهذا ان كنت تعلم وهو يعلم انه لا يعلم يريد انه جاهل وهذا قول اذا تدبره متدبر علم ان بعضه مفسد بعضا وذلك ان قائله زعم ان الله جل ثناؤه قال للملائكة اذ عرض عليهم أهل الاسماء أنبئوني باسماء هؤلاء وهو يعلم انهم لا يعلمون ولا هم ادعوا علم شيء يوجب ان يوبخوا بهذا القول وزعم ان قوله ان كنتم صادقين نظير قول الرجل أنبئني بهذا ان كنت تعلم وهو يعلم انه لا يعلم يريد انه جاهل ولا شك ان معنى قوله ان كنتم صادقين انما هو ان كنتم صادقين اما في قولكم واما في فعلكم لان الصدق في كلام العرب انما هو صدق في الخبر لا في العلم وذلك انه غير معقول في لغة من اللغات ان يقال صدق الرجل بمعنى علم فاذا كان ذلك كذلك فقد وجب ان يكون الله جل ثناؤه قال للملائكة على تاويل قول هذا الذي حكينا قوله في هذه الآية أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وهو يعلم انهم غير صادقين يريد بذلك انهم كاذبون وذلك هو غير ما أنكره لانه زعم ان الملائكة لم تدع شيأ فكيف جاز ان يقال لهم ان كنتم صادقين فانبئوني باسماء هؤلاء هذا مع خروج هذا القول الذي حكيناه عن صاحبه من أقوال جميع المتقدمين والمتأخرين من أهل التاويل والتفسير وقد حكي عن بعض أهل التفسير انه كان يتاول قوله ان كنتم صادقين بمعنى اذ كنتم صادقين ولو كانت ان بمعنى اذ في هذا الموضع لوجب أن تكون قراءتها بفتح ألفها لان اذا تقدمها فعل مستقبل صارت علة للفعل وسببا له وذلك كقول القائل أقوم ان قمت بمعناه أقوم من أجل انك قمت والامر بمعنى الاستقبال فمعنى الكلام لو كانت ان بمعنى اذ أنبئوني باسماء هؤلاء من أجل انكم صادقون فاذا وضعت ان مكان ذلك قيل أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين مفتوحة الالف وفي اجماع جميع قراء أهل الاسلام على كسر الالف من ان دليل واضح على خطا تاويل من تاول ان بمعنى اذ في هذا الموضع ❁ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) قال أبو جعفر وهذا خبر من الله جل ذكره عن ملائكته بالاوبة اليه وتسليم علم ما لم يعلموه له وتنزيههم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيأ الا ما علمه تعالى ذكره وفي هذه الآيات الثلاث العبرة لمن اعتبر والذكرى لمن اذكر والبيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عما أودع انه جل ثناؤه أي في هذا القرآن من لطائف الحكم التي تعجز عن أوصافها الالسن وذلك ان الله جل ثناؤه احتج فيها لنبيه صلى الله عليه وسلم على من كان بين ظهرانيه من يهود بني اسرائيل باطلاعه اياه من علوم الغيب التي لم يكن جل ثناؤه اطلع عليها من خلقه الا خاصا ولم يكن مدركا علمه الا بالانباء والاخبار لتتقرر عندهم صحة نبوته ويعلموا ان ما أتاهم به فمن عنده ودل فيها على ان كل مخبر خبرا عما قد كان أو عما هو كائن مما لم

على تقدير عدم الخوف ثابت فعلى تقدير الخوف أولى والشيء أعم العام كما ان الله أخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل العقل فمن الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل والواجب وجوده لذاته وأما الممكن فابقاؤه على العدم وكذا ايجاده وابقاؤه على وجوده لان جميع ذلك بقدرة القادر فلا يستغني آنا من الآنات ولحظة من اللحظات عن تاثير القادر فيه وقدرة كل قادر على مقدار قوته واستطاعته ونقيضها العجز فلا قادر بالحق الا هو سبحانه وتعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) القراآت خلقكم مدغما أبو عمرو كذلك كل ما كان قبلها متحرك وزاد عباس كل ما كان قبلها ساكن مثل ما خلقكم وصديقكم ويورقكم وميثاقكم وأشباه ذلك قال ابن مجاهد يدغمها باظهار صوت القاف وقال غيره وهو ابن مهران لا يظهر ذلك وكل صواب * الوقوف تتقون ، لان الذي صفة الرب تعالى

بناء ص لعطف الجملتين المتفقتين لكم ج الانقطاع النظم مع فاء التعقيب تعلمون ه * التفسير لما قدم الله تعالى أحكام فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم ومجاري أمورهم عاجلا وآجلا أقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات الذي يورث الكلام رونقا وبهاء ومزيد السامع هزة ونشاطا ومن لطائف المقام انه تعالى كانه يقول جعلت الرسول واسطة بيني وبينك أولا والآن أزيد في اكرامك وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة ليحصل لك مع التنبيه على الادلة شرف

المخاطبة والمكالمة وفيه اشعار بان العبد مهما اشتغل بالعبودية تزاد قربا وحضورا وأيضا الآيات المتقدمة حكايات أحوالهم وهذه أمر وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلابد من راحة وهي ان يرفع ملك الملوك الواسطة من البين ويخاطبهم بذاته فيستطاب التكليف بالتكليف حينئذ ويسهل ذهذا وقد صح الاسناد عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي و يا أيها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة بحسب هذا النقل (١٧٠) وان كان من الجائز ان يخاطب المؤمنون باسم جنسهم ويؤمروا بالاستمرار على العبادة والازدياد منها ويا حرف وضع لاجل التخفيف مقام أنادي الانشائية لا الاخبارية وههنا نكتة وهي ان أقوى المراتب الاسم وأضعفها الحرف فظن قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا أقوى الموجودات وهو الحق سبحانه خلق الانسان ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقيل لهم قد يأتلف الاسم مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب حال التضرع والدعاء ادعوني أستجب لكم واذا سألك عبادي عني فاني قريب فاذكروني أذكركم ويا وضع في أصله لنداء ما ليس بقريب حقيقة أو تقديرا لكونه ساهيا أو غافلا أو نائما أو لتبعيد المنادى عن ساحة عزة المنادي هضما واستقصارا كقول الداعي في جؤاره يا رب يا الله مع انه أقرب اليه من حبل الوريد ولتحقق الاجابة بمقتضى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم وقد ينادى القريب المفاطن في غير هذه الصورة بيا ويكون المراد به ان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا نحو يا أيها الذين آمنوا يا عبادي يا أيها النبي لان ما يعقبها أمور عظام وخطوب جسام من الاوامر والنواهي والعظات عليهم ان يتعظوا بها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وأي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام وهو اسم مبهم يوصف باسم جنس ليصح المقصود بالنداء مع ضرب من التأكيد المستفاد من الابهام ثم التوضيح وفي حرف التنبيه المقحم فائدتان معاضدة حرف النداء بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه أي من الاضافة ثم ان قلنا ان الخطاب عام لجميع المكلفين لان الجمع المعرف باللام يفيد العموم بدليل صحة تأكيده بكل وأجمعون في مثل قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وبدليل صحة الاستثناء

يكن ولم يأته به خبر ولم يوضع له على صحته برهان فتقول لما يستوجب به من ربه العقوبة ألا تسمعون الله جل ذكره رد على ملائكته قيلهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون وعرفهم أن قيل ذلك لم يكن جائزا لهم بما عرفهم من قصور علمهم عند عرضه ما عرض عليهم من أهل الاسماء فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فلم يكن لهم مفزع الا الاقرار بالعجز والتبري اليه الا ما علمهم بقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا فكان في ذلك أوضح الدلالة وأبين الحجة على كذب مقالة كل من ادعى شيئا من علوم الغيب من الحزاة والكهنة والقافة والمنجمة وذكر بها الذين وصفنا أمرهم من أهل الكتاب سوالف نعمه على آبائهم وأياديه عند أسلافهم عند انابتهم اليه واقبالهم الى طاعته مستعطفهم بذلك الى الرشاد ومستعتبهم به الى النجاة وحذرهم بالاصرار والتمادي في البغي والضلال حلول العقاب بهم نظير ما حل بعدوه ابليس اذ تمادى في البغي والخسار وأما تأويل قوله سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا فهو كما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قالوا سبحانك تنزيها لله من ان يكون أحد يعلم الغيب غيره تبنا اليك لا علم لنا الا ما علمتنا تبرأ منهم من علم الغيب الا ما علمتنا كما علمت آدم وسبحان مصدر لا تصرف له ومعناه نسبحك كأنهم قالوا نسبحك تسبيحا وننزهك تنزيها ونبرئك من ان نعلم شيئا غير ما علمتنا ۞ القول في تأويل قوله (انك أنت العليم الحكيم) قال أبو جعفر وتأويل ذلك انك أنت يا ربنا العليم من غير تعليم بجميع ما كان وما هو كائن والعالم للغيوب دون جميع خلقك وذلك انهم نفوا عن أنفسهم بقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا ان يكون لهم علم الا ما علمهم ربهم وأثبتوا ما نفوا عن أنفسهم من ذلك لربهم بقولهم انك أنت العليم يعنون بذلك العالم من غير تعليم اذ كان من سواك لا يعلم شيئا الا بتعليم غيره اياه والحكيم هو ذو الحكمة كما حدثني به المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس العالم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمه وقد قيل ان معنى الحكيم الحاكم كما العليم بمعنى العالم والخبير بمعنى الخابر ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض) قال أبو جعفر ان الله جل ثناؤه عرف ملائكته الذين سألوه ان يجعلهم الخلفاء في الارض ووصفوا أنفسهم بطاعته والخضوع لامره دون غيرهم الذين يفسدون فيها ويسفكون الدماء انهم من الجهل بمواقع تدبيره ومحل قضائه قبل اطلاعه اياهم عليه على نحو جهلهم بأسماء الذين عرضهم عليهم اذ كان ذلك مما لم يعلمهم فيعلموه وانهم وغيرهم من أهل العناد لا يعلمون من العلم الا ما علمهم اياه ربهم وانه يخص بما شاء من العلم من شاء من الخلق ويمنعه منهم من شاء كما علم آدم أسماء من عرض على الملائكة ومنعهم علمها الا بعد تعليمه اياهم فأما تأويل قوله قال يا آدم أنبئهم يقول أخبر الملائكة والهاء والميم في قوله أنبئهم عائدتان على الملائكة وقوله بأسمائهم يعني بأسماء الذين عرضهم على الملائكة والهاء والميم اللتان في أسمائهم كناية عن ذكر هؤلاء التي في قوله أنبئوني بأسماء هؤلاء فلما أنبأهم يقول فلما أخبر آدم الملائكة بأسماء الذين عرضهم عليهم فلم يعرفوا أسماءهم وأيقنوا خطأ قيلهم

أتجعل

أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وانهم قد قروا فى ذلك
وقالوا ما لا يعلمون كيفية وقوع قضاء ربهم فى ذلك لو وقع على ما نطقوا به قال لهم ربهم ألم أقل لكم انى
أعلم غيب السموات والارض والغيب هو ما غاب عن أبصارهم فلم يعاينوه توبيخا من الله جل ثناؤه
لهم بذلك على ما سلف من قيلهم وفرط منهم من خطأ مسئلتهم كما حدثنا به محمد بن العلاء قال حدثنا
عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال يا آدم
أنبئهم بأسمائهم يقول أخبرهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم أيها الملائكة خاصة
انى أعلم غيب السموات والارض ولا يعلمه غيرى وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن
زيد فى قصة الملائكة وآدم فقال الله للملائكة كما لم تعلموا هذه الاسماء فليس لكم علم انما أردت ان
أجعلهم ليفسدوا فيها هذا عندى قد علمته فكذلك أخفيت عنكم انى أجعل فيها من يعصينى ومن
يطيعنى قال وسبق من الله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين قال ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه
قال فلما رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقروا لآدم بالفضل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
(وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فروى
عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن
عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس وأعلم ما تبدون يقول ما تظهرون وما كنتم تكتمون
يقول أعلم السر كما أعلم العلانية يعنى ما كتم ابليس فى نفسه من الكبر والاغترار وحدثنى موسى
ابن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن
أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها فهذا الذى أبدوا وما كنتم
تكتمون يعنى ما أسر ابليس فى نفسه من الكبر وحدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال حدثنا أبو
أحمد الزبيرى قال حدثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير قوله وأعلم ما تبدون وما كنتم
تكتمون قال ما أسر ابليس فى نفسه وحدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا سفيان
فى قوله وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال ما أسر ابليس فى نفسه من الكبر ان لا يسجد لآدم
وحدثنى المثنى بن ابراهيم قال أخبرنا الحجاج الانماطى قال حدثنا مهدى بن ميمون قال سمعت
الحسن بن دينار قال للحسن ونحن جلوس عنده فى منزله يا أبا سعيد أرأيت قول الله للملائكة وأعلم
ما تبدون وما كنتم تكتمون ما الذى كتمت الملائكة قال ان الله لما خلق آدم رأت الملائكة خلقا
عجيبا فكأنهم دخلهم من ذلك شئ فأقبل بعضهم الى بعض وأسروا ذلك بينهم فقالوا وما يهمكم من هذا
المخلوق ان الله لن يخلق خلقا الا كنا عليه أكرم منه وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال أسروا بينهم فقالوا يخلق
الله ما يشاء ان يخلق فلن يخلق خلقا الا ونحن أكرم عليه منه وحدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال
حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فكان
الذى أبدوا حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وكان الذى كتموا بينهم قولهم لن يخلق ربنا خلقا الا كنا

فالأقرب انه لا يتناول الا الموجود من ذلك العصر وانما يتناول الذين سيوجدون بدليل منفصل هو ما عرف بالتواتر من دين محمد صلى الله
عليه وسلم ان حكم الموجودين فى عصره حكم من سيوجد الى قيام الساعة وان قلنا ان الخطاب لمشركى مكة فيدخل سائر الناس بالتبعية على قياس
ما قلنا والمراد من قوله اعبدوا صححوا نسبة العبادة وذلك بان يعرف نفسه بالامكان ليعرف ربه بالوجوب ويعرف نفسه بالمملوكية ليعرف
ربه بالمالكية ويعرف نفسه بالمقهورية والمقدورية ليعرف ربه بالقاهرية والقادرية ويعرف نفسه بالمأمورية
والذلة ليعرف ربه بالآمرية
والعزة فلا يتجاوز حده ولا يعكس
هذه القضايا فلا يرى لنفسه
تصرفا بوجه من الوجوه ولا قدرة
بنوع من الانواع وانما يكون عبدا
ذليلا ماثلا بين يدى مولاه طائعا
له بكل ما يأمره وينهاه لانه اذا
تصور كونه عبدا فلا بد ان يطلب
لنفسه سيدا واذا وجد السيد فلا
محالة يوطن نفسه لطاعته وانقياده
ولا يرى مخالفته فى شئ أصلا اذ قال
له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين
والا لم تصح نسبة عبوديته عن
الاصمعى انه أتى بغلام ليشتريه
فقال له ما اسمك قال ما تسمينى قال
أى شئ تأكل قال ما تطعمنى قال
ما تشرب قال ما تسقينى قال تريد
ان اشتريك قال العبد لا يكون له
ارادة والامر بالعبادة بهذا المعنى
يشمل الكافر والمؤمن وكل من
فيه أهلية الخطاب ويندرج فيه
المبادى والنهايات والاصول والفروع
ثم انه تعالى لما علم القصور البشرى
وضعف قواهم الفطرية والفكرية
أرشدهم اليه ونبههم عليه بقوله
ربكم الذى خلقكم والذين من
قبلكم واعلم ان الطريق الى معرفة
الواجب سبحانه وتعالى بعد ما قلنا
من الرجوع الى النفس والتنبه لسمة
العبودية اما الامكان أو الحدوث
أو مجموعهما وكل منهما فى الجواهر
أو فى الاعراض أما الاستدلال بامكان الذوات فاليه الاشارة بقوله تعالى والله الغنى وأنتم الفقراء وان الى ربك المنتهى وأما الاستدلال بامكان
الصفات خلق الله السموات والارض الذى جعل لكم الارض فراشا وبحدوث الاجسام قول ابراهيم عليه السلام لا أحب الآفلين وبحدوث
الاعراض دلائل الانفس ودلائل الآفاق فان كل أحد يعلم بالضرورة انه كان معدوما قبل ذلك والموجود بعد العدم له موجد وليس هو
نفسه ولا الابوان ولا سائر الناس لعجز الكل ولا طبائع الفصول والافلاك الآفلات فى افق الامكان فهو شئ غير متسم بسمة الحدوث والنقصان

وهذا الطريق هو أقرب الطرق الى الافهام فلهذا أورده الله تعالى في فاتحة كتابه لينتفع به الخاص والعام مع ان فيه تذكير النعمة السابقة وعطيته السابقة عليهم وعلى آبائهم وتذكير النعم مما يوجب المحبة والميل الى الانصاف وترك الجدال وأما قوله لعلكم تتقون ففيه بحثان الاول كلمة لعل للترجي أو الاشفاق ولا يحصلان الا عند الجهل بالعاقبة وهو على الله محال والجواب ان الترجي راجع الى العباد لا الى الله تعالى كقوله لعله يتذكر أو يخشى أي اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما في ايمانه ثم الله عالم بما يؤول اليه أمره وأيضا فمن ديدن الملوك ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم لانجازها على ان يقولوا عسى ولعل وحينئذ لا يبقى لطالب ما عندهم شك في الفوز والنجاح بالمطلوب أو جاء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد مثل توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم أو وقع لعل موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وأزاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا الترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المترجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ونظيره ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهذا الجواب مبني على ان قوله لعلكم متعلق بخلقكم مثل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لا باعبدوا وقيل لعل بمعنى كي ووجه بانها للاطماع والكريم والرحيم اذا أطمع فعل يجري اطماعه مجرى وعده المحتوم فلهذا قيل انها بمعنى كي قال القفال في لعل معنى التكرير والتأكيد اذ اللام للابتداء نحو لقد وكقولهم علك ان تفعل كذا وعل يفيد التكرير ومنه العلل بعد النهل فقول القائل افعل كذا لعلك تظفر بحاجتك معناه افعله فان فعلك له يؤكد طلبك له ويقويك عليه

* البحث الثاني اذا كانت العبادة تقوى فقوله لعلكم تتقون جار مجرى قوله اعبدوا ربكم لعلكم تعبدون واتقوا ربكم لعلكم تتقون والجواب المنع من اتحادهما ومهما وخصوصا على ما فسرنا اذ المعنى يعود الى قولنا عبدوا انفسكم بسمة العبودية لتتصفوا بصفة التقوى وهي الاجتناب عن المعاصي فقط أو هو مع الاتيان بالاوامر وأما قوله هو الذي جعل لكم الارض فراشا الآية فنقول فيه لفظ الذي مع صلته اما ان يكون

نحن أعلم منه وأكرم فعرفوا ان الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم كتموا بينهم قولهم لن يخلق ربنا خلقا ۞ قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتاويل الآية ما قاله ابن عباس وهو ان معنى قوله وأعلم ما تبدون وأعلم مع علمي غيب السموات والارض ما تظهرون بالسنتكم وما كنتم تكتمون وما كنتم تخفونه في أنفسكم فلا يخفى عليه شئ سواء عندي سرائركم وعلانيتكم والذي أظهروه بالسنتهم ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم انهم قالوه وهو قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك والذي كانوا يكتمونه ما كان عليه منطويا ابليس من الخلاف على الله في أمره والتكبر لانه لا خلاف بين جميع أهل التاويل ان تاويل ذلك غير خارج من أحد الوجهين اللذين وصفت وهو ما قلنا والآخر ما ذكرنا من قول الحسن وقتادة ومن قال ان معنى ذلك كتمان الملائكة بينهم لن يخلق الله خلقا الا كنا أكرم عليه منه فان كان لا قول في تاويل ذلك الا أحد القولين اللذين وصفت ثم كان أحدهما غير موجودة على صحته الدلالة من الوجه الذي يجب التسليم له صح الوجه الآخر فالذي حكى عن الحسن وقتادة ومن قال بقولهما في تاويل ذلك غير موجودة الدلالة على صحته من الكتاب ولا من خبر يجب به حجته والذي قاله ابن عباس يدل على صحته خبر الله جل ثناؤه عن ابليس وعصيانه اياه اذ دعاه الى السجود لآدم فابى واستكبر واظهاره لسائر الملائكة من معصيته وكبره ما كان له كاتما قبل ذلك فان ظن ظان ان الخبر عن كتمان الملائكة ما كانوا يكتمونه لما كان خارجا مخرج الخبر عن الجميع كان غير جائز ان يكون ما روي في تاويل ذلك عن ابن عباس ومن قال بقوله من أن ذلك خبر عن كتمان ابليس الكبر والمعصية صحيحا فقد ظن غير الصواب وذلك ان من شأن العرب اذا أخبرت خبرا عن بعض جماعة بغير تسمية شخص بعينه أن تخرج مخرج الخبر عن جميعهم الخبر عنه وذلك كقولهم قتل الجيش وهزموا وانما قتل الواحد والبعض منهم وهزم الواحد أو البعض فيخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مخرج الخبر عن جميعهم كما قال جل ثناؤه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ذكر ان الذي نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فيه كان رجلا من جماعة بني تميم كانوا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخرج الخبر عنه مخرج الخبر عن الجماعة فكذلك قوله وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون أخرج الخبر مخرج الخبر عن الجميع والمراد به الواحد منهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى ذكره (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) قال أبو جعفر أما قوله واذ قلنا فمعطوف على قوله واذ قال ربك للملائكة كانه قال جل ذكره لليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني اسرائيل معددا عليهم نعمه ومذكرهم آلاءه على نحو الذي وصفنا فيما مضى قبل اذكروا فعلي بكم اذ أنعمت عليكم فخلقت لكم ما في الارض جميعا واذ قلت للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فكرمت اباكم آدم بما آتيته من علمي وفضلي وكرامتي واذ أسجدت له ملائكتي فسجدوا له ثم استثنى من جميعهم ابليس فدل باستثنائه اياه منهم على انه منهم وانه ممن قد أمر بالسجود معهم كما قال جل ثناؤه انه قد أمر ابليس فيمن أمره من الملائكة بالسجود لآدم ثم استثناه جل ثناؤه فيما أخبر عنهم انهم فعلوه من السجود لآدم فاخرجه من الصفة التي وصفهم بها من الطاعة لامره ونفى عنه ما أثبته

في محل النصب بدلا من الذي خلقكم وعلى المدح والتعظيم واما أن يكون رفعا على المدح أيضا أي هو الذي وكلمة الذي موضوعة للاشارة الى مفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة فقوله جعل لكم الارض فراشا قضية معلومة فادخل عليها الذي كي يتنبهوا الجاعل و يعترفوا به والحاصل انه تعالى عدد في هذا المقام عليهم خمسة دلائل اثنين من الانفس وهما خلقهم وخلق أصولهم وثلاثة من الآفاق جعل الارض فراشا والسماء بناء والامور الحاصلة من مجموعها وهي انزال الماء من السماء واخراج الثمرات بسببه وسبب هذا الترتيب ظاهر لان قرب الاشياء الى الانسان نفسه ثم ما هو منشؤه وأصله ثم الارض التي هي مكانه ومستقره يقعدون عليها وينامون و يتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه ثم السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج بين المقلة والمظلة من انزال الماء عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الحيوان من ألوان الغذاء و أنواع الثمار رزقا لبني آدم وأيضا خلق المكلفين احياء قادرين أصل لجميع النعم وأما خلق الارض والسماء فذلك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحياة والقدرة والشهوة وذكر الاصول مقدم على ذكر الفروع وأيضا كل ما في السماء والارض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الانسان بزيادة الحياة والقدرة والشهوة والعقل ولما كانت وجوه الدلالة فيه أتم كان تقديمه في الذكر أهم * وههنا مسائل الاولى في منافع الارض الفراش اسم لما يفرش كالمهاد لما يمهد والبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراش ان يكون سطحا مستويا كالفراش على ما ظن فسواء كانت كذلك أو على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد اطرافها ولكنه لا يتم الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي وهو وسط الافلاك لان الاثقال بالطبع تميل الى تحت كما ان الخفاف بالطبع تميل الى فوق والفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء والتحت ما يلي المركز فكما انه يستبعد صعود الارض فيما يلينا الى جهة السماء فليستبعد هبوطها في مقابلة ذلك لان ذلك الهبوط صعود أيضا الى السماء فاذن لا حاجة في سكون الارض وقرارها في حيزها الى علاقة من فوقها ولا الى دعامة من تحتها بل يكفي في ذلك ما أعطاها الخالق وركز فيها من الميل الطبيعي الى الوسط الحقيقي بقدرته واختياره ان الله يمسك السموات والارض ان

الملائكة من السجود لعبده آدم ثم اختلف أهل التأويل فيه هل هو من الملائكة أم هو من غيرهم فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة قال فكان اسمه الحارث قال وكان خازنا من خزان الجنة قال وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحي قال وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار يكون في طرفها اذا التهبت وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن خلاد عن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال كان ابليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما فلذلك دعاه الى الكبر وكان من حي يسمون جنا وحدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن خلاد عن عطاء عن طاوس أو مجاهد أبي الحجاج عن ابن عباس وغيره بنحوه الا أنه قال كان ملكا من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض وعمارها وكان سكان الارض فيهم يسمون الجن من بين الملائكة وحدثني موسى ابن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جعل ابليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا وحدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا حسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس كان ابليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان سماء الدنيا وكان له سلطان الارض قال قال ابن عباس كان من الجن انما يسمى بالجنان انه كان خازنا عليها كما يقال للرجل مكي ومدني وكوفي وبصري قال ابن جريج وقال آخرون هم سبط من الملائكة قبيلة فكان اسم قبيلته الجن وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبي نمر أحدهما أو كلاهما عن ابن عباس قال ان من الملائكة قبيلة من الجن وكان ابليس منها وكان يسوس ما بين السماء والارض وحدثت عن الحسن بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله فسجدوا الا ابليس كان من الجن قال كان ابن عباس يقول كان من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة ثم ذكر مثل حديث ابن جريج الاول سواء وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثني شيبان قال حدثنا سلام بن مسكين عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال كان ابليس رئيس ملائكة سماء الدنيا وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وكان ابن عباس يقول لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود وكان على خزانة سماء الدنيا قال وكان قتادة يقول جن عن طاعة ربه وحدثنا الحسين بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الا ابليس كان من الجن قال كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا محمد بن اسحق قال أما العرب

فيقولون ما الجن الا كل من اجتن فلم ير وأما قوله الا ابليس كان من الجن أى كان من الملائكة وذلك ان الملائكة اجتنوا فلم يروا وقد قال الله جل ثناؤه وجعلوا بينه و بين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وذلك لقول قريش ان الملائكة بنات الله فيقول الله ان تكن الملائكة بناتى فابليس منها وقد جعلوا بينى و بين ابليس وذريته نسبا قال وقد قال الاعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة البكرى وهو يذكر سليمان بن داود وما أعطاه الله

ولو كان شى خالدا ومعمرا * لكان سليمان البرى من الدهر

براه الهى فاصطفاه عبادة * وملكه مابين ثريا الى مصر

وسخر من جن الملائك تسعة * قياما لديه يعملون بلا أجر

قال فابت العرب فى لغتها الا ان الجن كل ما اجتن يقول ما سمى الله الجن الا انهم اجتنوا فلم يروا وما سمى بنى آدم الانس الا انهم ظهروا فلم يجتنوا فما ظهر فهو انس وما اجتن فلم ير فهو جن وقال آخرون بما حدثنا به محمد بن بشار قال حدثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن قال ما كان ابليس من الملائكة طرفة عين قط وانه لاصل الجن كما كان آدم أصل الانس وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول فى قوله الا ابليس كان من الجن الجاء الى نسبه فقال الله أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى الآية وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وحدثنا ابن حميد قال حدثنا يحيى بن واضح قال حدثنا أبو سعيد اليحمدى حدثنا اسمعيل بن ابراهيم قال حدثنا سوار بن الجعد اليحمدى عن شهر بن حوشب قوله من الجن قال كان ابليس من الجن الذين طردتهم الملائكة فاسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء وحدثنى على بن الحسين قال حدثنى أبو نصر أحمد بن محمد الخلال قال حدثنى سند بن داود قال حدثنا هشيم قال أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى عن موسى بن نمير وعثمان بن سعيد بن كامل عن سعد بن مسعود قال كانت الملائكة تقاتل الجن فسبى ابليس وكان صغيرا فكان مع الملائكة فتعبد معها فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا فابى ابليس فلذلك قال الله الا ابليس كان من الجن وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل قال حدثنا المبارك بن مجاهد أبو الازهر عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس قال ان من الملائكة قبيلة يقال لهم الجن فكان ابليس منهم وكان ابليس يسوس ما بين السماء والارض فعصى فمسخه الله شيطانا رجيما قال وحدثنا يونس عن ابن وهب قال قال ابن زيد ابليس أبو الجن كما آدم أبو الانس وعلة من قال هذه المقالة ان الله جل ثناؤه أخبر فى كتابه انه خلق ابليس من نار السموم ومن مارج من نار ولم يخبر عن الملائكة انه خلقها من شئ من ذلك وان الله جل ثناؤه أخبر انه من الجن فقالوا فغير جائز ان ينسب الى غير ما نسبه الله اليه قال ولابليس نسل وذرية والملائكة لا تتناسل ولا تتوالد وان الله جل ثناؤه أخبر انه من الجن فقالوا فغير جائز ان ينسب الى غير ما نسبه الله اليه حدثنا محمد بن سنان القزاز قال حدثنا أبو عاصم عن شريك عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس قال ان الله خلق خلقا فقال اسجدوا لآدم فقالوا لا نفعل فبعث الله عليهم نارا تحرقهم ثم خلق خلقا آخر فقال انى خالق بشرا من طين اسجدوا لآدم فابوا فبعث الله عليهم نارا فاحرقتهم قال ثم خلق هؤلاء

ثم ولاء ومما من الله تعالى به على عباده فى خلق الارض انها لم تجعل فى غاية الصلابة كالحجر ولا فى غاية اللين والانغمار كالماء ليسهل النوم والمشى عليها وأمكنت الزراعة واتخاذ الابنية منها و يتأتى حفر الآبار واجراء الانهار ومنها انها لم تخلق فى نهاية اللطافة والشفيف لتستقر الانوار عليها يتسخن منها فيمكن جوازها ومنها ان جعلت بارزة بعضها من الماء مع ان طبعها الغوص فيه لتصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها وسبب انكشاف مابرز منها وهو قريب من ربعها انها لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت هى والماء بحيث اذا انجذب الماء بطبعه الى والمواضع الغائرة والمنخفضة منها بقى شئ منها مكشوفا وصار مجموع الارض والماء بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب وغروبها للمشرقين على طلوعها وغروبها للمغربين وفيما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفى للواغلين فى الشمال وبالعكس للواغلين فى الجنوب وتركب الاختلافين ان يسير على سمت بين السمتين الى غير ذلك من الاغراض الخاصة بالاستدارة يستوى فى ذلك راكب البر وراكب البحر ونتو الجبال وان شمخت لا يخرجها عن أصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة القادحة فى ملامسة الكرة لا فى استدارتها ومنها الاشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها ومنها ان يتخمر الرطب به فيحصل التماسك فى أبدان المركبات ومنها اختلاف بقاعها فى الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الاغراض والحاجات وفى الارض قطع متجاورات ومنها اختلاف ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومنها انصداعها بالنبات والارض ذات الصدع ومنها جذبها الماء المنزل من السماء وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض ومنها العيون والانهار العظام التى فيها والارض مددناها ومنها ان لها طبع الكرم والسماحة تأخذ واحدة وترد سبعمائة كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ومنها حياتها وموتها وآية لهم الارض الميتة أحييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيها من كل دابة ومنها النباتات المتنوعة وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج فاختلاف ألوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف روائحها دلالة فمنها قوت البشر ومنها قوت البهائم

هؤلاء فقال اسجدوا لآدم فقالوا نعم وكان ابليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها وذلك انه غير مستنكر ان يكون الله جل ثناؤه خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى فخلق بعضا من نور و بعضا مما شاء من غير ذلك وليس فيما نزل الله جل ثناؤه الخبر عما خلق منه ملائكته واخباره عما خلق منه ابليس ما يوجب ان يكون ابليس خارجا عن معناهم اذ كان جائزا ان يكون خلق صنفا من ملائكته من نار كان منهم ابليس وان يكون أفرد ابليس بان خلقه من نار السموم دون سائر ملائكته وكذلك غير مخرجه ان يكون كان من الملائكة بان كان له نسل وذرية لما ركب فيه من الشهوة واللذة التى نزعت من سائر الملائكة لما أراد الله به من المعصية وأما خبر الله عنه انه من الجن فغير مدفوع ان يسمى ما اجتن من الاشياء عن الابصار كلها جنا كما قد ذكرنا قبل فى شعر الاعشى فيكون ابليس والملائكة منهم لاجتنانهم عن أبصار بنى آدم

القول فى معنى ابليس ۞ قال أبو جعفر وابليس افعيل من الابلاس وهو الاياس من الخير والندم والحزن كما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال ابليس أبلسه الله من الخير كله وجعله شيطانا رجيما عقوبة لمعصيته وحدثنا موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى قال كان اسم ابليس الحارث وانما سمى ابليس حين أبلس فتحير وكما قال الله جل ثناؤه فاذا هم مبلسون يعنى انهم آيسون من الخير نادمون حزنا كما قال العجاج

صاح هل تعرف رسما مكرسا * قال نعم أعرفه وأبلسا

وقال رؤبة

وحضرت يوم الخميس الاخماس * وفى الوجوه صفرة وابلاس

يعنى به اكتئابا وكسوفا فان قال قائل فان كان ابليس كما قلت افعيل من الابلاس فهلا صرف وأجرى قيل ترك اجراؤه استثقالا اذ كان اسما لا نظير له من أسماء العرب فشبهته العرب اذ كان كذلك بأسماء العجم التى لا تجرى وقد قالوا مررت باسحق فلم يجروه وهو من أسحقه الله اسحاقا اذ كان وقع مبتدأ اسما لغير العرب ثم تسمت به العرب فجرى مجراه وهو من أسماء العجم فى الاعراب فلم يصرف وكذلك أيوب انما هو فيعول من آب يؤب وتأويل قوله أبى يعنى جل ثناؤه بذلك امتنع من السجود لآدم فلم يسجد له واستكبر يعنى بذلك انه تعظم وتكبر عن طاعة الله فى السجود لآدم وهذا وان كان من الله جل ثناؤه خبرا عن ابليس فانه تقريع لضربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لامر الله والانقياد لطاعته فيما أمرهم وفيما نهاهم عنه والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق وكان ممن تكبر عن الخضوع لامر الله والتذلل لطاعته والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبارهم الذين كانوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته عارفين وبانه لله رسول عالمين ثم استكبر وامع علمهم بذلك عن الاقرار بنبوته والاذعان لطاعته بغيا منهم له وحسدا فقرعهم الله بخبره عن ابليس الذى فعل فى استكباره عن السجود لآدم حسدا له وبغيا نظير فعلهم فى التكبر عن

كلوا وارعوا أنعامكم ومنها الطعام والادام ومنها الفواكه ومنها الدواء ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها الاحجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية فانظر الى الحجر الذى يستخرج منه النار مع كثرته وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما أودع الله تعالى فيها من المعادن الشريفة كالذهب والفضة ثم تأمل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير من أوج الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه ان معظم فائدتهما ترجع الى الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة والقدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا ومن ههنا اشتهر فى الالسنة من طلب المال بالكيميا أفلس ومنها ما يوجد على الجبال والاراضى من الاشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب وما اشتد اليها الحاجة فى الخبز والطبخ ولعل ما تركنا من المنافع أكثر مما عددنا فاذا تأمل العاقل فى هذه الغرائب والعجائب اعترف بمدبر حكيم ومقدر عليم ان كان ممن يسمع ويعى ويبصر ويعتبر الثانية فى منافع السماء البناء مصدر سمى به المبنى بيتا كان أو قبة أو خباء وأبنية العرب أخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا ثم ان الله تعالى زين السماء الدنيا بالمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا وبالشمس وجعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسى وسع كرسيه السموات والارض وباللوح فى لوح محفوظ وبالقلم ن والقلم وسماها سقفا محفوظا وسبعا طباقا وسبعا شدادا وذكر ان خلقها مشتمل على حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء ومحل الضياء والصفاء وجعل لونها أنفع الالوان وهو المستنير وشكلها أفضل الاشكال وهو المستدير ونجوما رجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر وقيض للشمس طلوعا فسهل معه التقلب لقضاء الاوطار فى الاطراف وغروبا يصلح معه الهدوء والقرار فى الاكنان لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة

وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء وأيضا ولولا الطلوع لانجمدت المياه وغلبت البرودة والكثافة وأفضت الى خمود الحرارة الغريزية وانكسار سورتها ولولا الغروب لحميت الارض حتى يحترق كل من عليها من حيوان ونبات فهي بمنزلة سراج يوضع لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح قطان الارض وههنا نكتة كأن الله تعالى يقول لو وقفت الشمس في جانب من السماء فالغني قد يرفع بناءه على كوة الفقير الجار فلا يصل النور الى الفقير لكني أدير الفلك وأسيرها حتى يجد الفقير نصيبه كما وجد الغني نصيبه اما ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعله الله سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويتكثف الهواء فيكثر السحاب والمطر وتقوى أبدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطباع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء ويثور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيأ للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس فيدرك الثمار وتستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء واما القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب ويضبط المواقيت الشرعية ومنه تحصيل النماء والرواء وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي غيبته مصلحة يحكى أن اعرابيا نام عن جمله ليلا ففقده فلما طلع القمر وجده فنظر الى القمر فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء نورك واذا شاء كورك فلا أعلم مزيدا أسئله لك وان اهديت الى سرورا فقد أهدى الله اليك نورا ثم أنشأ يقول شعر

ماذا أقول وقولي فيك ذو قصر * وقد كفيتني الاحصاء والجلا الحال
ان قلت لازلت مرفوعا فانت كذا * أوقلت زانك ربي فهو قد فعلا

وقد كان في العرب من يذم القمر ويقول القمر يدرك الهارب ويهتك الغاسق ويبلي الكتان ويهرم الشاب وينسي ذكر الاحباب ويقرب الدين ويدني الحين وكيفية ارتباط القمر وسائر الكواكب بالشمس وكمية حركاتها وبيان اختلافات أوضاعها والى كل منها فن برأسه لا يحتمل ايراده ههنا قال الجاحظ اذا تأملت في هذا العالم وجدته

الاذعان لمحمد نبي الله صلى الله عليه وسلم ونبوته اذ جاءهم بالحق من عند ربهم حسدا وبغيا ثم وصف ابليس بمثل الذي وصف به الذين ضربه لهم مثلا في الاستكبار والحسد والاستنكاف عن الخضوع لمن أمره الله بالخضوع له فقال جل ثناؤه وكان يعني ابليس من الكافرين من نعم الله عليه وأياديه عنده بخلافه عليه فيما أمره به من السجود لآدم كما قال كفرت اليهود نعم ربها التي آتاها وآباءها من قبل اطعام الله اسلافهم المن والسلوى واظلال الغمام عليهم وما لا يحصى من نعمه التي كانت لهم خصوصا ما خص الذين أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم بادراكهم اياه ومشاهدتهم حجة الله عليهم فجحدت نبوته بعد علمهم به ومعرفتهم بنبوته حسدا وبغيا فنسبه الله جل ثناؤه الى الكافرين فجعله من عدادهم في الدين والملة وان خالفهم في الجنس والنسبة كما جعل أهل النفاق بعضهم من بعض يعني بذلك ان بعضهم من بعض في النفاق والضلال فكذلك قوله في ابليس كان من الكافرين كان منهم في الكفر بالله ومخالفته أمره وان كان مخالفا جنسه أجناسهم ونسبه نسبهم ومعنى قوله وكان من الكافرين انه كان حين أبى من السجود من الكافرين حينئذ وقد روي عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية انه كان يقول في تاويل قوله وكان من الكافرين في هذا الموضع وكان من العاصين **حدثني** المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم العسقلاني قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله وكان من الكافرين يعني العاصين **وحدثت** عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله وذلك شبيه بمعنى قولنا فيه وكان سجود الملائكة لآدم تكرمة لآدم وطاعة لله لا عبادة لآدم كما **حدثنا** به بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد ابن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم أكرم الله آدم ان أسجد له ملائكته ۞ القول في تاويل قوله تعالى ذكره (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) قال أبو جعفر وفي هذه الآية دلالة واضحة على صحة قول من قال ان ابليس أخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم وأسكنها آدم قبل ان يهبط ابليس الى الارض الا تسمعون الله جل ثناؤه يقول وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه فقد تبين ان ابليس انما أزلهما عن طاعة الله بعد ان لعن وأظهر التكبر لان سجود الملائكة كان لآدم بعد ان نفخ فيه الروح وحينئذ كان امتناع ابليس من السجود له وعند الامتناع من ذلك حلت عليه اللعنة كما **حدثني** موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس أقسم بعزة الله ليغوين آدم وذريته وزوجه الا عباده المخلصين منهم بعد ان لعنه الله وبعد ان أخرج من الجنة وقبل ان يهبط الى الارض وعلم الله آدم الاسماء كلها **وحدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما فرغ الله من ابليس ومعاتبته وأبى الا المعصية أوقع عليه اللعنة ثم أخرجه من الجنة أقبل على آدم وقد علمه الاسماء كلها فقال يا آدم أنبئهم باسمائهم الى قوله انك أنت العليم الحكيم ثم اختلف أهل التاويل في

كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيآت لمنافعه وصنوف الحيوان متصرفة فى مصالحه فهذه جملة واضحة دالة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية ❊ الثالثة فى ان السماء أفضل أم الارض قال بعضهم السماء أفضل لانها متعبد الملائكة وما فيها بقعة عصى الله فيها ولما أتى آدم صلى الله عليه وسلم بتلك المعصية أهبط من الجنة وقال الله تعالى

الحال التى خلقت لآدم زوجه والوقت الذى جعلت له الجنة سكنا فقال ابن عباس بما حدثنى به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاخرج ابليس من الجنة حين لعن واسكن آدم الجنة فكان يمشى فيها وحشا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ واذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما أنت فقالت امرأة قال ولم خلقت قالت تسكن الى قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه ما اسمها يا آدم قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لانها خلقت من شئ حى فقال الله يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما فهذا الخبر ينبئ عن ان حواء خلقت بعد أن سكن آدم الجنة فجعلت له سكنا وقال آخرون بل خلقت قبل أن يسكن آدم الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما فرغ الله من معاتبة ابليس أقبل على آدم وقد علمه الاسماء كلها فقال يا آدم أنبئهم باسمائهم الى قوله انك أنت العليم الحكيم قال ثم ألقيت السنة على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن عبد الله بن عباس وغيره ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه لحما وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة ليسكن اليها فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها الى جنبه فقال فيما يزعمون والله أعلم لحمى ودمى وزوجى فسكن اليها فلما زوجه الله تبارك وتعالى وجعل له سكنا من نفسه قال له قبلا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ويقال لامرأة الرجل زوجه وزوجته والزوجة بالهاء أكثر فى كلام العرب منها بغير الهاء والزوج بغير الهاء لغة لازد شنوءة فاما الزوج الذى لا اختلاف فيه بين العرب فهو زوج المرأة ۞ القول فى تأويل قوله (وكلا منها رغدا حيث شئتما) قال أبو جعفر أما الرغد فانه الواسع من العيش الهنئ الذى لا يعنى صاحبه يقال أرغد فلان اذا أصاب واسعا من العيش الهنى قال امرؤ القيس بن حجر

بينما المرء تراه ناعما ❊ يأمن الاحداث فى عيش رغد

وكما حدثنى به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكلا منها رغدا قال الرغد الهنى وحدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله رغدا قال لا حساب عليهم وحدثنا المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وحدثنا ابن حميد قال حدثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد وكلا منها رغدا أى لا حساب عليهم وحدثت عن المنجاب بن الحرث قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الرغد سعة المعيشة فعنى الآية وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من الجنة رزقا واسعا هنيا من العيش حيث شئتما كما حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال

لا يسكن فى جوارى من عصانى وقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وورد فى الاكثر ذكر السماء مقدما على ذكر الارض والسموات مؤثرة والارضيات تأثرة والمؤثر أشرف من المتأثر وقال آخرون بل الارض أفضل لانه تعالى وصف بقاعا من الارض بالبركة ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا فى البقعة المباركة الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها يعنى أرض الشام ووصف جملة الارض بالبركة وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام فان قيل وأى بركة فى المفازة والمهلكة قلنا انها مساكن الوحوش ومرعاها ومساكن الناس اذا احتاجوا اليها ومساكن خلق لا يعلمهم الا الله تعالى فلهذه البركات قال تعالى وفى الارض آيات للموقنين تشريفا لهم لانهم هم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وخلق الانبياء من الارض منها خلقناكم وأودعهم فيها وفيها نعيدكم وأكرم نبيه المصطفى فجعل الارض كلها له مسجدا وطهورا ولما خلق الله الارض وكانت كالصدفة والدرة المودعة فيها آدم صلى الله عليه وسلم وأولاده ثم علم الله أصناف حاجاتهم قال يا آدم لا أحوجك الى شئ غير هذه الارض التى هى لك كالام فقال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يا عبدى ان أعز الاشياء عندك الذهب والفضة ولو أنى خلقت الارض منهما هل كان يحصل منهما هذه المنافع ثم انى جعلت هذه الاشياء فى الدنيا مع انها سجن لك فكيف الحال فى الجنة فالحاصل ان الارض أمك بل أشفق من الام لان الام تسقيك نوعا واحدا من اللبن والارض تطعمك ألوانا من

حدثنا سعيد عن قتادة قوله يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ثم ان البلاء الذى كتب على الخلق كتب على آدم كما ابتلى الخلق قبله ان الله جل ثناؤه أحل له ما فى الجنة ان يأكل منها رغدا حيث شاء غير شجرة واحدة نهى عنها وقدم اليه فيها فما زال به البلاء حتى وقع بالذى نهى عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) قال أبو جعفر والشجر فى كلام العرب كل ما قام على ساق ومنه قول الله جل ثناؤه والنجم والشجر يسجدان يعنى بالنجم ما نجم من الارض من نبت وبالشجر ما استقل على ساق ثم اختلف أهل التأويل فى عين الشجرة التى نهى عن أكل ثمرها آدم فقال بعضهم السنبلة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن اسمعيل الاحمسى قال حدثنا عبد الحميد الحمانى عن النضر عن عكرمة عن ابن عباس قال الشجرة التى نهى عن أكل ثمرها آدم هى السنبلة وحدثنى يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم وحدثنا ابن وكيع قال حدثنا عمران بن عيينة جميعا عن حصين عن أبى مالك فى قوله ولا تقربا هذه الشجرة قال هى السنبلة وحدثنا محمد بن بشار قال حدثنا ابن مهدى وحدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قالا جميعا حدثنا سفيان عن حصين عن أبى مالك مثله وحدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا حدثنا ابن ادريس قال سمعت أبى عن عطية فى قوله ولا تقربا هذه الشجرة قال السنبلة وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قال الشجرة التى نهى عنها آدم هى السنبلة وحدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا مسلم بن ابراهيم قال حدثنا القاسم قال حدثنى رجل من بنى تميم ان ابن عباس كتب الى أبى الجلد يسأله عن الشجرة التى أكل منها آدم والشجرة التى تاب عندها فكتب اليه أبو الجلد سألتنى عن الشجرة التى نهى عنها آدم وهى السنبلة وسألتنى عن الشجرة التى تاب عندها آدم وهى الزيتونة وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن رجل من أهل العلم عن مجاهد عن ابن عباس انه كان يقول الشجرة التى نهى عنها آدم البر وحدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة وابن المبارك عن الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل اليمن عن وهب بن منبه اليمانى انه كان يقول هى البر ولكن الحبة منها فى الجنة ككلى البقر ألين من الزبد وأحلى من العسل وأهل التوراة يقولون هو البر وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى محمد بن اسحق عن يعقوب بن عتبة انه حدث انها الشجرة التى تحتك بها الملائكة للخلد وحدثنا ابن وكيع قال حدثنا ابن يمان عن جابر بن يزيد بن رفاعة عن محارب قال هى السنبلة وحدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبو اسامة عن زيد بن ابراهيم عن الحسن قال هى السنبلة التى جعلها الله رزقا لولده فى الدنيا ۞ قال أبو جعفر وقال آخرون هى الكرمة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال حدثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدى عن حذيفة عن ابن عباس قال هى الكرمة حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن

الاطعمة ثم قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم معناه نردكم الى هذه الام وهذا ليس بوعيد لان المرء لا يتوعد بامه وذلك لان مقامك من الام التى ولدتك أضيق من مقامك من الارض ثم انك كنت فى بطن الام الصغرى تسعة أشهر فما مسك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت بطن الام الكبرى ولكن الشرط أن تدخل بطن الام الكبرى كما كنت فى بطن الام الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من ان يكون لك كبيرة بل كنت مطيعا لله فحيث دعاك مرة بالخروج الى الدنيا خرجت اليها بالرأس طاعة منك لربك واليوم يدعوك سبعين مرة الى الصلاة فلا تجيبه برجلك ＊الرابعة معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته بانه جعل الماء سببا فى خروجها ومادة لها كالنطفة فى خلق الولد وهو قادر على انشاء الاشياء بلا أسباب ومواد كما انشا نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى هذا التدريج والتسبب حكما يتبصر بها من يستبصر ويتفطن بها من يعتبر ومن فى من الثمرات للتبعيض كانه قصد بتنكير ماء ورزقا معنى البعضية لانه مفرد فى سياق الاثبات فكانه قيل وزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا معنى صحيح لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله من الثمرات فيكون كل الثمر بعض الرزق فضلا عن بعضها ويجوز أن تكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم الفا فان كانت من للتبعيض كان فى انتصاب رزقا بانه مفعول له وان كانت للبيان كان مفعولا لاخرج ولكم صفة جارية على الرزق ان أريد به العين وان جعل مصدرا فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم وانما قيل الثمرات على لفظ القلة وان كان الثمر المخرج بماء السماء جما كثيرا لانه قصد بالثمرات جماعة الثمرة التى فى قولك فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره كقولهم القصيدة كلمة والقرية مدرة أولان القلة وضعت موضع الكثرة نحو ثلاثة قروء اوتنبيها على قلة ثمار الدنيا فى جنب ثمار الآخرة ＊الخامسة قوله فلا تجعلوا اما أن يتعلق بالامر أى اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لان أصل العبادة وأساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك أو بلعل فتنصب تجعلوا بعده مثل لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع فى رواية حفص عن عاصم أو بالذى جعل لكم اذا رفعته على الابتداء أى هو الذى نصب لكم هذه

وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا تقربا هذه الشجرة هي الكرم وتزعم اليهود انها الحنطة وحدثنا ابن وكيع قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى قال الشجرة هي الكرم وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن جعدة بن هبيرة قال هو العنب في قوله ولا تقربا هذه الشجرة وحدثنا ابن وكيع قال حدثني أبي عن خلاد الصفار عن بيان عن الشعبي عن جعدة بن هبيرة ولا تقربا هذه الشجرة قال الكرم وحدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا حدثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي عن جعدة بن هبيرة قال الشجرة التي نهى عنها آدم شجرة الخمر وحدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا عباد بن العوام قال حدثنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله ولا تقربا هذه الشجرة قال الكرم وحدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا سفيان عن السدى قال العنب وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن أبي معشر عن محمد ابن قيس قال عنب وقال آخرون هي التينة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال تينة والقول في ذلك عندنا ان الله جل ثناؤه أخبر عباده ان آدم وزوجه أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الاكل منها فأتيا الخطيئة التي نهاهما عن اتيانها باكلهما ما أكلا منها بعد ان بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الاكل منها وأشار لهما اليها بقوله ولا تقربا هذه الشجرة ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أى أشجار الجنة كان نهيه آدم ان يقربها بنص عليها باسمها ولا بدلالة عليها ولو كان الله يعلم في العلم ذلك باى رضى لم يخل عباده من نصب دلالة لهم عليها يصلون بها الى معرفة عينها ليطيعوه بعلمهم بها كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضى فالصواب في ذلك ان يقال ان الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فخالفا الى ما نهاهما الله عنه فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به ولا علم عندنا باى شجرة كانت على التعيين لان الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة فأنى يأتي ذلك من أتى وقد قيل كانت شجرة البر وقيل كانت شجرة العنب وقيل كانت شجرة التين وجائز أن تكون واحدة منها وذلك ان علمه عالم لم ينفع العالم به علمه وان جهله جاهل لم يضره جهله به

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) قال أبو جعفر اختلف أهل العربية في تأويل قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فقال بعض نحوى الكوفيين تأويل ذلك لا تقربا هذه الشجرة فانكما ان قربتماها كنتما من الظالمين فصار الثاني في موضع جواب الجزاء وجواب الجزاء يعمل فيه أوله كقولك ان تقم أقم فتجزم الثاني بجزم الاول فكذلك قوله فتكونا لما وقعت الفاء في موضع شرط الاول نصب بها وصيرت بمنزلة كي في نصبها الافعال المستقبلة للزومها الاستقبال اذ كان أصل الجزاء الاستقبال وقال بعض نحوى أهل البصرة تأويل ذلك لا يكن منكما قرب هذه الشجرة فان تكونا من الظالمين غير انه زعم ان ان غير جائز اظهارها مع لا ولكنها مضمرة لا بد منها ليصح الكلام بعطف اسم وهي ان على الاسم كما غير جائز في قولهم عسى

الادلة القاطعة والآيات الناطقة بالوحدانية فلا تتخذوا له تعالى شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناد من نادت الرجل خالفته ونافرته وتندود اذا نفر ومعنى قول الموحد ليس لله ند ولا ضد نفى ما يسد مسده ونفى ما ينافيه وقوله وأنتم تعلمون بترك المفعول معناه وأنتم من أهل العلم والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال وهكذا كانت العرب خصوصا قطان الحرم من قريش وكنانة لا يشق غبارهم في الدهاء والفطنة والتوبيخ فيه آكد أى أنتم العرافون المميزون ثم ما أنتم عليه في أمر ديانتكم من جعل الاصنام لله أندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز أن يقدر وأنتم تعلمون انه لا يماثل أو أنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت أو وأنتم تعلمون انها لا تفعل مثل أفعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ واعلم انه ليس في العالم أحد يثبت لله شريكا يساويه في الوجوب والعلم والقدرة والحكمة ولكن الثنوية يثبتون الهين حكيم يفعل الخير وسفيه يفعل الشر أما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين اليه كثرة الفريق الاول عبدة الكواكب وهم الصابئة فانهم يقولون ان الله تعالى خلق هذه الكواكب وهي المدبرات في هذا العالم فيجب علينا ان نعبد الكواكب والكواكب تعبد الله تعالى والفريق الثاني عبدة المسيح صلى الله عليه وسلم والفريق الثالث عبدة الاوثان فنقول لا دين أقدم من دين عبدة الاوثان لان أقدم الانبياء الذي نقل الينا تاريخهم هو نوح عليه السلام وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ودينهم باق الى الآن والدين الذي هذا شأنه يستحيل ان يعرف فساده بالضرورة ولكن العلم بان هذا الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماء والارض علم ضرورى فيمتنع اطباق الجمع العظيم عليه فوجب ان يكون لهم غرض آخر سوى ذلك والعلماء ذكروا فيه وجوها أحدها ما ذكره أبو معشر جعفر بن محمد المنجم البلخي ان كثيرا من أهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته ويعتقدون انه جسم ذو صورة كأحسن ما يكون من الصور وكذا الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسماء وان الواجب عليهم ان يصوغوا تماثيل أنيقة المنظر على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الاله والملائكة فيعكفون على عبادتها قاصدين به طلب

ان يفعل عصى الفعل ولا فى قولك ما كان يفعل ما كان لان يفعل ٧ وهذا القول الثانى يفسده اجماع جميعهم على تخطئة قول القائل سرنى تقوم يا هذا وهو يريد سرنى قيامك وكذلك الواجب ان يكون خطأ على هذا المذهب قول القائل لا تقم اذا كان المعنى لا يكن منك قيام وفى اجماع جميعهم على صحة قول القائل لا تقم وفساد قول القائل سرنى تقوم بمعنى سرنى قيامك الدليل الواضح على فساد دعوى المدعى ان مع لا التى فى قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وجهين من التاويل أحدهما ان يكون فتكونا فى نية العطف على قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا تاويله حينئذ ولا تقربا هذه الشجرة ولا تكونا من الظالمين فيكون فتكونا حينئذ فى معنى الجزم مجزوما بما جزم به ولا تقربا كما يقول القائل لا تكلم عمرا ولا تؤذه وكما قال امرؤ القيس

فقلت له صوب ولا تجهدنه * فيذرك من أخرى القطاة فتزلق

فجزم فيذرك بما جزم به لا تجهدنه كأنه كرر النهى والثانى ان يكون فتكونا من الظالمين بمعنى جواب النهى فيكون تاويله حينئذ لا تقربا هذه الشجرة فانكما ان قربتماها كنتما من الظالمين كما تقول لا تشتم عمرا فيشتمك مجازاة فيكون فتكونا حينئذ فى موضع نصب اذ كان حرفا عطف على غير شكله لما كان فى ولا تقربا حرف عامل فيه ولا يصلح اعادته فى فتكونا فنصب على ما قد بينت فى أول هذه المسئلة وأما تاويل قوله فتكونا من الظالمين فانه يعنى به فتكونا من المتعدين الى غير ما أذن لهم وأبيح لهم فيه وانما عنى بذلك انكما ان قربتما هذه الشجرة كنتما على منهاج من تعدى حدودى وعصيان أمرى واستحلال محارمى لان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين

وأصل الظلم فى كلام العرب وضع الشئ فى غير موضعه ومنه قول نابغة بنى ذبيان

ألا أوارى لايا ما أبينها * والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

فجعل الارض مظلومة لان الذى حفر فيها النؤى حفر فى غير موضع الحفر فجعلها مظلومة لموضع الحفر منها فى غير موضعها ومن ذلك قول ابن قمئة فى صفة غيث

ظلم البطاح بها انهلال حريصه * فصفا النطاف له بعيد المقلع

وظلمه اياه مجيئه فى غير أوانه وانصبابه فى غير مصبه ومنه ظلم الرجل جزوره وهو نحره اياه لغير علة وذلك عند العرب وضع النحر فى غير موضعه وقد يتفرع الظلم فى معان يطول باحصائها الكتاب وسنبينها فى أماكنها اذا أتينا عليها ان شاء الله تعالى وأصل ذلك كله ما وصفنا من وضع الشئ فى غير موضعه ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (فأزلهما الشيطان عنها) قال أبو جعفر اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامتهم فأزلهما بتشديد اللام بمعنى استزلهما من قولك زل الرجل فى دينه اذا هفا فيه وأخطأ فأتى ما ليس له اتيانه فيه وأزله غيره اذا سبب له ما يزل من أجله فى دينه أو دنياه ولذلك أضاف الله تعالى ذكره الى ابليس خروج آدم وزوجته من الجنة فقال فأخرجهما يعنى ابليس أخرجهما مما كانا فيه لانه كان الذى سبب لهما الخطيئة التى عاقبهما الله عليها فأخرجهما من الجنة وقرأه آخرون فأزالهما بمعنى ازالة الشئ وذلك تنحيته عنه وقد روى عن ابن عباس فى تاويل قوله فأزلهما ما حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس

٧ هكذا بالنسخ ولا يظهر التعليل بذلك فلعل فى العبارة حذفا يدرك وجهه بالتأمل اه مصححه

الزلفى الى الله تعالى وملائكته فعلى هذا السبب فى عبادة الاوثان هو اعتقاد التشبيه وثانيها ما ذكره أكثر العلماء وهو ان الناس لما رأوا تغيرات أحوال هذا العالم مربوطة بتغيرات أحوال الكواكب واعتقدوا ان السعادة والنحوسة فى الدنيا بكيفية وقوعها فى طوالع الناس بالغوا فى تعظيمها فمنهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذواتها وهى التى خلقت هذه العوالم ومنهم من اعتقد انها مخلوقة لله الا كبرا لكنها خالقة لهذا العالم وانها الوسائط بين الله والبشر فلا جرم اشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم لما رأوا الكواكب مستترة فى أكثر الاوقات عن الابصار اتخذوا لها أصناما وأقبلوا على عبادتها قاصدين بتلك العبادة تلك الاجرام العاليات ومتقربين الى أشباحها الغائبة ولما طالت المدة تركوا ذكر الكواكب وتجردوا لعبادة تلك التماثيل فهؤلاء بالحقيقة عبدة الكواكب وثالثها ان أصحاب الاحكام كانوا يرتقبون أوقاتا فى السنين المتطاولة نحو الالف والالفين ويزعمون ان من اتخذ طلسما فى ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به فى أحوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الآفات وكانوا اذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا فى ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ثم نسوا مبدأ الامر بتطاول المدة واشتغلوا بعبادتها فى ذلك التعظيم ورابعها انه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه انه مستجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنما على صورته وعبدوها على اعتقاد ان ذلك الانسان يكون شفيعا لهم يوم القيامة عند الله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وخامسها لعلهم اتخذوها قبلة لصلاتهم وطاعاتهم ويسجدون اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال القوم انه يجب عبادتها وسادسها لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا فى جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التاويل فهذه هى الوجوه التى يمكن حمل مذهبهم عليها حتى لا يصير بحيث يعلم بطلانه بالضرورة فان قيل لما رجع حاصل مذاهب عبدة الاوثان الى الوجوه التى ذكرت فما وجه المنع عنها قلنا لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكأنه تهكم بهم باللفظ الذى شنع عليهم واستفظع

شأنهم بأن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط ولا يفيد في طريق عبادته إلا الحنيفية والإخلاص ورفع الوسائط من البين واعلم أن اليونانيين كانوا قبل خروج الاسكندر عمدوا إلى بناء هياكل لهم معروفة بأسماء القوى الروحانية والأجرام النيرة واتخذوها معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الأولى وهي عندهم الأمر الإلهي وهيكل العقل الصريح وهيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس والصور مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشتري مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا وهيكل الشمس مربعا وهيكل الزهرة مثلثا في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثا في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا وزعم أصحاب التاريخ أن عمرو بن لحي لما ساد قومه وترأس على طبقاتهم وولي أمر البيت الحرام اتفقت له سفرة إلى البلقاء فرأى قوما يعبدون الأصنام فسألهم عنها فقالوا هذه أوثان نستنصر بها فننتصر ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم أن يأتوا بواحد منها فأعطوه الصنم المعروف بهبل فصار به إلى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس إلى تعظيمه وذلك في أول ملك سابور ذي الأكتاف ومن بيوت الأصنام المشهورة غمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء وخربه عثمان بن عفان ومنها نوبهار الذي بناه منوجهر الملك على اسم القمر ثم كان لقبائل العرب أوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل لكلب وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان ونسر بأرض حمير لذي الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة وإساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن عبادتها ويدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه وهو الذي يقول شعرا * أربا واحدا أم ألف رب * أدين إذا تقسمت الأمور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير

(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) القراآت ما يتعلق بها من ضم ميم الجمع ومن إمالة الناس يعرف مما مر * الوقوف من مثله ص صادقين ه والحجارة ج على تقدير وهي أعدت للكافرين والوصل أجود لأن قوله أعدت الجملة الأولى في كونها صلة التي للكافرين ه التفسير لما نبه

في تأويل قوله تعالى فأزلهما الشيطان قال أغواهما وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ فأزلهما لأن الله جل ثناؤه قد أخبر في الحرف الذي يتلوه بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه وذلك هو معنى قوله فأزالهما فلا وجه إذ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج أن يقال فأزالهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه فيكون كقوله فأزالهما الشيطان عنها فأزالهما مما كانا فيه ولكن المعنى المفهوم أن يقال فاستزلهما إبليس عن طاعة الله كما قال جل ثناؤه فأزلهما الشيطان وقرأت به القراء فأخرجهما باستزلاله إياهما عن الجنة فإن قال لنا قائل وكيف كان استزلال إبليس آدم وزوجته حتى أضيف إليه إخراجهما من الجنة قيل قد قالت العلماء في ذلك أقوالا سنذكر بعضها فحكي عن وهب بن منبه في ذلك ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عمر و ابن عبد الرحمن بن مهرب قال سمعت وهب بن منبه يقول لما أسكن الله آدم وذريته أو زوجته الشك من أبي جعفر وهو في أصل كتابه وذريته ونهاه عن الشجرة وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم وهي الثمرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية وكانت للحية أربع قوائم كأنها بختية من أحسن دابة خلقها الله فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته فجاء بها إلى حواء فقال انظري إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها فأخذت حواء فأكلت منها ثم ذهبت بها إلى آدم فقالت انظر إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها فأكل منها آدم فبدت لهما سوآتهما فدخل آدم في جوف الشجرة فناداه ربه يا آدم أين أنت قال أنا هنا يا رب قال ألا تخرج قال أستحيي منك يا رب قال ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة يتحول ثمرها شوكا قال ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرة كان أفضل من الطلح والسدر ثم قال يا حواء أنت التي غررت عبدي فإنك لا تحملين حملا إلا حملته كرها فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارا وقال للحية أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي ملعونة أنت ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك ولا يكن لك رزق إلا التراب أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك حيث لقيت أحدا منهم أخذت بعقبه وحيث لقيك شدخ رأسك قال عمر قيل لوهب وما كانت الملائكة تأكل قال يفعل الله ما يشاء وروي عن ابن عباس نحو هذه القصة حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما قال الله لآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة فمنعته الخزنة فأتى الحية وهي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير وهي كأحسن الدواب فكلمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم فأدخلته في فمها فمرت الحية على الخزنة فدخلت ولا يعلمون لما أراد الله من الأمر فكلمه من فمها فلم يبال بكلامه فخرج إليه فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى يقول هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت ملكا مثل الله عز وجل أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبدا وحلف لهما بالله إني لكما لمن الناصحين

بالآيتين السابقتين على طريق الاعتراف بوجود الصانع و وحدانيته أعقبهما بما يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم وقد ذكر فى كون القرآن معجزا طريقان الاول أنه اما ان يكون مساويا لكلام سائر الفصحاء أو زائدا عليه بما لا ينقض العادة أو بما ينقضها والاولان باطلان لانهم وهم زعماء وملوك الكلام تحدوا بسورة منه مجتمعين أو منفردين ثم لم يأتوا بها مع انهم كانوا متهالكين فى ابطال أمره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن وكانوا فى الحمية والانفة الى حد لا يقبلون الحق كيف الباطل فتعين القسم الثالث الطريق الثانى أن يقال ان بلغت السورة المتحدى بها فى الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود والا فامتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم الى توهين أمره معجز فعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل وما يدريك انه لن يعارض فى مستأنف الزمان وان لم يعارض الى الآن قلت لانه لا احتياج الى المعارضة أشد مما فى وقت التحدى والا لزم تقرير المبطل المشبه للحق وحيث لم تقع المعارضة وقتئذ علم أن لا معارضة والى هذا أشار سبحانه بقوله ولن تفعلوا كما يجىء واعلم أن شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة فمدرك الاعجاز هو الذوق ومن قال الاعجاز بانه صرف الله تعالى البشر عن معارضته أو بانه هو كون أسلوبه مخالفا لاساليب الكلام أو بانه هو كونه مبرأ عن التناقض أو بكونه مشتملا على الاخبار بالغيوب وبما ينخرط فى سلك هذه الآراء فقد كذب ابن أخت خالته فانا نقطع أن الاستغراب من سماع القرآن انما هو من أسلوبه ونظمه المؤثر فى القلوب تأثيرا لا يمكن انكاره لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد لا من صرف الله تعالى البشر عن الاتيان بمثله كما لو قال أحد معجزتى أن أضع الساعة يدى على رأسى و يتعذر ذلك عليكم وكان كما قال جاء الاستغراب من التعذر لا من نفس الفعل وأيضا تسمية كل أسلوب غريب معجزا باطل وكذا تسمية كل كلام مبرأ عن التناقض أو مشتمل على الغيب ككلام الكهان ونحوهم فان قيل كيف نعتقد اعجاز القرآن بحيث يعجز عنه الثقلان فقط والزائد غير معلوم الحال أو بحيث يعجز عنه المخلوقات بأسرها قلنا لا ريب ان الحق هو القسم الثانى الا ان التحدى لم يقع الا بالقدر الاول و به يثبت صحة

وانما أراد بذلك ليبدى لهما ما توارى عنهما من سوآتهما بهتك لباسهما وكان قد علم ان لهما سوءة لما كان يقرأ من كتب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك وكان لباسهما الظفر فابى آدم ان يأكل منها فتقدمت حواء فأكلت ثم قالت يا آدم كل فانى قد أكلت فلم يضرنى فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة **وحدثت** عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال حدثنى محدث ان الشيطان دخل الجنة فى صورة دابة ذات قوائم فكان يرى انه البعير قال فلعن فسقطت قوائمه فصار حية **وحدثت** عن عمار قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال وحدثنى أبو العالية ان من الابل ما كان أولها من الجن قال فابيحت له الجنة كلها الا الشجرة وقيل لهما لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين قال فاتى الشيطان حواء فبدأ بها فقال أنهيتما عن شئ قالت نعم عن هذه الشجرة فقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين قال فبدأت حواء فأكلت منها ثم أمرت آدم فأكل منها قال وكانت شجرة من أكل منها أحدث قال ولا ينبغى ان يكون فى الجنة حدث قال فأزالهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه قال فأخرج آدم من الجنة **وحدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا ابن اسحق عن بعض أهل العلم ان آدم حين دخل الجنة ورأى ما فيها من الكرامة وما أعطاه الله منها قال لو أن خلدا كان فاغتنمها منه الشيطان لما سمعها منه فأتاه من قبل الخلد **وحدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت ان أول ما ابتدأهما به من كيده اياهما انه ناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها فقالا له ما يبكيك قال أبكى عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك فى أنفسهما ثم أتاهما فوسوس اليهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تخلدا ان لم تكونا ملكين فى نعمة الجنة فلا تموتان يقول الله جل ثناؤه فدلاهما بغرور **وحدثنى** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسوس الشيطان الى حواء فى الشجرة حتى أتى بها اليها ثم حسنها فى عين آدم قال فدعاها آدم لحاجته قالت لا الا ان تأتى ههنا فلما أتى قالت لا الا ان تأكل من هذه الشجرة قال فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال وذهب آدم هاربا فى الجنة فناداه ربه أيا آدم منى تفر قال لا يا رب ولكن حياء منك قال يا آدم انى أتيت من قبل حواء قال أى رب فقال الله فان لها على ان أدميها فى كل شهر مرة كما أدمت هذه الشجرة وان أجعلها سفيهة فقد كنت خلقتها حليمة وان أجعلها تحمل كرها وتضع كرها فقد كنت جعلتها تحمل يسيرا وتضع يسيرا قال ابن زيد ولولا البلية التى أصابت حواء لكان نساء الدنيا لا يحضن ولكن حليمات وكن يحملن يسيرا ويضعن يسيرا **وحدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن سعيد بن المسيب قال سمعته يحلف بالله ما نسى ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فأكل **وحدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن ليث بن أبى سليم عن طاوس اليمانى عن ابن عباس قال ان عدو الله ابليس عرض نفسه على دواب الارض أنها تحمله حتى تدخل به الجنة معها حتى يكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبى ذلك عليه حتى كلم الحية فقال لها امنعك من ابن

آدم

آدم فانت فى ذمتى ان أنت أدخلتنى الجنة فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به فكلمهما من فيها وكانت كاسية تمشى على أربع قوائم فاعراها الله وجعلها تمشى على بطنها قال يقول ابن عباس اقتلوها حيث وجدتموها اخفر واذمة عدو الله فيها وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال قال ابن اسحق وأهل التوراة يدرسون انما كلم آدم الحية ولم يفسروا كتفسير ابن عباس وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن قيس قال نهى الله آدم وحواء ووسوس الشيطان الى آدم فقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين قال فعضت حواء الشجرة فدميت الشجرة وسقط عنهما رياشهما الذى كان عليهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين لم أكلتها وقد نهيتك عنها قال يارب أطعمتنى حواء قال لحواء لم أطعمته قالت أمرتنى الحية قال للحية لم أمرتها قالت أمرنى ابليس قال ملعون مدحور أما أنت فكما أدميت الشجرة تدمين فى كل هلال وأما أنت ياحية فاقطع قوائمك فتمشين جريا على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك بالحجر اهبطوا بعضكم لبعض عدو فقد رويت هذه الاخبار عمن رويناها عنه من الصحابة وأولى ذلك بالحق عندنا ما كان لكتاب الله موافقا وقد أخبر الله تعالى ذكره عن ابليس انه وسوس لآدم وزوجته ليبدى لهما ماووري عنهما من سوآتهما وانه قال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وانه قاسمهما انى لكما لمن الناصحين مدليا لهما بغرور ففى اخباره جل ثناؤه عن عدو الله انه قاسم آدم وزوجته بقيله لهما انى لكما لمن الناصحين الدليل الواضح على انه قد باشر خطابهما بنفسه اما ظاهرا لاعينهما واما مستخفيا فى غيره وذلك انه غير معقول فى كلام العرب ان يقال قاسم فلان فلانا فى كذا وكذا اذا سبب له سببا وصل به اليه دون ان يحلف له والحلف لا يكون بتسبب السبب فكذلك قوله فوسوس اليه الشيطان لو كان ذلك كان منه الى آدم على نحو الذى منه الى ذريته من تزيين أكل ما نهى الله آدم عن أكله من الشجرة بغير مباشرة خطابه اياه بما استزله به من القول والحيل لما قال جل ثناؤه وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين كما غير جائز ان يقول اليوم قائل ممن أتى معصية قاسمنى ابليس انه لى ناصح فيما زين لى من المعصية التى أتيتها فكذلك الذى كان من آدم وزوجته لو كان على النحو الذى يكون فيما بين ابليس اليوم وذرية آدم لما قال جل ثناؤه وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ولكن ذلك كان ان شاء الله على نحو ما قال ابن عباس ومن قال بقوله فاما سبب وصوله الى الجنة حتى كلم آدم بعد ان أخرجه الله منها وطرده عنها فليس فيما روى عن ابن عباس ووهب بن منبه فى ذلك معنى يجوز لذوى فهم مدافعته اذ كان ذلك قولا لا يدفعه عقل ولا خبر يلزم تصديقه من حجة بخلافه وهو من الامور الممكنة والقول فى ذلك انه قد وصل الى خطابهما ما أخبرنا الله جل ثناؤه ويمكن ان يكون وصل الى ذلك بنحو الذى قاله المتأولون بل ذلك ان شاء الله كذلك لتتابع أقوال أهل التأويل على تصحيح ذلك وان كان ابن اسحق قد قال فى ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة قال قال ابن اسحق فى ذلك والله أعلم كما قال ابن عباس وأهل التوراة انه خلص الى

النبوة لكن النبى صادق وقد أخبر بانه كلام الله تعالى ونحن نعلم ان كلام صفته وصفته يجب ان تكون فى غاية الكمال ونهاية الجلال فالقرآن اذا فى غاية البلاغة ونهاية الفصاحة والبلاغة هى بلوغ المتكلم حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها وهى فينا كانها هيئة اجتماعية حاصلة من معرفة قوانين علمى المعانى والبيان والفصاحة اما معنوية وهى خلوص الكلام عن التعقيد والتعقيد ان يعثر صاحبه فكرك فى متصرفه ويشك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك فلا تدرى من أين توصل وباى طريق معناه يتحصل واما اللفظية وهى ان تكون الكلمة عربية أصلية وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدرب واستعمالهم لها أكثر وان تكون أجرى على قوانين اللغة العربية وان تكون سليمة عن التنافر عذبة على العذبات سلسة على الاسلات والحاكم فى ذلك هو الذوق السليم والطبع المستقيم فقلما ينجع هنالك الا ذلك ثم انه قد اجتمع فى القرآن وجوه كثيرة تقتضى نقصان الفصاحة ومع ذلك فانه بلغ فى الفصاحة النهاية التى لا غاية وراءها فدل ذلك على كونه معجزا منها ان فصاحة العرب أكثرها فى وصف المشاهدات كبعير أو فرس أو جارية أو ملك أو ضربة أو طعنة أو وصف حرب أو وصف غارة وليس فى القرآن من هذه الاشياء مقدار كثير ومنها انه تعالى راعى طريق الصدق وتبرأ عن الكذب وقد قيل أحسن الشعر أكذبه ولهذا كان لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت لما أسلما وتركا سلوك سبيل الكذب والتخييل ترك شعرهما ومنها ان الكلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق فى بيت أو بيتين من قصيدة والقرآن كله فصيح كل جزء منه ومنها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلامه لم يكن الثانى فى الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر فى القرآن فهو فى نهاية الفصاحة وغاية الملاحة شعر

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

ومنها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم المسكرات والحث على مكارم الاخلاق والزهد فى الدنيا والاقبال على الآخرة ولا يخفى ضيق عطن البلاغة فى هذه المواد ومنها انهم قالوا ان شعر امرئ القيس يحسن فى النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحرب وشعر الاعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة

آدم وزوجته وسلطانه الذي جعل الله له ليبتلي به آدم وذريته وانه يأتي ابن آدم في نومته وفي يقظته وفي كل حال من أحواله حتى يخلص الى ما أراد منه حتى يدعوه الى المعصية ويوقع في نفسه الشهوة وهو لا يراه وقد قال الله فوسوس اليهما الشيطان فأخرجهما مما كانا فيه وقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وقد قال الله لنبيه عليه السلام قل أعوذ برب الناس ملك الناس الى آخر السورة ثم ذكر الاخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم قال ابن اسحق وانما أمر ابن آدم فيما بينه وبين عدو الله كأمره فيما بينه وبين آدم فقال الله اهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين ثم خلص الى آدم وزوجته حتى كلمهما كما قص الله علينا من خبرهما قال فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فخلص اليهما بما خلص الى ذريته من حيث لا يريانه والله أعلم أي ذلك كان فتابا الى ربهما وليس في يقين ابن اسحق لو كان قد أيقن في نفسه ان ابليس لم يخلص الى آدم وزوجته بالمخاطبة بما أخبر الله عنه انه قال لهما وخاطبهما به ما يجوز لذي فهم الاعتراض به على ما ورد من القول مستفيضا من أهل العلم مع دلالة الكتاب على صحة ما استفاض من ذلك بينهم فكيف بشكه والله نسأل التوفيق ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فأخرجهما مما كانا فيه) قال أبو جعفر وأما تأويل قوله فأخرجهما فانه يعني فأخرج الشيطان آدم وزوجته مما كانا فيه يعني مما كان فيه آدم وزوجته من رغد العيش في الجنة وسعة نعيمها الذي كان فيه وقد بينا ان الله جل ثناؤه انما أضاف اخراجهما من الجنة الى الشيطان وان كان الله هو المخرج لان خروجهما منها كان عن سبب من الشيطان وأضيف ذلك اليه لتسبيبه اياه كما يقول القائل لرجل وصل اليه منه أذى حتى تحول من أجله عن موضع كان يسكنه ما حولني من موضعي الذي كنت فيه الا أنت ولم يكن منه له تحويل ولكنه لما كان تحوله عن سبب منه جاز له اضافة تحويله اليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو) قال أبو جعفر يقال اهبط فلان أرض كذا ووادي كذا اذا حل ذلك كما قال الشاعر

مازلت أرمقهم حتى اذا هبطت * أيدي الركاب بهم من راكس فلقا

وقد أبان هذا القول من الله جل ثناؤه عن صحة ما قلنا من ان المخرج آدم من الجنة هو الله جل ثناؤه وان اضافة الله الى ابليس ما أضاف اليه من اخراجهما كان على ما وصفنا ودل بذلك أيضا على ان هبوط آدم وزوجته وعدوهما ابليس كان في وقت واحد بجمع الله اياهم في الخبر عن اهباطهم بعد الذي كان من خطيئة آدم وزوجته وتسبب ابليس ذلك لهما على ما وصفه ربنا جل ذكره عنهم وقد اختلف أهل التأويل في المعني بقوله اهبطوا مع اجماعهم على ان آدم وزوجته ممن عني به فحدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا أبو اسامة عن أبي عوانة عن اسمعيل بن سالم عن أبي صالح اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال آدم وحواء وابليس والحية وحدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال ابليس وحدثني المثنى

والرجاء والقرآن جاء نصيحا في كل فن من فنون الكلام فانظر وافي الترغيب الى قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وفي الترهيب وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وفي الزجر فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وفي الوعظ أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما (١٨٤) كانوا يمتعون وفي الالهيات الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ومنها ان القرآن أصل العلوم كلها كعلم الكلام وعلم أصول الفقه وعلم الفقه واللغة والنحو والصرف والنجوم والمعاني والبيان وعلم الاحوال وعلم الاخلاق وما شئت ومن يطيق وصف القرآن وبلاغته فانه كما ان الاتيان بأقصر سورة منه فوق حد البشر فوصفه كما هو فوق طاقة البشر شعر

فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح

وانما قيل وان كنتم دون اذ كنتم لما عرفت في تفسير لا ريب فيه وانما اختير نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو أنزله الله لانزله جملة واحدة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة أي على خلاف ما ترى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا شيأ فشيأ وحينا فحينا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة فقيل لهم ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما من نجومه أصغر سورة وهي الكوثر ومعنى السورة مذكور في المقدمة الخامسة وانما قيل على عبدنا دون ان يقال على محمد كقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد تشريفا له صلى الله عليه وسلم واعلاما بانه صلى الله عليه وسلم ممن صحح نسبة العبودية المأمور بها في قوله يا أيها الناس اعبدوا واضافة العبد الى الضمير أيضا تؤيد ذلك كقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وفيه ان السعادة كل السعادة في نسبة العبدية فهي التي توصل الى العندية في مقعد صدق عند مليك مقتدر وانا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي وكمال العندية في كمال الحرية عما سوى الله وأما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا فمن ذلك ان الجنس اذا انطوت تحته أنواع واشتمل الانواع على الاصناف كان افراز

كل من صاحبه أحسن ولهذا وضع المصنفون كتبهم على الابواب والفصول ونحوها ومنها ان القارئ اذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ فى آخر كان أنشط له كالمسافر اذا قطع ميلا أو طوى فرسخا ومن ثم جزؤا القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة واعتقد انه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيجل فى نفسه ومنه حديث أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ولهذا كانت القراءة فى الصلاة بسورة تامة أفضل ومن مثله متعلق بمحذوف أى بسورة كائنة من مثله والضمير

المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اهبطوا بعضكم لبعض عدو آدم وابليس والحية وذريتهم بعضهم أعداء لبعض وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بعضكم لبعض عدو آدم وذريته وابليس وذريته وحدثنا المثنى قال حدثنا آدم بن أبى اياس قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله بعضكم لبعض عدو قال يعنى ابليس وآدم حدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدى عمن حدثه عن ابن عباس فى قوله اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال آدم وحواء وابليس والحية وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال حدثنا ابن وهب قال حدثنى عبد الرحمن بن مهدى عن اسرائيل عن اسمعيل السدى قال حدثنى من سمع ابن عباس يقول اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال آدم وحواء وابليس والحية وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال لهما ولذريتهما فان قال قائل وما كانت عداوة ما بين آدم وزوجته وابليس والحية قيل أما عداوة ابليس آدم وذريته فحسده اياه واستكباره عن طاعة الله فى السجود له حين قال لربه أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وأما عداوة آدم وذريته ابليس فعداوة المؤمنين اياه لكفره بالله وعصيانه لربه فى تكبره عليه ومخالفته أمره وذلك من آدم ومؤمنى ذريته ايمان بالله وأما عداوة ابليس آدم فكفر بالله وأما عداوة ما بين آدم وذريته والحية فقد ذكرنا ما روى فى ذلك عن ابن عباس ووهب بن منبه وذلك هى العداوة التى بيننا وبينها كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما سالمناهن منذ حاربناهن فمن تركهن خشية ثارهن فليس منا حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال حدثنى حجاج بن رشدين قال أخبره ابن شريح عن ابن عجلان عن أبيه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما سالمناهن منذ حاربناهن فمن ترك شيأ منهن خيفة فليس منا وأحسب ان الحرب التى بيننا كان أصله ما ذكره علماؤنا الذين قدمنا الرواية عنهم فى ادخالها ابليس الجنة بعد ان أخرجه الله منها حتى استزله عن طاعة ربه فى أكله ما نهى عن أكله من الشجرة وقد حدثنا أبو كريب قال حدثنا معاوية بن هشام وحدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال حدثنى آدم جميعا عن شيبان عن جابر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الحيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت هى والانسان كل واحد منهما عدو لصاحبه ان رآها أفزعته وان لدغته أوجعته فاقتلها حيث وجدتها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولكم فى الارض مستقر) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم بما حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم العسقلانى قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ولكم فى الارض مستقر قال هو قوله الذى جعل لكم الارض فراشا وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ولكم فى الارض مستقر قال هو قوله وجعل لكم الارض قرارا وقال آخرون معنى ذلك ولكم فى الارض قرار فى القبور ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى ولكم فى الارض مستقر يعنى القبور

لما نزلنا أو لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد ومعناه فأتوا بسورة مما هو على صفته فى البيان الغريب والنظم الانيق أو فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا أو أميا لم يقرأ الكتب ولم يقصد الى مثل ونظير معين ولكنه كقول من قال للحجاج وقد توعده بقوله لاحملنك على الادهم مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب أراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسط اليد ولم يقصد أحدا يجعله مثل الحجاج ورد الضمير على المنزل أوجه وعليه المحققون ويروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن ولان ذلك يطابق الآيات الاخر فأتوا بسورة من مثله فأتوا بعشر سور مثله ولان البحث انما وقع فى المنزل لا فى المنزل عليه اذ المعنى وان ارتبتم ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم شيأ مما يماثله ولو كان الضمير مردودا الى الرسول اقتضى الترتيب ان يقال وان ارتبتم فى ان محمدا صلى الله عليه وسلم منزل عليه فأتوا بسورة ممن يماثله ولو كان عائدا الى القرآن اقتضى ان يكونوا عاجزين عن الاتيان بمثله مجتمعين أو متفرقين أميين أو قارئين ولو عاد الى النبى صلى الله عليه وسلم اقتضى ان يكون الشخص الواحد

الامى الذى هو مثله عاجزا ولا شك ان الاعجاز على الوجه الاول أقوى ولا سيما فانه يلزم من الوجه الثانى تقرير نقص النبى صلى الله عليه وسلم وايهام ان الاتيان بالقرآن ممن يكون قارئا ممكن وأيضا الاول هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم اذ لو كان المراد فليأت واحد آخر اى بنحو ما أتى به هذا الواحد لم يحتج ان يستظهر بالشهداء وهى جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة والمراد بها اما آلهتهم كأنه قيل ان كان الامر كما تقولون من انها تستحق العبادة لما انها تنفع وتضر فقد وقعتم فى

وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنى عبد الرحمن بن مهدى عن اسرائيل عن اسمعيل السدى قال حدثنى من سمع ابن عباس قال ولكم فى الارض مستقر قال القبور وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولكم فى الارض مستقر قال مقامهم فيها والمستقر فى كلام العرب هو موضع الاستقرار فان كان ذلك كذلك فحيث كان من الارض موجودا حالا فذلك المكان من الارض مستقره وانما عنى الله جل ثناؤه بذلك ان لهم فى الارض مستقرا ومنزلا باما كنهم ومستقرهم من الجنة والسماء وكذلك قوله ومتاع يعنى به ان لهم فيها متاعا بمتاعهم فى الجنة ۞ القول فى تاويل قوله تعالى ذكره (ومتاع الى حين) قال أبو جعفر اختلف أهل التاويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم ولكم فيها بلاغ الى الموت ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى قوله ومتاع الى حين قال بلاغ الى الموت وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن اسرائيل عن اسمعيل السدى قال حدثنى من سمع ابن عباس ومتاع الى حين قال الحياة وقال آخرون بقوله ومتاع الى حين الى قيام الساعة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومتاع الى حين قال الى يوم القيامة الى انقطاع الدنيا وقال آخرون الى أجل ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ومتاع الى حين قال الى أجل والمتاع فى كلام العرب كل ما استمتع به من شئ فى معاش استمتع به أو رياش أو زينة أو لذة أو غير ذلك فان كان ذلك كذلك وكان الله جل ثناؤه قد جعل حياة كل حى متاعا له يستمتع بها أيام حياته وجعل الارض للانسان متاعا أيام حياته بقراره عليها واغتذائه بما أخرج الله منها من الاقوات والثمار والتذاذه بما خلق فيها من الملاذ وجعلها من بعد وفاته لجنبه كفاتا ولجسمه منزلا وقرارا وكان اسم المتاع يشمل جميع ذلك كان أولى التاويلات بالآية اذ لم يكن الله جل ثناؤه وضع دلالة دالة على انه قصد بقوله ومتاعا الى حين بعضا دون بعض وخاصا دون عام فى عقل ولا خبر ان يكون ذلك فى معنى العام وأن يكون الخبر أيضا كذلك الى الوقت يطول استمتاع بنى آدم وبنى ابليس بها وذلك الى ان تبدل الارض غير الارض فاذ كان ذلك أولى التاويلات بالآية لما وصفنا فالواجب اذا أن يكون تاويل الآية ولكم فى الارض منازل ومساكن تستقرون فيها استقراركم كان فى السموات وفى الجنات فى منازلكم منها واستمتاع منكم بها وبما أخرجت لكم منها وبما جعلت لكم فيها من المعاش والرياش والزين والملاذ وبما أعطيتكم على ظهرها أيام حياتكم ومن بعد وفاتكم لارماسكم وأجداثكم تدفنون فيها وتبلغون باستمتاعكم بها الى ان أبدلكم بها غيرها ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال أبو جعفر أما تاويل قوله فتلقى فانه أخذ وقيل أصله التفعل من اللقاء كما يتلقى الرجل الرجل يستقبله عند قدومه من غيبة أو سفر فكذلك ذلك فى قوله فتلقى كانه استقبله فتلقاه بالقبول حين أوحى اليه أو أخبر به فمعنى ذلك اذا فلقى الله آدم كلمات توبة فتلقاها آدم من ربه وأخذها عنه تائبا فتاب الله عليه بقيله اياها وقبوله اياها من ربه كما حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى

منازعة محمد الى فاقة شديدة فتعجلوا الاستعانة بها والا فاعلموا انكم مبطلون فيكون فى الكلام محاجتهم من جهتين من جهة ابطال كونها آلهة ومن جهة ابطال ما أنكروه من اعجاز القرآن واما أكابرهم وقساوتهم أى ادعوهم ليعينوكم على المعارضة أو ليحكموا لكم وعليكم ومعنى دون أدنى مكان من الشئ ومنه الشئ الدون وهو الحقير ودون الكتب اذا جمعها بتقليل المسافة بينها ويقال هذا دون ذلك اذا كان أحط منه قليلا ودونك هذا أى خذه من دونك أى من أدنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت فى الاحوال والرتب وقيل زيد دون عمرو فى الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد كان يثنى عليه رياء أنا دون هذا وفوق ما فى نفسك واتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ومن دون الله متعلق بشهداءكم أو بادعوا وعلى الاول يحتمل ثلاثة معان ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو ادعوا الذين زعمتم انهم يشهدون لكم بين يدى الله من قول الاعشى شعر

* تريك القذى من دونها وهى دونه *

أى تريك القذى قدام الزجاجة والحال ان الخمر قدام القذى لرقتها وصفائها وفى أمرهم ان يستظهروا بالجماد الذى لا ينطق فى معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم أو ادعوا شهداءكم من دون الله أى من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم أتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم فرسان البلاغة تابى بهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد وعلى الثانى يحتمل معنيين ادعوا من دون الله شهداءكم يعنى لا تشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم ظاهرة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم يبق لهم متشبث غير قولهم الله يشهد انا لصادقون سئل بعض العرب عن نسبه فقال قرشى والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله فى هذا المقام ريبة أو المراد بالشهداء الله تعالى وكل من له أهلية الحضور من الجن

والانس فكأنه قيل لهم ادعوا غير الله من الجن والانس من أردتم كقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية وانما استثنى الله لانه القادر وحده على ان يأتي بمثله دون كل شاهد وأعلم ان التحقيق في التحدى هو ان النبي يقول انى مخصوص من الله تعالى بمزيد الكرامة والنور وجعلني واسطة بينكم وبين هدايته فاتبعوني أهدكم سبيل الخير والرشاد وان كنتم في ريب مما أقول فانظر والى هذا الذى أقدر عليه باظهار الله تعالى اياه على يدى وأنتم لا تقدرون عليه لعدم اقداره لتعرفوا انى خصصت (١٨٧) بمزيد فضل من عنده وانى صادق فيما أقول فان أنصفوا من أنفسهم بمشيئة الله تعالى ونور هدايته اتبعوه واهتدوا والا بقوا في الضلالة خائبين وكل هذا من عالم الاسباب التي ربط الله تعالى بها المواقع والحوادث حسب ما أراد ولا يلزم من هذا أن يكون للعبد قدرة مستقلة يقع التحدى عليها بل الله يهدى من يشاء وكل بقدره وقوله ان كنتم صادقين قيد لقوله فأتوا ولقوله وادعوا المعطوف عليه ويجوز ان يكون قيدا لقوله وادعوا لان قوله فأتوا مقيد بقوله وان كنتم وجواب الشرط الثانى محذوف لدلالة ما قبله وهو مثله عليه التقدير وان كنتم في ريب فأتوا وان كنتم صادقين في ان أصنامكم تعينكم أو في ان القرآن غير معجز فادعوا شهداءكم وانما قلنا الجواب محذوف لان الجزاء لا يتقدم على الشرط فان للشرط صدر الكلام كالاستفهام ولهذا لم يلزم الفاء في قولك أنت مكرم ان جئتنى وانما تقدم ما يدل عليه ومثله في القرآن كثير فاعتبره في كل موضع وأما قوله فان لم تفعلوا ولن الآية فأقول أولا أنها تدل على اعجاز القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من وجوه أحدها انا نعلم بالتواتر أن العرب كانوا يعادونه صلى الله عليه وسلم أشد المعاداة ويتهالكون في ابطال أمره وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج منهم من أقوى ما يدل على ذلك فاذا انضاف اليه مثل هذا التقريع وهو قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو أمكنهم الاتيان بمثله لاتوا به وحيث لم يأتوا به ظهر كونه معجزا وثانيها انه صلى الله عليه وسلم ان كان متهما عندهم فيما يتعلق بالنبوة فقد كان معلوم الحال في وفور العقل فلو خاف صلى الله عليه وسلم عاقبة أمره لتوهم فيه صلى الله عليه وسلم حاشا عن ذلك لم يبالغ في التحدى الى هذه الغاية وثالثها انه صلى الله عليه وسلم لو لم يكن قاطعا بنبوته لكان يجوز خلافه وبتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور لا يقطع في الكلام قطعا وحيث جزم دل على صدقه ورابعها أن قوله ولن تفعلوا وفى لن تأكيد بليغ في نفى المستقبل الى يوم الدين اخبار بالغيب وقد

قوله فتلقى آدم من ربه كلمات الآية قال لقاهما هذه الآية ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقد قرأ بعضهم فتلقى آدم من ربه كلمات فجعل الكلمات هى المتلقية آدم وذلك وان كان من جهة العربية جائزا اذ كان ما تلقاه الرجل فهو متلق وما لقيه فقد لقيه فصار للمتكلم أن يوجه الفعل الى أيهما شاء ويخرج من الفعل أيهما أحب فغير جائز عندى في القراءة الا رفع آدم على انه المتلقى الكلمات لاجماع الحجة من القراء وأهل التأويل من علماء السلف والخلف على توجيه التلقى الى آدم دون الكلمات وغير جائز الاعتراض عليها فيما كانت عليه مجمعة بقول من يجوز عليه السهو والخطأ واختلف أهل التأويل في أعيان الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا ابن عطية عن قيس عن ابن أبى ليلى عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال أى رب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال أى رب ألم تنفخ فيّ من روحك قال بلى قال أى رب ألم تسكنى جنتك قال بلى قال أى رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال أرأيت ان أنا تبت وأصلحت أراجعى أنت الى الجنة قال بلى قال فهو قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وحدثنى على بن الحسن قال حدثنا مسلم قال حدثنا محمد بن مصعب عن قيس بن الربيع عن عاصم بن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس نحوه وحدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه كان آدم قال لربه اذ عصاه رب ان أنا تبت وأصلحت فقال له ربه انى راجعك الى الجنة وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا ابن زريع عن سعيد عن قتادة قوله فتلقى آدم من ربه كلمات ذكر لنا انه قال يارب أرأيت ان أنا تبت وأصلحت قال انى اذا راجعك الى الجنة قال وقال الحسين انهما قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وحدثنى المثنى قال حدثنا آدم العسقلانى قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات قال ان آدم لما أصاب الخطيئة قال يارب أرأيت ان تبت وأصلحت فقال الله اذا راجعك الى الجنة فهى من الكلمات ومن الكلمات أيضا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وحدثنى موسى قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فتلقى آدم من ربه كلمات قال رب ألم تخلقنى بيدك قيل له بلى قال ونفخت فيّ من روحك قيل له بلى قال وسبقت رحمتك غضبك قيل له بلى قال رب هل كنت كتبت هذا على قيل له نعم قال رب ان تبت وأصلحت هل أنت راجعى الى الجنة قيل له نعم قال الله فاجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال آخرون بما حدثنا به محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال حدثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع قال حدثنى من سمع عبيد بن عمير يقول قال آدم يارب خطيئتى التى أخطأتها أشئ كتبته على قبل أن تخلقنى أو شئ ابتدعته من قبل نفسى قال بلى شئ كتبته عليك قبل أن أخلقك قال كتبته على فاغفره لى قال فهو قول الله فتلقى آدم من ربه كلمات وحدثنا ابن سنان قال حدثنا مؤمل قال حدثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع قال أخبرنى من سمع عبيد بن عمير بمثله وحدثنا

ابن سنان قال حدثنا قطيع بن الجراح قال حدثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع عمن سمع عبيد ابن عمير يقول قال آدم فذكر نحوه وحدثنا الحسين بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عبد العزيز بن عمير بمثله وقال آخرون بما حدثنى به أحمد بن عثمان بن حكيم الاودى قال حدثنا عبد الرحمن بن شريك قال حدثنا أبى قال حدثنا حصين بن عبد الرحمن عن حميد ابن نبهان عن عبد الرحمن بن يزيد عن معاوية انه قال قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال آدم اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك تب على انك أنت التواب الرحيم وحدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو غسان قال أنبأنا أبو زهير وحدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال أخبرنا أبو أحمد قال حدثنا سفيان وقيس جميعا عن خصيف عن مجاهد فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات قال قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن حتى فرغ منها وحدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنى شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كان يقول فى قول الله فتلقى آدم من ربه كلمات الكلمات اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى انك خير الراحمين اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى انك خير الغافرين اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب انى ظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم وحدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبى عن النضر بن عربى عن مجاهد فتلقى آدم من ربه كلمات قال هو قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا الآية وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فتلقى آدم من ربه كلمات قال أى رب أتتوب على ان تبت قال نعم فتاب آدم فتاب عليه ربه وحدثنا الحسين بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات قال هو قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهذه الاقوال التى حكيناها عمن حكيناها عنه وان كانت مختلفة الالفاظ فان معانيها متفقة فى ان الله جل ثناؤه لقى آدم كلمات فتلقاهن آدم من ربه فقبلهن وعمل بهن وتاب بقيله اياهن وعمله بهن الى الله من خطيئته معترفا بذنبه متنصلا الى ربه من خطيئته نادما على ما سلف منه من خلاف أمره فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التى تلقاهن آدم من ربه وهن الكلمات التى أخبر الله عنه انه قالها متنصلا بقيلها الى ربه معترفا بذنبه وهو قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وليس ما قاله من خالف قولنا هذا من الاقوال التى حكيناها بمدفوع قوله ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها فيجوز لنا اضافته الى آدم وانه مما تلقاه من ربه عند انابته اليه من ذنبه وهذا الخبر الذى أخبر الله عن آدم من قيله الذى لقاه اياه فقاله تائبا اليه من خطيئته تعريف منه جل ذكره جميع المخاطبين بكتابه كيفية التوبة اليه من الذنوب وتنبيه للمخاطبين بقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم على موضع التوبة مما هم عليه من الكفر بالله وان خلاصهم مما هم عليه مقيمون من الضلالة نظير خلاص أبيهم آدم من خطيئته مع تذكيره اياهم به السالف اليهم من النعم التى خص بها اباهم آدم وغيره من آبائهم ۞ القول فى تاويل

وقع كما قال صلى الله عليه وسلم لان أحدا لو عارضه صلى الله عليه وسلم لم يمتنع أن يتواضعه الناس ويتناقلوه عادة لا سيما والطاعنون فيه صلى الله عليه وسلم أكثف عددا من الذابين عنه صلى الله عليه وسلم واذا لم تقع المعارضة الى الآن غلب على الظن بل حصل الجزم انها لا تقع أبدا لاستقرار الاسلام وقلة شوكة الطاعنين وانما جيء بان الذى للشك دون اذا الذى للوجوب والقطع مع ان انتفاء اتيانهم بالسورة واجب بناء على حسبانهم وطمعهم فانهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة لاتكالهم على بلاغتهم وأيضا فيه تهكم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم أبق عليك وانما اختير قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا على قوله فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله طلبا للوجازة فان الاتيان فعل من الافعال وحذف مفعول على كثير دون مفعول أتى فهو جار مجرى الكناية التى تعطيك اختصارا يغنيك عن طول المكنى عنه كما لو قلت أتيت فلانا وأعطيته درهما فيقال لك نعم ما فعلت وقوله ولن تفعلوا جملة معترضة لا محل لها وليس الواو للحال وانما هو للاستئناف والمعترضة تجيء بالواو وبدون الواو وقد اجتمعتا فى قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما لم يقل فان لم تفعلوا فاتركوا العناد كما هو الظاهر لان اتقاء النار لصيقة وضميمة ترك العناد فوضع موضعه من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره قول الملك لجيشه ان أردتم الكرامة عندى فاحذروا سخطى يريد فاتبعون وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط فهو من باب الكناية وفائدته الايجاز الذى هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانه الموجب للنار ولهذا شنع بتفظيع أمرها والوقود ما يرفع به النار وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح فان قلت صلة الذى والتى يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب أو سمعوه من رسول الله أو يكون اشارة الى ما نزلت بمكة قبل نزول هذه بالمدينة وذلك فى سورة التحريم قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ولهذا عرفت ههنا مشارا بها الى ما عرفوه ثمة أولا والمعنى اتقوا نارا ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة أو بانها توقد بنفس ما يراد احراقه واحماؤه أو بانها لافراط

تاويل قوله تعالى (فتاب عليه) قال أبو جعفر وقوله فتاب عليه يعنى على آدم والهاء التى فى عليه عائدة على آدم وقوله فتاب عليه يعنى رزقه التوبة من خطيئته والتوبة معناها الانابة الى الله والاوبة الى طاعته مما يكره من معصيته ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (انه هو التواب الرحيم) قال أبو جعفر وتاويل قوله انه هو التواب الرحيم ان الله جل ثناؤه هو التواب على من تاب اليه من عباده المذنبين من ذنوبه التارك مجازاته بانابته الى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه وقد ذكرنا ان معنى التوبة من العبد الى ربه انابته الى طاعته وأوبته الى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الامور التى كان عليها مقيما مما يكرهه ربه فكذلك توبة الله على عبده هو ان يرزقه ذلك ويؤوب اليه من غضبه عليه الى الرضا عنه ومن العقوبة الى العفو والصفح عنه وأما قوله الرحيم فانه يعنى انه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة ورحمته اياه اقالة عثرته وصفحه عن عقوبة جرمه وقد ذكرنا القول فى تاويل قوله قلنا اهبطوا منها جميعا فيما مضى فلا حاجة بنا الى اعادته اذ كان معناه فى هذا الموضع هو معناه فى ذلك الموضع وقد حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل ابن سالم عن أبى صالح فى قوله اهبطوا منها جميعا قال آدم وحواء والحية وابليس ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى ذكره (فاما يأتينكم منى هدى) قال أبو جعفر وتاويل قوله فاما يأتينكم منى هدى وما التى مع ان توكيد الكلام ولدخولها مع ان أدخلت النون المشددة فى يأتينكم تفرقة بدخولها بين ما التى تأتى بمعنى توكيد الكلام التى تسميها أهل العربية صلة وحشوا وبين ما التى تأتى بمعنى الذى فيؤذن بدخولها فى الفعل ان ما التى مع ان التى بمعنى الجزاء توكيد وليست ما التى بمعنى الذى وقد قال بعض نحوى البصريين ان ما ان زيدت معها ما وصار الفعل الذى بعده بالنون الخفيفة أو الثقيلة وقد يكون بغير نون وانما حسنت فيه النون لما دخلته ما لان ما نفى فهى مما ليس بواجب وهى الحرف الذى ينفى الواجب فحسنت فيه النون ونحو قولهم بعين ما أرينك حين أدخلت فيها ما حسنت النون فيما ههنا وقد أنكرت جماعة من أهل العربية دعوى قائلى هذه المقالة ان ما التى مع بعين ما أرينك بمعنى الجحد وزعموا ان ذلك بمعنى التوكيد للكلام وقال آخرون بل هو حشو فى الكلام ومعناها الحذف وانما معنى الكلام بعين أراك وغير جائز ان تجعل مع الاختلاف فيه أصلا يقاس عليه غيره ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى ذكره (هدى) قال أبو جعفر والهدى فى هذا الموضع البيان والرشاد كما حدثنا المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم العسقلانى قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله فاما يأتينكم منى هدى قال الهدى الانبياء والرسل والبيان فان كان ما قال أبو العالية فى ذلك كما قال فالخطاب بقوله اهبطوا وان كان لآدم وزوجته فيجب ان يكون مرادا به آدم وزوجته وذريتهما فيكون ذلك حينئذ نظير قوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين بمعنى أتينا بما فينا من الخلق طائعين ونظير قوله فى قراءة ابن مسعود ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرهم مناسكهم فجمع قبل ان تكون ذرية وهو فى قراءتنا وأرنا مناسكنا وكما يقول القائل لآخر كأنك قد تزوجت وولد لك وكثرتم وعززتم ونحو ذلك من الكلام وانما قلنا ان ذلك هو الواجب على التاويل الذى ذكرناه عن أبى العالية لان آدم كان هو النبى صلى الله

حرّها فاذا اتصلت بما لا يشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب والحجارة قيل هى حجارة الكبريت وقيل هى ما نحتوها أصناما انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لانهم لما اعتقدوا فيها انها شفعاؤهم عند الله وانهم ينتفعون بها او يدفعون المضار عن أنفسهم جعلها الله عذابهم ابلاغا فى ايلامهم وتوريثا النقيض مطلوبهم ونحوه مما يفعله بالذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله يمنعون حقوقها حيث يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم والتاء فى الحجارة لتأكيد التانيث فى الجماعة نحو صقورة وقد يدور فى الخلد من هذه الآية ومن قوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة ومن قوله نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ان المراد بالحجارة هى الافئدة أى وقودها الناس وقلوبهم وتخصيص القلب بالذكر لانه أشرف الاعضاء وأولى بالاحراق ان كان مقصرا فى درك ما خلق الانسان لاجله ومعنى اعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم وانما فقد العاطف لانها بدل من الصلة او استئناف كانه قيل لمن أعدت هذه النار فقيل أعدت للكافرين (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) الوقوف الانهار ط رزقا لا لان قالوا جواب كلما متشابها ط خالدون ه *التفسير انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة وانجر الكلام الى ذكر عقاب الكافرين شفع ذلك بذكر ثواب المؤمنين جريا على سننه المعهود من ذكر الترغيب مع الترهيب وضم البشارة الى الانذار والجمع بين الوعد والوعيد والجنة والنار وهل هما الآن مخلوقتان أم لا الظاهر الاول من نحو قوله أعدت للمتقين أعدت للكافرين والاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث صلاة الخسوف انى رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط يدل على وجودهما وكذا اسكنى آدم وحواء الجنة وقد جمع الله فى الآية جوامع اللذات من المسكن وهو الجنات ومن المطعم وهو الثمرات ومن المنكح وهو الازواج المطهرات ثم أزال عنهم نقص الزوال بقوله وهم فيها خالدون انما النعمة تمام الحبور وتكميلا لجهة السرور والبشارة الاخبار بما يظهر سرور

الخبر به ولهذا قال العلماء اذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشره فرادى عتق أولهم لانه هو الذي أظهر سروره بخبره ولو قال مكان بشرني أخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوءه فأما قوله فبشرهم بعذاب أليم فمن باب التهكم والاستهزاء فان قيل علام عطف هذا الامر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه قلنا ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والازهاق وبشر عمرو بالعفو والاطلاق ولك أن تقول معطوف على فاتقوا كقولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد باحساني اليهم وقال بعض المحققين انه معطوف على قل مقدرا قبل يا أيها الناس فان تقدير القول في القرآن مع وجود القرينة غير عزيز كقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا أي يقولان ربنا ثم المامور به في قوله وبشر اما الرسول واما كل من له استئهال ان يبشر والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة شعر

كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من آل لام بظهر الغيب تأتيني

واللام للجنس والمراد بالصالحات جملة الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف واستدل بهذه الآية من قال ان الاعمال غير داخلة في مسمى الايمان والا لزم التكرار ولمن زعم أن الايمان هو المجموع ان يقول عطف بعض الاجزاء على الكل جائز لغرض من الاغراض كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ثم ههنا مذاهب منهم من قال ان العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عقابا استحقاقا عقليا واجبا وهو قول أهل السنة ولا يرد عليه اشكال ومنهم من زعم انه يستحق الثواب بالايمان والعمل الصالح بشرط أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر والندم على ما أوجده من الطاعة وترك المعصية بدليل قوله لئن أشركت ليحبطن عملك وانما طوى ذكر هذا الشرط في الآية للعلم به فانه قد تقرر في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وهذا قول المعتزلة ومن يجري مجراهم ومنهم من أحال القول بالاحباط لان من آمن وعمل صالحا

عليه وسلم أيام حياته بعد ان أهبط الى الارض والرسول من الله جل ثناؤه الى ولده فغير جائز ان يكون معنيا وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فاما يأتينكم مني هدى خطابا له ولزوجته فاما يأتينكم مني هدى رسل الا على ما وصفت من التاويل وقول أبي العالية في ذلك فان كان وجها من التاويل تحتمله الآية فأقرب الى الصواب منه عندي وأشبه بظاهر التلاوة ان يكون تأويلها فاما يأتينكم مني يا معشر من أهبطته الى الارض من سمائي وهو آدم وزوجته وابليس كما قد ذكرنا قبل في تأويل الآية التي قبلها اما يأتينكم مني بيان من أمري وطاعتي ورشاد الى سبيلي وديني فمن اتبعه منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان كان قد سلف منهم قبل ذلك الى معصيتي وخلاف لامري وطاعتي يعرفهم بذلك جل ثناؤه انه التائب على من تاب اليه من ذنوبه والرحيم لمن أناب اليه كما وصف نفسه بقوله انه هو التواب الرحيم وذلك ان ظاهر الخطاب بذلك انما هو للذين قال لهم جل ثناؤه اهبطوا منها جميعا والذين خوطبوا به من سمائي في قول الحجة من الصحابة والتابعين الذين قد قدمنا الرواية عنهم وذلك وان كان خطابا من الله جل ذكره لمن أهبط حينئذ من السماء الى الارض فهو سنة الله في جميع خلقه وتعريف منه بذلك الذين أخبر عنهم في أول هذه السورة بما أخبر عنهم في قوله ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وفي قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ان حكمه فيهم ان تابوا اليه وأنابوا واتبعوا ما أتاهم من البيان من عند الله على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم انهم عنده في الآخرة ممن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وانهم ان هلكوا على كفرهم وضلالتهم قبل الانابة والتوبة كانوا من أهل النار المخلدين فيها وقوله فمن تبع هداي يعني فمن اتبع بياني الذي أبينه على ألسن رسلي أو مع رسلي كما حدثنا به المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية فمن تبع هداي يعني بياني وقوله فلا خوف عليهم يعني فهم آمنون في أهوال القيامة من عقاب الله غير خائفين عذابه بما أطاعوا الله في الدنيا واتبعوا أمره وهداه وسبيله ولا هم يحزنون يومئذ على ما خلفوا بعد وفاتهم في الدنيا كما حدثني يونس ابن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لا خوف عليهم يقول لا خوف عليكم امامكم وليس شيء أعظم في صدر الذي يموت مما بعد الموت فأمنهم منه وسلاهم عن الدنيا فقال ولا هم يحزنون وقوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا يعني والذين جحدوا آياتي وكذبوا رسلي وآيات الله حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته وما جاءت به الرسل من الاعلام والشواهد على ذلك وعلى صدقها فيما أنبأت عن ربها وقد بينا ان معنى الكفر التغطية على الشيء أولئك أصحاب النار يعني أهلها الذين هم أهلها دون غيرهم المخلدون فيها الى غير أمد ولا نهاية كما حدثنا به عقبة بن سنان البصري قال حدثنا غسان ابن مضر قال حدثنا سعيد بن زيد وحدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال حدثنا بشر بن الفضل قال حدثنا أبو مسلمة سعيد بن يزيد وحدثني يعقوب بن ابراهيم وبكر أبي بن عون قال حدثنا اسمعيل بن علية عن سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون لكن أقوام أصابتهم النار بخطاياهم أو بذنوبهم فأماتتهم اماتة حتى اذا صاروا فحما أذن في الشفاعة ﴿ القول في تأويل

قوله

استحق الثواب الدائم فلو فرض احباط بكفره لاستحق العقاب الدائم والجمع بينهما محال ولا يخفى ضعف هذا المذهب فان الامور بخواتيمها
قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل أهل النار وانه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانما الاعمال بالخواتيم
والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه والتركيب دائر على معنى الستر كأنها فعلة من جنه اذا ستره وسميت دار
الثواب كلها جنة لما فيها من الجنان على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فلهذا

قوله تعالى ذكره (يا بني اسرائيل) قال أبو جعفر يعني بقوله جل ثناؤه يا بني اسرائيل يا ولد يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن وكان يعقوب يدعى اسرائيل بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه وايل هو الله واسرى هو العبد كما قيل جبريل حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن الاعمش عن اسمعيل ابن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس ان اسرائيل كقولك عبد الله وحدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن الاعمش عن المنهال عن عبد الله بن الحرث قال ايل الله بالعبرانية وانما خاطب الله جل ثناؤه بقوله يا بني اسرائيل أحبار اليهود من بني اسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسبهم جل ذكره الى يعقوب كما نسب ذرية آدم الى آدم فقال يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وما أشبه ذلك وانما خصهم بالخطاب في هذه الآية والتي بعدها من الآي التي ذكرهم فيها نعمه واذا كان قد تقدم ما أنزل فيهم وفي غيرهم في أول هذه السورة ما قد تقدم ان الذي احتج به من الحجج في الآيات التي فيها أنباء اسلافهم وأخبار أوائلهم وقصص الامور التي هم بعلمها مخصوصون دون غيرهم من سائر الامم ليس عند غيرهم من العلم بصحته وحقيقته مثل الذي لهم من العلم به الا لمن عندهم فليس علم ذلك الا منهم فعرفهم باطلاع محمد على علمها مع بعد قومه وعشيرته من معرفتها وقلة مزاولة محمد صلى الله عليه وسلم دراسة الكتب التي فيها أنباء ذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يصل الى علم ذلك الا بوحي من الله وتنزيل منه ذلك اليه لانهم من علم صحة ذلك بمحل ليس به من الامم غيرهم فلذلك جل ثناؤه خص بقوله يا بني اسرائيل خطابهم كما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله يا بني اسرائيل قال يا أهل الكتاب للاحبار من يهود ۞ القول في تأويل قوله (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) قال أبو جعفر ونعمه التي أنعم على بني اسرائيل جل ذكره اصطفاؤه منهم الرسل وانزاله عليهم الكتب واستنقاذه اياهم مما كانوا فيه من البلاء والضراء من فرعون وقومه الى التمكين لهم في الارض وتفجير عيون الماء من الحجر واطعام المن والسلوى فأمر جل ثناؤه أعقابهم ان يكون ما سلف منه الى آبائهم على ذكر وأن لا ينسوا صنيعه الى اسلافهم وآبائهم فيحل بهم من النقم ما أحل بمن نسي نعمه عنده منهم وكفرها وجحد صنائعه عنده كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم أي بلائي عندكم وعند آبائكم لما كان نجاهم من فرعون وقومه وحدثني المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله اذكروا نعمتي قال نعمته ان جعل منهم الانبياء والرسل وأنزل عليهم الكتب وحدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم يعني نعمته التي أنعم على بني اسرائيل فيما سمى وفيما سوى ذلك فجر لهم الحجر وأنزل عليهم المن والسلوى وأنجاهم من عبودية آل فرعون وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله نعمتي التي أنعمت عليكم قال نعمه عامة ولا نعمة أفضل من الاسلام والنعم بعد تبع لها وقرأ قول الله يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم الآية وتذكير الله الذين

نكرت والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية الغالبة النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي لان الجاري هو الماء وكذا من تحتها أي من تحت أشجارها وأنزه البساتين وأكرمها منظرا ما كانت أشجارها مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولاها كانت كتماثيل لا روح فيها وصورة لا حياة لها وانما عرفت الانهار لان المراد بها الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب أو يراد بها أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة مثل واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها أنهار من ماء غير آسن الآية وكلما رزقوا اما صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أي هم كلما رزقوا أو جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أي أجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله ومن في منها

ومن ثمرة لابتداء الغاية كما لو قلت رزقني فلان فيقال من أين فتقول من بستانه فيقال من أي ثمرة فتقول من الرمان فالرزق قد ابتدئ من الجنات
والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من أنواع الثمار
ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك أسدا تريد أنت أسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار
والجنات الواحدة لان التفاحة الواحدة لا يصدق عليها انها رزق كما ان نوع التفاح يصدق عليه ذلك بخلاف ابتداء الرزق من الجنات فان

ذلك انما يكون بنوع التفاح أولا و بالذات و بشخصه ثانيا و بالعرض لان التشخص أمر زائد على حقيقة الشئ فاعلم وانتصاب رزقا على انه مفعول ثان لرزقوا ومعنى هذا الذى أى هذا مثل الذى رزقنا من قبل نحو أبو يوسف أبو حنيفة لان ذات الذى رزقوه فى الجنة لا تكون هى ذات الذى رزقوه فى الدنيا والضمير فى قوله وأتوا به يرجع الى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذى رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين والغرض فى تشابه ثمر الدنيا وثمر الآخرة ان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود أميل ولانه اذا ظفر بشئ من جنس ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة أفرط ابتهاجه وطال استعجابه وتبين كنه النعمة فيه فاذا أبصر والرمانة والنبقة فى الدنيا وحجمها جحمها ثم أبصر رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة كقلال هجر كما ورن الشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك أبين للفضل وأزيد فى التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهى الامر فى ظهور المزية وكمال الاستغراب فى كل أوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها الى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجرى فى غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير فى أتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه اما التساوى ثوابهم فى كل الاوقات فى القدر والدرجة حتى لا يزيد ولا ينقص واما لان الانسان اذا التذ بشئ وأعجبه لا تتعلق نفسه الا بمثله فاذا جاءه بما يشبه الاول من كل الوجوه كان ذلك نهاية اللذة وعن الحسن ان الاشتباه فى اللون فقط قال يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذى أوتيناه من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده ان الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا أبصروها والهيئة هيئتها الاولى قالوا ذلك ويحتمل ان يقال ان كمال السعادة ليس الا فى معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله من الملائكة الكروبية والملائكة الروحانية

ذكرهم جل ثناؤه بهذه الآية من نعمه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم نظير تذكير موسى صلوات الله عليه لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم) قال أبو جعفر قد تقدم بياننا معنى العهد فيما مضى من كتابنا هذا واختلاف المختلفين فى تأويله والصواب عندنا من القول فيه وهو فى هذا الموضع عهد الله ووصيته التى أخذ على بنى اسرائيل فى التوراة ان يبينوا للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم وانه يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة انه نبى الله وان يؤمنوا به وبما جاء به من عند الله أوف بعهدكم وعهده اياهم انهم اذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة كما قال جل ثناؤه ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا الآية وكما قال فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الامى الآية وكما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد ابن جبير عن ابن عباس وأوفوا بعهدى الذى أخذت فى أعناقكم للنبى محمد صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم أوف بعهدكم أى أنجز لكم ما وعدتكم عليه بتصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الاصر والاغلال التى كانت فى أعناقكم بذنوبكم التى كانت من احداثكم وحدثنا المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله أوف بعهدكم يعنى الجنة وحدثنا موسى ابن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى أوفوا بعهدى أوف بعهدكم أما أوفوا بعهدى فما عهدت اليكم فى الكتاب وأما أوف بعهدكم فالجنة عهدت اليكم انكم ان عملتم بطاعتى أدخلتكم الجنة وحدثنى القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله أوفوا بعهدى أوف بعهدكم قال ذلك الميثاق الذى أخذ عليهم فى المائدة ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا الى آخر الآية فهذا عهد الله الذى عهد اليهم وهو عهد الله فينا فمن أوفى بعهد الله وفى الله له بعهده وحدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم يقول أوفوا بما أمرتكم به من طاعتى ونهيتكم عنه من معصيتى فى النبى صلى الله عليه وسلم وفى غيره أوف بعهدكم يقول أرضى عنكم وأدخلكم الجنة وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم قال أوفوا بأمرى أوف بالذى وعدتكم وقرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم حتى بلغ ومن أوفى بعهده من الله قال هذا عهده الذى عهد لهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (واياى فارهبون) قال أبو جعفر وتأويل قوله واياى فارهبون واياى فاخشوا واتقوا أيها المضيعون عهدى من بنى اسرائيل والمكذبون رسولى الذى أخذت ميثاقكم فيما أنزلت من الكتب على أنبيائى ان تؤمنوا به وتتبعوه ان أحل بكم من عقوبتى ان لم تنيبوا وتتوبوا الى باتباعه والاقرار بما أنزلت اليه ما أحللت بمن خالف أمرى وكذب رسلى من اسلافكم كما حدثنى به محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واياى فارهبون ان أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التى قد

عرفتم

عرفتم من المسح وغيره وحدثنا المثنى بن ابراهيم قال حدثنى آدم العسقلانى عن الربيع عن أبى العالية فى قوله واياى فارهبون يقول فاخشون وحدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى واياى فارهبون يقول واياى فاخشون ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) قال أبو جعفر يعنى بقوله آمنوا صدقوا كما قد قدمنا البيان عنه قبل و يعنى بقوله بما أنزلت ما أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن و يعنى بقوله مصدقا لما معكم ان القرآن مصدق لما مع اليهود من بنى اسرائيل من التوراة فأمرهم بالتصديق بالقرآن وأخبرهم جل ثناؤه ان فى تصديقهم بالقرآن تصديقا منهم للتوراة لان الذى فى القرآن من الامر بالاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه واتباعه نظير الذى من ذلك فى الانجيل والتوراة ففى تصديقهم بما أنزل على محمد تصديق منهم لما معهم من التوراة وفى تكذيبهم به تكذيب منهم لما معهم من التوراة وقوله مصدقا قطع من الهاء المتروكة فى أنزلته من ذكر ما ومعنى الكلام وآمنوا بالذى أنزلته مصدقا لما معكم أيها اليهود والذى معهم هو التوراة والانجيل كما حدثنا به محمد بن عمرو الباهلى قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم يقول انما أنزلت القرآن مصدقا لما معكم التوراة والانجيل وحدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وحدثنى المثنى قال حدثنا آدم قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم يقول يا معشر أهل الكتاب آمنوا بما أنزلت على محمد مصدقا لما معكم يقول لانهم يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولا تكونوا أول كافر به) قال أبو جعفر فان قال لنا قائل كيف قيل ولا تكونوا أول كافر به والخطاب خبر لجمع وكافر واحد وهل نجيزان كان ذلك جائزا أن يقول قائل لا تكونوا أول رجل قام قيل له انه يجوز توحيد ما أضيف له أفعل وهو خبر لجمع اذا كان اسما مشتقا من فعل و يفعل لانه يؤدى عن المراد معه المحذوف من الكلام وهو من يقوم مقامه فى الاداء عن معنى ما كان يؤدى عنه من الجمع والتانيث وهو فى لفظ واحد ألا ترى انك تقول ولا تكونوا أول من يكفر به فمن بمعنى جميع وهو غير متصرف تصرف الاسماء للتثنية والجمع والتانيث فاذا أقيم الاسم المشتق من فعل و يفعل مقامه جرى وهو موحد مجراه فى الاداء عما كان يؤدى عنه من معنى الجمع والتانيث كقولك الجيش منهزم والجمع مقبل فتوحد الفعل لتوحيد لفظ الجيش والجند وغير جائز أن يقال الجيش رجل والجند غلام حتى تقول الجند غلمان والجيش رجال لان الواحد من عدد الاسماء التى هى غير مشتقة من فعل ويفعل لا يؤدى عن معنى الجماعة منهم ومن ذلك قول الشاعر

واذا هم طعموا فألأم طاعم ＊ واذا هم جاعوا فشر جياع

فوحد مرة على ما وصفت من نيته من واقامة الظاهر من الاسم الذى هو مشتق من فعل و يفعل مقامه وجمع أخرى على الاخراج على عدد أسماء المخبر عنهم ولو وحد حيث جمع أو جمع حيث وحد كان صوابا جائزا فاما تاويل ذلك فانه يعنى به يا معشر أحبار أهل الكتاب صدقوا بما أنزلت على رسولى محمد صلى

وطبقات الارواح وعالم السموات بحيث يصير روح الانسان كالمرآة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل فى الدنيا ولكن لا يحصل بها كمال الالتذاذ والابتهاج لمكان العلائق البدنية واذا زال العائق بعد الموت وشاهد تلك المعارف قال هذه هى التى كانت حاصلة لى فى الدنيا ووجد كمال اللذة والسرور وقال أهل التحقيق الجنة جنة الوصول وأشجارها هى الملكات الجيدة والاخلاق الفاضلة والثمرات ثمرات المكاشفات والمشاهدات والاسرار والاشراقات والالهامات وغيرها من المواهب وانهم يشاهدون أحوال الاشيء فى صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيقول بعض المتوسطين منهم ان هذا المشاهد هو الذى شاهدته قبل هذا فتكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى حقيقة أخرى كما ان موسى شاهد نور الهداية فى صورة نار فتكون تارة تلك النار صفة غضبية كما كان لموسى اذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا وتارة تكون نار المحبة تقع فى محبوبات النفس فتحرقها وتارة تكون نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فافهم وأيضا كل شئ له صورة فى الدنيا فله فى الآخرة معنى آخر غيبى كقوله صلى الله عليه وسلم فى دماء الشهداء اللون لون الدم والريح ريح المسك فاعلم وقوله وأتوا به متشابها جملة معترضة تفيد زيادة التقرير كقولك فلان أحسن الى فلان ونعم ما فعل والمراد بتطهير الازواج تطهيرهن من الاقذار والادناس لاسيما التى تختص بالنساء وكذا من الاخلاق الذميمة وعادات السوء وهم الغيبات فصيحتان النساء فعلت وهن فاعلة والمعنى ولهم جماعة أزواج مطهرة وفى مطهرة فخامة لصفتهن ليست فيما لو قيل طاهرة وهى الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد لعباده ان يخولهم كل مزية فيما أعد لهم

وههنا نكتة وهى ان المرأة اذا حاضت فانه تعالى يمنع من مباشرتها فقال فاعتزلوا النساء فى المحيض مع انها معذورة فى تنجسها فاذا كانت اللواتى فى الجنة مطهرات فلان يمنعك عنهن اذا كنت متنجسا بالمعاصى مع انك غير معذور فيها كان أولى وأيضا من قضى شهوته من الحلال فانه يمنع من الدخول فى المسجد الذى يدخل فيه كل بر وفاجر فمن قضى شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التى لا يسكنها الا المطهرون وكفى

دليلا على ذلك باخراج آدم منها بسبب الزلة الصادرة عنه وأيضا من كان على ثوبه ذرة من النجاسة لا تجوز صلاته أو يستكره فكيف بمن على
وعلى قلبه جبال من نجاسات الذنوب والمعاصي والخلد عند المعتزلة الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع بدليل قوله وما جعلنا لبشر من
قبلك الخلد نفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم ومنكم من يرد الى أرذل العمر وعند الاشاعرة الخلد هو الثبات الطويل دام أو لم يدم ولو
كان التأبيد داخلا في مفهوم الخلد كان قوله خالدين فيها أبدا تكرارا ويقال في العرف حبسه حبسا مخلدا أو وقف

الله عليه وسلم من القرآن المصدق كتابكم والذي عندكم من التوراة والانجيل المعهود اليكم فيهما
انه رسولي ونبيي المبعوث بالحق ولا تكونوا أول من كذب به وجحد انه من عندي وعندكم من العلم به
ماليس عند غيركم وكفرهم به جحودهم انه من عند الله والهاء التي في به من ذكر ما التي مع قوله وآمنوا
بما أنزلت كما حدثني القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا حجاج قال قال ابن جريج في قوله
ولا تكونوا أول كافر به بالقرآن ۞ قال أبو جعفر وروى عن أبي العالية في ذلك ما حدثني به
المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ولا تكونوا أول كافر به يقول
لا تكونوا أول من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ولا تكونوا أول كافر به يعني بكتابكم
ويتأول ان في تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم تكذيبا منهم بكتابهم لان في كتابهم الامر باتباع
محمد صلى الله عليه وسلم وهذان القولان من ظاهر ما تدل عليه التلاوة بعيدان وذلك ان الله جل ثناؤه
أمر المخاطبين بهذه الآية في أولها بالايمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فقال جل ذكره
وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ومعقول ان الذي أنزله الله في عصر محمد صلى الله عليه وسلم هو
القرآن لا محمد لان محمدا صلوات الله عليه رسول مرسل لا تنزيل منزل والمنزل هو الكتاب ثم نهاهم ان
يكونوا أول من يكفر به بالذي أمرهم بالايمان به في أول الآية من أهل الكتاب فذلك هو الظاهر
المفهوم ولم يجر لمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ذكر ظاهر فيعاد عليه بذكره مكنيا في قوله
ولا تكونوا أول كافر به وان كان غير محال في الكلام أن يذكر مكني اسم لم يجر له ذكر ظاهر في
الكلام وكذلك لا معنى لقول من زعم أن العائد من الذكر في به على ما التي في قوله لما معكم لان ذلك
وان كان محتمل ظاهر الكلام فانه بعيد مما يدل عليه ظاهر التلاوة والتنزيل لما وصفنا قبل من أن
الامر بالايمان به في أول الآية هو القرآن فكذلك الواجب ان يكون النهي عن الكفر به في آخرها
هو القرآن وأما أن يكون المأمور بالايمان غير المنهي عن الكفر به في كلام واحد وآية واحدة
فذلك غير الاشهر الاظهر في الكلام هذا مع بعد معناه في التأويل حدثنا ابن حميد قال حدثنا
سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ماليس عند
غيركم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) قال أبو جعفر اختلف
أهل التأويل في تأويل ذلك فحدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن
الربيع عن أبي العالية ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا يقول لا تأخذوا عليه أجرا قال وهو مكتوب
عندهم في الكتاب الاول يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا وقال آخرون بما حدثني به موسى بن
هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا يقول
لا تأخذوا طمعا قليلا وتكتموا اسم الله فذلك الطمع هو الثمن فتأويل الآية اذا لا تبيعوا ما آتيتكم
من العلم بكتابي وآياته بثمن خسيس وعرض من الدنيا قليل وبيعهم اياه تركهم ابانة ما في كتابهم
من أمر محمد صلى الله عليه وسلم للناس وانه مكتوب فيه انه النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في
التوراة والانجيل وثمن قليل هو رضاهم بالرياسة على اتباعهم من أهل ملتهم ودينهم وأخذهم الاجر

وقفا مخلدا والحق ان خوف
الانقطاع ينقص النعمة وذلك
لا يليق بأكرم الاكرمين (ان
الله لا يستحيي أن يضرب مثلا
ما بعوضة فما فوقها فأما الذين
آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم
وأما الذين كفروا فيقولون ماذا
أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا وما يضل به الا
الفاسقين الذين ينقضون عهد
الله من بعد ميثاقه ويقطعون
ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون
في الارض أولئك هم الخاسرون)
الوقوف فما فوقها ط من ربهم
ج لان الجملتين وان اتفقتا فكلمة
اما للتفصيل بين الجمل مثلا ملام لانه لو
وصل صار ما بعده صفة له وليس
بصفة انما هو ابتداء اخبار من الله
عز وجل جوابا لهم ويهدي به
كثيرا ط الفاسقين لا لان
الذين صفتهم ميثاقه ص لعطف
المتفقتين في الارض ص الخاسرون ٭
٭ التفسير لما بين كون القرآن معجزا
أورد شبهة أوردها الكفار قدحا
في ذلك وأجاب عنها عن ابن عباس
لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين
للمنافقين يعني قوله مثلهم كمثل
الذي استوقد نارا وقوله أو كصيب
قالوا الله أجل وأعلى من ان يضرب
الامثال فأنزل الله هذه الآية وعن
الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب
والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود به وقالوا ما يشبه هذا كلام الله
فنزلت والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور وأجناس الارض وهذه أمثال العرب بين أيديهم
مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الاشياء فقالوا أجرأ من الذباب وأضعف من بعوضة وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت
الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان حب يخالط البر وكحبة خردل والمنخل والحصاة والارضة والدود والزنابير قال مثل ملكوت السماء

ممن

ممن يبنواله ذلك على مابينوا له منه واغا قلنا معنى ذلك لا تبيعوا لان مشترى الثمن القليل با آيات الله بائع الآيات بالثمن فكل واحد من الثمن والمثمن مبيع لصاحبه وصاحبه به مشترى واغا معناه على ما تاوله أبو العالية بينوا للناس امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا تبتغوا عليه منهم أجرا فيكون حينئذ نهيه عن أخذ الاجر على تبيينه هو النهى عن شراء الثمن القليل با آياته ۞ القول فى تاويل قوله تعالى ذكره (واياى فاتقون) قال أبو جعفر اتقون فى بيعكم آياتى بالخسيس من الثمن وشرائكم بها القليل من العرض وكفركم بما أنزلت على رسولى وجحودكم نبوة نبيى ان أحل بكم ما أحللت باسلافكم الذين سلكوا سبيلكم من المثلات والنقمات ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولا تلبسوا الحق بالباطل) قال أبو جعفر يعنى بقوله لا تلبسوا لا تخلطوا واللبس هو الخلط يقال منه لبست عليهم الامر ألبسه لبسا اذا خلطته عليهم كما حدثت عن المنجاب عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قوله للبسنا عليهم ما يلبسون يقول لخلطنا عليهم ما يخلطون ومنه قول العجاج

لما لبسن الحق بالتجنى * غنين واستبدلن زيدا منى

يعنى بقوله لبسن خلطن واما اللبس فانه يقال منه لبسته ألبسه لبسا وملبسا وذلك فى الكسوة يكتسيها فيلبسها ومن اللبس قول الاخطل

ولقد لبست لهذا الدهر أعصره * حتى تخلل رأسى الشيب واشتعلا

ومن اللبس قول الله جل ثناؤه وللبسنا عليهم ما يلبسون ان قال لنا قائل وكيف كانوا يلبسون الحق بالباطل وهم كفار وأى حق كانوا عليه مع كفرهم بالله قيل انه كان فيهم منافقون منهم يظهرون التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ويستبطنون الكفر به وكان أعظمهم يقولون محمد نبى مبعوث الا انه مبعوث الى غيرنا فكان لبس المنافق منهم الحق بالباطل اظهاره الحق بلسانه واقراره لمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به جهارا وخلطه ذلك الظاهر من الحق بالباطل الذى يستبطنه وكان لبس النفر منهم بانه مبعوث الى غيرهم الجاحد انه مبعوث اليهم اقراره بانه مبعوث الى غيرهم وهو الحق وجحوده انه مبعوث اليهم وهو الباطل وقد بعثه الى الخلق كافة فذلك خلطهم الحق بالباطل ولبسهم اياه به كما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل قال لا تخلطوا الصدق بالكذب وحدثنى المثنى قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية ولا تلبسوا الحق بالباطل يقول لا تخلطوا الحق بالباطل وأدوا النصيحة لعباد الله فى أمر محمد عليه السلام وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد ولا تلبسوا الحق بالباطل اليهودية والنصرانية بالاسلام وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل قال الحق التوراة الذى أنزل الله على موسى والباطل الذى كتبوه بايديهم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى ذكره (وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) قال أبو جعفر وفى تاويل قوله وتكتموا الحق وجهان من التاويل ان يكون الله جل ثناؤه نهاهم عن ان يكتموا الحق كما نهاهم ان يلبسوا الحق بالباطل فيكون تاويل ذلك حينئذ ولا تلبسوا الحق بالباطل ولا تكتموا الحق ويكون قوله وتكتموا عند ذلك مجزوما بما جزم به تلبسوا عطفا عليه والوجه الآخر منهما ان

مثل رجل زرع فى قريته حنطة جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة فلما نبت الزرع واشتد غلب عليه الزوان فقال عبيد الزارع يا سيدنا أليس حنطة جيدة نقية زرعت فى قريتك فقال بلى قالوا فمن أين هذا الزوان قال لعلكم ان ذهبتم ان تقلعوا الزوان تقلعوا معه حنطة دعوهما يتربيان جميعا حتى الحصاد فامر الحصادين ان يلتقطوا الزوان من الحنطة وان يربطوه حزما ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة الى الجرين وأفسر لكم ذلك الرجل الذى زرع الحنطة الجيدة وهو أبو البشر والقرية هى العالم والحنطة الجيدة النقية هو أبناء الملكوت الذين يعملون بطاعة الله والعدو الذى يزرع الزوان هو ابليس والزوان المعاصى التى يزرعها ابليس وأصحابه والحصادون هم الملائكة يتركون الناس حتى تدنو آجالهم فيحصدون أهل الخير الى ملكوت الله وأهل الشر الى الهاوية وكما ان الزوان يلتقط ويحرق بالنار فكذلك رسل الله وملائكته يلتقطون من ملكوته المتكاسلين وجميع عمال الاثم فيلقونهم فى اتون الهاوية فيكون هنالك البكاء وصريف الاسنان ويكون الابرار هنالك فى ملكوت ربهم من كانت له أذن تسمع فليسمع واضرب لكم مثلا آخر يشبه ملكوت السماء رجل آخر أخذ حبة الخردل وهى أصغر الحبوب فزرعها فى قريته فلما نبتت عظمت حتى صارت كاعظم شجرة من البقول وجاء طير السماء فعشش فى فروعها فكذلك الهدى من دعا اليه تعالى ضاعف الله أجره وعظمه ورفع ذكره ونجا به من اهتدى وقال لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الطيب ويمسك النخالة كذلك أنتم تخرج الحكمة من أفواهكم وتبقون الغل فى صدوركم وقال قلوبكم كالحصاة التى لا تنضجها النار ولا يلينها الماء ولا ينسفها الرياح وقال لا تدخروا ذخائركم حيث السوس والارضة فتفسد ولا فى البرية حيث السموم واللصوص فتحرقها السموم وتسرقها اللصوص ولكن ادخروا ذخائركم عند الله حيث تخفر فتجد دواب عليها الباسها وهناك رزقها وهن لا يغزلن ولا يشخصن ومنهن ما هو فى جوف الحجر الاصم وفى جوف العود من يأتيهن بلباسهن وأرزاقهن الا الله أفلا تعقلون وقال لا تثيروا الزنابير فتلدغكم كذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتمونى هذا ونحن نرى ان الانسان يذكر معنى فلا يلوح كما ينبغى فاذا ذكر المثال اتضح وانكشف وذلك ان من طبع الخيال حب المحاكاة فاذا ذكر المعنى وحده أدركه العقل ولكن

مع منازعة الخيال واذا ذكر التشبيه معه أدركه العقل مع معاونة الخيال ولا شك ان الثانى يكون أكمل واذا كان التمثيل يقصد به زيادة
البيان والوضوح وجب ذكره فى الكتاب الذى أنزل تبيانا لكل شئ ثم ان الله تعالى هو الذى خلق الكبير والصغير وحكمته فى كل
ماخلق وبرأ عامة بالغة وليس الصغير أحب اليه من الكبير ولا الكبير أصعب عليه من الصغير فالمعتبر اذن ما يليق بالقصة فاذا كان الالائق
بها الذباب والعنكبوت لخسة مضرب المثل ووهنه فكيف يضرب بالفيل وبشئ مستحكم النسج والصفاقة وهذا
مما لا يخفى على من به أدنى مسكة
ولكن ديدن المحجوج المبهوت دفع
الواضح وانكار المستقيم شعر
وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم
والحياء تغير وانكسار يعترى
الانسان من تخوف ما يعاب به
ويذم واشتقاقه من الحياة يقال
حيي الرجل كما قال نسي وخشي
اذا اشتكى النساء والحشا وكأن
الحيي صار منتقص القوة منتكس
الحياة وقد عرفت فى الاسماء
الحسنى ان أمثال هذه الصفات
انما يجوز ان يطلق على الله تعالى
بعد الاذن الشرعى باعتبار النهايات
لا باعتبار المبادى فحديث سلمان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله حيي كريم يستحى اذا رفع
اليه العبد يديه ان يردهما صفرا
حتى يضع فيهما خيرا انما جاء على
سبيل التمثيل لانه مثل تركه
تخييب العبد بترك من يترك رد
المحتاج اليه حياء منه ومعنى قوله
ان الله لا يستحى أى لا يترك ضرب
المثل بالبعوضة ترك من يستحى ان
يمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع
هذه العبارة فى كلام الكفرة
فقالوا اما يستحى رب محمد ان يضرب
مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت
على سبيل المقابلة والطباق وهو فن
بديع قال أبو تمام شعر
من مبلغ افناء يعرب كلها * انى بنيت الجار قبل المنزل فلولا بناء الدار لم يصح بناء الجار الى
وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه شعر اذا ما استحر الماء يعرض نفسه * كرعن بسبت فى اناء من الورد فيصف كثرة مياه الامطار فى طرقهم وانه
أينما ذهب رأى الماء وكأنه يعرض نفسه على النوق فتستحى فتكرع فيه بمشافر كأنها السبت وهو الجلد المدبوغ بالقرظ وشبه الارض
وفيها الماء وحواليه الازهار باناء من الورد وفيه لغتان استحييت منه واستحيته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب

يكون النهى من الله جل ثناؤه لهم عن ان يلبسوا الحق بالباطل ويكون قوله وتكتموا الحق خبرا
منه عنهم بكتمانهم الحق الذى يعلمونه فيكون قوله وتكتموا حينئذ منصوبا بالانصرافه عن معنى قوله
ولا تلبسوا الحق بالباطل اذ كان قوله ولا تلبسوا نهيا وقوله وتكتموا الحق خبر وتسميه النحويون
صرفا ونظير ذلك فى المعنى والاعراب قول الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

فنصب تأتى على التأويل الذى قلنا فى قوله وتكتموا الآية لانه لم يرد لا تنه عن خلق ولا تأت مثله
وانما معناه لا تنه عن خلق وأنت تأتى مثله فكان الاول نهيا والثانى خبرا فنصب الخبر اذ عطفه على غير
شكله فاما الوجه الاول من هذين الوجهين اللذين ذكرنا أن الآية تحتملهما فهو على مذهب ابن
عباس الذى حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى
روق عن الضحاك عن ابن عباس قوله وتكتموا الحق يقول ولا تكتموا الحق وأنتم تعلمون وحدثنا
ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس وتكتموا الحق أى ولا تكتموا الحق وأما الوجه الثانى منهما فهو على مذهب أبى
العالية ومجاهد حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن
أبى العالية وتكتموا الحق وأنتم تعلمون قال كتموا بعث محمد صلى الله عليه وسلم وحدثنا محمد بن
عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه وحدثنى المثنى
قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه وأما تأويل الحق الذى كتموه
وهم يعلمونه فانه ما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد
ابن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وتكتموا الحق يقول لا تكتموا ما عندكم
من المعرفة برسولى وما جاء به وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بايديكم وحدثنا أبو
كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن
عباس وتكتموا الحق يقول انكم قد علمتم أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن ذلك
وحدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله
وتكتموا الحق وأنتم تعلمون قال يكتم أهل الكتاب محمدا وهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة
والانجيل وحدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد مثله وحدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى
وتكتموا الحق وأنتم تعلمون قال الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم وحدثنى المثنى قال حدثنا آدم
قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية وتكتموا الحق وأنتم تعلمون قال كتموا بعث محمد صلى
الله عليه وسلم وهم يجدونه مكتوبا عندهم وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن
ابن جريج عن مجاهد تكتمون محمدا وأنتم تعلمون فانتم تجدونه عندكم فى التوراة والانجيل فتأويل
الآية اذا ولا تخلطوا على الناس أيها الاحبار من أهل الكتاب فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من
عند ربه وتزعموا أنه مبعوث الى بعض أجناس الامم دون بعض أو تنافقوا فى أمره وقد علمتم أنه مبعوث

الى جميعكم وجميع الامم غيركم فتخلطوا بذلك الصدق بالكذب وتكتموا به ماتجدونه فى كتابكم من نعته وصفته وانه رسولى الى الناس كافة وأنتم تعلمون انه رسولى وان ماجاء به اليكم فمن عندى وتعرفون ان من عهدى الذى أخذت عليكم فى كتابكم الايمان به وبما جاء به والتصديق به ﴿القول فى تاويل قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) قال أبو جعفر ذكر أن أحبار اليهود والمنافقين كانوا يامرون الناس باقام الصلاة وايتاء الزكاة ولا يفعلونه فامرهم الله باقام الصلاة مع المسلمين المصدقين بمحمد وبما جاء به وايتاء زكاة أموالهم معهم وان يخضعوا لله ولرسله كما خضعوا كما حدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة فى قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة قال فريضتان واجبتان فادوهما الى الله وقد بينا معنى اقامة الصلاة فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا اعادته أما ايتاء الزكاة فهو أداء الصدقة المفروضة وأصل الصدقة نماء المال وتثميره وزيادته ومن ذلك قيل زكا الزرع اذا كثر ما أخرج الله منه وزكت النفقة اذا كثرت وقيل زكا الفرد اذا صار زوجا بزيادة الزائد عليه حتى صار شفعا كما قال الشاعر

كانوا خسا أو زكا من دون أربعة * لم يخلقوا وجدود الناس تعتلج

وقال الراجز

فلا خسا عديده ولا زكا * كما شرار البقل اطراف السفا

يعنى بقوله ولا زكا لم يصيرهم شفعا من وتر بحدوثه فيهم وانما قيل للزكاة زكاة وهى مال يخرج من مال لتثمير الله باخراجها مما أخرجت منه ما بقى عند رب المال من ماله وقد يحتمل ان تكون سميت زكاة لانها تطهير لما بقى من مال الرجل وتخليص له من ان تكون فيه مظلمة لاهل السهمان كما قال جل ثناؤه مخبرا عن نبيه موسى صلوات الله عليه أقتلت نفسا زكية يعنى بريئة من الذنوب طاهرة وكما يقال للرجل هو عدل زكى بذلك المعنى وهذا الوجه أعجب الى فى تاويل زكاة المال من الوجه الاول وان كان الاول مقبولا فى تاويلها وايتاؤها اعطاؤها أهلها وأما الركوع فهو الخضوع لله بالطاعة يقال منه ركع فلان لكذا وكذا اذا خضع له ومنه قول الشاعر

تنغث بكسر لئيم واستغاث بها * من الهزال أبوها بعد ما ركعا

يعنى بعد ما خضع من شدة الجهد والحاجة وهذا أمر من الله جل ثناؤه لمن ذكر من أحبار بنى اسرائيل ومنافقيها بالانابة والتوبة اليه وباقام الصلاة وايتاء الزكاة والدخول مع المسلمين فى الاسلام والخضوع له بالطاعة ونهى منه لهم عن كتمان ما قد علموه من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد تظاهر حججه عليهم بما قد وصفنا قبل فيما مضى من كتابنا هذا بعد الاعذار اليهم والانذار وبعد تذكيرهم نعمه اليهم والى اسلافهم تعطفا منه بذلك عليهم وابلاغا اليهم فى المعذرة ﴿القول فى تاويل قوله تعالى (أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) قال أبو جعفر اختلف أهل التاويل فى معنى البر الذى كان المخاطبون بهذه الآية يامرون الناس به وينسون أنفسهم بعد اجماع جميعهم على ان كل طاعة لله فهى تسمى برا فروى عن ابن عباس ما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون أى تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من

اللبن وضرب الخاتم وفى الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية اذا اقترنت باسم نكرة زادته شياعا وعموما كقولك اعطنى كتابا ما تريد أى كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتى فى قوله فبما نقضهم أى مثلا حقا وأما البتة وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا وذلك ان ما يضرب به المثل قد يسمى مثلا كما يقال حاتم مثل فى الجود أو مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليها أو انتصبا مفعولين بجرى ضرب مجرى جعل والبعوض فى أصله صفة على فعول من البعض القطع فغلبت ومنه بعض الشئ لانه قطعة منه وفى معناه البضع والعضب ومن غرائب خلقه انه مع صغره أعطى كل ما أعطى الفيل مع كبره ففيه اشارة الى ان خلق أحدهما ليس أصعب من خلق الآخر واشارة الى حالة الانسان وكمال استعداده كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته أى على صفته فاعطاه على ضعفه من كل صفة من صفات جماله وجلاله انموذجا ليشاهد فى مرآة نفسه جمال صفات ربه ومن العجائب ان خرطومه فى غاية الصغر ومع ذلك مجوف ومع فرط صغره وكونه مجوفا يغوص فى جلد الجاموس والفيل على ثخانته كما يضرب الرجل اصبعه فى الخبص وذلك لما ركب الله تعالى فى رأس خرطومه من السم وقوله فما فوقها أى فالذى هو أعظم منها فى الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب فان القوم أنكروا تمثيل الله بكل هذه الاشياء أو أراد فما فوقها فى الصغر كجناح البعوضة حيث ضربه صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وهذا أولى لان الآية نزلت فى بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشئ الحقير فيجب ان يكون المذكور ثانيا أحقر من الاول والفاء ههنا تفيد الترتيب فى الذكر لانه يذكر فى هذا المقام الاخس فالاخس كقوله * يا دارمية بالعلياء فالسند * لانه يذكر فى تعريف الامكنة الاخص بعد الاعم فكان العلياء موضع وسيع يشتمل على مواضع منها السند وأما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته التوكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت التوكيد وان الذهاب منه عزيمة قلت أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه فى تفسيره مهما يكن من شئ فزيد ذاهب وليس مراده من هذا التفسير ان أما بمعنى مهما كيف وهذه حرف ومهما اسم بل قصده الى المعنى البحت أى ان يكن فى الدنيا شئ يوجد ذهاب زيد فهذا جزم بوقوع ذهابه لانك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول أى شئ فى الدنيا

النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي اليكم في تصديق رسولي وتنقضون ميثاقي وتجحدون ما تعلمون من كتابي وحدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله أتأمرون الناس بالبر يقول أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما أمرتم به من اقام الصلاة وتنسون أنفسكم وقال آخرون بما حدثني به موسى بن هرون قال حدثني عمرو ابن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم قال كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وهم يعصونه وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم قال كان بنو اسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون فعيرهم الله وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا الحجاج قال قال ابن جريج أتأمرون الناس بالبر أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويدعون العمل بما يأمرون به الناس فعيرهم الله بذلك فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة وقال آخرون بما حدثني به يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هؤلاء اليهود كان اذا جاء الرجل يسالهم ماليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمروه بالحق فقال الله لهم أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وحدثني علي بن الحسن قال حدثنا مسلم الجرمي قال حدثنا مخلد بن الحسين عن أيوب السختياني عن أبي قلابة في قول الله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب قال قال أبو الدرداء لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ثم يرجع الى نفسه فيكون لها أشد مقتا وجميع الذي قال في تاويل هذه الآية من ذكرنا قوله متقارب المعنى لانهم وان اختلفوا في صفة البر الذي كان القوم يأمرون به غيرهم الذين وصفهم الله بما وصفهم به فهم متفقون في انهم كانوا يأمرون الناس بما لله فيه رضى من القول أو العمل ويخالفون ما أمروهم به من ذلك الى غيره بافعالهم فالتاويل الذي يدل على صحته ظاهر التلاوة اذا أتأمرون الناس بطاعة الله وتتركون أنفسكم تعصيه فهلا تأمرونها بما تأمرون به الناس من طاعة ربكم معيرهم بذلك ومقبحا اليهم قبيح ما أتوا به ومعنى نسيانهم في هذا الموضع نظير النسيان الذي قال جل ثناؤه نسوا الله فنسيهم بمعنى تركوا طاعة الله فتركهم الله من ثوابه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وأنتم تتلون الكتاب) قال أبو جعفر يعني بقوله تتلون تدرسون وتقرؤن كما حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس وأنتم تتلون الكتاب يقول تدرسون الكتب بذلك ويعني بالكتاب التوراة ۞ القول في تاويل قوله تعالى (أفلا تعقلون) قال أبو جعفر يعني بقوله أفلا تعقلون أفلا تفهمون قبح ما تأتون من معصيتكم ربكم التي تأمرون الناس بخلافها وتنهون عن ركوبها وأنتم راكبوها وأنتم تعلمون ان الذي عليكم من حق الله وطاعته في اتباع محمد والايمان به وبما جاء به مثل الذي على من تأمرونه باتباعه كما حدثنا به محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس أفلا تعقلون يقول أفلا تفهمون فنهاهم عن هذا الخلق القبيح

وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول شيء فيها ففي ارادا الجلتين مصدرتين به ولم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احفا عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين ورميهم بالكلمة الحمقاء الحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره وحق الامر ثبت ووجب والضمير في انه الحق للمثل أو لان يضرب وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته وان يكون ذا مركبتمع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله وجوابه على الاول مرفوع وعلى الثاني منصوب وقد يجيء على العكس كما تقول في جواب من قال ما رأيت خيرا أي المرئي خير وفي جواب ما الذي رأيت خيرا أي رأيت خيرا والارادة نقيض الكراهة قال الامام الرازي الارادة ماهية يجدها العاقل من نفسه ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين علمه وقدرته وألمه ولذته فالمتكلمون انها صفة تقتضي رجحان أحد طرفي الجائز على الآخر لا في الوقوع بل في الايقاع واحترز بهذا القيد الاخير عن القدرة واختلفوا في كونه تعالى مريدا مع اتفاق المسلمين على اطلاق هذا اللفظ على الله تعالى فزعم النجار انه معنى سلبي ومعناه انه غير ساه ولا مكره ومنهم من قال انه أمر ثبوتي ثم اختلفوا فالجاحظ والكعبي وأبو الحسن البصري معناه علمه تعالى باشتمال الفعل على المصلحة أو المفسدة ويسمون هذا العلم بالداعي أو الصارف والاشاعرة وأبو علي وأبو هاشم وأتباعهما انه صفة زائدة على العلم ثم القسمة في تلك الصفة انها اما ان تكون ذاتية وهو القول الآخر للنجار واما ان تكون معنوية وذلك المعنى اما ان يكون قديما وهو قول الاشعري أو محدثا وذلك المحدث اما ان يكون قائما بالله تعالى وهو قول الكرامية أو قائما بجسم آخر ولم يقل به أحد أو موجودا لا في محل وهذا وهو قول أبي علي وأبي هاشم وأتباعهما وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص حين أفتى بنقض ذوائب النساء في الاغتسال يا عجبا لابن عمر وهذا تحقير له ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب غث ما أردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديئا كيف تنتفع بهذا سلاحا أو على الحال نحو هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى

وهذا يدل على صحة ما قلنا من أمر أحبار يهود بني اسرائيل غيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وانهم كانوا يقولون هو مبعوث الى غيرنا كما ذكرنا قبل ﴿القول في تأويل قوله تعالى ذكره (واستعينوا بالصبر والصلوة) قال أبو جعفر يعني بقوله جل ثناؤه واستعينوا بالصبر استعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتموني في كتابكم من طاعتي واتباع أمري وترك ما تهوونه من الرياسة وحب الدنيا الى ما تكرهونه من التسليم لامري واتباع رسولي محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر عليه والصلاة وقد قيل ان معنى الصبر في هذا الموضع الصوم والصوم بعض معاني الصبر عندنا بل تأويل ذلك عندنا ان الله تعالى ذكره أمرهم بالصبر على كل ما كرهته نفوسهم من طاعة الله وترك معاصيه وأصل الصبر منع النفس محابها وكفها عن هواها ولذلك قيل للصابر على المصيبة صابر لكفه نفسه عن الجزع وقيل لشهر رمضان شهر الصبر لصبر صائمه عن المطاعم والمشارب نهارا وصبره اياهم عن ذلك حبسه وكفه اياهم عنه كما يصبر الرجل الشئ القتل فحبسه عليه حتى يقتله ولذلك قيل قتل فلان فلانا صبرا يعني به حبسه عليه حتى قتله فالمقتول مصبور والقاتل صابره وأما الصلاة فقد ذكرنا معناها فيما مضى فان قال لنا قائل قد علمنا معنى الامر بالاستعانة بالصبر على الوفاء بالعهد والمحافظة على الطاعة فما معنى الامر بالاستعانة بالصلاة على طاعة الله وترك معاصيه والتعري عن الرياسة وترك الدنيا قيل ان الصلاة فيها تلاوة كتاب الله الداعية آياتها الى رفض الدنيا وهجر نعيمها المسلية النفوس عن زينتها وغرورها المذكرة الآخرة وما أعد الله فيها لاهلها ففي الاعتبار بها المعونة لاهل طاعة الله على الجد فيها كما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة حدثني بذلك اسمعيل بن موسى الفزاري قال حدثنا الحسين بن رتاق الهمداني عن ابن جريج عن عكرمة بن عمار عن محمد بن عبيد بن أبي قدامة عن عبد العزيز بن اليمان عن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وحدثني سليمان بن عبد الجبار قال حدثنا خلف بن الوليد الازدي قال حدثنا يحيى بن زكريا عن عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدولي قال قال عبد العزيز أخو حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى وكذلك روي عنه صلى الله عليه وسلم انه رأى أبا هريرة منبطحا على بطنه فقال اشكنب درد* قال نعم قال قم فصل فان الصلاة شفاء فأمر الله جل ثناؤه الذين وصف الله أمرهم من أحبار بني اسرائيل ان يجعلوا مفزعهم في الوفاء بعهد الله الذي عاهدوه الى الاستعانة بالصبر والصلاة كما أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له فاصبر يا محمد على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى فأمره جل ثناؤه في نوائبه بالفزع الى الصبر والصلاة وقد حدثنا محمد بن العلاء ويعقوب بن ابراهيم قالا حدثنا ابن علية حدثنا عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه ان ابن عباس نعي اليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين وأما أبو العالية فانه كان يقول بما حدثني به المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية واستعينوا بالصبر والصلاة قال يقول استعينوا بالصبر والصلاة

* يعني تشتكي بطنك بالفارسية اهـ من هامش الاصل

التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وأهل الهدى كثير في أنفسهم وحيث يوصفون بالقلة وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم انما يوصفون بها بالقياس الى أهل الضلال وأيضا فان المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة شعر
ان الكرام كثير في البلاد وان * قلوا كما غيرهم قلوا وان كثروا
واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب البعيد لانه لما ضرب المثل ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم فتسبب لهديهم وازدادت الكفرة رجسا الى رجسهم فتسبب لضلالهم عن الحق والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة شعر
فواسقا عن قصدها جوائرا * يذهبن في نجد وغورا غائرا
والفاسق في الشرع الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو عند أهل السنة من أهل الايمان الا انه عاص وعند الخوارج كافر وعند المعتزلة نازل بين المنزلتين لان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا يقبل له شهادة ومذهب مالك بن أنس والزيدية ان الصلاة لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يعني اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون والنقض الفسخ وفك التركيب وانما ساغ استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من بيان الوصلة بين المتعاهدين وهذا كقولك عالم يغترف منه الناس فتنبه بالاغتراف من العالم بانه بحر وتسكت عن المستعار لانك رمزت اليه بذكر شئ من لوازمه والعهد الموثق عهد اليه في كذا اذا أوصاه به ووثقه عليه والمراد بالناقضين اما كل من ضل وكفر لانهم نقضوا عهدا أبرمه الله باراءة آياته في الآفاق وفي أنفسهم وبما ركز في عقولهم من اقامة البينة على الصانع وعلى توحيده وعلى حقيقة شريعته بعد ازاحة العلات وازالة الشبهات واما قوم من أهل الكتاب وقد أخذ عليهم العهد والميثاق في الكتب المنزلة على أنبيائهم بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وبين لهم أمره وأمر أمته فنقضوا ذلك وأعرضوا عنه وجحدوا نبوته وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الذي أخذه على جميع ذرية آدم واذ أخذ ربك الآية وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه

على مرضاة الله واعلموا أنهما من طاعة الله وقال ابن جريج بما حدثنا به القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله واستعينوا بالصبر والصلاة قال انهما معونتان على رحمة الله **وحدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واستعينوا بالصبر والصلاة الآية قال قال المشركون والله يا محمد انك لتدعو الى أمر كبير قال الى الصلاة والامر بالله ۞ القول في تاويل قوله تعالى ذكره (وانها لكبيرة الا على الخاشعين) قال أبو جعفر يعني بقوله جل ثناؤه وانها لصلاة والهاء والالف في وانها عائدتان على الصلاة وقد قال بعضهم ان قوله وانها بمعنى اجابة محمد صلى الله عليه وسلم كذلك بلفظ الاجابة ذكر فجعل الهاء والالف كناية عنه وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام الى باطن لا دلالة على صحته ويعني بقوله لكبيرة لشديدة ثقيلة **حدثني** يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا ابن زيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين الا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطوته المصدقين بوعده ووعيده كما **حدثني** المثنى بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الا على الخاشعين يعني المصدقين بما أنزل الله **وحدثني** المثنى قال حدثنا آدم العسقلاني قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله الا على الخاشعين قال يعني الخائفين **وحدثني** محمد بن جعفر قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا سفيان عن جابر عن مجاهد الا على الخاشعين قال المؤمنين حقا **وحدثني** المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **وحدثني** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الخشوع الخوف والخشية لله وقرأ قول الله خاشعين من الذل قال قد أذلهم الخوف الذي نزل بهم وخشعوا له وأصل الخشوع التواضع والتذلل والاستكانة ومنه قول الشاعر

لما أتى خبر الزبير تواضعت * سور المدينة والجبال الخشع

يعني والجبال خشع متذللة لعظم المصيبة بفقده فمعنى الآية واستعينوا أيها الاحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله وكفها عن معاصي الله وباقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر المقربة من مراضي الله العظيمة اقامتها الا على المتواضعين لله المستكينين لطاعته المتذللين من مخافته ۞ القول في تاويل قوله تعالى (الذين يظنون) قال أبو جعفر ان قال لنا قائل وكيف أخبر الله جل ثناؤه عمن قد وصفه بالخشوع له بالطاعة انه يظن انه ملاقيه والظن شك والشاك في لقاء الله عندك كافر قيل له ان العرب قد تسمي اليقين ظنا والشك ظنا نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة والمغيث صارخا والمستغيث صارخا وما أشبه ذلك من الاسماء التي تسمي بها الشيء وضده مما يدل على انه يسمى به اليقين قول دريد بن الصمة

فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج * سراتهم بالفارسي المسرد

يعني بذلك تيقنوا الفي مدجج يأتيكم وقول عميرة بن طارق

بان يعتزوا قومي وأقعد فيكم * وأجعل مني الظن غيبا مرجما

يعني واجعل مني اليقين غيبا مرجما والشواهد من أشعار العرب وكلامها على ان الظن في معنى اليقين

واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد والميثاق اما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة أو اسم لما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه أنفسهم ويجوز ان يرجع الضمير الى الله أي من بعد توثقته عليهم أو من بعد ما وثق الله تعالى به عهده من آياته وكتبه ورسله ومعنى قطعهم ما أمر الله به أن يوصل اما قطعهم ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرابة والرحم أو قطعهم موالاة المؤمنين الى موالاة الكافرين أو قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به والامر حرف واحد وهو اللام الجازم نحو ليفعل وصيغ مخصوصة للمخاطب نحو انزل ونزال وصه وقد يستعمل في الدعاء والالتماس بمعونة القرينة وظاهره للوجوب وغيره من الندب أو الاباحة يتوقف على القرينة وقوله ان يوصل بدل الاشتمال من الضمير المجرور والجار الذي ينبغي ان يعاد مقدر تقديره بان يوصل أي بوصله والافساد في الارض اما باظهار المعاصي واما التنازع واثارة الفتن أولئك هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والافساد بالاصلاح وعقاب هذه الامور بثوابها ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) القراآت فاحياكم وبابه بالامالة علي ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم كل القرآن يعقوب وهو وبابه بسكون الهاء أبو جعفر ونافع غير ورش وعلي وأبو عمرو ۞ الوقوف فاحياكم ج للعدول أي ثم هو يميتكم مع اتحاد مقصود الكلام ترجعون ط سموات ط عليم ه التفسير هذه الآية مسوقة لبيان التعجب من حال الكفرة وذلك ان الاستفهام من علام الغيوب يمتنع اجراؤه على أصله فيتولد بمعونة قرائن الاحوال ما ذكرنا ووجهه هو ان الكفار حين صدور الكفر منهم لا بد من ان يكونوا على أحد

اليقين أكثر من ان يحصى وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية ومنه قول الله جل ثناؤه ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها و بمثل الذى قلنا فى ذلك جاء تفسير المفسرين حدثنى المثنى ابن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله يظنون انهم ملاقوا ربهم قال ان الظن ههنا يقين وحدثنا محمد بن بشار قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا سفيان عن جابر عن مجاهد قال كل ظن فى القرآن يقين انى ظننت وظنوا وحدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا أبو داود الحفرى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كل ظن فى القرآن فهو علم وحدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اما يظنون فيستيقنون حدثنى القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم علموا انهم ملاقوا ربهم كقوله انى ظننت انى ملاق حسابيه يقول علمت وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم قال لانهم لم يعاينوا فكان ظنهم يقينا وليس ظنك فى شك وقرأ انى ظننت انى ملاق حسابيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (انهم ملاقوا ربهم) قال أبو جعفر ان قال لنا قائل وكيف قيل ملاقوا ربهم فاضيف الملاقون الى الرب جل ثناؤه وقد علمت ان معناه الذين يظنون انهم يلقون ربهم واذا كان المعنى كذلك فمن كلام العرب ترك الاضافة واثبات النون وانما تسقط النون وتضيف فى الاسماء المبنية من الافعال اذا كانت بمعنى فعل فاما اذا كانت بمعنى تفعل وفاعل فشأنها اثبات النون وترك الاضافة قيل لا تدافع بين جميع أهل العربية بلغات العرب وألسنها فى اجازة اضافة الاسم المبنى من فعل وتفعل واسقاط النون وهو بمعنى تفعل وفاعل أعنى بمعنى الاستقبال وحال الفعل ولما ينقض فلا وجه لمسئلة السائل عن ذلك لم قيل وانما اختلف أهل العربية فى السبب الذى من أجله أضيف وأسقطت النون فقال نحوى البصرة أسقطت النون من ملاقوا ربهم وما أشبهه من الافعال التى فى لفظ الاسماء وهى فى معنى تفعل أو فى غير معنى من الفعل استثقالا لها وهى مرادة كما قال جل ثناؤه كل نفس ذائقة الموت وكما قال انا مرسلوا الناقة فتنة لهم ولما يرسلها بعد وكما قال الشاعر

هل أنت باعث دينار لحاجتنا * أو عبد رب أخا عون بن مخراق

فاضاف باعثا الى الدينار ولما يبعث ونصب عبد رب عطفا على موضع دينار لانه فى موضع نصب وان خفض وكما قال الآخر

والحافظو عورة العشيرة لا * يأتيهم من ورائهم نطف

بنصب العورة وخفضها فالخفض على الاضافة والنصب على حذف النون استثقالا وهى مرادة وهذا قول نحوى البصرة وأما نحوى الكوفة فانهم قالوا جائز فى ملاقو الاضافة وهو فى معنى تلقون واسقاط النون منه لانه فى لفظ الاسماء فله فى الاضافة الى الاسماء حظ الاسماء وكذلك حكم كل اسم كان له نظير قالوا واذا أثبت فى شئ من ذلك النون وتركت الاضافة فانما تفعل ذلك به لان له معنى يفعل الذى لم يكن ولم يجب بعد قالوا فالاضافة فيه للفظ وترك الاضافة للمعنى فتأويل الآية اذا

الحالين اما عالمين بالله واما جاهلين به فلا ثالث فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله ومن المعلوم ان كيف للسؤال عن الحال والكفر مزيد اختصاص من بين سائر احوال الكافر بالعلم بالصانع والجهل به لانه لا يمكن تصور كفر الكافر بالصانع مع الذهول عن كونه عالما بالله أو جاهلا به بخلاف سائر أحواله المتقابلة كالقعود والقيام والسكون والحركة فانه يمكن تصور كفره مع الذهول عنها وان كان لا ينفك الكافر فى الوجود عنها كما لا ينفك من العلم بالصانع أو الجهل به فى الوجود وتوجه الاستفهام الى ذلك الذى له مزيد اختصاص فافاد الاستفهام أفى حال العلم بالله تكفرون أم فى حال الجهل لكن الجهل بعيد عن العاقل لان الحال حال علم بهذه القصة وهى ان كانوا أمواتا فصاروا أحياء وسيكرن كذا والحال كذا من الاماتة ثم الاحياء ثم الرجع اليه فبقى أن يكون الحال حال العلم بالصانع الموجبة للصرف عن الكفر فصدور الفعل عمن له صورة اختيار فى الترك مع الصارف القوى مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ فكأنه قيل ما أعجب كفركم والحال انكم عالمون بهذه القصة وهى ان كنتم أمواتا نطفا فى أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة وهذه مما لا يشك فيها لانها من المشاهدات ثم يحييكم حين ينفخ فى الصور أو حين تسئلون فى القبور ثم اليه أى الى حكمه ترجعون أى بعد الحشر للثواب والعقاب أو من قبوركم وهذه القضايا أيضا مما لا يشك فيها لنصب الادلة وازاحة العلة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل وقد يطلق الميت على الجماد كقوله بلدة ميتا ويجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما فى ان لا روح ولا احساس ويحتمل أن يقال المراد به خمول الذكر كقوله هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال أبو نخيلة السعدى وأحييت لى ذكرى وما كنت خاملا * ولكن بعض الذكر أنبه من بعض ولا يخفى ان الآية بالنسبة الى العامة فاما بعض الناس فقد أماتهم ثلاث مرات فاماته الله مائة عام ثم بعثه فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم وآتيناه أهله ومثلهم معهم * واعلم ان هذه الآية دالة على أمور منها اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر العالم الحى السميع البصير الغنى عما سواه ومنها الدلالة على انه لا قدرة على الاحياء والاماتة الا له فيبطل قول الدهرى ما يهلكنا الا الدهر

واستعينوا على الوفاء بعهدي بالصبر عليه والصلاة وان الصلاة لكبيرة الا على الخائفين عقابي المتواضعين لامري الموقنين بلقائي والرجوع الى بعد مماتهم وانما أخبر الله جل ثناؤه ان الصلاة كبيرة الا على الخاشعين ممن هذه صفته لان من كان غير موقن بمعاد ولا مصدق بمرجع ولا ثواب ولا عقاب فالصلاة عنده عناء وضلال لانه لا يرجو باقامتها ادراك نفع ولا دفع ضر وحق لمن كانت هذه الصفة صفته ان تكون الصلاة عليه كبيرة واقامتها عليه ثقيلة وله فادحة وانما خفت على المؤمنين المصدقين بلقاء الله الراجين عليها جزيل ثوابه الخائفين بتضييعها أليم عقابه لما يرجون باقامتها في معادهم من الوصول الى ما وعد الله عليها أهلها ولما يحذرون بتضييعها مما أوعد مضيعها فأمر الله جل ثناؤه أحبار بني اسرائيل الذين خاطبهم بهذه الآيات ان يكونوا من مقيميها الراجين ثوابها اذا كانوا أهل يقين بانهم الى الله راجعون واياه في القيامة ملاقون ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وانهم اليه راجعون) قال أبو جعفر والهاء والميم اللتان في وانهم من ذكر الخاشعين والهاء في اليه من ذكر الرب تعالى ذكره في قوله ملاقوا ربهم وتاويل الكلمة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الموقنين انهم الى ربهم راجعون ثم اختلف في تاويل الرجوع الذي في قوله وانهم اليه راجعون فقال بعضهم بما حدثني به المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله وانهم اليه راجعون بموتهم وأولى التاويلين ٧ بالآية القول الذي قاله أبو العالية لان الله تعالى ذكره قال في الآية التي قبلها كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون فاخبر جل ثناؤه ان مرجعهم اليه بعد نشرهم واحيائهم من مماتهم وذلك لاشك يوم القيامة فكذلك تاويل قوله وانهم اليه راجعون ۞ القول في تاويل قوله تعالى (يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) قال أبو جعفر وتاويل ذلك في هذه الآية نظير تاويله في التي قبلها في قوله اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي وقد ذكرته هنالك ۞ القول في تاويل قوله (واني فضلتكم على العالمين) قال أبو جعفر وهذا أيضا مما ذكرهم جل ثناؤه من آلائه ونعمه عندهم ويعني بقوله واني فضلتكم على العالمين اني فضلت أسلافكم فنسب نعمه على آبائهم واسلافهم الى انها نعم منه عليهم اذ كانت مآثر الآباء مآثر للابناء والنعم عند الآباء نعم عند الابناء لكون الابناء من الآباء وأخرج جل ذكره قوله واني فضلتكم على العالمين مخرج العموم وهو مريد به خصوصا لان المعنى واني فضلتكم على عالم من كنتم بين ظهريه وفي زمانه كالذي حدثنا به محمد بن عبد الاعلى الصنعاني قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر وحدثنا الحسن بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق قال انا معمر عن قتادة واني فضلتكم على العالمين لما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان فان لكل زمان عالما * وحدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله واني فضلتكم على العالمين قال بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان فان لكل زمان عالما * وحدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله واني فضلتكم على العالمين قال على من هم بين ظهرانيه * وحدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال

٧ هكذا هو ولعل هنا سقطا فانه لم يذكر غير تأويل واحد ثم نسب الى أبي العالية مالم يذكره عنه كما يعلم بالتأمل

قال

ومنها الدلالة على صحة الحشر والنشر مع التنبيه على الدليل العقلي الدال عليه لان الاعادة أهون من الابداء ومنها الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب ومنها الدلالة على وجوب الزهد في الدنيا لانه قال فاحياكم أي بعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة أخرى بينهما ثم يميتكم بعد انقضاء مهلة الحياة ثم بين انه لا يترك على هذا الموت بل لا بد من حياة ثانية للسؤال أو للحشر ثم من الرجوع اليه للثواب أو العقاب فبين سبحانه انه بعد ما كان نطفة فانه أحياه وصوره وأحسن صورته وجعله بشرا سويا وأكمل عقله وبصره بانواع المضار والمنافع وملكه الاموال والاولاد والدور والقصور ثم انه تعالى يزيل كل ذلك عنه بان يميته ويصيره بحيث لا يملك شيأ ولا يبقى منه في الدنيا أثر ولا عين خبر ويبقى مدة مديدة في العدم من ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ينادي فلا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم لا يزوره الاقربون بل ينساه الاهل والبنون شعر

يمر أقاربي بحذاء قبري
كأن أقاربي لم يعرفوني

الهي اذا قمنا من ثرى الاجداث مغبرة رؤسنا شاحبة وجوهنا جائعة بطوننا مثقلة من حمل الاوزار ظهورنا بادية لاهل القيامة سوآتنا فلا تضعف مصائبنا باعراضك عنا يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ولما ذكر الله تعالى في الآية الاولى أصل جميع النعم وهو الاحياء الذي من حقه ان يشكر ولا يكفر أعقبها بذكر ما هو كالاصل لسائر النعم وهو خلق الارض بما فيها وخلق السماء ومعنى لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم وذلك ظاهر وفي دينكم من النظر في عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم ومن التذكير بالآخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على أسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب الحسنة البهية وعلى أسباب الوحشة والالم من النيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف فظاهر الآية لا تدل الا على خلق ما في الارض لاجلهم دون الارض فان أريد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد به الجهات العلوية جاز ان يراد خلق لكم الارض وما فيها وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني وهو ما أي مجموعة والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا وان لم يجعل كالشئ الواحد ويندرج فيها جميع البسائط من الماء والهواء والنار وجميع المواليد من المعادن والنبات والحيوان وجميع

حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال على من هم بين ظهرانيه * وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال سألت ابن زيد عن قول الله وانى فضلتكم على العالمين قال عالم أهل ذلك الزمان وقرأ قول الله ولقد اخترناهم على علم على العالمين قال هذه لمن أطاعه واتبع أمره واجتنب محارمه والدليل على صحة ما قلنا من أن تأويل ذلك على الخصوص الذى وصفنا ما حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية وحدثنا الحسن بن يحيى قال انا عبد الرزاق قال انا معمر جميعا عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انكم وفيتم سبعين أمة قال يعقوب فى حديثه أنتم آخرها وقال الحسن أنتم آخرها وأكرمها على الله فقد أنبأ هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرائيل لم يكونوا مفضلين على أمة محمد عليه السلام وان معنى قوله وفضلناهم على العالمين وقوله وانى فضلتكم على العالمين على ما بينا من تأويله وقد أتينا على بيان تأويل قوله العالمين بما فيه الكفاية فى غير هذا الموضع فاغنى ذلك عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيا) قال أبو جعفر وتأويل قوله واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيا واتقوا يوما لا تجزى فيه نفس عن نفس شيا وجائز أيضا ان يكون تأويله واتقوا يوما لا تجزيه نفس عن نفس شيا كما قال الراجز

قد صبحت صبحها السلام * بكبد خالطها سنام * فى ساعة يحبها الطعام

وهو يعنى يحب الطعام فيه فحذفت الهاء الراجعة على اليوم اذ فيه اجتزاء بما ظهر من قوله واتقوا يوما لا تجزى نفس الدال على المحذوف منه عما حذف اذا كان معلوما وقد زعم قوم من أهل العربية أنه لا يجوز أن يكون المحذوف فى هذا الموضع الا الهاء وقال آخرون لا يجوز أن يكون المحذوف الا فيه وقد دللنا فيما مضى على جواز حذف كل ما دل الظاهر عليه وأما المعنى فى قوله واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيا فانه تحذير من الله تعالى ذكره الذين خاطبهم بهذه الآية عقوبته ان تحل بهم يوم القيامة وهو اليوم الذى لا تجزى فيه نفس عن نفس شيا ولا يجزى فيه والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا وأما تأويل قوله لا تجزى نفس فانه يعنى لا تغنى كما حدثنى به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى واتقوا يوما لا تجزى نفس تفسير ما تجزى فتغنى وأصل الجزاء فى كلام العرب القضاء والتعويض يقال جزيته قرضه ودينه أجزيه جزاء بمعنى قضيته دينه ومن ذلك قيل جزى الله فلانا عنى خيرا أو شرا بمعنى أثابه عنى وقضاه عنى ما لزمنى له بفعله الذى سلف منه الى وقد قال قوم من أهل العلم بلغة العرب يقال أجزيت عنه كذا اذا أعنته عليه وجزيت عليك فلانا اذا كافأته وقال آخرون منهم بل جزيت عنك قضيت عنك وأجزيت كفيت وقال آخرون منهم بل هما بمعنى واحد يقال جزت عنك شاة وأجزت وجزاعنك درهم وأجزى ولا تجزى عنك شاة ولا تجزى بمعنى واحد الا أنهم ذكروا ان جزت عنك ولا تجزى عنك من لغة أهل الحجاز وان أجزأ وتجزى من لغة غيرهم وزعموا ان تميما خاصة من بين قبائل العرب تقول أجزأت عنك شاة وهى تجزى عنك وزعم آخرون ان جزى بلا همز قضى واجزأ بالهمز كفى فمعنى الكلام اذا واتقوا يوما لا تقضى نفس عن نفس شيا ولا تغنى عنها قيل هو ان أحدنا اليوم ربما قضى عن ولده أو والده أو ذى الصداقة والقرابة دينه وأما فى الآخرة فانه فيما أتتنا به الاخبار عنها يسر الرجل الحسنات والسيآت كما حدثنا أبو كريب ونصر بن عبد الرحمن

الصنائع والحرف وبعضهم يستدل بهذا على ان الاصل فى الاشياء الاباحة عقلا لكل أحد ان يتناولها وينتفع بها ويمكن ان يقال بل بهذه الآية والا كان تصرفا فى ملك الغير من غير اذنه ولا يلزم من انه تعالى خلق ما فى الارض لاجل المكلفين ان يكون فعله معللا بغرض وان كان لا يخلو من فائدة وغاية والا كان عبثا لانه لا يلزم من استتباع الفعل الغاية ان تكون تلك الغاية علة اعلية فاعله لان هذا فيما اذا كانت فاعليته ناقصة لتتكمل بتلك الغاية أما اذا كانت فاعليته تامة فانه يوجد الشئ ذا الغاية من غير ان تكون تلك الغاية حاملة له على ذلك وهذا فرق دقيق يتنبه له من يسر عليه * قيل انه تعالى خلق الكل للكل فلا يكون لاحد اختصاص بشئ أصلا قلنا قابل الكل بالكل فيقتضى مقابلة الفرد للفرد والتعيين يستفاد من دليل منفصل والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام وانه تعالى منزه عن ذلك وأيضا ثم تقتضى التراخى فلو كان المراد بهذا الاستواء العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا أزلا ولم يكن متأخرا عن خلق ما فى الارض فيجب التأويل وتقريره ان يقال استوى العود اذا اعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى على شئ ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء أى قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما فى الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شئ آخر والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى الى فوق أو هذا كقولك لآخر اعمل هذا الثوب وانما معه غزل على انها كانت دخانا ثم سواها سبع سموات وثم ههنا اما للتراخى فى الوقت والمراد انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك أى فى تضاعيف القصد اليها خلقا آخر كما قلنا أو للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السموات عن خلق الارض كقوله فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر وكقوله ثم كان من الذين آمنوا وتفسير هذه الآية فى قوله قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين يعنى تقدير الارض فى يومين وتقدير الاقوات فى يومين كما يقول القائل من الكوفة الى المدينة عشرون والى مكة ثلاثون يريد ان جميع ذلك هذا القدر ثم استوى الى السماء فى يومين آخرين ومجموع ذلك ستة أيام كما قال خلق السموات والارض فى ستة أيام فان قيل أما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها قلنا أجاب فى الكشاف لا لان

الاودى قالا حدثنا المحاربى عن أبى خالد الدولابى يزيد بن عبد الرحمن عن زيد بن أبى أنيسة عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا كانت له عند أخيه مظلمة فى عرض قال أبو كريب فى حديثه أو مال أو جاه فاستحله قبل أن يؤخذ منه وليس ثم دينار ولا درهم ان كانت له حسنات أخذوا من حسناته وان لم تكن له حسنات حملوا عليه من سيآتهم حدثنا أبو عثمان المقدمى قال حدثنا الفروى قال حدثنا مالك عن المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا خلاد بن أسلم قال حدثنا أبو همام الاهوازى قال أخبرنا عبد الله بن سعيد عن سعيد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنى موسى بن سهل الرملى قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا عبد العزيز الدراوردى عن عمرو بن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عرفن أحدكم وعليه دين فانه ليس هنالك دينار ولا درهم انما يقتسمون هنالك الحسنات والسيآت وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده يمينا وشمالا حدثنى محمد بن اسحق قال حدثنا مسلم بن قادم قال حدثنا أبو معاوية هاشم بن عيسى قال أخبرنى الحرث بن مسلم عن الزهرى عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو حديث أبى هريرة فذلك معنى قوله جل ثناؤه ولا تجزى نفس عن نفس شيأ انها لا تقضى عنها شيأ لزمها لغيرها لان القضاء هنالك من الحسنات والسيآت على ما وصفنا وكيف يقضى عن غيره ما لزمه من كان يسره ان يثبت له على ولده أو والده حق فيأخذه منه ولا يتجافى له عنه وقد زعم بعض نحوى البصرة ان معنى قوله لا تجزى نفس عن نفس شيأ لا تجزى منها ان تكون مكانها وهذا قول يشهد ظاهر القرآن على فساده وذلك انه غير معقول فى كلام العرب ان يقول القائل ما أغنيت عنى شيأ بمعنى ما أغنيت منى ان تكون مكانى بل اذا أرادوا الخبر عن شئ انه لا يجزى من شئ قالوا لا يجزى هذا من هذا ولا يستجيزون ان يقولوا لا يجزى هذا عن هذا شيأ فلو كان تأويل قوله لا تجزى نفس عن نفس شيأ ما قاله من حكينا قوله لقال واتقوا يوما لا تجزى نفس من نفس شيأ وفى صحة التنزيل بقوله لا تجزى نفس عن نفس شيأ أوضح الدلالة على صحة ما قلنا وفساد قول من ذكرنا قوله فى ذلك ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (ولا تقبل منها شفاعة) والشفاعة مصدر من قول الرجل شفع لى فلان الى فلان شفاعة وهو طلبه اليه فى قضاء حاجته وانما قيل للشفيع شفيع وشافع لانه ثنى المستشفع له فصار له شفعا وكان ذو الحاجة قبل استشفاعه به فى حاجته فردا فصار صاحبه له شفعا وطلبه فيه وفى حاجته شفاعة ولذلك سمى الشفيع فى الدار وفى الارض شفيعا لمصير البائع به شفعا فتأويل الآية اذا واتقوا يوما لا تقضى نفس عن نفس حقا لزمها لله جل ثناؤه ولا لغيره ولا يقبل الله منها شفاعة شافع فيترك لها ما لزمها من حق وقيل ان الله عز وجل خاطب أهل هذه الآية بما خاطبهم به فيها لانهم كانوا من يهود بنى اسرائيل وكانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه وسيشفع لنا عنده آباؤنا فأخبرهم الله جل وعز ان نفسا لا تجزى عن نفس شيأ فى القيامة ولا يقبل منها شفاعة أحد فيها حتى يستوفى لكل ذى حق منها حقه كما حدثنى عباس بن أبى طالب قال حدثنا حجاج بن مصير عن شعبة عن العوام بن مزاحم رجل من قيس بن ثعلبة عن أبى عثمان النهدى عن عثمان بن عفان ان رسول الله صلى الله

جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فتأخر وعن الحسن خلق الله الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وزيف بان الارض جسم عظيم يمتنع انفكاك خلقها عن التدحية وأيضا فقوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء يدل ان خلق الارض وخلق ما فيها مقدم على خلق السماء لان خلق الاشياء فى الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة وقال بعض العلماء فى دفع التناقض قوله والارض بعد ذلك دحاها يقتضى تقدم خلق السماء على الارض ولا يقتضى أن يكون تسوية السماء مقدمة على خلق الارض وزيف أيضا بان قوله أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها يقتضى أن يكون خلق السماء وتسويتها مقدما على تدحية الارض بل على خلقها لانهما متلازمان وحينئذ يعود التناقض والمعتمد عند بعضهم فى دفعه ان يقال ثم ليس للترتيب ههنا وانما هو على جهة تعديد النعم مثاله ان تقول لغيرك ألست قد أعطيتك نعما عظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت عنك الخصوم ولعل بعض ما أخرته فى الذكر مقدم فى الوقوع قلت وهذا صحيح معقول من حيث ابتداء الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف ان ساعده النقل والا فلا احالة فى انه تعالى خلق الارض أولا فى غاية الصغر وجعل فيها أصول الجبال ووضع فيها البركة وقدر الاقوات ثم استوى الى السماء فسواهن سبعا ثم دحا الارض بان جعلها أعظم مما كانت عليه كهيئتها الآن والله تعالى أعلم والضمير فى سواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره نحو ربه رجلا وفائدة الابهام أولا ثم البيان ثانيا ان الكلام هكذا أوقع فى النفس لان المحصول بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب وقيل الضمير راجع الى السماء علیه والسماء فى معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربى هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور أو اتمام خلقهن وهو بكل شئ عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما فى الارض على حسب الحاجات وكفاء المصالح ومقتضى الحكمة والتدبير وهذا عام لم يدخله التخصيص قط وبه يهدم بناء من زعم انه غير عالم بالجزئيات لانه تعالى لو لم يعرف تفاصيلها لم تكن

عليه وسلم قال ان الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة كما قال الله عز وجل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ الآية فآيسهم الله جل ذكره مما كانوا أطمعوا فيه أنفسهم من النجاة من عذاب الله مع تكذيبهم بما عرفوا من الحق وخلافهم أمر الله في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عنده من شفاعة آبائهم وغيرهم من الناس كلهم وأخبرهم انه غير نافعهم عنده الا التوبة اليه من كفرهم والانابة من ضلالهم وجعل ما تبين فيهم من ذلك اماما لكل من كان على مثل منهاجهم لئلا يطمع ذو الحاذق رحمة الله وهذه الآية وان كان مخرجها عاما في التلاوة فان المراد بها خاص في التاويل لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وأنه قال ليس من نبي الا وقد أعطي دعوة واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي وهي نائلة منهم من لا يشرك بالله شيأ وقد تبين بذلك ان الله جل ثناؤه قد يصفح لعباده المؤمنين بشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن كثير من عقوبة اجرامهم بينه وبينهم وان قوله ولا يقبل منها شفاعة انما هي لمن مات غير تائب الى الله عز وجل وليس هذا من مواضع الاطالة في القول والشفاعة والوعد والوعيد فنستقصي الحجج في ذلك وسنأتي على ما فيه الكفاية في مواضعه ان شاء الله تعالى ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ولا يؤخذ منها عدل) والعدل في كلام العرب بفتح العين الفدية كما حدثنا به المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ولا يؤخذ منها عدل قال يعني فداء حدثنا الحسن ابن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولا يؤخذ منها عدل قال لو جاءت بكل شئ لم يقبل منها وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا سباط بن نصر عن السدي ولا يؤخذ منها عدل اى ما عدل فعدلها من العدل يقول لو جاءت بملء الارض ذهبا تفتدى به ما يقبل منها حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولا يؤخذ منها عدل قال لو جاءت بكل شئ لم يقبل منها حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا حسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قال ابن عباس ولا يؤخذ منها عدل قال بدل والبدل الفدية حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولا يؤخذ منها عدل قال لو أن لها ملء الارض ذهبا لم يقبل منها فداء قال ولو جاءت بكل شئ لم يقبل منها وحدثني نجيح بن ابراهيم قال حدثنا علي بن حكيم قال حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عمرو بن قيس الملائي عن رجل من بني أمية من أهل الشام أحسن عليه الثناء قال قيل يا رسول الله ما العدل قال العدل الفدية وانما قيل للفدية من الشئ والبدل منه عدل لمعادلته اياه وهو من غير جنسه ومصيره له مثلا من وجه الجزاء لا من وجه المشابهة في الصورة والخلقة كما قال جل ثناؤه وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها بمعنى وان تفد كل فدية لا يؤخذ منها يقال منه هذا عدله وعديله وأما العدل بكسر العين فهو مثل الحمل المحمول على الظهر يقال من ذلك عندي غلام عدل غلامك وشاة عدل شاتك بكسر العين اذا كان غلام يعدل غلاما وشاة تعدل شاة وكذلك ذلك في كل مثل للشئ من جنسه فاذا أريد أن عنده قيمته من غير جنسه نصبت العين فقيل عندي عدل شاتك من الدراهم وقد ذكر عن بعض العرب انه بكسر العين من العدل الذي بمعنى الفدية المعادلة ما عادله من جهة الجزاء وذلك لتقارب معنى العدل والعدل عندهم

محاوقاته على غاية الاتقان والاحكام فسبحانه من خبير يعلم القرة في الاجواف والمرة في الاصداف والقطرة في البحر والخطرة في الصدر وعلى هذا يدور نظام العالم وبه يحصل قوام مناهج بني آدم ثم ان العقل قد يدل على وجود سبع سموات وتخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد فاثبت أهل الارصاد تسعة أفلاك على ما استقر عليه رأيهم أولها من الجانب الاعلى للحركة اليومية لان هذه الحركة تشمل جميع الاجرام فيجب أن يكون فلكها حاويا بالكل وثانيها للثوابت جميعها لتحدد الادنى الدرجات لاتحاد الحركات وان كان كونها على أفلاك شتى جائزا والسبعة الباقية للسيارات السبعة جميع ذلك بوجود اختلاف المنظر وعدمه وعلى ترتيب يخلف بعضها بعضا أولها مما يلينا القمر وفوقه لعطارد ثم للزهرة ثم للشمس ثم للمريخ ثم للمشتري ثم لزحل ونازعهم بعض الناس في زيادة الفلكين الثامن والتاسع فقال من المحتمل ان يتصل نفس بمجموع السبعة فتحركها حركة الكل ثم يكون لكل فلك نفس على حدة تحركه حركته الخاصة به وتكون الثوابت على محدب مثل زحل مثلا وبالجملة فلم يتبين لاحد من الاوائل والاواخر كمية أعداد السموات على ما هي عليه لا عقلا ولا سمعا وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون) القراآت خليفة وأشباهها بالامالة عند الوقف أبو عمرو وحمزة وعلي والاعشى والبرجمي الا أن يكون قبلها من الحروف الموانع السبع وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف نحو خاصة وفريضة وحطة وغلظة وصبغة وصاخة وشقة وأما العين والحاء والراء فعلى الاختلاف عن أهل المدينة فاشدهم امالة حمزة وعلي فاما أبو عمرو والاعشى والبرجمي فانهم يميلون بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب اني أعلم بفتح الياء ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو ❊ الوقوف خليفة (ط) بناء على ان عامل اذ محذوف أي اذكر ومن جعل قالوا عامل اذ وصل الدماء (ج) لان انتهاء الاستفهام على قوله ويسفك الدماء يقتضي الفصل واحتمال الواو لمعنى الحال في قوله ونحن نسبح بحمدك يقتضي الوصل ونقدس لك (ط) ما تعلمون (ه) ❊ التفسير هذا ابتداء الاخبار عن كيفية خلق آدم عليه السلام وعن كيفية تعظيمه اياه فينخرط في سلك ما تقدمه من النعم فان النعمة على الآباء نعمة

فاما واحد الاعدال فلم يسمع فيه الاعدل بكسر العين ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولاهم ينصرون) وتاويل قوله ولاهم ينصرون يعنى انهم يومئذ لا ينصرهم ناصر كما لا يشفع لهم شافع ولا يقبل منهم عدل ولا فدية بطلت هنالك المحاباة واضمحلت الرشا والشفاعات وارتفع من القوم التعاون والتناصر وصار الحكم الى العدل الجبار الذى لا ينفع لديه الشفعاء والنصراء فيجزى بالسيئة مثلها وبالحسنة أضعافها وذلك نظير قوله جل ثناؤه وقفوهم انهم مسئولون مالكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وكان ابن عباس يقول فى معنى لا تناصرون ما حدثنيه عن المنجاب قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس مالكم لا تناصرون مالكم لا تمانعون منا هيهات ليس ذلك لكم اليوم وقد قال بعضهم فى معنى قوله ولاهم ينصرون بالطلب فيهم والشفاعة والفدية والقول الاول أولى بتاويل الآية لما وصفنا من ان الله جل ثناؤه انما أعلم المخاطبين بهذه الآية أن يوم القيامة يوم لا فدية لمن استحق من خلقه عقوبته ولا شفاعة فيه ولا ناصر له وذلك ان ذلك قد كان لهم فى الدنيا فأخبر ان ذلك يوم القيامة معدوم لا سبيل لهم اليه ۞ القول فى تاويل قوله (واذ نجيناكم من آل فرعون) أما تأويل قوله واذ نجيناكم فانه عطف على قوله يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى فكأنه قال اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم واذكروا نعمتى عليكم اذ نجيناكم من آل فرعون بانجائناكم منهم وأما آل فرعون فانهم أهل دينه وقومه وأشياعه وأصل آل أهل أبدلت الهاء همزة كما قالوا ماء فابدلوا الهاء همزة فاذا صغروا قالوا مويه فردوا الهاء فى التصغير واخرجوه على أصله وكذلك اذا صغروا آل قالوا أهيل وقد حكى سماعا من العرب فى تصغير آل أويل وقد يقال فلان من آل النساء يراد به انه منهن خلق ويقال ذلك أيضا بمعنى انه يريدهن ويهواهن كما قال الشاعر

فانك من آل النساء وانما * تكن لأدنى لا وصال لغائب

وأحسن أماكن آل ان ينطق به مع الاسماء المشهورة مثل قولهم آل النبى محمد صلى الله عليه وسلم وآل على وآل عباس وآل عقيل وغير مستحسن استعماله مع المجهول وفى أسماء الارضين وما أشبه ذلك غير حسن عند أهل العلم بلسان العرب ان يقال رأيت آل الرجل ورآنى آل المرأة ولا رأيت آل البصرة وآل الكوفة وقد ذكر عن العرب سماعا انها تقول رأيت آل مكة وآل المدينة وليس ذلك فى كلامهم بالمستعمل الفاشى وأما فرعون فانه يقال انه اسم كانت ملوك العمالقة بمصر تسمى به كما كانت ملوك الروم تسمى بعضهم قيصر وبعضهم هرقل وكانت ملوك فارس تسمى الاكاسرة واحدهم كسرى وملوك اليمن تسمى التبابعة واحدهم تبع وأما فرعون موسى الذى أخبر الله تعالى عن بنى اسرائيل انه نجاهم منه فانه يقال ان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وكذلك ذكر محمد ابن اسحق انه بلغه عن اسمه حدثنا بذلك محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق ان اسمه الوليد ابن مصعب بن الريان وانما جاز ان يقال واذ نجيناكم من آل فرعون والخطاب به لمن لم يدرك فرعون ولا المنجين منه لان المخاطبين بذلك كانوا أبناء من نجاهم من فرعون وقومه فاضاف ما كان من نعمه على آبائهم اليهم وكذلك ما كان من كفران آبائهم على وجه الاضافة كما يقول القائل لآخر فعلنا بكم كذا وفعلنا بكم كذا وقتلناكم وسبيناكم والمخبر اما أن يكون يعنى قومه وعشيرته بذلك

على الابناء واذههنا مجرد لمعنى الظرفية أى اذكر وقت قول ربك كقوله واذكر أخا عاد اذ أنذر أى وقت انذاره على انه بدل من أخا عاد لان الذكر فى ذلك الوقت ممتنع والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل واحد من بنى آدم ويجوز ان ينتصب بقالوا فيكون للمجازاة والملائكة جمع ملأك وأصله مألك بتقديم الهمزة من الالوكة وهى الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك وجمع على فعائل مثل شمائل ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال وألقيت حركتها على اللام والحاق التاء لتأنيث الجمع نحو حجارة وقد لا تلحق واعلم ان الملائكة قبل النبى صلى الله عليه وسلم بالشرف والعلية وان كان بعده فى عقولنا وأذهاننا وقد جعلهم الله واسطة بينه وبين رسله فى تبليغ الوحى والشريعة وقدم ذكر الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالانبياء والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا خلاف بين العقلاء فى ان شرف العالم العلوى بالملائكة كما ان شرف العالم السفلى بوجود الانبياء فيه والناس فى حقيقة الملائكة مذاهب منهم من زعم انها أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات وهو قول أكثر المسلمين ومنهم عبدة الاوثان القائلون ان الملائكة هى هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والانحاس وانها أحياء ناطقة فالمسعدات ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب ومنهم معظم المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة وانهما عندهم جوهران حساسان مختاران قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقى طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحيى ولا يبلى وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة عن الحكيم والضوء من المضىء وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه ومنهم القائلون بانها جواهر غير متحيزة ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم طوائف من النصارى انها هى الانفس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت صافية خيرة فالملائكة وان كانت خبيثة كثيفة فالشياطين وقال آخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية وانها أكمل قوة وأكثر علما ونسبتها الى النفوس البشرية نسبة الشمس الى الاضواء فمنها نفوس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من أثبت أنواعا أخر او

أوأهل بلده و وطنه كان المقول له ذلك أدرك ما فعل بهم من ذلك أولم يدركه كما قال الاخطل يهاجي جرير بن عطية

ولقد سما لكم الهذيل فنالكم * باراب حين تقسم الانفالا
في فيلق يدعو الاراقم لم تكن * فرسانه عزلا ولا اكفالا

ولم يلق جرير هذيلا ولا أدركه ولا أدرك اراب ولا شهده ولكنه لما كان يوما من أيام قوم الاخطل على قوم جرير أضاف الخطاب اليه والى قومه فكذلك خطاب الله عز وجل من خاطبه بقوله واذ نجيناكم من آل فرعون لما كان فعله ما فعل من ذلك بقوم من خاطبه بالآية وآبائهم أضاف فعله ذلك الذي فعله بآبائهم الى المخاطبين بالآية وقومهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يسومونكم سوء العذاب) وفي قوله يسومونكم وجهان من التأويل أحدهما ان يكون خبرا مستأنفا عن فعل فرعون ببني اسرائيل فيكون معناه حينئذ واذكروا نعمتي عليكم اذ نجيناكم من آل فرعون وكانوا من قبل يسومونكم سوء العذاب واذا كان ذلك تأويله كان موضع يسومونكم رفعا والوجه الثاني أن يكون يسومونكم حالا فيكون تأويله حينئذ واذ نجيناكم من آل فرعون سائميكم سوء العذاب فيكون حالا من آل فرعون وأما تأويل قوله يسومونكم فانه يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم يقال منه سامه خطة ضيم اذا أولاه ذلك كما قال الشاعر * ان سيم خسفا وجهه تربدا * فأما تأويل قوله سوء العذاب فانه يعني ما ساءهم من العذاب وقد قال بعضهم أشد العذاب ولو كان ذلك معناه لقيل أسوأ العذاب فان قال لنا قائل وما ذلك العذاب الذي كانوا يسومونهم الذي كان يسوءهم قيل هو ما وصفه الله تعالى في كتابه فقال يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وقد قال محمد بن اسحق في ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة قال أخبرنا ابن اسحق قال كان فرعون يعذب بني اسرائيل فيجعلهم خدما وخولا وصنفهم في أعماله فصنف يبنون وصنف يزرعون له فهم في أعماله ومن لم يكن منهم في صنعة من عمله فعليه الجزية فسامهم كما قال الله عز وجل سوء العذاب وقال السدي جعلهم في الاعمال القذرة وجعل يقتل أبناءهم ويستحي نساءهم حدثني بذلك موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) وأضاف الله جل ثناؤه ما كان من فعل آل فرعون ببني اسرائيل من سومهم اياهم سوء العذاب وذبحهم أبناءهم واستحيائهم نساءهم اليهم دون فرعون وان كان فعلهم ما فعلوا من ذلك كان بقوة فرعون وعن أمره لمباشرتهم ذلك بأنفسهم فبين ذلك ان كل مباشر قتل نفس أو تعذيب حي بنفسه وان كان عن أمر غيره ففاعله المتولي ذلك هو المستحق اضافة ذلك اليه وان كان الآمر قاهرا الفاعل المأمور بذلك سلطانا كان الآمر أو لصا خاربا أو متغلبا فاجرا كما أضاف جل ثناؤه ذبح أبناء بني اسرائيل واستحياء نسائهم الى آل فرعون دون فرعون وان كانوا بقوة فرعون وأمره اياهم بذلك فعلوا ما فعلوا مع غلبته اياهم وقهره لهم فكذلك كل قاتل نفسا بأمر غيره ظلما فهو المقتول عندنا به قصاصا وان كان قتله اياه باكراه غيره له على قتله وأما تأويل ذبح أبناء بني اسرائيل واستحيائهم نساءهم فانه كان فيما ذكر لنا عن ابن عباس وغيره كالذي حدثنا به العباس بن الوليد الاملي وتميم بن المنتصر الواسطي قالا حدثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا الاصبغ

من ... ولكل من العرق دلالة على ما ذهب اليه بطول ذكرها ههنا وقد يستدل عليها أصحاب المجاهدات من جهة المكاشفة وأصحاب الحاجات والضرورات من جهة مشاهدة الآثار العجيبة والهداية الى المعالجات النادرة الغريبة وتركيب المعجونات واستخراج صنعة الترياقات كما يحكى انه كان لجالينوس وجع في الكبد فرأى في المنام كأن امرأ يأمره ان يفصد الشريان الذي على ظهر كفه اليمنى بين السبابة والابهام ففعل فعوفي ومما يدل على ذلك حال الرؤيا الصادقة ولا نزاع البتة بين الانبياء عليهم السلام في اثبات الملائكة وذلك كالامر المجمع عليه بينهم وأما شرح كثرتهم فقد قال صلى الله عليه وسلم أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد أو راكع وروي ان بني آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيها فانها كلها يكون شيأ يسيرا وقدرا قليلا وما مقدار موضع قدم الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم الا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم أشياع اسرافيل صلى الله عليه وسلم والملائكة الذين هم جنود جبريل وهم كلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون * وأما أصنافهم فمنهم حملة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنهم أكابر الملائكة جبرائيل صاحب الوحي والعلم وميكائيل صاحب الرزق والغذاء واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل ملك الموت ومنهم ملائكة الجنة وملائكة يدخلون عليهم من كل باب ومنهم ملائكة النار عليها تسعة عشر ومنهم الموكلون ببني آدم عن اليمين وعن الشمال قعيد ومنهم الموكلون بأحوال هذا العالم ...

وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم أمناء على وحيه والسنة الى رسله و مختلفون بقضائه وأمره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الاقطار أركانهم والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم ناكسة دونه أبصارهم متلفعون تحته بأجنحتهم مضروبة بينهم و بين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر ثم انه روى الضحاك عن ابن عباس انه سبحانه انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع ابليس لان الله تعالى لما أسكن الجن الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس في جند من الملائكة فاخرجوهم من الارض وألحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفة وقال أكثر الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة الملائكة من غير تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم والتخصيص خلاف الاصل وجاعل من جعل الذي له مفعولان معناه مصير في الارض خليفة وانما لم يقل اني خالق كما قال اني خالق بشرا من طين لانه باعتبار الخلافة من عالم الامر لا من عالم الخلق والظاهر ان الارض يراد بها ما بين الخافقين وقد يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض ههنا أرض مكة التي دحيت الارض من تحتها والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وجمعه خلائف مثل كريمة وكرائم وجاء خلفاء لانهم جمعوه على اسقاط الهاء مثل ظريف وظرفاء والمراد به آدم صلى الله عليه وسلم اما لانه صار خليفة لاولئك الجن الذين تقدموه ويروى ذلك عن ابن عباس واما لانه يخلف الله في الحكم بين خلقه كقوله يا داود انا جعلناك من خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وهو المروي عن ابن مسعود والسدي وعن الحسن ان المراد بالخليفة أبناء آدم لانه يخلف بعضهم بعضا ويؤيده قوله وهو الذي جعلكم خلائف الارض وانما أخذ بتاويل من يخلف أو خلفا يخلف وبالحقيقة الانسان يخلف جميع المكونات من الروحانيات والجسمانيات والسماويات والارضيات ولا يخلفه شيء منها اذ لم يجتمع في شيء منها ما اجتمع فيه وليس للعالم مصباح يضيء بنار

ابن زيد قال حدثنا القاسم بن أيوب قال حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد ابراهيم خليله أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا وائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه ففعلوا فلما رأوا ان الكبار من بني اسرائيل يموتون بآجالهم وان الصغار يذبحون قال توشكون ان تفنوا بني اسرائيل فتصيروا الى ان تباشروا من الاعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فتقل أبناؤهم ودعوا عاما فحملت أم موسى بهرون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة حتى اذا كان القابل حملت بموسى وقد حدثنا عبد الكريم بن الهيثم قال حدثنا ابراهيم بن بشار الرمادي قال حدثنا سفيان بن عيينة قال حدثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال قالت الكهنة لفرعون انه يولد في هذا العام مولود يذهب بملكك قال فجعل فرعون على كل ألف امرأة مائة رجل وعلى كل مائة عشرة وعلى كل عشرة رجلا فقال انظروا كل امرأة حامل في المدينة فاذا وضعت حملها فانظروا اليه فان كان ذكرا فاذبحوه وان كان أنثى فخلوا عنها وذلك قوله يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم حدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب قال ان فرعون ملكهم أربعمائة سنة فقالت الكهنة سيولد العام بمصر غلام يكون هلاك على يديه فبعث في أهل مصر نساء قوابل فاذا ولدت امرأة غلاما أتي به فرعون فقتله ويستحيي الجواري وحدثني المثنى قال حدثنا اسحق بن الحجاج قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله واذ نجيناكم من آل فرعون الآية قال ان فرعون ملكهم أربعمائة سنة وانه أتاه آت فقال انه سينشأ في مصر غلام من بني اسرائيل فيظهر عليك ويكون هلاكك على يديه فبعث في مصر نساء فذكر نحو حديث آدم وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط بن نصر عن السدي قال كان من شأن فرعون انه رأى رؤيا في منامه ان نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بني اسرائيل وأخربت بيوت مصر فدعا السحرة والكهنة والعافة والقافة والحازة فسألهم عن رؤياه فقالوا له يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو اسرائيل منه يعنون بيت المقدس رجل يكون على وجهه هلاك مصر فأمر بني اسرائيل ان لا يولد لهم غلام الا ذبحوه ولا تولد لهم جارية الا تركت وقال للقبط انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا فادخلوهم واجعلوا بني اسرائيل يلون تلك الاعمال القذرة فجعل بني اسرائيل في أعمال غلمانهم وادخلوا غلمانهم فذلك حين يقول الله تبارك وتعالى ان فرعون علا في الارض يقول تجبر في الارض وجعل أهلها شيعا يعني بني اسرائيل حين جعلهم في الاعمال القذرة يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم فجعل لا يولد لبني اسرائيل مولود الا ذبح فلا يكبر الصغير وقذف الله في مشيخة بني اسرائيل الموت فاسرع فيهم فدخل رؤس القبط على فرعون فكلموه فقالوا ان هؤلاء قد وقع فيهم الموت فيوشك أن يقع العمل على غلماننا بذبح أبنائهم فلا تبلغ الصغار وتفنى الكبار فلو انك كنت تبقي

نُور الله فيظهر أنوار صفاته خلافة عنه الا مصباح الانسان لانه أعطى مصباح السر فى زجاجة القلب والزجاجة فى مشكاة الجسد وفى زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها من صفاء العقل ولو لم تمسسه نار نور وفى مصباح السر فتيلة الخفا فاذا استنار مصباحه بنار نور الله كان خليفة الله فى أرضه فيظهر أنوار صفاته فى هذا العالم بالعدل والاحسان والرأفة والرحمة واللطف والقهر ولا تظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك فاعلم والفائدة فى اخبار الملائكة بذلك اما تعليم العباد المشاورة فى (٢٠٩) أمورهم وان كان هو بحكمته البالغة غنيا عن ذلك

واما ليسئلوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيب واعلم أن الجمهور من علماء الدين على ان الملائكة كلهم معصومون عن جميع الذنوب لقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون فلا شئ من المامورات بل ومن المنهيات لان المنهى مامور بتركه الا ويدخل فيه بدليل صحة الاستثناء وأيضا لقوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار ولا يفترون الى غير ذلك من الآيات وطعن فيهم بعض الحشوية بانهم قالوا أتجعل والاعتراض على الله من أعظم الذنوب وأيضا نسبوا بنى آدم الى القتل والفساد وهذا غيبة وهى من الكبائر وأيضا مدحوا أنفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك وهو عجب وأيضا قولهم لا علم لنا لا ماعلمتنا اعتذار والعذر دليل الذنب وأيضا قوله تعالى ان كنتم صادقين دل على انهم كانوا كاذبين فيما قالوه وأيضا قوله ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض يدل على انهم كانوا مرتابين فى انه تعالى عالم بكل المعلومات وأيضا علمهم بالافساد وسفك الدماء اما بالوحى وهو بعيد والا لم يكن لاعادة الكلام فائدة واما بالاستنباط والظن وهو منهى ولا تقف ماليس لك به علم وأيضا قصة هاروت وماروت وتوان ابليس كان من الملائكة المقربين ثم عصى الله وكفر والجواب عن اعتراضهم على الله ان غرضهم من ذلك السؤال لم يكن هو الانكار ولا تنبيه انه على شئ لا يعلمه فان هذا الاعتقاد كفر وانما المقصود من ذلك أمور منها ان الانسان اذا كان قاطعا بحكمة غيره ثم رآه يفعل فعلا لا يهتدى ذلك الانسان الى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجبا فكانهم قالوا اعطاء هذه النعم العظام من يفسد و يسفك لا تفعله الا لوجه دقيق وسر غامض فما أبلغ حكمتك ومنها ان ايراد الاشكال طلبا للجواب غير محذور

من أولادهم فامر ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فلما كان فى السنة التى لا يذبحون فيها ولد هرون فترك فلما كان فى السنة التى يذبحون فيها حملت بموسى **حدثنا** محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر لى انه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو فرعون وحزاته اليه فقالوا له تعلم انا نجد فى علمنا ان مولودا من بنى اسرائيل قد أظلك زمانه الذى يولد فيه يسلبك ملكك و يغلبك على سلطانك و يخرجك من أرضك و يبدل دينك فلما قالوا له ذلك أمر بقتل كل مولود يولد من بنى اسرائيل قلنا يفعل ذلك فكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان و يامر بالحبالى فيعذبن حتى يطرحن مافى بطونهن **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عبد الله بن ابى نجيح عن مجاهد قال لقد ذكر انه كان ليامر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار ثم يصف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بنى اسرائيل فيوقفن عليه فيحز أقدامهن حتى ان المرأة منهن لتمضغ بولدها فيقع من بين رجليها فتظل تطؤه تتقى به حد القصب عن رجلها لما بلغ من جهدها حتى أسرف فى ذلك و كاد يفنيهم فقيل له أفنيت الناس وقطعت النسل وانهم خولك وعمالك فامر ان يقتل الغلمان عاما و يستحيوا عاما فولد هرون فى السنة التى يستحيا فيها الغلمان و ولد موسى فى السنة التى فيها يقتلون فالذى قاله من ذكرنا قوله من أهل العلم كان ذبح آل فرعون أبناء بنى اسرائيل واستحياؤهم نساءهم فتاويل قوله اذا على ماقول الذين ذكرنا قولهم و يستحيون نساءهم يستبقونهم فلا يقتلونهن وقد يجب على تاويل من قال بالقول الذى ذكرنا عن ابن عباس وأبى العالية والربيع بن أنس والسدى فى تاويل قوله و يستحيون نساءكم انه تركهم الاناث من القتل عند ولادتهن اياهن ان يكون جائزا ان تسمى فى حال صباها و بعد ولادها امرأة والصبايا الصغار وهن أطفال نساء لانهم تاولوا قول الله جل وعز و يستحيون نساءكم يستبقون الاناث من الولدان عند الولادة فلا يقتلونهن وقد أنكر ذلك من قولهم ابن جريج فقال بما **حدثنا** به القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قوله و يستحيون نساءكم قال يسترقون نساءكم فجاء ابن جريج بقوله هذا عما قيل فى قوله و يستحيون نساءكم انه استحياء الصبايا الاطفال قال اذ لم نجدهن يلزمهن اسم نساء ثم دخل فيما هو أعظم مما أنكر بتأوله و يستحيون و يسترقون وذلك تاويل غير موجود فى لغة عربية ولا عجمية وذلك ان الاستحياء انما هو الاستفعال من الحياة نظير الاستبقاء من البقاء وهو من معنى الاسترقاق بمعزل وقد قال آخرون قوله يذبحون أبناءكم بمعنى يذبحون رجالكم أبناء آبائكم وأنكروا أن يكون المذبوحون الاطفال وقد قرن بهم النساء فقالوا فى اخبار الله جل ثناؤه ان المستحيين هم النساء الدلالة الواضحة على ان الذين كانوا يذبحون هم الرجال دون الصبيان لان المذبحين لو كانوا هم الاطفال لوجب أن يكون المستحيون هم الصبايا قالوا وفى اخبار الله عز وجل انهم النساء مايبين ان المذبحين هم الرجال وقد أغفل قائلو هذه المقالة مع خروجهم من تاويل أهل التاويل من الصحابة والتابعين موضع الصواب وذلك ان الله جل ثناؤه قد أخبر عن وحيه الى أم موسى انه أمرها ان ترضع موسى فاذا خافت عليه ان تلقيه فى التابوت ثم تلقيه فى اليم فمعلوم بذلك ان القوم لو كانوا انما كانوا يقتلون الرجال و يتركون النساء لم يكن بام موسى حاجة الى القاء موسى فى اليم

فكأنه قيل الهنا أنت الحكيم الذي لا يفعل السفه البتة وتمكين السفيه من السفه قبيح من الحكيم فكيف تمكن الجمع بين الامرين وهذا جواب المعتزلة واستدلوا به على ان الملائكة لم يجوزوا صدور القبيح من الله تعالى فكانوا على مذهب أهل العدل قالوا ومما يؤكد ذلك انهم أضافوا الفساد وسفك الدماء الى المخلوقين لا الى الخالق وأيضا قالوا ونحن نسبح بحمدك والتسبيح تنزيه ذاته عن صفة الاجسام والتقديس تنزيه أفعاله عن صفة الذم ونعت

الصفة ومنها ان الخيرات في هذا العالم غالبة على شرورها وترك الخير الكثير

أولوا ان موسى كان رجلا لم تعلمه أمه في التابوت ولكن ذلك عندنا على ما تأوله ابن عباس ومن حكينا قوله قبل من ذبح آل فرعون الصبيان وتركهم من القتل الصبايا وانما قيل ويستحيون نساءكم اذ كان الصبايا داخلات مع أمهاتهن وأمهاتهن لاشك نساء في الاستحياء لانهم لم يكونوا يقتلون صغار النساء ولا كبارهن فقيل ويستحيون نساءكم يعني بذلك الوالدات والمولودات كما يقال قد أقبل الرجال وان كان فيهم صبيان فكذلك قوله ويستحيون نساءكم وأما من الذكور فانه لما لم يكن يذبح الا المولود دون قيل يذبحون أبناءكم ولم يقل يذبحون رجالكم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أما قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فانه يعني وفي الذي فعلنا بكم من انجائنا اياكم مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون اياكم على ما وصفت بلاء لكم من ربكم عظيم ويعني بقوله بلاء نعمة كما حدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو صالح قال حدثني معاوية ابن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله بلاء من ربكم عظيم قال نعمة وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط عن السدي في قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال نعمة من ربكم عظيمة حدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلاء من ربكم عظيم قال نعمة من ربكم عظيمة حدثني القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال نعمة عظيمة وأصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان ثم يستعمل في الخير والشر لان الامتحان والاختبار قد يكون بالخير كما يكون بالشر كما قال الله جل ثناؤه وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون اي يقول اختبرناهم وكما قال جل ذكره ونبلوكم بالشر والخير فتنة ثم تسمى العرب الخير بلاء والشر بلاء غير ان الاكثر في الشر ان يقال بلوته أبلوه بلاء وفي الخير أبليته أبليه ابلاء وبلاء ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم * وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

فجمع بين اللغتين لانه أراد فانعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (واذ فرقنا بكم البحر) أما تأويل قوله واذ فرقنا فانه عطف على واذ نجيناكم بمعنى واذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واذكروا اذ نجيناكم من آل فرعون واذ فرقنا بكم البحر ومعنى قوله فرقنا بكم فصلنا بكم البحر لانهم كانوا اثني عشر سبطا ففرق البحر اثني عشر طريقا فسلك كل سبط منهم طريقا منها فذلك فرق الله بهم جل ثناؤه البحر وفصله بهم بتفريقهم في طرقه الاثني عشر كما حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط بن نصر عن السدي لما أتى موسى البحر كناه أبا خالد وضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فدخلت بنو اسرائيل وكان في البحر اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط وقد قال بعض نحويي البصرة معنى قوله واذ فرقنا بكم البحر فرقنا بينكم وبين الماء يريد بذلك فصلنا بينكم وبينه وحجزناه حيث مررتم فيه وذلك خلاف ما في ظاهر التلاوة لان الله جل ثناؤه انما أخبر انه فرق البحر بالقوم ولم يخبر انه فرق بين القوم وبين البحر فيكون التأويل ما قاله قائلو هذه المقالة وفرقه البحر بالقوم انما هو تفريقه البحر بهم على ما وصفنا من افتراق سبيله بهم على ما جاءت به الآثار ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون)

لاجل الشر القليل شر كثير فالملائكة نظروا الى الشرور فاجابهم الله تعالى بقوله اني أعلم ما لا تعلمون أي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لاجل الشر القليل وهذا جواب الحكيم ومنها ان سؤالهم كان على وجه المبالغة في اعظام الله تعالى فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره أن يكون له عبد يعصيه ومنها ان قولهم أتجعل مسئلة منهم ان يجعل الارض أو بعضها لهم ان كان ذلك صلاحا نحو قول موسى أتهلكنا بما فعل السفهاء أي لا تهلكنا فقال تعالى اني أعلم ما لا تعلمون من صلاحكم وصلاح هؤلاء فبين ان الاختيار لهم السماء ولهؤلاء الارض ليرضى كل فريق بما اختار الله ومنها ان هذا الاستفهام خارج مخرج الايجاب كقول جرير شعر * ألستم خير من ركب المطايا * أي أنتم كذلك والا لم يكن مدحا فكأنهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك لانا نعلم في الجملة انك لا تفعل الا الصواب والحكمة فقال تعالى اني أعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وهو الفساد والفشل وأنا أعلم ظاهرهم وما في باطنهم من الاسرار الخفية التي تقتضي ايجادهم وفيه ان استحقاق تلك الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكنه بسابق العناية وانه تعالى غني عن طاعة المطيعين كما أنه لا يضره معصية المذنبين والجواب عن الغيبة ان من أراد ايراد السؤال وجب ان يتعرض لمحل الاشكال فلهذا ذكر والفساد والسفك لا الغيبة وعن العجب أن مدح النفس غير ممنوع منه مطلقا وأما بنعمة ربك فحدث فكأنهم قالوا ما سألناك القدح في حكمتك يارب فانا نعترف لك بالالهية والحكمة بل لطلب وجه الحكمة وعن الاعتذار انه لم يكن الذنب بل لان ترك السؤال كان أولى وروى عن الحسن وقتادة ان الله تعالى لما أخذ في خلق آدم همست الملائكة فيما بينهم وقالوا ليخلق ربنا ما شاء ان

تنظرون) ان قال لنا قائل وكيف غرق الله جل ثناؤه آل فرعون ونجى بنى اسرائيل قيل له كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال لقد ذكر لى انه خرج فرعون فى طلب موسى على سبعين ألفا من دهم الخيل سوى ما فى جنده من شية الخيل وخرج موسى حتى اذا قابله البحر ولم يكن له عنه منصرف طلع فرعون فى جنده من خلفهم فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال موسى كلا ان معى ربى سيهدين أى للنجاة وقد وعدنى ذلك ولا خلف لموعوده حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق قال أوحى الله فيما ذكر الى البحر اذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له قال فبات البحر يضرب بعضه بعضا فرقا من الله وانتظار امره فاوحى الله جل وعز الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه بها وفيها سلطان الله الذى أعطاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم أى كالجبل على يبس من الارض يقول الله لموسى اضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فلما استقر لهم البحر على طريق قائمة يبس سلك فيه موسى ببنى اسرائيل واتبعه فرعون بجنوده وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن شداد بن الهاد الليثى قال حدثت انه لما دخلت بنو اسرائيل فلم يبق منهم أحد أقبل فرعون وهو على حصان له من الخيل حتى وقف على شفير البحر وهو قائم على حاله فهاب الحصان أن ينفذ فعرض له جبريل على فرس أنثى وديق فقربها منه فشمها الفحل فلما شمها تبعها فتقدم معها الحصان عليه فرعون فلما رأى خيل فرعون فرعون قد دخل دخلوا معه وجبريل امامه وهم يتبعون فرعون وميكائيل على فرس من خلف القوم يسوقهم يقول الحقوا بصاحبكم حتى اذا فصل جبريل من البحر ليس امامه أحد ووقف ميكائيل على ناحيته الاخرى وليس خلفه أحد طبق عليهم البحر ونادى فرعون حين رأى من سلطان الله عز وجل وقدرته ما رأى وعرف ذلته وخذلته نفسه آمنت بالذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق الهمدانى عن عمرو بن ميمون الاودى فى قوله واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون قال لما خرج موسى ببنى اسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تتبعوهم حتى يصيح الديك قال فوالله ما صاح ليلتئذ ديك حتى أصبحوا فدعا بشاة فذبحت ثم قال لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع الى ستمائة ألف من القبط فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع اليه ستمائة ألف من القبط ثم سار فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون أين أمرك ربك ياموسى قال امامك يشير الى البحر فاقتحم يوشع فرسه فى البحر حتى بلغ الغمر فذهب به ثم رجع فقال أين أمرك ربك ياموسى فوالله ما كذبت ولا كذبت ففعل ذلك ثلاث مرات ثم أوحى الله جل ثناؤه الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم يقول مثل جبل قال ثم سار موسى ومن معه واتبعهم فرعون فى طريقهم حتى اذا تتاموا فيه أطبقه الله عليهم فلذلك قال وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون قال معمر قال قتادة كان مع موسى ستمائة ألف واتبعه فرعون على ألف ألف ومائتى ألف حصان وحدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال حدثنا ابراهيم بن بشار الرمادى قال حدثنا سفيان قال حدثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن

يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا خلقا أعظم منه وأكرم عليه فلما خلق آدم عليه السلام وفضله عليهم وعلمه الاسماء كلها قال أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فى أنه لا يخلق خلقا الا وأنتم أفضل منه ففزعوا الى التوبة وقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ثم ان العلماء ذكروا فى اخبار الملائكة عن الفساد والسفك وجوها منها انهم قالوا ذلك ظنا اما لانهم قاسوهم على حال الجن الذين كانوا قبل آدم عليه السلام فى الارض وهو مروى عن ابن عباس والكلبى واما لانهم عرفوا خلقته وعلموا انه مركب من الاركان المتخالفة والاخلاط المتنافية الموجبة للشهوة التى منها الفساد والغضب الذى منه سفك الدماء ومنها انهم قالوا ذلك عن اليقين ويروى عن ابن مسعود وناس من الصحابة وذلك انه تعالى لما قال للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون فى الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أو انه تعالى كان قد أعلم الملائكة أنه اذا كان فى الارض خلق عظيم أفسدوا فيها وسفكوا الدماء أو لانه لما كتب القلم فى اللوح ما هو كائن الى يوم القيامة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا ذلك أو لان معنى الخليفة اذا كان النائب لله فى الحكم والقضاء والاحتياج الى الحاكم انما يكون عند التنازع والتظالم كان الاخبار عن وجود الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام وقيل لما خلق الله النار خافت الملائكة خوفا شديدا فقالوا لم خلقت هذه النار قال لمن عصانى من خلقى ولم يكن يومئذ لله خلق الا الملائكة ولم يكن فى الارض خلق البتة فلما قال انى جاعل فى الارض خليفة عرفوا ان المعصية منهم تظهر وأما قصة ابليس وهاروت وماروت فسيجىء الكلام فيها واختلف الناس فى أن الملائكة لهم قدرة على المعاصى والشر وأم لا فالفلاسفة وكثير من أهل الجبر قالوا انهم خير محض ولا قدرة لهم على الشر والمعتزلة أثبتوا لهم قدرة على الامرين لان قولهم أتجعل اما معصية أو ترك الاولى وعلى التقديرين فالمقصود حاصل وأيضا قال تعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا يقتضى كونهم ماجورين وقال لا يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار انما يحسن لو كان قادرا على الاستكبار ويمكن الزامهم بان الثواب عندهم واجب على الله تعالى فيمتنع عليه تركه مع انه يستحق المدح على الثواب والوافى ونحن نسبح للعدل كقولك أتحسن

الى فلان وأنا أحق بالاحسان والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذا التقديس من سبح فى الماء وقدس فى الارض اذا ذهب فيها وأبعد والتبعيد عن السوء امافى الذات ويحصل بنفى الامكان المستلزم لنفى الكثرة المستلزمة لنفى الجسمية والعرضية والضد والند وامافى الصفات بان يكون مبرأ عن العجز والجهل والتغيرات محيطا بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات وامافى الافعال بان لا تكون أفعاله لجلب المنافع ودفع المضار يقول الله تعالى أنا المنزه عن قول الظالمين سبحان ربك رب العزة (٢١٢) عما يصفون أنا الغنى عن الكل سبحانه هو الغنى أنا الذى كل شئ سواى فهو تحت قهرى وتسخيرى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ أنا المنزه عن الصاحبة والولد سبحانه ان يكون له ولد أنا الذى أخلق الولد من غير أب سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون أنا الذى سخرت الانعام القوية للبشر الضعيف سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين أنا الذى أعلم لا بعلم المعلمين ولا بارشاد المرشدين سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا أنا الذى أغفر معصية سبعين سنة بتوبة ساعة فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس فان أردت رضوان الله فسبح ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وان أردت الخلاص عن النار فسبح سبحانك فقنا عذاب النار وان أردت الفرج من البلاء فسبح لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أيها العبد واظب على تسبيحى وسجودى بكرة وأصيلا والا فالضرر يعود اليك فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون يسبح لى الحجر والمدر والرمال والجبال والشجر والدواب والليل والنهار والظلمات والانوار والجنة والنار والزمان والمكان والعناصر والاركان والارواح والاجسام سبح لله مافى السموات والارض وان من شئ الا يسبح بحمده أيها العبد أنا الغنى عن تسبيح هذه الاشياء وهذه الاشياء ليست من الاحياء فلا حاجة بها الى ثواب هذا التسبيح ولا أضيع ثواب هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق بى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لكنى أوصل ثواب هذه الاشياء اليك لتعرف ان من اجتهد فى خدمتى أجعل كل العالم فى خدمته وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض والحيتان فى جوف الماء أيها العبد اذكرنى بالعبودية لتنتفع به لا أنا سبحان ربك رب العزة فانك اذا ذكرتنى فى الخلوات ذكرتك فى الفلوات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات

عباس قال أوحى الله جل وعز الى موسى ان أسر بعبادى ليلا انكم متبعون قال فسرى موسى ببنى اسرائيل ليلا فاتبعهم فرعون فى ألف ألف حصان سوى الاناث وكان موسى فى ستمائة ألف فلما عاينهم فرعون قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فسرى موسى ببنى اسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذاهم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر امامنا وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون قال فأوحى الله جل ثناؤه الى موسى أن اضرب بعصاك البحر وأوحى الى البحر أن اسمع لموسى وأطع اذا ضربك قال فثاب البحر له افكل يعنى له رعدة لا يدرى من أى جوانبه يضربه قال فقال يوشع لموسى بماذا أمرت قال أمرت أن أضرب البحر قال فاضرب به قال فضرب موسى البحر بعصاه فانفلق فكان فيه اثنا عشر طريقا كل طريق كالطود العظيم فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فلما أخذوا فى الطريق قال بعضهم لبعض مالنا لانرى أصحابنا قالوا لموسى أين أصحابنا لانراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لانرضى حتى نراهم قال سفيان قال عمار الذهبى قال موسى اللهم أعنى على أخلاقهم السيئة قال فأوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا وأومأ ابراهيم بيده يديرها على البحر قال موسى بعصاه على الحيطان هكذا فصار فيها كوى ينظر بعضهم الى بعض قال سفيان قال أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس فساروا حتى خرجوا من البحر فلما جاز آخر قوم موسى هجم فرعون على البحر هو وأصحابه وكان فرعون على فرس أدهم ذنوب حصان فلما هجم على البحر هاب الحصان أن يقتحم فى البحر فتمثل له جبريل على فرس أنثى وديق فلما رآها الحصان تقحم خلفها وقيل لموسى اترك البحر رهوا قال طرقا على حاله قال ودخل فرعون وقومه فى البحر فلما دخل آخر قوم فرعون وجاز آخر قوم موسى أطبق البحر على فرعون وقومه فاغرقوا حدثنا موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط بن نصر عن السدى ان الله أمر موسى أن يخرج ببنى اسرائيل فقال أسر بعبادى ليلا انكم متبعون فخرج موسى وهرون فى قومهما وألقى على القبط الموت فمات كل بكر رجل فأصبحوا يدفنونهم فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس فذلك حين يقول الله جل ثناؤه فأتبعوهم مشرقين فكان موسى على ساقة بنى اسرائيل وكان هرون امامهم يقدمهم فقال المؤمن لموسى يا نبى الله أين أمرت قال البحر فاراد ان يقتحم فمنعه موسى وخرج موسى فى ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره وانما عدوا ما بين ذلك سوى الذرية وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان فى ألف ألف وسبعمائة حصان ليس فيها ماذيانة يعنى الانثى وذلك حين يقول الله جل ثناؤه فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون يعنى بنى اسرائيل فتقدم هرون فضرب البحر فأبى البحر ان ينفتح وقال من هذا الجبار الذى يضربنى حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد وضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم يقول كالجبل العظيم فدخلت بنو اسرائيل وكان فى البحر اثنا عشر طريقا فى كل طريق سبط وكانت الطرق انفلقت بجدران فقال كل سبط قد قتل أصحابنا فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها لهم قناطر كهيئة الطبقات فنظر آخرهم الى أولهم حتى

خرجوا

أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما أقرضني وان كنت أنا الغني حتى أرد الواحد عليك عشرة ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم لا حاجة لي
الى العسكر ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن اذا انصرتني نصرتك ان تنصروا الله ينصركم اخدمني يا أيها الناس اعبدوا ربكم لا لأني أحتاج
الى خدمتك فاني أنا الملك ولله ملك السموات والارض ولكن اصرف في خدمتي عمرا قصير التنال ملكا كبيرا وخيرا كثيرا وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن (٢١٣) ورضوان من الله أكبر ذلك الفوز العظيم

خرجوا جميعا ثم دنا فرعون وأصحابه فلما نظر فرعون الى البحر منفلقا قال ألا ترون البحر فرق مني قد انفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم فذلك حين يقول الله جل ثناؤه وأزلفنا ثم الآخرين يقول قربنا ثم الآخرين يعني آل فرعون فلما قام فرعون على أفواه الطرق أبت خيله ان تقتحم فنزل جبريل على ماذيانة فشامت الحصان ريح الماذيانة فاقتحم في أثرها حتى اذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما أخذ عليهم فرعون الارض الى البحر قال لهم فرعون قولوا لهم يدخلوا البحر ان كانوا صادقين فلما رآهم أصحاب موسى قالوا انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين فقال موسى للبحر ألست تعلم اني رسول الله قال بلى قال وتعلم ان هؤلاء عباد من عباد الله أمرني ان آتي بهم قال بلى قال أتعلم ان هذا عدو الله قال بلى قال فانفرق لي طريقا ولمن معي قال يا موسى انما أنا عبد مملوك ليس لي أمر الا أن يأمرني الله تعالى فأوحى الله عز وجل الى البحر اذا ضربك موسى بعصاه فانفرق وأوحى الى موسى أن يضرب البحر وقرأ قول الله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى وقرأ قوله واترك البحر رهوا سهلا ليس فيه نقر فانفرق اثني عشرة فرقة فسلك كل سبط في طريق قال فقالوا لفرعون انهم قد دخلوا البحر قال ادخلوا عليهم قال وجبريل في آخر بني اسرائيل يقول لهم ليلحق آخركم أولكم وفي أول آل فرعون يقول لهم رويدا يلحق آخركم أولكم فجعل كل سبط في البحر يقولون للسبط الذين دخلوا قبلهم قد هلكوا فلما دخل ذلك قلوبهم أوحى الله جل وعز الى البحر فجعل لهم قناطر ينظر هؤلاء الى هؤلاء حتى اذا خرج آخر هؤلاء ودخل آخر هؤلاء أمر الله البحر فأطبق على هؤلاء ويعني بقوله وأنتم تنظرون أي تنظرون الى فرق الله لكم البحر واهلاكه آل فرعون في الموضع الذي نجاكم فيه والى عظيم سلطانه في الذي أراكم من طاعة البحر اياه من مصيره ركاما فرقا كهيئة الاطواد الشامخة غير زائل عن حده انقيادا لامر الله واذعانا لطاعته وهو سائل ذائب قبل ذلك يوقفهم بذلك جل ذكره على موضع حججه عليهم ويذكرهم آلاءه عند أوائلهم ويحذرهم في تكذيبهم نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ان يحل بهم ما حل بفرعون وآله في تكذيبهم موسى صلى الله عليه وسلم وقد زعم بعض أهل العربية ان معنى قوله وأنتم تنظرون كمعنى قول القائل ضربت وأهلك ينظرون فما أتوك ولا أعانوك بمعنى وهم قريب بمرأى ومسمع وكقول الله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل وليس هنالك رؤية انما هو علم والذي دعاه الى هذا التأويل انه وجه قوله وأنتم تنظرون الى غرق آل فرعون فقال قد كانوا في شغل من أن ينظروا مما اكتنفهم من البحر الى فرعون وغرقه وليس التأويل الذي تأوله تأويل الكلام انما التأويل وأنتم تنظرون الى فرق الله البحر لكم على قدر ما وصفنا آنفا والتطام أمواج البحر بآل فرعون في الموضع الذي صير لكم في البحر طريقا يبسا وذلك كان لا شك نظر عيان لا نظر علم كما ظنه قائل هذا القول الذي حكينا قوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذ واعدنا) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ بعضهم واعدنا بمعنى ان الله تعالى واعد موسى ملاقاة الطور لمناجاته فكانت المواعدة من الله لموسى ومن موسى لربه وكان من حجتهم على اختيارهم قراءة واعدنا على وعدنا ان قالوا كل ايعاد كان بين اثنين للالتقاء أو الاجتماع فكل واحد منهما مواعد صاحبه

قوله بحمدك في موضع الحال أي نسبحك ملتبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الكلام أفضل فقال ما اصطفاه الله لملائكته سبحان الله وبحمده ويروى ان أهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيامة يقولون سبحان ذي الملك والملكوت وأهل السماء الثانية قيام الى يوم القيامة يقولون سبحان ذي العزة والجبروت وأهل السماء الثالثة ركوع الى يوم القيامة يقولون سبحان الحي الذي لا ينام ولا يموت وعن ابن عباس وابن مسعود نسبح أي نصلي والتسبيح الصلوات وعن مجاهد نقدس لك نطهر أنفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء لمرضاتك وقيل نطهر قلوبنا عن الالتفات الى غيرك حتى تصير مستغرقة في أنوار معرفتك اني أعلم ما لا تعلمون معناه لا تعجبوا ولا تغتموا بأن فيهم من يفسد ويسفك فاني أعلم ان فيهم من لو أقسم على الله لابره وأعلم ان معكم ابليس وفي قلبه من الحسد والكبر والنفاق ما فيه أو انكم لما وصفتم أنفسكم بهذه المدائح فانتم في تسبيح أنفسكم لا في تسبيحي اصبروا حتى أخلق البشر فيكون فيهم من يعبدونني ثم يخشونني يؤدون حق العبادات ثم لا يتكلمون على تلك الطاعات انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والذين هم من خشية ربهم مشفقون والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين أو أعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم ولكم في هذا الاجمال ما يغنيكم عن التفصيل فان أفعالي كلها حكمة ومصلحة وان خفي عليكم وجه كل واحد واحد على انه قد بين لهم بعض ذلك في قوله (وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم

بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) * القراآت أنبؤنى
وكذلك خاطؤن وخاسئين وفالؤن ونحن المنشؤن وليطفؤا وليواطؤا ومتكئين وقل استهزؤا ومتكأ ويستنبؤنك ونابه بريأ وبريؤن
ونابه ٧ وكهيئته وأشباه ذلك ابن كثير وأبوجعفر ونافع وأبوعمرو وهؤلاءها بغير المد أولاء بالمد يزيد ويعقوب وأوقية ومصعب عن قالون قال
أبواسحق هما كلمتان لا عدها وعد أولاء هؤلاء ان (٢١٤) بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وقرأ أبوعمرو والبزى من
طريق الهاشمى بترك الهمزة الاولى واثبات الثانية وكذلك فى المفتوحتين والمضمومتين وعن نافع تليين الاولى واثبات الثانية وكذلك فى المضمومتين وأماقى المفتوحتين فكابى عمرو أنبئهم عن ابن عامر وابنان مهموزة مكسورة الهاء وغير مهموزة مكسورة الهاء والباقون مهموزة ومضمومة * الوقوف صادقين ○ علمتنا ط الحكيم ○ أنبئهم ج بأسمائهم ج لمكان فاء التعقيب بأسمائهم لا لان قال جواب فلما تكتمون ٤ * والتفسير وفيه ابحاث الاول الاشعرى والجبائى والكعبى على ان اللغات كلها توقيفية بمعنى ان الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الالفاظ وتلك المعانى وبان تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعانى بدليل قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها لا علم لنا الا ما علمتنا وهذا يدل على ان الملائكة وآدم لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى اياهم وخالفهم أصحاب ابى هاشم الذاهبون الى ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر واحد أو جماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال فقالوا المراد ألهمه وبعث داعيته على الوضع مثل وعلمناه صنعة لبوس أى ألهمناه أو المراد علمه ماسبق من اصطلاحات قوم كانوا
قبل آدم وأجيب بان الاصل عدم العدول عن الظاهر قالوا ثم عرضهم يدل على ان
المراد بالاسماء المسميات فان قلنا المسميات غير معقول ٧ فاذن المراد أسماء المسميات وعوض الالف واللام عن المضاف اليه كما فى قوله واشتعل
الرأس شيبا أى علمه أسماء كل ماخلق من أجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التى يتكلم بها ولده اليوم من العربية والفارسية والرومية
وغيرها وكان ولد آدم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات وتفرق ولده فى نواحى العالم تكلم كل واحد بلغة واحدة معينة من تلك اللغات فلما

ذلك فلذلك زعموا أنه وجب أن يقضى لقراءة من قرأ واعدنا بالاختيار على قراءة من قرأ وعدنا وقرأه بعضهم وعدنا بمعنى ان الله الواعد موسى والمفرد بالوعد دونه وكان من حجتهم فى اختيارهم ذلك أن قالوا انما تكون المواعدة بين البشر فاما الله جل ثناؤه فانه المنفرد بالوعد والوعيد فى كل خير وشر قالوا وبذلك جاء التنزيل فى القرآن كله فقال جل ثناؤه ان الله وعدكم وعد الحق وقال واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم قالوا فكذلك الواجب أن يكون هو المنفرد بالوعد فى قوله واذ واعدنا موسى والصواب عندنا فى ذلك من القول انهما قراءتان قد جاءت بهما الامة وقرأت بهما القراء وليس فى القراءة باحدهما ابطال معنى الاخرى وان كان فى أحدهما زيادة معنى على الاخرى من جهة الظاهر والتلاوة فاما من جهة المفهوم بهما فهما متفقان وذلك ان من أخبر عن شخص انه وعد غيره اللقاء بموضع من المواضع فمعلوم ان الموعود ذلك واعد صاحبه من لقائه بذلك المكان مثل الذى وعده من ذلك صاحبه اذا كان وعده ما وعده اياه من ذلك عن اتفاق منهما عليه ومعلوم ان موسى صلوات الله عليه لم يعده ربه الطور الا عن رضى موسى بذلك اذ كان موسى غير مشكوك فيه انه كان بكل ما أمر الله به راضيا والى محبته فيه مسارعا ومعقول ان الله تعالى لم يعد موسى ذلك الا وموسى اليه مستجيب واذ كان ذلك كذلك فمعلوم ان الله عز ذكره قد كان وعد موسى الطور ووعده موسى اللقاء وكان الله عز ذكره لموسى واعدا ومواعدا له المناجاة على الطور وكان موسى واعدا لربه مواعدا له اللقاء فبأى القراءتين من وعد وواعد قرأ القارئ فهو الحق فى ذلك من جهة التاويل واللغة مصيب لما وصفنا من العلل قبل ولا معنى لقول القائل انما تكون المواعدة بين البشر وان الله بالوعد والوعيد منفرد فى كل خير وشر وذلك ان انفراد الله بالوعد والوعيد فى الثواب والعقاب والخير والشر والنفع والضر الذى هو بيده واليه دون سائر خلقه لا يحيل الكلام الجارى بين الناس فى استعمالهم اياه عن وجوهه ولا يغيره عن معانيه والجارى بين الناس من الكلام المفهوم ما وصفنا من ان كل ايعاد بين اثنين فهو وعد من كل واحد منهما صاحبه ومواعدة بينهما وان كل واحد منهما واعد صاحبه مواعد وان الوعد الذى يكون به الانفراد من الواعد دون الموعود انما هو ما كان بمعنى الوعد الذى هو خلاف الوعيد ۞ القول فى تاويل قوله تعالى ذكره (موسى) وموسى فيما بلغنا بالقبطية كلمتان يعنى بهما ماء وشجر فمو هو الماء وسا هو الشجر وانما سمى بذلك فيما بلغنا لان أمه لما جعلته فى التابوت حين خافت عليه من فرعون وألقته فى اليم كما أوحى الله اليها وقيل ان اليم الذى ألقته فيه هو النيل دفعته أمواج اليم حتى أدخلته بين أشجار عند بيت فرعون فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فاخذنه فسمى بالمكان الذى أصيب فيه وكان ذلك المكان فيه ماء وشجر فقيل موسى ماء وشجر كذلك حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد عن اسباط بن نصر عن السدى وهو موسى بن عمران بن يصهر بن واهب بن لاوى بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فيما زعم ابن اسحق حدثنى بذلك ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عنه ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (أربعين ليلة) ومعنى ذلك واذ واعدنا موسى أربعين ليلة بتمامها فالاربعون ليلة كلها داخلة فى الميعاد وقد زعم بعض نحوى البصرة ان معناه واذ واعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة أى رأس

الاربعين

طالت المدة ومضت القرون نسوا سائر اللغات ثم لا يبعد بل ينبغي أن يكون الله تعالى قد علمه مع ذلك صفات الاشياء ونعوتها وخواصها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية لان اشتقاق الاسم اما من السمة أو من السمو فالاسم هو العلامة وصفات الاشياء وخواصها دالة على ماهياتها وعلامة عليها وان كان من السمو فدليل الشئ كالمرتفع على ذلك الشئ فان العلم بالدليل حاصل قبل العلم بالمدلول وانما قلنا ينبغي ذلك لان الفضيلة في معرفة حقائق الاشياء أكثر من الفضيلة في معرفة أسمائها ثم من الحقائق ما يتوقف ادراكها على آلة

الاربعين ومثل ذلك بقوله واسأل القرية وبقولهم اليوم أربعون منذ خرج فلان واليوم يومان أى اليوم تمام يومين وتمام أربعين وذلك خلاف ما جاءت به الرواية عن أهل التأويل وخلاف ظاهر التلاوة فاما ظاهر التلاوة فان الله جل ثناؤه قد أخبر انه واعد موسى أربعين ليلة فليس لاحد احالة ظاهر خبره الى باطن بغير برهان دال على صحته وأما أهل التأويل فانهم قالوا في ذلك ما أنا ذاكره وهو ما حدثني به المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قوله واذ واعدنا موسى أربعين ليلة قال يعني ذا القعدة وعشرا من ذي الحجة وذلك حين خلف موسى أصحابه واستخلف عليهم هرون فمكث على الطور أربعين ليلة وأنزل عليه التوراة في الالواح وكانت الالواح من برد فقربه الرب اليه نجيا وكلمه وسمع صريف القلم وبلغنا انه لم يحدث حدثا في الاربعين ليلة حتى هبط من الطور وحدثت عن عمار بن الحسن حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن ابن اسحق قال وعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة تلقاه ربه فيها بما شاء واستخلف موسى هرون على بني اسرائيل وقال اني متعجل الى ربي فاخلفني في قومي ولا تتبع سبيل المفسدين فخرج موسى الى ربه متعجلا للقائه شوقا اليه وأقام هرون في بني اسرائيل ومعه السامري يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط عن السدي قال انطلق موسى واستخلف هرون على بني اسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر

القول في تأويل قوله تعالى (ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون)

وتأويل قوله ثم اتخذتم العجل من بعده ثم اتخذتم في أيام مواعدة موسى العجل الها من بعد ان فارقكم موسى متوجها الى الموعد والهاء في قوله من بعده عائدة على ذكر موسى فاخبر جل ثناؤه المخالفين نبينا صلى الله عليه وسلم من يهود بني اسرائيل المكذبين به المخاطبين بهذه الآية عن فعل آبائهم وأسلافهم وتكذيبهم رسلهم وخلافهم أنبياءهم مع تتابع نعمه عليهم وسبوغ آلائه لديهم معرفهم بذلك انهم من خلافهم محمدا صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به وجحودهم لرسالته مع علمهم بصدقه على مثل منهاج آبائهم وأسلافهم ومحذرهم من نزول سطوته بهم بمقامهم على ذلك من تكذيبهم ما نزل بأوائلهم المكذبين بالرسل من المسخ واللعن وأنواع النقمات وكان سبب اتخاذهم العجل ما حدثني به عبد الكريم بن الهيثم قال حدثنا ابراهيم بن بشار الرمادي قال حدثنا سفيان بن عيينة قال حدثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما هجم فرعون على البحر هو وأصحابه وكان فرعون على فرس أدهم ذنوب حصان فلما هجم على البحر هاب الحصان أن يقتحم في البحر فتمثل له جبريل على فرس أنثى وديق فلما رآها الحصان تقحم خلفها قال وعرف السامري جبريل لان أمه حين خافت أن يذبح خلفته في غار وأطبقت عليه فكان جبريل يأتيه فيغذوه باصابعه فيجد في بعض أصابعه لبنا وفي الاخرى عسلا وفي الاخرى سمنا فلم يزل يغذوه حتى نشأ فلما عاينه في البحر عرفه فقبض قبضة من أثر فرسه قال أخذ من تحت الحافر قبضة قال سفيان فكان ابن مسعود يقرؤها فقبضت قبضة من أثر فرس الرسول قال أبو سعيد قال عكرمة عن ابن عباس وألقى في روع السامري انك لا تلقيها على شئ فتقول كن فيكون كذا

ندرك بها كالمبصرات والمسموعات وغيرها فاذا كان لآدم تلك الآلات وقد عرفها بها ولم يكن للملائكة ذلك لزم عجزهم وأيضا العربي لا يحسن منه ان يقول لغيره تكلم بلغتي لان العقل لا طريق له الى معرفة اللغات بل ان حصل التعليم حصل العلم بها والا فلا اما العلم بحقائق الاشياء فالعقل يتمكن من تحصيله فصح وقوع التحدي به وانما قيل ثم عرضهم بلفظ الذكور لان في جملة المسميات الملائكة والثقلين وهم العقلاء فغلب الكامل على الناقص والتذكير على التأنيث ومن الناس من تمسك بقوله أنبؤني باسماء هؤلاء على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف لانه انما استنبأهم مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم بدليل قوله ان كنتم صادقين أى في اني لا أخلق خلقا الا كنتم أعلم منهم وقيل أى في قولكم انه لا شئ مما يتعبد به الخلق الا وأنتم تصلحون له وتقومون به وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقيل اعلموني باسماء هؤلاء ان علمتم انكم تكونون صادقين في ذلك الاعلام وقيل اخبروني ولا تقولون الا حقا وصدقا فيكون الغرض منه التوليد لما هم عليه من القصور لانه متى تمكن في أنفسهم العلم بانهم ان أخبروا لم يكونوا صادقين ولا لهم اليه سبيل لم يخبروا على الجواب ثم ان الذين اعتقدوا معصية الملائكة في قولهم أتجعل قالوا انهم لما عرفوا خطأهم تابوا واعتذروا بقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والذين أنكروا معصيتهم قالوا ذلك على وجه الاعتراف بالعجز والتسليم كأنهم قالوا لا نعلم الا ما علمتنا فاذا لا تعلمنا ذلك فكيف نعلمه أو أنهم لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها لان الله تعالى أعلمهم ذلك كأنهم قالوا انك علمتنا انهم يفسدون في الارض فقلنا لك أتجعل وأما هذه الاسماء فانك ما علمتنا فكيف نعلمها ومعنى سبحانك نسبحك تسبيحا أى ننزهك تنزيها وهو مصدر غير متصرف أى لا يستعمل الا محذوف

الفعل منصوبا على المصدرية فاذا استعمل غير مضاف كان سبحان علما للتسبيح فان العلمية كما تجري في الاعيان تجري في المعاني قالت المعتزلة ههنا المراد انه لا علم لنا الا من جهتك اما بالتعليم واما بنصب الادلة وقالت الاشاعرة بل الجميع بالتعليم لان المؤثر في وجود العلم ليس هو ذات الدليل بل النظر في الدليل وانه يستند الى توفيق الله تعالى وتسهيله ثم احتج أهل الاسلام بالآية انه لا سبيل الى معرفة المغيبات الا بتعليم الله وانه لا يمكن التوصل اليها بعلم النجوم

والكهانة وللمنجم ان يقول للمعتزلي اذا فسرت التعليم بوضع الدليل فعندي حركات النجوم دلائل خلقها الله تعالى على أحوال هذا العالم فيكون من جملة ما علمه الله تعالى انك أنت العليم بكل المعلومات فامكنك تعليم آدم الحكيم في هذا الفعل المصيب فيه وعن ابن عباس ان مراد الملائكة من الحكيم انه هو الذي حكم بجعل آدم خليفة في الارض وقوله ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله تعالى لهم اني أعلم ما لا تعلمون الا انه تعالى جاء به على وجه أبسط وأشرح فيندرج فيه علمه باحوال آدم قبل ان خلقه وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها فيبطل مذهب هشام ابن الحكم انه لا يعلم الاشياء الا عند وقوعها وقد روى الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود انه يريد بقوله ما تبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون ما أسر ابليس في نفسه من الكفر والكبر وان لا يسجد وقيل لما خلق آدم رأت الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا أكرم عليه منه فهذا هو الذي كتموه ويجوز ان يكون هذا القول سرا أسروه منهم بينهم فابداه بعضهم لبعض وأسروه عن غيرهم فكان في هذا الفعل الواحد ابداء وكتمان والظاهر انه عام كقوله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون انه يعلم الجهر وما يخفى

* البحث الثاني قالت المعتزلة ما ظهر من آدم معجز دل على نبوته في ذلك الوقت فكان مبعوثا الى حواء أو الى من توجه من التحدي اليهم لانهم وان كانوا رسلا فقد يجوز الارسال الى الرسل كبعثة ابراهيم الى لوط صلى الله عليه وسلم واحتجوا بان حصول ذلك العلم له ناقض العادة ومنع بان حصول العلم بالاسماء لمن علمه الله وعدم حصوله لمن لم يعلمه ليس بناقض للعادة وأيضا أهم علموا ان تلك الاسماء موضوعة لتلك المسميات أولا فان علموا فقد قدروا على المعارضة والا فكيف عرفوا ان آدم أصاب فيه ذكرا للهم الا أن يقال ان لكل صنف منهم لغة

وكذا الا يكون فلم تزل القبضة معه في يده حتى جاوز البحر فلما جاوز موسى وبنو اسرائيل البحر وأغرق الله آل فرعون قال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ومضى موسى لموعد ربه قال وكان مع بني اسرائيل حلي من حلي آل فرعون قد تعوروه فكانهم تأثموا منه فاخرجوه لتنزل النار فتأكله فلما جمعوه قال السامري بالقبضة التي كانت في يده هكذا فقذفها فيه وأومأ ابن اسحق بيده هكذا وقال كن عجلا جسدا له خوار فصار عجلا جسدا له خوار وكان يدخل الريح في دبره ويخرج من فيه يسمع له صوت فقال هذا الهكم واله موسى فعكفوا على العجل يعبدونه فقال هرون يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى **حدثني** موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط بن نصر عن السدي لما أمر الله موسى أن يخرج بني اسرائيل يعني من أرض مصر أمر موسى بني اسرائيل أن يخرجوا وأمرهم أن يستعيروا الحلي من القبط فلما نجى الله موسى ومن معه من بني اسرائيل من البحر وغرق آل فرعون أتى جبريل الى موسى يذهب به الى الله فاقبل على فرس فرآه السامري فانكره ويقال انه فرس الحياة فقال حين رآه ان لهذا لشأنا فاخذ من تربة الحافر حافر الفرس فانطلق موسى واستخلف هرون على بني اسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر فقال لهم هرون يا بني اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم وان حلي القبط انما هو غنيمة فاجمعوها جميعا واحفروا لها حفرة فادفنوها فان جاء موسى فاحلها أخذتموها والا كان شيأ لم تأكلوه فجمعوا ذلك الحلي في تلك الحفرة وجاء السامري بتلك القبضة فقذفها فاخرج الله من الحلي عجلا جسدا له خوار وعدت بنو اسرائيل موعد موسى فعدوا الليلة يوما واليوم يوما فلما كان تمام العشرين خرج لهم العجل فلما رأوه قال لهم السامري هذا الهكم واله موسى يقول ترك موسى الهه ههنا وذهب يطلبه فعكفوا عليه يعبدونه وكان يخور ويمشي فقال لهم هرون يا بني اسرائيل انما فتنتم به يقول انما ابتليتم به يقول بالعجل وان ربكم الرحمن فاقام هرون ومن معه من بني اسرائيل لا يقاتلونهم وانطلق موسى الى الهه يكلمه فلما كلمه قال له ما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فاخبره خبرهم قال موسى يا رب هذا السامري أمرهم أن يتخذوا العجل أرأيت الروح من نفخها فيه قال الرب أنا قال رب أنت اذا أضللتهم **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا ابن سلمة عن ابن اسحق قال كان فيما ذكر لي ان موسى قال لبني اسرائيل فيما أمره الله عز وجل به استعيروا منهم يعني من آل فرعون الامتعة والحلي والثياب فاني منفلكم أموالهم مع هلاكهم فلما أذن فرعون في الناس كان مما يحرض به على بني اسرائيل ان قال حين ساروا لم يرضوا أن يخرجوا بانفسهم حتى ذهبوا باموالكم معهم **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا ابن سلمة قال حدثني محمد بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان السامري رجلا من أهل باجرما وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وكان قد أظهر الاسلام في بني اسرائيل فلما فصل هرون في بني اسرائيل وفصل موسى الى ربه قال لهم هرون أنتم قد حملتم أوزارا من زينة القوم آل فرعون وأمتعة وحليا فتطهروا منها فانها نجس وأوقد لهم نارا فقال أوقدوا ما كان معكم من ذلك فيها قالوا نعم فجعلوا يأتون بما كان فيهم

من تلك الامتعة وذلك الحلى فيقذفون به فيها حتى اذا تكسر الحلى فيها ورأى السامرى أثر فرس جبريل فاخذ ترابا من أثر حافره ثم أقبل الى النار فقال لهرون يا نبى الله ألقى ما فى يدى ولا يظن هرون الا أنه كبعض ما جاء به غيره من ذلك الحلى والامتعة فقذفه فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار فكان البلاء والفتنة فقال هذا الهكم واله موسى فعكفوا عليه وأحبوه حبا لم يحبوا مثله شيأ يقول الله عز وجل فنسى أى ترك ما كان عليه من الاسلام يعنى السامرى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وكان اسم السامرى موسى بن ظفر وقع فى أهل مصر فدخل فى بنى اسرائيل فلما رأى هرون ما وقعوا فيه قال يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فاقام هرون فيمن معه من المسلمين ممن لم يفتتن وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى وكان له هائبا مطيعا حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما أنجى الله عز وجل بنى اسرائيل من فرعون وأغرق فرعون ومن معه قال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين قال لما خرج موسى وأمر هرون بما أمره به وخرج موسى متعجلا مسرورا الى الله قد عرف موسى أن المرء اذا نجح فى حاجة سيده كان يسره أن يتعجل اليه قال وكان حين خرجوا استعاروا حليا وثيابا من آل فرعون فقال لهم هرون ان هذه الثياب والحلى لا تحل لكم فاجمعوا نارا فالقوه فيها فاحرقوه قال فجمعوا نارا قال وكان السامرى قد نظر الى أثر دابة جبريل وكان جبريل على أنثى وكان السامرى فى قوم موسى قال فنظر الى أثره فقبض منها قبضة فيبست عليها يده فلما ألقى قوم موسى الحلى فى النار وألقى السامرى معهم القبضة صور الله جل وعز ذلك لهم عجلا ذهبا فدخلته الريح فكان له خوار فقالوا ما هذا فقال السامرى الخبيث هذا الهكم واله موسى فنسى الآية الى قوله حتى يرجع الينا موسى قال حتى اذا أتى موسى الموعد قال الله ما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثرى فقرأ حتى بلغ أفطال عليكم العهد حدثنا القاسم بن الحسن قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله ثم اتخذتم العجل من بعده قال العجل حسيل البقرة قال حلى استعاروه من آل فرعون فقال لهم هرون اخرجوه فتطهروا منه واحرقوه وكان السامرى قد أخذ قبضة من أثر فرس جبريل فطرحه فيه فانسبك وكان له كالجوف تهوى فيه الرياح حدثنى المثنى بن ابراهيم قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال انما سمى العجل لانهم عجلوا فاتخذوه قبل أن يأتيهم موسى حدثنى محمد بن عمرو الباهلى قال ثنا أبو عاصم قال حدثنى ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحو حديث القاسم عن الحسن حدثنى المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه وتأويل قوله وأنتم ظالمون يعنى وأنتم واضعوا العبادة فى غير موضعها لان العبادة لا تنبغى الا لله عز وجل وعبدتم أنتم العجل ظلما منكم ووضعا للعبادة فى غير موضعها وقد دللنا فى غير هذا الموضع مما مضى من كتابنا ان أصل كل ظلم وضع الشئ فى غير موضعه فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون) وتأويل قوله ثم عفونا عنكم من بعد ذلك يقول

من تلك اللغات ثم ان جميع الاصناف حضروا وان آدم عرض عليهم جميع تلك اللغات فكان معجزا أو يقال انه تعالى عرفهم قبل ان سمعوا من آدم تلك الاسماء فاستدلوا به على صدق آدم والظاهر انهم قد عرفوا صدقه بتصديق الله تعالى اياه ولئن سلم انه ظهر منه فعل خارق العادة فلم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات أو من باب الارهاص وهما عندنا جائزان القاطعون بانه عليه السلام ما كان نبيا فى ذلك الوقت قالوا صدرت الكبيرة منه بعد ذلك والاقدام عليها يوجب الطرد والتحقير فوجب ان تكون النبوة متأخرة عنها كيف وقد قال عز من قائل ثم اجتباه ربه والرسالة هى الاجتباء فيكون بعد الزلة وأيضا لو كان رسولا فان لم يكن مبعوثا الى أحد فلا فائدة وان كان مبعوثا فاما الى الملائكة وهم أفضل من البشر عند المعتزلة ولا يجوز جعل الادون رسولا الى الاشرف وان المرء الى قبول القول عمن هو من جنسه أسكن ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا واما الى الانس ولا انسان الا حواء وانما عرفت التكليف لا بواسطة آدم بدليل ولا تقربا هذه الشجرة واما الى الجن وما كان فى السماء أحد من الجن

* البحث الثالث فى فضل العلم لو كان فى الامكان شئ أشرف من العلم لاظهر الله تعالى فضل آدم بذلك الشئ ومما يدل على فضيلته الكتاب والسنة والمعقول أما الكتاب فمن ذلك ما روى عن مقاتل ان الحكمة فى القرآن على أربعة أوجه أحدها مواعظ القرآن وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم والعلم وآتيناه الحكم صبيا ولقد آتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة ورابعها القرآن يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم ومن ذلك انه تعالى فرق بين سبعة نفر فى كتابه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون قل لا يستوى الخبيث والطيب لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات فاذا تأملت وجدت كل ذلك مأخوذا من الفرق بين العالم والجاهل ومن ذلك قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم أى العلماء فى أصح الاقوال لان الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم جعلهم فى الآيتين فى المرتبة

تركنا معاجلتكم بالعقوبة من بعد ذلك أى بعد اتخاذكم العجل الها كما حدثنى به المثنى بن ابراهيم قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية ثم عفونا عنكم من بعد ذلك يعنى من بعد ما اتخذتم العجل وأما تأويل قوله لعلكم تشكرون فانه يعنى به لتشكروا ومعنى لعل فى هذا الموضع بمعنى كى وقد بينت فيما مضى قبل ان أحد معانى لعل كى بما فيه الكفاية عن اعادته فى هذا الموضع فمعنى الكلام اذا ثم عفونا عنكم من بعد اتخاذكم العجل الها لتشكرونى على عفوى عنكم اذ كان العفو يوجب الشكر على أهل اللب والعقل ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) يعنى بقوله واذ آتينا موسى الكتاب واذكروا أيضا اذ آتينا موسى الكتاب والفرقان ويعنى بالكتاب التوراة وبالفرقان الفصل بين الحق والباطل كما حدثنى المثنى بن ابراهيم قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان قال فرق به بين الحق والباطل حدثنى محمد بن عمرو الباهلى قال ثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان قال الكتاب هو الفرقان فرقان بين الحق والباطل حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى القاسم بن الحسن قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان قال الكتاب هو الفرقان فرق بين الحق والباطل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج وقال ابن عباس الفرقان جماع اسم التوراة والانجيل والزبور والفرقان وقال ابن زيد فى ذلك بما حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال سألته يعنى ابن زيد عن قول الله عز وجل واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان فقال أما الفرقان الذى قال الله جل وعز يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فذلك يوم بدر يوم فرق الله بين الحق والباطل والقضاء الذى فرق به بين الحق والباطل قال فكذلك أعطى الله موسى الفرقان فرق الله بينهم وسلمه وأنجاه فرق بينهم بالنصر فكما جعل الله ذلك بين محمد والمشركين فكذلك جعله بين موسى وبين فرعون وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية ما روى عن ابن عباس وأبى العالية ومجاهد من ان الفرقان الذى ذكر الله انه آتاه موسى فى هذا الموضع هو الكتاب الذى فرق به بين الحق والباطل وهو نعت للتوراة وصفة لها فيكون الكتاب نعت للتوراة أقيم مقامها استغناء به عن ذكر التوراة ثم عطف عليه بالفرقان اذ كان من نعتها وقد بينا معنى الكتاب فيما مضى من كتابنا هذا وانه بمعنى المكتوب وانما قلنا هذا التأويل أولى بالآية وان كان محتملا غيره من التأويل لان الذى قبله ذكر الكتاب وان معنى الفرقان الفصل وقد دللنا على ذلك فيما مضى من كتابنا هذا فالحاقه بصفة ما قبله أولى وأما تأويل قوله (لعلكم تهتدون) فنظير تأويل قوله لعلكم تشكرون ومعناه لتهتدوا وكأنه قال واذكروا أيضا اذ آتينا موسى التوراة التى تفرق بين الحق والباطل لتهتدوا بها وتتبعوا الحق الذى فيها لانى جعلتها كذلك هدى لمن اهتدى بها واتبع ما فيها ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم) وتأويل ذلك واذكروا

الثالثة ثم زاد فى الاكرام فجعلهم فى المرتبة الثانية وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن ذلك قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ومن ذلك وصفهم بالايمان والراسخون فى العلم يقولون آمنا به وبشهادة التوحيد شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم وبالبكاء والسجود والخشوع ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وبالخشية انما يخشى الله من عباده العلماء وأما الاخبار فمنها ما رواه أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذى نفسى بيده ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله بكل قدم عبادة سنة له وبنى بكل قدم مدينة فى الجنة له ويمشى على الارض تستغفر له ويمسى ويصبح مغفورا له وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من النار وعن أنس أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يأتى عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله وان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن يكون أبو قبيس ذهبا له فانفقه فى سبيل الله وعن الحسن مرفوعا من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام كان بينه وبين الانبياء درجة فى الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم رحمة الله على خلفائى فقيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله وعن أبى موسى الاشعرى مرفوعا يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء انى لم أضع نورى فيكم الا لعلمى بكم ولا أضع علمى فيكم لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وقال صلى الله عليه وسلم معلم الخير اذا مات بكى عليه طير السماء ودواب الارض وحيتان البحر وعن أبى هريرة مرفوعا من صلى خلف عالم من العلماء فكأنما صلى خلف نبى من الانبياء وعن ابن عمر مرفوعا فضل العالم على العابد بسبعين درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاما وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم ويزيلها والعابد يقبل على عبادته لا يتوجه لها ولا يتعرف لها وقال صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه حين بعثه الى اليمن لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وتغرب وعن ابن مسعود مرفوعا من طلب العلم ليحدث الناس ابتغاء وجه الله ايضا

أيضا اذقال موسى لقومه من بنى اسرائيل يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم وظلمهم اياها كان فعلهم بها مالم يكن لهم أن يفعلوه بها مما أوجب لهم العقوبة من الله تعالى وكذلك كل فاعل فعلا يستوجب به العقوبة من الله تعالى فهو ظالم لنفسه بايجابه العقوبة لها من الله تعالى وكان الفعل الذى فعلوه فظلموا به أنفسهم هو ما أخبر الله عنهم من ارتدادهم باتخاذهم العجل ربا بعد فراق موسى اياهم ثم أمرهم موسى بالمراجعة من ذنبهم والانابة الى الله من ردتهم بالتوبة اليه والتسليم لطاعته فيما أمرهم به وأخبرهم أن توبتهم من الذنب الذى ركبوه قتلهم أنفسهم وقد دللنا فيما مضى على ان معنى التوبة الاوبة مما يكرهه الله الى ما يرضاه من طاعته فاستجاب القوم لما أمرهم به موسى من التوبة مما ركبوا من ذنوبهم الى ربهم على ما أمرهم به كما حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن أبى عبد الرحمن أنه قال فى هذه الآية فاقتلوا أنفسكم قال عمدوا الى الخناجر فجعل يطعن بعضهم بعضا حدثنى عباس بن محمد قال ثنا حجاج بن محمد قال ابن جريج أخبرنى القاسم بن أبى بزة انه سمع سعيد بن جبير ومجاهدا قالا قام بعضهم الى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضا لا يحن رجل على قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بايديهم فتكشف عن سبعين ألف قتيل وان الله أوحى الى موسى أن حسبى قد اكتفيت فذلك حين ألوى بثوبه حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان بن عيينة قال قال أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال موسى لقومه توبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم قال أمر موسى قومه عن أمر ربه عز وجل أن يقتلوا أنفسهم قال واحتبى الذين عكفوا على العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على العجل وأخذوا الخناجر بايديهم وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضا فانجلت الظلمة عنهم وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة وكل من بقى كانت له توبة وحدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى قال لما رجع موسى الى قومه قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا الى قوله فكذلك ألقى السامرى فالقى موسى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال يا ابن أم لا تاخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى فترك هرون ومال الى السامرى فقال ما خطبك يا سامرى الى قوله ثم لننسفنه فى اليم نسفا ثم أخذه فذبحه ثم خرقه بالمبرد ثم ذراه فى اليم فلم يبق بحر يجرى يومئذ الا وقع فيه شئ منه ثم قال لهم موسى اشربوا منه فشربوا فمن كان يحبه خرج على شاربيه الذهب فذلك حين يقول واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم فلما أسقط فى أيدى بنى اسرائيل حين جاء موسى ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فابى الله أن يقبل توبة بنى اسرائيل الا بالحال التى كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل فقال لهم موسى يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم قال فصفوا صفين ثم اجتلدوا بالسيوف فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف فكان من قتل من الفريقين شهيدا حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا حتى قتل بينهم سبعون ألفا وحتى دعا موسى وهرون ربنا هلكت بنو اسرائيل ربنا البقية البقية فامرهم أن يضعوا السلاح وتاب عليهم فكان من قتل شهيدا ومن بقى

أعطاه الله أجر سبعين نبيا وعن عامر الجهنى مرفوعا يؤتى بمداد العلماء ودم الشهداء يوم القيامة لا يفضل أحدهما على الآخر وفى رواية فيترجح مداد العلماء وعن أبى واقد الليثى ان النبى صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس والناس معه اذ أقبل ثلاثة نفر فاما أحدهم فرأى فرجة فى الحلقة فجلس اليها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فانه رجع وفر فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من كلامه قال ألا أخبركم عن النفر الثلاثة فاما الاول أوى الى الله فآواه الله وأما الثانى فاستحيى من الناس فاستحيى الله منه وأما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء قال الراوى فاعظم بمرتبة هى الواسطة بين النبوة والشهادة وعن أبى هريرة مرفوعا اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له بالخير وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الحوائج فاسألوها الناس قيل يا رسول الله ومن الناس قال صلى الله عليه وسلم أهل القرآن قيل ثم من قال أهل العلم قيل ثم من قال صلى الله عليه وسلم صباح الوجوه قال الراوى والمراد باهل القرآن من يحفظ معانيه وقال صلى الله عليه وسلم كن عالما مجتهدا أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامس فتهلك قال الراوى وجه التوفيق بين هذه الرواية وبين الرواية الاخرى الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر الناس همج لا خير فيهم ان المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما أحسن قول بعض الاعراب لولده كن سبعا خالسا أو ذئبا خالسا أو كلبا حارسا واياك ان تكون انسانا ناقصا وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يحدث انسانا فاوحى الله تعالى اليه انه لم يبق من عمر هذا الرجل الذى تحدثه الا ساعة وكان هذا وقت العصر فاخبره الرسول بذلك فاضطرب الرجل وقال يا رسول الله دلنى على أوفق عمل فى هذه الساعة قال صلى الله عليه وسلم اشتغل بالتعلم فاشتغل بالتعلم وقبض قبل المغرب قال الراوى ولو كان شئ أفضل من العلم لامره النبى صلى الله عليه وسلم به فى ذلك الوقت * وأما الآثار فان مصعب بن الزبير قال لابنه تعلم العلم فانه ان يك لك مال كان لك جمالا وان لم يكن لك كان لك مالا وقال على بن أبى طالب لا خير فى الصمت عن العلم كما لا خير فى الكلام عن الجهل وقيل مثل العالم ما منه وبامره كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص وهو الجالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله بالحب له وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الى

الخلق صار كواحد منهم كأنه لم يعرف الله واذا خلا به مشتغلا بذكره وخدمته فكأنه لا يعرف الخلق فهذا سبيل المرسلين والصديقين ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينتقص أخرى وهو المستغرق في المعارف الالهية غير متفرغ لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد منه ومثل العالم بامر الله فقط وهو العارف بالحلال والحرام دون أسرار جلال الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره وقال سفيان الناس يقومون من مجلسي على ثلاثة أصناف وذلك انى أفسر

القرآن فاقول عن الله وعن الرسول فمن لا يصدقني فهو كافر محض ومن ضاق قلبه منه وفهمه منه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم على ان لا يذنب كان مؤمنا مخلصا وقال أيضا ثلاثة من النوم يبغضها الله وثلاثة من الضحك النوم بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العتمة والنوم في الصلاة والنوم عند مجلس الذكر والضحك خلف الجنازة والضحك في المقابر والضحك في مجلس الذكر وقيل العالم أرأف بالتلميذ من الاب والام لان الآباء والامهات يحفظونهم من نار الدنيا وآفاتها والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وشدائدها وقيل لابن مسعود بم وجدت هذا العلم قال بلسان سؤل وقلب عقول وقال بعضهم سل مسئلة الحمقى واحفظ حفظ الاكياس وقيل الدنيا بستان تزينت بخمسة أشياء علم العلماء وعدل الامراء وعبادة العباد وأمانة التجار ونصيحة المحترفين فجاء ابليس بخمسة أعلام وأقامها بجنب هذه الخمس فجاء بالحسد فركزه في جنب العلم وجاء بالجور فركزه بجنب العدل وجاء بالرياء فركزه بجنب العبادة وجاء بالخيانة فركزه بجنب الامانة وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه العلم أفضل من المال لسبعة أوجه العلم ميراث الانبياء والمال ميراث الفراعنة العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص المال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه اذا مات الرجل خلف ماله والعلم يدخل معه قبره المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل الا للمؤمن جميع الناس يحتاجون الى العالم في أمر دينهم ولا يحتاجون الى صاحب المال العلم يقوي الرجل عند المرور على الصراط والمال يمنعه منه قال الفقيه أبو الليث من جلس عند العالم ولا يقدر أن يحفظ من ذلك العلم شيأ فله سبع كرامات ينال فضل المتعلمين وكان محبوسا من الذنوب ما دام جالسا عنده واذا خرج من منزله طالبا للعلم نزلت الرحمة عليه واذا جلس في حلقة العلم فنزلت الرحمة

كان مكفرا عنه فذلك قوله فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم حدثني محمد بن عمرو الباهلي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى باتخاذكم العجل قال كان موسى أمر قومه عن أمر ربه أن يقتل بعضهم بعضا بالخناجر فجعل الرجل يقتل أباه ويقتل ولده فتاب الله عليهم حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم الآية قال فصاروا صفين فجعل يقتل بعضهم بعضا فبلغ القتل ما شاء ثم قيل لهم قد تيب على القاتل والمقتول حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال حدثني الليث قال حدثني عقيل عن ابن شهاب قال لما أمرت بنو اسرائيل بقتل أنفسها برزوا ومعهم موسى فاضطربوا بالسيوف وتطاعنوا بالخناجر وموسى رافع يديه حتى اذا أفنى بعضهم قالوا يانبي الله ادع الله لنا وأخذوا بعضديه يشدون يديه فلم يزل أمرهم على ذلك حتى اذا قبل الله توبتهم قبض أيدي بعضهم عن بعض فألقوا السلاح وحزن موسى وبنو اسرائيل للذي كان من القتل فيهم فأوحى الله جل ثناؤه الى موسى لا يحزنك أما من قتل منكم فحي عندي يرزقون وأما من بقي فقد قبلت توبته فسر بذلك موسى وبنو اسرائيل حدثنا الحسن بن يحيى أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري وقتادة في قوله فاقتلوا أنفسكم قال قاموا صفين فقتل بعضهم بعضا حتى قيل لهم كفوا قال قتادة كانت شهادة للمقتول وتوبة للحي حدثنا القاسم بن الحسن قال ثنا الحسين بن داود قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال لي عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول قام بعضهم الى بعض يقتل بعضهم بعضا ما يتوقى الرجل أخاه ولا أباه ولا ابنه ولا أحدا حتى نزلت التوراة قال ابن جريج وقال ابن عباس بلغ قتلاهم سبعين ألفا ثم رفع الله جل وعز عنهم القتل وتاب عليهم قال ابن جريج قاموا صفين فاقتتلوا بينهم فجعل الله القتل لمن قتل منهم شهادة وكانت توبة لمن بقي وكان قتل بعضهم بعضا ان الله علم ان ناسا منهم علموا ان العجل باطل فلم يمنعهم أن ينكروا عليهم الا مخافة القتال فلذلك أمر أن يقتل بعضهم بعضا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما رجع موسى الى قومه وأحرق العجل وذراه في اليم خرج الى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم الصاعقة ثم بعثوا سأل موسى ربه التوبة لبني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا أن يقتلوا أنفسهم قال فبلغني انهم قالوا لموسى نصبر لامر الله فأمر موسى من لم يكن عبد العجل أن يقتل من عبده فجلسوا بالافنية وأصلت عليهم القوم السيوف فجعلوا يقتلونهم وبكى موسى وبهش اليه النساء والصبيان يطلبون العفو عنهم فتاب عليهم وعفا عنهم وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما رجع موسى الى قومه وكان سبعون رجلا قد اعتزلوا مع هرون العجل لم يعبدوه فقال لهم موسى انطلقوا الى موعد ربكم فقالوا ياموسى أما من توبة قال بل اقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم الآية فاخترطوا السيوف والجرزة والخناجر والسكاكين قال وبعث عليهم ضبابة قال فجعلوا يتلامسون بالايدي ويقتل بعضهم بعضا قال ويلقى الرجل اباه وأخاه فيقتله ولا يدري ويتنادون فيها رحم الله عبدا صبر حتى يبلغ الله رضاه وقرأ قول الله جل ثناؤه وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين قال فقتلاهم شهداء وتيب على أحيائهم وقرأ فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم فالذي ذكرنا عمن روينا عنه الاخبار التي روينا ها

كان

كان توبة القوم من الذنب الذى أتوه فيما بينهم وبين ربهم بعبادتهم العجل مع ندمهم على ما سلف منهم من ذلك وأما معنى قوله فتوبوا الى بارئكم فانه يعنى به ارجعوا الى طاعة خالقكم والى ما يرضيه عنكم كما حدثنى به المثنى بن ابراهيم قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فتوبوا الى بارئكم أى الى خالقكم وهو من برأ الله الخلق يبرؤه فهو بارئ والبرية الخلق وهى فعيلة بمعنى مفعولة غير انها لا تهمز كما لا يهمز ملك وهو من لأك لكنه جرى بترك الهمز كذلك قال نابغة بنى ذبيان

الا سليمان اذ قال المليك له * قم فى البرية فاحددها على الفند

وقد قيل ان البرية انما لم تهمز لانها فعيلة من البرى والبرى التراب فكان تأويله على قول من تأوله كذلك انه مخلوق من التراب وقال بعضهم انما أخذت البرية من قولك بريت العود فلذلك لم يهمز قال أبو جعفر وترك الهمز من بارئكم جائز والابدال منها جائز فاذ كان ذلك جائزا فى باريكم فغير مستنكر ان تكون البرية من برا الله الخلق بترك الهمزة وأما قوله ذلكم خير لكم عند بارئكم فانه يعنى بذلك توبتكم بقتلكم أنفسكم وطاعتكم ربكم خير لكم عند بارئكم لانكم تنجون بذلك من عقاب الله فى الآخرة على دينكم وتستوجبون به الثواب منه وقوله فتاب عليكم أى بما فعلتم مما أمركم به من قتل بعضكم بعضا وهذا من المحذوف الذى استغنى بالظاهر منه عن المتروك لان معنى الكلام فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم فترك ذكر قوله فتبتم اذ كان فى قوله فتاب عليكم دلالة بينة على اقتضاء الكلام فتبتم ويعنى بقوله فتاب عليكم رجع لكم ربكم الى ما أحببتم من العفو عن ذنوبكم وعظيم ما ركبتم والصفح عن جرمكم انه هو التواب الرحيم يعنى الراجع لمن أناب اليه بطاعته الى ما يحب من العفو عنه ويعنى بالرحيم العائد اليه برحمته المنجية من عقوبته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وتأويل ذلك واذكروا أيضا اذ قلتم ياموسى لن نصدقك ولن نقر بما جئتنا به حتى نرى الله جهرة عيانا برفع الساتر بيننا وبينه وكشف الغطاء دوننا ودونه حتى ننظر اليه بأبصارنا كما تجهر الركية وذلك اذا كان ماؤها قد غطاه الطين فنقى ما قد غطاه حتى ظهر الماء وصفا يقال منه قد جهرت الركية أجهرها جهرا وجهرة ولذلك قيل قد جهر فلان بهذا الامر مجاهرة وجهارا اذا أظهره لرأى العين وأعلنه كما قال الفرزدق بن غالب

من اللائى يضل الالف منه * مسحا من مخافته جهارا

وكما حدثنا به القاسم بن الحسن قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس حتى نرى الله جهرة قال علانية وحدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع حتى نرى الله جهرة يقول عيانا وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الينا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى نرى الله جهرة اى عيانا فذكرهم بذلك جل ذكره اختلاف آبائهم وسوء استقامة أسلافهم لانبيائهم مع كثرة معاينتهم من آيات الله جل وعز وعبره ما تثلج بأقلها الصدور وتطمئن بالتصديق معها النفوس وذلك مع تتابع الحجج عليهم وسبوغ النعم من الله لديهم وهم مع ذلك مرة

عليهم حصل له نصيب وما دام يكون فى الاستماع يكتب له طاعة واذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه وانكسر فيكون فى زمرة أنا عند المنكسرة قلوبهم لاجلى واذا رأى اعزاز المسلمين العالم واذلالهم للفساق ينفر عن الفسق ومال الى طلب العلم وقيل ثلاثة لا ينبغى للشريف أن يأنف منها وان كان أميرا قيامه من مجلسه لابيه وخدمته للعالم الذى يتعلم منه والسؤال عما لا يعلم ممن هو أعلم منه واعلم ان الله تعالى علم سبعة نفر سبعة أشياء علم آدم الاسماء كلها وعلم الخضر علم الفراسة وعلمناه من لدنا علما وعلم يوسف التعبير وعلمتنى من تأويل الاحاديث وعلم داود صنعة الدرع وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم سليمان منطق الطير علمنا منطق الطير وعلم عيسى صلى الله عليه وسلم علم التوراة والانجيل ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وعلم محمدا صلى الله عليه وسلم علم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم فعلم آدم كان سببا لحصول السجدة والتحية وعلم الخضر كان سببا لوجود تلميذ مثل موسى ويوشع وعلم يوسف لوجود الاهل والمملكة وعلم سليمان لوجدان بلقيس والغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة عن أمه وعلم محمد صلى الله عليه وسلم لوجدان الشفاعة فمن علم أسماء المخلوقات وجد آدم تحية الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته أما يجد تحية الملائكة بل تحية ربه سلام قولا من رب رحيم والخضر وجد بعلم الفراسة صحبة موسى فأمة محمد بعلم الحقيقة يجدون صحبة محمد صلى الله عليه وسلم فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ويوسف بتأويل الرؤيا نجا من حبس الدنيا فمن كان عالما بتأويل كتاب الله لا ينجو من حبس الشبهات ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم وأيضا فان يوسف عليه السلام ذكر منة الله على نفسه حيث قال وعلمتنى من تأويل الاحاديث فانت يا عالم أما تذكر نعمة الله على نفسك حيث جعلك مفسرا لكلامه وسميا لنفسه ووارثا لنبيه وداعيا لخلقه وواعظا لعباده وسراجا لاهل بلاده وقائدا للخلق الى جنته وثوابه وزاجرا لهم عن ناره وعقابه كما جاء فى الحديث العلماء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء وروى عن نافع بن الازرق أنه قال لابن عباس كيف اختار سليمان الهدهد لطلب الماء قال لان الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فقال نافع الفخ يغطى له باصبع من التراب فلا يراه فيقع فيه فقال ابن عباس اذا جاء القضاء عمى البصر وقال لولده يا بنى عليك بالادب فانه دليل على المروءة وأنس فى الوحشة

يسألون نبيهم أن يجعل لهم الها غير الله ومرة يعبدون العجل من دون الله ومرة يقولون لا نصدقك حتى نرى الله جهرة وأخرى يقولون له اذا دعوا الى القتال اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ومرة يقال لهم قولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم فيقولون حنطة في شعيرة ويدخلون الباب من قبل أستاههم مع غير ذلك من أفعالهم التي آذوا بها نبيهم عليه السلام التي يكثر احصاؤها وعلم ربنا تبارك وتعالى ذكره الذين خاطبهم بهذه الآيات من يهود بني اسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم لن يعدوا أن يكونوا في تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وجحودهم نبوته وتركهم الاقرار به وبما جاء به مع علمهم به ومعرفتهم بحقيقة أمره كأسلافهم وآبائهم الذين فصل عليهم قصصهم في ارتدادهم عن دينهم مرة بعد أخرى وتوثبهم على نبيهم موسى صلوات الله وسلامه عليه تارة بعد أخرى مع عظيم بلاء الله جل وعز عندهم وسبوغ آلائه عليهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى (فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) اختلف أهل التأويل في صفة الصاعقة التي أخذتهم فقال بعضهم بما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فأخذتكم الصاعقة قال ماتوا وحدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فأخذتكم الصاعقة قال سمعوا صوتا فصعقوا يقول فماتوا وقال آخرون بما حدثني موسى بن هرون الهمداني قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي فأخذتكم الصاعقة والصاعقة نار وقال آخرون بما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا وأصل الصاعقة كل أمر هائل رآه أو عاينه أو أصابه حتى يصير من هوله وعظيم شأنه الى هلاك وعطب والى ذهاب عقل وغمور فهم أو فقد بعض آلات الجسم صوتا كان ذلك أو نارا أو زلزلة أو رجفا ومما يدل على انه قد يكون مصعوقا وهو حي غير ميت قول الله عز وجل وخر موسى صعقا يعني مغشيا عليه ومنه قول جرير بن عطية

وهل كان الفرزدق غير قرد ✱ أصابته الصواعق فاستدارا

فقد علم ان موسى لم يكن حين غشي عليه وصعق ميتا لان الله جل وعز أخبر عنه أنه لما أفاق قال تبت اليك ولا شبه جرير الفرزدق وهو حي بالقرد ميتا ولكن معنى ذلك ما وصفنا ويعني بقوله وأنتم تنظرون الى الصاعقة التي أصابتكم يقول أخذتكم الصاعقة عيانا جهارا وأنتم تنظرون اليها ﴿القول في تأويل قوله تعالى (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) يعني بقوله ثم بعثناكم ثم أحييناكم وأصل البعث اثارة الشيء من محله ومنه قيل بعث فلان راحلته اذا أثارها من مبركها للسير كما قال الشاعر

فأبعثها وهي صنيع حول ✱ كركن الرعن ذعلبة وقاعا

والرعن منقطع أنف الجبل والذعلبة الخفيفة والوقاع الشديدة الحافر أو الخف ومن ذلك قيل بعثت فلانا لحاجتي اذا أقمته من مكانه الذي هو فيه وتوجهه فيها ومن ذلك قيل ليوم القيامة يوم البعث لانه يوم يثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب ويعني بقوله من بعد موتكم من بعد موتكم بالصاعقة التي أهلكتكم وقوله لعلكم تشكرون يقول فعلنا بكم ذلك لتشكروني على ما أوليتكم من نعمتي عليكم باحيائي

وصاحب في الغربة وقرين في الحضر وصدر في المجلس ووسيلة عند انقضاء الوسايل وغنى عند العدم ورفعة الخسيس وكمال الشريف وجلال الملك وقال سقراط من فضيلة العلم انك لا تقدر على أن يخدمك فيه أحد كما تجد من يخدمك في سائر الاشياء بل تخدمه بنفسك ولا يقدر أحد على سلبه عنك وقيل لبعض الحكماء لا تنظر فغمض عينيه وقيل له لا تسمع فسد أذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده على فيه وقيل له لا تعلم فقال لا أقدر عليه وعن بعض الحكماء عظم العلم في ذاتك وصغر الدنيا في عينك وكن ضعيفا عند الهزل قويا عند الجد ولا تلم أحدا على فعل يمكن أن يعتذر منه ولا ترفع شكايتك الا الى من ترى نفعه عندك حتى تكون حكيما فاضلا ولبعضهم آفة الزعماء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة وأما النكتة فالمعصية عند الجهل لا يرجى زوالها وعند السهو يرجى زوالها انظر الى زلة آدم فانه بعلمه استغفر والشيطان عصى وبقي في الغي أبدا لان ذلك كان بسبب الجهل وأن يوسف عليه السلام لما صار ملكا احتاج الى وزير فسأل جبريل عن ذلك فقال ان ربك يقول لا تختر الا فلانا فرآه في أسوأ الاحوال فقال لجبريل كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله فقال له جبرائيل ان ربه عينه لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والنكتة ان من ذب عن يوسف استحق الشركة في مملكته فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان وقيل أراد واحد خدمة ملك فقال الملك اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه وقال اترك التعلم فقد صرت أهلا لخدمتي فقال كنت أهلا لخدمتك حين لم ترني أهلا لخدمتك وحين رأيتني أهلا لخدمتك رأيت نفسي أهلا لخدمة الله وذلك لاني كنت أظن ان الباب بابك لجهلي والآن علمت ان الباب باب الرب وقال حكيم القلب ميت وحياته بالعلم والعلم ميت وحياته بالطلب والطالب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوي بالمدارسة فهو محتجب واظهاره بالمناظرة واذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا أبديا لا آخر له وان نملة واحدة نالت الرياسة بمسئلة واحدة علمتها و... لك قولها وهم لا يشعرون كأنها اشارة الى تنزيه الانبياء عن المعصية وايذاء البريء من غير جرم فقالت لو علمكم فانما يصدر د النمنة على سبيل السهو فمن علم حقائق الاشياء من الموجودات والمعدومات كيف لا يستحق الرياسة في الدين

والدنيا وأن الكلب المعلم يكون صيده طاهرا ببركة العلم مع انه نجس في الاصل فالنفس الطاهرة في الفطرة اذا تلوثت بأوزار المعصية كيف لا تطهر ببركة العلم بالله وبصفاته واذا كان السارق عالما لا تقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لي وكذا الشارب يقول حسبته حلالا وكذا الزاني يقول تزوجتها فانه لا يحد ويروى في الحكايات يحكى ان هرون الرشيد كان بحضرته فقهاء فيهم أبو يوسف فأتي برجل فادعى عليه آخر انه أخذ من بيتي مالا بالليل ثم أقر الآخذ بذلك في المجلس فاتفق العلماء على انه يقطع يده فقال أبو يوسف لا قطع عليه لانه أقر بالاخذ وانه لا يوجب

اياكم استبقاء مني لكم لتراجعوا التوبة من عظيم ذنبكم بعد احلالي العقوبة بكم بالصاعقة التي أحللتها بكم فاماتتكم بعظيم خطئكم الذي كان منكم فيما بينكم وبين ربكم وهذا القول على تأويل قوله ثم بعثناكم ثم أحييناكم وقال آخرون معنى قوله ثم بعثناكم أي بعثناكم أنبياء حدثني بذلك موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي وتأويل الكلام على ما تأوله السدي فأخذتكم الصاعقة ثم أحييناكم من بعد موتكم وأنتم تنظرون الى احيائنا اياكم من بعد موتكم ثم بعثناكم أنبياء لعلكم تشكرون وزعم السدي ان ذلك من المقدم الذي معناه التأخير حدثنا بذلك موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي وهذا تأويل يدل ظاهر التلاوة على خلافه مع اجماع أهل التأويل على تخطئته والواجب على تأويل السدي الذي حكيناه عنه أن يكون معنى قوله لعلكم تشكرون تشكروني على تصييري اياكم أنبياء وكان سبب قيلهم لموسى ما أخبر الله جل وعز عنهم انهم قالوه له من قولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ما حدثنا به محمد بن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق قال لما رجع موسى الى قومه ورأى ما هم فيه من عبادة العجل وقال لاخيه وللسامري ما قال وحرق العجل وذرأه في اليم اختار موسى منهم سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله عز وجل فتوبوا الى الله مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال له السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا للقاء الله قالوا يا موسى اطلب لنا الى ربك نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ اليه من أمره وانكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني اسرائيل بما تفعل السفهاء منا أي ان هذا لهم هلاك اخترت منهم سبعين رجلا الخير فالخير أرجع اليهم وليس معي منهم رجل واحد فما الذي يصدقوني به أو يؤمنون لي عليه بعد هذا انا هدنا اليك فلم يزل موسى يناشد ربه عز وجل ويطلب اليه حتى رد اليهم أرواحهم فطلب اليه التوبة لبني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا أن يقتلوا أنفسهم حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط بن نصر عن السدي لما تابت بنو اسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضا كما أمرهم به أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فأرناه فأخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول لبني

القطع بل لا بد من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل في ذلك ثم قالوا للآخذ أسرقتها فقال نعم فاجمعوا على القطع لانه أقر بالسرقة فقال أبو يوسف لا قطع عليه لانه وان أقر بالسرقة لكن بعدما أوجبوا الضمان عليه باقراره بالاخذ واذا أقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه فلا يسمع اقراره فتعجب الكل وعن الشعبي كنت عند الحجاج فأتي بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا في الحديد فقال الحجاج أنت زعمت ان الحسن والحسين من ذرية الرسول فقال بلى فقال الحجاج لتأتيني بينة واضحة من كتاب الله أو لاقطعنك عضوا عضوا فقال آتيك بينة واضحة من كتاب الله يا حجاج قال فتعجب من جرأته بقوله يا حجاج قال ولا تأتني بهذه الآية ندع أبناءنا وأبناءكم فقال آتيك بها واضحة من كتاب الله قال تعالى ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وزكريا ويحيى وعيسى فمن أبو عيسى فقد ألحق تعالى عيسى بذرية نوح قال فاطرق مليا ثم رفع رأسه فقال كأني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله حلوا وثاقه واعطوه من المال كذا ويحكى أن جماعة من أهل المدينة جاؤا الى أبي حنيفة ليناظروه في القراءة خلف الامام ويبكتوه ويسفهوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ففوضوا أمر المناظرة الى أعلمكم لاناظره فأشاروا الى واحد فقال هذا أعلمكم قالوا نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة معكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا نعم قال وان ناظرته وألزمته الحجة فقد ألزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولا لنا قال أبو حنيفة فنحن لما اخترنا الامام في الصلاة فقراءته قراءة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالعلم * ويحكى ان المنصور دعا أبا حنيفة يوما فقال له الربيع وهو يعاديه يا أمير المؤمنين هذا يخالف جدك حيث يقول الاستثناء المنفصل جائز وأبو حنيفة ينكره فقال أبو حنيفة هذا الربيع

إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأوحى الله إلى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل فذلك حين يقول موسى ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء انا هدنا اليك وذلك قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة ثم ان الله جل ثناؤه أحياهم فقاموا وعاشوا رجلا رجلا ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فقالوا أنت تدعو الله فلا تسأله شيئا الا أعطاك فادعه يجعلنا أنبياء فدعا الله تعالى فجعلهم أنبياء فذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم ولكنه قدم حرفا وأخر حرفا حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال لهم موسى لما رجع من عند ربه بالالواح قد كتب فيها التوراة فوجدهم يعبدون العجل فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا فتاب الله عليهم فقال ان هذه الالواح فيها كتاب الله فيه أمره الذي أمركم به ونهيه الذي نهاكم عنه فقالوا ومن يأخذه بقولك أنت لا والله حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الله علينا فيقول هذا كتابي فخذوه فماله لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى فيقول هذا كتابي فخذوه وقرأ قول الله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قال فجاءت غضبة من الله عز وجل فجاءتهم صاعقة بعد التوبة فصعقتهم فماتوا أجمعون قال ثم أحياهم الله من بعد موتهم وقرأ قول الله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون فقال لهم موسى خذوا كتاب الله فقالوا لا فقال أي شيء أصابكم قالوا أصابنا أنا متنا ثم حيينا قال خذوا كتاب الله قالوا لا فبعث الله تعالى ملائكة فنتقت الجبل فوقهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم قال أخذتهم الصاعقة ثم بعثهم الله تعالى ليكملوا بقية آجالهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن الربيع بن أنس في قوله فأخذتكم الصاعقة قال هم السبعون الذين اختارهم الله فساروا معه قال فسمعوا كلاما فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قال فسمعوا صوتا فصعقوا يقول ماتوا فذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم فبعثوا من بعد موتهم لأن موتهم ذلك كان عقوبة لهم فبعثوا لبقية آجالهم فهذا ما روي في السبب الذي من أجله قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم ذلك لموسى تقوم به حجة فنسلم لهم وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه فاذ كان لا خبر بذلك تقوم به حجة فالصواب من القول فيه أن يقال ان الله جل ثناؤه قد أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له ذلك وانما أخبر الله عز وجل بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات توبيخا لهم في كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد قامت حجته على من احتج به عليه ولا حاجة لمن انتهت اليه الى معرفة السبب الداعي لهم الى قيل ذلك وقد قال الذين أخبرنا عنهم الأقوال التي ذكرناها وجائز أن يكون بعضها حقا كما قال ❁ القول في تأويل قوله تعالى (وظللنا عليكم الغمام) وظللنا عليكم عطف على قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم فتأويل الآية ثم بعثناكم من بعد موتكم وظللنا عليكم الغمام وعدد عليهم سائر ما أنعم به عليهم لعلكم تشكرون والغمام جمع غمامة كما السحاب جمع سحابة والغمام هو ما غم السماء فألبسها من سحاب وقتام وغير ذلك مما يسترها عن أعين الناظرين وكل مغطى فان العرب تسميه مغموما وقد قيل ان الغمام التي ظللها الله على بني اسرائيل لم تكن سحابا

يقول ليس لك بيعة في رقبة الناس فقال كيف قال انهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال اياك يا ربيع وأبا حنيفة فلما خرج الربيع قال سعيت في دمي قال كنت البادي * ويحكى انه دخل اللصوص على رجل وأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثا أن لا يعلم أحدا فأصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر أن يتكلم من أجل يمينه فجاء الرجل يشاور أبا حنيفة فقال احضرني امام مسجدك وأهل محلتك فأدخلهم جميعا في دار واحدة وأخرج واحدا واحدا وقل للرجل ان لم يكن لصك فقل لا وان كان فاسكت فلما سكت قبض على اللص ورد الله تعالى عليه جميع ما سرق منه * ويحكى أنه كان في جوار أبي حنيفة فتى يغشى مجلس أبي حنيفة فقال يوما له اني أريد التزوج من آل فلان وقد خطبت اليهم فطلبوا مني من المهر فوق طاقتي قال استقرض وادخل عليها فان الله تعالى يسهل الامر عليك بعد ذلك فأقرضه أبو حنيفة ذلك القدر ثم قال له بعد الدخول أظهر انك تريد الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد وانك تسافر بأهلك معك فأظهر الرجل ذلك فاشتد على أهل المرأة وجاؤا الى أبي حنيفة يشكونه ويستفتونه فقال لهم له ذلك والطريق أن ترضوه بأن تردوا عليه ما أخذتموه فأجابوا اليه فقال الزوج اني أريد شيئا آخر فوق ذلك فقال له أبو حنيفة ترضى بهذا والا أقرت لرجل بدين فلا يمكن المسافرة بها حتى تقضي ما عليها فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فرضي بذلك وحصل ببركة علم أبي حنيفة فرج كل واحد من الخصمين * وسئل أبو حنيفة عن رجل حلف ليقربن امرأته في نهار رمضان فلم يعرف أحد وجه الجواب فقال يسافر بامرأته فيطأها نهارا في رمضان وقال بشر المريسي للشافعي كيف تدعي انعقاد الاجماع مع أهل المشرق والمغرب على شيء واحد وكانت هذه المناظرة عند الرشيد فقال الشافعي هل تعرف اجماع الناس على خلاف هذا الجالس فأقر به خوفا وانقطع ويحكى ان اعرابيا سأل الحسين بن علي رضي الله عنه حاجة وقال سمعت جدك يقول اذا سألتم حاجة فاسألوها من أربعة اما عربيا شريفا أو مولى كريما أو حامل القرآن أو صاحب الوجه الصبيح فأما العرب فشرفت بجدك وأما الكرم فدأبكم وسيرتكم وأما القرآن ففي بيوتكم نزل وأما الوجه الصبيح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أردتم أن تنظروا الي فانظروا الى الحسن

حدثنا

حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وظللنا عليكم الغمام قال ليس بالسحاب وحدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وظللنا عليكم الغمام قال ليس بالسحاب هو الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة لم يكن الا لهم وحدثني محمد بن عمرو الباهلي قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله جل ثناؤه وظللنا عليكم الغمام قال هو بمنزلة السحاب وحدثني القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وظللنا عليكم الغمام قال غمام أبرد من هذا وأطيب وهو الذي يأتي الله عز وجل فيه يوم القيامة في قوله في ظلل من الغمام وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر قال ابن عباس وكان معهم في التيه واذ كان معنى الغمام ما وصفنا مما غم السماء فغطى وجهها عن الناظر اليها فليس الذي ظلله الله عز وجل على بني اسرائيل فوصفه بانه كان غماما باولى بوصفه اياه بذلك أن يكون سحابا بامنه بان يكون غير ذلك مما ألبس وجه السماء من شئ وقد قيل انه ما ابيض من السحاب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (وأنزلنا عليكم المن) اختلف أهل التأويل في صفة المن فقال بعضهم بما حدثني به محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل وأنزلنا عليكم المن قال المن صمغة حدثنا المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أنا عبد الرزاق قال أنا معمر عن قتادة في قوله وأنزلنا عليكم المن كان المن ينزل عليهم مثل الثلج وقال آخرون هو الشراب ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال المن شراب كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ويشربونه وقال آخرون المن الرقاق ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال حدثني عبد الصمد قال سمعت وهبا وسئل ما المن قال خبز الرقاق مثل الذرة ومثل النقي وقال آخرون المن الترنجبين ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط عن السدي المن كان يسقط على شجر الترنجبين وقال آخرون المن هو الذي يسقط على الشجر الذي تأكله الناس ذكر من قال ذلك حدثني القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس كان المن ينزل على شجرهم فيغدون عليه فيأكلون منه ما شاؤا وحدثني المثنى قال حدثنا الحماني قال حدثنا شريك عن مجالد عن عامر في قوله وأنزلنا عليكم المن قال المن الذي يقع على الشجر وحدثت عن المنجاب بن الحرث قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله المن قال المن الذي يسقط من السماء على الشجر فتأكله الناس حدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا شريك عن مجالد عن عامر قال المن هذا الذي يقع على الشجر وقال آخرون المن عسل ذكر من قال ذلك حدثنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المن عسل كان ينزل من السماء حدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال عسلكم هذا جزء من سبعين جزأ من المن وقد قيل ان المن هو الترنجبين وقال بعضهم المن هو الذي يسقط

والحسين رضي الله عنهما فقال الحسين رضي الله عنه ما حاجتك فكتبها على الارض فقال الحسين رضي الله عنه سمعت أبي عليا رضي الله عنه يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه وسمعت جدي يقول المعروف بقدر المعرفة فاسألك عن ثلاث مسائل ان أحسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان أجبت عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي وان أجبت عن الثلاثة فلك كل ما عندي وقد حمل الى الحسين صرة مختومة من العراق فقال سل ولا قوة الا بالله فقال رضي الله عنه أي الاعمال أفضل قال الاعرابي الايمان بالله قال فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما زين المرء قال علم معه حلم قال رضي الله عنه فان اخطأه ذلك قال فمال معه كرم قال رضي الله عنه فان اخطأه ذلك قال ففقر معه صبر قال رضي الله عنه فان اخطأه ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك الحسين رضي الله عنه ورمى بالصرة اليه * وأما الوجوه العقلية فمنها ان الامور أربعة أقسام قسم يرضاه العقل دون الشهوة كمكاره الدنيا وقسم عكس ذلك كالمعاصي وقسم ترضاه الشهوة والعقل وهو العلم والجنة وقسم لا ترضاه الشهوة والعقل وهو الجهل والنار فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة وكما يعيش يموت وكما يموت يبعث * ومنها ان اللذة ادراك المحبوب وكلما كان المدرك أكمل وأشرف كانت اللذة أكمل وأتم ومدرك العقل هو الله تعالى وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر والمواليد وجميع أحكامه وأوامره وأي معلوم أشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته ولا ألم ولا نقصان مثل ألم الجهل ونقصانه ولهذا قال عز من قائل اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كأنه قال كنت في أول حالك علقة هي الغاية في الخساسة ثم صرت في آخر حالك في غاية الشرف وأيضا ترتب الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على انه انما يستحق الاكرمية لانه أعطى العلم فالعلم أشرف عطية وأعظم موهبة * ومنها أنه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من أهل الخشية وأهل الخشية أهل الجنة لقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن الى قوله ذلك لمن خشي ربه فالعلماء من أهل الجنة بل ليس أهل الجنة الا العلماء وذلك لان كلمة انما للحصر ولام للاختصاص فيه لمن خشي ... فان العلماء

هم أهل الخشية ان من لم يكن عالما بالشئ استحال أن يكون خائفا منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل لابد معه من العلم بامور ثلاثة. أحدها العلم بالقدرة لان الملك عالم باطلاع رعيته على أفعاله القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعه وثانيها العلم بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته لكنه يعلم انه غير عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند السلطان عالم بكون السلطان قادرا على منعه عالما بقبائح أفعاله لكنه يعلم انه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت أن خوف العبد من الله لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم العلم بانه وبهذا يعرف نباهة قدر العلم ومن هنا أمر حبيبه صلى الله عليه وسلم بالازدياد منه حيث قال وقل رب زدني علما ولم يكتف نبي الله موسى عليه السلام بما علم بل قال للخضر هل أتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ولم يفتخر سليمان بالمملكة العظيمة بل افتخر بالعلم علمنا منطق الطير ولولا شرف العلم لم يكن للهدهد مع ضعفه ان يتكلم بحضرة سليمان بقوله أحطت بما لم تحط به وهكذا الرجل الساقط اذا تعلم العلم صار نافذ القول على السلاطين وماذاك الا ببركة العلم * ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وذلك ان التفكر يوصلك الى الله والعبادة توصلك الى ثواب الله وأيضا التفكر عمل القلب والعبادة عمل الجوارح * ومنها ان سائر كتب الله ناطقة بفضل العلم أما التوراة فقال لموسى عظم الحكمة فاني لا أجعل الحكمة في قلب عبد الا وأردت ان أغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة وأما الزبور فقال سبحانه قل لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا العقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلاث مراتب ما جعلت واحدة منهن في أحد من خلقي وأنا أريد هلاكه وانما قدم سبحانه التقى على العلم لان التقى لا يوجد بدون العلم كما بينا من ان الخشية لا تحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين أشرف من الموصوف بامر واحد ولهذا السر أيضا قدم العالم على العاقل لان العالم لابد وأن يكون عاقلا وأما العاقل فقد لا يكون عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمر وأما الانجيل فقد قال عزمن اذهب

على الثمام والعشر وهو حلو كالعسل واياه عنى الاعشى ميمون بن قيس بقوله

لو أطعموا المن والسلوى مكانهم * ما أبصر الناس طعما فيهم نجعا

وتظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وقال بعضهم المن شراب حلو كانوا يطبخونه فيشربونه وأما أمية بن أبي الصلت فانه جعله في شعره عسلا فقال يصف أمرهم في التيه وما رزقوا فيه

فرأى الله انهم بمضيع * لا بذي مزرع ولا مثمورا
فسناها عليهم غاديات * وترى مزنهم خلايا وخورا
عسلا ناطفا وماء فراتا * وحليبا ذا بهجة ممرورا

الممرور الصافي من اللبن فجعل المن الذي كان ينزل عليهم عسلا ناطفا والناطف هو القاطر ﴿القول في تأويل قوله تعالى ذكره (والسلوى)﴾ والسلوى اسم طائر يشبه السماني واحده وجماعه بلفظ واحد كذلك السماني لفظ جماعها وواحدها سواء وقد قيل ان واحد السلوى سلواة ذكر من قال ما قلنا في ذلك حدثني موسى بن هرون قال حدثني عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم السلوى طير يشبه السماني حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا اسباط عن السدي قال كان طيرا أكبر من السماني حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال السلوى طائر كانت تحشرها عليهم الريح الجنوب حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال السلوى طائر حدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد السلوى طير حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال حدثني عبد الصمد قال سمعت وهبا وسئل ما السلوى فقال طير سمين مثل الحمام حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد السلوى طير حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس السلوى كان طيرا يأتيهم مثل السماني حدثني المثنى ثنا الحماني قال ثنا شريك عن مجالد عن عامر قال السلوى السماني حدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال السلوى هو السماني حدثنا أحمد بن اسحق قال أخبرنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن مجالد عن عامر قال السلوى السماني حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الضحاك قال السماني هو السلوى * فان قال قائل وما سبب تظليل الله جل ثناؤه الغمام وانزاله المن والسلوى على هؤلاء القوم قيل قد اختلف أهل العلم في ذلك ونحن ذاكرون ما حضرنا منه فحدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط بن نصر عن السدي لما تاب الله على قوم موسى وأحيا السبعين الذين اختارهم موسى بعدما أماتهم أمرهم الله بالمسير الى أريحا وهي أرض بيت المقدس فساروا حتى اذا كانوا قريبا منهم بعث موسى اثني عشر نقيبا وكان من أمرهم وأمر الجبارين وأمر قوم موسى ما قد قص الله في كتابه فقال قوم موسى لموسى

قال في السورة السابعة عشر منه ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار اطلبوا العلم وتعلموه فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعلم فلا نعمل ولكن قولوا نرجو ان نعلم فنعمل اذ العلم شفيع لصاحبه وحق على الله ان لا يخزيه وان الله تعالى يقول يوم القيامة يامعشر العلماء ماظنكم بربكم فيقولون ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا فيقول فاني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا لشر أردته بكم بل لخير أردته بكم فادخلوا في صالحي عبادي الى جنتي برحمتي * وبالجملة فكون العلم صفة شرف وكمال وكون الجهل صفة نقصان أمر معلوم للعقلاء بالضرورة ولذلك لو قيل للرجل العالم ياجاهل تأذى بذلك وان كان يعلم أنه كاذب ولو قيل للرجل الجاهل ياعالم فرح بذلك وان كان يعلم انه ليس كذلك والعلم أينما وجد كان صاحبه محترما معظما حتى ان غير الانسان من الحيوان اذا رأى الانسان احتشمه بعض الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار وان كان ذلك الحيوان أقوى بكثير من الانسان والعلماء اذا لم يعاندوا كانوا رؤساء بالطبع على من دونهم في العلم وان كثيرا ممن كانوا يعاندون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون قتله كانوا اذا وقع بصرهم عليه ألقى الله في قلوبهم الرعب منه فهابوه وانقادوا له لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بداهته تغنيك عن خبر وما فضل الانسان على سائر الحيوان الا لاختصاصه بالمزية النورانية واللطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقائق الاشياء والاشتغال بعبادة الله تعالى والجاهل كانه في ظلمة شديدة اذا أخرج يده لم يكد يراها والعالم كانه يطير في أقطار الملكوت ويسبح في بحر المعقولات فيطالع الموجودات والمعدوم والواجب والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط والمركب ويبالغ في تقسيم كل منها الى أنواعها وأنواع أنواعها وأجزائها وأجزاء أجزائها والجزء الذي به يشاركه غيره والجزء الذي به يمتاز عن غيره ويعرف أثر كل شئ ومؤثره ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكليته وجزئيته فيصير كالمسحة التي أثبت فيها جميع المعلومات بتفاصيلها وأقسامها وانه في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام كاملا ومكملا واسطة بين الله وعباده ولامر ما يجعل الله سبحانه سائر صفات الجلال من القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والامتناع عن المكان والحيز جوابا لالم لا شك وموحدا

اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فغضب موسى فدعا عليهم فقال رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فكانت عجلة من موسى عجلها فقال الله تعالى انها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا معه يطيعونه فقالوا له ماصنعت بنا ياموسى فلما ندم أوحى الله اليه ان لا تأس على القوم الفاسقين أي لا تحزن على القوم الذين سميتهم فاسقين لم يحزن فقالوا ياموسى كيف لنا بماء ههنا أين الطعام فانزل الله عليهم المن فكان يسقط على شجر الترنجبين والسلوى وهو طير يشبه السماني فكان يأتي أحدهم فينظر الى الطير ان كان سمينا ذبحه والا أرسله فاذا سمن أتاه فقالوا هذا الطعام فاين الشراب فامر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فشرب كل سبط من عين فقالوا هذا الطعام والشراب فاين الظل فظلل عليهم الغمام فقالوا هذا الظل فاين اللباس فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ولا يتخرق لهم ثوب فذلك قوله وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى وقوله واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما تاب الله عز وجل على بني اسرائيل وأمر موسى ان يرفع عنهم السيف من عبادة العجل أمر موسى أن يسير بهم الى الارض المقدسة وقال انني قد كتبتها لكم دارا وقرارا ومنزلا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصركم عليهم فسار بهم موسى الى الارض المقدسة بامر الله عز وجل حتى اذا نزل التيه بين مصر والشام وهي أرض ليس فيها خمر ولا ظل دعا موسى ربه حين أذاهم الحر فظلل عليهم بالغمام فدعا لهم بالرزق فانزل الله لهم المن والسلوى حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس وحدثت عن عمار بن الحسن ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وظللنا عليكم الغمام قال ظلل عليهم الغمام في التيه تاهوا في خمسة فراسخ أو ستة كلما أصبحوا ساروا غادين فامسوا فاذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه فكانوا كذلك حتى تمت أربعون سنة قال وهم في ذلك ينزل عليهم المن والسلوى ولا تبلى ثيابهم ومعهم حجر من حجارة الطور يحملونه معهم فاذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال حدثني عبد الصمد قال سمعت وهبا يقول ان بني اسرائيل لما حرم الله عليهم أن يدخلوا الارض المقدسة أربعين سنة يتيهون في الارض شكوا الى موسى فقالوا ما نأكل فقال ان الله سيأتيكم بما تأكلون قالوا من أين لنا الا أن يمطر علينا خبزا قال ان الله عز وجل ينزل عليكم خبزا مخبوزا فكان ينزل عليهم المن سئل وهب ما المن قال خبز الرقاق مثل الذرة أو مثل النقي قالوا وما نأتدم وهل بد لنا من لحم قال فان الله يأتيكم به فقالوا من أين لنا الا أن تأتينا به الريح قال فان الريح تأتيكم به وكانت الريح تأتيهم بالسلوى فسئل وهب ما السلوى قال طير سمين مثل الحمام كانت تأتيهم فيأخذون منه من السبت الى السبت قالوا فما نلبس قال لا يخلق لاحد منكم ثوب أربعين سنة قالوا فما نحتذي قال لا ينقطع لاحدكم شسع أربعين سنة قالوا فان فينا أولادا فما نكسوهم قال ثوب الصغير يشب معه قالوا فمن أين لنا الماء قال يأتيكم به الله قالوا فمن أين الا أن يخرج لنا من الحجر فامر الله تبارك وتعالى موسى أن يضرب بعصاه الحجر قالوا فبم نبصر تغشانا الظلمة فضرب لهم عمودا من نور في

لسكونهم وانما جعل تعالى صفة العلم جوابا لهم حيث قال انى أعلم مالا تعلمون وهكذا أظهر فضيلة آدم بالعلم بعد افتخارهم بالتسبيح والتقديس وان ابراهيم اشتغل فى أول أمره بطلب العلم منتقلا بفكره من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى أن وصل بالدليل الباهر والبرهان الظاهر الى المقصود وهو الملة الحنيفية وان الله تعالى سمى العلم تارة بالحياة أومن كان ميتا فأحييناه وتارة بالروح وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وتارة بالنور يهدى الله لنوره من يشاء (٢٢٨) وضرب المثل فى العلم بالماء أنزل من السماء ماء فعلم التوحيد كماء العين لا يجوز تحريكه

وسط عسكرهم كله أضاء عسكرهم كله قالوا فبم نستظل فان الشمس علينا شديدة قال يظلكم الله بالغمام حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ابن زيد فذكر نحو حديث موسى بن هرون عن عمرو بن حماد عن أسباط عن السدى حدثنى القاسم بن الحسن قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عبد الله بن عباس خلق لهم فى التيه ثياب لا تخرق ولا تدرن قال وقال ابن جريج ان أخذ الرجل من المن والسلوى فوق طعام يوم فسد الا انهم كانوا يأخذون فى يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسدا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (كلوا من طيبات مارزقناكم) وهذا مما استغنى بدلالة ظاهره على ماترك منه وذلك ان تأويل الآية وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى وقلنا لكم كلوا من طيبات مارزقناكم فترك ذكر قوله وقلنا لكم لما بينا من دلالة الظاهر فى الخطاب عليه وعنى جل ذكره بقوله كلوا من طيبات مارزقناكم كلوا من مشتهيات رزقنا الذى رزقناكموه وقد قيل عنى بقوله من طيبات مارزقناكم من حلاله الذى أبحناه لكم والاول من القولين أولى بالتأويل لانه وصف ما كان القوم فيه من هنىء العيش الذى أعطاهم فوصف ذلك بالطيب الذى هو بمعنى اللذة أحرى من وصفه بانه حلال مباح وما التى مع رزقناكم بمعنى الذى كأنه قيل كلوا من طيبات الرزق الذى رزقناكموه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وهذا أيضا من الذى استغنى بدلالة ظاهره على ماترك منه وذلك ان معنى الكلام كلوا من طيبات مارزقناكم فخالفوا ما أمرناهم به وعصوا ربهم ثم رسولنا اليهم وما ظلمونا فاكتفى بما ظهر عما ترك وقوله وما ظلمونا يقول وما ظلمونا بفعلهم ذلك ومعصيتهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ويعنى بقوله وما ظلمونا وما وضعوا فعلهم ذلك وعصيانهم ايانا موضع مضرة علينا ومنقصة لنا ولكن هم وضعوه من أنفسهم موضع مضرة عليها ومنقصة لها كما حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون قال يضرون وقد دللنا فيما مضى ان أصل الظلم وضع الشئ فى غير موضعه بما فيه الكفاية فاغنى ذلك عن اعادته وكذلك ربنا جل ذكره لا تضره معصية عاص ولا يحيف خزائنه ظلم ظالم ولا تنفعه طاعة مطيع ولا يزيد فى ملكه عدل عادل بل نفسه يظلم الظالم وحظها يبخس العاصى واياها ينفع المطيع وحظها يصيب العادل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) والقرية التى أمرهم الله جل ثناؤه أن يدخلوها فيأكلوا منها رغدا حيث شاؤا فيما ذكر لنا بيت المقدس ذكر الرواية بذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن قتادة فى قوله ادخلوا هذه القرية قال بيت المقدس حدثنى موسى بن هرون قال حدثنى عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية أما القرية فقرية بيت المقدس حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها قال هى أريحا وهى قرية من بيت المقدس ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) يعنى بذلك فكلوا من هذه القرية حيث شئتم عيشا هنيا واسعا بغير حساب وقد بينا معنى الرغد فيما مضى من كتابنا وذكرنا أقوال أهل التأويل فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره

لئلا يتكدر كذلك لا ينبغى طلب كيفية الله كيلا يفضى الى الكفر وعلم الفقه كماء القناة يزداد بالاستنباط والحفر وعلم الزهد كماء المطر ينزل صافيا ويتكدر بغبار الهواء وكذلك علم الزهد صاف ويتكدر بالطبع وعلم البدع كماء السيل يهلك الاحياء ويميت الخلق * وأما الاخبار والآثار الدالة على وعيد من لم يعمل بعلمه أو طلب الى العلم لغير ذات الله فمنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لا تجالسوا العلماء الا ان دعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد وقال صلى الله عليه وسلم الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم عن عدى بن حاتم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بناس يوم القيامة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما أعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون عنها بحسرة مارجع أحد بمثلها ويقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لاوليائك كان أهون علينا فنودوا ذاك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بى بارزتمونى بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تضمرون عليه فى قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى أجللتم الناس ولم تجلونى تركتم المعاصى ولم تتركوها لى أكنت أهون الناظرين عليكم فاليوم أذيقكم أليم عذابى مع ما حرمتكم من النعيم وقيل اطلب أربعة فى أربعة من الموضع السلامة ومن المصاحب الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه واذا لم تجد من المصاحب الزيادة

وادخلوا

فالكتاب خير منه واذا لم تجد من ثالث القراءة فالموت خير منه واذا لم تجد من العلم المنفعة فالموت خير منه وقيل لا تتم أربعة أشياء الا بأربعة أشياء لا يتم الدين الا بالتقوى ولا يتم القول الا بالفعل ولا يتم المروءة الا بالتواضع ولا يتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى على الخطر والقول بلا فعل كالهدر والمروءة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه لجابر ابن عبد الله الانصارى قوام الدنيا بعالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغنى لا يبخل بماله وفقير لا يبيع آخرته بدنياه فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه واذا بخل الغنى بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة وقيل اذا وضعت على سواد عينك جزأ من الدنيا لا ترى شيأ فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيأ * البحث الرابع فى حد العلم الاشعرى العلم ما يعلم به وربما قال ما يصير الذات به عالما القاضى العلم معرفة المعلوم على ماهو عليه القفال اثبات المعلوم على ماهو به والكل دائر المعتزلة هو الاعتقاد المقتضى لسكون النفس الفلاسفة صورة حاصلة فى النفس مطابقة للمعلوم ولا يخفى خروج علم الله تعالى عنهما فانه لا يطلق هنالك النفس وفيه مفاسد أخر يطول ذكرها ههنا وعند كثير من المحققين هو بديهى وقيل أصح الحدود صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض والحق فى هذا المقام هو ان نسبة البصيرة الى مدركاتها كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان البصر نورا كل ما يقع فى ذلك النور فهو مدركه فكذا للبصيرة نور كل ما يقع فيه فهو مدركها ولا يدرك حقيقة هذا النور الا من له نور ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور وهكذا اذا كان جميع الانوار حتى نور الانوار وكلما ازدادت النفس نورية وشروقا ازداد انبساطها فيقع فيها المعلومات أكثر وهكذا يكون الحال فى كل مستكمل أما اذا كان العالم بحيث تكون كمالاته الممكنة موجودة معه بالفعل فلا تزداد نوريته ولا يتجاوز من قلبه فى العلم وما منا الا له مقام معلوم ثم ان كان الكمال والنور بحيث لا يمكن أكمل منه ولا أنور كان جميع الاشياء واقعة فى نوره بل يكون نوره نافذا فى الكل متصرفا فيها محيطا بها أزلا وأبدا لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء وههنا أسرار أخر لا يجوز التعبير عنها العزيز يتفطن لبعضها من وفق لها من أهلها * بحث خامس فى أنه [illegible] الادراك وهو

(وادخلوا الباب سجدا) أما الباب الذى أمروا أن يدخلوه فانه قيل هو باب الحطة من بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو الباهلى قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ادخلوا الباب سجدا قال باب الحطة من باب ايلياء من بيت المقدس حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى وادخلوا الباب سجدا أما الباب فباب من أبواب بيت المقدس حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وادخلوا الباب سجدا انه أحد أبواب بيت المقدس وهو يدعى باب حطة وأما قوله سجدا فان ابن عباس كان يتأوله يعنى الركع حدثنى محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ادخلوا الباب سجدا قال ركعا من باب صغير حدثنا الحسن بن الزبرقان النخعى قال ثنا أبو اسامة عن سفيان عن الاعمش عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس فى قوله ادخلوا الباب سجدا قال أمروا أن يدخلوا ركعا وأصل السجود الانحناء لمن سجد له معظما بذلك فكل منحن لشئ تعظيما له فهو ساجد ومنه قول الشاعر

بجمع تضل البلق فى حجراته * ترى الاكم فيه سجدا للحوافر

يعنى بقوله سجدا خاشعة خاضعة ومن ذلك قول أعشى بنى قيس بن ثعلبة

يراوح من صلوات المليك * طورا سجودا وطورا جؤارا

فذلك تأويل ابن عباس قوله سجدا ركعا لان الراكع منحن وان كان الساجد أشد انحناء منه

القول فى تأويل قوله تعالى (وقولوا حطة) وتأويل قوله حطة فعلة من قول القائل حط الله عنك خطاياك فهو يحطها حطة بمنزلة الردة والحدة والمدة من حددت ومددت واختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك منهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أنا معمر وقولوا حطة قال الحسن وقتادة أى احطط عنا خطايانا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقولوا حطة يحط الله بها عنكم ذنبكم وخطاياكم حدثنا القاسم بن الحسن قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال لى عطاء فى قوله وقولوا حطة قال سمعنا أنه يحط عنهم خطاياهم * وقال آخرون معنى ذلك قولوا لا اله الا الله كأنهم وجهوا تأويله قولوا الذى يحط عنكم خطاياكم وهو قول لا اله الا الله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى وسعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قالا أخبرنا حفص بن عمر ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة وقولوا حطة قال قولوا لا اله الا الله * وقال آخرون بمثل معنى قول عكرمة الا أنهم جعلوا القول الذى أمروا به الاستغفار ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن الزبرقان النخعى ثنا أبو اسامة عن سفيان عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقولوا حطة قال أمروا أن يستغفروا * وقال آخرون نظير قول عكرمة الا أنهم قالوا القول الذى أمروا أن يقولوه هو أن يقولوا هذا الامر حق كما قيل لكم ذكر من قال ذلك حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله وقولوا حطة قال قولوا هذا الامر حق كما قيل لكم واختلف أهل العربية فى المعنى الذى من أجله رفعت

الحطة فقال بعض نحوى أهل البصرة رفعت الحطة بمعنى قولوا ليكن منك حطة لذنوبنا كما تقول للرجل سمعك وقال آخرون منهم هى كلمة أمرهم الله أن يقولوها مرفوعة وفرض عليهم قيلها كذلك وقال بعض نحوى الكوفيين رفعت الحطة بضمير هذه كأنه قال وقولوا هذه حطة وقال آخرون هى مرفوعة بضمير معناه الخبر كأنه قال قولوا ما هو حطة فتكون حطة حينئذ خبرا لما والذى هو أقرب عندى فى ذلك الى الصواب وأشبه بظاهر الكتاب ان يكون رفع حطة بنية خبر محذوف قد دل عليه ظاهر التلاوة وهو دخولنا الباب سجدا حطة فكفى من تكريره بهذا اللفظ ما دل عليه الظاهر من التنزيل وهو قوله وادخلوا الباب سجدا كما قال جل ثناؤه واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم يعنى موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم فكذلك عندى تأويل قوله وقولوا حطة يعنى بذلك واذ قلنا ادخلوا هذه القرية وادخلوا الباب سجدا وقولوا دخولنا ذلك سجدا حطة لذنوبنا وهذا القول على نحو تأويل الربيع بن أنس وابن جريج وابن زيد الذى ذكرناه آنفا وأما على تأويل قول عكرمة فان الواجب أن تكون القراءة بالنصب فى حطة لان القوم ان كانوا أمروا أن يقولوا لا اله الا الله أو ان يقولوا نستغفر الله فقد قيل لهم قولوا هذا القول فقولوا واقع حينئذ على الحطة لان الحطة على قول عكرمة هى قول لا اله الا الله واذ كانت هى قول لا اله الا الله فالقول عليها واقع كما لو أمر رجل رجلا بقول الخير فقال له قل خيرا نصبا ولم يكن صوابا أن يقول له قل خير الا على استكراه شديد وفى اجماع القراء على رفع الحطة بيان واضح على خلاف الذى قاله عكرمة من التأويل فى قوله وقولوا حطة وكذلك الواجب على التأويل الذى رويناه عن الحسن وقتادة فى قوله وقولوا حطة ان تكون القراءة فى حطة نصبا لان من شان العرب اذا وضعوا المصادر مواضع الافعال وحذفوا الافعال أن ينصبوا المصادر كما قال الشاعر

أبيدوا بايدى عصبة وسيوفهم * على أمهات الهام ضربا شآميا

وكقول القائل للرجل سمعا وطاعة بمعنى أسمع سمعا وأطع طاعة وكما قال الله جل ثناؤه معاذ الله بمعنى نعوذ بالله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (نغفر لكم) يعنى بقوله نغفر لكم نتغمد بالرحمة خطاياكم ونسترها عليكم فلا نفضحكم بالعقوبة عليها وأصل الغفر التغطية والستر فكل ساتر شيأ فهو غافره ومن ذلك قيل للبيضة من الحديد التى تتخذ جنة للرأس مغفر لانها تغطى الرأس وتجنه ومثله غمد السيف وهو ما يغمده فواراه ولذلك قيل لزئبر الثوب غفر لتغطيته العورة وحوله بين الناظر والنظر اليها ومنه قول أوس بن حجر

فلا أعتب ابن العم ان كان جاهلا * واغفر عنه الجهل ان كان أجهلا

يعنى بقوله واغفر عنه الجهل استر عليه جهله بحلمى عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (خطاياكم) والخطايا جمع خطية بغير همز كالمطايا جمع مطية والحشايا جمع حشية وانما ترك جمع الخطايا بالهمز لان ترك الهمز فى خطيئة أكثر من الهمز فجمع على خطايا على ان واحدتها غير مهموزة ولو كانت الخطايا مجموعة على خطيئة بالهمز لقيل خطائى على مثل قبيلة وقبائل وصحيفة وصحائف وقد تجمع خطيئة بالتاء فيهم فيقال خطيات والخطية فعيلة من خطى الرجل يخطى خطأ وذلك اذا عدل عن

الوصول لان القوة العاقلة تصل الى حقيقة المعقول الثانى الشعور وهو ادراك بغير استثبات وهو أول مراتب وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لا يوصف به الله تعالى الثالث التصور ومشتق من الصورة فكأن حقيقة المعقول حلت فى العاقلة حلول الشكل فى المادة الرابع الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة فى العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها الخامس التذكر وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة وانه بالحقيقة التفات النفس الى عالمها السادس الذكر وهو وجدان الصورة بعد محاولة استرجاعها ولا محالة يكون مسبوقا بالزوال قال الشاعر

الله يعلم انى لست أذكره * وكيف أذكره اذ لست أنساه

و يوصف القول بانه ذكر لانه سبب حضور المعنى فى النفس قال عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر السابع المعرفة وقد اختلفوا فى تفسيرها فمن قائل انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومن قائل انها التصور والعلم هو التصديق وجعل العرفان أشرف من العلم لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود أمر معلوم بالضرورة وأما تصور حقيقته فامر وراء الطاقة البشرية وقال بعضهم من أدرك شيأ وانحفظ أثره فى نفسه ثم أدرك ذلك الشئ ثانيا وعرف أن هذا المدرك الذى أدركه ثانيا هو الذى كان قد أدركه أولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت معترفة بالربوبية الا أنها فى ظلمة العلاقة البدنية قد نسيت مولاها فاذا تخلصت من قيد العلاقة عرفت ربها وعرفت أنها كانت عارفة الثامن الفهم وهو تصور الشئ من لفظ المخاطب والافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع التاسع الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال تعالى لا يكادون يفقهون حديثا أى لا يقفون على المقصود الاصلى من التكاليف العاشر العقل وهو العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها ونفعها وضرها حتى يصير مانعا من الفعل مرة ومن الترك أخرى فيجرى ذلك مجرى عقال الناقة ومن ههنا قيل هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين والعاقل من عقل عن الله أمره ونهيه الحادى عشر الدراية وهى المعرفة الحاصلة بضرب من الحيلة وهى ترتيب المقدمات فلا يصح اطلاقها عليه تعالى الثانى عشر الحكمة وهى اسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملى أخص منه بالعلم النظرى وفى العمل أكثر استعمالا منه فى العلم وقيل هى الاقتداء بالخالق سبحانه بقدر القوة البشرية وذلك ان يجتهد ان ينزه

سبيل الحق ومنه قول الشاعر وان مهاجرين تكنفاه * لعمر الله قد خطئا وخابا
يعني أضلا الحق وأثما ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (وسنزيد المحسنين) ﴾ وتأويل ذلك ما روي لنا عن ابن عباس وهو ما حدثنا به القاسم بن الحسن قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس وسنزيد المحسنين من كان منكم محسنا زيد في احسانه ومن كان مخطئا نغفر له خطيئته فتأويل الآية واذ قلنا ادخلوا هذه القرية مباحا لكم كل ما فيها من الطيبات موسعا عليكم بغير حساب وادخلوا الباب سجدا وقولوا سجودنا هذا لله حطة من ربنا لذنوبنا يحط به آثامنا نتغمد لكم ذنوب المذنب منكم فنسترها عليه ونحط أوزاره عنه وسنزيد المحسنين منكم الى احساننا السالف عنده احسانا ثم أخبر الله جل ثناؤه عن عظيم جهالتهم وسوء طاعتهم ربهم وعصيانهم لانبيائهم واستهزائهم برسله مع عظيم آلاء الله عز وجل عندهم وعجائب ما أراهم من آياته وعبره موبخا بذلك أبناءهم الذين خوطبوا بهذه الآيات ومعلمهم أنهم ان يعدوا في تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وجحودهم نبوته مع عظيم احسان الله بمبعثه فيهم اليهم وعجائب ما أظهر على يديه من الحجج بين أظهرهم أن يكونوا كأسلافهم الذين وصف صفتهم وقص علينا أنباءهم في هذه الآيات فقال جل ثناؤه فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء الآية ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) ﴾ وتأويل قوله فبدل فغير ويعني بقوله الذين ظلموا الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله ويعني بقوله قولا غير الذي قيل لهم بدلوا قولا غير الذي أمروا أن يقولوه فقالوا خلافه وذلك هو التبديل والتغيير الذي كان منهم وكان تبديلهم بالقول الذي أمروا أن يقولوه قولا غيره ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن همام بن منبه انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعيرة حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة وعلي بن مجاهد قالا حدثنا محمد بن اسحق عن صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وحدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلوا الباب الذي أمروا أن يدخلوا منه سجدا يزحفون على أستاههم يقولون حنطة في شعيرة وحدثني محمد بن عبد الله المحاربي قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله حطة قال بدلوا فقالوا حبة حدثنا ابن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن السدي عن أبي سعيد عن أبي الكنود عن عبد الله ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فقالوا حنطة حبة حمراء فيها شعيرة فأنزل الله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ادخلوا الباب سجدا قال ركوعا من باب صغير فجعلوا يدخلون من قبل أستاههم ويقولون حنطة فذلك قوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم حدثنا الحسن بن الزبرقان النخعي قال حدثنا أبو أسامة عن سفيان

علمه عن الجهل وعدله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه الثالث عشر علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال الرابع عشر الذهن وهو قوة النفس على اكتساب الحدود والآراء الخامس عشر الفكر وهو انتقال النفس من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة وقيل انه يجري مجرى التضرع الى الله تعالى في استنزال العلم من عنده السادس عشر الحدس وهو قوة للنفس بها يهتدي بسرعة الى الحد الاوسط في كل قياس السابع عشر الذكاء وهو شدة هذا الحدس وبلوغه الغاية القصوى من ذكت النار اشتعلت الثامن عشر الفطنة وهي التنبه لشيء قصد تعريضه كالاحاجي والرموز التاسع عشر الخاطر وهو حركة النفس نحو تحصيل حق أو حظ العشرون الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم بأمور جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية كحكم السخلة بصداقة الام وعداوة الذئب الحادي والعشرون الظن وهو الاعتقاد الراجح فان كان عن أمارة قوية قبل ومدح وعليه مدار أكثر أحوال العالم وان كان عن أمارة ضعيفة ذم ان بعض الظن اثم الثاني والعشرون الخيال وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته وما كان من ذلك في النوم قد يخص باسم الطيف الثالث والعشرون البديهة وهي المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لا بتوسط الفكر مثل الكل أعظم من الجزء وقد يقال لها الاوليات الرابع والعشرون الروية وهي ما كان من المعارف بعد فكر كثير الخامس والعشرون الكياسة وهي تمكن النفس من استنباط ما هو أنفع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت السادس والعشرون الخبر وهو معرفة تحصل بطريق التجربة وحدث الناس أخبر تقله السابع والعشرون الرأي وهو اجالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها انتاج المطلوب وقد يقال للقضية المستنتجة من الرأي رأي والرأي للفكرة كالآلة للصانع ولهذا قيل اياك والرأي الفطير الثامن والعشرون الفراسة وهي اختلاس المعارف من فرس السبع الشاة فضرب منها يحصل للانسان من باطنه ولا يعرف له سبب الا صفاء جوهر الروح وهو شبه الالهام واياه عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان في أمتي محدثين وان عمر منهم وقد يسمى [illegible]

فى الروع وضرب يحصل بالاستدلال من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل أفمن كان على بينة من ربه اشارة الى الاول ويتلوه شاهد منه الى الثانى والله أعلم * التأويل عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم فتجلى فيه فبالتجلى علمه التخلق باخلاقه والاتصاف بصفاته وهذا هو سر الخلافة بالحقيقة لان المرآة تكون خليفة المتجلى فيها أنبؤنى باسماء هؤلاء أى باسماء هؤلاء المخلوقات دون أسماء الله وصفاته ان كنتم صادقين فى دعوى الفضيلة فان الفضيلة ليست بمجرد الطاعة فان ذرات الوجودات مسبحات بحمدى وانما الافضلية بالعلم لان الطاعة من صفات الخلق والعلم من صفات الخالق والفضل لمن له صفة الحق والخلق جميعا فيخلف عن الحق بصفاته وعن الخلق بصفاتهم وانما قال أنبئهم ولم يقل علمهم كقوله تعالى وعلم آدم لان الملائكة ليس لهم الترقى فى الدرجات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا ولا يتجاوزون مافوق سدرة المنتهى كما قال جبريل لو دنوت أنملة لاحترقت والجسمانيات مرتبة دون مرتبتهم فيمكن انبؤهم بها لان الجسمانيات لهم كالحيوانيات بالنسبة الينا وأما الالهيات فليس لهم استعداد الترقى اليها فلهذا لم يقل أنبئهم باسمائهم كلها كما قال وعلم آدم الاسماء كلها لئلا يكون تكليفا بما لا يطاق وانما كان آدم مخصوصا بعلم الاسماء واحتاجت الملائكة اليه فى انباء أسمائهم وأسماء غيرهم لانه كان خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم بما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة فكما ان الثمرة تعبر على أجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على أعلى الشجرة كذلك آدم عبر على أجزاء شجرة الوجود وكان فى كل جزء من أجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فحصل له من كل من ذلك اسم لا محالة حتى ان أسماء الله تعالى جاءت على وفقه فضلا عن غير أسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان الله رازقا ولما كان عبدا كان الله معبودا ولما كان معيوبا كان ستارا ولما كان مذنبا كان غفارا ولما كان تائبا كان توابا ولما كان منتفعا ومتضررا كان نافعا وضارا ولما كان ظالما كان عادلا ولما كان عليه السلام مظلوما كان منتقما وعلى هذا فقس (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من

ابن

عن الاعمش عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس قال أمروا أن يدخلوا ركعا ويقولوا حطة قال أمروا أن يستغفروا قال فعلوا يدخلون من قبل أستاههم من باب صغير ويقولون حنطة يستهزؤن فذلك قوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن قتادة والحسن ادخلوا الباب سجدا قالا دخلوها على غير الجهة التى أمروا بها فدخلوها متزحفين على أوراكهم وبدلوا قولا غير الذى قيل لهم فقالوا حبة فى شعيرة حدثنى محمد بن عمرو الباهلى قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال أمر موسى قومه أن يدخلوا الباب سجدا ويقولوا حطة وطوطئ لهم الباب ليسجدوا فلم يسجدوا ودخلوا على أدبارهم وقالوا حنطة حدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أمر موسى قومه أن يدخلوا المسجد ويقولوا حطة وطوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يسجدوا ودخلوا على استهم الى الجبل وهو الجبل الذى تجلى له ربه وقالوا حنطة فذلك التبديل الذى قال الله عز وجل فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم حدثنى موسى بن هرون الهمدانى ٧ عن ابن مسعود انه قال انهم قالوا اهطى سمقايا ازبة هزبا وهو بالعربية حبة حنطة حمراء منقوبة فيها شعيرة سوداء فذلك قوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وادخلوا الباب سجدا قال فدخلوا على أستاههم مقنعى رؤسهم حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا أبى عن النضر بن عدى عن عكرمة وادخلوا الباب سجدا قال فدخلوا مقنعى رؤسهم وقولوا حطة فقالوا حنطة حمراء فيها شعيرة فذلك قوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم حدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة قال فكان سجود أحدهم على خده وقولوا حطة نحط عنكم خطاياكم فقالوا حنطة وقال بعضهم حبة فى شعيرة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة يحط الله بها عنكم ذنبكم وخطيئاتكم قال فاستهزؤا به يعنى بموسى وقالوا ما يشاء موسى ان يلعب بنا الا لعب بنا حطة حطة أى شئ حطة وقال بعضهم لبعض حنطة حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنى الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج وقال ابن عباس لما دخلوا قالوا حبة فى شعيرة حدثنى محمد بن سعيد قال حدثنى أبى سعيد بن محمد بن الحسن قال أخبرنى عمى عن أبيه عن ابن عباس قال لما دخلوا الباب قالوا حبة فى شعيرة فبدلوا قولا غير الذى قيل لهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) يعنى بقوله فأنزلنا على الذين ظلموا على الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله من تبديلهم القول الذى أمرهم الله جل وعز أن يقولوه قولا غيره ومعصيتهم اياه فيما أمرهم به وبركوبهم ما قد نهاهم عن ركوبه رجزا من السماء بما كانوا يفسقون والرجز فى لغة العرب العذاب وهو غير الرجز وذلك ان الرجز البثر ومنه الخبر الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الطاعون انه قال انه رجز عذب به بعض الامم الذين قبلكم حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن

٧ هكذا بالنسخ وفيه انقطاع اذ حذف ما بين شيخه وبين ابن مسعود اه مصححه

ا بن شهاب قال أخبرني عامر بن سعد بن أبي وقاص عن اسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم وحدثني أبو شيبة بن أبي بكر بن أبي شيبة قال حدثنا عمر بن حفص قال حدثنا أبي عن الشيباني عن رباح بن عبدة عن عامر بن سعد قال شهدت اسامة بن زيد عند سعد بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الطاعون رجز أنزل على من كان قبلكم أو على بني اسرائيل وبمثل الذي قلنا في تاويل ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أنا عبد الرزاق قال أنبانا معمر عن قتادة في قوله رجزا قال عذابا حدثني المثنى قال حدثنا آدم العسقلاني قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء قال الرجز الغضب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم بعث الله جل وعز عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحدا وقرأ فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون قال وبقي الابناء ففيهم الفضل والعبادة التي توصف في بني اسرائيل والخير وهلك الآباء كلهم أهلكهم الطاعون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الرجز العذاب وكل شيء في القرآن رجز فهو عذاب حدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله رجزا قال كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب وقد دللنا على ان تاويل الرجز العذاب وعذاب الله جل ثناؤه أصناف مختلفة وقد أخبر الله جل ثناؤه انه أنزل على الذين وصفنا أمرهم الرجز من السماء وجائز أن يكون ذلك طاعونا وجائز أن يكون غيره ولا دلالة في ظاهر القرآن ولا في أثر عن الرسول ثابت أي أصناف ذلك كان فالصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل فانزلنا عليهم رجزا من السماء بفسقهم غير انه يغلب على النفس صحة ما قاله ابن زيد للخبر الذي ذكرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الطاعون انه رجز وانه عذب به قوم قبلنا وان كنت لا أقول ان ذلك كذلك يقينا لان الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بيان فيه أي أمة عذبت بذلك وقد يجوز أن يكون الذين عذبوا به كانوا غير الذين وصف الله صفتهم في قوله فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى ذكره (بما كانوا يفسقون) وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على ان معنى الفسق الخروج من الشيء فتاويل قوله بما كانوا يفسقون اذا بما كانوا يتركون طاعة الله عز وجل فيخرجون عنها الى معصيته وخلاف أمره ۞ القول في تاويل قوله تعالى ذكره (واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم) يعني بقوله واذ استسقى موسى لقومه واذ استسقانا موسى أي سالنا ان نسقي قومه ماء فترك ذكر المسؤل ذلك والمعنى الذي سأل موسى اذ كان فيما ذكر من الكلام الظاهر دلالة على معنى ما ترك وكذلك قوله فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا مما استغنى بدلالة الظاهر على المتروك منه وذلك ان معنى الكلام فقلنا اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر اذ كان فيما ذكر دلالة على المراد منه وكذلك قوله قد علم كل أناس مشربهم انما معناه قد علم كل أناس

الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) القراآت للملائكة اسجدوا برفع الهاء للاتباع يزيد وقتيبة وروى ابن مهران عنهما انهما يشمان الكاف الكسر ويرفعان الهاء وروى الخزاعي (٣٣٣) وابن شنبوذ عن أهل مكة الملايكة بغير همز وكذلك كل كلمة في وسطها همزة مكسورة الا قوله السائلين والسائل والبائس فانهما بالهمز شئتما وبابه بغير همز أبو عمرو ويزيد والاعشى وورش وعن طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف فازالهما حمزة آدم بنصب كلمات رفع ابن كثير فلا خوف عليهم بالفتح حيث كان يعقوب هداي ومحياي ومثواي بالامالة كل القرآن على غير ليث النار بالامالة كل القرآن وكذلك كل كلمة في آخرها راء مكسورة بعد الالف في موضع اللام من الكلمة قرأها على غير ليث وأبي حمدون وحمدويه والنجاري عن ورش وحمزة في رواية ابن سعدان وأبو عمرو والا انه لا يميل الجار والغار في بعض الروايات فروى ابراهيم بن حماد عن الزيدي الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن الزيدي الغار بالامالة وسائر الروايات عنه بالتفخيم لقلة دورهما واختلفوا في وقف أبي عمرو في مثل النار واشباه ذلك فروى ابن مجاهد والحسن بن عبد الله عن النقاش وكثير من أهل العراق انه يقف كما يصل وروى سلمة بن عاصم انه يقف بالتفخيم والاول أكثر * الوقوف ابليس (ط) لانه معروف والجملة بعده لا يكون صفة له الا بواسطة الذي ولا عامل فتجعل حالا الكافرين ه شتتما

(ص) لاتفاق الجملتين الظالمين ه كانا فيه ص لعطف الجملتين المتفقتين عدو ه لاختلاف الجملتين حين ه فتاب عليه ط الرحيم ج جميعا ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب يحزنون ه لنار ج لان ما بعدها مبتدأ وخبر وقيل الجملة خبر بعد خبر لاولئك لان تمام المقصود بوعيدهم والخلود مثل زمان حلو حامض خالدون ه * التفسير لما خص الله تعالى أبانا آدم بالخلافة ثم بالعلم من العلوم ما ظهر بذلك مزيته على جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة ان جعله مسجودا لهم وهذا مقتضى النسق ههنا ظاهر الا ان قوله تعالى في

منهم مشربهم فترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه وقد دللنا فيما مضى على ان الناس جمع لا واحد له من لفظه وان الانسان لو جمع على لفظه لقيل أناسين وأناسية وقوم موسى هم بنو اسرائيل الذين قص الله عز وجل قصصهم فى هذه الآيات وانما استسقى لهم ربه الماء فى الحال التى تاهوا فيها فى التيه كما حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قوله واذا استسقى موسى لقومه الآية قال كان هذا لهم فى البرية اشتكوا الى نبيهم الظمأ فامروا بحجر طورى من الطوران ضربه موسى بعصاه فكانوا يحملونه معهم فاذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين معلومة مستفيض ماؤها لهم حدثنى تميم بن المنتصر قال حدثنا يزيد بن هرون قال حدثنا أصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ذلك فى التيه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجر مربع وأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منها اثنتا عشرة عينا فى كل ناحية منه ثلاث عيون لكل سبط عين ولا يرتحلون منقلة الا وجدوا ذلك الحجر معهم بالمكان الذى كان به معهم فى المنزل الاول حدثنى عبد الكريم قال أخبرنا ابراهيم بن بشار قال حدثنا سفيان عن أبى سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال ذلك فى التيه ضرب لهم موسى الحجر فصار فيه اثنتا عشرة عينا من ماء لكل سبط منهم عين يشربون منها وحدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين كل ذلك كان فى تيههم حين تاهوا حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذا استسقى موسى لقومه قال خافوا الظمأ فى تيههم حين تاهوا فانفجر لهم الحجر اثنتى عشرة عينا ضربه موسى قال ابن جريج قال ابن عباس الاسباط بنو يعقوب كانوا اثنى عشر رجلا كل واحد منهم ولد سبطا أمة من الناس وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد استسقى لهم موسى فى التيه فسقوا فى حجر مثل رأس الشاة قال يلقونه فى جانب الجوالق اذا ارتحلوا ويقرعه موسى بالعصا اذا نزل فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين فكان بنو اسرائيل يشربون منه حتى اذا كان الرحيل استمسكت العيون وقيل به فالقى فى جانب الجوالق فاذا نزل رمى به فقرعه بالعصا فتفجرت عين من كل ناحية مثل البحر حدثنى موسى ابن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنى اسباط عن السدى قال كان ذلك فى التيه وأما قوله قد علم كل أناس مشربهم فانما أخبر الله عنهم بذلك لان معناهم فى الذى أخرج الله جل وعز لهم من الحجر الذى وصف جل ذكره فى هذه الآية صفته من الشرب كان مغايرا معانى سائر الخلق فيما أخرج الله لهم من المياه من الجبال والارضين التى لا مالك لها سوى الله عز وجل وذلك ان الله كان جعل لكل سبط من الاسباط الاثنى عشر عينا من الحجر الذى وصف صفته فى هذه الآية يشرب منها دون سائر الاسباط غيره لا يدخل سبط منهم فى شرب سبط غيره وكان مع ذلك لكل عين من تلك العيون الاثنى عشرة موضع من الحجر قد عرفه السبط الذى منه شربه فلذلك خص جل ثناؤه هؤلاء بالخبر عنهم ان كل أناس منهم كانوا عالمين بمشربهم دون غيرهم من الناس اذ كان غيرهم فى الماء الذى لا يملكه أحد

موضع آخر فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين يقتضى ان يكون الامر بالسجود قبل تسويته خلقه وانه كما صار حيا صار مسجودا لهم وتعليم الاسماء ومناظرته مع الملائكة فى ذلك حصل بعد سجدتهم والله أعلم بذلك ثم ان المسلمين أجمعوا على ان ذلك السجود لم يكن العبادة لانه تعالى لا يامر بالكفر والعبادة لغيره كفر فزعم بعض ان السجود كان لله تعالى وآدم كالقبلة فقوله اسجدوا لآدم مثل قولك صل للقبلة قال حسان بن ثابت شعر ما كنت أعرف أن الامر منصرف * عن هاشم ثم منها عن أبى حسن أليس أول من صلى لقبلتكم * وأعرف الناس بالقرآن والسنن وهو ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم آدم وجعله مجرد القبلة لا يفيد كونه أعظم حالا من الساجد وزعم آخرون أن المراد بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى أصل اللغة مثل والنجم والشجر يسجدان وزيف بانه فى عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الارض فوجب أن يكون فى أصل اللغة كذلك لان الاصل عدم التغيير وأصح الاقوال ان السجود كان بمعنى وضع الجبهة ولكن لا عبادة بل تكرمة وتحية كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك بدل التسليم قال قتادة فى قوله وخروا له سجدا كان تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض ويجوز ان تختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة والاوقات واختلف فى أن ابليس من الملائكة أم لا فقال أكثر المتكلمين لا سيما المعتزلة انه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء انه كان منهم حجة الاولين أنه من الجن لقوله تعالى فى الكهف الا ابليس كان من الجن فلا يكون من الملائكة وأيضا قال ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ورد الاول بان الجن قد يطلق على الملك لاستتاره عن العيون وبان كان يحتمل أن تكون بمعنى صار والثانى بانه لا يلزم من كون الجن فى هذه الآية نوعا مغايرا للملائكة أن يكون فى الآية الاولى أيضا مغايرا لاحتمال كونه على مقتضى أصل اللغة وهو الاستتار وقالوا ان ابليس له ذرية لقوله تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى والملائكة لا ذرية لها لانها تحصل من الذكر والانثى ولا اناث فيهم لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا منكرا عليهم وأيضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس لم يكن

شركاء

كذلك وأيضا انه من النار خلقتنى من نار وانهم من نور لقوله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار رواه الزهرى عن عروة عن عائشة ومن المشهور الذى لا يدفع ان الملائكة روحانيون فقيل سموا بذلك لانهم من الريح أو من الروح وأيضا الملائكة رسل جاعل الملائكة رسلا ورسل الله معصومون الله أعلم حيث يجعل رسالته حجة الآخرين انه استثناه من الملائكة وحمله على المتصل أولى لان تخصيص العمومات فى كتاب الله أكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه جنى واحد مغمور بين ظهرانى ألوف من الملائكة فغلبوا عليه وهذا لا ينافى كون الاستثناء متصلا وأجيب بان التغليب انما يصار اليه اذا كان المغلوب ساقطا عن درجة الاعتبار أما اذا كان معظم الحديث فيه فلا يصار الى التغليب وأيضا ولم يكن من الملائكة لم يتناوله الخطاب باسجدوا وحينئذ لم يستحق بترك السجود لوما وتعنيفا ولا يمكن ان يقال انه نشأ معهم والتصق بهم فتناوله الامر لما بين فى أصول الفقه ان خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس مع شدة المخالطة بين الصنفين ولان يقال انه وان لم يدخل فى هذا الامر الا أنه تعالى أمره بلفظ آخر ما حكاه فى القرآن بدليل قوله ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك لان قوله أبى واستكبر عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا مشعر بان المخالفة بسبب هذا الامر هذا ما قيل عن الجانبين ومما يناسب تفسير الآية الكلام فى أن الانبياء أفضل من الملائكة أم بالعكس قال أكثر أهل السنة بالاول ومالت المعتزلة والشيعة الى الثانى واختاره الباقلانى وأبو عبد الله الحليمى من فقهاء أهل السنة * المعتزلة احتجوا بامور أحدها ومن عنده لا يستكبرون وليس المراد عندية المكان والجهة بل عندية القرب والشرف وعرض بما حكى عنه سبحانه أنا عند المنكسرة قلوبهم لاجلى بل هذا أبلغ لان كون الله تعالى عند العبد أدخل فى التعظيم من كون العبد عنده قالوا الآية تدل على انه تعالى يقول الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات والارض وامنهم من الهرم والمرض والآفات لا يتركون العبودية لحظة واحدة فالبشر مع غاية ضعفهم وقصورهم أولى بذلك وأجيب بانه لا نزاع فى ذلك وانما النزاع فى الافضلية بمعنى كثرة الثواب * الثانية عباداتهم أشق من عبادات البشر فيكون ثوابهم أكثر لقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة أجرك على

شركاء فى منابعه ومسايله وكان كل سبط من هؤلاء مفردا بشرب منبع من منابع الحجر دون سائر منابعه خاص لهم دون سائر الاسباط غيرهم فلذلك خصوا بالخبر عنهم ان كل أناس منهم قد علموا مشربهم

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (كلوا واشربوا من رزق الله) وهذا أيضا مما استغنى بذكر ما هو ظاهر منه عن ذكره ما ترك ذكر وذلك ان تأويل الكلام فقلنا اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم فقيل لهم كلوا واشربوا من رزق الله أخبر الله جل ثناؤه انه أمرهم باكل ما رزقهم فى التيه من المن والسلوى وبشرب ما فجر لهم فيه من الماء من الحجر المتعادر الذى لا قرار له فى الارض ولا سبيل اليه لمالكيه يتدفق بعيون الماء ويزخر بينابيع العذب الفرات بقدرة ذى الجلال والاكرام ثم تقدم جل ذكره اليهم مع اباحتهم ما أباح وانعامه عليهم بما أنعم به عليهم من العيش الهنىء بالنهى عن السعى فى الارض فسادا والعثاء فيها استكبارا فقال جل ثناؤه لهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) يعنى بقوله لا تعثوا لا تطغوا ولا تسعوا فى الارض مفسدين كما حدثنى به المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقول لا تسعوا فى الارض فسادا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين لا تعث لا تطغ حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة ولا تعثوا فى الارض مفسدين أى لا تسيروا فى الارض مفسدين حدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس ولا تعثوا فى الارض مفسدين لا تسعوا فى الارض وأصل العثا شدة الافساد بل هو أشد الافساد يقال منه عاث فلان فى الارض اذا تجاوز فى الافساد الى غايته يعثا عثا مقصور وللجماعة هم يعثون وفيه لغتان أخريان أحدهما عثا يعثو عثوا ومن قرأها بهذه اللغة فانه ينبغى له ان يضم الثاء من يعثو ولا أعلم قارئا يقتدى بقراءته قرأ به ومن نطق بهذه اللغة مخبرا عن نفسه قال عثوت أعثو ومن نطق باللغة الاولى قال عثيت أعثى والاخرى منهما عاث يعيث عيثا وعيوثا وعيثانا كل ذلك بمعنى واحد ومن العيث قول رؤبة بن العجاج

وعاث فينا مستحل عائث * مصدق أو تاجر مقاعث

يعنى بقوله عاث فينا أفسد فينا

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) قد دللنا فيما مضى قبل على معنى الصبر وانه كف النفس وحبسها عن الشىء فاذا كان ذلك كذلك فمعنى الآية اذا واذكروا اذ قلتم يا معشر بنى اسرائيل لن نطيق حبس أنفسنا على طعام واحد وذلك الطعام الواحد هو ما أخبر الله جل ثناؤه انه أطعمهموه فى تيههم وهو السلوى فى قول بعض أهل التأويل وفى قول وهب بن منبه هو الخبز النقى مع اللحم فاسأل لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من البقل والقثاء وما سمى الله مع ذلك وذكر انهم سألوه موسى وكان سبب مسألتهم موسى ذلك فيما بلغنا ما حدثنا به بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد قال كان القوم فى البرية قد ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن

قدرنصبك واقوله أفضل العبادات أحزها أى أشقها وأمابيان ان عباداتهم أشق فمن وجهين أحدهما انهم سكان السموات وهى جنات ومنتزهات وهـم مع ذلك لا يلتفتون الى نعيمها و يقبلون على طاعاتهم خائفين وجلين وكانه لا يقدر أحد من بنى آدم ان يبقى كذلك يوما واحدا وضلا عن تلك الاعصار المتطاولة ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى و يؤكده قصة آدم فانه أطلق له فى الجنة جميعها الاشجرة واحـدة ومع ذلك لم علك نفسه والثانى أن انتقال المكلف من (٢٣٦) نوع عبادة الى نوع آخر كالانتقال من طعام الى طعام والاقامة على نوع واحد تورث

السآمة وهذا شأن الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومنهـم ركوع ومنهم سجود منذ خلقوا وعورض الوجه الاول بان أسباب البلاء مجتمعة على البشر ثم انهم راضون بقضاء الله مواظبون على تكاليفهم ولذلك فان العبيد والخدم تطيب قلوبهم بالخدمة حال الرفاهية ولا يصبر أحد منهم على مشقة الخدمة الا من كان فى نهاية الاخلاص والثانى بان العادة طبيعة خامسة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أفضل الصوم صوم داود كان يصوم يوما و يفطر يوما * الثالثة عباداتهـم ادوم يسبحون الليـل والنهار لا يفترون وخيـر الاعمال أدومها مع ان أعمارهم أكثر وعلى الآية سؤال روى عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب أرأيت قول الله عز وجل لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا وأولئك عليهـم لعنة الله والملائكة أفـلا تكون الرسالة واللعن مانعيـن عن التسبيح فاجاب بان التنفس لا يمنعنا من الاشـتغال بشئ آخر فكذلك التسبيح لهـم وزيف بان آلة التنفس فيناغـير آلة الكلام وأما اللعن والتسبيح فهـما من جنس الكلام فاجتماعهـما فى آلة واحدة محال وأجيب باحتمال أن يكون لهم السـنة كثيرة يسبحون الله تعالى ببعضها و يلعنون أعداءه ببعض آخر و بان ثناءانه يستلزم تبعيد من اعتقد فى الله مالا ينبغى أو المراد لا يفترون عن العزم على أدائه فى أوقاته اللائقـة به كما يقال فلان يواظب على الجماعات يعنون انه عازم على أدائها فى أوقاتها ونوقضت الحجة بان الطاعة القليلة من الانسان قد تقع على وجه يستحق بها ثوابا أكثر من ثواب طاعاتهم * الرابعة انهم أسبق السابقين فى كل العبادات والسابقون السابقون أولئك المقربون من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الخامسـة الملائكة رسـل الى الانبياء عليه

والسلوى فلواذلك وذكروا عيشا كان لهم بمصر فسالوه موسى فقال الله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ماسالتم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لن نصبر على طعام واحد قال ملوا طعامهم وذكروا عيشهم الذى كانوا فيه قبل ذلك قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها الآية حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد قال كان طعامهم السلوى وشرابهم المن فسالوا ماذكر فقيل لهـم اهبطوا مصرا فان لكم ماسالتم قال أبو جعفر وقال قتادة انهم لما قدموا الشام فقـدوا أطعمتهم التى كانوا يأكلونها فقالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها و بصلها وكانوا قد ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى فملواذلك وذكروا عيشا كانوا فيه بمصر حدثنى محمد بن عمرو قال حـدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى قال سمعت ابن أبى نجيح فى قوله عز وجل لن نصـبر على طعام واحد المن والسـلوى فاستبدلوا به البقل وماذكر معه حدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بمثله سواء حدثنا القاسم قال حدثنا الحسن قال حـدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بمثله حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط عن السـدى أعطوا فى التيه ما أعطوا فملواذلك وقالوا ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها و بصلها حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أنبانا ابن زيد قال كان طعام بنى اسرائيل فى التيه واحدا وشرابهم واحدا كان شرابهم عسلا ينزل لهم من السماء يقال له المن وطعامهـم طير يقال له السـلوى يأكلون الطير و يشربون العسل لم يكونوا يعرفون خبزا ولا غيره فقالوا ياموسى انا لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض فقرأ حتى بلغ اهبطوا مصرا فان وانما قال جـل ذكره يخرج لنا مما تنبت الارض ولم يذكر الذى سالوه أن يدعو ربه ليخرج لهـم من الارض فيقولوا قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا كذا وكذا مما تنبته الارض من بقلها وقثائها لان من تاتى بمعـنى التبعيض لما بعـدها فاكتفى بها عن ذكر التبعيض اذ كان معـلوما بدخولها معـنى ما أريد بالكلام الذى هى فيـه كقول القائل أصبح اليوم عنـد فلان من الطعام يريد شيا منه وقد قال بعضـهم من هاهنا بمعنى الالغاء والاسقاط كأن معنى الكلام عنده يخرج لنا ما تنبت الارض من بقلها واستشهد على ذلك بقول العرب ما رأيت من أحد بمعنى ما رأيت أحدا و بقول الله و يكفر عنكم من سيآتكم و بقولهم قد كان من حديث فخل عنى حتى أذهب يريدون قد كان حديث وقد أنكر من أهل العربية جماعة أن تكون من بمعـنى الالغاء فى شئ من الكلام وادعوا ان دخولها فى كل موضع دخلت فيـه مؤذن ان المتكلم مريد لبعض ما أدخلت فيـه لا جميعـه وانها لا تدخل فى موضع الا لمعـنى مفهوم فتاويل الكلام اذا على ما وصفنا من أمر من ذكرنا فادع لنا ربك يخرج لنا بعض ما تنبت الارض من بقلها وقثائها والبقل والقثاء والعـدس والبصـل هو ما قد عرفه الناس بينهـم من نبات الارض وحبها وأما الفوم فان أهـل التاويل اختلفوا فيـه فقال بعضهم هو الحنطة والخبز * ذكر من قال ذلك

حدثنا

حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبوأحمد ومؤمل قالا ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن عطاء قال الفوم الخبز حدثني أحمد بن اسحق حدثنا أبوأحمد ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء ومجاهد قوله وفومها قال خبزها حدثني زكريا بن يحيي بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو قالا ثنا أبوعاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وفومها قال الخبز حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة والحسن الفوم هو الحب الذي تختبزه الناس حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن بمثله حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك في قوله وفومها قال الحنطة حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط بن نصر عن السدى وفومها الحنطة حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن يونس عن الحسن وحصين عن أبي مالك في قوله وفومها الحنطة حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبوجعفر الرازي عن قتادة قال الفوم الحب الذي تخبز الناس منه حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال لي عطاء بن أبي رباح قوله وفومها قال خبزها قالها مجاهد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال لي ابن زيد الفوم الخبز حدثني يحيي بن عثمان السهمي قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله وفومها يقول الحنطة والخبز حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله وفومها قال هو البر بعينه الحنطة حدثنا علي بن الحسن قال ثنا مسلم الجرمي قال ثنا عيسى بن يونس عن رشد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس في قول الله عز وجل وفومها قال الفوم الحنطة بلسان بني هاشم حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا عبد العزيز بن منصور عن نافع ابن أبي نعيم ان عبد الله بن عباس سئل عن قول الله وفومها قال الحنطة أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح وهو يقول

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا * ورد المدينة عن زراعة فوم

وقال آخرون هو الثوم * ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد قال هو هذا الثوم حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال الفوم الثوم وهو في بعض القراآت وثومها وقد ذكران تسمية الحنطة والخبز جميعا فوما من اللغة القديمة حكى سماعا من أهل هذه اللغة فوموا لنا بمعنى اختبزوا لنا وذكران ذلك قراءة عبد الله بن مسعود وثومها بالثاء فان كان ذلك صحيحا فانه من الحروف المبدلة كقولهم وقعوا في عاثور شر وعافور شر وكقولهم للاثافي أثاثي وللمغافير مغاثير وما أشبه ذلك مما تقلب الثاء فاء والفاء ثاء لتقارب مخرج الفاء من مخرج الثاء والمغافير شبيه بالشئ الحلو يشبه بالعسل ينزل من السماء حلوا يقع على الشجر ونحوها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) يعني بقوله قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير قال لهم موسى أتأخذون الذي هو أخس خطرا وقيمة وقدرا من العيش بدلا بالذي هو خير منه خطرا

شديد القوى نزل به الروح الامين والرسول أفضل من الامة قياسا على الشاهد ومنع بان هذا اذا كان الرسول حاكما على المرسل اليهم ومتوليا لامورهم كالانبياء المبعوثين الى أممهم أما في مطلق الرسول فلم قلتم انه كذلك كما لو أرسل الملك عبدا من عبيده الى وزيره أو الى ملك آخر * السادسة انهم أتقى من البشر لدوام خوفهم يخافون ربهم من فوقهم مع وجود شهوة الترفع والرياسة فيهم ولهذا قالوا أتجعل فيها وان لم يكن لهم شهوة الوقاع فوجب أن يكونوا أفضل ان أكرمكم عند الله أتقاكم ورد بان تقوى الانسان أكمل فان لهم مع شهوة الرياسة شهوة البطن والفرج أيضا * السابعة لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون خرج الثاني مخرج التأكيد للاول ومثل هذا انما يكون بذكر الافضل بعد الفاضل كقولك هذا العالم لا يستنكف من خدمة الوزير ولا الملك فيفيد أفضلية الملائكة المقربين في المعاني المصححة للعبودية من نهاية الخضوع والخشوع وما يتبعها مع شدة بطشهم وقوة حالهم وعورض بانه قد يقال هذا العالم لا يستنكف عن خدمة القاضي ولا السلطان ولا يفيد الا أن السلطان أكمل من القاضي في بعض الامور كالقوة والقدرة ولا يدل على كونه أكمل من القاضي في سائر الدرجات كالعلم والزهد فلم قلتم انهم أفضل من البشر في كثرة الثواب قلت والحق أن جميع الدرجات مندرجة تحت العبودية كما أشرنا اليه فيما مر فيفيد أفضلية الملائكة لكن المقربين منهم فقط دون غيرهم ومفضولية المسيح فقط دون غيره كمحمد صلى الله عليه وسلم * الثامنة ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين فهذا وان كان حكاية قول ابليس الا أن آدم وحواء لو لم يعتقدا أفضلية الملك لم يغترا بذلك واعتقاد هما حجة ورد بان آدم لعله أخطأ في ذلك الاعتقاد اما لان الزلة جائزة على الانبياء أولانه ما كان نبيا في ذلك الوقت وتضاهب أنه حجة لكنه قبل الزلة لم يكن نبيا فلا يلزم من مفضوليته وقتئذ مفضوليته وقت نبوته وان سلم مفضوليته ونبوته وقتئذ فلم لا يسلم ان ذلك في باب الثواب بل في باب القدرة والقوة والحسن والجمال ونحو ذلك فانهم خلقوا من الانوار وآدم خلق من التراب فاغتر رغبة فيما بهم من هذه الامور وأيضا يحتمل أن يكون المراد الا أن تقلبا ملكين فيصح استدلالكم وأن يكون المراد ان النهي مختص بالملائكة الخالدين دونكما كقولك لغيره ما نهيت أنت عن كذا الا أنه

فانها بالالف والتنوين اهبطوا مصرا وهى القراءة التى لا يجوز عندى غيرها لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين واتفاق قراءة القراء على ذلك ولم يقرأ بترك التنوين فيه واسقاط الالف منه الا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة فيما جاءت به من القراءة مستفيضا بينها ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) قال أبو جعفر يعنى بقوله وضربت أى فرضت و وضعت عليهم الذلة وألزموها من قول القائل ضرب الامام الجزية على أهل الذمة وضرب الرجل على عبده الخراج يعنى بذلك وضعه فالزمه اياه ومن قولهم ضرب الامير على الجيش البعث يراد به الزمهموه وأما الذلة فهى الفعلة من قول القائل ذل فلان يذل ذلا وذلة كالصغرة من صغر الامر والقعدة من قعد والذلة هى الصغار الذى أمر الله جل ثناؤه عباده المؤمنين ان لا يعطوهم أمانا على القرار على ماهم عليه من كفرهم به وبرسوله الا أن يبذلوا الجزية عليه لهم فقال جل وعز قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة فى قوله وضربت عليهم الذلة قال يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وأما المسكنة فانها مصدر المسكين يقال ما فيهم أسكن من فلان وما كان مسكينا ولقد تمسكن مسكنة ومن العرب من يقول تمسكن تمسكنا والمسكنة فى هذا الموضع مسكنة الفاقة والحاجة وهى خشوعها وذلها كما حدثنى به المثنى بن ابراهيم قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله والمسكنة قال الفاقة حدثنى موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى قوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة قال الفقر وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة قال هؤلاء يهود بنى اسرائيل قلت له هم قبط مصر قال وما لقبط مصر وهذا لا والله ما هم هم ولكنهم اليهود يهود بنى اسرائيل فاخبرهم الله جل ثناؤه انه يبدلهم بالعز ذلا وبالنعمة بؤسا وبالرضى عنهم غضبا جزاء منه لهم على كفرهم بآياته وقتلهم أنبياءه ورسله اعتداء وظلما منهم بغير حق وعصيانهم له وخلافا عليه ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (وباؤا بغضب من الله) قال أبو جعفر يعنى بقوله وباؤا بغضب من الله انصرفوا ورجعوا ولا يقال باؤا الا موصولا اما بخير واما بشر يقال منه باء فلان بذنبه يبوء به بوأ وبواء ومنه قول الله عز وجل انى أريد أن تبوء باثمى واثمك يعنى تنصرف متحملهما وترجع بهما قد صارا عليك دونى فمعنى الكلام اذا ورجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد صار عليهم من الله غضب و وجب عليهم منه سخط كما حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله وباؤا بغضب من الله فحدث عليهم غضب من الله حدثنا يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله وباؤا بغضب من الله قال استحقوا الغضب من الله وقدمنا معنى غضب الله على عبده فيما مضى من كتابنا هذا فاغنى عن اعادته فى هذا الموضع ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق) قال أبو جعفر يعنى بقوله جل ثناؤه بذلك ضرب الذلة والمسكنة عليهم واحلاله غضبه بهم فدل بقوله ذلك وهو يعنى به ما وصفنا على ان قول القائل ذلك يشمل المعانى

هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومنع من كون الملائكة أعلم بدليل قصة آدم ولان تعليم جبريل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبريل الا واسطة ولئن سلم مزيد علمهم منع كثرة ثوابهم * التاسع عشر ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذه تدل على انهم بلغوا فى الترفع الى حد لو خالفوا أمر الله لما خالفوه الا فى ادعاء الالهية ورد بان مزيد قدرتهم لا يوجب مزيد ثوابهم العشرون قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الرب تعالى اذا ذكرنى عبدى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملائه وهذا يدل على أن الملأ الاعلى أشرف ورد بعد قبول خبر الواحد أنه لا يلزم منه الا أن الملأ الاعلى خير من ملأ عوام البشر ولا يلزم من ذلك كونهم أفضل من الانبياء واعلم أن الفلاسفة اتفقوا على أن الارواح السماوية المسماة بالملائكة عندهم أفضل من الارواح الناطقة البشرية لوجوه الاول الملائكة ذواتها بسيطة مبرأة عن الكثرة والبشر مركب من النفس والبدن ولكل منهما قوى وأجزاء والبسيط خير من المركب لان أسباب العدم للمركب أكثر منها للبسيط وعورض بان المستجمع للروحانى والجسمانى ينبغى أن يكون أفضل مما له طرف الروحانى فقط ولهذا جعل أبو البشر مسجودا للملائكة وبان الملائكة ليس لها الا الاستغراق فى مقاماتها النورية والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ومحيطة بضبط أحوال العالمين فتكون أفضل * الثانى الجواهر الروحانية بريئة عن الشهوة والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدماء بخلاف البشر ورد بان الخدمة مع كثرة العلائق أدل على الاخلاص وأيضا من البين أن درجتهم حين قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا أعلى منها حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وما ذاك الا بسبب الانكسار الحاصل من الذلة وهذا فى البشر أكثر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه أنين المذنبين أحب الى من زجل المسبحين * الثالث انها بريئة من طبيعة القوة فان الكثيرة كل ما كان ممكنا لها بحسب أنواعها المنحصرة فى أشخاصها فقد خرج الى الفعل والانبياء ليسوا كذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم وانى لاستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة ولا خفاء ان ما بالفعل التام أشرف مما بالقوة ورد بان بعض الامور فيها العلها بالقوة ولهذا قيل ان تحريكاتها للافلاك لاجل استخراج التعلمات من القوة الى الفعل كالتحريكات العارضة لارواحنا الحاملة لقوى الفكر والتخيل الأن

الكثيرة اذا أشير به اليها و يعني بقوله بانهم كانوا يكفرون من أجل انهم كانوا يكفرون يقول فعلنا بهم من احلال الذل والمسكنة والسخط بهم من أجل انهم كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير الحق كما قال أعشى بني ثعلبة

مليكة جاورت بالحجا * زقوما عداة وأرضا شطيرا

بما قد ربع روض القطا * وروض التناضب حتى يصيرا

يعني بذلك جاورت بهذا المكان هذه المرأة قوما عداة وأرضا بعيدة من أهله بمكان قربها كان منه ومن قومه وبدلا من مرجعها روض القطا وروض التناضب ٧ فكذلك قوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة و باؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله يقول كان ذلك منا بكفرهم بآياتنا وجزاء لهم بقتلهم أنبياءنا وقد بينا فيما مضى من كتابنا ان معنى الكفر تغطية الشيء وستره وان آيات الله حججه وأعلامه وأدلته على توحيده وصدق رسله فمعنى الكلام اذا فعلنا بهم ذلك من أجل انهم كانوا يجحدون حجج الله على توحيده وتصديق رسله ويدفعون حقيتها و يكذبون بها و يعني بقوله و يقتلون النبيين بغير الحق و يقتلون رسل الله الذي ابتعثهم لانباء ما أرسلهم به عنه لمن أرسلوا اليه وهم جماع واحدهم نبي غير مهموز وأصله الهمز لانه من أنبأ عن الله فهو ينبئ عنه انباء وانما الاسم منه منبئ ولكنه صرف وهو مفعل الى فعيل كما صرف سميع الى فعيل من مفعل و بصير من مبصر وأشباه ذلك وأبدل مكان الهمزة من النبيء الياء فقيل نبي هذا ويجمع النبي أيضا أنبياء وانما جمعوه كذلك لالحاقهم النبيء بابدال الهمزة منه ياء بالنعوت التي تأتي على تقدير فعيل من ذوات الياء والواو وذلك انهم اذا جمعوا ما كان من النعوت على تقدير فعيل من ذوات الياء والواو على أفعلاء كقولهم ولي وأولياء ووصي وأوصياء ودعي وأدعياء ولو جمعوه على أصله الذي هو أصله وعلى ان الواحد نبيء مهموز لجمع على فعلاء فقيل لهم النبآء على مثال النبا ٨ لان ذلك جمع ما كان على فعيل من غير ذوات الياء والواو من النعوت كجمعهم الشريك شركاء والعليم علماء والحكيم حكماء وما أشبه ذلك وقد حكى سماعا من العرب في جمع النبي النبآء وذلك من لغة الذين يهمزون النبيء ثم يجمعونه على النبآء على ما قد بينت ومن ذلك قول عباس بن مرداس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

يا خاتم النبآء انك مرسل * بالحق خير هدى الاله هداكا

فقال يا خاتم النبآء على ان واحدهم نبيء مهموز وقد قال بعضهم النبي والنبوة غير مهموز لانهما مأخوذان من النبوة وهي مثل النجوة وهو المكان المرتفع وكان يقول ان أصل النبي الطريق ويستشهد على ذلك ببيت القطامي

لما وردن نبيا واستتبت لنا * مسحنفر لخطوط النسج منسحل

يقول انما سمي الطريق نبيا لانه ظاهر مستبين من النبوة و يقول لم أسمع أحدا يهمز النبي قال وقد ذكرنا ما في ذلك و بينا ما فيه الكفاية ان شاء الله و يعني قوله و يقتلون النبيين بغير الحق انهم كانوا

---

٧ هكذا هذان البيتان وما بعدهما من التفسير ولعل في العبارة تحريفا أوجب غلق المراد منها فليتأمل اه مصححه

٨ لعل الصواب على مثال العظماء تأمل اه مصححه

هذا النوع لا يجري في الملائكة المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة وانما يجري في النفوس الفلكية * الرابع الروحانيات أبدية الوجود مبرأة عن التغير والفناء والنفوس الناطقة البشرية ليست كذلك ورد بانه لا قديم في الوجود الا الله ولئن سلم انها ممكنة الوجود لذاتها فهي واجبة الوجود بمباديها وعورض بما عليه كثير من المحققين ان النفوس البشرية أيضا أزلية بمباديها وكانت كالظلال تحت العرش يسبحون بحمد ربهم الى أن المبدأ الاول أمرها بالنزول الى عالم الاجساد والشبكات المواد فلما تعلقت بهذه الاجسام عشقتها واستحكم الفها بها فانبعثت من تلك الظلال أشرفها وأكملها لتخلص تلك الارواح عن تلك الشبكات وهذا هو المراد من باب الحمامة المطوقة المذكورة في كتاب كليلة ودمنة * الخامس الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فاين أحدهما من الآخر ورد بان الشرف عندنا ليس بالمادة وانما هو بالانقياد لرب العالمين * السادس الارواح السماوية تفضل الارضية بقوى العلم والعمل أما الاول فبالاتفاق على احاطة الارواح السماوية بالغيبات ولان علومهم فعلية فطرية كلية دائمة تامة وعلوم البشر بالضد من ذلك وأما العمل فلقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون واعترض بان المواظب على تناول الاغذية اللطيفة لا يلتذ بها كما يلتذ المبتلى بالجوع فلا يكون لذة الملائكة من العلم والعمل كلذة البشر لعروض الفترات لهم في أكثر الاوقات بسبب العلائق الجسمانية والحجب الظلمانية فهذه المزية من اللذة مما يختص به البشر ولعل هذا هو المراد من قوله انا عرضنا الامانة الآية ولذلك قالت الاطباء ان الحرارة في حمى الدق أشد منها في حمى الغب لكن الحرارة في الدق لما دامت واستقرت بطل الشعور بها فهذه الحالة ليست للملائكة لاجل الاستمرار ولا لغير الانسان لعدم الاستعداد فكان الانسان لها بالمرصاد * السابع الروحانيات لها قوة على تقليب الاجسام وتصريف الاجرام وقواهم ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب وانك ترى الحمامة اللطيفة تشق الصخرة الصماء وما ذاك الا لقوة نباتية فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر أنفسها والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى من قوة الشياطين على الامور الصعاب ممنوع وان سلم فالارواح العلوية أقدر على ذلك مع

يقتلون رسل الله بغير اذن الله لهم بقتلهم منكرين رسالتهم جاحدين نبوتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وقوله ردّ على ذلك الاولى ومعنى الكلام وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله من أجل كفرهم بآيات الله وقتلهم النبيين بغير الحق من أجل عصيانهم ربهم واعتدائهم حدوده فقال جل ثناؤه ذلك بما عصوا والمعنى ذلك بعصيانهم وكفرهم معتدين والاعتداء تجاوز الحد الذي حده الله لعباده الى غيره وكل متجاوز حد شئ الى غيره فقد تعداه الى ما جاوز اليه ومعنى الكلام فعلت بهم ما فعلت من ذلك بما عصوا أمرى وتجاوزوا حدي الى ما نهيتهم عنه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا) قال أبو جعفر أما الذين آمنوا فهم المصدقون رسول الله فيما أتاهم به من الحق من عند الله وايمانهم بذلك تصديقهم به على ما قد بيناه فيما مضى من كتابنا هذا وأما الذين هادوا فهم اليهود ومعنى هادوا تابوا يقال منه هاد القوم يهودون هودا وهادة وقيل انما سميت اليهود يهود من أجل قوله انا هدنا اليك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال انما سميت اليهود من أجل انه قال انا هدنا اليك ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (والنصارى) قال أبو جعفر والنصارى جمع واحدهم نصران كما واحد السكارى سكران وواحد النشاوى نشوان وكذلك جمع كل نعت كان واحده على فعلان فان جمعه على فعالى الا ان المستفيض من كلام العرب في واحد النصارى نصراني وقد حكى عنهم سماعا نصران بطرح الياء ومنه قول الشاعر

تراه اذا دار العشى محنفا * ويضحى لديه وهو نصران شامس

وسمع منهم في الانثى نصرانة قال الشاعر

فكلتاهما خرت وأسجد رأسها * كما سجدت نصرانة لم تحنف

يقال أسجد اذا مال وقد سمع في جمعهم أنصار بمعنى النصارى قال الشاعر

لما رأيت نبطا أنصارا * شمرت عن ركبتي الازارا * كنت لهم من النصارى جارا

وهذه الابيات التي ذكرتها تدل على انهم سموا نصارى لنصرة بعضهم بعضا وتناصرهم بينهم وقد قيل انهم سموا نصارى من أجل انهم نزلوا أرضا يقال لها ناصرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج النصارى انما سموا نصارى من أجل انهم نزلوا أرضا يقال لها ناصرة ويقول آخرون لقوله من أنصاري الى الله وقد ذكر عن ابن عباس من طريق غير مرتضى انه كان يقول انما سميت النصارى نصارى لان قرية عيسى ابن مريم كانت تسمى ناصرة وكان أصحابه يسمون الناصريين وكان يقال لعيسى الناصري حدثت بذلك عن هشام بن محمد عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انما سموا نصارى لانهم كانوا بقرية يقال لها ناصرة ينزلها عيسى بن مريم فهو اسم تسموا به ولم يؤمروا به حدثنا الحسن ابن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الذين قالوا انا نصارى قال تسموا بقرية يقال لها ناصرة كان عيسى بن مريم ينزلها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (والصابئين) قال أبو جعفر والصابئون جمع صابئ وهو المستحدث سوى دينه دينا كالمرتد من أهل الاسلام عن دينه وكل خارج من دين كان عليه الى آخر غيره تسميه العرب صابئا يقال منه صبا فلان

انهم يصرفون قواها الى منازل العالم السفلى لا فيما هو شرّاهم واعترض بانه لا مانع من أن تتفق نفس ناطقة بشرية كاملة مستعلية على الاجرام العنصرية بالتقليب والتصريف * الثامن الملائكة لهم اختيارات فائضة من أنوار جلال الله متوجهة الى الخيرات واختيارات البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر وانما يتوجه الى الخير باعانة الملك على ما ورد في الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده ويهديه ويحتمل ان يقال فيكون اذن أعمالهم (٢٤٢) أشق فيكون ثوابهم أكثر * التاسع الافلاك كالابدان والكواكب كالقلوب والملائكة كالارواح فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان الى الابدان وكما أن اختلافات أحوال الافلاك مباد لحصول الاختلافات في هذا العالم فكل أرواح العالم العلوي يجب أن تكون مستولية على أرواح العالم السفلي بل تكون عللا ومبادي لها فهذه هي الآباء وهذه المنابع والمعادن فكيف يليق بالعقل ادعاء المساواة فضلا عن الزيادة وأجيب بانه لا مؤثر عندنا الا الله تعالى * العاشر الروحانيات الفلكية مباد لروحانيات هذا العالم ومعادلها منها نزلت فتوسخت بأوضار الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق الزكية وصعدت الى عالمها ومصدر الشيء ومصعده أشرف منه المبدأ واليه المنتهى واعترض بان هذا مبني على عدم حشر الاجساد ودون ذلك خرط القتاد * الحادي عشر أليس ان الانبياء لا ينطقون الا عن الوحي أليس ان الملائكة يعينونهم في المضائق ويهدونهم الى المصالح كما في قصة لوط وكيوم بدر وحنين وكما في قصة نوح من نجر السفينة فمن أين لكم تفضيل الانبياء مع افتقارهم الى الملائكة في كل الامور وأجيب بان أول الفكر آخر العمل ولا يلزم من كون الشيء واسطة أفضليته * الثاني عشر القسمة العقلية بان الاحياء اما خيرة محضة وهم الملائكة أو شريرة محضة وهي الشياطين أو خيرة من أهل

وجه آخر وهم البشر تحكم بافضلية الملك وكذا التقسيم بالناطق المائت وهو الانسان والناطق غير المائت وهو الملك والمائت غير الناطق وهي البهائم يرشد الى أن الانسان متوسط الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه أفضل قلب القسمة العقلية ونزاع في ترتيب الوجود وأجيب بما مر غير مرة من أن النزاع في كثرة الثواب * حجة القائلين بفضل الانبياء على الملائكة الاول أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم

وثبتان آدم لم يكن كالقبلة وأمر الاشرف بنهاية التواضع للادون مستقبح والجواب أن القبح العقلي غير ثابت * الثاني جعله خليفة الله خلافة الولاية كاس وخلق الدنيا منبعة لبقائه والآخرة ملكة لجزائه ولعن ابليس لسبب التكبر عليه وجعل الملائكة حفظة أولاده ومنزلين لارزاقهم ومستغفرين لزلاتهم ومع جميع هذه المناصب يتول ولد ينامزيد فاذن لانهاية لهذا الشرف والكمال * الثالث أنه كان أعلم لقوله أنبئهم بأسمائهم والاعلم أفضل * الرابع ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين (٣٤٣) والعالم كل ماسوى الله تعالى فيلزم اصطفاؤهم على الملائكة ولا يشكل هذا بقوله يابني اسرائيل الى قوله فضلتكم على العالمين لان تلك الآية تدخلها التخصيص لما علم انهم غير مفضلين على محمد صلى الله عليه وسلم وههنا لادليل فوجب اجراؤه على الظاهر من العموم * الخامس وما أرسلناك الارحمة للعالمين والملائكة من العالمين والتقريب ظاهر * السادس عبادة البشر أشق لان الآدمي له شهوة تدعوه الى المعصية بخلاف الملائكة ولان الآدمي مامور بالاستنباط والقياس فاعتبروا ياأولي الابصار ولا يخفى مافيه من المشقة والملائكة لا يعلمون الا بالنص لاعلم لنا الا ماعلمتنا ولما يعرض للآدمي من الشبهات ككون الافلاك والانجم أسبابا للحوادث اليومية فيحتاجون الى دفعها والملائكة حيث انهم يشاهدون عالم الملكوت آمنون من ذلك ولان الشيطان مسلط على الآدمي دون الملك واذا كانت طاعتهم أشق فيكون ثوابهم أكثر * السابع خلق الملائكة عقولا بلا شهوة والبهائم شهوة بلا عقل وجمع الامرين للآدمي ثم اذا غلب هواه عقله صار أدون من البهيمة أولئك كالانعام بل هم أضل فاذا غلب عقله هواه وجب ان يصير أشرف من الملك اعتبارا لاحد الطرفين بالآخر * الثامن الملائكة حفظة بني آدم والمحفوظ أعز من الحافظ * التاسع روي ان جبريل عليه السلام أخذ بركاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى أركبه على البراق ليلة المعراج ولما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى بعض المقامات تخلف عنه جبريل وقال لو دنوت أنملة لاحترقت * العاشر قوله صلى الله عليه وسلم ان لي وزيرين في السماء ووزيرين في الارض أما اللذان في السماء فجبريل وميكائيل وأما اللذان في الارض فابو بكر وعمر فدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم كالملك وجبريل وميكائيل وزيران له فن تمه الكلام في حجج الفريقين وطلب الاختيار به دون هواه ثم نه

يصبو صبأ ويقال صبأت النجوم اذا طلعت وصبأ علينا فلان موضع كذا وكذا يعني به طلع واختلف أهل التاويل فيمن يلزمه هذا الاسم من أهل الملل فقال بعضهم يلزم ذلك كل من خرج من دين الى غير دين وقالوا الذي عنى الله بهذا الاسم قوم لادين لهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن سفيان عن ليث عن مجاهد قال الصابئون ليسوا بيهود ولا نصارى ولا دين لهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الحجاج بن ارطاة عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن الحجاج عن مجاهد قال الصابئون بين المجوس واليهود لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن حجاج عن قتادة عن الحسن مثل ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح الصابئين بين اليهود والمجوس لادين لهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد الصابئين بين المجوس واليهود لادين لهم قال ابن جريج قلت لعطاء الصابئين زعم وانهم قبيلة من نحو السواد ليسوا بمجوس ولا يهود ولا نصارى قال قد سمعنا ذلك وقد قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم قد صبأ وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الصابئون قال الصابئون دين من الاديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون لا اله الا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي الاقول لا اله الا الله قال ولم يؤمنوا برسول الله فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم * وقال آخرون هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون الى القبلة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن قال حدثني زياد أن الصابئين يصلون الى القبلة ويصلون الخمس قال فاراد أن يضع عنهم الجزية قال فخبر بعد انهم يعبدون الملائكة وحدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والصابئين قال الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويصلون الى القبلة ويقرؤن الزبور حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرؤن الزبور قال أبو جعفر الرازي وبلغني أيضا ان الصابئين قوم يعبدون الملائكة ويقرؤن الزبور ويصلون الى القبلة * وقال آخرون بل طائفة من أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان قال سئل السدي عن الصابئين فقال هم طائفة من أهل الكتاب ۞ القول في تاويل قوله تعالى ذكره (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم) قال أبو جعفر يعني بقوله من آمن بالله واليوم الآخر من صدق الله وأقر بالبعث بعد الممات يوم القيامة وعمل صالحا فاطاع الله فلهم أجرهم عند ربهم يعني بقوله فلهم أجرهم عند ربهم فلهم ثواب عملهم الصالح عند ربهم فان قال لنا قائل فاين تمام قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين قيل تمامه جملة قوله من آمن بالله واليوم الآخر لان معناه من آمن منهم بالله واليوم الآخر فترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه استغناء عما ذكر عما ترك ذكره فان قال وما معنى هذا الكلام قيل ان معناه ان الذين آمنوا والذين هادوا

والنصارى والصابئين من يؤمن بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم فان قال وكيف يؤمن المؤمن قيل ليس المعنى في المؤمن المعنى الذي ظننته من انتقال من دين الى دين كانتقال اليهودي والنصراني الى الايمان وان كان قد قيل ان الذين عنوا بذلك من كان من أهل الكتاب على ايمانه بعيسى وبما جاء به حتى أدرك محمدا صلى الله عليه وسلم فآمن به وصدقه فقيل لاولئك الذين كانوا مؤمنين بعيسى وبما جاء به اذ أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا بمحمد وبما جاء به ولكن معنى ايمان المؤمن في هذا الموضع ثباته على ايمانه وتركه تبديله وأما ايمان اليهود والنصارى والصابئين فالتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به فمن يؤمن منهم بمحمد وبما جاء به واليوم الآخر ويعمل صالحا فلم يبدل ولم يغير حتى توفي على ذلك فله ثواب عمله وأجره عند ربه كما وصف جل ثناؤه * فان قال قائل وكيف قال فلهم أجرهم عند ربهم وانما لفظ من لفظ واحد والفعل معه موحد قيل وان كان الذي يليه من الفعل موحدا فان له معنى الواحد والاثنين والجمع والتذكير والتأنيث لانه في كل هذه الاحوال على هيئة واحدة وصورة واحدة لا يتغير فالعرب توحد معه الفعل وان كان معنى جمع للفظه وتجمع أخرى معه الفعل لمعناه كما قال جل ثناؤه ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون فجمع مرة مع من الفعل لمعناه ووحد أخرى معه الفعل لانه في لفظ الواحد كما قال الشاعر

ألما بسلمى عنكما ان عرضتما * وقولا لها عوجي على من تخلفوا

فقال تخلفوا وجعل من بمنزلة الذين وقال الفرزدق

تعال فان عاهدتني لا تخونني * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

فثنى يصطحبان لمعنى من فكذلك قوله من آمن بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم وحد آمن وعمل صالحا للفظ من وجمع ذكرهم في قوله فلهم أجرهم لمعناه لانه في معنى جمع وأما قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فانه يعني به جل ذكره ولا خوف عليهم فيما قدموا عليه من أهوال القيامة ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا وعيشها عند معاينتهم ما أعد الله لهم من الثواب والنعيم المقيم عنده ذكر من قال عني بقوله من آمن بالله مؤمنو أهل الكتاب الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط بن نصر عن السدي ان الذين آمنوا والذين هادوا الآية قال نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي وكان سلمان من جندي سابور وكان من أشرافهم وكان ابن الملك صديقا له مؤاخيا لا يقضي واحد منهما أمرا دون صاحبه وكانا يركبان الى الصيد جميعا فبينما هما في الصيد اذ رفع لهما بيت من خباء فأتياه فاذا هما فيه برجل بين يديه مصحف يقرأ فيه وهو يبكي فسألاه ما هذا فقال الذي يريد أن يعلم هذا لا يقف موقفكما فان كنتما تريدان أن تعلما ما فيه فانزلا حتى أعلمكما فنزلا اليه فقال لهما هذا كتاب الله جاء من عند الله أمر فيه بطاعته ونهى عن معصيته فيه أن لا تزني ولا تسرق ولا تأخذ أموال الناس بالباطل فقص عليهما ما فيه وهو الانجيل الذي أنزله الله على عيسى فوقع في قلوبهما وتابعاه فأسلما وقال لهما ان ذبيحة قومكما عليكما حرام فلم يزالا معه كذلك يتعلمان منه حتى كان عيد للملك فجعل طعاما ثم جمع الناس والاشراف

تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين وكان من الجائز أن يظن أنه معذور بين أنه غير ذي عذر بقوله أبى لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار ولهذا افتقد العاطف نحو قولك أبشر ببشارة لك عيني تختلج لا تقول فعيني لانهما بيان ثم انه جاز أن لا يكون الاباء مع الكبر فعطف عليه واستكبر ليعرف ان الاباء منضم الى الاستكبار وكان من الجائز أن يظن ان كبره لم يوجب الكفر فأزيل الظن بقوله وكان من الكافرين وللعقلاء ههنا قولان أحدهما ان ابليس حين اشتغاله بالعبودية كان منافقا كافرا أما عند من يمنع الاحباط فلانه لما كان على الكفر علم انه ما كان مؤمنا قط وأما عند غيرهم فلما حكاه الشهرستاني في أول الملل والنحل عن شارح الاناجيل الاربعة شبه مناظرة بين ابليس والملائكة بعد الامر بالسجود قال ابليس لعنه الله اني سلمت أن البارى تعالى الهي واله الخلق عالم قادر حكيم الا أن لي على مساق حكمه أسئلة الاول أنه قد علم قبل خلقي أي شيء يصدر عني فلم خلقني وما الحكمة في خلقه اياي الثاني اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف مع انه لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف الثالث اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فأطعت وعرفت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي والرابع اذ خلقني وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذ لم أسجد فلم لعنني وأخرجني من الجنة وأوجب عقابي مع أنه لا فائدة له في ذلك ولي فيه أعظم الضرر والخامس ثم لما فعل ذلك فلم مكنني من الدخول في الجنة ومن وسوسة آدم بعد ان لو منعني من دخول الجنة استراح مني آدم وبقي خالدا في الجنة والسادس اذ خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يرونني ويؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة وأبقاهم على ذلك فعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان أحرى بالحكمة والسابع سلمت هذا كله فلم اذا استمهلته أمهلني وما الحكمة في ذلك بعد ان لو أهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شر في العالم أليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر فقال شارح

الانجيل فأوحى الله تعالى الى الملائكة قولوا له اما تسليمك الاول انى الهك واله الخلق فغير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت انى اله العالمين ما احتكمت
على بلم وأنا الله الذى لا اله الا أنا لا أسئل عما أفعل والخلق مسؤلون هذا مذكور فى التوراة ومسطور فى الانجيل وهذه الشبهات بالنسبة الى
أنواع الضلالات كالبذور وليس يعدوها عقائد فرق الزيغ والكفر وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق ويرجع جملتها الى انكار الامر
بعد الاعتراف بالحق والى الجنوح الى الهوى فى مقابلة النص ولا جواب عنها بالتحقيق الا الذى ذكره الله تعالى
فاللعين لما ان حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه ان يجرى حكم الخالق فى الخلق أو حكم الخلق فى الخالق فالاول غلو كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثانى تقصير كالمشبهة وصفوا الخالق بصفات الاجسام وكالخوارج نفوا تحكيم الرجال وقالوا لا حكم الا لله كقوله أأسجد لبشر خلقته من صلصال لا أسجد الا لك فالشبهات كلها ناشئة من اللعين وتلك فى الاول مصدرها وهذه فى الاخير مظاهرها ولهذا قال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبى صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة والمشبهة يهود هذه الامة والرافضة يعنى الغلاة نصاراها وقال صلى الله عليه وسلم لتسلكن سبيل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه القول الثانى ان ابليس كان مؤمنا ثم كفر بعد ذلك ثم اختلفوا فى قائل معناه وكان من الكافرين فى علم الله أى كان الله عالما فى الازل بانه سيكفر فصيغة كان متعلقة بالعلم لا بالمعلوم ومن قائل ان كان بمعنى صار وقيل لما كفر فى وقت معين بعد ان كان مؤمنا فبعد لحظة يصدق عليه انه كان
من الكافرين وانما حكم بكفره على هذا القول الثانى لاستكباره واعتقاده كونه محقا فى ذلك التمرد بدليل قوله أنا خير منه والا فمجرد المعصية لا يوجب الكفر عندنا وان كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل فى الكفر نعم عند الخوارج الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله من الكافرين هل يدل على وجود جمع من الكفرة قبله حتى يكون هو واحدا منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان كلمة من للتبعيض وانما يذكر البعض الموجود بالاضافة الى كل موجود الى كل سيوجد وهما يؤكد ذلك ما روى عن ابن بريدة أنه

والاشراف وأرسل الى ابن الملك فدعاه الى صنيعه ليأكل مع الناس فأبى الفتى وقال انى عنك مشغول فكل أنت وأصحابك فلما أكثر عليه من الرسل أخبرهم انه لا يأكل من طعامهم فبعث الملك الى ابنه فدعاه وقال ما أمرك هذا قال انا لا نأكل من ذبائحكم انكم كفار ليس تحل ذبائحكم فقال له الملك من أمرك بهذا فاخبره ان الراهب أمره بذلك فدعا الراهب فقال ماذا يقول ابنى قال صدق ابنك قال له لولا ان الدم فينا عظيم لقتلتك ولكن اخرج من أرضنا فاجله أجلا فقال سلمان فقمنا نبكى عليه فقال لهما ان كنتما صادقين فانا فى بيعة بالموصل مع ستين رجلا نعبد الله فيها فأتونا فيها فخرج الراهب وبقى سلمان وابن الملك فجعل يقول لابن الملك انطلق بنا وابن الملك يقول نعم وجعل ابن الملك يبيع متاعه يريد الجهاز فلما أبطأ على سلمان خرج سلمان حتى أتاهم فنزل على صاحبه وهو رب البيعة وكان أهل تلك البيعة من أفضل الرهبان فكان سلمان معهم يجتهد فى العبادة ويتعب نفسه فقال له الشيخ انك غلام حدث تتكلف من العبادة ما لا تطيق وأنا خائف أن تفتر وتعجز فارفق بنفسك وخفف عليها فقال له سلمان أرأيت الذى تأمرنى به أهو أفضل أو الذى أصنع قال بل الذى تصنع قال فخل عنى ثم ان صاحب البيعة دعاه فقال أتعلم ان هذه البيعة لى وأنا أحق الناس بها ولو شئت أن أخرج هؤلاء منها لفعلت ولكنى رجل أضعف عن عبادة هؤلاء وأنا أريد أن أتحول من هذه البيعة الى بيعة أخرى هم أهون عبادة من هؤلاء فان شئت أن تقيم ههنا فاقم وان شئت ان تنطلق معى فانطلق قال له سلمان اى البيعتين أفضل أهلا قال هذه قال سلمان فانا أكون فى هذه فاقام سلمان بها وأوصى صاحب البيعة عالم البيعة بسلمان فكان سلمان يتعبد معهم ثم ان الشيخ العالم أراد أن يأتى بيت المقدس فقال لسلمان ان أردت ان تنطلق معى فانطلق وان شئت ان تقيم فاقم فقال له سلمان أيهما أفضل انطلق معك أم أقيم قال لا بل تنطلق معى فانطلق معه فمروا بمقعد على ظهر الطريق ملقى فلما رآهما نادى يا سيد الرهبان ارحمنى يرحمك الله فلم يكلمه ولم ينظر اليه وانطلقا حتى أتيا بيت المقدس فقال الشيخ لسلمان اخرج فاطلب العلم فانه يحضر هذا المسجد علماء أهل الارض فخرج سلمان يسمع منهم فرجع يوما حزينا فقال له الشيخ ما لك يا سلمان قال أرى الخير كله قد ذهب به من كان قبلنا من الانبياء وأتباعهم فقال له الشيخ يا سلمان لا تحزن فانه قد بقى نبى ليس من نبى بأفضل تبعا منه وهذا زمانه الذى يخرج فيه ولا أرانى أدركه وأما أنت فشاب لعلك أن تدركه وهو يخرج فى أرض العرب فان أدركته فآمن به واتبعه فقال له سلمان فاخبرنى عن علامته بشئ قال نعم هو مختوم فى ظهره بخاتم النبوة وهو يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ثم رجعا حتى بلغا مكان المقعد فناداهما فقال يا سيد الرهبان ارحمنى يرحمك الله فعطف اليه حماره فاخذ بيده فرفعه فضرب به الارض ودعا له وقال قم باذن الله فقام صحيحا يشتد فجعل سلمان يتعجب وهو ينظر اليه يشتد وسار الراهب فتغيب عن سلمان ولا يعلم سلمان ثم ان سلمان فزع فطلب الراهب فلقيه رجلان من العرب من كلب فسألهما هل رأيتما الراهب فاناخ أحدهما راحلته قال نعم راعى الصرمة هذا فحمله فانطلق به الى المدينة قال سلمان فاصابنى من الحزن شئ لم يصبنى مثله قط فاشترته امرأة من جهينة فكان يرعى عليها هو وغلام لها يتراوحان الغنم هذا يوما وهذا يوما فكان سلمان يجمع الدراهم ينتظر خروج محمد صلى الله عليه

قال انه تعالى خلق خلقا من الملائكة ثم قال لهم انى خالق بشرا من طين قالوا لا نفعل ذلك الكفر فبعث الله نارا فاحرقتهم وكان ابليس من أولئك وقال آخرون معنى الآية انه صار من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك لان الكفر كان ظاهرا عند نزول الآية أو لان الافراد الذهنية تكفي في صحة الجمع فان الحيوان المخلوق أولا يصح ان يقال انه فرد من أفراد هذا الحيوان أي من أفراد هذه الماهية وعلى هذا يكون ابليس أول من سن الكفر وهو قول الاكثرين واعلم ان الملائكة المأمورين بالسجود هم كل الملائكة عند أكثر الائمة لان الجمع المعرف للعموم ويؤكده قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وأيضا استثناء الشخص الواحد يدل على أن ما عداه داخل في ذلك الحكم ومن الناس من أنكر ذلك وقال هم ملائكة الارض استعظموا أن يكون أكابر الملائكة مامورين بذلك وأما الحكماء فانهم يحملون الملائكة على الجواهر الروحانية واستحالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المأمورون بالسجود القوى الجسمانية البشرية الطاعة للنفس الناطقة قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن الآية الاصح أن هذا الامر يشتمل على ما هو اباحة لانه كان ماذونا في الانتفاع بجميع الجنة وعلى ما هو تكليف وتعبد فان المنهي عنه كان حاضرا روي عن قتادة أنه قال ان الله ابتلى آدم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود وذلك لانه كلفه ان يكون في الجنة يأكل منها حيث يشاء ونهاه عن شجرة واحدة ان يأكل منها فما زال به البلاء حتى وقع فيما نهي عنه واسكانه موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع منعه عن تناوله من أشد التكاليف وانما لم يقل وهبت منك الجنة لانه خلق لخلافة الارض وكان اسكان الجنة كالتقدمة لذلك فلو قال رجل لغيره أسكنتك داري لا تصير الدار ملكا له وأجمعوا على أن المراد بالزوجة حواء وان لم يتقدم ذكرها في هذه السورة ففي سائر القرآن ما يدل معها على ذلك وانها مخلوقة منه خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وقال صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت وبها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة ان الله تعالى لما أخرج ابليس من الجنة وأسكن آدم الجنة بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم أخذ

وسلم فبيناهو يوما يرعى اذ أتاه صاحبه الذي يعقبه فقال أشعرت انه قد قدم اليوم المدينة رجل يزعم انه نبي فقال له سلمان أقم في الغنم حتى آتيك فهبط سلمان الى المدينة فنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم ودار حوله فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم عرف ما يريد فارسل ثوبه حتى خرج خاتمه فلما رآه أتاه وكلمه ثم انطلق فاشترى بدينار ببعضه شاة وببعضه خبزا ثم أتاه به فقال ما هذا قال سلمان هذه صدقة قال لا حاجة لي بها فاخرجها فليأكلها المسلمون ثم انطلق فاشترى بدينار آخر خبزا ولحما فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا قال هذه هدية قال فاقعد فقعد فاكلا جميعا منها فبيناهو يحدثه اذ ذكر أصحابه فاخبره خبرهم فقال كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك ويشهدون انك ستبعث نبيا فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبي الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان هم من أهل النار فاشتد ذلك على سلمان وقد كان قال له سلمان لو أدركوك صدقوك واتبعوك فانزل الله هذه الآية ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر فكان ايمان اليهود انه من تمسك بالتوراة وسنة موسى حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكا وايمان النصارى انه من تمسك بالانجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فمن لم يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والانجيل كان هالكا حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا الآية قال سأل سلمان الفارسي النبي صلى الله عليه وسلم عن أولئك النصارى وما رأى من أعمالهم قال لم يموتوا على الاسلام قال سلمان فاظلمت على الارض وذكر اجتهادهم فنزلت هذه الآية فدعا سلمان فقال نزلت هذه الآية في أصحابك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات على دين عيسى ومات على الاسلام قبل أن يسمع بي فهو على خير ومن سمع بي اليوم ولم يؤمن بي فقد هلك وقال ابن عباس بما حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال حدثني معاوية ابن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين الى قوله ولا هم يحزنون فانزل الله تعالى بعد هذا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وهذا الخبر يدل على ان ابن عباس كان يرى ان الله جل ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحا من اليهود والنصارى والصابئين على عمله في الآخرة الجنة ثم نسخ ذلك بقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فتأويل الآية اذا على ما ذكرنا عن مجاهد والسدي ان الذين آمنوا من هذه الامة والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذي قلنا من التاويل الاول أشبه بظاهر التنزيل لان الله جل ثناؤه لم يخصص بالاجر على العمل الصالح مع الايمان بعض خلقه دون بعض منهم والخبر بقوله من آمن بالله واليوم الآخر عن جميع ما ذكر في أول الآية ۞ القول في تاويل قوله تعالى ذكره (واذ أخذنا ميثاقكم) قال أبو جعفر الميثاق المفعال من الوثيقة اما بيمين واما بعهد أو غير ذلك من الوثائق ويعني بقوله واذ أخذنا ميثاقكم الميثاق الذي أخبر جل ثناؤه انه أخذ منهم في قوله واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا الآيات التي ذكر

معها وكان سبب أخذ الميثاق عليهم فيما ذكره ابن زيد ما حدثني به يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما رجع موسى من عند ربه بالالواح قال لقومه بني اسرائيل ان هذه الالواح فيها كتاب الله وأمره الذي أمركم به ونهيه الذي نهاكم عنه فقالوا ومن يأخذه بقولك أنت لا والله حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الله علينا فيقول هذا كتابي فخذوه فماله لا يكلمنا كما كلمك أنت يا موسى فيقول هذا كتابي قال فجاءت غضبة من الله فجاءتهم صاعقة فصعقتهم فماتوا أجمعون قال ثم أحياهم الله بعد موتهم فقال لهم موسى خذوا كتاب الله فقالوا لا قال أي شيء أصابكم قالوا متنا ثم حيينا قال خذوا كتاب الله قالوا لا فبعث ملائكته فنتقت الجبل فوقهم فقيل لهم أتعرفون هذا قالوا نعم هذا الطور قال خذوا الكتاب والا طرحناه عليكم قال فأخذوه بالميثاق وقرأ قول الله واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا حتى بلغ وما الله بغافل عما تعملون قال ولو كانوا أخذوه أول مرة لأخذوه بغير ميثاق ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ورفعنا فوقكم الطور) قال أبو جعفر وأما الطور فانه الجبل في كلام العرب ومنه قول العجاج

رأى اناجناحيه من الطور فمر * تقضي البازي اذا البازي كسر

وقيل انه اسم جبل بعينه وذكر انه الجبل الذي ناجى الله عليه موسى وقيل انه من الجبال ما أنبت دون ما لم ينبت ذكر من قال هو الجبل كائنا ما كان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال أمر موسى قومه أن يدخلوا الباب سجدا ويقولوا حطة وطوطئ لهم الباب ليسجدوا فلم يسجدوا ودخلوا على أدبارهم وقالوا حنطة فنتق فوقهم الجبل يقول أخرج أصل الجبل من الارض فرفع فوقهم كالظلة والطور بالسريانية الجبل تخويفا أو خوفا شك أبو عاصم فسجدوا وأعينهم الى الجبل وهو الجبل الذي تجلى له ربه وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال رفع الجبل فوقهم كالسحابة فقيل لهم لتؤمنن أو ليقعن عليكم فآمنوا والجبل بالسريانية الطور حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور قال الطور الجبل كانوا بأصله فرفع عليهم فوق رؤسهم فقال لتأخذن أمري أو لارمينكم به حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ورفعنا فوقكم الطور قال الطور الجبل اقتلعه الله فرفعه فوقهم فقال خذوا ما آتيناكم بقوة فأقروا بذلك وحدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ورفعنا فوقكم الطور قال رفع فوقهم الجبل يخوفهم به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن النضر عن عكرمة قال الطور الجبل وحدثنا موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدي لما قال الله لهم ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فأبوا أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم فنظروا اليه وقد غشيهم فسقطوا سجدا على شق ونظروا بالشق الآخر فرحمهم الله فكشفه عنهم فذلك قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وقوله ورفعنا فوقكم الطور وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الجبل بالسريانية الطور وقال آخرون الطور اسم للجبل الذي ناجى الله موسى عليه ذكر من قال

فلما نام أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجد عنده امرأة قاعدة فسألها من أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت له الملائكة امتحانا لعلمه ما اسمها فقال حواء قالوا ولم قال لانها خلقت من شيء حي قيل فلما أراد آدم مد يده اليها منعته الملائكة وقالوا أمهرها قال فما صداقها قالوا ان تصلي على محمد وآله قال ومن محمد قالوا من أولادك خاتم النبيين ولولاه لما خلقت وعن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء عليهما السلام على (١٤٧) سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور على كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى أدخل الجنة فهذا الخبر يدل على ان حواء خلقت قبل ادخاله الجنة والخبر الاول دل على انها خلقت في الجنة والله أعلم بحقيقة الحال ثم هذه الجنة كانت في الارض أو في السماء وعلى تقدير كونها في السماء هي دار الثواب أم جنة أخرى فقال أبو القاسم البلخي وأبو مسلم الاصفهاني هي في الارض وحملا الهبوط على الانتقال من بقعة الى بقعة كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا قالا لان دار الثواب للخلد ولو كان في جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين ولان ابليس بعد ان غضب الله عليه كيف يقدر ان يصل الى جنة الخلد ولان دار الجزاء يدخل المكلف فيها بعد العمل ولا عمل لآدم وقتئذ ولانه تعالى خلقه في الارض ولم يذكر نقله الى السماء ولو كان قد نقله لكان ذكره أولى لان ذلك النقل من أعظم النعم وقال الجبائي هي في السماء السابعة أهبط منها الى السماء الدنيا ثم منها الى الارض وقال الجمهور هي دار الثواب والدليل عليه أن اللام في الجنة ليست للعموم لان السكنى في جميع الجنان محال فهي للعهد ولا معهود بين المسلمين الا دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها واسكن أمر من السكنى والسكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وأنت تأكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا صفة المصدر أي أكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم أي أي مكان من الجنة أو أي زمان شئتما فان حيث قد يعبر به عن زمان مجهول وانما قال ههنا وكلا بالواو وفي الاعراف فكلا لان كل فعل

ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الطور الجبل الذي أنزلت عليه يعني على موسى التوراة وكانت بنو اسرائيل أسفل منه قال ابن جريج وقال لي عطاء رفع الجبل على بني اسرائيل فقال لتؤمنن به أو ليقعن عليكم فذلك قوله كأنه ظلة وقال آخرون الطور من الجبال ما أنبت خاصة ذكر من قال ذلك حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله الطور قال الطور من الجبال ما أنبت وما لم ينبت فليس بطور ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (خذوا ما آتيناكم بقوة) قال أبو جعفر اختلف أهل العربية في تأويل ذلك فقال بعض نحويي أهل البصرة هو مما استغنى بدلالة الظاهر المذكور عما ترك ذكره وذلك ان معنى الكلام ورفعنا فوقكم الطور وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم بقوة والا قذفناه عليكم وقال بعض نحويي أهل الكوفة أخذ الميثاق قول فلا حاجة بالكلام الى اضمار قول فيه فيكون من كلامين غير انه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام الذي هو بمعنى القول أن يكون معه أن كما قال الله جل ثناؤه انا أرسلنا نوحا الى قومه ان أنذر قومك قال ويجوز أن تحذف أن والصواب في ذلك عندنا ان كل كلام نطق مفهوم به معنى ما أريد ففيه الكفاية من غيره ويعني بقوله خذوا ما آتيناكم ما أمرناكم به في التوراة وأصل الايتاء الاعطاء ويعني بقوله بقوة بجد في تأدية ما أمرتكم فيه وافترض عليكم كما حدثت عن ابراهيم بن بشار قال ثنا ابن عيينة قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد خذوا ما آتيناكم بقوة قال تعملوا بما فيه وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وحدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية خذوا ما آتيناكم بقوة قال بطاعة وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة خذوا ما آتيناكم بقوة قال القوة الجد والا قذفته عليكم قال فاقروا بذلك انهم يأخذون ما أوتوا بقوة وحدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي بقوة يعني بجد واجتهاد وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قول الله خذوا ما آتيناكم بقوة قال خذوا الكتاب الذي جاء به موسى بصدق وبحق فتأويل الآية اذا خذوا ما افترضناه عليكم في كتابنا من الفرائض فاقبلوه واعملوا باجتهاد منكم في أدائه من غير تقصير ولا توان وذلك هو معنى أخذهم اياه بقوة بجد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) قال أبو جعفر يعني واذكروا فيما آتيناكم من كتابنا من وعد ووعيد شديد وترغيب وترهيب فاتلوه واعتبروا به وتدبروه كي اذا فعلتم ذلك تتقوا وتخافوا عقابي باصراركم على ضلالكم فتنتهوا الى طاعتي وتنزعوا عما أنتم عليه من معصيتي كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس لعلكم تتقون قال تنزعون عما أنتم عليه والذي آتاهم الله هو التوراة كما حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية واذكروا ما فيه يقول أذكروا ما في التوراة كما حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله اذكروا ما فيه يقول أمروا بما في التوراة وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سألت ابن زيد عن قول الله واذكروا

فعطف عليه شئ وكان بينهما رابطة السببية يعطف الثاني على الاول بالفاء والا فبالواو كقوله تعالى في البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا بالفاء لان الدخول سبب الوصول الى الاكل وكأنه قال وان دخلتموها أكلتم وفي الاعراف واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان السكنى وهي طول اللبث لا يختص وجوده بوجود الاكل لان المجتاز قد يأكل أيضا فلهذا لم يعطف ههنا بالفاء اذ المراد اسكن من السكنى وأما في الاعراف فالمراد اسكن بمعنى الدخول ثم السكون (٢٤٨) فصح العطف بالفاء والنهي في لا تقربا للتنزيه أو للتحريم الاصح الاول لان الصيغة وردت في كليهما والاصل عدم الاشتراك فيجعل حقيقة في القدر المشترك بينهما وهو ترجيح جانب الترك على الفعل من غير دلالة على المنع من الفعل أو الجواز لكن الجواز ثابت بحكم الاصل فان الاصل في الاشياء الاباحة فاذا ضممنا هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار المجموع دليلا على التنزيه وهذا أولى ليرجع حاصل معصيته الى ترك الاولى فيكون أقرب الى عصمة الانبياء وقيل نهي تحريم قياسا على قوله ولا تقربوهن حتى يطهرن وقوله ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا من الظالمين ولانه استحق الاخراج من الجنة والرجوع الى التوبة والجواب ان التحريم في ولا تقربوهن بدليل منفصل والظلم قد يراد به ترك الاولى والاخراج لم يكن بهذا السبب بل لما سيأتي ان شاء الله تعالى ثم النهي عن القرب يفيد النهي عن الاكل بطريق الكناية فان القرب اليها من أسباب الاكل منها ومما يدل على النهي عن الاكل صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وروي عن ابن عباس ان الشجرة هي البر والسنبلة وفي رواية عنه وعن ابن مسعود انها الكرم وعن مجاهد وقتادة انها التين وعن الربيع بن أنس كانت شجرة من أكل منها أحدث ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث قال المبرد وأحسب ان كل ما له أغصان وعيدان فالعرب تسميه شجرا وقد لا يختص بما له ساق قال تعالى وأنبتنا عليه شجرة ما من يقطين وأصل هذا انه اسم لكل ما شجر أي أخذ يمنة ويسرة والتشاجر الاختلاف واعلم انه ليس في الظاهر ما يدل على التعيين ولا حاجة أيضا الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة وما لم يكن مقصودا في ذكره لا يجب على الحكيم بل كان عيبا كما لو أراد أحدنا أن يقيم عذره في التغافل فقال شغلت بضرب غلماني لاساءتهم الادب كان هذا القدر أحسن من أن يذكر عين الغلام واسمه وصفاته ولا يظن أحد ان ههنا

ماقيه قال اعملوا بما فيه بطاعة الله وصدق قال وقال واذكروا ما فيه لا تنسوه ولا تغفلوه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ثم توليتم من بعد ذلك) قال أبو جعفر يعني بقوله جل ثناؤه ثم توليتم ثم أعرضتم وانما هو تفعلتم من قولهم ولاني فلان دبره اذا استدبر عنه وخلفه خلف ظهره ثم يستعمل ذلك في كل تارك طاعة أمره بها عز وجل ومعرض بوجهه يقال قد تولى فلان عن طاعة فلان وتولى عن مواصلته ومنه قول الله جل ثناؤه فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون يعني بذلك خالفوا ما كانوا وعدوا الله من قولهم لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ونبذوا ذلك وراء ظهورهم ومن شان العرب استعارة الكلمة ووضعها مكان نظيرها كما قال أبو ذؤيب الهذلي

فليس لعهد الدار يا أم مالك * ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل * سوى الحق شيا واستراح العواذل

يعني بقوله أحاطت بالرقاب السلاسل أن الاسلام صار في منعه ايانا ما كنا نأتيه في الجاهلية مما حرمه الله علينا في الاسلام بمنزلة السلاسل المحيطة برقابنا التي تحول بين من كانت في رقبته مع الغل الذي في يده وبين ما حاول أن يتناوله ونظائر ذلك في كلام العرب أكثر من أن يحصى فكذلك قوله ثم توليتم من بعد ذلك يعني بذلك انكم تركتم العمل بما أخذنا ميثاقكم وعهودكم على العمل به بجد واجتهاد بعد اعطائكم ربكم المواثيق على العمل به والقيام بما أمركم به في كتابكم فنبذتموه وراء ظهوركم وكنى بقوله جل ذكره ذلك عن جميع ما قبله في الآية المتقدمة أعني قوله واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ۞ القول في تاويل قوله تعالى ذكره (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) قال أبو جعفر يعني بقوله جل ذكره فلولا فضل الله عليكم فلولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه اذ رفع فوقكم الطور بانكم تجتهدون في طاعته وأداء فرائضه والقيام بما أمركم به والانتهاء عما نهاكم عنه في الكتاب الذي آتاكم فانعم عليكم بالاسلام ورحمته التي رحمكم بها وتجاوز عنكم خطيئتكم التي ركبتموها بمراجعتكم طاعة ربكم لكنتم من الخاسرين وهذا وان كان خطابا لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما هو خبر عن أسلافهم فاخرج الخبر مخرج الخبر عنهم على نحو ما قد بينا فيما مضى من ان القبيلة من العرب تخاطب القبيلة عند الفخار أو غيره بما مضى من فعل اسلاف المخاطب باسلاف المخاطب فتضيف فعل اسلاف المخاطب الى نفسها فتقول فعلنا بكم وفعلنا بكم وقد ذكرنا بعض الشواهد في ذلك من شعرهم فيما مضى وقد زعم بعضهم ان الخطاب في هذه الآيات انما أخرج باضافة الفعل الى المخاطبين به والفعل لغيرهم لان المخاطبين بذلك كانوا يتولون من كان فعل ذلك من أوائل بني اسرائيل فصيرهم الله منهم من أجل ولايتهم لهم وقال بعضهم انما قيل ذلك كذلك لان سامعيه كانوا عالمين وان كان الخطاب خرج خطابا للاحياء من بني اسرائيل وأهل الكتاب اذ المعنى في ذلك انما هو خبر عما قص الله من أنباء أسلافهم فاستغنى بعلم السامعين بذلك عن ذكر أسلافهم باعيانهم ومثل ذلك بقول الشاعر

اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة * ولم تجدي من ان تقري به بدا

تقصيرا في البيان فتكونا جزم عطفا على تقربا أو نصب جوابا للنهي من الظالمين من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله قوله فازلهما الشيطان الآية تحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظة عن في هذه الآية كهي في قوله وما فعلته عن أمري فالضمير للشجرة وقيل اذهبهما وأبعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزلت قدمه فالضمير للجنة ومن قرأ أزالهما فهو من الزوال عن المكارم مما كانا فيه أي من النعيم والكرامة أو من المكان الذي هو الجنة ان كان الضمير في عنها الشجرة واعلم أن الناس اختلفوا (١٤٩) في عصمة الانبياء عليهم السلام والنزاع اما في باب الاعتقاد أو في باب التبليغ أو في باب الاحكام والفتيا أو في أفعالهم وسيرتهم أما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند أكثر الامة وقالت الفضيلية انه قد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم وأجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية وأما ما يتعلق بالتبليغ فاجتمعت الامة على عصمتهم عن الكذب والتحريف في ذلك لا عمدا ولا سهوا والا ارتفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لان الاحتراز غير ممكن وأما المتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز الخطا فيه عمدا وأما السهو فيجوزه بعضهم وأباه آخرون وأما المتعلق بافعالهم فالحشوية جوزوا الكبائر عنهم عمدا وأكثر المعتزلة جوزوا الصغائر عنهم عمدا الا ما ينفر كالكذب والتطفيف والجبائي لا يجوز صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد بل على التاويل وقيل لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطا ولكنهم يؤاخذون به وان كان ذلك موضوعا عن أممهم لان معرفتهم أقوى وهم على التحفظ أقدر والشيعة لم يجوزوا صغيرة ولا كبيرة منهم لا عمدا ولا سهوا ولا على سبيل التاويل والخطا وفي وقت عصمتهم ثلاثة أقوال فمذهب الشيعة انهم معصومون من وقت مولدهم والمعتزلة من وقت بلوغهم ولم يجوز والكفر والكبيرة منهم قبل النبوة وبعضهم وأكثر أصحابنا على تجويز ذلك قبل النبوة والمختار انهم لم يصدر عنهم الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة لوجوه الاول لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من عصاة الامة مصداقه قوله عز من قائل يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين شعر * وصغائر الرجل الكبير كبائر * ولا يجوز أن يكون النبي أقل حالا من الامة بالاجماع والثاني ويتقدير واقدامه على الفسق لا يكون مقبول الشهادة

فقال واذا انتسبنا واذا تقتضى من الفعل مستقبلا ثم قال لم تلدنى لئيمة فاخبر عن ماض من الفعل وذلك ان لولادة قد مضت وتقدمت وانما فعل ذلك عند المحتج به لان السامع قد فهم معناه فجعل ماذكرنا من خطاب الله أهل الكتاب الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم باضافة أفعال أسلافهم اليهم نظير ذلك والاول الذى قلناه هو المستفيض من كلام العرب وخطابها وكان أبو العالية يقول فى قوله فلولا فضل الله عليكم ورحمته فيما ذكرلنا نحو القول الذى قلناه حدثنى المثنى بن ابراهيم قال ثنا آدم قال ثنا أبو النضر عن الربيع عن أبى العالية فلولا فضل الله عليكم ورحمته قال فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وحدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن الربيع بمثله ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (لكنتم من الخاسرين) قال أبو جعفر فلولا فضل الله عليكم ورحمته اياكم بانقاذه اياكم بالتوبة عليكم من خطيئتكم وجرمكم لكنتم الباخسين أنفسكم حظوظها دائما الهالكين بما اجترمتم من نقض ميثاقكم وخلافكم أمره وطاعته وقد تقدم بياننا قبل بالشواهد عن معنى الخسار بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت) يعنى بقوله ولقد علمتم ولقد عرفتم كقولك قد علمت أخاك ولم أكن أعلمه يعنى عرفته ولم أكن أعرفه كما قال جل ثناؤه وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم يعنى لا تعرفونهم الله يعرفهم وقوله الذين اعتدوا منكم فى السبت أى الذين تجاوزوا حدى وركبوا ما نهيتهم عنه فى يوم السبت وعصوا أمرى وقد دللت فيما مضى على ان الاعتداء أصله تجاوز الحد فى كل شئ بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع قال وهذه الآية وآيات بعدها تتلوها مما عدد جل ثناؤه فيها على بنى اسرائيل الذين كانوا بين خلال دور الانصار زمان النبى صلى الله عليه وسلم الذين ابتدأ بذكرهم فى أول هذه السورة من نكث أسلافهم عهد الله وميثاقه ما كانوا يبرمون من العقود وحذر المخاطبين بها ان يحل بهم باصرارهم على كفرهم ومقامهم على جحود نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتركهم اتباعه والتصديق بما جاءهم به من عند ربه مثل الذى حل باوائلهم من المسخ والرجف والصعق وما لا قبل لهم به من غضب الله وسخطه كالذى حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت ولقد عرفتم وهذا تحذير لهم من المعصية يقول احذروا أن يصيبكم ما أصاب أصحاب السبت اذ عصونى اعتدوا يقول اجترؤا فى السبت قال لم يبعث الله نبيا الا أمره بالجمعة وأخبره بفضلها وعظمها فى السموات وعند الملائكة وان الساعة تقوم فيها فمن اتبع الانبياء فيما مضى كما اتبعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم محمدا قبل الجمعة وسمع وأطاع وعرف فضلها وثبت عليها بما أمره الله تعالى به ونبيه صلى الله عليه وسلم ومن لم يفعل ذلك كان بمنزلة الذين ذكر الله فى كتابه فقال ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين وذلك ان اليهود قالت لموسى حين أمرهم بالجمعة وأخبرهم بفضلها ياموسى كيف تامرنا بالجمعة وتفضلها على الايام كلها والسبت أفضل الايام كلها لان الله خلق السموات والارض والاقوات فى ستة أيام وسبت له كل شئ مطيعا يوم السبت وكان آخر الستة قال وكذلك قالت النصارى لعيسى بن مريم حين أمرهم بالجمعة قالوا له كيف تامرنا

بالجمعة

لقوله ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا لكنه شاهد عدل من الله بانه شرع الدين وكذا يوم القيامة ويكون الرسول عليكم شهيدا الثالث ويتقدير اقدامه على الكبيرة يجب زجره وايذاؤه لكنه محرم ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة الرابع انه صلى الله عليه وسلم لو أتى بمعصية لوجب علينا الاقتداء به لقوله فاتبعوه والجمع بين الوجوب والحرمة محال الخامس نعلم بالبديهة انه قبيح لا شئ أقبح من نبى رفع الله درجته وجعله خليفة فى عباده وبلاده ثم انه يقدم على ما نهاه عنه ترجيحا لهواه حتى يستحق اللعن والعذاب السادس أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم يكون حينئذ منزلا فى شانه وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه السابع انهم كانوا يسارعون فى الخيرات واللفظ للعموم فيشمل فعل ما ينبغى وترك ما لا ينبغى الثامن وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس والوصف بالاصطفاء ينافى الذنب التاسع انه تعالى حكى عن ابليس لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين والانبياء من المخلصين لقوله تعالى فى حق يوسف انه من عبادنا المخلصين وفى حق موسى انه كان مخلصا فكذا غيرهما العاشر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ولا يخفى وجوب كون الانبياء منهم والا كان غير النبى أفضل من النبى الحادى عشر الخلق قسمان حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون والعصاة حزب الشيطان فلا يجوز أن يكون النبى عاصيا الثانى عشر النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الملك كما مر والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم فالنبى أولى الثالث عشر انى جاعلك للناس اماما والامام من يؤتم به والمذنب لا يجوز الاقتداء به فى ذنبه الرابع عشر لا ينال عهدى الظالمين فان كان عهد النبوة ثبت المطلوب وان كان عهد الامامة فالنبى أولى به روى ان خزيمة بن ثابت شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وفق دعواه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم كيف شهدت لى فقال يارسول الله انى أصدقك على الوحى النازل عليك من فوق سبع سموات أفلا أصدقك فى هذا القدر فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وسماه بذى الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت تلك الشهادة والمخالف تمسك فى باب الاعتقاد بقوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء وهذا يقتضى صدور الشرك عنهما والجواب

ماسيجيء في الاعراف أن شاء الله تعالى من ان الخطاب لقريش والمعنى خلقكم من نفس قصى وجعل من جنسها زوجها عربية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصى قالوا ان ابراهيم لم يكن عالما بالله ولا باليوم الآخر لقوله هذا ربي ولكن ليطمئن قلبي والجواب هذا ربي استفهام منه بطريق الانكار وقوله ليطمئن قلبي أراد به ان يؤكد علم اليقين بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة قالوا فان كنت في شك فلا تكونن من الممترين يدل على انه كان شاكا في الوحي قلنا

الخطاب له والمراد الامة مثل يا أيها النبي اذا طلقتم قالوا في باب التبليغ سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله هذا الاستثناء يدل على النسيان والجواب عنه ان هذا النسيان نوع من النسخ كما يجيء في تفسير قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها قالوا وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته والجواب سوف يجيء في سورة الحج ان شاء الله تعالى قالوا عالم الغيب فلا يظهر الى قوله ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم ولولا الخوف من وقوع التخبيط في الوحي لم يستظهر بالرصد قلنا هذا عليكم لا لكم لدلالته على كونهم محفوظين عن التخبط قالوا وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث ما كان لنبي أن يكون له أسرى عفى الله عنك لم أذنت لهم قلنا الجميع محمول على ترك الاولى وسوف يجيء قصة كل في موضعها على انا نقول شعر

يا سائلي عن رسول الله كيف سها * والسهو من كل قلب غافل لاهي
قد غاب من كل شيء سره فسها * عما سوى الله فالتعظيم لله

قالوا في الافعال وعصى آدم ربه فغوى والعصيان يوجب الوعيد ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم والغي ضد الرشد قد تبين الرشد من الغي ثم انه تاب والتوبة دليل الذنب وانه ظالم لقوله فتكونا من الظالمين والظالم ملعون ألا لعنة الله على الظالمين وانه أخرج من الجنة وكل هذه دليل ارتكاب الكبيرة والجواب المنع من ان هذه الامور كانت بعد النبوة ثم لنفرض انه صدر ذلك الفعل عن آدم بعد النبوة فاقدامه عليه اما ان يكون في حال كونه ناسيا أو في حال كونه ذاكرا الذاهبون الى الاول وهم طائفة من المتكلمين احتجوا بقوله فنسي ولم نجد له عزما ومثلوه بالصائم يغفل عن صومه فيأكل في أثناء ذلك السهو عن قصد قيل عليه ان قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين وقوله وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين يدل على انه ما نسي وروي عن ابن عباس

بالجمعة وأول الايام أفضلها وسيدها والاول أفضل والله واحد والواحد الاول أفضل فاوحى الله الى عيسى ان دعهم والاحد ولكن ليفعلوا فيه كذا وكذا مما أمرهم به فلم يفعلوا فقص الله تعالى قصصهم في الكتاب بمعصيتهم قال وكذلك قال الله لموسى حين قالت له اليهود ما قالوا في أمر السبت ان دعهم والسبت فلا يصيدوا فيه سمكا ولا غيره ولا يعملون شيأ كما قالوا قال فكان اذا كان السبت ظهرت الحيتان على الماء فهو قوله اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يقول ظاهرة على الماء ذلك لمعصيتهم موسى واذا كان غير يوم السبت صارت صيدا كسائر الايام فهو قوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ففعلت الحيتان ذلك ما شاء الله فلما رأوها كذلك طمعوا في أخذها وخافوا العقوبة فتناول بعضهم منها فلم تمتنع عليه وحذر العقوبة التي حذرهم موسى من الله تعالى فلما رأوا أن العقوبة لا تحل بهم عادوا واخبر بعضهم بانهم قد أخذوا السمك ولم يصبهم شيء فكثروا في ذلك وظنوا ان ما قال لهم موسى كان باطلا وهو قول الله جل ثناؤه ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين يقول لهؤلاء الذين صادوا السمك فمسخهم الله قردة بمعصيتهم يقول اذا لا يحيون في الارض الا ثلاثة أيام ولم تأكل ولم تشرب ولم تنسل وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة الايام التي ذكر الله في كتابه فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة وكذلك يفعل بمن شاء كما يشاء ويحوله كما يشاء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنا محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال ابن عباس ان الله انما افترض على بني اسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم يوم الجمعة فخالفوا الى السبت فعظموه وتركوا ما أمروا به فلما أبوا الا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره وكانوا في قرية بين ايلة والطور يقال لها مدين فحرم الله عليهم في السبت الحيتان صيدها وأكلها وكانوا اذا كان يوم السبت أقبلت اليهم شرعا الى ساحل بحرهم حتى اذا ذهب السبت ذهبن فلم يروا حوتا صغيرا ولا كبيرا حتى اذا كان يوم السبت أتين اليهم شرعا حتى اذا ذهب السبت ذهبن فكانوا كذلك حتى اذا طال عليهم الامد وقربوا الى الحيتان عمد رجل منهم فأخذ حوتا سرا يوم السبت فخزمه بخيط ثم أرسله في الماء وأوتد له وتدا في الساحل فاوثقه ثم تركه حتى اذا كان الغد جاء فاخذه أي اني لم آخذه في يوم السبت ثم انطلق به فاكله حتى اذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك ووجد الناس ريح الحيتان فقال أهل القرية والله لقد وجدنا ريح الحيتان ثم عثروا على ما صنع ذلك قال ففعلوا كما فعل وأكلوا سرا زمانا طويلا لم يعجل الله عليهم بعقوبة حتى صادوها علانية وباعوها بالاسواق وقالت طائفة من أهل التقية ويحكم اتقوا الله ونهوهم عما كانوا يصنعون وقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان ولم تنه القوم عما صنعوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم لسخطنا أعمالهم ولعلهم يتقون قال ابن عباس فبينما هم على ذلك أصبحت تلك التقية في أنديتهم ومساجدهم وفقدوا الناس فلا يرونهم قال بعضهم لبعض ان للناس لشأنا فانظروا ما هو فذهبوا ينظرون في دورهم فوجدوها مغلقة عليهم قد دخلوا ليلا فغلقوها على أنفسهم كما تغلق الناس على أنفسهم فاصبحوا فيها قردة انهم ليعرفون الرجل بعينه وانه لقرد والمرأة بعينها وانها القردة والصبي بعينه وانه لقرد قال يقول ابن عباس فلولا ما ذكر الله انه أنجى الذين

انهما لما أكلا منها وبدت لهما سوآتهما خرج آدم فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله تعالى افرارا مني فقال بل حياء منك فقال له أما كان فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يارب ولكن وعزتك ما كنت أرى أحدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي لاهبطنك منها ثم لا تنال العيش الا نكدا وأيضا لو كان ناسيا لما عوتب عليه لانه غير قادر على تركه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ورفع القلم عن ثلاث وأجيب بالمنع من ان اقدامه على ذلك الفعل انما وقع عقيب قول ابليس لانه كان عالما بتمرد ابليس عن سجوده وكونه عدوا له ولزوجه ولانهما لو صدقاه لكانت المعصية في تصديقه أعظم من أكل الشجرة لانه ألقى اليهما سوء الظن بالله وانه ناصح والرب غاش وما روى عن ابن عباس فهو من باب الآحاد ولا يلزم من رفع النسيان عن هذه الامة رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن الامة رفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل اني أوعك كما يوعك الرجلان منكم وقيل ان حواء سقته الخمر فسكر ثم أقدم على ذلك الفعل وهذا انما يصح اذا حملت الشجرة على غير المسكر حتى يكون ماذونا في تناول غيرها الا أنه يرد عليه ان خمر الجنة لا تسكر لا فيها غول ٭ الذاهبون الى أنه فعله عامدا أربع فرق منهم من قال النهي نهي تنزيه لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال كان عمدا من آدم وكان كبيرة مع أن آدم في ذلك الوقت كان نبيا وقد عرفت فساده ومنهم من قال فعله عمدا لكن كان معه من اعمال القلب من الاخلاص والوجل والاشفاق ما صيره صغيرة وزيف بان المقدم على ترك الواجب أو فعل المنهي عمدا لا يعذر بدعوى الخوف فلا يصح وصف الانبياء بذلك ومنهم وهو اختيار أكثر المعتزلة من قال انه أقدم على الاكل بسبب اجتهاد أخطا فيه وذلك لا يقتضي كون الذنب كبيرة بيان الاجتهاد أنه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة فلفظ هـذه قد يشار بها الى الشخص وقد يشار الى النوع كما روى انه صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور أمتي وتوضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به وأراد نوع الحرير والذهب ونوع الوضوء فراد الله تعالى من كلمة هـذه ذلك النوع لا الشخص وكان آدم ظن ان النهي قد ورد على الشجرة المعينة فتركها وتناول من شجرة أخرى من ذلك النوع واعترض بان هذا في أصل اللغة للاشارة الشخصية واذا حمل آدم اللفظ على موضوعه

نهوا عن السوء لقد أهلك الجميع منهم قالوا وهي القرية التي قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الآية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين أحلت لهم الحيتان وحرمت عليهم يوم السبت بلاء من الله ليعلم من يطيعه ممن يعصيه فصار القوم ثلاثة أصناف فاما صنف فامسك ونهى عن المعصية وأما صنف فامسك عن حرمة الله وأما صنف فانتهك حرمة الله ومرد على المعصية فلما أبوا الا الاعتداء الى ما نهوا عنه قال الله لهم كونوا قردة خاسئين فصاروا قردة لها أذناب تعاوى بعدما كانوا رجالا ونساء **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أنا معمر عن قتادة في قوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت قال نهوا عن صيد الحيتان يوم السبت فكانت تشرع اليهم يوم السبت وبلوا بذلك فاعتدوا فاصطادوها فجعلهم الله قردة خاسئين **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال فهم أهل ايلة وهي القرية التي كانت حاضرة البحر فكانت الحيتان اذا كان يوم السبت وقد حرم الله على اليهود ان يعملوا في السبت شيأ لم يبق في البحر حوت الا خرج حتى يخرجن خراطيمهن من الماء فاذا كان يوم الاحد لزمن سفل البحر فلم ير منهن شيء حتى يكون يوم السبت فذلك قوله واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فاشتهى بعضهم السمك فجعل الرجل يحفر الحفيرة ويجعل لها نهرا الى البحر فاذا كان يوم السبت فتح النهر فاقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة ويريد الحوت أن يخرج فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر فيمكث فاذا كان يوم الاحد جاء فاخذه فجعل الرجل يشوي السمك فيجد جاره ريحه فيسأله فيخبره فيصنع مثل ما صنع جاره حتى اذا فشا فيهم أكل السمك فقال لهم علماؤهم ويحكم انما تصطادون السمك يوم السبت وهو لا يحل لكم فقالوا انما صدناه يوم الاحد حين أخذناه فقال الفقهاء لا ولكنكم صدتموه يوم فتحتم له الماء فدخل فقالوا وغلبوا ان ينتهوا فقال بعض الذين نهوهم لبعض أتعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يقول لم تعظوهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم فقال بعضهم معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما أبوا قال المسلمون والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار ففتح المسلمون بابا والمعتدون في السبت بابا ولعنهم داود فجعل المسلمون يخرجون من بابهم والكفار من بابهم فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار بابهم فلما أبطؤا عليهم تسور المسلمون عليهم الحائط فاذا هم قردة يثب بعضهم على بعض ففتحوا عنهم فذهبوا في الارض فذلك قول الله عز وجل فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فذلك حين يقول لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم فهم القردة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال لم يمسخوا انما هو مثل ضربه الله لهم مثل ما ضرب كمثل الحمار يحمل أسفارا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال

مسخت

مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وانما هو مثل ضربه الله لهم كمثل الحمار يحمل أسفارا وهذا القول الذي قاله مجاهد قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف وذلك ان الله أخبر في كتابه انه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت كما أخبر عنهم انهم قالوا لنبيهم أرنا الله جهرة وان الله تعالى ذكره أصعقهم عند مسألتهم ذلك ربهم وانهم عبدوا العجل فجعل توبتهم قتل أنفسهم وانهم أمروا بدخول الارض المقدسة فقالوا لنبيهم اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فابتلاهم بالتيه فسواء قال قائل هم لم يمسخهم قردة وقد أخبر جل ذكره انه جعل منهم قردة وخنازير وآخر قال لم يكن شيء مما أخبر الله عن بني اسرائيل انه كان منهم من الخلاف على أنبيائهم والعقوبات والانكال التي أحلها الله بهم ومن أنكر شيئا من ذلك وأقر بآخر منه سئل البرهان على قوله وعورض فيما أنكر من ذلك بما أقر به ثم يسأل الفرق من خبر مستفيض أو أثر صحيح هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه وكفى دليلا على فساد قول اجماعها على تخطئته

القول في تأويل قوله تعالى (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) يعني بقوله فقلنا لهم أي فقلنا للذين اعتدوا في السبت يعني في يوم السبت وأصل السبت الهدوء والسكون في راحة ودعة ولذلك قيل للنائم مسبوت لهدوئه وسكون جسده واستراحته كما قال جل ثناؤه وجعلنا نومكم سباتا أي راحة لاجسادكم وهو مصدر من قول القائل سبت فلان يسبت سبتا وقد قيل انه سمي سبتا لان الله جل ثناؤه فرغ يوم الجمعة وهو اليوم الذي قبله من خلق جميع خلقه وقوله كونوا قردة خاسئين أي صيروا كذلك والخاسئ المبعد المطرود كما يخسأ الكلب يقال منه خسأته أخسؤه خسأ وخسوءا وهو يخسأ خسوا قال ويقال خسأته فخسأ وانخسأ ومنه قول الراجز * كالكلب ان قلت له اخسأ انخسا * يعني ان طردته انطرد ذليلا صاغرا فكذلك معنى قوله كونوا قردة خاسئين أي مبعدين من الخير اذلاء صغراء كما حدثنا بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كونوا قردة خاسئين قال صاغرين حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن رجل عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة خاسئين قال صاغرين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله كونوا قردة خاسئين أي أذلة صاغرين وحدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس خاسئا يعني ذليلا

القول في تأويل قوله تعالى (فجعلناها) اختلف أهل التأويل في تأويل الهاء والالف في قوله فجعلناها وعلى ما هي عائدة فروي عن ابن عباس فيهما قولان أحدهما ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس فجعلناها فجعلنا تلك العقوبة وهي المسخة نكالا فالهاء والالف من قوله فجعلناها على قول ابن عباس هذا كناية عن المسخة وهي فعلة من مسخهم الله مسخة فمعنى الكلام على هذا التأويل فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فصاروا قردة ممسوخين فجعلنا عقوبتنا ومسخنا اياهم نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين والقول الآخر من قولي ابن عباس

فكيف يعد مخطئا وأيضا ذهب ان لفظ هذا متردد بين الشخص والنوع فان كان مع قرينة الاشارة النوعية فلعله قصر في معرفتها فيكون مذنبا وان عرفها ومع ذلك أقدم على التناول فكذلك وان لم يكن فيه قرينة فلا يعد مخطئا وأيضا الانبياء لا يجوز لهم الاجتهاد لانهم قادرون على تحصيل اليقين بالوحي فالاقدام على الاجتهاد عين المعصية وأيضا هذه المسئلة ان كانت قطعية فالخطأ فيها كبيرة وان كانت من الظنيات فان قلنا كل مجتهد مصيب فلا خطأ وان قلنا المصيب واحد فالمخطىء (٢٥٣) فيها معذور بالاتفاق وأجيب بان لفظ هذا يستعمل في الاشارة النوعية أيضا كما مر وبان آدم لعله قصر في معرفة القرينة أو عرفها ثم نسي لطول المدة فلهذا عوتب وبان المسئلة القطعية لما نسيها صار النسيان عذرا حتى لا يصير الذنب كبيرا وقد تكون ظنية وترتب التشديدات على الخطأ فيها لان النبي صلى الله عليه وسلم قد يؤاخذ بما لا يؤاخذ به الامة قيل وقد يحمل الخطأ في الاجتهاد من جهة ان آدم ظن ان النهي في قوله لا تقربا تناولهما معا فيجوز لكل واحد على الانفراد أكله فان قيل كيف تمكن ابليس من وسوسة آدم مع ان ابليس كان خارج الجنة وآدم فيها قلت اما لانه دخل في فم الحية فاختفى عن الخزنة ولهذا سقطت قوائم الحية عقوبة لها على ما روي وان كان بعيدا عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ما سالمناهم منذ حاربناهم ومن ترك منهم شيئا خيفة فليس منا يعني الحيات واما لانه دخل الجنة في صورة دابة واما لانهما كانا يخرجان الى باب الجنة وابليس كان يقرب من الباب ويوسوس واما لانه كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل وسوس لهما على لسان بعض أتباعه لانهما كانا يعرفان ما عنده من الحسد والبغضاء فيستحيل ان يقبلا قوله عادة واسناد الاذلال والاخراج الى الشيطان لانه حصل بسبب منه وعن بعض العرفاء ان زلة آدم هب انها كانت بوسوسة ابليس فمعصية ابليس بوسوسة من والا بد من الانتهاء الى الذي لا يسئل عما يفعل فان قيل كيف كانت الوسوسة قلنا هي التي حكاها الله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فلما لم يقبلا عدل الى اليمين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين ولكم من شياطين الانس تراهم يوسوسون البتة على هذا الترتيب أعاذنا الله منهم ثم بعد ذلك يحتمل انه لم يصدقاه فعدل الى شغلهما باللذات المباحة حتى استغرقا فيها ونسيا النهي فوقعا فيما وقعا والله أعلم بحقائق الامور واهبطوا

خطاب لآدم وحواء وابليس اما فى وقت واحد بناء على ان ابليس قد عاد الى الجنة لاجل الوسوسة واما لآدم وحواء فى وقت وله فى آخر قبل ذلك وقيل خطاب لهما وللحية وقيل الصحيح أن الخطاب لهما وذريتهما مرادة أيضا لانهما لما كانا أصل الانس جعلا كأنهما الناس كلهم والدليل عليه ما جاء فى طه اهبطا منها وقوله فاما يأتينكم وما هو الا حكم يعم الناس كلهم واهبطوا أمر أو اباحة والاشبه الاول لان مفارقة ما كانا فيه من النعيم الى دار الهوان أشق التكاليف وانما قيل انه تكليف لا عقوبة لما ترتب عليه من الثواب العظيم ويمكن ان يقال نفس الاهباط عقوبة ولا ثواب عليه وانما الثواب على حسب العمل ابعد ذلك ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادى والتباغى وتضليل بعضهم لبعض وليست هذه هى العداوة المامور بها فى قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلا يدخل تحت الامر بل المراد اهبطوا وسيكون حالكم كذا لان عالم التضاد والتنافى ليس كعالم الانوار الذى لا تعاند فيه ولا تمانع مستقرا استقرار أو موضع استقرار حالتى الحياة والموت ومتاع تمتع بالعيش الى حين هو يوم القيامة أو حين انقضاء آجالكم والحين المدة طويلة وقصيرة ولهذا لو قال أنت طالق الى حين فمضت لحظة طلقت وفى قصة آدم وما جرى عليه معتبر عجيب وموعظة بليغة بينة كافية فى اجتناب الخطايا واتقاء المآثم ولله در القائل شعر

يا ناظرا يرنو بعينى راقد ❊ ومشاهد الامر غير مشاهد

تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى ❊ درك الجنان ودرك فوز العابد

أنسيت أن الله أخرج آدما ❊ منها الى الدنيا بذنب واحد

وعن فتح الموصلى كنا قوما من الجنة فساقنا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التى أخرجنا منها شعر

تطلب الراحة فى دار العنا ❊ خاب من يطلب شيأ لا يكون

قوله (فتلقى) لان أصل التلقى التعرض للقاء ثم يوضع موضع الاستقبال للشئ الجائى ثم يوضع موضع القبول والاخذ وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أى تلقنه ثم بعض الافعال قد يشترك فاعله ومفعوله فى صلاحية وصف كل منهما بالفعل فيتعاوضان عليه مهما تقول بلغنى ذلك وبلغته وأصابنى خير وأصبته أو نلته وتلقى آدم من ربه كلمات أى أخذها ووعاها واستقبلها بالقبول وتلقى آدم كلمات أى جاءته واتصلت به ولا يجوز أن يكون معنى التلقى من الرب أن الله تعالى عرفه حقيقة التوبة لان المكلف لا بد ان يعرف ماهية التوبة ويتمكن بعقله

ما حدثنى به محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فجعلناها يعنى الحيتان والهاء والالف على هذا القول من ذكر الحيتان ولم يجر لها ذكر ولكن لما كان فى الخبر دلالة كنى عن ذكرها والدلالة على ذلك قوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت وقال آخرون فجعلنا القرية التى اعتدى أهلها فى السبت فالهاء والالف فى قول هؤلاء كناية عن قرية القوم الذين مسخوا وقال آخرون معنى ذلك فجعلنا القردة الذين مسخوا نكالا لما بين يديها وما خلفها فجعلوا الهاء والالف كناية عن القردة وقال آخرون فجعلناها يعنى به فجعلنا الامة التى اعتدت فى السبت نكالا ❊ القول فى تأويل قوله (نكالا) والنكال مصدر من قول القائل نكل فلان بفلان تنكيلا ونكالا وأصل النكال العقوبة كما قال عدى بن زيد العبادى ❊ لا تسخط العبليك ٧ ما يسع العبد ولا فى نكاله تنكير ❊ وبمثل الذى قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس نكالا يقول عقوبة حدثنى المثنى قال حدثنى اسحق قال حدثنى ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله فجعلناها نكالا أى عقوبة ❊ القول فى تأويل قوله تعالى (لما بين يديها وما خلفها) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس لما بين يديها يقول ليحذر من بعدهم عقوبتى وما خلفها يقول الذين كانوا بقوا معهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع لما بين يديها وما خلفها لما خلا لهم من الذنوب وما خلفها أى عبرة لمن بقى من الناس وقال آخرون بما حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى سلمة بن اسحق عن داود ابن الحصين عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال ابن عباس فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها أى من القرى وقال آخرون بما حدثنا به بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله فجعلناها نكالا لما بين يديها من ذنوب القوم وما خلفها أى للحيتان التى أصابوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لما بين يديها من ذنوبها وما خلفها من الحيتان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال حدثنى عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لما بين يديها ما مضى من خطاياهم الى ان هلكوا به حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نكالا لما بين يديها وما خلفها يقول بين يديها ما مضى من خطاياهم وما خلفها خطاياهم التى هلكوا بها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا انه قال وما خلفها خطيئتهم التى هلكوا بها وقال آخرون بما حدثنى به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها قال أما ما بين يديها فما سلف من عملهم وما خلفها فمن كان بعدهم من الامم ان يعصوا فيصنع الله بهم مثل ذلك وقال آخرون بما حدثنى به ابن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها يعنى الحيتان جعلها نكالا لما بين يديها وما خلفها من الذنوب التى عملوا قبل الحيتان وما عملوا بعد الحيتان فذلك قوله

٧ هكذا هذا البيت بالاصول وينظر ما معناه تأمل اه مصححه

من تدارك الذنوب فضلا عن الانبياء فاذن المراد انه نبهه على المعصية على وجه آل أمره الى التوبة أو عرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة أو ذكر
نعمته العظيمة عليه حتى صار من الدواعي القريبة الى التوبة أو علمه كلمات لو حصلت التوبة معهن كمل حالها من قوله تعالى ربنا ظلمنا
أنفسنا الآية وفي رواية ابن عباس ان آدم قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق
رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يارب ان تبت وأصلحت أراجعي (٢٥٥) أنت الى الجنة قال نعم وقال النخعي أتيت ابن
عباس فقلت ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه قال علم الله آدم وحواء أمر الحج فحجا فهي الكلمات التي تقال في الحج فلما فرغا من الحج أوحى الله تعالى اليهما اني قبلت توبتكما وعن ابن مسعود ان أحب الكلام الى الله ما قاله أبونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت وقالت عائشة لما أراد تعالى أن يتوب على آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى الركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وأرضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى الى آدم يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن يأتي أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت ذنبه وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها وفي كلام الغزالي أن التوبة تتحقق من ثلاثة أمور مترتبة أولها
علم وثانيها حال وثالثها عمل فالعلم هو معرفة ما في الذنب من الضرر وكونه حجابا بين العبد ورحمة الرب فاذا استحكمت هذه المعرفة
تألم القلب بسبب فوات محبوبه وتأسف على الفعل الذي كان سببا لذلك الفوات ويسمى ذلك الألم ندما وهذه الحالة لها تعلق بالماضي
وهو تلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر وتعلق بالحال وهو ترك الذنب الذي كان ملابسا له وتعلق بالمستقبل وهو العزم على أن لا
يعود اليه أبدا وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة ومنه قوله صلى الله

ما بين يديها وما خلفها وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية ما رواه الضحاك عن ابن عباس وذلك لما وصفنا من ان الهاء والالف في قوله فجعلناها نكالا بان تكون من ذكر العقوبة والمسخة التي مسخها القوم أولى منها بان تكون من ذكر غيرها من أجل ان الله جل ثناؤه انما يحذر خلقه بأسه وسطوته وبذلك يخوفهم وفي ابانته عز ذكره بقوله نكالا انه عنى به العقوبة التي أحلها بالقوم ما يعلن انه عنى بقوله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها فجعلنا عقوبتنا التي أحللناها بهم عقوبة لما بين يديها وما خلفها دون غيره من المعاني واذا كانت الهاء والالف بان تكونا من ذكر المسخة والعقوبة أولى منها بان تكون من ذكر غيرها فكذلك العائد في قوله لما بين يديها وما خلفها من الهاء والالف ان يكون من ذكر الهاء والالف اللتين في قوله فجعلناها أولى من أن يكون من غيره فتأويل الكلام اذا كان الامر على ما وصفنا فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلنا عقوبتنا لهم عقوبة لما بين يديها من ذنوبهم السالفة منهم مسخنا اياهم وعقوبتنا لهم ولما خلف عقوبتنا لهم من أمثال ذنوبهم أن يعمل بها عامل فيمسخوا مثل ما مسخوا وان يحل بهم مثل الذي حل بهم تحذيرا من الله تعالى ذكره عباده ان يأتوا من معاصيه مثل الذي أتى الممسوخون فيعاقبوا عقوبتهم وأما الذي قال في تأويل ذلك فجعلناها يعني الحيتان عقوبة لما بين يدي الحيتان من ذنوب القوم وما بعدها من ذنوبهم فانه أبعد في الانتزاع وذلك ان الحيتان لم يجر لها ذكر فيقال فجعلناها فان ظن ظان ان ذلك جائز وان لم يكن جرى للحيتان ذكر لان العرب قد تكني عن الاسم ولم يجر له ذكر فان ذلك وان كان كذلك فغير جائز أن يترك المفهوم من ظاهر الكتاب والمعقول به ظاهر في الخطاب والتنزيل الى باطن لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ولا خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم منقول ولا فيه من الحجة اجماع مستفيض وأما تأويل من تأول ذلك لما بين يديها من القرى وما خلفها فينظر الى تأويل من تأول ذلك بما بين يدي الحيتان وما خلفها ﴿القول في تأويل قوله تعالى (وموعظة) والموعظة مصدر من قول القائل وعظت الرجل أعظه وعظا وموعظة اذا ذكرته فتأويل الآية فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وتذكرة للمتقين ليتعظوا بها ويعتبروا ويتذكروا بها كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر ابن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس وموعظة يقول وتذكرة وعبرة للمتقين ﴿القول في تأويل قوله (للمتقين) وأما المتقون فهم الذين اتقوا باداء فرائضه واجتناب معاصيه كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس وموعظة للمتقين يقول للمؤمنين الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعتي فجعل تعالى ذكره ما أحل بالذين اعتدوا في السبت من عقوبته موعظة للمتقين خاصة وعبرة للمؤمنين دون الكافرين به الى يوم القيامة كالذي حدثنا حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس في قوله وموعظة للمتقين الى يوم القيامة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وموعظة للمتقين أي بعدهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي اما موعظة للمتقين فهم أمة محمد صلى الله عليه

وسلم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وموعظة للمتقين قال فكانت موعظة للمتقين خاصة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج في قوله وموعظة للمتقين أي لمن بعدهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا) وهذه الآية مما وبخ الله بها المخاطبين من بني اسرائيل في نقض أوائلهم الميثاق الذي أخذه الله عليهم بالطاعة لانبيائه فقال لهم واذكروا أيضا من نكثكم ميثاقي اذ قال موسى لقومه وقومه بنو اسرائيل اذ ادارؤا في القتيل الذي قتل فيهم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا والهزو اللعب والسخرية كما قال الراجز

قد هزئت مني أم طيسله ✽ قد اري به معدما لا شئ له

يعني بقوله قد هزئت قد سخرت ولعبت ولا ينبغي أن يكون من أنبياء الله فيما أخبرت عن الله من أمر أو نهي هزو أو لعب فظنوا بموسى انه في أمره اياهم عن أمر الله تعالى ذكره بذبح البقرة عند تدارئهم في القتيل اليه انه هازئ لاعب ولم يكن لهم أن يظنوا ذلك بنبي الله وهو يخبرهم ان الله هو الذي أمرهم بذبح البقرة وحذفت الفاء من قوله أتتخذنا هزوا وهو جواب لاستغناء ما قبله من الكلام عنه وحسن السكوت على قوله ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فجاز لذلك اسقاط الفاء من قوله أتتخذنا هزوا كما جاز وحسن اسقاطها من قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا ولم يقل فقالوا انا أرسلنا ولو قيل فقالوا كان حسنا أيضا جائزا ولو كان ذلك على كلمة واحدة لم تسقط منه الفاء وذلك انك اذا قلت قمت ففعلت كذا وكذا ولم تقل قمت فعلت كذا وكذا لانها عطف لا استفهام يوقف عليه فاخبرهم موسى اذ قالوا له ما قالوا ان المخبر عن الله جل ثناؤه بالهزء والسخرية من الجاهلين وبرأ نفسه مما ظنوا به من ذلك فقال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين يعني من السفهاء الذين يروون عن الله الكذب والباطل وكان سبب قيل موسى لهم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ما حدثنا به محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال كان في بني اسرائيل رجل عقيم أو عاقر قال فقتله وليه ثم احتمله فالقاه في سبط غير سبطه قال فوقع بينهم فيه الشر حتى أخذوا السلاح قال فقال أولو النهى أتقتتلون وفيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتوا نبي الله فقال اذبحوا بقرة فقالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة الى قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون قال فضرب فاخبرهم بقاتله قال ولم تؤخذ البقرة الا بوزنها ذهبا قال ولو انهم أخذوا أدنى بقرة لاجزأت عنهم فلم يورث قاتل بعد ذلك وحدثني المثنى قال ثنا آدم قال حدثني أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قول الله ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال كان رجل من بني اسرائيل وكان غنيا ولم يكن له ولد وكان له قريب وكان وارثه فقتله ليرثه ثم ألقاه على مجمع الطريق وأتى موسى فقال له ان قريبي قتل وأتى الى أمر عظيم واني لا أجد أحدا يبين لي من قتله غيرك يا نبي الله قال فنادى موسى في الناس أنشد الله من كان عنده من هذا علم الا بينه لنا فلم يكن عندهم علمه فاقبل القاتل على موسى فقال أنت نبي الله فاسأل لنا ربك أن يبين لنا فسأل ربه فأوحى الله اليه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فعجبوا وقالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله ان

عليه وسلم الندم توبة وجميع هذه الامور بتوفيق الله ولطفه انه هو التواب الرحيم والتوبة لغة الرجوع فيشترك فيه الرب والعبد فاذا وصف بها العبد فالمعنى رجع الى ربه لان العاصي هارب عن ربه وقد يفارق الرجل خدمة سيده فيقطع السيد معروفه عنه فاذا عاد الى السيد عاد السيد عليه باحسانه ومعروفه وهذا معنى قبول التوبة من الله وغفران ذنوب العباد التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومعنى المبالغة في التواب ان واحدا من ملوك الدنيا اذا عصاه انسان ثم تاب فقبل توبته ثم اذا عاد الى المعصية والى الاعتذار فربما لم يقبل عذره لان طبعه يمنعه من قبول العذر والله تعالى بخلاف ذلك لانه انما يقبل التوبة لا لامر يرجع اليه من رقة طبع أو جلب نفع أو دفع ضر بل لمحض الاحسان واللطف والرحمة والجود فان فيضه لا ينقطع ولا تقصير الا من القابل فكلما ارتفع المانع من قبل القابل وصل الفيض اليه لا محالة وأيضا يستحق المبالغة من جهة أخرى وهي كثرة عدد المذنبين المستلزمة لكثرة التائبين المستتبعة لكثرة قبول التوبة ووصفه بالرحمة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو جمع بكاء أهل الدنيا الى بكاء داود لكان بكاء داود أكثر ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود الى بكاء نوح لكان بكاء نوح أكثر ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح الى بكاء آدم على خطيئته لكان بكاء آدم أكثر واذا آل حال أبينا الى هذا من خطيئة واحدة فمن أحاطت به خطاياه أحق بالبكاء ولذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فنحن أحق بالاستغفار فان الغين يكاد يكون بالنسبة الينا رينا وذلك ان الغين شئ يغشي ويغطي بعض التغطية كالغيم الرقيق لا يحجب الشمس ولكن يمنع كمال ضوئها والرين ما استحكم من ذلك حتى صار القلب ممتنعا بالكلية من قبول الحق وذلك صفة الكفار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل في تأويل الحديث ان الله تعالى أطلع ... ون نبيه على ما سيكون في أمته من الخلاف والشقاق وكان اذا ذكر ذلك وجد غينا في قلبه فاستغفر لامته وقيل كان ينتقل من حالة الى حالة أرفع من الاولى فيستغفر مما كان وقيل الغين عبارة عن السهو الذي كان يلحقه في طريق المحبة حتى يصير فانيا عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو استغفر من ذلك الصحو وهذا تأويل أرباب الحقيقة وقال أهل الظاهر ان القلب لا ينفك عن الخطرات والشهوات وأنواع الارادات فكان

ليستعين بالرب تعالى في دفع تلك الخواطر وعن ثابت البناني بلغنا أن ابليس قال يا رب انك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال سبحانه جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب زدني فقال لا يولد لآدم ولد الا ولد لك عشرة قال رب زدني قال تجري منه مجرى الدم قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد قال فشكى آدم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاء وسلطته علي وأنا لا أطيقه الا بك فقال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال رب

أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض يعني لا هرمة ولا بكر يعني ولا صغيرة عوان بين ذلك أي نصف بين البكر والهرمة قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها أي صاف لونها تسر الناظرين أي تعجب الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول أي لم يذللها العمل تثير الارض يعني ليست بذلول فتثير الارض ولا تسقي الحرث يقول ولا تعمل في الحرث مسلمة يعني مسلمة من العيوب لا شية فيها يقول لا بياض فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون قال ولو ان القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها لكانت اياها ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ولولا ان القوم استثنوا فقالوا وانا ان شاء الله لمهتدون لما هدوا اليها أبدا فبلغنا انهم لم يجدوا البقرة التي نعتت لهم الا عند عجوز عندها يتامى وهي القيمة عليهم فلما علمت انه لا يزكو لهم غيرها أضعفت عليهم الثمن فأتوا موسى فأخبروه انهم لم يجدوا هذا النعت الا عند فلانة وانها سألتهم أضعاف ثمنها فقال لهم موسى ان الله قد كان خفف عليكم فشددتم على أنفسكم فأعطوها رضاها وحكمها ففعلوا واشتروها فذبحوها فأمرهم موسى ان يأخذوا عظما منها فيضربوا به القتيل ففعلوا فرجع اليه روحه فسمى لهم قاتله ثم عاد ميتا كما كان فأخذوا قاتله وهو الذي كان أتى موسى فشكى اليه فقتله الله على أسوأ عمله حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال كان رجل من بني اسرائيل مكثرا من المال وكانت له ابنة وكان له ابن أخ محتاج فخطب اليه ابن أخيه ابنته فأبى أن يزوجه اياها فغضب الفتى وقال والله لأقتلن عمي ولآخذن ماله ولأنكحن ابنته ولآكلن ديته فأتاه الفتى وقد قدم تجار في بعض اسباط بني اسرائيل فقال يا عم انطلق معي فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم لعلي أصيب فيها فانهم اذا رأوك معي أعطوني فخرج العم مع الفتى ليلا فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى ثم رجع الى أهله فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه كأنه لا يدري أين هو فلم يجده فانطلق نحوه فاذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه فأخذهم وقال قتلتم عمي فأدوا الي ديته وجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه وينادي واعماه فرفعهم الى موسى فقضى عليهم بالدية فقالوا له يا رسول الله ادع لنا حتى يتبين له من صاحبه فيؤخذ صاحب القرحة فوالله ان ديته علينا لهينة ولكنا نستحيي ان نعير به فذلك حين يقول الله جل ثناؤه واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا نسألك عن القتيل وعمن قتله وتقول اذبحوا بقرة أتهزأ بنا قال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قال قال ابن عباس فلو اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا وتعنتوا موسى فشدد الله عليهم فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك والفارض الهرمة التي لا تلد والبكر التي لم تلد الا ولدا واحدا والعوان النصف التي بين ذلك التي قد ولدت وولد ولدها فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قال تعجب الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير

زدني قال الحسنة بعشر أمثالها قال رب زدني قال لا أحجب عن أحد من ولدك التوبة ما لم يغرغر والغرغرة تردد الروح في الحلق وسئل ذو النون عن التوبة فقال انها اسم جامع لمعان ستة أولها الندم على ما مضى وثانيها العزم على ترك الذنوب في المستقبل وثالثها أداء كل فريضة ضيعتها فيما بينك وبين الله والرابع أداء المظالم الى المخلوقين في أموالهم وأعراضهم والخامس اذابة كل لحم ودم نبت من الحرام والسادس اذاقة البدن مرارة الطاعات كما ذاق حلاوة المعاصي وكان أحمد ابن الحرث يقول يا صاحب الذنوب ألم يأن لك أن تتوب يا صاحب الذنوب ان الذنب في الديوان مكتوب يا صاحب الذنوب أنت بما في القبر مكروب يا صاحب الذنوب أصبحت غدا بالذنوب مطلوب وانما اكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك على انها قد ذكرت في موضع آخر قالا ربنا ظلمنا أنفسنا الآية قوله قلنا اهبطوا الآية قيل فائدة تكرير الامر بالهبوط انهما هبوطان الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني من السماء الدنيا الى الارض وضعف بانه لو كان كذلك لكان ذكر قوله ولكم في الارض مستقر عقيب الهبوط الثاني أولى وأيضا قوله منها يدل على أن الهبوط الثاني من الجنة والاوجه ان آدم وحواء لما أتيا بالزلة وتابا بعد الامر بالهبوط وقع في قلبهما ان الامر بالهبوط يرتفع بزوال الزلة فأعيد الامر مرة ثانية ليعلما ان حكمه في تحقيق الوعد المقدم في قوله اني جاعل في الارض خليفة ووجه ثالث وهو أن يكون التكرير للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما يأتينكم وروي في الاخبار ان آدم هبط بجزيرة سرنديب من الهند وحواء بجدة من أرض الحجاز وابليس بالابلة من نواحي البصرة والحية

اصفهان فلم يتلاقيا مائة سنة ثم ازدلفا أي تقاربا بالمزدلفة واجتمعا بجمع وتعارفا بعرفات يوم عرفة وتعينا على الله تعالى بالمغفرة والتوبة يعني فصلت أسماء هذه المواضع من هذه المعاني وما في اما مزيدة لتأكيد الشرط ويؤيده لحوق النون المؤكدة والشرط الثاني وجزاؤه مجموعين جواب الشرط الاول تبع واتبع بمعنى وانما جاء في طه فمن اتبع موافقة لقوله فيها يتبعون الداعي وفي الهدى وجهان أحدهما المراد منه كل دلالة وبيان فيدخل فيه دليل (٢٥٨) العقل وكل كلام ينزل على نبي وفيه تنبيه على نعمة أخرى عظيمة فكأنه قال واذ قد أهبطتكم من الجنة الى الارض فقد أنعمت عليكم بما يؤديكم مرة أخرى الى الجنة مع الدوام الذي لا ينقطع عن الحسن لما أهبط آدم الى الارض أوحى الله تعالى اليه يا آدم اربع خصال فيها كل الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس أما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا وأما التي لك فاذا عملت أجزتك وأما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فان تصحبهم بما تحب ان يصحبوك به وقيل هو رسول وكتاب بدليل والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة فمن تبع هداي في الاقدام على ما يلزم والاحجام عما يحرم فانه سيصير الى حالة لا خوف فيها ولا حزن وهذه الجملة مع اختصارها تجمع شيئا كثيرا من المعاني لان قوله فاما يأتينكم مني هدى دخل فيه الانعام بجميع الادلة العقلية والشرعية وزيادات البيان وجميع ما لا يتم ذلك الا به من العقل ووجوه التمكين وجمع قوله فمن تبع هداي تأمل الادلة بحقها والنظر فيها واستنتاج المعارف منها والعمل بها وجمع قوله ولا هم يحزنون جميع ما أعد الله تعالى لاوليائه لان الخوف اذا حصل للنفس من توقع مكروه أو انتظار محذور وزواله يتضمن السلامة من جميع الآفات والحزن الذي يعرض للنفس لفقد محبوب أو فوات مطلوب ونفيه يقتضي الوصول الى كل اللذات والمرادات وانما قدم عدم الخوف على عدم الحزن لان زوال ما لا ينبغي مقدم على حصول ما ينبغي وهذا يدل على أن المكلف الذي أطاع الله تعالى لا يلحقه خوف عند الموت ولا في القبر ولا عند البعث ولا عند حضور الموقف ولا عند تطاير الكتب ولا عند نصب الميزان ولا عند الصراط ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا

الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها من بياض ولا سواد ولا حمرة قالوا الآن جئت بالحق فطلبوها فلم يقدروا عليها وكان رجل من بني اسرائيل من أبر الناس بأبيه وان رجلا مر به معه لؤلؤ يبيعه فكان أبوه نائما تحت رأسه المفتاح فقال له الرجل تشتري مني هذا اللؤلؤ بسبعين ألفا فقال له الفتى كما أنت حتى يستيقظ أبي فآخذه بثمانين ألفا فقال له الآخر أيقظ أباك وهو لك بستين ألفا فجعل التاجر يحط له حتى بلغ ثلاثين ألفا وزاد الآخر على ان ينتظر حتى يستيقظ أبوه حتى بلغ مائة ألف فلما أكثر عليه قال لا والله لا أشتريه منك بشيء أبدا وأبى ان يوقظ أباه فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ ان جعل له تلك البقرة فمرت به بنو اسرائيل يطلبون البقرة فأبصروا البقرة عنده فسألوه أن يبيعهم اياها بقرة ببقرة فأبى فأعطوه ثنتين فأبى فزادوه حتى بلغوا عشرا فأبى فقالوا والله لا نتركك حتى نأخذها منك فانطلقوا به الى موسى فقالوا يا نبي الله انا وجدنا البقرة عند هذا فأبى ان يعطيناها وقد أعطيناه ثمنا فقال له موسى أعطهم بقرتك فقال يا رسول الله أنا أحق بمالي فقال صدقت وقال للقوم ارضوا صاحبكم فأعطوه وزنها ذهبا فأبى فأضعفوا له مثل ما أعطوه وزنها حتى أعطوه وزنها عشر مرات فباعهم اياها وأخذ ثمنها فقال اذبحوها فذبحوها فقال اضربوه ببعضها فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين فعاش فسألوه من قتلك فقال لهم ابن أخي قال أقتله وآخذ ماله وأنكح ابنته فأخذوا الغلام فقتلوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد عن مجاهد وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال حدثني خالد بن يزيد عن مجاهد وحدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال ثنا اسمعيل عن عبد الكريم قال حدثني عبد الصمد بن معقل انه سمع وهبا يذكر وحدثني القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج وحجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس وحدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال أخبرني أبي عن أبيه عن ابن عباس فذكر جميعهم ان السبب الذي من أجله قال لهم موسى ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة نحو السبب الذي ذكره عبيدة وأبو العالية والسدي غير ان بعضهم ذكر ان الذي قتل القتيل الذي اختصم في أمره الى موسى كان أخا المقتول وذكر بعضهم انه كان ابن أخيه وقال بعضهم بل كانوا جماعة ورثة استبطؤا حياته الا انهم جميعا مجمعون على ان موسى انما أمرهم بذبح البقرة من أجل القتيل اذ احتكموا اليه عن أمر الله اياهم بذلك فقالوا وما ذبح البقرة يبين خصومتنا التي اختصمنا فيها اليك في قتل من قتل فادعى على بعضنا انه القاتل أنهزأ بنا كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قتل قتيل من بني اسرائيل فطرح في سبط من الاسباط فأتى أهل ذلك القتيل الى ذلك السبط فقالوا أنتم والله قتلتم صاحبنا قالوا لا والله فأتوا موسى فقالوا هذا قتيلنا بين أظهرهم وهم والله قتلوه فقالوا لا والله يا نبي الله طرح علينا فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فقالوا أتستهزئ بنا وقرأ قول الله جل ثناؤه أتتخذنا هزوا قالوا نأتيك فنذكر قتيلنا والذي نحن فيه فتستهزئ بنا فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وحجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس لما أتى أولياء القتيل والذين ادعوا عليهم قتل صاحبهم موسى وقصوا قصتهم عليه أوحى الله اليه

بالجنة التي كنتم توعدون وقال قوم من المتكلمين ان أهوال يوم القيامة تعم الكفار والفساق والمؤمنين بدليل قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين وفي الحديث تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون على كعبه ومنهم من يكون على ركبتيه ومنهم من يكون على حقويه ومنهم من يلجمهم العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه وحديث الشفاعة وقول كل نبي نفسي نفسي الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه يقول أمتي أمتي مشهور قلت لاريب ان وعد الله حق فمن وعده الامن يكون آمنا لامحالة الا أن الانسان خلق ضعيفا لا يستيقن الامن الكلي مالم يصل الى الجنة لانه لا يطمئن قلبه مالم ينضم له الى علم اليقين عين اليقين وأيضا ان جلال الله وعظمته يدهش الانسان برا كان أو فاجرا وأيضا ظاهر العمل الصالح لا يفيد اليقين بالجنة فلا عمل الا بالاخلاص ولا حكم بالاخلاص الا لله تعالى لانه من عمل القلب وقلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ولهذا جاء المخلصون على خطر عظيم وكان دأب الصديقين ان يخلطوا الطمع بالخوف والرغبة بالرهبة يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعوننا رغبا ورهبا وقيل لاخوف عليهم امامهم فليس شئ أعظم في صدر الذي يموت مما بعد الموت فامنهم الله تعالى ثم سلاهم فقال لهم ولاهم يحزنون على ماخلفوه بعد وفاتهم في الدنيا ثم ان الائمة خصصوا نفي الخوف والحزن بالآخرة لان مجاري الامور في الدنيا لاتخلوا من مواجب الخوف والحزن وقال صلى الله عليه وسلم خص البلاء بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل قلنا المؤمن الراضي بقضاء الله وقدره لايرى شيأ من المكاره مكروها وانما مراده مراد حبيبه فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فبترك الارادة يصح نسبة العبودية وبالرضوان يحصل مفاتيح الجنان وينكشف الهموم والاحزان ويتساوى الفقر والوجدان وتثبت حقيقة الايمان والذين كفروا بخدهم مولاهم وكذبوا بآياتنا لاثباتهم حكمانهم بحسب مشتهاهم وهواهم أولئك أصحاب النار ملازموها دائما سرمدا سواء كانوا من الانس

أن يذبحوا بقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين قالوا وما البقرة والقتيل قال أقول لكم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وتقولون أتتخذنا هزوا قال أبو جعفر فقال الذين قيل لهم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة بعد ان علموا واستقر عندهم ان الذي أمرهم به موسى عليه السلام من ذلك عن أمر الله من ذبح بقرة جد وحق ادع لنا ربك يبين لنا ماهي فسألوا موسى أن يسأل ربه لهم ما كان الله قد كفاهم بقوله لهم اذبحوا بقرة لانه جل ثناؤه انما أمرهم بذبح بقرة من البقر أي بقرة شاؤا ذبحها من غير أن يحصر لهم ذلك على نوع منها دون نوع أو صنف دون صنف فقالوا بجفاء أخلاقهم وغلظ طبائعهم وسوء أفهامهم وتكلف ماقد وضع الله عنهم مؤنته تعنتا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لما قال لهم موسى أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين قالوا له يتعنتونه ادع لنا ربك يبين لنا ماهي فلما تكلفوا جهلا منهم ماتكلفوا من البحث عما كانوا قد كفوه من صفة البقرة التي أمروا بذبحها تعنتا منهم بنبيهم موسى صلوات الله عليه بعد الذي كانوا أظهروا له من سوء الظن به فيما أخبرهم عن الله جل ثناؤه بقولهم أتتخذنا هزوا عاقبهم عز وجل بان خص بذبح ما كان أمرهم بذبحه من البقر على نوع منها دون نوع فقال لهم جل ثناؤه اذ سألوه فقالوا ماهي ما صفتها وما حليتها حلها لنا لنعرفها قال انها بقرة لافارض ولا بكر يعني بقوله جل ثناؤه لافارض لامسنة هرمة يقال منه فرضت البقرة تفرض فروضا يعني بذلك أسنت ومن ذلك قول الشاعر

يارب ذي ضغن على فارض * له قروء كقروء الحائض

يعني بقوله فارض قديم يصف ضغنا قديما ومنه قول الآخر

له زجاج ولهاة فارض * هدلاء كالوطب نحاه الماخض

وبمثل الذي قلنا في تأويل فارض قال المتأولون ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا عبد السلام بن حرب عن خصيف عن مجاهد لا فارض قال لا كبيرة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أو عن عكرمة شك شريك لافارض قال الكبيرة حدثني محمد بن سعد قال أخبرني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لافارض الفارض الهرمة حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس لافارض يقول ليست بكبيرة هرمة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس لافارض الهرمة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لافارض الكبيرة حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد قوله لافارض قال الكبيرة حدثنا المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية لافارض يعني لاهرمة حدثت عن عمار قال ثنا أبو جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الفارض الهرمة حدثنا

أومن الجن أعاذنا الله منها بعميم فضله وجسيم طوله التأويل انكم تسجدون لله بالطبيعة الملائكة الروحانية اسجدوا لآدم بخلاف الطبيعة تعبدا ورقا وانقيادا للأمر وامتثالا لحكمي اسجدوا له تعظيما لشأن خلافته وتكريما للفضيلة المخصوصة به فمن سجد له فقد سجد لله تعالى كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اسجدوا لآدم لا لأجل آدم فان عبادتكم وطاعتكم لا توجب ثوابا لكم ولا تزيد في درجاتكم ولكن فائدتها تعود الى الانسان لقوله يسبحون بحمد (٢٦٠) ربهم ويستغفرون لمن في الارض ولان الانس ان يقتدي بهم في الطاعة ويتادب بآدابهم في امتثال الاوامر والانزجار عن الاباء والاستكبار كيلا يلحقه من اللعن والبعد ما لحق ابليس فسجدوا الا ابليس لانهم خلقوا من نور والنور من شأنه الانقياد والافاضة وانه خلق من نار والنار من شأنها الاستعلاء طبعا وكان من الكافرين لانه ستر الحق على آدم كما سمي ابليس لانه أبلس الحق ولا تقربا هذه الشجرة أي أبحت لك نعيم الجنة بما فيها وما كان لك فيها حق لانك ما عملت بعد عملا تستحق به الجنة فاعطني هذه الشجرة الواحدة منها وهي كلها لي وأنا خلقتها فان طمعت فيها أيضا فاعلم ان الانسان له همة عالية وحرص شديد لا تزال تقول جهنم حرصه هل من مزيد ولا تمتلئ حتى يضع الجبار فيها قدمه أي سابقة رحمته وعنايته سبقت رحمتي غضبي ثم انه أبيح له وزوجه مشتهيات النفس كلها فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقيل لهما اقتنعا بها ولا توقدا نار الفتنة على أنفسكما ولا تصبا من قربة المحبة ماء المحنة على رأسكما ولا تقربا شجرة المحبة وقد غرست لاجلها في الحقيقة يحبهم ويحبونه ولكن سبب النهي هو الدلال الذي يقتضيه غاية الجمال وأيضا لو لم ينه عنها فاعله ما فرغ لها لكثرة أنواع المرادات النفسانية وكانت المحبة غذاء روحه فذكرها كما قيل تعريض عليه فان الانسان حريص على ما منع وأيضا انه تعالى وسع أسباب الانبساط ولا تضيق عنه الامر آخرا شعر

وأدنيتني حتى اذا ما فتنتني * تقول نحل بالعصم سهل لاباطح تجاوبت عني حين لا لي حيلة * وغادرت ما غادرت بين الجوانح

خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه الجنة في جواره وزوجه حواء حتى شاهد جمال الحق في مرآة وجهها وأنبت شجرة المحبة بين يديه ثم منعه عنها وكان في ذلك المنع تذكير وتحريض أيضا كما مر ثم

الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال قال معمر قال قتادة الفارض الهرمة يقول ليست بالهرمة ولا البكر عوان بين ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدي الفارض الهرمة التي لا تلد وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الفارض الكبيرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولا بكر) والبكر من اناث البهائم وبني آدم ما لم يفتضه الفحل وهي مكسورة لم يسمع منه فعل ولا يفعل وأما البكر بفتح الباء فهو الفتي من الابل وانما عنى جل ثناؤه بقوله ولا بكر ولا صغيرة لم تلد كما حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا عبد السلام بن حرب عن خصيف عن مجاهد ولا بكر صغيرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد البكر الصغيرة حدثنا أبو كريب قال ثنا الحسن بن عطية قال ثنا شريك عن خصيف عن سعيد عن ابن عباس أو عكرمة شك ولا بكر قال الصغيرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس ولا بكر الصغيرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة ولا بكر ولا صغيرة حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ولا بكر ولا صغيرة ضعيفة حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ولا بكر يعني ولا صغيرة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله وحدثني يونس بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي في البكر لم تلد الا ولدا واحدا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (عوان) قال أبو جعفر العوان النصف التي قد ولدت بطنا بعد بطن وليست بنعت للبكر يقال منه قد عونت اذا صارت كذلك وانما معنى الكلام انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ولا يجوز أن يكون عوان الا مبتدأ لان قوله بين ذلك كناية عن الفارض والبكر فلا يجوز أن يكون مقدما عليهما ومنه قول الاخطل

وما بمكة من شمط محفلة * وما بيثرب من عون وابكار

وجمعهن عون يقال امرأة عوان من نسوة عون ومنه قول تميم بن أبي مقبل

وماتم كالدمى حور مدامعها * لم تيأس العيش ابكارا ولا عونا

وبقرة عوان وبقر عون قال وربما قالت العرب بقر عون مثل رسل يطلبون بذلك الفرق بين جمع عوان من البقر وجمع عانة من الحمر ويقال هذه حرب عوان اذا كانت حربا قد قوتل فيها مرة بعد مرة تمثيل ذلك بالمرأة التي ولدت بطنا بعد بطن وكذلك يقال حاجة عوان اذا كانت قد قضيت مرة بعد مرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب ان ابن زيد أنشده

قعود لدى الابواب طلاب حاجة * عوان من الحاجات أو حاجة بكرا

قال أبو جعفر والبيت للفرزدق وبنحو الذي قلنا في ذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن سعد الكندي ثنا عبد السلام بن حرب عن خصيف عن مجاهد عوان بين ذلك وسط قد ولدت بطنا أو بطنين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عوان قال العوان النصف حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد العوان النصف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أو عكرمة شك شريك عوان قال بين ذلك حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس عوان قال بين الصغيرة والكبيرة وهي أقوى ما تكون من البقر والدواب وأحسن ما تكون حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس عوان قال النصف حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية عوان نصف وحدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة العوان نصف بين ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد عوان التي تنتج شيأ بشرط أن تكون التي قد نتجت بكرة أو بكرتين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي العوان النصف التي بين ذلك التي قد ولدت وولد ولدها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد العوان بين ذلك ليست ببكر ولا كبيرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (بين ذلك) يعني بقوله بين ذلك بين البكر والهرمة كما حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية بين ذلك أي بين البكر والهرمة فان قال قائل قد علمت ان بين لا تصلح الا أن تكون مع شيئين فصاعدا فكيف قيل بين ذلك وذلك واحد في اللفظ قيل انما صلحت مع كونها واحدة لان ذلك بمعنى اثنين والعرب تجمع في ذلك وذاك شيئين ومعنيين من الافعال كما يقول القائل أظن أخاك قائما وكان عمرو أباك ثم يقول قد كان ذاك وأظن ذلك فيجمع بذلك وذاك الاسم والخبر الذي كان لا بد للظن وكان منهما فمعنى الكلام قال انه يقول انها بقرة لا مسنة هرمة ولا صغيرة لم تلد ولكنها بقرة نصف قد ولدت بطنا بعد بطن بين الهرم والشباب فجمع ذلك معنى الهرم والشباب لما وصفنا ولو كان مكان الفارض والبكر اسما شخصين لم يجمع مع بين ذلك وذلك ان ذلك لا يؤدي عن اسم شخصين وغير جائز لمن قال كنت بين زيد وعمرو ان يقول كنت بين ذلك وانما يكون ذلك مع أسماء الافعال دون أسماء الاشخاص ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فافعلوا ما تؤمرون) يقول الله لهم جل ثناؤه افعلوا ما آمركم به تدركوا حاجاتكم وطلباتكم عندي واذبحوا البقرة التي أمرتكم بذبحها تصلوا بانتهائكم الى طاعتي بذبحها الى العلم بقاتل قتيلكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء) ومعنى ذلك قال قوم موسى لموسى ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها أي لون البقرة التي أمرتنا بذبحها وهذا أيضا تعنت آخر منهم بعد الاول وتكلف طلب ما قد كانوا كفوه في المرة الثانية والمسئلة الآخرة وذلك انهم لم يكونوا حصروا في المرة الثانية اذ قيل لهم بعد مسئلتهم عن حلية البقرة التي كانوا أمروا بذبحها فابوا الا تكلف ما قد كفوه من المسألة عن صفتها فحصروا على نوع دون سائر الانواع عقوبة من الله لهم على مسألتهم التي سألوها نبيهم صلى الله عليه وسلم تعنتا منهم له ثم لم يحصرهم على لون منها دون لون فابوا الا تكلف ما كانوا عن تكلفه أغنياء فقالوا تعنتا منهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن عباس ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها فقيل

عاتبه بقوله فتكونا من الظالمين وهذا كما أسكر موسى بأقداح الكلام وأذاقه لذة شراب السماع وقربه نجيا حتى اشتاق الى نعمة الرؤية فمنع في وصاله وقال رب أرني عاتبه بسطوة لن تراني وذلك ان البلاء والولاء توأمان والمحبة والمحنة رضيعا لبان والمطلوب كلما كان أرفع كان أعز وأمنع والجمال لابد له من الدلال وبه يتميز العاشق الصادق من المدعي المختال فلما ذاقا شجرة الغرام خرجا من دار السلام فما لأهل الغرام ودار السلام وأين الفارغ السالي من المحب الغالي شعر فبتنا على رغم الحسود وبيننا * حديث كطيب المسك شيب به الخمر
فلما أضاء الصبح فرق بيننا * وأي نعيم لا يكدره الدهر
وبالجملة فلما جاء القضاء ضاق القضاء فلم يمس بعد ان كان مسجود الملك مرفوع السماك الى السمك مشمول الرعاية موفور العناية حتى نزع عنه لباس الامن والفراغ وبدل باستئناسه الاستيحاش يدفعونه الملائكة بعنف أن اخرج من غير مكث ولا بحث فازلتهما يد التقدير بحسن التدبير وكان الشيطان المسكين كذئب يوسف لطخ خرطومه بدم نصح فلما وقعا من القربة في الغربة ومن الالفة في الكلفة لما ذاقا من شجرة المحبة الموروثة للمحنة استوحشا من كل شئ واتخذا عدوا بعضكم لبعض عدو وهكذا شرط المحبة عداوة ما سوى المحبوب فكما ان ذاته لا تقبل الشركة في التعبد كذلك لا تقبل الشركة في المحبة فلما استقرت حبة المحبة في أرض قلب آدم جعل الارض مستقر شخصه ليتمتع بتربية بذر المحبة بماء الطاعة والتكليف الى حين ادراك ثمرة المعرفة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال صلى الله عليه وسلم ان داود قال يارب لم خلقت الخلق فقال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان أعرف فخلقت الخلق لاعرف ثم انه بعد ما ابتلى بالهبوط بشره بان وحيه لا ينقطع وهدايته لا ترتفع وان من ربى بذر المحبة بماء الطاعة والطاعة فلا خوف عليه في المستقبل ولا هم يحزنون على ما مضى من الهبوط الى الارض لانهم يرجعون بجذبات العناية والهداية الى ذي حظائر القدس وبالله التوفيق (يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم واياي فارهبون وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب

لهم عقوبة لهم انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين فحصروا على لون منها دون لون ومعنى ذلك ان البقرة التي أمرتكم بذبحها صفراء فاقع لونها قال ومعنى قوله يبين لنا ما لونها أي شيء لونها فلذلك كان اللون مرفوعا لانه مرفوع بما وانما لم ينصب بقوله يبين لنا لان أصل أي وما جمع متفرق الاستفهام كقول القائل بين لنا أسوداء هذه البقرة أم صفراء فلما لم يكن كقوله بين لنا ارتفع على الاستفهام منصرفا ⁷لم يكن له ارتفع على أي لانه جمع ذلك المتفرق وكذلك كل ما كان من نظائره فالعمل فيه واحد في ما وأي واختلف أهل التأويل في معنى قوله صفراء فقال بعضهم معنى ذلك سوداء شديدة السواد ذكر من قال ذلك منهم **حدثني** أبو مسعود اسمعيل بن مسعود الجحدري قال ثنا نوح بن قيس عن محمد بن سيف عن الحسن صفراء فاقع لونها قال سوداء شديدة السواد **حدثني** أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبي زائدة والمثنى بن ابراهيم قالا ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا نوح بن قيس عن محمد بن سيف عن أبي رجاء عن الحسن مثله وقال آخرون معنى ذلك صفراء القرن والظلف ذكر من قال ذلك **حدثني** هشام بن يونس النهشلي قال ثنا حفص بن غياث عن أشعث عن الحسن في قوله صفراء فاقع لونها قال صفراء القرن والظلف **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال حدثني هشيم قال أخبرنا جويبر عن كثير بن زياد عن الحسن في قوله صفراء فاقع لونها قال كانت وحشية **حدثني** يعقوب قال ثنا مروان بن معاوية عن ابراهيم عن أبي حفص عن مغراء أو عن رجل عن سعيد بن جبير بقرة صفراء فاقع لونها قال صفراء القرن والظلف **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هي صفراء **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا الضحاك بن مخلد عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انها بقرة صفراء فاقع لونها قال لو أخذوا بقرة صفراء لاجزأت عنهم قال أبو جعفر وأحسب أن الذي قال في قوله صفراء يعني به سوداء ذهب الى قوله في نعت الابل السود هذه ابل صفر وهذه ناقة صفراء يعني بها سوداء وانما قيل ذلك في الابل لان سوادها يضرب الى الصفرة ومنه قول الشاعر

تلك خيلي منها وتلك ركابي * هن صفر أولادها كالزبيب

يعني بقوله هن صفر هن سود وذلك ان وصفت الابل به فليس مما توصف به البقر مع ان العرب لا تصف السواد بالفقوع وانما تصف السواد اذا وصفته بالشدة بالحلوكة ونحوها فتقول هو أسود حالك وحانك وحلكوك واسود غربيب ودجوجي ولا تقول هو أسود فاقع وانما تقول هو أصفر فاقع فوصفه اياه بالفقوع من الدليل البين على خلاف التأويل الذي تأول قوله انها بقرة صفراء فاقع المتأول بان معناه سوداء شديدة السواد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فاقع لونها) يعني خالص لونها والفقوع في الصفر نظير النصوع في البياض وهو شدته وصفاؤه كما **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال قتادة فاقع لونها هي الصافي لونها **حدثني** المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية فاقع لونها أي صاف لونها **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فاقع قال نقي لونها **حدثني** محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فاقع لونها شديدة الصفرة تكاد من صفرتها تبيض قال أبو جعفر أراه

⁷ هكذا هذه العبارة وفي بعض النسخ زيادة وصوب بعبارة منصرفة لاي أي ما انصرفت لاي تأمل اه مصححه

أفلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) القراآت اسرائيل بغير همزة حيث كان يزيد وحمزة في الوقف نعمتي وكذلك ما بعدها ساكنة الياء أبو زيد عن المفضل فارهبوني فاتقوني بالياء في الحالين يعقوب وكذلك كل ياء محذوفة في الخط عند رأس الآية وروى مسبح بن حاتم وابن زيد عن سهل وعباس بالياء في الوصل أول كافر بمالة قتيبة وأحمد ابن فرج * الوقوف فارهبون ٥ ربع الجزء كافر به ص لاتفاق الجملتين وعلى قليلا أجوز لاختلاف النظم بتقديم المفعول فاتقون ٥ تعلمون ٥ الراكعين ٥ الكتاب ط تعقلون ٥ الصلاة ط خاشعين لا لان الذين صفتهم راجعون ٥ * التفسير انه تعالى لما أقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ثم ذكر الانعامات العامة للبشر ومن جملتها خلق آدم الى تمام قصته أردفها الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود الآنة لشكيمتهم واستمالة لقلوبهم وتنبيها على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث كونه اخبارا بالغيب مدرجا في مطاوي ذلك مما يرشدهم الى أصول الاديان ومكارم الاخلاق واسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم غير منصرف للعلمية والعجمة المعتبرة نقله ومعناه صفوة الله وقيل عبد الله لان اسر بالعبرية هو العبد وايل الله وقوله يا بني اسرائيل خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في أيام محمد صلى الله عليه وسلم وحد النعمة وما يتعلق بها قد سبق في تفسير الفاتحة والعائد من صلته محذوف أي أنعمت بها عليكم قال بعض العارفين عبيد النعم كثيرة وعبيد المنعم قليلون فان الله تعالى ذكر بني اسرائيل نعمه عليهم ولما آل الامر الى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ذكرهم المنعم فقال اذكروني أذكركم عن ابن عباس أنه قال من نعمه تعالى على بني اسرائيل ان نجاهم من آل فرعون وظلل عليهم في التيه الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وأعطاهم حجرا مثل رأس الرجل يسقيهم وأعطاهم عمودا من النور يضيء لهم بالليل وكانت رؤسهم لا تتشعث وثيابهم لا تبلى ابيض وفي تذكيرهم هذه النعم فوائد منها ان فيها ما يشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوراة والانجيل والزبور ومنها ان كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكرهم اياها يحذرهم المخالفة ويدعوهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ومنها ان تذكر النعم الكثيرة يوجب الحياء من اظهار المخالفة ومنها ان كثرة النعم يفيد ان النعم خصهم بها من بين سائر الناس ومن خص

أحدا بنعم كثيرة فالظاهر أنه لا يزيلها عنهم كما قيل اتمام المعروف خير من ابتدائه فتذكير النعم السالفة مطمع في النعم الآتية وذلك الطمع يمنع من اظهار المخالفة والمخاصمة والنعمة على الآباء نعمة على الابناء اذ لولاها لم يبق نسلهم ولان الانتساب الى آباء خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد ولانهم اذا علموا ان آباءهم انما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا في هذه الطريقة لان الابن مجبول على اتباع الاب ومن أشبه أباه فما ظلم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال أوفيت بعهدي

أي بما عاهدت عليه وأوفيت بعهدك أي بما عاهدتك عليه والمعنى أوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي أوف بعهدكم أي أرض عنكم وأدخلكم الجنة حكاه الضحاك عن ابن عباس وتحقيقه في قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله وقيل المراد من هذا العهد ما أثبته في الكتب المتقدمة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه سيبعثه واليه الاشارة في قوله ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وفي الاعراف فسأكتبها للذين يتقون الآية وفي آل عمران واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم وفي الصف واذ قال عيسى بن مريم وعن ابن عباس ان الله كان عهد الى بني اسرائيل في التوراة اني باعث من بني اسمعيل نبيا أميا فمن تبعه وصدق بالنور الذي يأتي به أي بالقرآن غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين أجرا باتباع ما جاء به موسى وجاءت به سائر أنبياء بني اسرائيل وأجرا باتباع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم النبي الامي الذي من ولد اسمعيل وتصديق هذا في القرآن يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وعن أبي موسى الاشعري مرفوعا ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بعيسى ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فله أجران ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران ورجل أطاع الله وأطاع سيده فله أجران فان قيل [illegible] فكيف يجوز [illegible] جماعتهم جحده صلى الله عليه وسلم [illegible] العهد [illegible] صلى الله عليه وسلم واما الآن

أبيض حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاقع لونها قال شديدة صفرتها يقال منه فقع لونه يفقع ويفقع فقعا وفقوعا فهو فاقع كما قال الشاعر

حملت عليه الورد حتى تركته * ذليلا يسف الترب واللون فاقع

۞ القول في تأويل قوله تعالى (تسر الناظرين) يعني بقوله تسر الناظرين تعجب هذه البقرة في حسن خلقها ومنظرها وهيئتها الناظر اليها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة تسر الناظرين أي تعجب الناظرين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل ابن عبد الكريم قال حدثني عبد الصمد بن معقل انه سمع وهبا تسر الناظرين اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي تسر الناظرين قال تعجب الناظرين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون) قال أبو جعفر يعني بقوله قالوا قال قوم موسى الذين أمروا بذبح البقرة لموسى فترك ذكر موسى وذكر عائد ذكره اكتفاء بما دل عليه ظاهر الكلام وذلك ان معنى الكلام قالوا له ادع ربك فلم يذكر له لما وصفنا وقوله يبين لنا ما هي خبر من الله عن القوم بجهلة منهم ثالثة وذلك انهم لو كانوا اذ أمروا بذبح البقرة ذبحوا أيتها تيسرت مما يقع عليه اسم بقرة كانت عنهم مجزئة ولم يكن عليهم غيرها لانهم لم يكونوا كلفوها بصفة دون صفة فلما سألوا بيانها بأي صفة هي فبين لهم انها بسن من الاسنان دون سن سائر الاسنان فقيل لهم هي عوان بين الفارض والبكر الضرع فكانوا اذا بينت لهم سنها لو ذبحوا أدنى بقرة بالسن التي بينت لهم كانت عنهم مجزئة لانهم لم يكونوا كلفوها بغير السن التي حدت لهم ولا كانوا حصروا على لون منها دون لون فلما أبوا الا أن تكون معرفة لهم بنعوتها مبينة بحدودها التي تفرق بينها وبين سائر بهائم الارض فشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم بكثرة سؤالهم نبيهم واختلافهم عليه ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم لامته ذروني ما تركتكم فانما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوه واذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ما استطعتم قال أبو جعفر ولكن القوم لما زادوا نبيهم موسى صلى الله عليه وسلم أذى وتعنتا زادهم الله عقوبة وتشديدا كما حدثنا أبو كريب قال ثنا هشام بن علي عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها لكنهم شددوا فشدد الله عليهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال لو انهم أخذوا أدنى بقرة لاجزأت عنهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب وحدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن هشام بن حسان جميعا عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني قال سألوا وشددوا فشدد عليهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال لو أخذ بنو اسرائيل بقرة لاجزأت عنهم ولولا قولهم وانا ان شاء الله لمهتدون لما وجدوها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة لو أخذوا بقرة ما كانت لاجزأت عنهم قالوا ادع لنا ربك

ذلك النص كان نصا نخفيا لعدم تعيين الزمان والمكان بحيث يعرفه كل أحد فجاز وقوع الشكوك والشبهات فيه جاء في الفصل التاسع من السفر الاول من التوراة ان هاجر لما غضبت عليها سارة تراآى لها ملك الله تعالى فقال لها ياهاجر أين تريدين قالت أهرب من سيدتي سارة فقال ارجعي الى سيدتك واخفضي لها فان الله سيكثر زرعك وذريتك ستحبلين وتلدين ابنا تسميه اسمعيل من أجل ان الله سمع خشوعك وهو يكون عينا بين الناس وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع فقيل هذا الكلام خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لايتجاسرون على الدخول في أوائل العراق وأوائل الشام الاعلى أتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الخافقين بالاسلام وما حاربوا الامم ووطئوا بلادهم ومازجتهم الامم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة وإياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته أي زيدا رهبت رهبته بتقديم المفعول للاختصاص وتقديره واياي ارهبوا فارهبون وهو أوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لمكان الفاء المؤذنة بتلازم ماقبلها وما بعدها أي ان كنتم راهبين شيأ فارهبون ومن قبل التكرير ولاجل الاضمار والتفسير والرهبة هي الخوف والخوف اما من العقاب وهو نصيب أهل الظاهر واما من الجلال وهو وظيفة أرباب القلوب والاول يزول والثاني لايزول ومن كان خوفه في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر وبالعكس يروى أنه ينادي مناد يوم القيامة وعزتي وجلالي اني لاأجمع على عبدي خوفين ولا أمنين من أمنني في الدنيا خوفته يوم القيامة ومن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة قوله وآمنوا معطوف على اذكروا والمراد بما أنزلت القرآن ومصدقا حال مؤكدة من الراجع المحذوف وفيه تفسيران أحدهما ان في القرآن ان موسى وعيسى حق والتوراة والانجيل حق والتوراة أنزل على موسى والانجيل ومذهبهم على عيسى فكان الايمان بالقرآن مؤكدا للايمان بالتوراة والانجيل والثاني انه حصلت البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن في التوراة والانجيل فكان الايمان بمحمد والقرآن تصديقا للتوراة والانجيل والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تكذيبا لهما وفي هذا التفسير دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة أن شهادة كتب الانبياء لاتكون الا حقا ومن جهة أنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن كتبهم

يبين لنا ماهي قال انه يقول انها بقرة لافارض ولابكر قال لو أخذوا بقرة من هذا الوصف لاجزأت عنهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قال لو أخذوا بقرة صفراء لاجزأت عنهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال انه يقول انها بقرة لافارض الآية **حدثني** المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه وزاد فيه ولكنهم شددوا فشدد عليهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد لو أخذوا بقرة ما كانت أجزأت عنهم قال ابن جريج قال لي عطاء لو أخذوا أدنى بقرة كفتهم قال ابن جريج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أمروا بادنى بقرة ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد الله عليهم وأيم الله لو انهم لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد **حدثني** المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال لو ان القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها لكانت اياها ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ولولا ان القوم استثنوا فقالوا وانا ان شاء الله لمهتدون لما هدوا اليها أبدا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انما أمر القوم بادنى بقرة ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد عليهم والذي نفس محمد بيده لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس قال لو عرضوا بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا وتعنتوا موسى فشدد الله عليهم **حدثنا** أبو كريب قال قال أبو بكر بن عياش قال ابن عباس لو ان القوم نظروا أدنى بقرة يعني بني اسرائيل لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم فاشتروها بملء جلدها دنانير **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لو أخذوا بقرة كما أمرهم الله كفاهم ذلك ولكن البلاء في هذه المسائل فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي فشدد عليهم فقال انه يقول انها بقرة لافارض ولابكر عوان بين ذلك فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قال وشدد عليهم أشد من الاول فقرأ حتى بلغ مسلمة لاشية فيها فأبوا أيضا فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون فشدد عليهم فقال انه يقول انها بقرة لاذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها قال فاضطروا الى بقرة لايعلم على صفتها غيرها وهي صفراء ليس فيها سواد ولا بياض قال أبو جعفر وهذه الاقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم من قولهم ان بني اسرائيل لو كانوا أخذوا أدنى بقرة فذبحوها أجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم من أوضح الدلالة على ان القوم كانوا يرون ان حكم الله فيما أمر ونهى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم على العموم الظاهر دون الخصوص الباطن الا أن يخص بعض ما عمه ظاهر التنزيل كتاب من الله أو رسول الله وان التنزيل أو الرسول ان خص بعض ما عمه ظاهر التنزيل بحكم خلاف مادل عليه الظاهر فالمخصوص من ذلك خارج من حكم الآية التي عمت ذلك الجنس خاصة وسائر حكم الآية على العموم على نحو ماقد بيناه في كتابنا كتاب الرسالة من لطيف القول في البيان عن أصول الاحكام في قولنا في العموم والخصوص وموافقة قولهم في ذلك قولنا

ومذهبهم مذهبنا وتخطئتهم قول القائلين بالخصوص في الاحكام وشهادتهم على فساد قول من قال حكم الآية الجائية بمجيء العموم على العموم ما لم يختص منها بعض ما عمته الآية فان خص منها بعض فحكم الآية حينئذ على الخصوص فيما خص منها وسائر ذلك على العموم وذلك ان جميع من ذكرنا قوله آنفا ممن عاب على بني اسرائيل مسألتهم نبيهم صلى الله عليه وسلم عن صفة البقرة التي أمروا بذبحها وسنها وحليتها رأوا انهم كانوا في مسألتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى ذلك مخطئين وانهم لو كانوا استعرضوا أدنى بقرة من البقر اذ أمروا بذبحها بقوله ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فذبحوها كانوا للواجب عليهم من أمر الله في ذلك مؤدين وللحق مطيعين اذ لم يكن القوم حصروا على نوع من البقر دون نوع وسن دون سن ورأوا مع ذلك انهم اذا سألوا موسى عن سنها فأخبرهم عنها وحصرهم منها على سن دون سن ونوع دون نوع وخص من جميع أنواع البقر نوعا منها كانوا في مسألتهم اياه في المسألة الثانية بعد الذي خص لهم من أنواع البقر من الخطا على مثل الذي كانوا عليه من الخطا في مسألتهم اياه المسألة الاولى وكذلك رأوا انهم في المسألة الثالثة على مثل الذي كانوا عليه من ذلك في الاولى والثانية وان اللازم كان لهم في الحالة الاولى استعمال ظاهر الامر وذبح أي بهيمة شاؤا مما وقع عليها اسم بقرة وكذلك رأوا ان اللازم كان لهم في الحال الثانية استعمال ظاهر الامر وذبح أي بهيمة شاؤا مما وقع عليها اسم بقرة عوان لا فارض ولا بكر ولم يروا ان حكمهم اذ خص لهم بعض البقر دون البعض في الحالة الثانية انتقل عن اللازم الذي كان لهم في الحالة الاولى من استعمال ظاهر الامر الى الخصوص ففي اجماع جميعهم على ما روينا عنهم من ذلك مع الرواية التي رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموافقة لقولهم دليل واضح على صحة قولنا في العموم والخصوص وان أحكام الله جل ثناؤه في آي كتابه فيما أمر ونهى على العموم ما لم يخص ذلك ما يجب التسليم له وانه اذا خص منه شيء فالمخصوص منه خارج حكمه من حكم الآية العامة الظاهر وسائر حكم الآية على ظاهرها العام ويؤيد حقيقة ما قلنا في ذلك وشاهد عدل على فساد قول من خالف قولنا فيه وقد زعم بعض من عظمت جهالته واشتدت حيرته ان القوم انما سألوا موسى ما سألوا بعد أمر الله اياهم بذبح بقرة من البقر لانهم ظنوا انهم أمروا بذبح بقرة بعينها خصت بذلك كما خصت عصا موسى في معناه فسألوه أن يحليها لهم ليعرفوها ولو كان الجاهل تدبر قوله هذا لسهل عليه ما استصعب من القول وذلك انه استعظم من القوم مسألتهم نبيهم ما سألوه تشددا منهم في دينهم ثم أضاف اليهم من الامر ما هو أعظم مما استنكره أن يكون كان منهم فزعم انهم كانوا يرون انه جائز أن يفرض الله عليهم فرضا ويتعبدهم بعبادة ثم لا يبين لهم ما يفرض عليهم ويتعبدهم به حتى يسألوا بيان ذلك لهم فأضاف الى الله تعالى ذكره ما لا يجوز اضافته اليه ونسب القوم من الجهل الى ما لا ينسب المجانين اليه فزعم انهم كانوا يسألون ربهم أن يفرض عليهم الفرائض فنعوذ بالله من الحيرة ونسأله التوفيق والهداية وأما قوله ان البقر تشابه علينا فان البقر جماع بقرة وقد قرأ بعضهم ان الباقر وذلك وان كان في الكلام جائزا لمجيئه في كلام العرب وأشعارها كما قال ميمون بن قيس

وما ذنبه ان عافت الماء باقر * وما ان يعاف الماء الا ليضربا

ولم يكن له صلى الله عليه وسلم معرفة بذلك الامر قبل الوحي ولا تكونوا أول كافر به صلى الله عليه وسلم أي أول من كفر به صلى الله عليه وسلم أو أول فريق أو فوج كافر به صلى الله عليه وسلم أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقوله كسانا حلة أي كل واحد منا وههنا سؤال ان الاول كيف جعلوا أول من كفر به صلى الله عليه وسلم وقد سبقهم الى الكفر به صلى الله عليه وسلم مشركو العرب وفي الجواب وجوه * الاول انه تعريض وانه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به صلى الله عليه وسلم لمعرفتهم به صلى الله عليه وسلم وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان محمد صلى الله عليه وسلم والمستفتحين به على الذين كفروا وكانوا يعدون اتباعه أولى الناس كلهم فلما بعث كان أمرهم على العكس فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به * الثاني ولا تكونوا مثل أول كافر به يعني من أشرك به صلى الله عليه وسلم من أهل مكة أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه صلى الله عليه وسلم موصوفا في التوراة مثل من لم يعرفه صلى الله عليه وسلم لانه لا كتاب له * الثالث ولا تكونوا أول كافر به من أهل الكتاب لان هؤلاء كانوا أول من كفر به وبالقرآن من بني اسرائيل * الرابع ولا تكونوا أول كافر به يعني بكتابكم يقول ذلك لعلمائهم لان تكذيبكم بمحمد صلى الله عليه وسلم يوجب تكذيبكم بكتابكم * الخامس المراد بيان تغليظ كفرهم وذلك ان السابق الى الكفر كفره غليظ من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل لها والكافر عن دليل ومعرفة بما يوجب الايمان كفره أغلظ ممن كفر ولا دليل له على الايمان فاشتركا من هذا الوجه فصح اطلاق أحدهما على الآخر * السادس ولا تكونوا أول من جحد مع المعرفة * السابع أول فريق كفر من اليهود لان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وبها قريظة والنضير فكفروا ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر * الثامن ولا تكونوا أول الكافرين به صلى الله عليه وسلم عند سماع ذكر [illegible] صلى الله عليه وسلم بين [illegible] تثبتوا وراجعوا عقولكم [illegible] صلى الله عليه وسلم * السؤال الثاني كيف يجوز لهم الكفر [illegible] أولا [illegible] جواب ليس في ذكر الشيء دلالة على أن ما عداه بخلافه [illegible] في قوله وآمنوا دلالة على أن كفرهم [illegible] [illegible] بما ثمنا كثيرا وقوله رفع [illegible] فقيل لهم لا تكفروا

بمحمد صلى الله عليه وسلم فانه سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا أنتم أول الكفار فانه يكون عليكم وزر من كفر الى يوم القيامة والاشتراء استعارة للاستبدال كما قلنا فى اشتروا الضلالة بالهدى أى لا تستبدلوا بآياتى ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل هو الرياسة التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو تبعوا دين الاسلام وقيل الثمن هو الرشى التى يأخذها علماؤهم على تحريف الكلم عن مواضعه وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع (٢٦٦) وإياى فاتقون مثل فإياى فارهبون وقيل الاتقاء انما يكون عند الجزم بحصول ما يتقى عنه فكان امرهم بالرهبة على أن جواز العقاب قائم ثم أمرهم بالتقوى على أن يقين العقاب قائم قوله ولا تلبسوا أمر بترك الاغواء والاضلال كما أن قوله وآمنوا أمر بترك الكفر والضلال ولا ضلال الغير طريقان لانه ان سمع الدلائل فاضلاله بتشويشها عليه وان لم يسمعها فاضلاله بكتمانها ومنعه من الوصول اليها قوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول وقوله وتكتموا المجزوم بلا المقدرة للنهى عطفا على النهى قبله اشارة الى القسم الثانى والباء التى فى بالباطل اما للوصل فى قولك لبست الشئ بالشئ خلطته به فكان المعنى ولا تكتبوا فى التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لا تميز بينهما واما للاستعانة كما فى كتبت بالقلم فالمعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا بباطلكم وهو الشبهات التى توردونها على السامعين وذلك أن النصوص الواردة فى التوراة والانجيل فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم كانت نصوصا خفية يحتاج فى معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتأملين كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق قيل ويجوز أن يكون وتكتموا منصوبا باضمار أن والواو بمعنى الجمع أى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن قلت لا وهذا التقدير يوهم أن يكون المحظور هو الجمع بين الامرين كالجمع بين أكل السمك وشرب اللبن حتى لو أتى بكل منهما منفردا عن الآخر جاز النهى الا أن يحمل ذلك على القرينة كما فى قوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا فلا يجوز أن يريد اصحاب أحدهما القرينة الاثم والكفر وأنتم تعلمون ما فى ضلال الخلق من عظيم الضرر لما عليكم يوما القيامة من سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها والنهى عن اللبس

وكما قال أمية

ويسوقون باقر الطود للسهل * مهازيل خشية أن تبورا

فغير جائزة القراءة به لمخالفته القراءة الجائية مجيء الحجة بنقل من لا يجوز عليه فيما نقلوه مجمعين عليه الخطأ والسهو والكذب وأما تأويل تشابه علينا فانه يعنى به التبس علينا والقراءة مختلفة فى تلاوته فبعضهم كانوا يتلونه تشابه علينا بتخفيف الشين ونصب الهاء على مثال تفاعل ويذكر الفعل وان كان البقر جماعا لان من شأن العرب تذكير كل فعل جمع كانت وحدانه بالهاء وجمعه بطرح الهاء وتأنيثه كما قال الله تعالى فى نظيره فى التذكير كأنهم أعجاز نخل منقعر فذكر المنقعر فهو من صفة النخل لتذكير لفظ النخل وقال فى موضع آخر كأنهم أعجاز نخل خاوية فأنث الخاوية وهى من صفة النخل بمعنى النخل لانها وان كانت فى لفظ الواحد المذكر على ما وصفنا قبل فهى جماع نخلة وكان بعضهم يتلوه ان البقر تشابه علينا بتشديد الشين وضم الهاء فيؤنث الفعل بمعنى تأنيث البقر كما قال أعجاز نخل خاوية ويدخل فى أول تشابه تاء تدل على تأنيثها ثم تدغم التاء الثانية فى شين تشابه لتقارب مخرجها ومخرج الشين فتصير شينا مشددة وترفع الهاء بالاستقبال والسلامة من الجوازم والنواصب وكان بعضهم يتلوه ان البقر يشابه علينا فيخرج يشابه مخرج الخبر عن الذكر كما ذكرنا من العلة فى قراءة من قرأ ذلك تشابه بالتخفيف ونصب الهاء غير أنه كان يرفعه بالياء التى يحدثها فى أول تشابه التى تأتى بمعنى الاستقبال وتدغم التاء فى الشين كما فعله القارئ فى تشابه بالتاء والتشديد والصواب فى ذلك من القراءة عندنا ان البقر تشابه علينا بتخفيف شين تشابه ونصب هائه بمعنى تفاعل لاجماع الحجة من القراءة على تصويب ذلك ورفعهم ما سواه عن القراآت ولا يعترض على الحجة بقول من يجوز عليه فيما نقل السهو والغفلة والخطأ وأما قوله وانا ان شاء الله لمهتدون فانهم عنوا وانا ان شاء الله لمبين لنا ما التبس علينا وتشابه من أمر البقرة التى أمرنا بذبحها ومعنى اهتدائهم فى هذا الموضع معنى تبينهم أى ذلك الذى لزمهم ذبحه مما سواه من أجناس البقر ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث) وتأويل ذلك قال موسى ان الله يقول ان البقرة التى أمرتكم بذبحها بقرة لا ذلول ويعنى بقوله لا ذلول أى لم يذللها العمل فمعنى الآية انها بقرة لم تذللها اثارة الارض باظلافها ولا سنى عليها الماء فيسقى عليها الزرع كما يقال للدابة التى قد ذللها الركوب أو العمل دابة ذلول بينة الذل بكسر الذال ويقال فى مثله من بنى آدم رجل ذليل بين الذل والذلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انها بقرة لا ذلول يقول صعبة لم يذلها عمل تثير الارض ولا تسقى الحرث حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى انها بقرة لا ذلول تثير الارض يقول بقرة ليست بذلول يزرع عليها وليست تسقى الحرث حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية انها بقرة لا ذلول أى لم يذللها العمل تثير الارض يعنى ليست بذلول فتثير الارض ولا تسقى الحرث يقول ولا تعمل الحرث حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع انها بقرة لا ذلول يقول لم يذلها العمل تثير الارض يقول تبين الارض باظلافها ولا تسقى الحرث يقول لا تعمل الحرث حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج قال الاعرج قال مجاهد قوله

والكتمان وان قيد بالعلم لم يدل على جوازهما حال عدم العلم لان السبب في ذكره ان الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضارا أفحش من الاقدام عليه عند الجهل بكونه ضارا والنهي وان كان خاصا لكنه عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه ثم لما أمرهم بذكر نعمته و بالايمان برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس والكتمان بين لهم ما لزمهم من أصول الشرائع فقال وأقيموا الصلاة أي التي عرفتموها بوصف النبي بناء على أنه لا يجوز تاخير بيان المجمل عن وقت الخطاب (١٦٧) وأما القائلون بجواز التاخير فقد جوزوا ورود

لاذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث يقول ليست بذلول فتفعل ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة ليست بذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث ويعني بقوله تثير الارض تقلب الارض للحرث يقال منه أثرت الارض أثيرها اثارة اذا قلبتها للزرع وانما وصفها جل ثناؤه بهذه الصفة لانها كانت فيما قيل وحشية حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن كثير بن زياد عن الحسن قال كانت وحشية ۞ القول في تاويل قوله تعالى (مسلمة) ومعنى مسلمة مفعلة من السلامة يقال منه سلمت تسلم فهي مسلمة ثم اختلف أهل التاويل في المعنى الذي سلمت منه فوصفها الله بالسلامة منه فقال مجاهد بما حدثنا به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مسلمة يقول مسلمة من الشية ولا شية فيها لا بياض فيها ولا سواد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد لا شية فيها قال مسلمة من الشية لا شية فيها لا بياض فيها ولا سواد وقال آخرون مسلمة من العيوب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مسلمة لا شية فيها أي مسلمة من العيوب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مسلمة يقول لا عيب فيها حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية مسلمة يعني مسلمة من العيوب حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس قوله مسلمة لا عوار فيها والذي قاله ابن عباس وأبو العالية ومن قال بمثل قولهما في تاويل ذلك أولى بتاويل الآية مما قاله مجاهد لان سلامتها لو كانت من سائر أنواع الالوان سوى لون جلدها لكان في قوله مسلمة مكتفى عن قوله لا شية فيها وفي قوله لا شية فيها ما يوضح عن ان معنى قوله مسلمة غير معنى قوله لا شية فيها واذ كان ذلك كذلك فمعنى الكلام انه يقول انها بقرة لم تذللها اثارة الارض وقلبها للحراثة ولا السنو عليها للمزارع وهي مع ذلك صحيحة مسلمة من العيوب ۞ القول في تاويل قوله تعالى (لا شية فيها) يعني بقوله لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وأصله من وشي الثوب وهو تحسين عيوبه التي تكون فيه بضروب مختلفة من ألوان سداه ولحمته يقال منه وشيت الثوب فأنا أشيه شية ووشيا ومنه قيل للساعي بالرجل الى السلطان أو غيره واش لكذبه عليه عنده وتحسينه كذبه بالاباطيل يقال منه وشيت به الى السلطان وشاية ومنه قول كعب بن زهير

تسعى الوشاة بجنبيها وقولهم * انك يا ابن أبي سلمى لمقتول

والوشاة جمع واش يعني انهم يتقولون بالاباطيل ويخبرونه انه ان لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم قتله وقد زعم بعض أهل العربية ان الوشي العلامة وذلك لا معنى له الا أن يكون أراد بذلك تحسين الثوب بالاعلام لانه معلوم ان القائل وشيت بفلان الى فلان غير جائز ان يتوهم عليه انه أراد جعلت له عنده علامة وانما قيل لا شية فيها وهي من وشيت لان الواو لما سقطت من أولها أبدلت مكانها الهاء في آخرها كما قيل وزنته زنة ووشيته شية ووعدته عدة ووديته دية وبمثل الذي قلنا في معنى قوله لا شية فيها

الامر بالصلاة وان لم يعرف حقيقتها ويكون المقصود ان يوطن السامع نفسه على الامتثال وان كان لا يعلم ان المامور به ما هو كما لو قال السيد لعبده اني آمرك غدا بشيء فلا بد ان تفعله ويكون الغرض ان يعزم العبد في الحال على أدائه في الوقت الثاني ومعنى الصلاة لغة وشرعا قد تقدم في أول البقرة وأما الزكاة فهي في اللغة الزيادة والنماء وفي الشرع القدر المخرج من النصاب لانها تزيد في بركة المخرج عنه ويمكن ان يقال ماخوذة من التطهير من زكى نفسه تزكية اذا مدحها وطهرها من العيوب قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فان المخرج يطهر ما بقي من المال قال صلى الله عليه وسلم عليك بالصدقة فان فيها ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما التي في الدنيا فتزيد في الرزق وتكثر المال وتعمر الدار وأما التي في الآخرة فتستر العورة وتصير ظلا فوق الرأس وتكون سترا من النار وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع وفي قوله واركعوا مع الراكعين وجوه أحدها أن اليهود لا ركوع في صلاتهم فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الاتيان بصلاة المسلمين وثانيها واركعوا مع المصلين ولا تكرار لان الاول أمر بالصلاة وهذا أمر بالجماعة وثالثها ان الركوع والخضوع لغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وأمرا بالتذلل للمؤمنين ثم انه سبحانه لما أمر بالايمان والشرائع بناء على ما خصهم به من العلم رغبهم في ذلك بناء على مأخذ آخر وهو ان التعادي عن عمل البر مع حث الناس عليه مستقبح في العقول والهمزة في أتأمرون للتقرير مع التقريع والتعجيب من حالهم والبر جمع لا عمل الخير ومنه بر الوالدين وهو طاعتهم وعمل مبرور مرضي واختلف في البر ههنا فقال

قال أهل التأويل حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لاشية فيها أي لابياض فيها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية لاشية فيها يقول لابياض فيها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لاشية فيها أي لابياض فيها ولا سواد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية لاشية فيها قال لونها واحد ليس فيها لون سوى لونها حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى لاشية فيها من بياض ولا سواد ولا حمرة حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لاشية فيها هي صفراء ليس فيها بياض ولا سواد حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع لاشية فيها يقول لابياض فيها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا الآن جئت بالحق) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله قالوا الآن جئت بالحق فقال بعضهم معنى ذلك الآن بينت لنا الحق فتبيناه وعرفنا انه بقرة عينت وممن قال ذلك قتادة حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا الآن جئت بالحق أي الآن بينت لنا وقال بعضهم ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن القوم انهم نسبوا نبي الله موسى صلوات الله عليه الى انه لم يكن يأتيهم بالحق في أمر البقرة قبل ذلك وممن روى عنه معنى هذا القول عبد الرحمن بن زيد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد اضطروا الى بقرة لا يعلمون على صفتها غيرها وهي صفراء ليس فيها سواد ولا بياض فقالوا هذه بقرة فلان الآن جئت بالحق وقبل ذلك والله قد جاءهم بالحق وأولى التأويلين عندنا بقوله قالوا الآن جئت بالحق قول قتادة وهو أن تأويله الآن بينت لنا الحق في أمر البقرة فعرفنا انها الواجب علينا ذبحها منها لان الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم انهم قد أطاعوه فذبحوها بعد قيلهم هذا مع غلظ مؤنة ذبحها عليهم وثقل أمرها فقال فذبحوها وما كادوا يفعلون وان كانوا قد قالوا بقولهم الآن بينت لنا الحق هزؤا من القول وأتوا خطأ وجهلا من الامر وذلك ان نبي الله صلى الله عليه وسلم موسى كان مبينا لهم في كل مسألة سألوها اياه ورددوه في أمر البقرة الحق وانما يقال الآن بينت لنا الحق لمن لم يكن مبينا قبل ذلك فأما من كان كل قيله فيما أبان عن الله تعالى ذكره حقا وبيانا فغير جائز أن يقال له في بعض ما أبان عن الله في أمره ونهيه وأدى عنه الى عباده من فرائضه التي أوجبها عليهم الآن جئت بالحق كأنه لم يكن جاءهم بالحق قبل ذلك وقد كان بعض من سلف يزعم ان القوم ارتدوا عن دينهم وكفروا بقولهم لموسى الآن جئت بالحق وزعم انهم نفوا أن يكون موسى أتاهم بالحق في أمر البقرة قبل ذلك وان ذلك من فعلهم وقيلهم كفر وليس الذي قال من ذلك عندنا كما قال لانهم أذعنوا بالطاعة بذبحها وان كان قيلهم الذي قالوه لموسى جهلة منهم وهفوة من هفواتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) يعني بقوله فذبحوها فذبح قوم موسى البقرة التي وصفها الله لهم وأمرهم بذبحها ويعني بقوله وما كادوا يفعلون أي قاربوا ان يدعوا ذبحها ويتركوا فرض الله عليهم في ذلك ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله كادوا أن يضيعوا

السدى انهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ويرتكبونها وقال ابن جريج يأمرون الناس بالصلاة والزكاة ويتركونهما أبو مسلم كانوا قبل مبعث النبي يخبرون مشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعو الى الحق ويرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وأعرضوا عن دينه الزجاج يأمرون الناس بالصدقة ويشحون بها وقيل يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل يأمرون غيرهم باتباع التوراة وانهم خالفوه لانهم وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ثم ما آمنوا به وقيل لعل المنافقين من اليهود كانوا يأمرون باتباعه في الظاهر ويكرهونه صلى الله عليه وسلم في الباطن فوبخهم الله على ذلك والنسيان هو السهو الحادث بعد حصول العلم والناسي غير مكلف فكيف يتوجه الذم على ما صدر عنه فالمراد وتغفلون عن حق أنفسكم وتعدلون عما لها فيه من النفع وأنتم تتلون الكتاب أي التوراة وتدرسونها وتعلمون ما فيها من أعمال البر ومن نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومن الوعيد على ترك البر ومخالفة القول العمل أفلا تعقلون وهو تعجيب للعقلاء من أفعالهم وكثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام للعلم به والتقدير أفعلتم ذلك فلا تعقلون وقس على هذا نظائره في القرآن فانها كثيرة وللتعجيب وجوه منها ان المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير الى المصالح وتحذيره عن المفاسد وارشاد النفس اليها وتحذيرها منها أهم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ ولم يتعظ فكأنه أتى بما لا يقبله العقل الصحيح ومنها ان مثل هذا الواعظ يصير سببا للمعصية لان الناس يقولون لولا ان هذا الواعظ مطلع على انه لا أصل لهذه التخويفات والا لما أقدم على المعاصي ويكون داعيا لهم الى التهاون بالدين والجرأة على المعاصي وهذا مناف للغرض من الوعظ ولا يليق بالعقلاء ومنها ان غرض الواعظ ترويج كلامه وتنفيذ مرامه فلو خالف الى ما نهى عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف المعقول قال بعضهم ليس للعاصي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر استدلالا بهذه الآية وبقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وبأن من زنى بامرأة يقبح منه ان ينكر عليها وأجيب بان المكلف مأمور بشيئين ترك المعصية ومنع الغير

فرض الله عليهم فى ذبح ما أمرهم بذبحه من ذلك فقال بعضهم ذلك السبب كان غلاء ثمن البقرة التى أمروا بذبحها وبينت لهم صفتها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا أبو معشر المدنى عن محمد بن كعب القرظى فى قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون قال لغلاء ثمنها حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد الهلالى قال ثنا عبد العزيز بن الخطاب قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى فذبحوها وما كادوا يفعلون قال من كثرة قيمتها حدثنا القاسم قال أخبرنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وحجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس فى حديث فيه طول ذكر ان حديث بعضهم دخل فى حديث بعض قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون لكثرة الثمن أخذوها بملء مسكها ذهبا من مال المقتول فكان سواء لم يكن فيه فضل فذبحوها حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فذبحوها وما كادوا يفعلون يقول كادوا لا يفعلوا ولم يكن الذى أرادوا لانهم أرادوا أن لا يذبحوها وكل شئ فى القرآن كاد وكادوا أولو فانه لا يكون وهو مثل قوله أكاد أخفيها وقال آخرون لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة ان أطلع الله على قاتل القتيل الذى اختصموا فيه الى موسى والصواب من التأويل عندنا ان القوم لم يكادوا يفعلوا ما أمرهم الله به من ذبح البقرة للخلتين كلتيهما أحدهما غلاء ثمنها مع ما ذكر لنا من صغر خطرها وقلة قيمتها والآخر خوف عظيم الفضيحة على أنفسهم باظهار الله نبيه موسى صلوات الله عليه واتباعه على قاتله فاما غلاء ثمنها فانه قد روى لنا فيه ضروب من الروايات فحدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى قال اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا فباعهم صاحبها اياها وأخذ ثمنها حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال اشتروها بملء جلدها دنانير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كانت البقرة لرجل يبر أمه فرزقه الله ان جعل تلك البقرة له فباعها بملء جلدها ذهبا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال حدثنى خالد بن يزيد عن مجاهد قال اعطوا صاحبها ملء مسكها ذهبا فباعها منهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل عن عبد الكريم قال حدثنى عبد الصمد بن معقل انه سمع وهبا يقول اشتروها منه على ان يملؤا له جلدها دنانير ثم ذبحوها فعمدوا الى جلد البقرة فملؤه دنانير ثم دفعوها اليه حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال وجدوها عند رجل يزعم انه ليس بائعها بمال أبدا فلم يزالوا به حتى جعلوا له أن يسلخوا له مسكها فيملؤه له دنانير فرضى به فاعطاهم اياها حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال لم يجدوها الا عند عجوز وانها سألتهم اضعاف ثمنها فقال لهم موسى اعطوها رضاها وحكمها ففعلوا واشتروها فذبحوها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة قال لم يجدوا هذه البقرة الا عند رجل واحد فباعها بوزنها ذهبا أو ملء مسكها ذهبا فذبحوها حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلمانى

منها والاخلال باحد التكليفين لا يقتضى الاخلال بالآخر والذم فى الآية مترتب على الشق الثانى وهو نسيان النفس لا على مجموع الأمرين قالوا وحديث القبح ممنوع قلت والحق انه مكابرة فعن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة أسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا أخى يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من أهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وقال صلى الله عليه وسلم ان فى النار رجلا يتأذى أهل النار بريحه فقيل من هو يا رسول الله قال عالم لا ينتفع بعلمه وقال صلى الله عليه وسلم مثل الذى يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضىء للناس ويحرق نفسه وعن الشعبى يطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لم دخلتم النار فانما دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وقيل من وعظ بالقول ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقيل عمل رجل فى ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل فى رجل روى ان يزيد بن هرون مات وكان واعظا زاهدا فرؤى فى المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لى وأول ما سألنى منكر ونكير فقالا من ربك فقلت أما تستحيان من شيخ دعا الناس الى الله كذا وكذا سنة فتقولان له من ربك وقيل للشبلى عند النزع قل لا اله الا الله فقال شعر * ان بيتا أنت ساكنه * غير محتاج الى السرج * ولما أمرهم الله تعالى بالايمان وترك الاضلال وبالتزام الشرائع وموافقة القول للفعل وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسات والاعراض عن المال والجاه عالج الله تعالى هذا المرض بقوله واستعينوا بالصبر والصلاة فكانه قيل واستعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا والدخول فيما تستثقله طباعكم من قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر أى حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم أنفسكم ذلك مرنت عليه وخف عليها ثم اذا ضممتم الصلاة الى ذلك كمل الامر لان المشتغل بالصلاة مشتغل بذكر لطفه وقهره فاذا تذكر لطفه مال الى الطاعة واذا تذكر قهره انتهى عن المعصية وقيل الصبر الصوم لانه حبس النفس عن المفطرات ومنه قيل لشهر الصبر شهر رمضان ومن حبس نفسه عن قضاء شهوتى البطن والفرج زالت عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلاة استنار القلب بانوار معرفة الله وانما قدم الصوم على الصلاة لان تأثير الصوم فى ازالة ما لا ينبغى وتأثير الصلاة فى

قال وجدوا البقرة عند رجل فقال انى لا أبيعها الا بملء جلدها ذهبا فاشتروها بملء جلدها ذهبا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد جعلوا يزيدون صاحبها حتى ملؤا له مسكها وهو جلدها ذهبا وأما صغر خطرها وقلة قيمتها فان الحسن بن يحيى حدثنا قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة قال حدثنى محمد بن سوقة عن عكرمة قال ما كان ثمنها الا ثلاثة دنانير وأما ما قلنا من خوفهم الفضيحة على أنفسهم فان وهب بن منبه كان يقول ان القوم اذ أمروا بذبح البقرة انما قالوا لموسى أتتخذنا هزوا لعلمهم بانهم سيفتضحون اذا ذبحت فحادوا عن ذبحها حدثت بذلك عن اسمعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه وكان ابن عباس يقول ان القوم بعد ان أحيا الله الميت فأخبرهم بقاتله أنكرت قتلته قتله فقالوا والله ما قتلناه بعد أن رأوا الآية والحق حدثنى بذلك محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس

القول فى تأويل قوله تعالى (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) يعنى جل ثناؤه واذ قتلتم نفسا واذكروا يا بنى اسرائيل اذ قتلتم نفسا والنفس التى قتلوها هى النفس التى ذكرنا قصتها فى تأويل قوله واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وقوله فادارأتم فيها يعنى فاختلفتم وتنازعتم وانما هو فتدارأتم فيها على مثال تفاعلتم من الدرء والدرء العود ومنه قول أبى النجم العجلى

خشية ضغام اذا هم جسر * يأكل ذا الدرء ويقصى من حقر

يعنى ذا العود والعسر ومنه قول رؤبة بن العجاج

أدركتها قدام كل مدرة * بالدفع عنى درء كل عنجه

ومنه الخبر الذى حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام عن اسرائيل عن ابراهيم بن المهاجر عن مجاهد عن السائب قال جاءنى عثمان وزهير ابنا أمية فاستأذنا لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أعلم به منكما ألم تكن شريكى فى الجاهلية قلت نعم بأبى أنت وأمى فنعم الشريك كنت لا تمارى ولا تدارى يعنى بقوله لا تدارى لا تخالف رفيقك وشريكك ولا تنازعه ولا تشاره وانما أصل فادارأتم فتدارأتم ولكن التاء قريبة من مخرج الدال وذلك ان مخرج التاء من طرف اللسان وأصول الشفتين ومخرج الدال من طرف اللسان وأطراف الثنيتين فادغمت التاء فى الدال فجعلت دالا مشددة كما قال الشاعر

تولى الضجيع اذا ما اشتاقها خصرا * عذب المذاق اذا ما اتابع القبل

يريد اذا ما تتابع القبل فادغم احدى التاءين فى الاخرى فلما أدغمت التاء فى الدال فجعلت دالا مثلها سكنت فجلبوا ألفا ليصلوا الى الكلام بها وذلك اذا كان قبله شئ لان الادغام لا يكون الا وقبله شئ ومنه قول الله جل ثناؤه حتى اذا اداركوا فيها جميعا انما هو تداركوا ولكن التاء منها أدغمت فى الدال فصارت دالا مشددة وجعلت فيها ألف اذا وصلت بكلام قبلها ليسلم الادغام واذا لم يكن قبل ذلك ما يواصله وابتدى به قيل تداركوا وتثاقلوا فجرفوا ظهروا الادغام وقد قيل يقال اداركوا وادارأوا وقد قيل ان معنى قوله فادارأتم فيها فتدافعتم فيها من قول القائل درأت هذا الامر عنى ومن قول الله ويدرؤ عنها العذاب بمعنى يدفع عنها العذاب وهذا قول قريب المعنى من القول الاول لان القوم انما تدافعوا قتل

خصول ما ينبغى والنفى مقدم على الاثبات ويجوز ان يراد بالصلاة الدعاء أى استعينوا على البلاء بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال فى دفعه الى فاطر الارض والسماء وهذا الخطاب وان كان خاصا ببنى اسرائيل والالزم تفكك النظم لكن المعنى على العموم فعلى كل مكلف ان يستعين على حوائجه الى الله بالصلاة والصبر على تكاليفها مراعيا فى ذلك ما يجب من الاخلاص وحسن الادب واستحضار العلم بانها انتصاب بين يدى الجبار العالم بالطويات والاسرار ومنه قوله وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ومن خواص الصلاة اندفاع البلايا وانكشاف الغموم والرزايا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وانها أى الصلاة أو الاستعانة أو جميع المأمورات والمنهيات فى هذه الآيات لكبيرة لشاقة ثقيلة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون يعلمون انهم ملاقوا جزاء ربهم وانهم الى حكمه راجعون فتصدر عنهم الاعمال مع طيب نفس وانشراح صدر وهذا بخلاف حال المنافقين الذين اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والعبد اذا لم يعتقد فى فعلها منفعة لا يؤاتيه طبعه فى الاشتغال بها وان كان زمانا يسيرا فتثقل عليه وانوجد حيث اعتقد فى فعلها أعظم المنافع وهو الفوز بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الاليم يهون عليه تزجية الاوقات بوظائف العبادات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى حتى تورمت قدماه ومع ذلك يقول يا بلال روحنا وجعلت قرة عينى فى الصلاة والخشوع والخضوع اخوان وهما التطامن والتواضع ومنه الخشعة للاكمة المتواضعة وفى الحديث كانت الارض خاشعة على الماء ثم دحيت والظن ههنا تفسيران أحدهما انه بمعنى العلم يجوز لان الظن هو الاعتقاد الذى يقارنه تجويز النقيض وتجويز النقيض يقارب فى البعث والنشور كفر فكيف يمدح به وسبب هذا التجوز انهم يشتركان فى رجحان الاعتقاد وان فارقه تجويز النقيض وعدمه فصح اطلاق أحدهما على الآخر ولاسيما اذا كان الظن عن أمارة قوية تقربه من العلم وثانيهما أن ملاقاة الله حقيقة ولكن الظن [illegible] وذلك مظنون لا معلوم وأما الموت الذى هو سبب اللقاء ووقته غير معلوم [illegible] قتيل

قتيل فانتفى كل فريق منهم أن يكون قاتله كما قد بيناقبل فيما مضى من كتابنا هـذا وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله فادارأتم فيها قال أهل التأويل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال حدثنى عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فادارأتم قال اختلفتم فيها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها قال بعضهم أنتم قتلتموه وقال الآخرون أنتم قتلتموه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فادارأتم فيها قال اختلفتم وهو التنازع تنازعوا فيه قال قال هؤلاء أنتم قتلتموه وقال هؤلاء لا وكان تدارؤهم فى النفس التى قتلوها كما حدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال صاحب البقرة رجل من بنى اسرائيل قتله رجل فالقاه على باب ناس آخرين فجاء أولياء المقتول فادعوا دمه عندهم فانتفوا وانتفلوا منه شك أبو عاصم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله سواء الا أنه قال فادعوا دمه عندهم فانتفوا ولم يشك فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قتيل كان فى بنى اسرائيل فقذف كل سبط منهم حتى تفاقم بينهم الشر حتى ترافعوا فى ذلك الى نبى الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله الى موسى ان اذبح بقرة فاضربه ببعضها فذكر لنا ان وليه الذى كان يطلب بدمه هو قتله من أجل ميراث كان بينهم حدثنى ابن سعد قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى شأن البقرة وذلك ان شيخا من بنى اسرائيل على عهد موسى كان مكثرا من المال وكان بنو أخيه فقراء لا مال لهم وكان الشيخ لا ولد له و بنو أخيه ورثته فقالوا ليت عمنا قد مات فورثنا ماله وانه لما تطاول عليهم ان لا يموت عمهم أتاهم الشيطان فقال هل لكم الى ان تقتلوا عمكم فترثوا ماله وتغرموا أهل المدينة التى لستم بها ديته وذلك انهما كانتا مدينتين كانوا فى أحدهما فكان القتيل اذا قتل وطرح بين المدينتين قيس ما بين القتيل وبين المدينتين فأيهما كانت أقرب اليه غرمت الدية وانهم لما سول لهم الشيطان ذلك وتطاول عليهم ان لا يموت عمهم عمدوا اليه فقتلوه ثم عمدوا فطرحوه على باب المدينة التى ليسوا فيها فلما أصبح أهل المدينة جاء بنو أخى الشيخ فقالوا عمنا قتل على باب مدينتكم فوالله لتغرمن لنا دية عمنا قال أهل المدينة نقسم بالله ما قتلنا ولا علمنا قاتلا ولا فتحنا باب مدينتنا منذ أغلق حتى أصبحنا وانهم عمدوا الى موسى فلما أتوا قال بنو أخى الشيخ عمنا وجدناه مقتولا على باب مدينتهم وقال أهل المدينة نقسم بالله ما قتلناه ولا فتحنا باب المدينة من حين أغلقناه حتى أصبحنا وان جبريل جاء بأمر ربنا السميع العليم الى موسى فقال قل لهم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فتضربوه ببعضها حدثنا القاسم قال ثنا حسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وحجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس دخل حديث بعضهم فى حديث بعض قالوا ان سبطا من بنى اسرائيل لما رأوا كثرة شرور الناس بنوا مدينة فاعتزلوا شرور الناس فكانوا اذا أمسوا لم يتركوا أحدا منهم خارجا الا أدخلوه واذا أصبحوا قام رئيسهم فنظر وتشرف فاذا لم ير شيئا فتح المدينة فكانوا مع الناس حتى يمسوا وكان رجل من بنى اسرائيل له مال كثير ولم يكن له وارث غير ابن أخيه فطال عليه حياته فقتله ليرثه ثم حمله فوضعه على باب المدينة ثم كمن

قتمنوا الموت ويحتمل أن يقال معناه على هذا التفسير الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم فان الانسان الخاشع قد يسىء ظنه بنفسه وباعماله فيغلب على ظنه انه يلقى الله بذنوبه فعند ذلك يتسارع الى التوبة وذلك من صفات المدح وبقى ههنا بحثان الاول استدل أهل السنة بالآية على جواز رؤية الله تعالى وأنكرها المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد الرؤية لقوله تعالى فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافق لا يرى ربه ولقوله واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ويشمل الكافر والمؤمن وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان وأجيب بان اللقاء فى اللغة وصول أحد الجسمين الى آخر اتصال التماس وهذا اللقاء سبب الادراك فحيث يمتنع حمله على أصله وجب حمله على الادراك لان اطلاق السبب على المسبب من أقوى وجوه المجاز فان منع من ذلك أيضا مانع أضمر بحسب ذلك فان الاضمار خلاف الاصل لا يصار اليه الا لمانع ففى قوله الى يوم يلقونه دعت الضرورة الى اضمار الجزاء ونحوه وفى الآية لا ضرورة فحمله على الادراك أولى البحث الثانى المراد من الرجوع الى الله الرجوع الى حكمه حيث لا مالك لهم سواه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما كانوا كذلك فى أول الخلق بخلاف أيام حياتهم فى الدنيا فانه قد يملك الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى قال المجسمة الرجوع الى غير الجسم محال فدل ذلك على كونه تعالى جسما وقال أهل التناسخ الرجوع الى الشئ مسبوق بالكون عنده فدلت الآية على كون الارواح قديمة ولا يخفى جوابهما والله أعلم (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) القراآت ولا تقبل بالتاء فوقانية ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف العالمين ○ ينصرون ○ * التفسير انما أعاد سبحانه هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحجة وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم كأنه قال ان لم تطيعونى لاجل سوالف نعمتى عليكم فاطيعونى لخوف عقابى فى مستقبل عمركم ومن ههنا ختم بعض المفسرين قصة بنى اسرائيل بقوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين كما بدأها به [illegible]

الشخص الذى سيوجد بعد ذلك لا يكون من جملة العالمين ويحتمل أن يكون لفظ العالمين عاما للموجودين ولمن سيوجد لكنه مطلق فى الفضل والمطلق يكفى فى صدقه صورة واحدة فالآية تدل على انهم فضلوا على كل العالمين فى أمر ما وهذا لا يقتضى أن يكونوا أفضل من كل العالمين فى كل الامور فلعل غيرهم يكون أفضل منهم فى أكثرها وقيل الخطاب لمؤمنى بنى اسرائيل لان عصاتهم مسخوا قردة وخنازير وفى جميع ما يخاطب الله تعالى بنى اسرائيل تنبيه للعرب لان الفضيلة بالنبى قد لحقتهم وجميع أقاصيص الانبياء تنبيه وارشاد

لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب روى عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول قد مضى والله بنو اسرائيل وما يعنى بما تسمعون غيركم واتقاء اليوم هو اتقاء ما يحصل فى ذلك اليوم من الشدائد والاهوال لان نفس اليوم لا يتقى وقوله لا تجزى الى آخر الآية جمل منصوبات المحل صفات متعاقبة لليوم والراجع منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزى فيه ومنهم من يقول اتسع فيه فاجرى مجرى المفعول فيه فحذف الجار وهو فى فبقى لا تجزيه ثم حذف الضمير كما حذف فى قوله أم مال أصابوا قال شعر

فما أدرى أغيرهم تناء * وطول العهد أم مال أصابوا

أى أصابوه ولا يخفى أن هذا التكليف لا يتمشى فى سائر الجمل بل يتعين تقدير الجار والمجرور والعائد ومعنى لا تجزى لا يقضى عنها شيأ شئ من الحقوق ومنه الحديث فى الجذعة التى ضحاها ابن نيار قبل الوقت تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك وشيأ مفعول به ويجوز أن يكون فى تقدير مصدر أى قليلا من الجزاء مثل ولا تظلمون شيأ ومعنى تنكير النفس أى نفسا من الانفس لا تجزى عن نفس منها شيأ من الاشياء وهو الاقناط لكلى القاطع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل أى فدية لانها معادلة للمفدى وفى الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل أى توبة لانها تصرف من الحال الذميمة الى الحال الجيدة ولا فداء والضمير فى ولا يقبل منها يرجع الى نفس الثانية العاصية غير المجزى عنها وهى التى لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة انها ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزى عنها شيأ ولو أعطت عدلا منها لم يؤخذ منها ولاهم ينصرون الضمير

فى مكان هو وأصحابه قال فتشرف رئيس المدينة على باب المدينة فنظر فلم ير شيأ ففتح الباب فلما رأى القتيل رد الباب فناداه ابن أخى المقتول وأصحابه هيهات قتلتموه ثم تردون الباب وكان موسى لما رأى القتل كثيرا فى أصحابه بنى اسرائيل كان اذا رأى القتيل بين ظهرى القوم آخذهم فكاد يكون بين أخى المقتول وبين أهل المدينة قتال حتى لبس الفريقان السلاح ثم كف بعضهم عن بعض فأتوا موسى فذكروا له شانهم فقالوا يارسول الله ان هؤلاء قتلوا قتيلا ثم ردوا الباب وقال أهل المدينة يارسول الله قد عرفت اعتزالنا الشرور وبنينا مدينة كما رأيت نعتزل شرور الناس ما قتلنا ولا علمنا قاتلا فاوحى الله تعالى ذكره اليه ان يذبحوا بقرة فقال لهم موسى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال كان فى بنى اسرائيل رجل عقيم وله مال كثير فقتله ابن أخ له فجره فالقاه على باب ناس آخرين ثم أصبحوا فادعاه عليهم حتى تسلح هؤلاء وهؤلاء فارادوا ان يقتتلوا فقال ذو النهى منهم أتقتتلون وفيكم نبى الله فامسكوا حتى أتوا موسى فقصوا عليه القصة فامرهم ان يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها فقالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قتيل من بنى اسرائيل طرح فى سبط من الاسباط فاتى أهل ذلك السبط الى ذلك السبط فقالوا أنتم والله قتلتم صاحبنا فقالوا لا والله فاتوا الى موسى فقالوا هذا قتيلنا بين أظهرهم وهم والله قتلوه فقالوا لا والله يانبى الله طرح علينا فقال لهم موسى صلى الله عليه وسلم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قال أبو جعفر فكان اختلافهم وتنازعهم وخصامهم نبيهم فى أمر القتيل الذى ذكرنا أمره على ما روينا عن علمائنا من أهل التاويل هو الدرء الذى قال الله جل ثناؤه لذريتهم وبقايا أولادهم فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ۞ القول فى تاويل قوله (والله مخرج ما كنتم تكتمون) ويعنى بقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون والله معلن ما كنتم تسرونه من قتل القتيل الذى قتلتم ثم ادارأتم فيه ومعنى الاخراج فى هذا الموضع الاظهار والاعلان لمن خفى ذلك عنه واطلاعهم عليه كما قال الله تعالى ذكره ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض يعنى بذلك يظهره ويطلعه من مخبئه بعد خفائه والذى كانوا يكتمونه فاخرجه هو قتل القاتل القتيل كما كتم ذلك القاتل ومن علمه ممن شايعه على ذلك حتى أظهره الله وأخرجه فاعلن أمره لمن لا يعلم أمره وعنى جل ذكره بقوله تكتمون تسرون وتغيبون كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله والله مخرج ما كنتم تكتمون تغيبون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ما كنتم تكتمون ما كنتم تغيبون ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها) يعنى جل ذكره بقوله فقلنا لقوم موسى الذين ادارؤا فى القتيل الذى قد تقدم وصفنا أمره اضربوا القتيل والهاء التى فى قوله اضربوه من ذكر القتيل ببعضها أى ببعض البقرة التى أمرهم الله بذبحها فذبحوها ثم اختلف العلماء فى البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة وأى عضو كان ذلك منها فقال بعضهم ضرب بفخذ البقرة القتيل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال ضرب بفخذ البقرة فقام حيا فقال قتلنى فلان

فلان ثم عاد فى ميتته حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ضرب بفخذ البقرة ثم ذكر مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن النضر ابن عربي عن عكرمة فقلنا اضربوه ببعضها قال بفخذها فلما ضرب بها عاش وقال قتلني فلان ثم عاد الى حاله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن خالد بن يزيد عن مجاهد قال ضرب بفخذها الرجل فقام حيا فقال قتلني فلان ثم عاد فى ميتته حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة ضربوا المقتول ببعض لحمها وقال معمر عن قتادة ضربوه بلحم الفخذ فعاش فقال قتلني فلان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا انهم ضربوه بفخذها فاحياه الله فانبأ بقاتله الذى قتله وتكلم ثم مات وقال آخرون الذى ضرب به منها هو البضعة التى بين الكتفين ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه بالبضعة التى بين الكتفين فعاش فسألوه من قتلك فقال لهم ابن أخى وقال آخرون الذى أمروا ان يضربوه به منها عظم من عظامها ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال أمرهم موسى ان يأخذوا عظما منها فيضربوا به القتيل ففعلوا فرجع اليه روحه فسمى لهم قاتله ثم عاد ميتا كما كان فاخذ قاتله وهو الذى أتى موسى فشكى اليه فقتله الله على اسوء عمله وقال آخرون بما حدثني به يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ضربوا الميت ببعض آرابها فاذا هو قاعد قالوا من قتلك قال ابن أخى قال وكان قتله وطرحه على ذلك السبط اراد ان يأخذ ديته والصواب من القول فى تأويل قوله عندنا فقلنا اضربوه ببعضها ان يقال أمرهم الله جل ثناؤه ان يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيى المضروب ولا دلالة فى الآية ولا خبر تقوم به حجة على أى أبعاضها التى أمر القوم ان يضربوا القتيل به وجائز أن يكون الذى أمروا أن يضربوه به هو الفخذ وجائز ان يكون ذلك الذنب وغضروف الكتف وغير ذلك من ابعاضها ولا يضر الجهل باى ذلك ضربوا القتيل ولا ينفع العلم به مع الاقرار بان القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فاحياه الله * فان قال قائل وما كان معنى الامر بضرب القتيل ببعضها قيل ليحيى فينبئ نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم والذين ادارؤا فيه من قاتله فان قال وأين الخبر عن ان الله جل ثناؤه أمرهم بذلك لذلك قيل ترك ذلك اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام الدال عليه نحو الذى ذكرنا من نظائر ذلك فيما مضى ومعنى الكلام فقلنا اضربوه ببعضها ليحيى فضربوه فحيي كما قال جل ثناؤه أن اضرب بعصاك البحر فانفلق والمعنى فضرب فانفلق يدل على ذلك قوله كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون

القول فى تأويل قوله تعالى (كذلك يحيي الله الموتى) وقوله كذلك يحيي الله الموتى مخاطبة من الله عباده المؤمنين واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من احياء قتيل بنى اسرائيل بعد مماته فى الدنيا فقال لهم تعالى ذكره أيها المكذبون بالبعث بعد الممات اعتبروا باحيائى هذا القتيل بعد مماته فانى كما احييته فى الدنيا فكذلك احيي الموتى بعد مماتهم فابعثهم يوم البعث فانما احتج جل ذكره بذلك على مشركى العرب وهم قوم اميون لا كتاب لهم

عائد الى ما دلت عليه النفس المنكر من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد أو الاناسى مثل ثلاثة أنفس وفى وصف اليوم بهذه الصفات تهويل عظيم وتنبيه على ان الخطب شديد لانه اذا وقع أحد فى كريهة وحاولت أعزته دفاع ذلك عنه بدأت بما فى نفوسها الابية من مقتضى الحمية فتجادل عنه ما يلزمه وتذب كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته ونهاية بطشه فان رأى من لا طاقة له بما نعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة وبذل المال والمنال فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة فان لم تغن هذه الامور تعلل بما أمكنه من نصر الاخوان ومدد الاخدان فاخبر الله تعالى ان شيأ من هذه لا يدفع يومئذ عن عذابه وفى هذا تحذير من المعاصى وترغيب فى تلافى ما فات بالتوبة لانه اذا تصور انه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية علم أنه لا ينفعه الا الطاعة وتلافى البوادر فالآية وان كانت فى بنى اسرائيل الا أنها تعم كل من يحضر ذلك اليوم فان قيل قدم فى هذه الآية قبول الشفاعة على أخذ الفدية وفى موضع آخر من هذه السورة عكست القضية فما الحكمة فى ذلك قلنا من الناس من ميله الى حب المال أشد من ميله الى علو النفس فيتمسك أولا بالشفيع ثم يستروح الى بذل المال ومنهم من على العكس فيقدم الفدية على الشفاعة فتغيير الترتيب اشارة الى الصنفين والله أعلم * واعلم أن الشفاعة هى أن يستوهب أحد لاحد شيأ ويطلب له حاجة من الشفع ضد الوتر كأن صاحب الحاجة كان فردا فصار بالشفيع شفعا ثم ان الامة أجمعت على أن لمحمد صلى الله عليه وسلم رتبة الشفاعة فى الآخرة وعليه يحمل قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى وأجمعوا على أنه لا شفاعة للكفار بقى الخلاف فيمن عداهم فأهل السنة أثبتوا الشفاعة لاهل الكبائر والمعتزلة على أن صاحب الكبيرة اذا لم يتب يخلد فى النار ولا شفاعة له وتمسكوا بنفى الشفاعة

قالوا ان هذه الآية تدل على نفى الشفاعة مطلقا والآيات والاحاديث الدالة على وجود شفاعة كثيرة فعرفنا ان الآية مست على عمومها لكن الآيات الواردة فى وعيد صاحب الكبيرة كثيرة كقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا فخرج عن صاحب الكبيرة وبقيت الآية مخصصة فى الكفرة وفى صاحب الكبيرة وعن الثانى ان الشفاعة ... لا يستشفعون لهم فلا يستوا

لان الذين كانوا يعلمون علم ذلك من بنى اسرائيل كانوا بين أظهرهم وفيهم نزلت هذه الآيات فاخبرهم جل ذكره بذلك ليتعرفوا علم من قبلهم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ويريكم آياته لعلكم تعقلون) يعنى جل ذكره ويريكم الله أيها الكافرون المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء من عند الله من آياته وآياته اعلامه وحججه الدالة على نبوته لتعقلوا وتفهموا انه محق صادق فتؤمنوا به وتتبعوه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) يعنى بذلك كفار بنى اسرائيل وهم فيما ذكر بنو أخى المقتول فقال لهم ثم قست قلوبكم أى جفت وغلظت وعست كما قال الراجز * وقد قسوت وقسى لدنى * يقال قسى وعسا وعنى بمعنى واحد وذلك اذا جفا وغلظ وصلب يقال منه قسا قلبه يقسو قسوا وقسوة وقساوة وقسيا ويعنى بقوله من بعد ذلك من بعد ان أحيا المقتول لهم الذى ادارؤا فى قتله فاخبرهم بقاتله وما السبب الذى من أجله قتله كما قد وصفنا قبل على ما جاءت به الآثار والاخبار وفصل الله تعالى ذكره بخبره بين المحق منهم والمبطل وكانت قساوة قلوبهم التى وصفهم الله بها انهم فيما بلغنا أنكروا ان يكونوا هم قتلوا القتيل الذى أحياه الله فاخبر بنى اسرائيل بانهم كانوا قتلته بعد اخباره اياهم بذلك وبعد ميتته الثانية كما حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما ضرب المقتول ببعضها يعنى ببعض البقرة جلس حيا فقيل له من قتلك فقال بنو أخى قتلونى ثم قبض فقال بنو أخيه حين قبض والله ما قتلناه فكذبوا بالحق بعد اذ رأوه فقال الله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك يعنى بنى أخى الشيخ فهى كالحجارة أو أشد قسوة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة ثم قست قلوبكم من بعد ذلك يقول من بعد ما أراهم الله من احياء الموتى وبعد ما أراهم من أمر القتيل ما أراهم فهى كالحجارة أو أشد قسوة ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فهى كالحجارة أو أشد قسوة) يعنى بقوله فهى قلوبكم يقول ثم صلبت قلوبكم بعد اذ رأيتم الحق فتبينتموه وعرفتموه عن الخضوع له والاذعان لواجب حق الله عليكم فقلوبكم كالحجارة صلابة ويبسا وغلظا وشدة أو أشد صلابة يعنى قلوبكم عن الاذعان لواجب حق الله عليهم والاقرار له باللازم من حقوقه لهم من الحجارة فان سال سائل فقال وما وجه قوله فهى كالحجارة أو أشد قسوة وأو عند أهل العربية انما تأتى فى الكلام لمعنى الشك والله تعالى جل ذكره غير جائز فى خبره الشك قيل ان ذلك على غير الوجه الذى توهمته من انه شك من الله جل ذكره فيما أخبر عنه ولكنه خبر منه عن قلوبهم القاسية انها عند عباده الذين هم أصحابها الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله كالحجارة قسوة أو أشد من الحجارة عندهم وعند من عرف شأنهم وقد قال فى ذلك جماعة من أهل العربية أقوالا فقال بعضهم انما أراد الله جل ثناؤه بقوله فهى كالحجارة أو أشد قسوة وما أشبه ذلك من الاخبار التى تأتى بأو كقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وكقول الله جل ذكره وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين فهو عالم أى ذلك كان قالوا ونظير ذلك قول القائل كلت بسرة أو رطبة وهو عالم أى ذلك أكل ولكنه أبهم على المخاطب كما قال أبو الاسود الدؤلى

أحب محمدا حبا شديدا * وعباسا وحمزة والوصيا
فان يك حبهم رشدا أصبه * ولست بمخطئ ان كان غيا

من ذلك وأجيب بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسوف يجىء ما أرجح الفريقين فى الآيات المناسبة ان شاء الله تعالى وقالت الفلاسفة فى تحقيق الشفاعة ان واجب الوجود عام الفيض والنقصان من القابل وجاز ان لا يكون الشئ مستعدا لقبول الفيض من واجب الوجود الا أنه يكون مستعدا لقبول ذلك الفيض من شئ قبله عن واجب الوجود فيكون ذلك الشئ متوسطا بين الواجب وذلك الشئ مثاله فى المحسوس الشمس فانها لا تضىء الا القابل والسقف لما لم يكن مقابلا لم يكن مستعدا لقبول النور منها لكنه لو وضع طست مملوء من الماء الصافى انعكس منه الضوء الى السقف فأرواح الانبياء كالوسائط بين واجب الوجود وبين أرواح عوام الخلق كالماء بين الشمس وبين السقف وهذا يدل على انه لا واسطة بين الله تعالى وبين عباده أشرف من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث انه لا شفاعة الا له (واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) القرا آت سوء العذاب وسوء الحساب بغير همز حيث وقعتا مفتوحتين الاصفهانى عن ورش وعدنا حيث كان أبو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد موسى بالامالة المفرطة كل القرآن حمزة وعلى وخلف وعن أبى عمرو وجهان ان جعلته فعلى فبالامالة بين الفتح والكسر وان جعلته على مفعل فبالفتح لا غير ثم اتخذتم وبابه بالاظهار ابن كثير وحفص والمفضل والاعشى والبرجمى والفرقان لعلكم مدغما عباس وكذلك يدغم اذا كان قبل النون حرف من حروف المد واللين وهى الواو المضموم ما قبلها مثل قالوا وتكون ... والياء المكسور ما قبلها مثل ... لبيين لما والالف المفتوح ما قبلها مثل وما كان أو من وما أشبه ذلك * الوقوف نساءكم ط عظيم ه تنظرون ه ظالمون ه تشكرون ه تهتدون ه * التفسير انه سبحانه لما قدم ذكر النعم على بنى اسرائيل اجمالا اتخذ فى تفصيلها ... واحدة ليكون أبلغ فى التذكير وأعظم فى الحجة كأنه قال اذكروا نعمتى واذ كروا اذ نجيناكم واذ فرقنا واذ

كان كذا وكذا واذق جميع هذه القصص بمعنى بمجرد الوقت مشغول به لاذ كر واوأصل الانجاء والتنجية التخليص ومنه النجوة للمكان العالي لان من صار اليه نجا أي تخلص من ان يعلوه سيل أولان الموضع تخلص مما انحط عنه وأصل آل أهل بدليل أهيل وأهال في تحقيره و تكسيره على الاعرف فابدلت الى أءل على خلاف القياس ثم الى آل وحرو بالالف فيه بدل عن همزة بدل عن هاء ولا يستعمل الآل الافيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك وانما يقال أهله وهكذا الايقال آل البلد وآل العلم وانما يقال أهلهما وعند الكسائي أصله أول بدليل تصغيره على أويل كانهم يؤلون على أصل قلبت الواو ألفا على القياس وفرعون علم لمن ملك العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وخاقان الترك وتبع لليمن واختلف في اسمه فابن جريج ان اسمه مصعب بن ريان وابن اسحق انه الوليد بن مصعب ولم يكن من الفراعنة أغلظ وأقسى قلبا منه وعن وهب بن منبه ان أهل الكتابين قالوا ان اسمه قابوس وكان من القبط وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وضعف اذ كان بين دخول يوسف مصر وبين دخول موسى أكثر من أربعمائة سنة وقال محمد بن اسحق هو غير فرعون يوسف وان اسم فرعون يوسف الريان بن الوليد والمراد بآل فرعون أتباعه وأعوانه الذين عزموا على اهلاك بني اسرائيل بامره ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر ويسومونكم من سامه خسفا اذا أولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم شعر

اذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا ان نقر الخسف فينا

وأصله من سام السلعة اذا طلبها كانها بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء أشده وأفظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره أو المراد عذاب من غير استحقاق لان العذاب بالاستحقاق حسن واختلف في سوء العذاب فابن اسحق انه جعلهم خدما وخولا وصنفهم في أعمالهم فمن بان وحارث وزارع ومن لم يكن ذا عمل وضع عليه جزية يؤديها السدي كان يجعلهم في الاعمال القذرة ككنس الكنيف ونحوه ولا ريب أن كون الانسان تحت تصرف الغير كيف شاء لاسيما اذا استعمله في الاعمال الشاقة القذرة من غير ان ياخذ بهم رأفة واشفاق من أشد

قالوا ولا شك ان أبا الاسود لم يكن شاكا في ان حب من سمى رشدا ولكنه أبهم على من خاطبه به وقد ذكر عن أبي الاسود انه قال لما قال هذه الابيات قيل له شككت فقال كلا والله ثم انتزع بقول الله عز وجل وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين فقال أو كان شاكا من أخبر بهذا في الهادي من الضلال وقال بعضهم ذلك كقول القائل ما أطعمتك الا حلوا أو حامضا وقد أطعمه النوعين جميعا فقالوا فقائل ذلك لم يكن شاكا انه قد أطعم صاحبه الحلو والحامض كلاهما ولكنه أراد الخبر عما أطعمه اياه انه لم يخرج عن هذين النوعين قالوا فكذلك قوله فهي كالحجارة أو أشد قسوة انما معناه فقلوبهم لا تخرج من أحد هذين المثلين اما أن تكون مثلا للحجارة في القوة واما أن تكون أشد منها قسوة ومعنى ذلك على هذا التأويل فبعضها كالحجارة قسوة وبعضها أشد قسوة من الحجارة وقال بعضهم أو في قوله أو أشد قسوة بمعنى وأشد قسوة كما قال تبارك وتعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا بمعنى وكفورا كما قال جرير بن عطية

نال الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

يعني نال الخلافة وكانت له قدرا وكما قال النابغة

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا * الى حمامتنا أو نصفه فقد

يريد ونصفه وقال آخرون أو في هذا الموضع بمعنى بل فكان تأويله عندهم فهي كالحجارة بل أشد قسوة كما قال جل ثناؤه وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون بمعنى بل يزيدون وقال آخرون معنى ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة عندكم قال أبو جعفر ولكل مما قيل من هذه الاقوال التي حكينا وجه ومخرج في كلام العرب غير ان أعجب الاقوال الي في ذلك ما قلناه أولا ثم القول الذي ذكرناه عمن وجه ذلك الى انه بمعنى فهي أوجه في القسوة من ان تكون كالحجارة أو أشد على تأويل ان منها كالحجارة ومنها أشد قسوة لان أو وان استعملت في أماكن من أماكن الواو حتى يلتبس معناها ومعنى الواو لتقارب معنييهما في بعض تلك الاماكن فان أصلها ان تاتي بمعنى أحد الاثنين فتوجيهها الى أصلها من وجد الى ذلك سبيلا أعجب الي من اخراجها عن أصلها ومعناها المعروف لها قال وأما الرفع في قوله أو أشد قسوة فمن وجهين أحدهما ان يكون عطفا على معنى الكاف التي في قوله كالحجارة لان معناها الرفع وذلك ان معناها معنى مثل فهي مثل الحجارة أو أشد قسوة من الحجارة والوجه الآخر ان يكون مرفوعا على معنى تكرير هي عليه فيكون تأويل ذلك فهي كالحجارة أو هي أشد قسوة من الحجارة

❁ القول في تاويل قوله تعالى (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) يعني بقوله جل ذكره وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان من الحجارة حجارة يتفجر منها الماء الذي تكون منه الانهار فاستغنى بذكر الماء عن ذكر الانهار وانما ذكر فقيل منه للفظ ما والتفجر التفعل من فجر الماء وذلك اذا تنزل خارجا من منبعه وكل سائل شخص خارجا من موضعه ومكانه فقد انفجر ماء كان ذلك أو دما أو صديدا أو غير ذلك ومنه قول عمر بن لجا

ولما ان قربت الى جرير * أبى ذو بطنه الا انفجارا

يعني الا خروجا وسيلانا ❁ القول في تاويل قوله تعالى (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء)

العذاب حتى أن من هذه حاله ربما يتمنى الموت سئل حكيم أى شئ أصعب من الموت فقال ما يتمنى فيه الموت فبين تعالى عظيم نعمته عليهم بان نجاهم من ذلك ثم اتبع ذلك نعمة أخرى فقال يذبحون أبناءكم ومعناه هم يقتلون الذكور من أولادكم دون الاناث والذى دعاهم الى ذلك أمور منها ان ذبح الابناء يقتضى افناء الرجال وانقطاع النسل بالآخرة ومنها أن هلاك الرجال يقتضى فساد معيشة النساء حتى يتمنين الموت من النكد والضر ومنها ان قتل الولد عقيب الحمل والكد والرجاء القوى فى الانتفاع بالمولود من أعظم العذاب ومنها أن الابناء أحب وأرغب من البنات ولهذا قيل شعر

سروران مالهما ثالث
حياة البنين وموت البنات

لقول النبى صلى الله عليه وسلم دفن البنات من المكرمات ومنها ان بقاء النسوان بدون الذكران يوجب صيرورتهن مستفرشات للاعداء وذلك نهاية الذل والهوان قال بعضهم المراد بالابناء الرجال ليطابق النساء اذ النساء اسم للبالغات وهو جمع المرأة من غير لفظها قالوا وانما كان يامر بقتل الرجال الذين يخاف منهم الخروج عليه والتجمع لافساد أمره ولا كثرون على أن المراد بالابناء الاطفال لظاهر اللفظ ولانه كان يتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم ولانهم كانوا محتاجين اليهم فى الاعمال الشاقة ولانه لو كان كذلك لم يكن لالقاء موسى فى اليم معنى وانما لم يقتل البنات فى مقابلة الابناء لانهن لما لم يقتلن كن بصدد ان يبلغن فحسن اطلاق اسم النساء عليهن مثل الى أرانى أعصر خمرا عن ابن عباس أنه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله وعد ابراهيم أن يجعل فى ذريته أنبياء ملوكا فخافوا ذلك واتفقت كلمتهم على اعداد رجال معهم الشفار يطوفون فى بنى اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما رأوا ان كبارهم يموتون والصغار يذبحون خافوا افناءهم وان لا يجدوا من يباشر الاعمال يبعض الشاقة فصاروا يقتلون عاما دون عام وعن السدى أن فرعون رأى نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر وأحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل فدعا فرعون الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من يكون هلاك القبط على يده وقيل ان المنجمين أخبروا فرعون بذلك وعينوا له السنة فلهذا قال يقتل أبناءهم من تلك السنة قيل والاقرب هو الاول لان المستفاد من علم النجوم

يعنى بقوله جل ثناؤه وان من الحجارة لحجارة تشقق وتشققها تصدعها وانما هى لما يتشقق ولكن التاء أدغمت فى الشين فصارت شينا مشددة وقوله فيخرج منه الماء فيكون عينا نابعة وأنهارا جارية

القول فى تأويل قوله تعالى (وان منها لما يهبط من خشية الله) قال أبو جعفر يعنى بذلك جل ثناؤه وان من الحجارة لما يهبط أى يتردى من رأس الجبل الى الارض والسفح من خوف الله وخشيته وقد دللنا على معنى الهبوط فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأدخلت هذه اللامات اللواتى فى ما توكيدا للخبر وانما وصف الله تعالى ذكره الحجارة بما وصفها به من ان منها المتفجر منه الانهار وان منها المتشقق بالماء وان منها الهابط من خشية الله بعد الذى جعل منها القلوب الذين أخبر عن قسوة قلوبهم من بنى اسرائيل مثلا معذرة منه جل ثناؤه لها دون الذين أخبر عن قسوة قلوبهم من بنى اسرائيل اذ كانوا بالصفة التى وصفهم الله بها من التكذيب لرسله والجحود لآياته بعد الذى أراهم من الآيات والعبر وعاينوا من عجائب الادلة والحجج مع ما أعطاهم تعالى ذكره من صحة العقول ومن به عليهم من سلامة النفوس التى لم يعطها الحجر والمدر ثم هو مع ذلك منه ما يتفجر بالانهار ومنه ما يتشقق بالماء ومنه ما يهبط من خشية الله فاخبر تعالى ذكره ان من الحجارة ما هو ألين من قلوبهم لما يدعون اليه من الحق كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله جل ثناؤه ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله قال كل حجر يتفجر منه الماء أو يتشقق عن ماء أو يتردى من رأس جبل فهو من خشية الله عز وجل نزل بذلك القرآن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهى كالحجارة أو أشد قسوة ثم عذر الحجارة ولم يعذر شقى ابن آدم فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يهبط من خشية الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال ثم عذر الله الحجارة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج انه قال فيها كل حجر انفجر منه ماء أو تشقق عن ماء أو تردى من جبل لمن خشية الله نزل به القرآن ثم اختلف أهل النحو فى معنى الهبوط ما هبط من الحجارة من خشية الله فقال بعضهم ان هبوط ما هبط منها من خشية الله تفيؤ ظلاله وقال آخرون ذلك الجبل الذى صار دكا اذ تجلى له ربه وقال بعضهم ذلك كان منه ويكون بان الله جل ذكره أعطى بعض الحجارة المعرفة والفهم فعقل طاعة الله فاطاعه كالذى روى عن الجذع الذى كان يستند اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فلما تحول عنه حن وكالذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان حجرا كان يسلم على فى الجاهلية انى لأعرفه الآن وقال آخرون بل قوله يهبط من خشية الله كقوله جدارا يريد ان

يتقض ولا ارادة له قالوا وانما أريد بذلك انه من عظم أمر الله يرى كانه هابط خاشع من ذل خشية الله قال زيد الخيل

تجمع ظل البلق فى حجراته * ترى الأكم فيها سجدا للحوافر

وكما قال سويد بن أبى كاهل يصف عدواله يريد انه ذليل

ساجد المنخر اذ يرفعه * خاشع الطرف أصم المستمع

وكما قال جرير بن عطية

لما أتى خبر الرسول تضعضعت * سور المدينة والجبال الخشع

وقال آخرون معنى قوله يهبط من خشية الله أى يوجب الخشية لغيره بدلالته على صانعه كما قيل ناقة تاجرة اذا كانت من نجابتها وفراهتها تدعو الناس الى الرغبة فيها كما قال جرير بن عطية

وأعور من نبهان أما نهاره * فاعمى وأما ليله فبصير

فجعل الصفة لليل والنهار وهو يريد بذلك صاحبه النبهانى الذى يهجوه من أجل انه فيهما كان وصفه به وهذه الاقوال وان كانت غير بعيدات المعنى مما تحتمله الآية من التأويل فان تأويل أهل التأويل من علماء سلف الامة بخلافها فلذلك لم نستجز صرف تأويل الآية الى معنى منها وقد دللنا فيما مضى على معنى الخشية وانها الرهبة والمخافة فكرهنا اعادة ذلك فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) يعنى بقوله وما الله بغافل عما تعملون وما الله بغافل يا معشر المكذبين بآياته والجاحدين نبوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والمتقولين عليه الاباطيل من بنى اسرائيل واحبار اليهود عما تعملون من أعمالكم الخبيثة وأفعالكم الرديئة ولكنها محصيها عليكم فمجازيكم بها فى الآخرة أو يعاقبكم بها فى الدنيا وأصل الغفلة عن الشئ تركه على وجه السهو عنه والنسيان له فاخبرهم تعالى ذكره انه غير غافل عن أفعالكم الخبيثة ولاساه عنها بل هو لها محص ولها حافظ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم) يعنى بقوله جل ثناؤه أفتطمعون يا أصحاب محمد أى أفترجون يا معشر المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم والمصدقين ما جاءكم به من عند الله ان يؤمن لكم يهود بنى اسرائيل ويعنى بقوله ان يؤمنوا لكم أن يصدقوكم بما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم محمد من عند ربكم كما حدثت عن عمار بن الحسن عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله أفتطمعون ان يؤمنوا لكم يعنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا لكم يقول أفتطمعون ان يؤمن لكم اليهود حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفتطمعون أن يؤمنوا لكم الآية قال هم اليهود ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقد كان فريق منهم) قال أبو جعفر أما الفريق فجمع كالطائفة لا واحد له من لفظه وهو فعيل من التفرق سمى به الجماع كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب وما أشبه ذلك ومنه قول أعشى بنى ثعلبة

أجذوا فلما خفت أن يتفرقوا * فريقين منهم مصعد ومصوب

يعنى بقوله منهم من بنى اسرائيل وانما جعل الله الذين كانوا على عهد موسى ومن بعدهم من بنى

والتعبير لا يكون أمرا معضلا والاقدح ذلك فى كون الاخبار عن الغيب معجزا بل يكون أمرا مجملا والظاهر من حال العاقل ان لا يقدم على هذا الامر العظيم بسببه قلت كون فرعون عاقلا ممنوع فان من شك فى أجلى البديهيات وهو أنه ممكن الوجود فعده من العقلاء لا يكون من العقل ثم قال ذلك القائل لعل فرعون كان عارفا بالله وبصدق الانبياء الا أنه كان كافرا كفر الجحود والعناد أو يقال انه كان شاكا متحيرا فى دينه وكان يجوز صدق ابراهيم عليه السلام وأقدم على ذلك القول

احتياطا قلت اذا أخبر الله تعالى عنه بانه قال أنا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله غيرى فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبياء وجعل كفره كفر جحود ومن أصدق من الله قيلا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فان قلت لم ذكر يذبحون ههنا بلا واو وفى سورة ابراهيم بواو فالوجه فيه أنه اذا جعل يسومونكم سوء العذاب مفسرا بقوله يذبحون فلا حاجة الى الواو واذا جعل يسومونكم مفسرا بسائر التكاليف الشاقة سوى الذبح وجعل الذبح شيأ آخر احتيج الى الواو وانما جاء ههنا وفى الاعراف يقتلون بغير واو لانهما من كلام الله فلم يرد تعداد المحن عليهم والذى فى ابراهيم من كلام موسى فعد المحن عليهم وكان مأمورا بذلك فى قوله وذكرهم بايام الله وقال بعضهم معنى يستحيون يفتشون حياء المرأة أى فرجها هل بها حمل أم لا وفيه تعسف والبلاء المحنة ان أشير بذلك الى صنيع فرعون والنعمة ان أشير به الى الانجاء والحمل على النعمة أولى لانها هى التى يحسن اضافتها الى الرب تعالى ولان موضع الحجة على اليهود انعام الله تعالى على أسلافهم حيث عاينوا اهلاك من حاول اهلاكهم واذلال من بالغ فى اذلالهم وههنا نكتة وهى انهم كانوا فى نهاية الذل وخصومهم فى غاية الاستيلاء والغلبة الا أنهم كانوا محقين وخصومهم مبطلين فانقلب المحق غالبا والمبطل مغلوبا فكأنه قيل لا تغتر وا بفقر محمد صلى الله عليه وسلم وقلة أنصاره فى الحال فانه سينقلب العز الى جانبه صلى الله عليه وسلم والذل الى جانب أعدائه وفيه تنبيه على ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء فليس للانسان ان يغتر بعز الدنيا وينسى أمر الآخرة قال أهل الاشارة النفس الامارة وصفاتها الذميمة وأخلاقها الرديئة تسوم الروح الشريف وذراريه أبناء الصفات الروحانية الجسدية واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن فى الاعمال القذرة الحيوانية ولا ينجيه من ذلك الا الله تعالى فى قوله واذ فرقنا نعمة أخرى فى

نعمة أي فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم على عدد الاسباط وكانوا اثني عشر ومعنى بكم انكم كنتم تسلكونه ويتفرق الماء كما يفرق بين الشيئين بما توسط بينهما أو يراد فرقناه بسبب انجائكم أو يكون حالا أي ملتبسا بكم روي انه تعالى لما أراد غرق فرعون والقبط وبلغ بهم الحال في معلوم الله تعالى أنه لا يؤمن أحد منهم أمر موسى بني اسرائيل ان يستعيروا حلي القبط اما ليخرجوا خلفهم لاجل المال واما لتبقى أموالهم في أيديهم ثم نزل جبريل وقال (٢٧٨) اخرج ليلا كما قال تعالى وأوحينا الى موسى ان أسر بعبادي ليلا وكانوا ستمائة ألف وكل سبط خمسون ألفا فلما خرجوا وبلغ الخبر فرعون قال لا تتبعوهم حتى يصيح الديك قال الراوي فوالله ما صاح الليلة ديك فلما أصبحوا دعا فرعون بشاة فذبحت ثم قال لا أفرغ من تناول كبد هذه الشاة حتى تجتمع الى ستمائة ألف من القبط قال قتادة فاجتمع اليه ألف ألف ومائتا ألف كل واحد منهم على فرس حصان فتبعوهم نهارا وهو قوله فاتبعوهم مشرقين أي بعد طلوع الشمس فلما سار بهم موسى الى البحر قال له يوشع أين أمر ربك فقال له موسى الى امامك وأشار الى البحر فاقتحم يوشع فرسه في البحر وكان يمشي في الماء حتى بلغ الغمر فسبح الفرس وهو عليه ثم رجع وقال له يا موسى أين أمر ربك فقال البحر فقال والله ما كذبت وما كذب ففعل ذلك ثلاث مرات فأوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فانشق البحر اثني عشر طريقا فقال له ادخل وكان فيه وحل فهب الصبا نحو البحر حتى صار طريقا يبسا فاتخذ كل سبط منهم طريقا ودخلوا فيه فقالوا لنبيهم أين أصحابنا لا نراهم فقال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم أعني على أخلاقهم السيئة فأوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان الماء فصارت فيها كوى فتراءوا وتسمعوا كلامهم ثم اتبعهم فرعون فلما بلغ شاطئ البحر رأى ابليس واقفا ينهاه عن الدخول فهم بان لا يدخل البحر فجاء جبريل على مهر فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون ودخل البحر فصاح ميكائيل بهم ألحقوا آخركم بأولكم فلما دخلوا البحر بالكلية أمر الله تعالى الماء حتى نزل عليهم فذلك قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون قيل ذلك اليوم كان يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكرا لله تعالى ومعنى

وبدل

اسرائيل من اليهود الذين قال الله لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أفتطمعون أن يؤمنوا لكم لانهم كانوا آباءهم وأسلافهم فجعلهم منهم اذ كانوا عشائرهم وفرطهم وأسلافهم كما يذكر الرجل اليوم الرجل وقد مضى على منهاج الذاكر وطريقته وكان من قومه وعشيرته فيقول كان منا فلان يعني انه كان من أهل طريقته ومذهبه أو من قومه وعشيرته فكذلك قوله وقد كان فريق منهم

القول في تأويل قوله تعالى (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فقال بعضهم بما حدثني به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فالذين يحرفونه والذين يكتمونه هم العلماء منهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثني موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدي أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه قال هي التوراة حرفوها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يسمعون كلام الله ثم يحرفونه قال التوراة التي أنزلها عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا اذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله واذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق وان جاء أحد يسألهم شيئا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمروه بالحق فقال لهم أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال آخرون في ذلك بما حدثت عن عمار بن الحسن قال أخبرنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فكانوا يسمعون من ذلك كما يسمع أهل النبوة ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله الآية قال ليس قوله يسمعون كلام الله يسمعون التوراة كلهم قد سمعها ولكنهم الذين سألوا موسى رؤية ربهم فأخذتهم الصاعقة فيها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال بلغني عن بعض أهل العلم انهم قالوا لموسى يا موسى قد حيل بيننا وبين رؤية الله عز وجل فاسمعنا كلامه حين يكلمك فطلب ذلك موسى الى ربه فقال نعم فمرهم فليتطهروا وليطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ثم خرج بهم حتى أتى الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى عليه السلام فوقعوا سجودا وكلمه ربه فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم حتى عقلوا ما سمعوا ثم انصرف بهم الى بني اسرائيل فلما جاؤهم حرف فريق منهم ما أمرهم به وقالوا حين قال موسى لبني اسرائيل ان الله قد أمركم بكذا وكذا قال ذلك الفريق الذين ذكرهم الله انما قال كذا وكذا خلافا لما قال الله عز وجل لهم فهم الذين عنى الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأولى التأويلين اللذين ذكرت بالآية وأشبههما بما دل عليه ظاهر التلاوة ما قاله الربيع بن أنس والذي حكاه ابن اسحق عن بعض أهل العلم من ان الله تعالى ذكره انما عنى بذلك من سمع كلامه من بني اسرائيل سماع موسى اياه منه ثم حرف ذلك

قوله وأنتم تنظرون انكم ترون التطام أمواج البحر لفرعون وقومه وقيل ان قوم موسى سألوا ان يريهم الله تعالى حالهم فسأل موسى ربه فلفظهم البحر ألف ألف ومائة ألف نفس فنظروا اليهم وقيل المراد وأنتم بالقرب منهم قال الفراء وهو مثل قولك لقد ضربتك وأهلك ينظرون اليك فما أعانوك تقول ذلك اذا قرب أهله منه وان كانوا لا يرونه ومعناه راجع الى العلم قال أهل الاشارة البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى القلب وقومه صفات القلب وفرعون النفس (٢٧٩) الامارة وقومه صفات النفس والعصا عصا الذكر فينفلق بحر الدنيا بتغليق لا اله ويتشكل ماء شهواته ع ناوشمالا ويرسل الله تعالى ريح العناية وشمس الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب وصفاته فيعبرونه وتنجيهم عناية الله الى ساحل وان الحريك المنتهى ويغرق فرعون النفس وقومه والله تعالى أعلم ولما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ونسبته موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وانما قيل أربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالى وقال أهل التحقيق لان الليلة وقت العبادة والخلوة خصت بالذكر لشرفها ولعدد الاربعين خاصية لن يذكرها أهل الذوق ولهذا جاء فى الحديث من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه والجنين ينقلب فى الاطوار فى الاربعينات قال أبو العالية وبلغنا أنه لم يحدث حدثا فى الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ولا بد من تقدير مضاف أى انقضاء أربعين كقولك اليوم أربعون يوما منذ خرج فلان أى تمام الاربعين ومن قرأ واعدنا من المواعدة فمعناه ان الله تعالى وعده الوحى ووعده هو المجىء للميقات الى الطور وذكر الاربعين ههنا مجمل وتفصيله فى الاعراف كقوله ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وصل أولا ثم أجمل ومعنى ثم فى قوله ثم اتخذتم استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها او عدم مناسبته لانه تعالى لما وعد موسى حضور الميقات لانزال التوراة عليه بحضرة لسبعين تنبيها للعاصين من قومه ... الغائبين ... رجوع موسى وسائر بنى اسرائيل و ... ذلك شنيع أنواع الجهل والكفر كان ذلك فى

وبدل من بعد سماعه وعلمه به وفهمه اياه وذلك ان الله جل ثناؤه انما أخبر ان التحريف كان من فريق منهم كانوا يسمعون كلام الله عز وجل استعظاما من الله لما كانوا يأتون من البهتان بعد توكيد الحجة عليهم والبرهان وايذانا منه تعالى ذكره عباده المؤمنين وقطع اطماعهم من ايمان بقايا نسلهم بما أتاهم به محمد من الحق والنور والهدى فقال لهم كيف تطمعون فى تصديق هؤلاء اليهود اياكم وانما تخبرونهم بالذى تخبرونهم من الانباء عن الله عز وجل عن غيب لم يشاهدوه ولم يعاينوه وقد كان بعضهم يسمع من الله كلامه وأمره ونهيه ثم يبدله ويحرفه ويجحده فهؤلاء الذين بين أظهركم من بقايا نسلهم أحرى أن يجحدوا ما أتيتموهم به من الحق وهم لا يسمعونه من الله وانما يسمعونه منكم وأقرب الى أن يحرفوا ما فى كتبهم من صفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ويبدلوه وهم به عالمون فيجحدوه ويكذبوا من أوائلهم الذين باشروا كلام الله من الله جل ثناؤه ثم حرفوه من بعد ما عقلوه وعلموه متعمدين التحريف ولو كان تأويل الآية على ما قاله الذين زعموا انه عنى بقوله يسمعون كلام الله يسمعون التوراة لم يكن لذكر قوله يسمعون كلام الله معنى مفهوم لان ذلك قد سمعه المحرف منهم وغير المحرف فخصوص المحرف منهم بانه كان يسمع كلام الله ان كان التأويل على ما قاله الذين ذكرنا قولهم دون غيرهم ممن كان يسمع ذلك سماعهم لا معنى له فان ظن ظان انما صلح ان يقال ذلك لقوله يحرفونه فقد أغفل وجه الصواب فى ذلك وذلك ان ذلك لو كان كذلك لقيل أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ولكنه جل ثناؤه أخبر عن خاص من اليهود كانوا أعطوا من مباشرتهم سماع كلام الله ما لم يعطه أحد غير الانبياء والرسل ثم بدلوا وحرفوا ما سمعوا من ذلك فاذلك وصفهم بما وصفهم به للخصوص الذى كان خص به هؤلاء الفريق الذى ذكرهم فى كتابه تعالى ذكره ويعنى بقوله ثم يحرفونه ثم يبدلون معناه وتأويله ويغيرونه وأصله من انحراف الشئ عن جهته وهو ميله عنها الى غيرها فكذلك قوله يحرفونه أى يميلونه عن وجهه ومعناه الذى هو معناه الى غيره فأخبر الله جل ثناؤه انهم فعلوا ما فعلوا من ذلك على علم منهم بتأويل ما حرفوا وانه بخلاف ما حرفوه اليه فقال يحرفونه من بعد ما عقلوه يعنى من بعد ما عقلوا تأويله وهم يعلمون أى يعلمون انهم فى تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون وذلك اخبار من الله جل ثناؤه عن اقدامهم على البهت ومناصبتهم العداوة له ولرسوله موسى صلى الله عليه وسلم وان بقاياهم من مناصبتهم العداوة لله ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا على مثل الذى كان عليه أوائلهم من ذلك فى عصر موسى عليه الصلاة والسلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أما قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا فانه خبر من الله جل ذكره عن الذين أيأس أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من ايمانهم من يهود بنى اسرائيل الذين كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وهم الذين اذا لقوا الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قالوا آمنا يعنى بذلك انهم اذا لقوا الذين صدقوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله قالوا آمنا أى صدقنا بمحمد وبما صدقتم به وأقررنا بذلك أخبر الله عز وجل عنهم انهم تخلقوا بأخلاق المنافقين وسلكوا منهاجهم كما حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال ثنى

محل التبعيد والتعجيب كما تقول انى أحسنت اليك وفعلت كذا وكذا ثم انك تقصدنى بالسوء والايذاء والاتخاذ افتعال من الأخذ الا أنه أدغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء أصلية فبنوا منه فعل يفعل وقالوا تخذ يتخذ وقد أجرى اتخذ مجرى الافعال القلبية فى الدخول على المبتدأ والخبر نحو جعل وصير والتقدير اتخذتم العجل الها الا أنه حذف الثانى للعلم به ولذ كره فى مواضع أخر منها فى طه فقالوا هذا الهكم والهموسى وقوله من بعده من بعد مضيه الى الطور وقال أهل السير لما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقى مع بنى اسرائيل الثياب والحلى التى استعاروها من القبط قال لهم هرون ان هذه الثياب والحلى لا تحل لكم فاحرقوها فجمعوا نارا وأحرقوها وكان السامرى فى مسيره مع موسى عليه السلام فى البحر نظر الى حافر دابة جبريل حين تقدم فى البحر فقبض قبضة من تراب حافر تلك الدابة ثم ان السامرى أخذ ما كان معه من الذهب وصور منه عجلا وألقى فيه ذلك التراب فخرج منه صوت كانه الخوار فقال هذا الهكم واله موسى فاتخذه القوم الها لانفسهم ولهذا وصفهم الله تعالى بالظلم فى قوله وأنتم ظالمون كما قال ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه والمشرك وضع أخس الاشياء مكان أشرف الموجودات والواو فى وأنتم اما للحال واما للاعتراض أى وأنتم قوم من عادتكم الظلم وقال أهل التحقيق ان لكل قوم عجلا يعبدونه قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة وقال ما عبد اله أبغض الى الله من الهوى وفيه تقريع لليهود الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادوه كأنه قال هؤلاء انما يفتخرون باسلافهم ثم ان اسلافهم كانوا فى البلادة والجهالة والعناد فكيف بهؤلاء الاخلاف وتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم بما كان يشاهده من مشركى العرب واليهود والنصارى من الخلاف والمشاقة فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وتحذير للعقلاء من جهل وتقليد الى هذه الغاية ما أفظع شأن الجهلة المقلدة رضوا بان يكون العجل الها ومارضوا بان يكون البشر نبيا وقد تمحل بعضهم لتصحيح واقعة عبدة العجل حيث استبعدوا وقوعها منهم مع انهم شاهدوا تلك المعجزات الباهرة التى تكاد تكون قريبة من حد الالجاء فى الدلالة على الصانع وصدق النبى صلى الله عليه وسلم ان السامرى ألقى الى القوم ان موسى صلى الله عليه وسلم انما قدر على

عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن ابن عباس قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم وذلك ان نفرا من اليهود كانوا اذا لقوا محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا يعنى المنافقين من اليهود كانوا اذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا آمنا وقد روى عن ابن عباس فى تأويل ذلك قول آخر وهو ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا أى بصاحبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه اليكم خاصة حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية قال هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم) يعنى بقوله واذا خلا بعضهم الى بعض أى اذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم الى بعض منهم فصاروا فى خلاء من الناس غيرهم وذلك هو الموضع الذى ليس فيه غيرهم قالوا يعنى قال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله بما فتح الله عليكم فقال بعضهم بما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم يعنى بما أمركم الله به فيقول الآخرون انما نستهزئ بهم ونضحك وقال آخرون بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا أى صاحبكم رسول الله ولكنه اليكم خاصة واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم فأنزل الله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أى تقرون بانه نبى وقد علمتم انه أخذ له الميثاق عليكم باتباعه وهو يخبرهم انه النبى صلى الله عليه وسلم الذى كنا ننتظر ونجده فى كتابنا اجحدوه ولا تقروا لهم به يقول الله أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله أتحدثونهم بما فتح الله عليكم أى بما أنزل الله عليكم فى كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم أى بما من الله عليكم فى كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فانكم اذا فعلتم ذلك احتجوا به عليكم أفلا تعقلون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحتجوا به عليكم حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر قال قال قتادة أتحدثونهم بما فتح الله عليكم يعنى بما أنزل الله عليكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم قال قول يهود من قريظة حين سبهم النبى صلى الله عليه

وسلم بأنهم اخوة القردة والخنازير قالوا من حدثك هـذا حين أرسل اليهم عليا فآذوا محمدا فقال يا اخوة القردة والخنازير وحدثني المثنى قال ثنا أبو حـذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله الا انه قال هذا حين أرسل اليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأذوا النبي صـلى الله عليه وسلم فقال اخسئوا يا اخوة القردة والخنازير حدثنا القاسم قال حدثني الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله أتحدثونهم بما فتح الله عليكم قال قام النبي صـلى الله عليه وسـلم يوم قريظة تحت حصونهـم فقال يا اخوان القردة و يا اخوان الخنازير و يا عبدة الطاغوت فقالوا من أخبر هـذا محمدا ما خرج هذا الا منكم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما حكم الله للفتح ليكون لهم حجة عليكم قال ابن جريج عن مجاهد هذا حين أرسل اليهم عليا فآذوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقال آخرون بما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عنـد ربكم هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به فقال بعضـهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العـذاب ليقولوا نحن أحب الى الله منكم وأكرم على الله منكم وقال آخرون بما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا خلا بعضـهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم قال كانوا اذا سئلوا عن الشيء قالوا اما تعلمون في التوراة كذا وكذا قالوا بلى قال وهـم يهود فيقول لهم رؤساؤهـم الذين يرجعون اليهم مالكم تخبرونهم بالذي أنزل الله عليكم فيحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخلن علينا قصبة المدينة الا مؤمن فقال رؤساؤهم من أهل الكفر والنفاق اذهبوا فقولوا آمنا واكفروا اذا رجعتم قال فكانوا يأتون المدينة بالبكر ويرجعون اليهم بعد العصر وقرأ قول الله وقالت طائفة من أهـل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهـم يرجعون وكانوا يقولون اذا دخلوا المدينة نحن مسلمون ليعلموا خبر رسول الله صلى الله عليه وسـلم وأمره واذا رجعوا رجعوا الى الكفر فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسـلم بهم قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون وكان المؤمنون الذين مع رسول الله صـلى الله عليه وسـلم يظنون انهم مؤمنون فيقولون لهم أليس قد قال الله لكم كذا وكذا فيقولون بلى فاذا رجعوا الى قومهـم قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم الآية وأصـل الفتح في كلام العرب النصر والقضاء والحكم يقال منه اللهـم افتح بيني و بين فلان أي احكم بيني و بينه ومنه قول الشاعر

الا أبلغ بني عصم رسولا * باني عن فتاحتكم غني

قال و يقال للقاضي الفتاح ومنـه قول الله عز وجـل ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وأنت خـير الفاتحين أي احكم بيننا و بينهم فاذا كان معنى الفتح ما وصفنا تبين ان معنى قوله قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عنـد ربكم انما هو أتحدثونهم بما حكم الله به عليكم وقضاه فيكم ومن حكمه جل ثناؤه عليهم ما أخذ به ميثاقهم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسـلم و بما جاء به في التوراة ومن قضائه فيهم ان جعل منهم القردة والخنازير وغير ذلك من أحكامه وقضائه فيهم وكل ذلك كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به حجة على المكذبين به من اليهود المقرين بحكم التوراة وغير ذلك فان

ما أتى به لانه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية فقال القوم اما تخذلكم طلسما مثل طلسمه وروج عليهم ذلك بان جعله بحيث خرج منه صوت عجيب وأطمعهم في مصيره ومنهم مثل موسى في اتيان الخوارق أولعل القوم كانوا مجسمة وحلولية فجوزوا حلول الاله في الاجسام فوقعوا في تلك الشبهة الركيكة وههنا يظهر التفاوت بين أمة موسى وأمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم بعد مشاهدة الآيات العظام القريبة من الافهام عبدوا الاصنام بل الانعام وأمة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان معجزتهم القرآن الذي لا يعرف اعجازه الا بالنظر الدقيق والبحث العميق لم يخالفوا بهم طرفة عين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يزيغون عن سواء السبيل ولا يميلون الى معتقدات أهل الاباطيل مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل قوله ثم عفونا عنكم أي حين تبتم بان قتلتم أنفسكم من بعد ذلك الامر العظيم الذي ارتكبتموه من اتخاذ العجل لعلكم تشكرون نعمة العفو ومعنى الترجي في كلام الله تعالى قد مر في قوله لعلكم تتقون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة نحو رأيت الغيث والليث يريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر ولا يلزم التكرار لانه لم يبين هناك ان ذلك لاجل موسى وفي هذه الآية بين ذلك التخصيص على سبيل التنصيص وقيل النصر الذي فرق بينه و بين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يعني يوم بدر وقيل آتينا موسى التوراة ومحمدا الفرقان لكي تهتدوا به يا أهل الكتاب وفيه تعسف (واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) القراآت بارئكم بالامالة قتيبة ونصير وأبو عمرو وطريق أبي الزعراء وعبد الرحمن بن عبدوس وغيرهما عن أبي عمرو بالاختلاس به هو مذهب أبي عمرو وغير عباس وكذلك كل ما كان

كان كذلك فالذى هو أولى عندى بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم الى خلقه لان الله جل ثناؤه انما قص فى أول هذه الآية الخبر عن قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه آمنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فالذى هو أولى بآخرها أن يكون نظير الخبر عما ابتدئ به أولها واذا كان ذلك كذلك فالواجب أن يكون تلاومهم كان فيما بينهم فيما كانوا اظهروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه من قولهم لهم آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وكان قيلهم ذلك من أجل انهم يجدون ذلك فى كتبهم وكانوا يخبرون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكان تلاومهم فيما بينهم اذا خلوا على ما كانوا يخبرونهم بما هو حجة للمسلمين عليهم عند ربهم وذلك انهم كانوا يخبرونهم عن وجود نعت محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ويكفرون به وكان فتح الله الذى فتحه للمسلمين على اليهود وحكمه عليهم لهم فى كتابهم ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا بعث فلما بعث كفروا به مع علمهم بنبوته (وقوله أفلا تعقلون) خبر من الله تعالى ذكره عن اليهود اللائمين اخوانهم على ما أخبروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فتح الله لهم عليهم انهم قالوا لهم أفلا تفقهون أيها القوم وتعقلون ان اخباركم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بما فى كتبكم انه نبى مبعوث حجة لهم عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم أى فلا تفعلوا ذلك ولا تقولوا لهم مثل ما قلتم ولا تخبروهم بمثل ما أخبرتموهم به من ذلك فقال جل ثناؤه أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) يعنى بقوله جل ثناؤه أولا يعلم هؤلاء اللائمون من اليهود اخوانهم من أهل ملتهم على قولهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وعلى اخبارهم المؤمنين بما فى كتبهم من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه القائلين لهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أن الله عالم بما يسرون فيخفونه عن المؤمنين فى خلائهم من كفرهم وتلاومهم بينهم على اظهارهم ما أظهروا لرسول الله وللمؤمنين به من الاقرار بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى قيلهم لهم آمنا ونهى بعضهم بعضا أن يخبروا المؤمنين بما فتح الله للمؤمنين عليهم وقضى لهم عليهم فى كتبهم من حقيقة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه وما يعلنون فيظهرونه لمحمد صلى الله عليه وسلم ولاصحابه المؤمنين به اذا لقوهم من قيلهم لهم آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به نفاقا وخداعا لله ولرسوله وللمؤمنين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون من كفرهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم اذا خلا بعضهم الى بعض وما يعلنون اذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا آمنا ليرضوهم بذلك حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون يعنى ما أسروا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به وهم يجدونه مكتوبا عندهم وما يعلنون يعنى ما أعلنوا حين قالوا للمؤمنين آمنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ومنهم أميون) يعنى بقوله جل ثناؤه ومنهم أميون ومن هؤلاء اليهود الذين قص الله قصصهم فى هذه الآيات وأيأس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايمانهم فقال لهم أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم اذا لقوكم

بينهما ياء أو واو ملفوظة مثل ومن دونه هو وانه هو واشباه ذلك حتى حيث كان بالامالة نصير والعجلى ترى الله مكسورة الراء روى ابن رومى عن ابن عباس وأبو شعيب عن اليزيدى وكذلك كل راء بعدها ياء استقبلها ألف ولام مثل ولو يرى الذين والنصارى المسيح جهرة مفتوحة الهاء قتيبة السلوى بالامالة الشديدة اليزيدى وحمزة وعلى وخلف وقرأ أبو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى ❋ الوقوف فاقتلوا أنفسكم ط عند بارئكم ط لان التقدير (٢٨٢) ففعلتم فتاب عليكم ط الرحيم ه تنظرون ه تشكرون ه السلوى ط ما رزقناكم ط يظلمون ه ❋ التفسير انه سبحانه نبههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلصون منه وذلك من أعظم النعم فى الدين وأيضا لما أمرهم بالقتل ورفع ذلك الامر عنهم قبل فنائهم بالكلية كان ذلك نعمة فى حق أولئك الباقين وفى أعقابهم الى زمن محمد صلى الله عليه وسلم وأيضا لما بين ان توبة أولئك ما تمت الا بالقتل ظهر ان بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لهم نعمة ورحمة لانه لا يأمرهم بشئ من ذلك متى رجعوا عن كفرهم وفيه ترغيب لامة محمد صلى الله عليه وسلم فى التوبة فان أمة موسى لما رغبوا فى تلك التوبة مع نهاية مشقتها على النفس فلان يرغب أحدنا فى مجرد الندم كان أولى هذا وقد مر ان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه الا انه لا بد فيه من تعدى ضرر فبين ههنا ان الضرر انما عاد الى أنفسهم فبذلك استحقوا العذاب الابدى والفرق بين الفاآت الثلاثة فى الآية ان الاولى للتسبب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب اما لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم على ان التوبة مفسرة بقتل النفس فى شرعهم لا بالندم واما لان القتل تمام توبة المرتد فى شرعهم والمعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم كما ان القاتل عمدا لا تتم توبته فى شرعنا الا بتسليم النفس حتى يرضى أولياء المقتول أو يقتلوه ومعنى الى بارئكم النهى عن الرياء فى التوبة كانه قيل لو أظهرتم التوبة لا عن القلب فانتم ما تبتم الى الله وانما تبتم الى الناس وقوله ذلكم أى القتل خير لكم عند بارئكم جملة معترضة تفيد التنبيه على ان ضرر الدنيا أهون من عذاب الآخرة اذ لا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى والموت لا بد واقع فليس فى تحمل القتل الا التقديم والتأخير والثالثة هى الفاء الفصيحة أى الفاء المفصحة عن محذوف تقديره فامتثلتم فتاب عليكم فعلى هذا يكون الكلام خطابا من الله تعالى لهم على

قالوا

قالوا آمنا كما حدثنا المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ومنهم أميون يعني من اليهود وحدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومنهم أميون قال أناس من يهود قال أبو جعفر يعني بالاميين الذين لا يكتبون ولا يقرؤن ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب يقال منه رجل أمي أي بين الامية كما حدثني المثنى قال حدثني سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن منصور عن ابراهيم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب قال منهم من لا يحسن أن يكتب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومنهم أميون قال أميون لا يقرؤن الكتاب من اليهود وروى عن ابن عباس قول خلاف هذا القول وهو ما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ومنهم أميون قال الاميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتابا أنزله الله فكتبوا كتابا بايديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال هذا من عند الله وقال قد أخبر انهم يكتبون بايديهم ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله و رسله وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم وذلك ان الامي عند العرب هو الذي لا يكتب قال أبو جعفر وأرى انه قيل للامي أمي نسبة له بانه لا يكتب الى أمه لان الكتاب كان في الرجال دون النساء فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال الى أمه في جهله بالكتاب دون أبيه كما ذكرنا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب وكما قال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم فاذا كان معنى الامي في كلام العرب ما وصفنا فالذي هو أولى بتاويل الآية ما قاله النخعي من ان معنى قوله ومنهم أميون ومنهم من لا يحسن أن يكتب ۞ القول في تاويل قوله تعالى (لا يعلمون الكتاب الا أماني) يعني بقوله لا يعلمون الكتاب لا يعلمون ما في الكتاب الذي أنزله الله ولا يدرون ما أودعه الله من حدوده وأحكامه وفرائضه كهيئة البهائم كالذي حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني انما هم أمثال البهائم لا يعلمون شيا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يعلمون الكتاب يقول لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية لا يعلمون الكتاب لا يدرون ما فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لا يعلمون الكتاب قال لا يدرون بما فيه حدثنا بشر قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لا يعلمون الكتاب لا يعلمون شيا لا يقرؤن التوراة ليست تستظهر انما تقرأ هكذا فاذا لم يكتب أحدهم لم يستطع ان يقرأ حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله لا يعلمون الكتاب قال لا يعرفون الكتاب الذي أنزله الله قال أبو جعفر وانما عنى بالكتاب التوراة ولذلك أدخلت فيه الالف واللام لانه قصد به كتاب معروف بعينه ومعناه ومنهم فريق لا يكتبون ولا يدرون ما في الكتاب الذي عرفتموه الذي هو عندهم وهم ينتحلونه ويدعون الاقرار به من أحكام الله وفرائضه وما فيه من

طريقة الالتفات ويمكن ان يقال انه حذف شرط منتظم في جملة قول موسى كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم وانما اختص هذا الموضع بذكر البارى لان معناه كما مر في الاسماء الذي خلق الخلق على الوجوه الموافقة للمصالح والاغراض ففيه تقريع لما كان منهم في ترك عبادة العليم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة برآء من التنافر مناسبة للحكم والمقاصد الى عبادة العجل الذي هو مثل في البلادة والغباوة فلاجرم كان جزاؤهم تفكيك ما ركب من خلقهم وتبديل ما انتظم من (٢٨٣) أشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها باتخاذ من لا يقدر على شيء منها والمراد بقتل الانفس اما ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو ان يقتل كل واحد نفسه والقتل اسم للفعل المؤدي الى زهوق الروح في الحال أو في المآل واما قتل بعضهم بعضا وعليه المفسرون لقوله ولا تقتلوا أنفسكم ولا تلمزوا أنفسكم فسلموا على أنفسكم وذلك ان المؤمنين كنفس واحدة ثم اختلفوا فقيل انه أمر من لم يعبد العجل من السبعين المختارين لحضور الميقات ان يقتل من عبد العجل منهم وقيل لما أمرهم موسى عليه السلام بالقتل أجابوا فاخذ عليهم المواثيق ليصبرون على القتل فاصبحوا مجتمعين كل قبيلة على حدة وأتاهم هرون بالاثني عشر ألفا الذين ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف فقال ان هؤلاء اخوانكم قد أتوكم شاهرين للسيوف فاجلسوا بافنية بيوتكم واتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه أو مد طرفه اليهم أو اتقاهم بيد أو رجل ويقولون آمين وروى ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها فجعلوا يقتلونهم الى المساء وقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولان أهلكت بنو اسرائيل البقية البقية يا الهنا فكشفت الضبابة والسحابة وأوحى الله تعالى اليه قد غفرت لمن قتل وتبت على من لم يقتل فانوا وكانت القتلى سبعين ألفا وقيل كانوا قسمين منهم من عبد العجل ومنهم من لم يعبد ولكن لم ينكر على من عبد فامر من لم يشتغل بالانكار بقتل من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل عجل الهوى قالوا معنى قتل الانفس قمع الهوى لان الهوى حياة النفس قوله واذ قتم موسى ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الواقعة كانت قبل ان كلفهم الله عبدة العجل القتل قال محمد بن اسحق لما رجع موسى عليه السلام من الطور الى قومه فرأى ما هم عليه

حدوده التي بينها فيه إلا أماني فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس إلا أماني يقول إلا قولا يقولونه بأفواههم كذبا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يعلمون الكتاب إلا أماني إلا كذبا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة إلا أماني يتمنون على الله ما ليس لهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة إلا أماني يقول يتمنون على الله الباطل وما ليس لهم حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله لا يعلمون الكتاب إلا أماني يقول إلا أحاديث حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني قال أناس من يهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيأ وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله ويقولون هو من الكتاب أماني يتمنونها حدثنا المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية إلا أماني يتمنون على الله ما ليس لهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله إلا أماني قال تمنوا فقالوا نحن من أهل الكتاب وليسوا منهم وأولى ما روي في تأويل قوله إلا أماني بالحق وأشبهه بالصواب الذي قاله ابن عباس الذي رواه عنه الضحاك وقول مجاهد ان الأميين الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآية وانهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله الله على موسى شيأ ولكنهم يتخرصون الكذب ويتقولون الأباطيل كذبا وزورا والتمني في هذا الموضع هو تخلق الكذب وتخرصه وافتعاله يقال منه تمنيت كذا إذا افتعلته وتخرصته ومنه الخبر الذي روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت يعني بقوله ما تمنيت ما تخرصت الباطل ولا اختلقت الكذب والافك والذي يدل على صحة ما قلنا في ذلك وانه أولى بتأويل قوله إلا أماني من غيره من الأقوال قول الله جل ثناؤه وان هم إلا يظنون فأخبر عنهم جل ثناؤه انهم يتمنون ما يتمنون من الأكاذيب ظنا منهم لا يقينا ولو كان معنى ذلك انهم يتلونه لم يكونوا ظانين وكذلك لو كان معناه يشتهونه لأن الذي يتلوه إذا تدبره علمه ولا يستحق الذي يتلو كتابا قرأه وان لم يتدبره بتركه التدبر أن يقال هو ظان لما يتلو إلا أن يكون شاكا في نفس ما يتلوه لا يدري أحق هو أم باطل ولم يكن القوم الذين كانوا يتلون التوراة على عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود فيما بلغنا شاكين في التوراة انها من عند الله وكذلك المتمني الذي هو في معنى المتشهي غير جائز ان يقال هو ظان في تمنيه لأن التمني من المتمني إذا تمنى ما قد وجد عينه فغير جائز ان يقال هو شاك فيما هو به عالم لأن العلم والشك معنيان ينفي كل واحد منهما صاحبه لا يجوز اجتماعهما في حيز واحد والمتمني في حال تمنيه موجود تمنيه غير جائز ان يقال هو يظن تمنيه وانما قيل لا يعلمون الكتاب إلا أماني والأماني من غير نوع الكتاب كما قال ربنا جل ثناؤه وما لهم به من علم إلا اتباع الظن والظن من العلم بمعزل وكما قال وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى وكما قال الشاعر

ليس بيني وبين قيس عتاب * غير طعن الكلى وضرب الرقاب

وكما

من عبادة العجل وقال لا نحيموا السامري ما قال وأحرق العجل ونسفه في اليم اختار سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى نسمع كلامه فسأل موسى ذلك فأجابه الله اليه فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا موسى عليه السلام من ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وادعوا وكان موسى متى كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني اسرائيل النظر اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول له (٢٨٤) افعل ولا تفعل ومن جملة الكلام اني أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك أي لن نصدقك ولن نقر بنبوتك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي مصدر قولك جهر بالقراءة والدعاء كأن الذي يرى بالعين يجاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب يخافت بها وانتصابها على نحو انتصاب قعد القرفصاء لأن هذه نوع من الرؤية كما أن تلك نوع من القعود ويحتمل ان يكون نصبها على الحال بمعنى ذوي جهرة ومن قرأ جهرة بفتح الهاء فاما لأنه مصدر كالغلبة واما لأنه جمع جاهر وانما أكدوا بهذا لئلا يتوهم ان المراد بالرؤية العلم أو التخيل على ما يراه النائم فأخذتكم الصاعقة وهي ما صعقهم أي أماتهم فقيل نار وقعت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل أرسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وصعقة موسى في قوله وخر موسى صعقا لم تكن موتا ولكن غشية بدليل فلما أفاق والظاهر انه أصابهم ما ينظرون اليه لقوله وأنتم تنظرون فرفع موسى يديه الى السماء يدعو ويقول الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي يقبلون توبتهم فرجع اليهم وليس معي أحد فما الذي يقولون فلم يزل يدعو حتى رد الله اليهم أرواحهم وذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعدما كفرتموها فطلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا أنفسهم وقيل ان هذه الواقعة كانت بعد القتل قال السدي لما تاب بنو اسرائيل عن عبادة العجل بأن قتلوا أنفسهم أمر الله أن يأتيه موسى في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا

فلما أتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وماتوا فقام موسى يبكي و يقول يارب ماذا أقول لبني اسرائيل فانى
أمرتهم بالقتل ثم اخترت من بينهم هؤلاء فاذا رجعت اليهم ولا يكون معي أحد منهم فماذا أقول لهم فاوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن
تخذوا العجل الها فقال موسى ان هي الا فتنتك فاحياهم الله تعالى فقاموا ونظر كل واحد الى الآخر كيف يحييه الله تعالى فقالوا ياموسى انك
الا تسأل الله شيأ الا أعطاك فادعه يجعلنا أنبياء فدعا بذلك فاجاب الله دعوته هذا (٢٨٥) ماقاله المفسرون وليس في الآية مايدل على ترجيح
أحد القولين على الآخر ولا على ان الذين سالوا الرؤية عبدة العجل أم لا والصحيح أن موسى لم يكن من جملة الصعقين في هذه الواقعة لانه خطاب مشافهة ولانه لو تناوله لوجب تخصيصه بقوله في حق موسى فلما أفاق مع ان لفظة الافاقة لا تستعمل في الموت ثم في الآية فوائد منها التحذير لمن كان في زمان نبينا صلى الله عليه وسلم عن فعل ما يستحق بسببه ان يفعل به مافعل باولئك ومنها تشبيه جحودهم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم بجحود اسلافهم نبوة موسى عليه السلام مع مشاهدتهم لعظم تلك الآيات لينتبهوا انه انما لا يظهر على النبي صلى الله عليه وسلم مثلها لعلمه بانه لو أظهرها لجحدوها ولو جحدوها لاستحقوا العقاب كما استحقه اسلافهم ومنها التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت فؤاده كي يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ومنها ازالة شبهة من يقول ان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لو صحت لكان أولى الناس بالايمان به أهل الكتاب حيث انهم عرفوا خبره وذلك انه تعالى بين ان اسلافهم بعد مشاهدة تلك الآيات كانوا يرتدون كل وقت ويتحكمون عليه فكيف يتعجب من مخالفتهم محمدا صلى الله عليه وسلم وان وجدوا في كتبهم اخبار نبوته صلى الله عليه وسلم ومنها لما
أخبر محمد صلى الله عليه وسلم عن هذه القصة مع كونه أميا تبين ان ذلك من الوحي بقي ههنا بحث وهو ان المعتزلة استدلوا بالآية على امتناع
رؤية الله تعالى لانها لو كانت أمرا جائز الوقوع لم تنزل بهم العقوبة كما لم تنزل بهم حين التمسوا نقل من قوت الى قوت في قولهم ان نصبر على
طعام واحد وأجيب بان امتناع رؤيته في الدنيا لا يستلزم امتناع رؤيته في الآخرة والذي هو محل النزاع لعل رؤيته تقتضي زواله
التكليف عن العبد والدنيا مقام التكاليف وأيضا اقتراح دليل زائد على صدق المدعي بعد ثبوته تعنت وأيضا لا يمتنع ان الله تعالى علم ان فيهم

وكما قال نابغة بني ذبيان

حلفت يمينا غير ذي مثنوية * ولا علم الا حسن ظن بغائب

في نظائر لما ذكرنا يطول باحصائها الكتاب ويخرج بالا مابعدها من معنى ماقبلها ومن صفته وان كان كل واحد منهما من غير شكل الآخر ومن غير نوعه ويسمى ذلك بعض أهل العربية استثناء منقطعا لانقطاع الكلام الذي يأتي بعد الا عن معنى ماقبلها وانما يكون ذلك كذلك في كل موضع حسن أن يوضع فيه مكان الا لكن فيعلم حينئذ انقطاع معنى الثاني عن معنى الاول ألا ترى انك اذا قلت ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني ثم أردت وضع لكن مكان الا وحذف الا وجدت الكلام صحيحا معناه صحته وفيه الا وذلك اذا قلت ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب لكن أماني يعني لكنهم يتمنون وكذلك قوله مالهم به من علم الا اتباع الظن لكن اتباع الظن بمعنى لكنهم يتبعون الظن وكذلك جميع هذا النوع من الكلام على ماوصفنا وقد ذكر عن بعض القراء انه قرأ الا أماني مخففة ومن خفف ذلك وجهه الى نحو جمعهم المفتاح مفاتح والقرقور قراقر وان ياء الجمع لما حذفت خففت الياء الاصلية أعني من الاماني كما جمعوا الاثفية اثافي مخففة كما قال زهير بن أبي سلمى

اثافي سفعا في معرس مرجل * ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

وأما من ثقل أماني فشدد ياءها فانه وجه ذلك الى نحو جمعهم المفتاح مفاتيح والقرقور قراقير والزنبور زنابير فاجتمعت ياء فعاليل ولامها وهما جميعا ياآن فادغمت احداهما في الاخرى فصارتا ياء واحدة مشددة فاما القراءة التي لا يجوز غيرها عندي لقارئ في ذلك فتشديد ياء الاماني لاجماع القراء على انها القراءة التي مضى على القراءة بها السلف مستفيض ذلك بينهم غير مدفوع صحته وشذوذ القارئ بتخفيفها عما عليه الحجة مجمعة في ذلك وكفى خطأ على قارئ ذلك بتخفيفها اجماعها على تخطئته ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (وان هم الا يظنون) يعني بقوله جل ثناؤه وان هم الا يظنون وما هم كما قال جل ثناؤه قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم يعني بذلك ما نحن الا بشر مثلكم ومعنى قوله الا يظنون الا يشكون ولا يعلمون حقيقته وصحته والظن في هذا الموضع الشك فمعنى الآية ومنهم من لا يكتب ولا يخط ولا يعلم كتاب الله ولا يدري مافيه الا تخرصا وتقولا على الله الباطل ظنا منه انه محق في تخرصه وتقوله الباطل وانما وصفهم الله تعالى ذكره بانهم في تخرصهم على ظن انهم محقون وهم مبطلون لانهم كانوا قد سمعوا من رؤسائهم وأحبارهم أمورا حسبوها من كتاب الله ولم تكن من كتاب الله فوصفهم جل ثناؤه بانهم يتركون التصديق بالذي يوقنون به انه من عند الله مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم و يتبعون ماهم فيه شاكون وفي حقيقته مرتابون مما أخبرهم به كبراؤهم ورؤساؤهم وأحبارهم عنادا منهم لله ولرسوله ومخالفة منهم لامر الله واغترارا منهم بامهال الله اياهم و بنحو ماقلنا في تاويل قوله وان هم الا يظنون قال فيه المتأولون من السلف حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان هم الا يظنون الا يكذبون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا

سلمة عن ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لا يعلمون الكتاب الأمانى وان هم الا يظنون أى لا يعلمون ولا يدرون ما فيه وهم يجحدون نبوتك بالظن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان هم الا يظنون قال يظنون الظنون بغير الحق حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال يظنون الظنون بغير الحق حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فويل) اختلف أهل التاويل فى تاويل قوله فويل فقال بعضهم بما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فويل لهم يقول فالعذاب عليهم وقال آخرون بما حدثنا به ابن بشار قال ثنا ابن مهدى قال ثنا سفيان عن زياد بن فياض قال سمعت أبا عياض يقول الويل ما يسيل من صديد فى أصل جهنم حدثنا بشر بن أبان الحطاب قال ثنا وكيع عن سفيان عن زياد بن فياض عن أبى عياض فى قوله فويل قال صهريج فى أصل جهنم يسيل فيه صديدهم حدثنا على بن سهل الرملى قال ثنا زيد بن أبى الزرقاء قال ثنا سفيان بن زياد بن فياض عن أبى عياض قال الويل واد من صديد فى جهنم حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن شقيق قال ويل ما يسيل من صديد فى أصل جهنم وقال آخرون بما حدثنا به المثنى قال ثنا ابراهيم بن عبد السلام بن صالح التسترى قال ثنا على بن جرير عن حماد بن سلمة بن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوى عن عثمان بن عفان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الويل جبل فى النار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنى عمرو بن الحارث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ الى قعره قال أبو جعفر فمعنى الآية على ما روى عمن ذكرت قوله فى تاويل ويل فالعذاب الذى هو شرب صديد أهل جهنم فى أسفل الجحيم لليهود الذين يكتبون الباطل بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (الذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) يعنى بذلك الذين حرفوا كتاب الله من يهود بنى اسرائيل وكتبوا كتابا على ما تاولوه من تاويلاتهم مخالفا لما أنزل الله على نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ثم باعوه من قوم لا علم لهم بها ولا بما فى التوراة جهال بما فى كتب الله لطلب عرض من الدنيا خسيس فقال الله لهم فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا قال كان ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم يبيعونه من العرب ويحدثونهم انه من عند الله ليأخذوا به ثمنا قليلا حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الاميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتابا أنزله الله فكتبوا كتابا بايديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا قال عرضا من عرض الدنيا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الذين يكتبون الكتاب

بايديهم

مفسدة كما علم فى انزال الكتاب من السماء يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فلهذا جاز الاستنكار لان مطالبة الرؤية بجهرة مطالعة الذات غفلة وفيه من سوء الادب وترك الحرمة ما لا يستحسنه قضية العزة والحشمة قوله تعالى وظللنا أى جعلنا الغمام يظلكم وذلك فى التيه كما سيجىء فى المائدة سخر الله لهم السحاب فيسير بسيرهم يظلهم من الشمس والظل ضوء ثان وينزلوا بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله كما كان لآدم قبل الزلة وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع لأزيد ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهى السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه لأزيد مجاهد المن صمغ حلو وهب هو الخبز السميذ الزجاج هو ما من الله تعالى به عليهم وهذا كما يروى مرفوعا الكمأة من المن وفيها شفاء العين وقيل السلوى العسل وقيل طائر أحمر كلوا على ارادة القول أى وقلنا لهم كلوا من طيبات من حلالات ما رزقناكم وهذا للاباحة وما ظلمونا يعنى فظلموا بان كفروا هذه النعم فجعلوا موضع الشكر كفرا وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه ولكن كانوا أنفسهم يظلمون لان وبال الظلم عائد عليهم لا الى غيرهم ولا الى الله تعالى وانما قال ههنا وفى الاعراف والتوبة والروم بزيادة لفظة كانوا لانها اخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا بخلاف قوله فى آل عمران ولكن أنفسهم يظلمون لانه مثل والله أعلم (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) القراآت يغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء أبو جعفر ونافع وجبلة تغفر بضم التاء الفوقانية وفتح الفاء ابن عامر وأبو زيد عن المفضل الباقون نغفر بالنون وكسر الفاء يغفر لكم مدغما كل القرآن أبو عمرو خطاياكم وبابه بالامالة على قول غير ... لاخفاء يزيد وأبو نشيط عن قالون وكذلك يخفيان النون والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط الكلمة أو أولها * الوقوف خطاياكم ط المحسنين ه يفسقون ه * التفسير القرية مجتمع الناس من قرأت الماء فى الحوض أى جمعت

بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله قال هؤلاء الذين عرفوا انه من عند الله يحرفونه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله الا انه قال ثم يحرفونه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن قتادة فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم الآية وهم اليهود حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله قال كان ناس من بنى اسرائيل كتبوا كتابا بايديهم ليتأكلوا الناس فقالوا هذا من عند الله وما هو من عند الله حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا قال عمدوا الى ما أنزل الله فى كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فحرفوه عن مواضعه يبتغون بذلك عرضا من عرض الدنيا فقال فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا ابراهيم بن عبد السلام قال ثنا على ابن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون الويل جبل فى النار وهو الذى أنزل فى اليهود لانهم حرفوا التوراة وزادوا فيها ما يحبون ومحوا منها ما يكرهون ومحوا اسم محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة فلذلك غضب الله عليهم فرفع بعض التوراة فقال فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال ويل واد فى جهنم لو سيرت فيه الجبال لانماعت من شدة حره قال أبو جعفر ان قال لنا قائل وما وجه فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم وهل تكون الكتابة بغير اليد حتى احتاج المخاطبون بهذه المخاطبة الى ان يخبروا عن هؤلاء القوم الذين قص الله قصتهم انهم كانوا يكتبون الكتاب بايديهم قيل له ان الكتاب من بنى آدم وان كان منهم باليد فانه قد يضاف الكتاب الى غير كاتبه وغير المتولى رسم خطه فيقال كتب فلان الى فلان بكذا وان كان المتولى كتابته بيده غير المضاف اليه الكتاب اذا كان الكاتب كتبه بأمر المضاف اليه الكتاب فاعلم ربنا بقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم عباده المؤمنين ان أحبار اليهود تلى كتابة الكذب والفرية على الله بايديهم على علم منهم وعمد للكذب على الله ثم تنحله الى انه من عند الله وفى كتاب الله تكذبا على الله وافتراء عليه فنفى جل ثناؤه بقوله يكتبون الكتاب بايديهم ان يكون ولى كتابة ذلك بعض جهالهم بأمر علمائهم وأحبارهم وذلك نظير قول القائل باعنى فلان عينه كذا وكذا فاشترى فلان نفسه كذا يراد بادخال النفس والعين فى ذلك نفى اللبس عن سامعه ان يكون المتولى بيع ذلك وشراءه غير الموصوف به بأمره ويوجب حقيقة الفعل للمخبر عنه فكذلك قوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) يعنى جل ثناؤه بقوله فويل لهم مما كتبت أيديهم أى فالعذاب فى الوادى السائل من صديد أهل النار فى أسفل جهنم لهم يعنى للذين يكتبون الكتاب الذى وصفنا أمره من يهود بنى اسرائيل محرفا ثم قالوا هذا من عند الله ابتغاء عرض من الدنيا به قليلا ممن

وبهذا الاعتبار كثيرا ما تطلق القرية على البلدة والجمع القرى على غير قياس وانما قياسه من المعتل اللام فعال نحو ركوة وركاء وظبية وظباء والنسبة اليها قروى وهو على القياس عند يونس حيث قال ظبوى فى النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث يقولان ظبى على مثال الصحيح والقرية بيت المقدس وقيل أريحا من قرى الشام أمروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل باب القبة التى كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى أمروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب تواضعا وشكرا لله تعالى وقيل السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم باخبات وخشوع وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوا ودخلوها متزحفين على أوراكهم من الزحف وهو المشى على الاوراك وحطة فعلة من الحط كالجلسة خبر مبتدأ محذوف أى مسئلتنا حطة أو أمرك وأصله النصب معناه اللهم حط عنا ذنوبنا حطة فرفعت لافادة الثبوت كقوله شعر

شكا الى جملى طول السرى
يا جملى ليس الى المشتكى
صبر جميل فكلانا مبتلى

الاصل صبرا أى اصبر صبرا كان القوم أمروا أن يدخلوا الباب على وجه الخضوع وان يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وذلك أن التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه ان يحكى توبته لمن شاهد منه الذنب لالان التوبة لا تتم الا به اذ الاخرس تصح توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الى التوبة ولازالة التهمة عن نفسه وكذا من عرف بمذهب خطا ثم تبين له الحق فانه يلزمه أن يعرف اخوانه الذين عرفوه بالخطا عدوله عنه لتزول التهمة عنه فى الثبات على الباطل وليعودوا الى موالاته بعد معاداته ويحسنوا الظن به وعن أبي مسلم الاصفهانى ان معناه أمرنا حطة أى ان نحط فى هذه القرية ونستقر فيها وأصل الغفر الستر والتغطية ومعنى القراآت فى نغفر لكم واحد لان الخطيئة اذا غفرها الله تعالى فقد غفرت واذا غفرت فانما يغفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المؤنث وحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتأنيث والخطأ الذنب قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا تقول منه خطئ يخطأ خطأ

بيتاعه منهم وقوله مما كتبت أيديهم يقول من الذي كتبت أيديهم من ذلك وويل لهم أيضا مما يكسبون يعني مما يعملون من الخطايا ويجترحون من الآثام ويكسبون من الحرام بكتابهم الذي يكتبونه بأيديهم بخلاف ما أنزل الله ثم يأكلون ثمنه وقد باعوه ممن باعوه منهم على انه من كتاب الله كما حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية وويل لهم مما يكسبون يعني من الخطيئة حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس فويل لهم يقول فالعذاب عليهم قال يقول من الذين كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب وويل لهم مما يكسبون يقول مما يأكلون به من السفلة وغيرهم قال أبو جعفر وأصل الكسب العمل فكل عامل عملا بمباشرة منه لما عمل ومعاناة باحتراف فهو كاسب لما عمل كما قال لبيد بن ربيعة

لمعفر فهد تنازع شلوه * غبس كواسب لا يمن طعامها

۞ القول في تأويل قوله (وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة) يعني بقوله وقالوا اليهود يقول وقالت اليهود لن تمسنا النار يعني لن تلاقي أجسامنا النار ولن ندخلها الا أياما معدودة وانما قيل معدودة وان لم يكن مبينا عددها في التنزيل لان الله جل ثناؤه أخبر عنهم بذلك وهم عارفون عدد الايام التي يوقتونها لمكثهم في النار فلذلك ترك ذكر تسمية عدد تلك الايام وسماها معدودة لما وصفنا ثم اختلف أهل التأويل في مبلغ الايام المعدودة التي عينها اليهود القائلون ما أخبر الله عنهم من ذلك فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قال ذلك أعداء الله اليهود قالوا لن يدخلنا الله النار الا تحلة القسم الايام التي أصبنا فيها العجل أربعين يوما فاذا انقضت عنا تلك الايام انقطع عنا العذاب والقسم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لن تمسنا النار الا أياما معدودة قالوا أياما معدودة بما أصبنا في العجل حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قال قالت اليهود ان الله يدخلنا النار فنمكث فيها أربعين ليلة حتى اذا أكلت النار خطايانا واستنقتنا نادى مناد أخرجوا كل مختون من ولد بني اسرائيل فلذلك أمرنا ان نختتن قالوا فلا يدعون منا في النار أحدا الا أخرجوه حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال قالت اليهود ان ربنا عتب علينا في أمرنا فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة ثم يخرجنا فأكذبهم الله حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن قتادة قال قالت اليهود لن ندخل النار الا تحلة القسم عدد الايام التي عبدنا فيها العجل حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لن تمسنا النار الا أياما معدودة الآية قال ابن عباس ذكر ان اليهود وجدوا في التوراة مكتوبا ان ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم نابتة في أصل الجحيم وكان ابن عباس يقول ان الجحيم سقر وفيها شجرة الزقوم فزعم أعداء الله انه اذا خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أياما معدودة وانما يعني بذلك المسير الذي ينتهي الى أصل الجحيم فقالوا اذا خلا العدد انتهى الاجل فلا عذاب وتذهب جهنم وتهلك فذلك قوله لن تمسنا النار الا أياما معدودة يعنون بذلك الاجل فقال ابن عباس

وخطاة على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا وأصله خطايئ بياء ثم همز أبدلت الهمزة ألفا فتحت الياء لاجلها وسنزيد المحسنين المفعول الثاني محذوف للعلم به ولمكان الفاصلة أي سنزيدهم احسانا أو ثوابا أو سعة وذلك أن المراد من المحسنين اما من هو محسن بالطاعة في هذا التكليف واما من هو محسن بطاعات أخرى في سائر التكاليف وعلى الاول فالزيادة الموجودة اما منفعة دنيوية فالمعنى أن المحسن بهذه الطاعة نزيده سعة في الدنيا ونفتح عليه قرى غير هذه القرية واما منفعة دينية أي المحسن بهذا نزيده على غفران الذنوب ثوابا جزيلا وعلى الثاني فالمعنى انا نجعل دخولكم الباب سجدا وقولكم حطة مؤثرا في غفران الذنوب ثم ان أتيتم بعد ذلك بطاعات أخرى زدنا كم ثوابا ويحتمل أن يكون المراد أنهم صنفان فمن مخطئ تصير الكلمة سببا لغفرانه ومن محسن تصير سببا لزيادة ثوابه قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قال أبو البقاء التقدير فبدلوا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعولين واحد بنفسه والآخر بالباء والذي مع الباء يكون هو المتروك والذي بغير باء هو الموجود ويجوز أن يكون بدل بمعنى قال لان تبديل القول يكون بقول والمعنى انهم أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وليس الغرض انهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ حطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك أو اللهم اعف عنا ونحو ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية والنبط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين حطة سمقاثا أي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة وفي تكرير الذين ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح أمرهم وايذان بأن انزال الرجز عليهم لظلمهم وهو أن وضعوا غير ما أمروا به مكان ما أمروا به والرجز العذاب عن ابن عباس مات بالفجأة منهم أربعة وعشرون ألفا في ساعة واحدة وقال ابن زيد بعث الله عليهم الطاعون حتى ماتوا من الغداة الى العشي عشرون ألفا

وقيل سبعون ألفا ومعنى من السماء يحتمل أن يكون شيأ نازلا من جهة العلو كريح ونحوه ويحتمل أن يراد من قبل الامر النازل من عند الله تقطيعا لشأن العذاب والفسق هو الخروج عن طاعة الله الى معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد بما كانوا يفسقون اما الظلم المذكور وفائدة التكرار التأكيد واما ان يراد انهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل ونزول الرجز عليهم من السماء بالفسق الذى كانوا يفعلون قبل ذلك التبديل مستمر الى أوان هذا الظلم وهذا أظهر لزوال التكرير ولان لفظة كانوا ينبئ عن خصلة مستمرة والخصلة

عباس لما اقتحموا من باب جهنم ساروا فى العذاب حتى انتهوا الى شجرة الزقوم آخر يوم من الايام المعدودة قال لهم خزان سقر زعمتم انكم لن تمسكم النار الا أياما معدودة فقد خلا العدد وأنتم فى الابد فأخذ بهم فى الصعود فى جهنم يرهقون حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة الا أربعين ليلة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال خاصمت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن ندخل النار الا أربعين ليلة وسيخلفنا فيها قوم آخرون يعنون محمدا وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على رؤسهم بل أنتم فيها خالدون لا يخلفكم فيها أحد فأنزل الله جل ثناؤه وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى الحكم بن أبان عن عكرمة قال اجتمعت يهود يوما تخاصم النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة وسموا أربعين يوما ثم تخلفنا أو تلحقنا فيها أناس فأشاروا الى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أنتم فيها خالدون مخلدون لا نلحقكم ولا نخلفكم فيها ان شاء الله أبدا حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا على بن معبد عن أبى معاوية عن جويبر عن الضحاك فى قوله لن تمسنا النار الا أياما معدودة قال قالت اليهود لا نعذب فى النار يوم القيامة الا أربعين يوما مقدار ما عبدنا العجل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد حدثنى أبى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم أنشدكم بالله وبالتوراة التى أنزلها على موسى يوم طور سيناء من أهل النار الذين أنزلهم الله فى التوراة قالوا ان ربهم غضب عليهم غضبة فنمكث فى النار أربعين ليلة ثم نخرج فتخلفونا فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم والله لا نخلفكم فيها أبدا فنزل القرآن تصديقا لقول النبى صلى الله عليه وسلم وتكذيبا لهم وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا الى قوله هم فيها خالدون وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال كانت يهود يقولون انما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وانما يعذب الله الناس يوم القيامة كل سنة من أيام الدنيا يوما واحدا من أيام الآخرة وانها سبعة أيام فأنزل الله فى ذلك من قولهم وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ويهود تقول انما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما يعذب الناس فى النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا فى النار من أيام الآخرة فانما هى سبعة أيام ثم ينقطع العذاب فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم لن تمسنا النار الآية حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قال كانت تقول انما الدنيا سبعة آلاف سنة فانما يعذب مكان كل ألف سنة يوما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا انه قال كانت اليهود تقول انما الدنيا وسائر الحديث مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال

الواحدة المعينة لا يتصور فيها الاستمرار فلو كان المراد ذلك لقيل بما فسقوا وربما احتج أصحاب الشافعى بقوله تعالى فبدل الذين ظلموا أنه لا يجوز تحريم الصلاة بلفظ التحميد والتعظيم والتسبيح ولا تجوز القراءة بالفارسية وكذا لا يجوز تبديل ما ورد به التوقيف من الاذكار بغيرها وأجيب بانهم انما استحقوا الذم لتبديلهم القول الى قول آخر يضاد معناه معنى الاول فلا جرم استوجبوا الذم فاما من غير اللفظ مع بقاء المعنى فليس كذلك ورد بان ظاهر الآية يتناول كل من بدل قولا بقول آخر سواء اتفق القولان فى المعنى أم لم يتفقا * أسئلة لم قال فى البقرة واذ قلنا وفى الاعراف واذ قيل لانه صرح بالقائل فى أول القرآن ازالة للابهام ولان الكلام مرتب على قوله اذكروا نعمتى وفى الاعراف لم يبق الابهام ولم قال ههنا ادخلوا وهنالك اسكنوا لان الدخول مقدم على السكون والبقرة مقدمة فى الذكر على الاعراف ولم قال فى البقرة فكلوا وفى الاعراف وكلوا بالواو لما بينا فى قوله وكلا منها رغدا ولم قال فى البقرة خطاياكم وفى الاعراف خطيئاتكم لان الخطايا جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة للقلة وقد أضاف القول ههنا الى نفسه وكان اللائق بكرمه غفران ذنوب كثيرة وهذا لم يذكر الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجبا ولمثل هذا الجواب ذكر ههنا رغدا ... ولم يذكر فى الاعراف وقال ههنا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفى الاعراف بالعكس لان الواو للجمع المطلق ولان المخاطبين ... محسن ومذنب واللائق بالمحسن تقديم العبادة والخضوع ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وازالة العجب و... بالمذنب عكس ذلك ولم ذكر فى هذه السورة

ابن جريج قال مجاهد وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة من الدهر وسموا هذه ٧ سبعة آلاف سنة من كل ألف سنة يوما يهود تقوله ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون) قال أبو جعفر ولما قالت اليهود ما قالت من قولها لن تمسنا النار الا أياما معدودة على ما قد بينا من تاويل ذلك قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمعشر اليهود اتخذتم عند الله عهدا أخذتم بما تقولون من ذلك من الله ميثاقا فالله لا ينقض ميثاقه ولا يبدل وعده وعقده أم تقولون على الله الباطل جهلا وجراءة عليه كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قل اتخذتم عند الله عهدا أى موثقا من الله بذلك انه كما تقولون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن قتادة قال قالت اليهود لن ندخل النار الا تحلة القسم عدد الايام التي عبدنا فيها العجل فقال الله اتخذتم عند الله عهدا بهذا الذى تقولونه ألكم بهذا حجة وبرهان فلن يخلف الله عهده فهاتوا حجتكم وبرهانكم أم تقولون على الله مالا تعلمون حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما قالت اليهود ما قالت قال الله جل ثناؤه لمحمد قل اتخذتم عند الله عهدا يقول ادخرتم عند الله عهدا يقول أقلتم لا اله الا الله لم تشركوا ولم تكفروا به فان كنتم قلتموها فارجوا بها وان كنتم لم تقولوها فلم تقولون على الله مالا تعلمون يقول لو كنتم قلتم لا اله الا الله ولم تشركوا به شيأ ثم متم على ذلك لكان لكم ذخرا عندى ولم أخلف وعدى لكم انى أجازيكم بها حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال لما قالت اليهود ما قالت قال الله عز وجل قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وقال في مكان آخر وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ثم أخبر الخبر فقال بلى من كسب سيئة وهذه الاقوال التي رويناها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة بنحو ما قلنا في تاويل قوله قل اتخذتم عند الله عهدا لان مما أعطاه الله عباده من ميثاقه ان من آمن به وأطاع أمره نجاه من ناره يوم القيامة ومن الايمان به الاقرار بان لا اله الا الله وكذلك من ميثاقه الذى واثقهم به ان من أتى الله يوم القيامة بحجة تكون له نجاة من النار فينجيه منها وكل ذلك وان اختلفت ألفاظ قائليه فمتفق المعانى على ما قلنا فيه والله تعالى أعلم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (بلى من كسب سيئة) وقوله بلى من كسب سيئة تكذيب من الله القائلين من اليهود لن تمسنا النار الا أياما معدودة واخبار منه لهم انه يعذب من أشرك وكفر به وبرسله وأحاطت به ذنوبه فمخلد في النار فان الجنة لا يسكنها الا أهل الايمان به وبرسوله وأهل الطاعة له والقائمون بحدوده كما حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني محمد بن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته أى من عمل مثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بما له من حسنة فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون قال وأما بلى فانها اقرار في كل كلام في أوله جحد كما نعم اقرار في الاستفهام الذى لا جحد فيه وأصلها بل التي هى رجوع عن الجحد المحض في قولك ما قام عمرو بل زيد فزيدت فيها الياء التي يصلح عليها الوقوف اذ كانت بل لا يصلح عليها الوقوف اذ كانت عطفا ورجوعا عن الجحد ولتكون أعنى بلى رجوعا عن الجحد فقط واقرارا بالفعل الذى بعد الجحد فدلت الياء

ادخلوا هذه القرية تقدم كيفية الدخول ولم قال في البقرة وسنزيد وفي الاعراف سنزيد لانه في الاعراف ذكر أمرين قول الحطة وهو اشارة الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزاءين أحدهما الغفران والآخر الزيادة فترك الواو ليفيد توزيع الجزاءين على الشرطين وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين أعنى دخول الباب وقول الحطة فاحتيج الى الواو وأيضا الاتصال اللفظى حاصل في هذه السورة بين قوله واذ قلنا وبين قوله (٢٩٠) وسنزيد بخلاف الاعراف لان اللائق به في الظاهر سيراد فحذف الواو ليكون استئنافا الكلام وما الفائدة في زيادة كلمة منهم في الاعراف لان أول القصة مبنى على التخصيص ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون فذكر ان منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف انعامه وأوامره عليهم فلما انتهت القصة قال فبدل الذين ظلموا منهم فهنالك ذكر أمة عادلة أمة جائرة فصار آخر الكلام مطابقا لاوله وأما في البقرة فلم يذكر في أول الآيات تمييزا وتخصيصا حتى يلزم في آخر القصة مثل ذلك لم قال في البقرة فانزلنا وفي الاعراف فارسلنا لان الانزال يفيد حدوثه في أول الامر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستئصالهم بالكلية وذلك انما يحدث بالآخرة وقيل لان لفظ الارسال في الاعراف أكثر فروعى التناسب لم قال في البقرة بما كانوا يفسقون وفي الاعراف يظلمون لانه لما بين في البقرة كون الظلم فسقا اكتفى بذلك البيان في الاعراف وأيضا انهم ظلموا أنفسهم وخرجوا عن طاعة الله تعالى فوصفهم بالامرين في موضعين والله أعلم (واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من منها
بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) القراآت عامة القراء اثنتا عشرة بسكون الشين للتخفيف عليهم الذلة بضم الهاء والميم حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب وكذلك كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة

واتفق سهل اذا كان قبل الياء فتحة فقط. وقرأ أبو عمرو بكسر الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم النبيئين وبابه بالهمزة نافع الا في موضعين في الاحزاب ان وهبت نفسها للنبي و بيوت النبي الا فروى اسمعيل وقالون عنه بغير همزة *الوقوف الحجر ط لحق المحذوف أي فضرب فانفجرت عينا ط مشربهم ط مفسدين ه وبصلها ط هو خير ط سألتم ط لان قوله وضربت ابتداء اخبار عما يؤل اليه حالهم من الله ط بغير الحق ط يعتدون ه التفسير جمهور المفسرين سوى ابي مسلم على ان هذا الاستسقاء كان في التيه عطشوا فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر أما العصا فقال الحسن كانت عصا أخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة وأما الحجر فاللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعاله أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي أمر أن يسقيهم وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل ورماه بنو اسرائيل بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس أي اضرب الشئ الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة ثم انهم قالوا كيف بنا لو أفضينا الى أرض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا ألقاه وأما الصنف والشكل فقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل له أربعة أوجه كما مر وهذا الذي يعتبره الفوقاني ومقابله وأما الضرب فقيل كان يضرب به بعصاه فيتفجر و يضرب به فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون والفاء في قوله فانفجرت فاء فصيحة كما سبق في فتاب عليكم وفي هذا الحذف دلالة على أن موسى لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به والانفجار والانبجاس واحد ومعناه خروج الماء بسعة وكثرة وأصل الفجر الشق ومنه الفاجر لانه يشق عصا المسلمين بخروجه عليهم وقيل الانبجاس خروج الماء قليلا ووجه بأن الفجر في الاصل هو الشق والبجس الشق الضيق فلا يتناقضان كما لا يتناقض

منها على معنى الاقرار والانعام ٧ ودل لفظ بل على الرجوع عن الجحد قال وأما السيئة التي ذكر الله في هذا المكان فانها الشرك بالله كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال حدثني عاصم عن أبي وائل بلى من كسب سيئة قال الشرك بالله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلى من كسب سيئة شركا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بلى من كسب سيئة قال أما السيئة فالشرك حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى بلى من كسب سيئة أما السيئة فهي الذنوب التي وعد عليها النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء بلى من كسب سيئة قال الشرك قال ابن جريج قال قال مجاهد سيئة شركا حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله بلى من كسب سيئة يعني الشرك وانما قلنا ان السيئة التي ذكر الله جل ثناؤه ان من كسبها وأحاطت به ذنوبه فهو من أهل النار المخلدين فيها في هذا الموضع انما عنى الله بها بعض السيئات دون بعض وان كان ظاهرها في التلاوة عاما لان الله قضى على أهلها بالخلود في النار والخلود في النار لاهل الكفر بالله دون أهل الايمان به لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بان أهل الايمان لا يخلدون فيها وان الخلود في النار لاهل الكفر بالله دون أهل الايمان به فان الله جل ثناؤه قد قرن بقوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون فكان معلوما بذلك ان الذين لهم الخلود في النار من أهل السيئات غير الذين لهم الخلود في الجنة من أهل الايمان فان ظن ظان ان الذين لهم الخلود في الجنة من الذين آمنوا هم الذين عملوا الصالحات دون الذين عملوا السيئات فان في اخباره انه مكفر باجتنابنا كبائر ما نهى عنه سيئاتنا ومدخلنا المدخل الكريم ما ينبئ عن صحة ما قلنا في تاويل قوله من كسب سيئة فان ذلك على خاص من السيئات دون عامها *فان قال لنا قائل فان الله جل ثناؤه انما ضمن لنا تكفير سيئاتنا باجتنابنا كبائر ما نهى عنه فما الدلالة على ان الكبائر غير داخلة في قوله بلى من كسب سيئة قيل لما صح من ان الصغائر غير داخلة فيه وان المعنى بالآية خاص دون عام ثبت وصح ان القضاء والحكم بها غير جائز لاحد على أحد الا على من وقفنا الله عليه بدلالة من خبر قاطع عذر من بلغه وقد ثبت وصح ان الله تعالى ذكره قد عنى بذلك أهل الشرك والكفر به بشهادة جميع الامة فوجب بذلك القضاء على ان أهل الشرك والكفر ممن عناه الله بالآية فاما أهل الكبائر فان الاخبار القاطعة عذر من بلغته قد تظاهرت عندنا بانهم غير معنيين بها فمن أنكر ذلك ممن دافع حجة الاخبار المستفيضة والانباء المتظاهرة فاللازم له ترك قطع الشهادة على أهل الكبائر بالخلود في النار بهذه الآية ونظائرها التي جاءت بعمومهم في الوعيد اذ كان تاويل القرآن غير مدرك الا ببيان من جعل الله اليه بيان القرآن وكانت الآية تاتي عاما في صنف ظاهرها وهي خاص في ذلك الصنف

٧ هكذا هذا اللفظ ولا يفهم افادة بلى للانعام مما قدمه فلينظر

باطنها او يسأل مدافعوا الخبر بان أهل الكبائر من أهل الاستثناء سؤالنا منكر رجم الزانى المحصن وزوال فرض الصلاة عن الحائض فى حال الحيض فان السؤال عليهم نظير السؤال على هؤلاء سواء

﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (وأحاطت به خطيئته) يعنى بقوله جل ثناؤه وأحاطت به خطيئته اجتمعت عليه فمات عليها قبل الانابة والتوبة منها وأصل الاحاطة بالشئ الاحداق به بمنزلة الحائط الذى تحاط به الدار فتحدق به ومنه قول الله جل ثناؤه نارا أحاط بهم سرادقها فتاويل الآية اذا من أشرك بالله واقترف ذنوبا جمة فمات عليها قبل الانابة والتوبة فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أبدا وبنحو الذى قلنا فى تاويل ذلك قال المتاولون ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن الاعمش عن أبى روق عن الضحاك وأحاطت به خطيئته قال مات بذنبه حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا الاعمش عن أبى رزين عن الربيع بن خثيم وأحاطت به خطيئته قال مات عليها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال أخبرنى ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس وأحاطت به خطيئته قال يحبط كفره بماله من حسنة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال حدثنى عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأحاطت به خطيئته قال ما أوجب الله فيه النار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأحاطت به خطيئته قال أما الخطيئة فالكبيرة الموجبة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن قتادة وأحاطت به خطيئته قال الخطيئة الكبائر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا وكيع ويحيى بن آدم عن سلام بن مسكين قال سال رجل الحسن عن قوله وأحاطت به خطيئته فقال ما ندرى ما الخطيئة يا بنى اتل القرآن فكل آية وعد الله عليها النار فهى الخطيئة حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته قال كل ذنب محيط فهو ما وعد الله عليه النار حدثنا أحمد ابن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى رزين وأحاطت به خطيئته قال مات بخطيئته حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا الاعمش قال ثنا مسعود أبو رزين عن الربيع بن خثيم فى قوله وأحاطت به خطيئته قال هو الذى يموت على خطيئته قبل أن يتوب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال قال وكيع سمعت الاعمش يقول فى قوله وأحاطت به خطيئته مات بذنوبه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وأحاطت به خطيئته الكبيرة الموجبة حدثنى موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى أحاطت به خطيئته فمات ولم يتب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حسان عن ابن جريج قال قلت لعطاء وأحاطت به خطيئته قال الشرك ثم تلا ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار

﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى بقوله جل ثناؤه فاولئك الذين كسبوا السيئات وأحاطت بهم خطيئاتهم أصحاب النار هم فيها خالدون ويعنى بقوله جل ثناؤه أصحاب النار أهل النار وانما جعلهم لها أصحابا لايثارهم فى حياتهم الدنيا ما يوردهموها ويوردهم سعيرها على الاعمال التى توردهم الجنة فجعلهم جل ذكره بايثارهم أسبابها على

اسباب

المطلق والمقيد والعام والخاص أولعله انبجس أولا ثم انفجر ثانيا وكذا العيون تظهر الماء قليلا ثم يكثر لدوام خروجه أولعل حاجتهم تشتد تارة فينفجر وتضعف أخرى فينبجس قد علم كل أناس أى كل سبط مشربهم كانه أمر كل سبط ان لا يشرب الا من جدول معين حسما لمادة التشاجر فان العادة فى الرهط الواحد أن لا يقع بينهم من التنازع مثل ما يقع بين المختلفين وهذا أيضا من تمام النعمة عليهم وانما فقد العاطف لان قوله قد علم بيان وتفصيل لما أجمل فى قوله اثنتا عشرة كانه قيل هذا المجموع مشاع بينهم أو مقسوم فقيل قد

علم كلوا على ارادة القول أى وقلنا أى قال لهم موسى كلوا من المن والسلوى الذى رزقناكم بلا تعب ولا نصب واشربوا من هذا الماء وقيل ان الاغذية لا تنبت الا بالماء فلما أعطاهم الماء فكانما أعطاه المأكول والمشروب والعثو أشد الفساد ومفسدين قيل نصب على الحال المؤكدة وهو ضعيف فان من شرطها أن تكون مقررة لمضمون جملة اسمية وقيل حال منتقلة ومعناه النهى عن التمادى فى حالة الافساد اما مطلقا أو مقيدا بانه ان وقع التنازع بسبب ذلك الماء فلا تبالغوا فى التنازع ويرد على هذا القول ان الافساد منهى عنه مطلقا وهذا التفسير يقتضى ان يكون المنهى عنه هو التمادى فى الافساد لا نفس الافساد والصحيح أن يقال ان المنصوبات فى نحو قوله عز من قائل ولا تعثوا فى الارض مفسدين ثم وليتم مدبرين وفى نحو قولهم تعال جاثيا وقم قائما من الصفات القائمة مقام المصدر نحو أقاعدا وقد سار الركب بقى فى الآية بحث وهو أنه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير والجواب على القول بالفاعل المختار فظاهر فان له ان يحدث أى فعل خارق شاء من غير ان يطلب له سبب وواسطة وأما عند طالب الاسباب والوسائط فان العناصر الاربعة لها هيولى مشتركة عندهم وجوزوا انقلاب صور بعضها الى بعض فجاز استمداد الماء الساكن فى الحجر من الهواء المجاور له ومثل هذا ما رواه أنس انه أتى النبى صلى الله عليه وسلم باناء وهو بالزوراء فوضع يده فى الاناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم قال قتادة قلت لانس كم كنتم قال ثلثمائة أو زهاء ثلثمائة بل معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم أقوى لان نبوع الماء من الحجر معهود فى الجملة أما نبوعه من بين الاصابع فغير معتاد قال أهل الاشارة الروح الانسانى وصفاته فى عالم القالب بمثابة موسى وقومه

وانه يستسقي ربه لا وانها من ماء الحكمة والمعرفة فيضرب بعصا لا اله الا الله ولها شعبتان من النفي والاثبات تتقدان نورا عند استيلاء ظلمات النفس على حجر القلب فيتفجر اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة بعدد حروف لا اله الا الله قد علم كل سبط من أسباط الانسان وهي خمس حواس ظاهرة وخمس باطنة مع القلب والنفس مشربهم فيستوي في حظه بحسب مشربه قوله سبحانه واذ قلتم ياموسى الآية تزعم بعض المفسرين ان هذا السؤال منهم كان معصية فان اللائق بحال المكلف الصبر على

ما ساقه الله تعالى اليه خصوصا اذا كان نعمة وعفوا وصفوا ولا سيما اذا كان المسؤل أدون وأحقر ولهذا أنكره موسى عليهم قال أتستبدلون وقال الآخرون انه غير معصية لان قوله كلوا واشربوا عند انزال المن والسلوى وانفجار الماء أمر اباحة لا ايجاب ثم انهم كانوا أهل فلاحة فرغبوا الى مألوفهم ورغبة الانسان فيما اعتاده في أصل التربية وان كان خسيسا فوق رغبته فيما لا يعتاد وان كان شريفا ولعلهم سئموا من التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وغرضهم البلاد وأيضا المواظبة على الطعام الواحد تميت الشهوة وتضعف الهضم فيصح أن يكون التبديل مطلوبا للعقلاء ولهذا أجابهم الله تعالى الى ما سألوا ولو كان معصية لم يجبهم الى ذلك اللهم الا أن يكون من قبيل ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب وانما صح اطلاق الطعام الواحد على المن والسلوى لانهم أرادوا بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها ويأكلها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا ويجوز أن يريدوا بهما ضربا واحدا لانهما معا من طعام أهل التلذذ والترفه ونحن أهل زراعة فأتنا بدلا مما ألفنا ومعنى يخرج لنا يوجد ويظهر والبقل ما أنبتته الارض من الخضر كالنعناع والكرفس والكراث وغير ذلك من أطايب البقول التي يأكلها الناس عادة والقثاء الخيار والفوم الثوم ويدل عليه قراءة عبد الله وثومها وهو بالعدس والبصل أوفق وقال بعضهم الفوم الحمص لغة شامية ويقال هو الحنطة ومنه قولهم فوموا لنا أي اختبزوا قال الفراء هي لغة قديمة الذي هو أدنى أي أقرب منزلة وأدون مقدارا كقولهم في ضده هو بعيد المحل وبعيد الهمة يعنون الرفعة والعلو اهبطوا مصرا أي انحدروا والنزول من التيه يقال هبط

أسباب الجنة لها أصحابا كصاحب الرجل الذي يصاحبه مؤثرا صحبته على صحبة غيره حتى يعرف به هم فيها يعني هم في النار خالدون ويعني بقوله خالدون مقيمون كما حدثني محمد بن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس هم فيها خالدون أي خالدون أبدا حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي هم فيها خالدون لا يخرجون منها أبدا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) ويعني بقوله والذين آمنوا أي صدقوا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويعني بقوله وعملوا الصالحات أطاعوا الله فأقاموا حدوده وأدوا فرائضه واجتنبوا محارمه ويعني بقوله فأولئك فالذين هم كذلك أصحاب الجنة هم فيها خالدون يعني أهلها الذين هم أهلها هم فيها خالدون مقيمون أبدا وانما هذه الآية والتي قبلها اخبار من الله عباده عن بقاء النار وبقاء أهلها فيها ودوام ما أعد في كل واحدة منهما لاهلها تكذيبا من الله جل ثناؤه القائلين من يهود بني اسرائيل ان النار لم تمسهم الا أياما معدودة وانهم صائرون بذلك الى الجنة فأخبرهم بخلود كفارهم في النار وخلود مؤمنيهم في الجنة كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون أي من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها يخبرهم ان الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبدا لا انقطاع له أبدا حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والذين آمنوا وعملوا الصالحات محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله) قد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على ان الميثاق مفعال من التوثق باليمين ونحوها من الامور التي تؤكد القول فمعنى الكلام اذا واذكروا أيضا يامعشر بني اسرائيل اذ أخذنا ميثاقكم لا تعبدون الا الله كما حدثني به ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل أي ميثاقكم لا تعبدون الا الله قال أبو جعفر والقراء مختلفة في قراءة قوله لا تعبدون فبعضهم يقرؤها بالتاء وبعضهم يقرؤها بالياء والمعنى في ذلك واحد وانما جازت القراءة بالياء والتاء وان يقال لا تعبدون ولا يعبدون وهم غيب لان أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف فكما تقول استحلفت أخاك ليقومن فتخبر عنه خبرك عن الغائب لغيبته عنك وتقول استحلفته لتقومن فتخبر عنه خبرك عن المخاطب لانك قد كنت خاطبته بذلك فيكون ذلك صحيحا جائزا فكذلك قوله واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله ولا يعبدون من قرأ ذلك بالتاء فمعنى الخطاب اذ كان الخطاب قد كان بذلك ومن قرأ بالياء فلانهم كانوا مخاطبين بذلك في وقت الخبر عنهم وأما رفع لا تعبدون فبالتاء التي في تعبدون ولا ينصب بأن التي كانت تصلح أن تدخل مع لا تعبدون الا الله لانها اذا صلح دخولها على فعل فحذفت ولم تدخل كان وجه الكلام فيه الرفع كما قال جل ثناؤه قل أفغير الله تأمروني اعبد أيها الجاهلون فرفع اعبد اذ لم تدخل فيها أن بالالف الدالة على معنى الاستقبال وكما قال الشاعر

الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج و بلاد التيه مابين بيت المقدس الى قنسرين اثناعشر فرسخا فى ثمانية ومصر امامصر فرعون والتنوين فيه فى القرا آت المعتبرة مع أن فيه العلمية والتانيث لسكون وسطه كما فى نوح ولوط وفيهما العلمية والعجمية واما مصر من الامصار كانه قيل لهم ادخلوا بلدا أى بلد كان لتجدوا فيه هذه الاشياء ولما ذكر الله سبحانه صنوف نعمه على بنى اسرائيل اجمالا ثم تفصيلا أراد أن يبين ما آل حالهم ليكون عبرة للنظار وتبصرة لاولى الابصار وتحذيرا (٢٩٤) للانسان عن الجحود والكفران المستتبعين للخزى والهوان فقال وضربت

عليهم الذلة أى جعلت محيطة بهم مشتملة عليهم كالقبة المضروبة على الشخص أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلصق به فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وهذا من جملة الاخبار عن الغيب الدال على كون القرآن وحيا نازلا من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم هذا حالهم فى الدنيا واما حالهم فى العقبى فذلك قوله و باؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته أى صاروا أحقاء بغضبه وهو ارادة انتقامه ذلك الذى ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب بسبب كفرهم بآيات الله أى القرآن بل و بالتوراة لان الكفر به مستلزم للكفر بها وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق أى من غير ما شبهة عندهم توجب استحقاق القتل فان الآتى بالباطل قد يكون اعتقده حقا لشبهة عنت له وقد يأتى به مع علمه بكونه باطلا ولا شك ان الثانى أقبح وأدخل فى القبح أو كرر للتاكيد نحو ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ومحال أن يكون لمدعى الاله الثانى برهان والنبئ بالهمزة فعيل بمعنى فاعل من نبأ بالتخفيف أى أخبر لانه نبأ عن الله تعالى قال سيبويه ليس أحد من العرب الا و يقول تنبأ مسيلمة بالهمزة غير انهم تركوا الهمزة فى النبى كما تركوا فى الذرية والبرية والخابية الا أهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون فى غيرها و يخالفون العرب فى ذلك وقيل أصله من نبات من أرض الى أرض أى خرجت منها الى أخرى وهذا المعنى أراد الاعرابى بقوله يا نبيء الله أى مخرج من مكة الى
بهما

الا أيهذا الزاجرى احضر الوغا * وان أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فرفع احضر وان كان يصلح دخول ان فيها اذ حذفت بالالف التى تاتى بمعنى الاستقبال وانما صلح حذف ان من قوله واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون لدلالة ما ظهر من الكلام عليها فاكتفى بدلالة الظاهر عليها منها وقد كان بعض نحوى البصرة يقول معنى قوله واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله حكاية كانك قلت استحلفناهم لا تعبدون أى قلنا لهم والله لا تعبدون وقالوا والله لا يعبدون والذى قال من ذلك قريب معناه من معنى القول الذى قلنا فى ذلك و بنحو الذى قلنا فى قوله واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله تاوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية أخذ مواثيقهم ان يخلصوا له وان لا يعبدوا غيره حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله قال أخذنا ميثاقهم ان يخلصوا الله ولا يعبدوا غيره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله قال الميثاق الذى أخذ عليهم فى المائدة ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (و بالوالدين احسانا) وقوله جل ثناؤه و بالوالدين احسانا عطف على موضع ان المحذوفة فى لا تعبدون الا الله فكان معنى الكلام واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل بان لا تعبدوا الا الله و بالوالدين احسانا فرفع لا تعبدون لما حذف ان ثم عطف بالوالدين على موضعها كما قال الشاعر

معاوى اننا بشر فاسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديدا

فنصب الحديد على العطف به على موضع الجبال لانها لو لم تكن فيها باء خافضة كانت نصبا فعطف بالحديد على معنى الجبال لا على لفظها فكذلك ما وصفت من قوله و بالوالدين احسانا وأما الاحسان فمنصوب بفعل مضمر يؤدى عن معناه قوله و بالوالدين اذ كان مفهوما معناه فكان معنى الكلام لو أظهر المحذوف واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل بان لا تعبدوا الا الله و بان تحسنوا الى الوالدين احسانا فاكتفى بقوله و بالوالدين من ان يقال و بان تحسنوا الى الوالدين احسانا اذ كان مفهوما ان ذلك معناه بما ظهر من الكلام وقد زعم بعض أهل العربية فى ذلك ان معناه و بالوالدين فاحسنوا احسانا فجعل الباء التى فى الوالدين من صلة الاحسان مقدمة عليه وقال آخرون بل معنى ذلك ان لا تعبدوا الا الله واحسنوا بالوالدين احسانا فزعموا ان الباء التى فى الوالدين من صلة المحذوف أعنى أحسنوا فجعلوا ذلك من كلامين وانما يصرف الكلام الى ما ادعوا من ذلك اذا لم يوجد لاتساق الكلام على كلام واحد وجه فاما وللكلام وجه مفهوم على اتساق على كلام واحد فلا وجه يصرفه الى كلامين وأخرى ان القول فى ذلك لو كان على ما قالوا لقيل والى الوالدين احسانا لانه انما يقال أحسن فلان الى والديه ولا يقال أحسن بوالديه الا على استكراه للكلام ولكن القول فيه ما قلنا وهو واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل بكذا و بالوالدين احسانا على ما بينا قبل فيكون الاحسان حينئذ مصدرا من الكلام لا من لفظه كما بينا فيما مضى من نظائره فان قال قائل وما ذلك الاحسان الذى أخذ عليهم بالوالدين الميثاق قيل نظير ما فرض الله على امتنا لهما من فعل المعروف لهما والقول الجميل وخفض جناح الذل رحمة

المدينة فانكر عليه صلى الله عليه وسلم الهمزة وقيل النبي بالادغام من النبوة وهى ما ارتفع من الارض أى انه صلى الله عليه وسلم أشرف على سائر الخلق فعيل بمعنى مفعول والجمع أنبياء وعلى الاول انما جمع على أنبياء لان الهمزة لما أبدل الزم الابدال جمع جمع ما أصل لامه حرف العلة ذلك بما عصوا تأكيد بتكرير الشئ بغير اللفظ الاول كقول السيد لعبده وقد احتمل منه ذنوبا سلفت منه فعاقبه عند آخرها هذا بما عصيتنى وخالفت أمرى هذا بما تجرأت على واغتررت بحلمى (٢٩٥) ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر والقتل على معنى انهمكوا فى العصيان والاعتداء حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء أو تكون الباء بمعنى مع أى ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا سائر أنواع المعاصى واعتدوا حدود الله فى كل شئ وقيل هو اعتداؤهم فى السبت واعلم انه سبحانه لما ذكر انزال العقوبة بهم بين سبب ذلك أولا بما فعلوا وفى حق الله وهو جهلهم به وجحدهم لنعمه ثم ثناه بما يتلوه فى العظم وهو قتل الانبياء ثم ثلثه بما يكون منهم من المعاصى المتعدية الى الغير مثل الاعتداء والظلم وذلك فى نهاية الترتيب وقيل الاول اشارة الى متقدميهم والثانى اشارة الى من كان فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى بين سبب ما نزل بالفريقين من البلاء ليظهر للخلائق ان ذلك على قانون العدالة وقضية الحكمة فان قيل لم قيل ههنا ويقتلون النبيين بغير الحق وفى آل عمران ويقتلون النبيين بغير حق منكرا قلت الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذى يوجب القتل ما فى قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق فالحق المعرف اشارة الى هذا وأما الحق المنكر فالمراد به تأكيد العموم أى لم يكن هناك حق لا هذا الذى يعرفه المسلمون ولا غيره البتة (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) القراآت النصارى بالامالة أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وورش من طريق النجارى

بهما والتحنن عليهما والرأفة بهما والدعاء بالخير لهما وما أشبه ذلك من الافعال التى ندب الله عباده ان يفعلوا بهما ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (وذى القربى واليتامى والمساكين) يعنى بقوله وذى القربى وبذى القربى ان يصلوا قرابته منهم ورحمه والقربى مصدر على تقدير فعلى من قولك قربت منى رحم فلان قرابة وقربى وقربا بمعنى واحد وأما اليتامى فهم جمع يتيم مثل أسير وأسارى ويدخل فى اليتامى الذكور منهم والاناث ومعنى ذلك واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وحده دون من سواه من الانداد وبالوالدين احسانا وبذى القربى ان تصلوا رحمه وتعرفوا حقه وباليتامى ان تتعطفوا عليهم بالرحمة والرأفة وبالمساكين ان تؤتوهم حقوقهم التى ألزمها الله أموالكم والمسكين هو المتخشع المتذلل من الفاقة والحاجة وهو مفعيل من المسكنة والمسكنة هى ذل الحاجة والفاقة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (وقولوا للناس حسنا) ان قال قائل كيف قيل وقولوا للناس حسنا فأخرج الكلام أمرا ولما يتقدمه أمر بل الكلام جار من أول الآية مجرى الخبر قيل ان الكلام وان كان قد جرى فى أول الآية مجرى الخبر فانه مما يحسن فى موضعه الخطاب بالامر والنهى فلو كان مكان لا تعبدون الا الله لا تعبدوا الا الله على وجه النهى من الله لهم عن عبادة غيره كان حسنا صوابا وقد ذكر ان ذلك كذلك فى قراءة أبى بن كعب وانما حسن ذلك وجاز لو كان مقروا به لان أخذ الميثاق قول فكان معنى الكلام لو كان مقروا كذلك واذ قلنا لبنى اسرائيل لا تعبدوا الا الله كما قال جل ثناؤه فى موضع آخر واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة فلما كان حسنا وضع الامر والنهى فى موضع لا تعبدون الا الله عطف بقوله وقولوا للناس حسنا على موضع لا تعبدون وان كان مخالفا كل واحد منهما معناه معنى ما فيه لما وصفنا من جواز وضع الخطاب بالامر والنهى موضع لا تعبدون فكأنه قيل واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدوا الا الله وقولوا للناس حسنا وهو نظير ما قدمنا البيان عنه من ان العرب تبتدئ الكلام أحيانا على وجه الخبر عن الغائب فى موضع الحكايات كما أخبرت عنه ثم تعود الى الخبر على وجه الخطاب وتبتدى أحيانا على وجه الخطاب ثم تعود الى الاخبار على وجه الخبر عن الغائب لما فى الحكاية من المعنيين كما قال الشاعر

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

يعنى تقليت وأما الحسن فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم وقولوا للناس حسنا بفتح الحاء والسين وقرأته عامة قراء المدينة حسنا بضم الحاء وتسكين السين وقد روى عن بعض القراء انه كان يقرأ وقولوا للناس حسنى على مثال فعلى واختلف أهل العربية فى فرق ما بين معنى قوله حسنا وحسنا فقال بعض البصريين هو على أحد وجهين اما أن يكون يراد بالحسن الحسن وكلاهما لغة كما يقال البخل والبخل واما أن يكون جعل الحسن هو الحسن فى التشبيه وذلك ان الحسن مصدر والحسن هو الشئ الحسن ويكون ذلك حينئذ كقولك انما أنت أكل وشرب وكما قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع

فجعل التحية ضربا وقال آخر بل الحسن هو الاسم العام الجامع جميع معانى الحسن والحسن هو البعض من معانى الحسن قال ولذلك قال جل ثناؤه اذ أوصى بالوالدين ووصينا الانسان بوالديه حسنا

يعني بذلك انه وصاه فيه بجميع معاني الحسن وأمر في سائر الناس ببعض الذي أمره به في والديه فقال وقولوا للناس حسنا يعني بذلك بعض معاني الحسن والذي قاله هذا القائل في معنى الحسن بضم الحاء وسكون السين غير بعيد من الصواب وانه اسم لنوعه الذي سمي به وأما الحسن فانه صفة وقعت لما وصف به وذلك يقع بخاص واذا كان الامر كذلك فالصواب من القراءة في قوله وقولوا للناس حسنا لان القوم انما أمروا في هذا العهد الذي قيل لهم وقولوا للناس استعمال الحسن من القول دون سائر معاني الحسن الذي يكون بغير القول وذلك نعت الخاص من معاني الحسن وهو القول فلذلك اخترت قراءته بفتح الحاء والسين على قراءته بضم الحاء وسكون السين وأما الذي قرأ ذلك وقولوا للناس حسنى فانه خالف بقراءته اياه كذلك قراءة أهل الاسلام وكفى شاهدا على خطأ القراءة بها كذلك خروجها من قراءة أهل الاسلام ولو لم يكن على خطئها شاهد غيره فكيف وهي مع ذلك خارجة من المعروف من كلام العرب وذلك ان العرب لا تكاد ان تتكلم بفعلى وأفعل الا بالالف واللام أو بالاضافة لا يقال جاءني أحسن حتى يقولوا الاحسن ولا يقولوا أجمل حتى يقولوا الاجمل وذلك ان الافعل والفعلى لا يكادان يوجدان صفة الا لمعهود معروف كما تقول بل أخوك الاحسن وبل أختك الحسنى وغير جائز ان يقال امرأة حسنى ورجل أحسن وأما تأويل القول الحسن الذي أمر الله به الذين وصف أمرهم من بني اسرائيل في هذه الآية لان يقولوه للناس فهو ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله وقولوا للناس حسنا أمرهم أيضا بعد هذا الخلق ان يقولوا للناس حسنا ان يأمروا بلا اله الا الله من لم يقلها ورغب عنها حتى يقولوها كما قالوها فان ذلك قربة من الله جل ثناؤه وقال الحسن أيضا لين القول من الادب الحسن الجميل والخلق الكريم وهو مما ارتضاه الله وأحبه حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن أبي الربيع عن أبي العالية وقولوا للناس حسنا قال قولوا للناس معروفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج وقولوا للناس حسنا قال صدقا في شان محمد صلى الله عليه وسلم وحدثت عن يزيد بن هرون قال سمعت سفيان الثوري يقول في قوله وقولوا للناس حسنا قال مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر حدثني هرون بن ادريس الاصم قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي قال ثنا عبد الملك بن أبي سليمان قال سألت عطاء بن أبي رباح عن قول الله جل ثناؤه وقولوا للناس حسنا قال من لقيت من الناس فقل له حسنا من القول قال وسألت أبا جعفر فقال مثل ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا القاسم قال أخبرنا عبد الملك عن أبي جعفر وعطاء بن أبي رباح في قوله وقولوا للناس حسنا قال الناس كلهم حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء مثله ۞ القول في تأويل قوله (وأقيموا الصلاة) يعني بقوله وأقيموا الصلاة أدوها بحقوقها الواجبة عليكم فيها كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن مسعود قال وأقيموا الصلاة هذه واقامة الصلاة تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها فيها ۞ القول في تأويل قوله (وآتوا الزكاة) قد بينا فيما مضى قبل معنى الزكاة وما أصلها وأما الزكاة التي كان الله أمر بها بني اسرائيل الذين

والحرازغن هبيرة وكذلك كل راء بعدها ياء وروى قتيبة بكسر الصاد والراء وكذلك قوله سكارى وأسارى ويوارى وأوارى كلها بامالة ما قبل الالف والصابئين بغير همزة أبو جعفر ونافع وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة * الوقوف عندربهم ز لنوع عدول عن اثبات الى نفي مع اتفاق الجملتين يحزنون ه الطور ط لان التقدير وقلنا لكم خذوا تتقون ه من بعد ذلك ج لان لولا للابتداء وقد دخل الفاء فيه الخاسرين ه خاسئين ه ج للآية والعطف بالفاء المتقين ه * التفسير قد انجر الكلام في الآي المتقدمة الى وعيد أهل الكتاب ومن يقفو آثارهم فقرن به ما يتضمن الوعد جريا على عادته سبحانه من ذكر الترغيب مع الترهيب فقال ان الذين آمنوا واختلف المفسرون ههنا لان قوله في آخر الآية من آمن يدل على ان المراد من قوله آمنوا شيأ آخر كقوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا فعن ابن عباس المراد ان الذين آمنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بعيسى عليه السلام مع البراءة من أباطيل اليهود والنصارى كقس ابن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري كأنه قيل ان الذين آمنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل اليهود والذين كانوا على الدين الباطل النصارى كل من آمن بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم أجرهم وعن سفيان الثوري ان الذين آمنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون والذين هادوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية والنصارى والصابئين كل من أتى منهم بالايمان الحقيقي فلهم كذا وقيل الذين آمنوا هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة وهو عائد الى الماضي وكأنه قيل ان الذين آمنوا في الماضي واليهود والنصارى والصابئين كل من آمن منهم وثبت على ذلك في المستقبل واستمر واشتقاق اليهود قيل من قولهم انا هدنا اليك أي تبنا ورجعنا عن ابن عباس وقيل نسبوا الى يهودا أكبر ولد يعقوب وقيل انهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة واشتقاق النصارى قيل من ناصرة قرية كان نزلها عيسى صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل لتناصرهم فيما بينهم أي لنصرة بعضهم بعضا وقيل لان عيسى صلى الله عليه وسلم قال للحواريين من أنصاري الى الله وواحد النصارى نصران ومؤنثه نصرانة والياء في نصراني

ذكر

ذكر أمرهم فى هذه الآية فهى ماحدثنا به أبوكريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس وآتوا الزكاة قال ايتاء الزكاة ما كان الله فرض عليهم فى أموالهم من الزكاة وهى سنة كانت لهم غير سنة محمد صلى الله عليه وسلم كانت زكاة أموالهم قربانا تهبط اليه نار فتحملها فكان ذلك تقبله ومن لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل وكان الذى قرب من مكسب لايحل من ظلم أوغشم أوأخذ بغير ما أمر الله به وبينه له حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وآتوا الزكاة يعنى بالزكاة طاعة الله والاخلاص ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بنى اسرائيل انهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه بعد ما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له بان لا يعبدوا غيره وان يحسنوا الى الآباء والامهات ويصلوا الارحام ويتعطفوا على الايتام ويؤدوا حقوق أهل المسكنة اليهم ويامروا عباد الله بما أمرهم الله به ويحثوهم على طاعته ويقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها ويؤتوا زكاة أموالهم فخالفوا أمره فى ذلك كله وتولوا عنه معرضين الا من عصمه الله منهم فوفى لله بعهده وميثاقه كما حدثنا أبوكريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما فرض الله جل وعز عليهم يعنى على هؤلاء الذين وصف الله أمرهم فى كتابه من بنى اسرائيل هذا الذى ذكر انه أخذ ميثاقهم به أعرضوا عنه استثقالا له وكراهية وطلبوا ما خف عليهم الا قليلا منهم وهم الذين استثنى الله فقال ثم توليتم يقول أعرضتم عن طاعتى الا قليلا منكم قال القليل الذين اخترتهم لطاعتى وسيحل عقابى بمن تولى وأعرض عنها يقول تركها استخفافا بها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون أى تركتم ذلك كله وقال بعضهم عنى الله جل ثناؤه بقوله وأنتم معرضون اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنى بسائر الآية أسلافهم كانه ذهب الى ان معنى الكلام ثم توليتم الا قليلا منكم ثم تولى سلفكم الا قليلا منهم ولكنه جعل خطابا لبقايا نسلهم على ماذكرناه فيما مضى قبل ثم قال وأنتم يامعشر بقاياهم معرضون أيضا عن الميثاق الذى أخذ عليكم بذلك وتاركوه ترك أوائلكم وقال آخرون بل قوله ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون خطاب لمن كان بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بنى اسرائيل وذم لهم بنقضهم الميثاق الذى أخذ عليهم فى التوراة وتبديلهم أمر الله وركوبهم معاصيه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم) قال أبو جعفر قوله واذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم فى المعنى والاعراب نظير قوله واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الا الله وأما سفك الدم فانه صبه واراقته فان قال قائل وما معنى قوله لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم وقال أو كان القوم يقتلون أنفسهم ويخرجونها من ديارها فنهوا عن ذلك قيل ليس الامر فى ذلك على ماظننت ولكنهم نهوا عن ان يقتل بعضهم بعضا فكان فى قتل الرجل منهم الرجل قتل نفسه اذ كانت ملتهما واحدة فهما بمنزلة رجل واحد كما قال عليه السلام انما المؤمنون فى

المبالغة كما فى أجرى والصابئين بالهمزة اشتقاقه من صبا الرجل يصبو صبوا اذا خرج من دينه الى دين آخر وكانت العرب يسمون النبى صلى الله عليه وسلم صابئا لانه صلى الله عليه وسلم أظهر دينا على خلاف أديانهم عن مجاهد والحسن هم طائفة من اليهود والمجوس لاتؤكل ذبائحهم ولاتنكح نساؤهم وعن قتادة قوم يعبدون الملائكة ويصلون للشمس كل يوم خمس مرات وقيل وهو الاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب ثم فيها قولان الاول ان خالق العالم هو الله سبحانه الا انه أمر بتعظيم هذه الاجرام واتخاذها قبلة للصلاة والدعاء والثانى انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب وفوض التدبير اليها فيجب على البشر تعظيمها لانها هى الآلهة المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله سبحانه وينسب هذا المذهب الى الكلدانيين الذين جاءهم ابراهيم عليه السلام فبين الله تعالى ان هذه الفرق الاربع اذا آمنوا بالله ويدخل فيه الايمان بكل ما أوجبه كالايمان برسله وآمنوا باليوم الآخر وبما وعد فيه فان أجرهم متيقن جار مجرى الحاصل عند الله تعالى ومحل من آمن رفع على انه مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبران أو نصب على انه بدل من اسم ان والمعطوفات عليه وخبر ان فلهم أجرهم والفاء لتضمن من أو الذين معنى الشرط قال أهل البرهان قدم النصارى على الصابئين لانهم أهل كتاب وعكس الترتيب فى الحج لان الصابئين مقدمة على النصارى بالزمان وراعى فى المائدة المعنيين فقدمهم فى اللفظ وأخرهم فى التقدير لان تقديره والصابئون كذلك وقوله سبحانه واذ أخذنا ميثاقكم مخاطبة فيها معاتبة لاشتمالها على تذكير النعم وتقرير المنعم وللمفسرين فى هذا الميثاق أقوال أحدها انه ما أودع الله العقول من الدلائل الدالة على وجود الصانع وقدرته وحكمته وعلى صدق أنبيائه ورسله وهو أقوى المواثيق والعهود لانه لايحتمل الخلف والكذب والتبدل بوجه من الوجوه وهو قول الاصم وثانيها ماروى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ان موسى عليه السلام لما رجع من عند ربه بالالواح قرؤا ما فيها من الاخبار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم واقبولها أمر جبرائيل بقلع الطور من أصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا ألقى عليكم فحينئذ قبلوا وأعطوا الميثاق وعن ابن عباس ان لله ميثاقين الاول حين أخرجهم من صلب آدم وأشهدهم على أنفسهم والثانى انه تعالى ألزم الناس متابعة الانبياء والمراد ههنا هو

تراجمهم وتعاطفهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى بعضه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وقد يجوز أن يكون معنى قوله لا تسفكون دماءكم أى لا يقتل الرجل منكم الرجل منكم فيقاد به قصاصا فيكون بذلك قاتلا نفسه لانه كان الذى سبب لنفسه ما استحقت به القتل فاضيف بذلك اليه قتل ولى المقتول اياه قصاصا بوليه كما يقال للرجل يركب فعلا من الافعال يستحق به العقوبة فيعاقب العقوبة أنت جنيت هذا على نفسك وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم أى لا يقتل بعضكم بعضا ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ونفسك يا ابن آدم أهل ملتك حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم يقول لا يقتل بعضكم بعضا ولا تخرجون أنفسكم من دياركم يقول لا يخرج بعضكم بعضا من الديار حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن قتادة فى قوله لا تسفكون دماءكم يقول لا يقتل بعضكم بعضا بغير حق ولا تخرجون أنفسكم من دياركم فتسفك يا ابن آدم دماء أهل ملتك ودعوتك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم أقررتم) يعنى بقوله ثم أقررتم بالميثاق الذى أخذنا عليكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم كما حدثنا المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية ثم أقررتم يقول أقررتم بهذا الميثاق وحدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وأنتم تشهدون) اختلف أهل التأويل فيمن خوطب بقوله وأنتم تشهدون فقال بعضهم ذلك خطاب من الله تعالى ذكره لليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام هجرته اليه مؤنبا لهم على تضييع أحكام ما فى أيديهم من التوراة التى كانوا يقرون بحكمها فقال الله تعالى لهم ثم أقررتم يعنى بذلك اقرار أوائلكم وسلفكم وأنتم تشهدون على اقرارهم بأخذ الميثاق عليهم بأن لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم ويصدقون بأن ذلك حق من ميثاقى عليهم وممن حكى معنى هذا القول عنه ابن عباس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ان هذا حق من ميثاقى عليكم وقال آخرون بل ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن أوائلهم ولكنه تعالى ذكره أخرج الخبر بذلك عنهم مخرج المخاطبة على النحو الذى وصفنا فى سائر الآيات التى هى نظائرها التى قد بينا تأويلها فيما مضى وتأولوا قوله وأنتم تشهدون على معنى وأنتم شهود ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية قوله وأنتم تشهدون يقول وأنتم شهود قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب عندى ان يكون قوله وأنتم تشهدون خبرا عن أسلافهم وداخلا فيه المخاطبون منهم الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان قوله واذ أخذنا ميثاقكم خبرا عن أسلافهم وان كان خطابا للذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى أخذ ميثاق الذين كانوا على عهد رسول الله موسى صلى الله عليه وسلم من بنى اسرائيل على سبيل ما قد

هذا العهد وانما قال ميثاقكم ولم يقل مواثيقكم لعلم بذلك كقوله يخرجكم طفلا أى كل واحد منكم أو لان الميثاق بشىء واحد أخذه من كل واحد منهم ولو قال مواثيقكم لاشبه أن يكون لكل منهم ميثاق آخر والواو فى ورفعنا اما واو عطف ان جعل الميثاق مقدما على رفع الجبل كما فى قول الاصم وابن عباس واما واو الحال ان جعل مقارنا للرفع كانه قال واذ أخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم والطور قيل الجبل مطلقا وعن ابن عباس انه جبل من جبال فلسطين وقيل جبل معهود والاقرب انه الجبل الذى وقعت المناجاة عليه وقد يجوز ان ينقله الله تعالى الى حيث هم فجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم فان القادر على ان يسكن الجبل فى الهواء قادر على ان ينقله اليهم من المكان البعيد خذوا على ارادة القول أى وقلنا خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة غير متكاسلين ولا متثاقلين وقيل بقوة ربانية واذكروا ما فيه احفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وانما لم يحمل على نفس الذكر لان الذكر الذى هو ضد النسيان من فعل الله فكيف يجوز الامر به لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين أو قلنا خذوا ارادة ان تتقوا ثم توليتم معطوف على محذوف أى فقبلتم والتزمتم ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به ويمكن أن يقال أخذ الميثاق عبارة عن قبولهم فلا حاجة الى تقدير من بعد ذلك أى من بعد القبول والالتزام قال القفال قد نعلم فى الجملة انهم بعد قبول التوراة ورفع الطور تولوا عن التوراة بأمور كثيرة فحرفوا التوراة وتركوا العمل به وقتلوا الانبياء وكفروا بهم وعصوا أمرهم ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله أوائلهم ومنها ما فعله متأخروهم ولم يزالوا فى التيه مع مشاهدتهم الاعاجيب ليلا ونهارا يخالفون موسى ويعترضون عليه ويلقونه بكل أذى ويجاهرون بالمعاصى فى عسكره حتى لقد خسف بينه ببعضهم وأحرقت النار بعضهم وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور فى تراجم التوراة التى يقرونها ثم فعل متأخروهم ما لا خفاء به حتى عوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا بالمسيح وهموا بقتله فغير عجيب انكارهم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب وجحودهم حقه صلى الله عليه وسلم وحالهم فى كتابهم ونبيهم ما ذكر فلولا فضل الله عليكم ورحمته بامهالكم وتأخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين أى من

بينه لنا فى كتابه فالزم جميع من بعدهم من ذريتهم من حكم التوراة مثل الذى الزم منهم ممن كان على عهد موسى منهم ثم أنب الذين خاطبهم بهذه الآيات على نقضهم ونقض سلفهم ذلك الميثاق وتكذيبهم ما وكدوا على أنفسهم له بالوفاء من العهود بقوله ثم أقررتم وأنتم تشهدون فان كان خارجا على وجه الخطاب للذين كانوا على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم منهم فانه معنى به كل من واثق بالميثاق منهم على عهد موسى ومن بعده وكل من شهد منهم بتصديق ما فى التوراة لان الله جل ثناؤه لم يخصص بقوله ثم أقررتم وأنتم تشهدون وما أشبه ذلك من الآى بعضهم دون بعض والآية محتملة ان يكون أريد بها جميعهم فان كان ذلك كذلك فليس لاحد ان يدعى انه أريد بها بعض منهم دون بعض وكذلك حكم الآية التى بعدها أعنى قوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم الآية لانه قد ذكر لنا ان أوائلهم قد كانوا يفعلون من ذلك ما كان يفعله أواخرهم الذين أدركوا عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) قال أبو جعفر ويتجه فى قوله ثم أنتم هؤلاء وجهان أحدهما ان يكون أريد به ثم أنتم يا هؤلاء فترك يا استغناء بدلالة الكلام عليه كما قال يوسف أعرض عن هذا وتأويله يا يوسف أعرض عن هذا فيكون معنى الكلام حينئذ ثم أنتم يا معشر يهود بنى اسرائيل بعد اقراركم بالميثاق الذى أخذته عليكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وبعد شهادتكم على أنفسكم بان ذلك حق لى عليكم لازم لكم الوفاء لى به تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم متعاونين فى اخراجكم اياهم بالاثم والعدوان والتعاون هو التظاهر وانما قيل التعاون التظاهر لتقوية بعضهم ظهر بعض فهو تفاعل من الظهر وهو مساندة بعضهم ظهره الى ظهر بعض والوجه الآخر ان يكون معناه ثم أنتم قوم تقتلون أنفسكم فيرجع الى الخبر عن أنتم وقد اعترض بينهم وبين الخبر عنهم بهؤلاء كما تقول العرب أنا ذا أقوم وأنا هذا أجلس ولو قيل أنا هذا أجلس كان صحيحا جائزا كذلك أنت ذاك تقوم وقد زعم بعض البصريين ان قوله هؤلاء فى قوله ثم أنتم هؤلاء تنبيه وتوكيد لانتم وزعم ان أنتم وان كانت كناية اسما جماع المخاطبين فانما جاز ان يؤكدوا بهؤلاء وأولى لانها كناية عن المخاطبين كما قال خفاف بن ندبة

أقول له والرمح يأطر متنه * تبين خفافا اننى انا ذالكا

يريد انا هذا وكما قال جل ثناؤه حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية نحو اختلافهم فيمن عنى بقوله وأنتم تشهدون ذكر اختلاف المختلفين فى ذلك حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى محمد بن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان الى أهل الشرك حتى يسفكوا دماءهم معهم ويخرجوهم من ديارهم معهم فقال أنبهم الله من فعلهم وقد حرم عليهم فى التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم من بنى قينقاع حلفاء الخزرج والنضير وقريظة حلفاء الاوس فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت

الهالكين الذين باعوا أنفسهم بنار جهنم ولكنكم خرجتم من هذا الخسران لان الله تعالى تفضل عليكم بالامهال حتى تبتم فان كلمة لولا تدل على امتناع الثانى لوجود الاول فامتنع الخسران لوجود فضل الله ويحتمل أن يكون الخسران قد انتهى عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ويكون قوله فلولا فضل الله رجوعا بالكلام الى أوله أى لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على ردكم الكتاب ولكنه تفضل عليكم ورحمكم ولطف بكم بذلك حتى تبتم قوله عز من قائل ولقد علمتم اللام للابتداء ولا تكاد يدخل الماضى (٢٩٩) بدون قد لانها لتأكيد مضمون الجملة الاسمية نحو لزيد قائم أو لتأكيد المضارع نحو ليضرب زيد لكن قد تقرب الماضى من الحال فيصير الماضى كالمضارع مع تناسب معنى قد ومعنى اللام فى التحقيق وعند الكوفيين يقدر القسم قبله عن ابن عباس ان هؤلاء القوم كانوا فى زمن داود عليه السلام بايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل أوب فى شهر من السنة حتى لا يرى الماء لكثرتها وفى غير ذلك الشهر فى كل سبت خاصة فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم ثم انهم أخذوا السمك واستغنوا بذلك وهم خائفون من العقوبة فلما طال العهد استنت الابناء سنة الآباء واتخذوا الاموال فمشى اليهم طوائف من أهل المدينة الذين كرهوا الصيد فى السبت فنهوهم فلم ينتهوا وقالوا نحن فى هذا العمل منذ زمان فما زادنا الله به الا خيرا فقيل لهم لا تغتروا بذلك فربما ينزل بكم العذاب والهلاك فصبح القوم وهم قردة خاسئون فمكثوا ثلاثة أيام ثم ماتوا قال بعضهم وفى الكلام حذف أى ولقد علمتم اعتداء الذين اعتدوا ليكون المذكور من العقوبة جزاء لذلك والسبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت يوم السبت والاعتداء فيه اما نفس الاصطياد لانهم أمروا فيه بالتجرد للعبادة فجاوزوا واما حدلهم واشتغلوا بالصيد واما الاصطياد مع استحلاله وقوله كونوا المراد منه سرعة الايجاد واظهار القدرة وان لم يكن هنالك قول انما أمرنا الشئ اذا أردناه ان نقول له كن فيكون وقردة خاسئين خبران أى كونوا جامعين بين القردة والخسوء وهو الصغار والطرد عن مجاهد انه مسخ قلوبهم يعنى بالطبع والختم لا انه مسخ صورهم وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل أسفارا ونظيره أن يقول الاستاذ للمتعلم البليد

النضير وقريظة مع الاوس يظاهر كل من الفريقين حلفاءه على اخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبايديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم والاوس والخزرج أهل الشرك يعبدون الاوثان لا يعرفون جنة ولا نارا ولا بعثا ولا قيامة ولا كتابا ولا حراما ولا حلالا فاذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقا لما فى التوراة وأخذا به بعضهم من بعض يفتدى بنو قينقاع ما كان من أسراهم فى أيدى الاوس وتفتدى النضير وقريظة ما كان فى أيدى الخزرج منهم ويطلبون ما أصابوا من الدماء وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لاهل الشرك عليهم يقول الله تعالى ذكره حين أنبأهم بذلك أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض أى تفادونه بحكم التوراة وتقتلونه وفى حكم التوراة ان لا يقتل ولا يخرج من داره ولا يظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الاوثان من دونه ابتغاء عرض من عرض الدنيا ففى ذلك من فعلهم مع الاوس والخزرج فيما بلغنى نزلت هذه القصة **وحدثنى** موسى ابن هرون قال حدثنى عمرو عن حماد قال ثنا اسباط عن السدى واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون قال ان الله أخذ على بنى اسرائيل فى التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا وأيما عبد او أمة وجدتموه من بنى اسرائيل فاشتروه بما قام ثمنه فاعتقوه فكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكانوا يقتتلون فى حرب سمير فتقاتل بنو قريظة مع حلفائها النضير وحلفاءها وكانت النضير تقاتل قريظة وحلفاءها فيغلبونهم فيخربون بيوتهم ويخرجونهم منها فاذا أسر الرجل من الفريقين كليهما جمعوا له حتى يفدوه فتعيرهم العرب بذلك ويقولون كيف تقاتلونهم وتفدونهم قالوا انا أمرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم قالوا فلم تقاتلونهم قالوا انا نستحيى ان تستذل حلفاؤنا فذلك حين عيرهم جل وعز فقال ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كانت قريظة والنضير أخوين وكانوا بهذه المثابة وكان الكتاب بايديهم وكانت الاوس والخزرج أخوين فافترقا وافترقت قريظة والنضير فكانت النضير مع الخزرج وكانت قريظة مع الاوس فاقتتلوا وكان بعضهم يقتل بعضا فقال الله جل ثناؤه ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم الآية وقال آخرون بما **حدثنى** به المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال كان فى بنى اسرائيل اذا استضعفوا قوما أخرجوهم من ديارهم وقد أخذ عليهم الميثاق ان لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم وأما العدوان فهو الفعلان من التعدى يقال منه عدا فلان فى كذا عدوا وعدوانا واعتدى يعتدى اعتداء وذلك اذا جاوز حده ظلما وبغيا وقد اختلف القراء فى قراءة تظاهرون فقرأها بعضهم تظاهرون على مثال تفاعلون فحذف التاء الزائدة وهى التاء الآخرة وقرأها آخرون تظاهرون فشددوا بتأويل تتظاهرون غير انهم أدغموا التاء الثانية فى الظاء لتقارب مخرجيهما فصيروهما ظاء مشددة وهاتان القراءتان وان اختلفت ألفاظهما فانهما متفقتا المعنى فسواء بأى ذلك قرأ القارئ لانهما جميعا لغتان معروفتان وقراءتان مستفيضتان فى أمصار الاسلام بمعنى واحد ليس فى احداهما معنى تستحق به اختيارها على الاخرى الا ان يختار مختار تظاهرون المشددة طلبا منه تتمة الكلمة

الذى لا ينجع فيه تعليمه كمن حمارا واحتج بان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس فاذا أبطله وخلق مكانه تركيب القرد رجع حاصل المسخ الى اعدام الاعراض التى باعتبارها كان ذلك الجسم انسانا وايجاد اعراض أخر باعتبارها صار قردا وأيضا لو جوزنا ذلك لم نامن فى كل ما نراه قردا وكلبا انه كان انسانا عاقلا وذلك شك فى المشاهدات وأجيب بان الانسان ليس هذا الهيكل لتبدله بالسمن والهزال فهو أمر وراء ذلك اما جسمانى سار فى جميع البدن أو جزء فى جانب من البدن كقلب أو دماغ أو مجرد كما يقوله الفلاسفة وعلى التقادير فلا امتناع فى بقاء ذلك الشئ مع تطرق التغير الى هذا الهيكل وهذا هو المسخ وبهذا التاويل يجوز فى الملك الذى تكون جثته فى غاية العظم ان يدخل حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولانه لم يتغير منهم الا الخلقة والصورة والعقل والفهم باق فانهم يعرفون ما نالهم بشؤم المعصية من تغيير الخلقة وتشويه تقبيح الصورة وعدم القدرة على النطق وسائر الخواص الانسانية فيتالمون بذلك ويتعذبون ثم أولئك القردة بقوا أو أفناهم الله وان بقوا فهذه القرود التى فى زماننا من نسلهم أم لا الكل جائز عقلا الا أن الرواية عن ابن عباس انهم ما مكثوا الا ثلاثة أيام ثم هلكوا فجعلناها أى المسخة أو القردة أو قرية أصحاب السبت أو هذه الامة نكالا عقوبة شديدة رادعة عن الاقدام على المعصية والنكول عن اليمين الامتناع عنها ولم يقصد بذلك ما يقصده الناس من التشفى واطفاء نائرة الغيظ وانما جعلناها عبرة لما قبلها وما معها وبعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا بها او سيبلغ خبرها الى الآخرين فيعتبرون وأريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرون والامم أو جعلناها عقوبة لجميع ما ارتكبوه قبل هذا الفعل وبعده هكذا قال بعضهم والاولى عندى أن يقال جعلناها عقوبة لاجل ذنوب تقدمت المسخة ولاجل ذنوب تأخرت عنها لانهم ان لم يكونوا ممسوخين لم ينتهوا عنها فهم فى حكم المرتكبين لها ولا يلزم من ذلك تجويز العقاب على الذنب المفروض الموهوم لانه أمر اعتبارى والعقوبة فى نفسها واحدة ثابتة على حالها لم تزدد لاجل الذنب المتأخر شيأ فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتقدم مائة جلدة ولاجل الاباق المتأخر المترقب مائة أخرى ولكنه كمن قيد عبده أو حبسه لاجل الاباق المتقدم

القول

والاباق المترقب والله أعلم وموعظة للمتقين لان منفعة الاتعاظ تعود اليهم لا الى غيرهم مثل هدى للمتقين أو ليعظ المتقون بعضهم بعضا وقيل
للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله
أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه

❁ القول في تأويل قوله تعالى (وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) يعني بقوله جل ثناؤه وان يأتوكم أسارى تفدوهم اليهود يوبخهم بذلك ويعرفهم به قبيح أفعالهم التي كانوا يفعلونها فقال لهم ثم أنتم بعد اقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم ان لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم تقتلون أنفسكم يعني به يقتل بعضكم بعضا وأنتم مع قتلكم من تقتلون منكم اذا وجدتم الاسير منكم في أيدي غيركم من أعدائكم تفدوهم ويخرج بعضكم بعضا من دياره وقتلكم اياهم واخراجكموهم من ديارهم حرام عليكم وتركهم أسرى في أيدي عدوكم فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم أم كيف لا تستجيزون ترك فدائهم وتستجيزون قتلهم وهم جميعا في اللازم لكم من الحكم فيهم سواء لان الذي حرمت عليكم من قتلهم واخراجهم من دورهم نظير الذي حرمت عليكم من تركهم أسرى في أيدي عدوهم أفتؤمنون ببعض الكتاب الذي فرضت عليكم فيه فرائضي وبينت لكم فيه حدودي وأخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقي فتصدقون به فتفادون أسراكم من أيدي عدوكم وتكفرون ببعضه فتجحدونه فتقتلون من حرمت عليكم قتله من أهل دينكم ومن قومكم وتخرجونهم من ديارهم وقد علمتم ان الكفر منكم ببعضه نقض منكم عهدي وميثاقي كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فادين والله ان فداءهم لايمان وان اخراجهم لكفر فكانوا يخرجونهم من ديارهم واذا رأوهم أسارى في أيدي عدوهم افتكوهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق قال حدثني محمد ابن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس وان يأتوكم أسارى تفدوهم قد علمتم ان ذلكم عليكم في دينكم وهو محرم عليكم في كتابكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض أتفادونهم مؤمنين بذلك وتخرجونهم كفرا بذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان يأتوكم أسارى تفدوهم يقول ان وجدته في يد غيرك فديته وأنت تقتله بيدك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر قال قال أبو جعفر كان قتادة يقول في قوله أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فكان اخراجهم كفرا وفداؤهم ايمانا حدثنا المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم الآية قال كان في بني اسرائيل اذا استضعفوا قوما أخرجوهم من ديارهم وقد أخذ عليهم الميثاق أن لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم وأخذ عليهم الميثاق ان أسر بعضهم ان يفادوهم فأخرجوهم من ديارهم ثم فادوهم فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض آمنوا بالفداء ففدوا وكفروا بالاخراج من الديار فأخرجوا حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر قال ثنا الربيع بن أنس قال أخبرني أبو العالية ان عبد الله بن سلام مر على رأس الجالوت بالكوفة وهو يفادي من النساء من لم تقع عليه العرب ولا يفادي من وقع عليه العرب فقال له عبد الله بن سلام اما انه مكتوب عندك في كتابك ان فادوهن كلهن حدثنا القاسم

علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون) القراآت يأمركم بالاختلاس أبو عمرو وكذلك كل فعل مستقبل مهموز من ذوات الراء هزوا ساكنة الزاء مهموزة حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل وقرأ حمزة مبدلة الواو من الهمزة في الوقف لكان الخط وقرأ حفص غير الخراز مثقلا غير مهموز الباقون مثقلا مهموزا جئت وبابه بغير همز أبو عمرو ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف فادارأتم بغير همزة أبو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف عما يعملون بالياء التحتانية ابن كثير ❁ الوقوف بقرة ط هزوا ط الجاهلين ه نصف الجزء ما هي ط ولا بكر ط لان التقدير هي عوان بين

ذلك ط على تقدير قد تبين لكم فافعلوا ما تؤمرون ه ما لونها ط صفراء (لا) الى آخر الآية لان الجملة صفة بعد صفة الناظرين ه ما هي (لا) لان التقدير فان البقر أو لان البقر ايلاء لعذر تكرار السؤال علينا ط لمهتدون الحرث ج لان قوله مسلمة صفة بقرة أو خبر محذوف أي هي مسلمة لا شية فيها ط جئت بالحق ط لان التقدير فطلبوها فوجدوها فذبحوها يفعلون ط فادارأتم فيها ط تكتمون ه ج للآية والفاء بعدها ببعضها ط لان التقدير فضربوه فحيي فقيل لهم كذلك يحيي الله الموتى تعقلون ه قسوة ط الانهار ط الماء ط خشية

الله ط لتفصيل دلائل القدرة تعملون ٥ * التفسير عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل قتل قريباله لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكا ذلك الى موسى عليه السلام فاجتهد موسى في تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فسأله فأوحى اليه ان الله يأمرهم ان يذبحوا بقرة فعجبوا من ذلك فشددوا على أنفسهم بالاستفهام حالا بعد حال واستقصوا في طلب الوصف فلما تعين لم يجدوها بذلك النعت الا عند يتيم وذلك انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة فذبحوها وأمر موسى عليه السلام ان يأخذوا عضوا منها فيضربوا به القتيل فصار المقتول حيا وسمى لهم قاتله وهو الذي ابتدأ بالشكاية فقتلوه قودا واعلم أن تأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند مجوز تكليف ما لا يطاق وأما تأخيره الى وقت الحاجة فمختلف فيه فالمجوزون استدلوا بالآية قالوا أمروا بذبح بقرة معينة بدليل تعينها بسؤالهم آخرا وبدليل انه لم يؤمر بمتجدد بل المأمور به في الثانية هو المأمور به في الاولى بالاتفاق وبدليل المطابقة لما ذبح والمانعون قالوا معناه اذبحوا أية بقرة شئتم بدليل تنكير بقرة وهو ظاهر في أن المراد بقرة غير معينة وبدليل أن ابن عباس قال لو ذبحوا بقرة ما لاجزأهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وبدليل التعنيف في قوله وما كادوا يفعلون ولو كانت معينة لما استحقوا التعنيف على السؤال وأجيب بأن ترك الظاهر يجوز لموجب راجح وما نقل عن ابن عباس خبر الواحد والتعنيف يجوز أن يكون لتفريطهم في الامتثال بعد حصول البيان التام ويتفرع على قول المانعين ان التكليف يكون متغايرا فكلفوا في الاول أي بقرة كانت وثانيا ان يكون لا فارضا ولا بكرا بل عوانا فلما لم يفعلوا ذلك كلفوا ان تكون صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ان تكون لا ذلول لا تثير الارض ولا تسقي الحرث ثم اختلف القائلون بهذا المذهب منهم من قال في التكليف الواقع أخيرا يجب أن يكون مستوفيا كل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع الصفة

بات

قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض قال كفرهم القتل والاخراج وايمانهم الفداء قال ابن جريج يقول اذا كانوا عندكم تقتلونهم وتخرجونهم من ديارهم وأما اذا أسروا تفدوهم وبلغني ان عمر بن الخطاب قال في قصة بني اسرائيل ان بني اسرائيل قد مضوا وانكم أنتم تعنون بهذا الحديث واختلف القراء في قراءة قوله وان يأتوكم أسارى تفدوهم فقرأه بعضهم أسرى تفدوهم وبعضهم أسارى تفادوهم وبعضهم أسارى تفدوهم وبعضهم أسرى تفادوهم قال أبو جعفر فمن قرأ ذلك وان يأتوكم أسرى فانه أراد جمع الاسير اذ كان على فعيل على مثال جمع أسماء ذوي العاهات التي يأتي واحدها على تقدير فعيل اذ كان الاسر شبيه المعنى في الاذى والمكروه الداخل على الاسير ببعض معاني العاهات وألحق جمع المسمى به بجمع ما وصفنا فقيل أسير وأسرى كما قيل مريض ومرضى وكسير وكسرى وجريح وجرحى وقال أبو جعفر وأما الذين قرؤا ذلك أسارى فانهم أخرجوه على مخرج جمع فعلان اذ كان جمع فعلان الذي له فعلى قد يشارك جمع فعيل كما قالوا اسكارى وسكرى وكسالى وكسلى فشبهوا أسيرا وجمعوه مرة أسارى وأخرى أسرى بذلك وكان بعضهم يزعم ان معنى الاسرى يخالف معنى الاسارى ويزعم ان معنى الاسرى استئسار القوم بغير أسر من المستأسر لهم وان معنى الاسارى معنى مصير القوم المأسورين في أيدي الآسرين بأسرهم وأخذهم قهرا وغلبة قال أبو جعفر وذلك مالا وجه له يفهم في لغة أحد من العرب ولكن ذلك على ما وصفت من جمع الاسير مرة على فعلى لما بينت من العلة ومرة على فعالى لما ذكرت من تشبيههم جمعه بجمع سكران وكسلان وما أشبه ذلك وأولى الصواب في ذلك قراءة من قرأ وان يأتوكم أسرى لان فعالى في جمع فعيل غير مستفيض في كلام العرب فاذا كان ذلك غير مستفيض في كلامهم وكان مستفيضا فاشيا فيهم جمع ما كان من الصفات التي بمعنى الآلام والزمانة واحده على تقدير فعيل على فعلى كالذي وصفنا قبل وكان أحد ذلك الاسير كان الواجب أن يلحق بنظائره وأشكاله فيجمع جمعها دون غيرها ممن خالفها وأما من قرأ تفادوهم فانه أراد انكم تفدونهم من أسرهم ويفدي منكم الذين أسروهم ففادوكم بهم أسراكم منكم وأما من قرأ ذلك تفدوهم فانه أراد انكم يا معشر اليهود ان أتاكم الذين أخرجتموهم منكم من ديارهم أسرى فديتموهم فاستنقذتموهم وهذه القراءة أعجب الي من الاولى أعني أسرى تفدوهم لان الذي على اليهود في دينهم فداء أسراهم بكل حال فدى الآسرون أسراهم منهم أم لم يفدوهم وأما قوله وهو محرم عليكم اخراجهم فان في قوله وهو وجهين من التأويل أحدهما أن يكون كناية عن الاخراج الذي تقدم ذكره كأنه قال وتخرجون فريقا منكم من ديارهم واخراجهم محرم عليكم ثم كرر الاخراج الذي بعد وهو محرم عليكم تكريرا على هو لما حال بين الاخراج وهو كلام والتأويل الثاني أن يكون عمادا لما كانت الواو التي مع هو تقتضي اسما يليها دون الفعل فلما قدم الفعل قبل الاسم الذي تقتضيه الواو ان يليها أوليت هو لانه اسم كما تقول أتيتك وهو قائم أبوك بمعنى وأبوك قائم اذ كانت الواو تقتضي اسما فعمدت بهو اذ سبق الفعل الاسم ليصلح الكلام كما قال الشاعر

فابلغ أبا يحيي اذا ما لقيته * على العيس في آباطها عرق يبس

الاخيرة لافارضاولابكراوصفراءفاقعالونها ومنهم من يقول انما يجب كونها بالصفة الاخيرة فقط وهذا أشبه بظاهر الكلام اذا كان تكليفا بعد تكليف وان كان الاول أشبه بالروايات وبطريقة التشدد عليهم عند ترك الامتثال واذا ثبت أن البيان لا يتاخر وانه تكليف بعد تكليف دل على أن الاسهل قد ينسخ بالاشق فان المربي لولده قد يامره بالسهل اختيارا فاذا امتنع الولد منه فقد يرى المصلحة في ان يامره بالصعب ويدل أيضا على جواز النسخ قبل الفعل وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه (٣٠٣) الى البدو ويدل على وقوع النسخ في شرع موسى عليه السلام ويدل أيضا على أن الزيادة في الخطاب نسخ له أتتخذنا هزوا استفهام بطريق الانكار معناه لا تجعلنا مكان هزء وأهل هزء أو مهزوا بنا أو الهزء نفسه لفرط الاستهزاء كان القوم ظنوا انه يداعبهم لانه من المحتمل ان موسى عليه السلام أمرهم بذبح البقرة وما أعلمهم انهم اذا ذبحوا البقرة وضربوا القتيل ببعضها صار حيا فلاجرم وقع هذا القول منهم موقع الهزء ويحتمل انه وان كان قد تبين لهم كيفية الحال الا أنهم تعجبوا من ان القتيل كيف يحيي بان يضرب ببعض أجزاء البقرة واختلف العلماء ههنا فعن بعضهم تكفيرهم بهذا القول لانهم ان شكوا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فقد كفروا وان شكوا في ان الذي أمرهم به موسى عليه السلام هل هو بامر الله فقد جوزوا الخيانة على موسى عليه السلام في الوحي وذلك أيضا كفر وعن آخرين أنه لا يوجب الكفر لان المداعبة على الانبياء جائزة فلعلهم ظنوا انه يداعبهم مداعبة حقة أو المراد ما أعجب هذا الجواب كانك تستهزئ بنا الا انهم حققوا على موسى الاستهزاء من الجاهلين اطلاقا لاسم السبب على المسبب فان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون الا بسبب الجهل ومنصب النبوة يجل عن ذلك كما يقول الرجل عند مثل ذلك أعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى أو أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين لما في الاستهزاء من نقصان الدين والعقاب الشديد وقيل نفس الهزء قد يسمى جهلا فان الجهل ضد الحلم كما انه ضد العلم ثم ان قيل ان المامور بذبحه بقرة معينة في نفسها غير مبينة التعيين حسن موقع سؤالهم لان المامور به لما كان مجملا حسن الاستفسار والاستعلام أما على قول القائل انها للعموم فلا بد من بيان انه ما الذي حملهم على هذا الاستفسار فذكروا وجوها أحدها انه لما أخبرهم بشان البقرة تعجبوا وظنوا أن البقرة

بان السلامى الذى يضربه * أمير الحى قد باع حتى بنى عبس
بثوب ودينار وشاة ودرهم * فهل هو مرفوع بما ههنا رأس

فاوليت هل لطلبها الاسم العماد ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا) يعنى بقوله جل ثناؤه فما جزاء من يفعل ذلك منكم فليس لمن قتل منكم قتيلا فكفر بقتله اياه بنقض عهد الله الذى حكم به عليه فى التوراة وأخرج منكم فريقا من ديارهم مظاهرا عليهم أعداءهم من أهل الشرك ظلما وعدوانا وخلافا لما أمره الله به فى كتابه الذى أنزله الى موسى جزاء يعنى بالجزاء الثواب وهو العوض مما فعل من ذلك والاجر عليه الا خزى فى الحياة الدنيا والخزى الذل والصغار يقال منه خزى الرجل يخزى خزيا فى الحياة الدنيا يعنى فى عاجل الدنيا قبل الآخرة ثم اختلف فى الخزى الذى أخزاهم الله بما سلف من معصيتهم اياه فقال بعضهم ذلك هو حكم الله الذى أنزله الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من أخذ القاتل بمن قتل والقود به قصاصا والانتقام للمظلوم من الظالم وقال آخرون بل ذلك هو أخذ الجزية منهم ما أقاموا على دينهم ذلة لهم وصغارا وقال آخرون بل ذلك الخزى الذى جوزوا به فى الدنيا اخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم النضير من ديارهم لاول الحشر وقتل مقاتلة قريظة وسبى ذراريهم فكان ذلك خزيا فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) يعنى بقوله ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ويوم تقوم الساعة يرد من يفعل ذلك منكم بعد الخزى الذى يحل به فى الدنيا جزاء على معصيته الله الى أشد العذاب الذى أعده الله لاعدائه وقد قال بعضهم معنى ذلك يوم القيامة يردون الى أشد العذاب من عذاب الدنيا ولا معنى لقول قائل ذلك بان الله جل ثناؤه انما أخبر انهم يردون الى أشد معانى العذاب ولذلك أدخل فيه الالف واللام لانه عنى به جنس العذاب كله دون نوع منه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعضهم وما الله بغافل عما يعملون بالياء على وجه الاخبار عنهم فكانهم نحوا بقراءتهم معنى فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون يعنى عما يعمله الذين أخبر الله عنهم انه ليس لهم جزاء على فعلهم الا الخزى فى الحياة الدنيا ومرجعهم فى الآخرة الى أشد العذاب وقرأه آخرون وما الله بغافل عما تعملون بالتاء على وجه المخاطبة قال فكانهم نحوا بقراءتهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وما الله بغافل يا معشر اليهود عما تعملون أنتم وأعجب القراءتين الى قراءة من قرأ بالياء اتباعا لقوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم ولقوله يوم القيامة يردون لان قوله وما الله بغافل عما يعملون الى ذلك أقرب منه الى قوله أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فاتباعه الاقرب اليه أولى من الحاقه بالابعد منه والوجه الآخر غير بعيد من الصواب وتاويل قوله وما الله بساه عن أعمالهم الخبيثة بل هو محص لها وحافظها عليهم حتى يجازيهم بها فى الآخرة ويخزيهم فى الدنيا فيذلهم ويفضحهم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) يعنى بقوله جل ثناؤه أولئك الذين أخبر عنهم انهم يؤمنون ببعض الكتاب فيفادون

التى اهامثـل هـذه الخاصـيةلاتكون الابقرة معينةفلاجرم استقصوافى السؤال عن وصفها كعصاموسى المخصوصةمن بين سائر العصى بتلك
الخواص الاأن القوم كانوامخطئين فى ذلك لان هذه الآية العجيبةلاتكون خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها الله على يد موسى أولعل القوم
أرادوا قتـل أى بقرة كانت الاأن القاتل خاف من الفضيحة فالقى شبهة فى البين وقال المامور به بقرة معينة لامطلق البقرة فلما وقعت المنازعة
رجعوا الى موسى أو الخطاب وان أفاد العـموم الاأنا قوم أرادوا الاحتياط فسالوا مزيد البيان وازالة الاحتمال الاأن

المصلحة تغيرت واقتضت الامر بذبح
البقرة المعينة فان قيل السؤال بما
هو لطلب الحقيقة والحقيقة لاتعلم
الا باجزائها ومقوماتها لا بصفاتها
الخارجـة فالجواب بالاوصاف
الخارجة لايكون مطابقا للسؤال
قلنا من البين أن مقصودهم من
قولهم ما البقرة ليس طلب ماهيتها
النوعية فان ذلك كالمفروغ منه
عنـدهـم وانما وقع السؤال عن
المشخصات فالظاهر يقتضى أن
يقال أى بقرة هى فان مطلب أى
السؤال عن الصفات الذاتيـة أو
الخواص فسبب العدول اقامة
الحقيقة الشخصية مقام الحقيقة
النوعيـة فان الشخص من حيث
هو شخص حقيقة أيضا قد يطلب
تصورها واما لانهم تصوروا ان
البقرة التى لها هذه الخاصية العجيبة
حقيقتها مغايرة لحقيقة سائر البقرات
وان كانت صورتها موافقة لصورتها
واما لان السؤال عن الجزئيات كزيد
وعمرو انما يكون بمن اذا كانت طلبا
للعوارض وههنا الجزئى غـير ذى
عقـل فناسب ان يقام ما مقام من
الفارض المسنة وقد فرضت فروضا
فهـى فارض كطالـق كانها
فرضت سـنها أى قطعتها او بلغت
آخرها والبكر الفتية وكان الاظهر
انها التى لم تلد كما فى الانسان والعوان
النصف قال شعر
نواعم بين أبكار وعون

أسراهم من اليهود ويكفرون ببعض فيقتلون من حرم الله عليهـم قتله من أهل ملتهم و يخرجون من داره من حرم الله عليهـم اخراجه من داره نقضا لعهد الله وميثاقه فى التوراة اليهم فاخبر جل ثناؤه ان هؤلاء الذين اشتروا رياسة الحياة الدنيا على الضعفاء وأهل الجهل والغباء من أهل ملتهم وابتاعوا المآكل الخسيسة الرديئة فيها بالايمان الذى كان يكون لهم به فى الآخرة لو كانوا أتوا به مكان الكفر الخلود فى الجنان وانما وصفهم الله جل ثناؤه بانهـم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة لانهم رضوا بالدنيا بكفرهم بالله فيها عوضا من نعيم الآخرة الذى أعده الله للمؤمنـين فجعل حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثمنا لما ابتاعوه به من خسيس الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة قوله أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة قال أبو جعفر ثم أخبر الله جـل ثناؤه انهم اذ باعوا حظوظهم من نعيم الآخرة بتركهم طاعته وايثارهـم الكفر به والخسيس من الدنيا عليه لاحظ لهم فى نعيم الآخرة وان الذى لهم فى الآخرة العذاب غـير مخفف عنهـم فيها العذاب لان الذى يخفف عنه فيها من العذاب هو الذى له حظ فى نعيمها ولاحظ لهؤلاء لاشترائهم الذى كان فى الدنيا ودنياهم بآخرتهم وأما قوله ولاهم ينصرون فانه أخبر عنهم انه لا ينصرهم فى الآخرة أحد فيدفع عنهـم بنصرته عذاب الله لا بقوته ولا بشفاعته ولا غـيرهما ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسـل) يعنى بقوله جل ثناؤه آتينا موسى الكتاب أنزلناه اليه وقد بينا ان معنى الايتاء الاعطاء فيما مضى قبل والكتاب الذى آتاه الله موسى عليه السـلام هو التوراة وأما قوله وقفينا فانه يعنى وأردفنا واتبعنا بعضـهم خلف بعض كما يقفو الرجل الرجل اذا سار فى أثره من ورائه وأصـله من القفا يقال منه قفوت فلانا اذا صرت خلف قفاه كما يقال دبرته اذا صرت فى دبره و يعنى بقوله من بعده من بعد موسى و يعنى بالرسل الانبياء وهم جمع رسول يقال هو رسول وهم رسل كما يقال هو صبور وهم قوم صبر وهو رجل شكور وهم قوم شكر وانما يعنى جل ثناؤه بقوله وقفينا من بعده بالرسل أى اتبعنا بعضهم بعضا على منهاج واحد وشريعة واحدة لان كل من بعثه الله نبيا بعد موسى صـلى الله عليه وسـلم الى زمان عيسى بن مريم فانما بعثـه بامر بنى اسرائيل باقامة التوراة والعمل بما فيها والدعاء الى ما فيها فلذلك قيل وقفينا من بعده بالرسل يعنى على منهاجه وشريعتـه والعمل بما كان يعمل به ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات) يعنى بقوله وآتينا عيسى بن مريم البينات أعطينا عيسى بن مريم و يعـنى بالبينات التى آتاه الله اياها ما أظهر عـلى يديه من الحجج والدلالة على نبوته من احياء الموتى وابراء الاكمه ونحو ذلك من الآيات التى أبانت منزلته من الله ودلت على صدقه وصحة نبوته كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى محمد بن اسحق قال ثنا محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس وآتينا عيسى بن مريم البينات أى الآيات التى وضـع على يديه من احياء الموتى وخلقـه من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرا باذن الله وابراء الاسقام والخبر بكثير من الغيوب مما يدخرون فى بيوتهم وما ورد عليهم من التوراة مع الانجيل الذى أحدث الله اليه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وأيدناه بروح القـدس) أما معنى قوله وأيدناه فانه قويناه فاعناه كما حدثنى المثنى قال ثنا

اسحق

* فان أتوك وقالوا انها نصف فان أطيب نصفيها الذى ذهبا وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد
واسـتعمال غلبـة الظن فى الاحكام اذ لا يعلم انها بين الفارض والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على لفظة ذلك مع أنه لا يدخل الا
على متعدد لانه فى معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما أشير بذلك الى مؤنثين وهو للاشارة الى واحد مذكر على
تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار فى الكلام ما تؤمرون مثل أمرتك الخـير فافعـل ما أمرت به بمعنى ما تؤمرون به أو أمركم بمعنى مامو ركم

اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك وأيدناه يقول نصرناه يقال منه أيدك الله أي قواك وهو رجل ذو أيد وذو آد يراد ذو قوة ومنه قول العجاج

من ان تبدلت با دى أدى ✽ يعنى شبابي قوة المشيب

ومنه قول الآخر

ان القداح اذا اجتمعن فرامها ✽ بالكسر ذو جلد وبطش أيد

يعنى بالايد القوى ثم اختلف فى تاويل قوله روح القدس فقال بعضهم روح القدس الروح الذى أخبر الله تعالى ذكره انه أيد عيسى به جبريل عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأيدناه بروح القدس قال هو جبريل حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى قوله وأيدناه بروح القدس قال هو جبريل عليه السلام حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله وأيدناه بروح القدس قال روح القدس جبريل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وأيدناه بروح القدس قال أيد عيسى بجبريل وهو روح القدس وقال ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى الحسن المكى عن شهر بن حوشب الاشعرى ان نفرا من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الروح قال أنشدكم بالله وبايامه عند بنى اسرائيل هل تعلمون انه جبريل وهو ياتينى قالوا نعم وقال آخرون الروح الذى أيد الله به عيسى هو الانجيل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأيدناه بروح القدس قال أيد الله عيسى بالانجيل روحا كما جعل القرآن روحا كلاهما روح الله كما قال الله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وقال آخرون هو الاسم الذى كان عيسى يحيى به الموتى ذكر من قال ذلك حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس وأيدناه بروح القدس قال هو الاسم الذى كان يحيى عيسى به الموتى وأولى التأويلات فى ذلك بالصواب قول من قال الروح فى هذا الموضع جبريل لان الله جل ثناؤه أخبر انه أيد عيسى به كما أخبر فى قوله اذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل فلو كان الروح الذى أيده الله به هو الانجيل لكان قوله اذ أيدتك بروح القدس واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل تكرير قول لا معنى له وذلك انه على تاويل قول من قال معنى اذ أيدتك بروح القدس انما هو اذ أيدتك بالانجيل واذ علمتك الانجيل وهو لا يكون به مؤيدا الا وهو معلمه فذلك تكرير كلام واحد من غير زيادة معنى فى أحدهما على الآخر وذلك خلف من الكلام والله تعالى ذكره يتعالى من أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة واذا كان ذلك كذلك فبين فساد قول من زعم ان الروح فى هذا الموضع الانجيل وان كان جميع كتب الله الذى أوحاها الى رسله روحا منه لانها تحيا بها القلوب الميتة وتنتعش بها النفوس المولية وتهتدى بها الاحلام الضالة وانما سمى الله تعالى جبريل روحا وأضافه الى القدس لانه كان بتكوين الله له روحا من عنده من غير ولادة والد

تعمية المفعول بالمصدر كضرب الامير ولما بين لهم كمال حالها فى السن شرعوا فى تعرف حال اللون والفقوع أشد ما يكون من الصفرة يقال فى التوكيد أصفر فاقع مثل أسود حالك وأحمر قانى وارتفع اللون على أنه فاعل صبى لفاقع والفرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ان فى الثانى تاكيدا ليس فى الاول لان اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكأنه قيل شديدا الصفرة صفرتها مثل جد جده وجنونه مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور حالة نفسانية تعرض عند اعتقاد أو علم أو ظن بحصول شئ لذيذ أو نافع وعن على عليه السلام من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصرى صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها يعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر ان البقر تشابه علينا لان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير وانا ان شاء الله لمهتدون عن النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لو لم يقولوا ان شاء الله لحيل بينهم وبينها أبدا وفيه دليل على أن الاستثناء مندوب فى كل عمل صالح يراد تحصيله ففيه استعانة بالله وتفويض للامر اليه والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيئته الازلية وارادته السرمدية ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والمعنى انا بمشيئة الله نهتدى للبقرة المامور بذبحها عند تحصيلنا أوصافها التى بها تمتاز عما عداها وانا على هدى فى استقصاء السؤال أى نرجو انا لسنا على ضلالة فيما نفعله من هذا البحث أو انا ان شاء الله تعريفها ايانا بالزيادة لنا فى البيان نهتدى لها أو انا ان شاء الله نهتدى للقاتل لا ذلول صفة لبقرة مثل لا فارض أى بقرة غير ذلول لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هى من النواضح التى يسنى عليها تسقى الحرث لا الاولى للنفى والثانية مزيدة للتوكيد لان المعنى لا ذلول تثير وتسقى على ان الفعلين صفتا لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية والذل بالكسر اللين ضد الصعوبة ودابة ذلول بينة الذل فعول بمعنى فاعل ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث تقول رجل صبور وامرأة صبور مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب مطلقا أو معفاة من العمل وحشية مرسلة عن الحبس أو مخلصة اللون لم يشب صفرتها شئ من الالوان وعلى هذا يكون لا شية فيها كالبيان والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره أى لا لون فيها الا ما يوافق سائر لونها فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهى فى

الاصل مصدر وشاة اذا خلط باونه لونا آخر أصلها وشية حذف فاؤها كما في عدة وزنة الآن اسم للوقت الذي أنت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة وليس الالف واللام فيه للتعريف لانه ليس له ما يشركه وهو يأتي ٧ جئت بالحق أي بحقيقة وصف البقرة أو ما بقي اشكال في أمرها فصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف فذبحوها والذبح هو قطع أعلى العنق وهو المستحب في الغنم والبقر والنحر هو قطع اللبة أسفل العنق وهو المستحب في الابل والمرعى في الحالتين

قطع الحلقوم والمرىء لكن عنق الابل طويل فاذا قطع أعلاه تباطأ الزهوق ولا يكره

ولده فسماه بذلك روحا وأضافه الى القدس والقدس هو الطهر كما سمى عيسى بن مريم روحا لله من أجل تكوينه له روحا من عنده من غير ولادة والد ولده وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ان معنى التقديس التطهير والقدس الطهر من ذلك وقد اختلف أهل التأويل في معناه في هذا الموضع نحو اختلافهم في الموضع الذي ذكرناه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال القدس البركة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قال القدس هو الرب تعالى ذكره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وأيدناه بروح القدس قال الله القدس وأيد عيسى بروحه قال نعت الله القدس وقرأ قول الله جل ثناؤه هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس قال القدس والقدوس واحد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال بن اسامة عن عطاء بن يسار قال قال كعب الله القدس ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) يعني جل ثناؤه بقوله أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم اليهود من بني اسرائيل حدثني بذلك محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال أبو جعفر يقول الله جل ثناؤه لهم يا معشر يهود بني اسرائيل لقد آتينا موسى التوراة وتابعنا من بعده بالرسل اليكم وآتينا عيسى بن مريم البينات والحجج اذ بعثناه اليكم وقويناه بروح القدس وأنتم كلما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه نفوسكم استكبرتم عليهم تجبرا وبغيا استكبارا امامكم ابليس فكذبتم بعضا منهم وقتلتم بعضا فهذا فعلكم أبدا برسلي وقوله أفكلما وان كان خرج مخرج التقرير في الخطاب فهو بمعنى الخبر ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقالوا قلوبنا غلف) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم وقالوا قلوبنا غلف مخففة اللام ساكنة وهي قراءة عامة الامصار في جميع الاقطار وقرأه بعضهم وقالوا قلوبنا غلف مثقلة اللام مضمومة فاما الذين قرؤها بسكون اللام وتخفيفها فانهم تأولوها انهم قالوا قلوبنا في أكنة وأغطية وغلف والغلف على قراءة هؤلاء جمع أغلف وهو الذي في غلاف وغطاء كما يقال للرجل الذي لم يختتن أغلف والمرأة غلفاء وكما يقال للسيف اذا كان في غلافه سيف أغلف وقوس غلفاء وجمعها غلف وكذلك جمع ما كان من النعوت ذكره على افعل وأنثاه على فعلاء يجمع على فعل مضمومة الاولى ساكنة الثاني مثل أحمر وحمر وأصفر وصفر فيكون ذلك جماعا للتأنيث والتذكير ولا يجوز تثقيل عين فعل منه الا في ضرورة شعر كما قال طرفة بن العبد

أيها الفتيان في مجلسنا * جردوا منها ورادا وشقرا

يريد شقرا الا ان الشعر اضطره الى تحريك ثانيه فحركه ومنه الخبر الذي حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير بن سلمان قال ثنا عمرو بن قيس الملائي عن عمرو بن مرة الجملي عن أبي البختري عن حذيفة قال القلوب أربعة ثم ذكرها فقال فيما ذكر وقلب أغلف معضوب عليه فذلك قلب الكافر ذكر من قال ذلك يعني انها في أغطية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس وقالوا قلوبنا غلف أي في أكنة حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن أبي طلحة عن ابن عباس قوله

الذبح في الابل والنحر في البقر والغنم وان كان خلاف المستحب وما كادوا يفعلون استبطاء لهم وانهم لكثرة استكشافهم ما كاد ينقطع خيط اشتباههم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل للخوف الفضيحة في ظهور القاتل وقد يستدل بهذا على أن الامر للوجوب بل للفور والا لما ترتب هذا الذم على تثاقلهم واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أي يدفعه ويزحمه أو ينفي كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه الى غيره أو يدفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة وأصله تدارأتم ادغمت التاء في الدال فاحتيج الى همزة الوصل ويحتمل أن يرجع الضمير في فيها الى القتلة المعلومة من قتلتم والله مخرج مظهر لامحالة ما كنتم تكتمون من أمر القتيل وقد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله وكلبهم باسط ذراعيه فلهذا اعمل اسم الفاعل وهذه الجملة معترضة وفيها دليل على جواز عموم النص الوارد على السبب الخاص لان هذا يتناول كل المكتومات وفيها دليل على ان الله لا يحب الفساد وانه سيجعل الى تزاوله سبيلا وأن ما يسره العبد من خير أو شر ودام ذلك منه فالله سيظهره ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم ان عبدا لو أطاع الله من وراء سبعين حجابا لأظهر الله ذلك على ألسنة الناس وكذلك المعصية فقلنا والضمير في اضربوه يرجع الى نفس والتذكير على تأويل الشخص والانسان ويحتمل أن يعود الى القتيل بدلالة قتلتم أو ما كنتم تكتمون واختلف في البعض من البقرة فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو أصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة من بين الكتفين والظاهر انهم كانوا مخيرين في أي بعض أرادوا وههنا محذوف بدلالة الفاء الفصيحة والمعنى فضربوه فحيي

قلوبنا غلف أى فى غطاء حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وقالوا قلوبنا غلف فهى القلوب المطبوع عليها حدثنى عباس بن محمد قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى عبد الله بن كثير عن مجاهد قوله وقالوا قلوبنا غلف عليها غشاوة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال أخبرنى عبد الله بن كثير عن مجاهد وقالوا قلوبنا غلف عليها غشاوة حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا شريك عن الاعمش قوله قلوبنا غلف قال هى فى غلف حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا قلوبنا غلف أى لا تفقه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وقالوا قلوبنا غلف قال هو كقوله قلوبنا فى أكنة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله قلوبنا غلف قال عليها طابع قال هو كقوله قلوبنا فى أكنة حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية قلوبنا غلف أى لا تفقه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى وقالوا قلوبنا غلف قال يقولون عليها غلاف وهو الغطاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قلوبنا غلف قال يقول قلبى فى غلاف فلا يخلص اليه مما تقول وقرأ وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه قال أبو جعفر وأما الذين قرؤها غلف بتحريك اللام وضمها فانهم تأولوها انهم قالوا قلوبنا غلف للعلم بمعنى انها أوعية قال والغلف على تأويل هؤلاء جمع غلاف كما يجمع الكتاب كتب والحجاب حجب والشهاب شهب فمعنى الكلام على تأويل قراءة من قرأ غلف بتحريك اللام وضمها وقالت اليهود قلوبنا غلف العلم وأوعية له ولغيره ذكر من قال ذلك حدثنى عبيد بن اسباط بن محمد قال ثنا أبى عن فضيل بن مرزوق عن عطية وقالوا قلوبنا غلف قال أوعية للذكر حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا فضيل عن عطية فى قوله قلوبنا غلف قال أوعية للعلم حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل عن عطية مثله حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله وقالوا قلوبنا غلف قال مملوأة علما لا تحتاج الى محمد صلى الله عليه وسلم ولا غيره والقراءة التى لا يجوز غيرها فى قوله قلوبنا غلف هى قراءة من قرأ غلف بتسكين اللام بمعنى انها فى غشاوة غطية لاجتماع الحجة من القراء وأهل التأويل على صحتها وشذوذ من شذ عنهم بما خالفه من قراءة ذلك بضم اللام وقد دللنا على ان ما جاءت به الحجة متفقة عليه حجة على من بلغه وما جاء به المنفرد فغير جائز الاعتراض به على ما جاءت به الجماعة التى تقوم بها الحجة نقلا وقولا وعملا فى غير هذا الموضع فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا المكان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم) يعنى جل ثناؤه بقوله بل لعنهم الله بل أقصاهم الله وأبعدهم وطردهم وأخزاهم وأهلكهم بكفرهم وجحودهم آيات الله وبيناته وما ابتعث به رسله وتكذيبهم أنبياءه فاخبر تعالى ذكره انه أبعدهم منه ومن رحمته بما كانوا يفعلون من ذلك وأصل اللعن الطرد والابعاد والاقصاء يقال لعن الله فلانا يلعنه لعنا وهو ملعون ثم يصرف مفعول فيقال هو لعين ومنه قول الشماخ بن ضرار

فقلنا كذلك يحيي الله الموتى روى انهم لما ضربوه قام باذن الله وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان وفلان وهما ابنا عمه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويؤيده قول نبينا صلى الله عليه وسلم ليس للقاتل من الميراث شئ والسر فيه انه استعجل الميراث فناسب ان يعارض بنقيض مقصوده وهو قول الشافعى ولم يفرق بين ان يكون القتل مستحقا كالعادل اذا قتل الباغى أو غير مستحق عمدا كان او خطأ وعند أبى حنيفة لا يرث فى العمد والخطا الا ان العادل اذا قتل الباغى فانه يرثه وقال مالك لا يرثه من ديته ويرثه من سائر أمواله ومحل كذلك نصب على المصدر أى يحيي الله الموتى مثل ذلك الاحياء وهذا الكلام اما مع الذين حضروا حياة القتيل لانهم وان كانوا مؤمنين بذلك الا أنهم لم يؤمنوا بذلك من طريق العيان والمشاهدة وشتان بين عين اليقين وعلم اليقين واما أن يكون مع منكرى البعث فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لا يحتاج الى تقدير فقلنا بعد تقدير فضربوه فحيي ويريكم آياته دلالة على أنه قادر على كل شئ فدلالة هذه القصة على وجود الصانع القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات المختار فى الايجاد والاعدام آية ودلالتها على صدق موسى عليه السلام آية ودلالتها على براءة ساحة من سوى القاتل آية ودلالتها على حشر الاموات آية فهى وان كانت واحدة الا انها فى الحقيقة آيات عدة ويمكن أن يراد بالآيات غير هذه أى مثل هذه الاراءة يريكم سائر الاراآت كما ان مثل هذا الاحياء يحيي سائر الاموات وفى قوله كذلك دون أن يقال كهذا تعظيم للمشار اليه بتبعيده كما قلنا فى ذلك الكتاب لعلكم تعقلون تعلمون على قضية عقولكم فان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها اذ لا أثر للمخصصات فى ذلك فان قيل ما الفائدة فى ضرب المقتول ببعض البقرة مع انه قادر على احيائه ابتداء قلنا الفائدة فيه كون الحجة آكد وعن الحيلة أبعد فقد كان لملحد ان يتوهم ان موسى عليه السلام انما أحياه بضرب من السحر وليعلم بما أمر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب ولما فى ذبح البقرة من القربان وأداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على طلب الحوائج وما فى التشديد عليهم لاجل تشديدهم من اللطف لهم وللآخرين فى ترك التشديد والمسارعة الى امتثال أوامر الله على الفور ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مكان الذئب والرجل اللعين

قال أبو جعفر في قول الله تعالى ذكره بل لعنهم الله بكفرهم تكذيب منه للقائلين من اليهود قلوبنا غلف لان قوله بل دلالة على جحده جل ذكره وانكاره ما ادعوا من ذلك اذ كانت بل لا تدخل في الكلام الا نقضا لمجحود فاذا كان ذلك كذلك فبين ان معنى الآية وقالت اليهود قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه يا محمد فقال الله تعالى ذكره ما ذلك كما زعموا ولكن الله أقصى اليهود وأبعدهم من رحمته وطردهم عنها وأخزاهم بجحودهم له ولرسله فقليلا ما يؤمنون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله فقليلا ما يؤمنون فقال بعضهم معناه فقليل منهم من يؤمن أي لا يؤمن منهم الا قليل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون فلعمري لمن رجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب انما آمن من أهل الكتاب رهط يسير حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فقليلا ما يؤمنون قال لا يؤمن منهم الا قليل وقال آخرون بل معنى ذلك فلا يؤمنون الا بقليل مما في أيديهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فقليلا ما يؤمنون قال لا يؤمن منهم الا قليل قال معمر وقال غيره لا يؤمنون الا بقليل مما في أيديهم وأولى التأويلات في قوله فقليلا ما يؤمنون بالصواب ما نحن متقنوه ان شاء الله وهو ان الله جل ثناؤه أخبر انه لعن الذين وصف صفتهم في هذه الآية ثم أخبر عنهم انهم قليلو الايمان بما أنزل الله الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك نصب قوله فقليلا لانه نعت للمصدر المتروك ذكره ومعناه بل لعنهم الله بكفرهم فايمانا قليلا ما يؤمنون فقد تبين اذا بما بينا فساد القول الذي روي عن قتادة في ذلك لان معنى ذلك لو كان على ما روي من انه يعني به فلا يؤمن منهم الا قليل أو فقليل منهم من يؤمن لكان القليل مرفوعا لا منصوبا لانه اذا كان ذلك تأويله كان القليل حينئذ مرافعا[٧] ما وان نصب القليل وما في معنى من أو الذي نصب ما لا مرافع لها وذلك غير جائز في لغة أحد من العرب فأما أهل العربية فانهم اختلفوا في معنى ما التي في قوله فقليلا ما يؤمنون فقال بعضهم هي زائدة لا معنى لها وانما تأويل الكلام فقليلا يؤمنون كما قال جل ذكره فبما رحمة من الله لنت لهم وما أشبه ذلك فزعم ان ما في ذلك زائدة وان معنى الكلام فبرحمة من الله لنت لهم وأنشد في ذلك محتجا لقوله ذلك بيت مهلهل

لو بأبانين جاء يخطبها * خضب ما أنف خاطب بدم

وزعم انه يعني خضب أنف خاطب بدم وان ما زائدة وأنكر آخرون ما قاله قائل هذا القول في ما في الآية وفي البيت الذي أنشده وقالوا انما ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الاشياء اذ كانت ما كلمة تجمع كل الاشياء ثم تخص وتعم ما عمته بما تذكره بعدها وهذا القول عندنا أولى بالصواب لان زيادة ما لا تفيد من الكلام معنى في الكلام غير جائز اضافته الى الله جل ثناؤه ولعل قائلا ان يقول هل كان للذين أخبر الله عنهم انهم قليلا ما يؤمنون من الايمان قليل أو كثير فيقال فيهم فقليلا ما يؤمنون قيل ان معنى الايمان هو التصديق وقد كانت اليهود التي أخبر الله عنها هذا الخبر

[٧] هكذا يستعمل لفظ مرافع بمعنى مرفوع وليتنبه له اه مصححه

والاشفاق على الاولاد وتجهيل المستهزئ بما لا يعلم تأويله من كلام الحكيم وبيان ان من حق المتقرب به الى الرب أن يكون من أحسن ما يتقرب به فتي السن حسن اللون بريئا من العيوب ثمينا نفيسا أسمنوا ضحاياكم فانها على الصراط مطايا ۞ فان قيل هلا قدم ذكر القتيل على الامر بذبح البقرة كما هو حق القصة قلنا لانها كانت تكون حينئذ قصة واحدة ويذهب الغرض في تثنية التقريع بالاستهزاء وترك المبادرة بالامتثال أولا وبقتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية ثانيا على انها دالة على اتحاد القصتين برجوع الضمير في ببعضها الى البقرة وهي مذكورة في الاولى قوله ثم قست قلوبكم الآية خطاب لاولئك اليهود الذين كانوا في زمن موسى أو للذين هم في زمن محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ذلك الاحياء أو من بعد ذلك الذي عددنا من جميع الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات ومعنى ثم استبعاد القسوة من بعدما يوجب اللين والرقة وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ فهي كالحجارة مثلها في القسوة أو هي أشد قسوة من الحجارة فمن عرفها شبهها بالحجارة أو قال هي أقسى من الحجارة ويجوز ان يقدر مضاف أي هي كالحجارة أو مثل أشد قسوة فمن عرفها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى من الحجارة كالحديد مثلا وانما قيل أشد قسوة مع امكان بناء افعل التفضيل من فعل القسوة لكونه أدل على فرط القسوة أو لانه لم يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة منها وحذف هذا الراجع لعدم الالتباس نحو زيد كريم وعمرو أكرم وكلمة أو ههنا ليست للشك فعلام الغيوب لا يشك في شيء وانما هي للتخيير بأيهما شئت شبهت فكنت صدوقا ولو جمعت بينهما جاز ثم أخذ في بيان فضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار أي ان منها الذي فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الغزير وان منها الذي يشقق انشقاقا طولا أو عرضا فينبع منه الماء وذلك بحسب كثرة المادة وقلتها فان الابخرة تجتمع في باطن الارض ثم ان كان ظاهر الارض رخوا انفشت وانفصلت وان كان صلبا حجريا اجتمعت وصارت مياها ولا تزال يتواتر مددها الى ان تنشق الارض من مزاحمتها وتسيل أنهارا أو عيونا وأما قلوب هؤلاء فلا تنشرح للحق ولا تتأثر من الوعظ والنصح بعد مشاهدة الآيات ومعاينة الدلائل ويشقق أصله يتشقق فادغم التاء في الشين

تصدق بوحدانية الله وبالبعث والثواب والعقاب وتكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وكل ذلك كان فرضا عليهم الايمان به لانه فى كتبهم ومما جاءهم به موسى فصدقوا ببعض وذلك هو القليل من ايمانهم وكذبوا ببعض فذلك هو الكثير الذى أخبر الله عنهم انهم يكفرون به وقد قال بعضهم انهم كانو غير مؤمنين بشئ وانما قيل فقليلا ما يؤمنون وهم بالجميع كافرون كما تقول العرب قلما رأيت مثل هذا قط وقد روى عنها سماعا منها مررت ببلاد قلما تنبت الا الكراث والبصل يعنى ما تنبت غير الكراث والبصل وما أشبه ذلك من الكلام الذى ينطق به بوصف الشئ بالقلة والمعنى فيه نفى جميعه

۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم) يعنى جل ثناؤه بقوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ولما جاء اليهود من بنى اسرائيل الذين وصف جل ثناؤه صفتهم كتاب من عند الله يعنى بالكتاب القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم يعنى مصدق للذى معهم من الكتب التى أنزلها الله من قبل القرآن كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وهو القرآن الذى أنزل على محمد مصدق لما معهم من التوراة والانجيل حدثت عن عمار ابن الحسن قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وهو القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم والانجيل

۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) يعنى بقوله جل ثناؤه وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أى وكان هؤلاء اليهود الذين لما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم من الكتب التى أنزلها الله قبل الفرقان كفروا به يستفتحون بمحمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الاستفتاح الاستنصار ويستنصرون الله به على مشركى العرب من قبل مبعثه أى من قبل ان يبعث كما حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق عن عاصم بن عمر عن قتادة الانصارى عن أشياخ منهم قالوا فينا والله وفيهم يعنى فى الانصار وفى اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة يعنى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قالوا كنا قد علوناهم دهرا فى الجاهلية ونحن أهل الشرك وهم أهل الكتاب فكانوا يقولون ان نبيا الآن مبعثه قد أظل زمانه يقتلكم قتل عاد وارم فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتبعناه كفروا به يقول الله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى آل زيد ابن ثابت عن سعيد بن جبير او عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس ان يهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وأخو بنى سلمة يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وتخبروننا انه مبعوث وتصفونه لنا صفته فقال سلام بن مشكم أخو بنى النضير ما جاءنا بشئ نعرفه وما هو بالذى كنا نذكر لكم فانزل الله جل ثناؤه فى ذلك من قولهم ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم

كقولهم يذكر فى يتذكر لما يهبط الذى يتردى من أعلى الجبل وذلك من خشية الله اما لانه تعالى خلق فيه الحياة والعقل والادراك كما روى من تسبيح الحصى فى كف النبى صلى الله عليه وسلم واما لان الخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد بها من الاهباط والانفصال عن كلها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تأتمر وقيل أى يتزلزل من أجل ان تحصل خشية فى قلوب عباده فيفزعون اليه بالتضرع والدعاء وما الله بغافل عما تعملون وعيد والمعنى انه بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم فيجازيهم فى الدنيا والآخرة ولا تحمل عليهم انما نعد لهم عدا ووصفه تعالى بانه ليس بغافل لا يوهم جواز الغفلة عليه لان نفى الصفة عن الشئ لا يستلزم ثبوت صحتها مثل لا تأخذه سنة ولا نوم * التأويل ذبح البقرة اشارة الى ذبح النفس البهيمية فان فى ذبحها حياة القلب الروحانى وهو الجهاد الاكبر موتوا قبل ان تموتوا شعر

اقتلونى يا ثقاتى * ان فى قتلى حياتى
وحياتى فى مماتى * ومماتى فى حياتى

مت بالارادة تحى بالطبيعة وقال بعضهم مت بالطبيعة تحى بالحقيقة ماهى انه بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق لا فارض فى سن الشيخوخة فيعجز عن وظائف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية كما قيل الصوفى بعد الاربعين بارد ولا بكر فى سن شرخ الشباب يستهويه سكره عوان بين ذلك لقوله حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة بقرة صفراء اشارة الى صفرة وجوه أصحاب الرياضات فاقع لونها يريد انها صفرة زين لا صفرة شين فانها سيما الصالحين لا ذلول تثير الارض لا تحتمل ذلة الطمع ولا تثير بآلة الحرص أرض الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها ولا تسعى حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الحق فيذهب ماؤه عند الحق وعند الخلق مسلمة من آفات صفاتها ليس فيها علامة طلب غير الله وما كادوا يفعلون بمقتضى الطبيعة لولا فضل الله وحسن توفيقه واذ قتلتم نفسا يعنى القلب فادارأتم فاختلفتم انه كان من الشيطان أم من الدنيا أو من النفس الامارة فقلنا اضربوه ببعضها اضربوا لسان بقرة النفس المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر يحيى بانت الله تعالى واب النفس لامارة بالسوء وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار مراتب القلوب فى القسوة مختلفة فالتى يتفجر منها الانهار قلوب يظهر عليها العليان أنوار الروح بترك اللذات والشهوات بعض الاشياء المشبهة بخرق العادات كما يكون لبعض الرهبانيين والهنود والتى تشقق فيخرج منها الماء هى التى يظهر عليها فى بعض الاوقات عند

وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين حدثنا ابو كريب قال ثنا يونس عن بكير قال ثنا ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت قال حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس مثله حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا يقول يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يعني بذلك أهل الكتاب فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال حدثني عيسى عن ابن أبي نجيح عن علي الازدي في قول الله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قالوا اليهود كانوا يقولون اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون يستنصرون به على الناس حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن علي الازدي وهو البارقي في قول الله جل ثناؤه وكانوا من قبل يستفتحون فذكر مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا كانت اليهود تستفتح بمحمد صلى الله عليه وسلم على كفار العرب من قبل وقالوا اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده في التوراة يعذبهم ويقتلهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فرأوا انه يبعث من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم فلما بعث الله محمدا ورأوا انه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به قال كانت العرب تمر باليهود فيؤذونهم وكانوا يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم في التوراة ويسألون الله أن يبعثه فيقاتلوا معه العرب فلما جاءهم محمد كفروا به حين لم يكن من بني اسرائيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قال كانوا يستفتحون على كفار العرب بخروج النبي صلى الله عليه وسلم ويرجون ان يكون منهم فلما خرج ورأوه ليس منهم كفروا وقد عرفوا انه الحق وانه النبي قال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين قال حدثنا ابن جريج وقال مجاهد يستفتحون بمحمد صلى الله عليه وسلم تقول انه يخرج فلما جاءهم ما عرفوا وكان من غيرهم كفروا به حدثنا القسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج وقال ابن عباس كانوا يستفتحون على كفار العرب حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال حدثني شريك عن أبي الجحاف عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به قال هم اليهود عرفوا محمدا انه نبي وكفروا به حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله وكانوا

انخراق الحجب البشرية من أنوار الروح فيرى به بعض الآيات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الحكماء والتي يهبط من خشية الله ما يكون لبعض أهل الاديان والملل من قبول عكس أنوار الروح من وراء الحجب فيقع فيها الخوف والخشية وهذه المراتب مشتركة بين المسلمين وغيرهم والفرق انها في المسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيد في قربهم وقبولهم ودرجاتهم ولغيرهم ليست مؤيدة بالايمان فيزيدوا في غرورهم وتجبهم وبعدهم واستدراجهم والمسلمون مخصوصون بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلي أنوار الحق ورؤية برهانه فاراءة الآيات للخواص سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ويريكم آياته لعلكم تعقلون لكن اراءة البرهان لأخص الخواص كما في حق يوسف لولا أن رأى برهان ربه سئل الحسين بن منصور عن البرهان فقال واردات ترد على القلوب فتعجز النفوس عن تكذيبها والله أعلم (أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) * القراآت الأماني حيث كان خفيفا يزيد الا قوله تلك أمانيهم وليس بأمانيكم ولا أماني وغرتكم الاماني فان أبا جعفر يقرأ بالاسكان عنده بايديهم بضم الهاء يعقوب وكذلك كل هاء كناية قبلها ياء ساكنة خطيئاته بالجمع أبو جعفر ونافع * الوقوف يعلمون آمنا ج والوصل أجوز لبيان حالتيهما المتناقضتين وهو المقصود عند ربكم ط أفلا تعقلون ه يعلنون ه يظنون ج قليلا ط يكسبون ه معدودة ط ما لا تعلمون ه النار ج لان الجملة مبتدأ وخبر بعد خبر خالدون ه الجنة ج خالدون ه * التفسير لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح اسلاف اليهود وسوء

من قبل يستفتحون على الذين كفروا قال كانوا يستظهرون يقولون نحن نعين محمدا عليهم وليسوا كذلك يكذبون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سألت ابن زيد عن قول الله عز وجل وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به قال كانت يهود يستفتحون على كفار العرب يقولون أما والله لو قد جاء النبي الذي بشر به موسى وعيسى أحمد لكان لنا عليكم وكانوا يظنون انه منهم والعرب حولهم وكانوا يستفتحون عليهم به ويستنصرون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وحسدوه وقرأ قول الله جل ثناؤه كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق قال قد تبين لهم انه رسول فمن هنالك نفع الله الاوس والخزرج بما كانوا يسمعون منهم ان نبيا خارج فان قال لنا قائل فاين جواب قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم قيل قد اختلف أهل العربية في جوابه فقال بعضهم هو مما ترك جوابه استغناء بمعرفة المخاطبين به بمعناه وبما قد ذكر من أمثاله في سائر القرآن وقد تفعل العرب ذلك اذا طال الكلام فتاتى باشياء لها أجوبة فتحذف أجوبتها لاستغناء سامعيها بمعرفتهم بمعناها عن ذكر الاجوبة كما قال جل ثناؤه ولو ان قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا فترك جوابه والمعنى ولو ان قرآنا سوى هذا القرآن سيرت به الجبال لسيرت بهذا القرآن استغناء بعلم السامعين بمعناه قالوا فكذلك قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وقال آخرون جواب قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله في الفاء التي في قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وجواب الجزاءين في كفروا كقولك لما قمت فلما جئت أحسنت بمعنى لما جئتنا اذ قمت أحسنت ۞ القول في تاويل قوله (فلعنة الله على الكافرين) قد دللنا فيما مضى على معنى اللعنة وعلى معنى الكفر بما فيه الكفاية فمعنى الآية فخزى الله وابعاده على الجاحدين ما قد عرفوا من الحق عليهم لله ولانبيائه المنكرين بما قد ثبت عندهم صحته من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ففي اخبار الله عز وجل عن اليهود بما أخبر الله عنهم بقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به البيان الواضح انهم تعمدوا الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد قيام الحجة بنبوته عليهم وقطع الله عذرهم بانه رسوله اليهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (بئس ما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا) ومعنى قوله جل ثناؤه بئس ما اشتروا به أنفسهم ساء ما اشتروا به أنفسهم وأصل بئس بئس من البؤس سكنت همزتها ثم نقلت حركتها الى الباء كما قيل في ظللت ظلت وكما قيل للكبد كبد فنقلت حركة الباء الى الكاف لما سكنت الباء وقد يحتمل ان تكون بئس وان كان أصلها بئس من لغة الذين ينقلون حركة العين من فعل الى الفاء اذا كانت عين الفعل أحد حروف الحلق الستة كما قالوا من لعب لعب ومن سئم سئم وذلك فيما يقال لغة فاشية في تميم ثم جعلت دالة على الذم والتوبيخ ووصلت بما واختلف أهل العربية في معنى ما التي مع بئسما فقال بعض نحويي البصرة هي وحدها اسم وان يكفروا تفسير له نحو نعم رجلا زيد وان ينزل الله بدل من أنزل الله وقال بعض نحويي الكوفة معنى ذلك بئس الشئ اشتروا به أنفسهم ان يكفروا فما اسم بئس وان يكفروا الاسم الثاني وزعم ان أن ينزل الله من فضله ان شئت جعلت ان في موضع رفع وان شئت في موضع خفض أما الرفع فبئس الشئ هذا ان يفعلوه وأما الخفض فبئس الشئ اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا قال وقوله لبئس

معاملتهم مع نبيهم أردفها انباع ثم اخلافهم المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانه قيل اذا كان هذا أفعالهم فيما بينهم فكيف تطمعون أيها النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون في ان يؤمنوا أي يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط وقد كان فريق منهم طائفة من أسلافهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل هم قوم من الذين حضروا الميقات سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس من بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه بعقولهم من غير ما شبهة وهم يعلمون انهم مفترون كذابون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك كما تقول للرجل كيف تطمع ان يفلح فلان واستاذه فلان يأخذ عنه لا عن غيره فهؤلاء المقلدة لا يقبلون الا قول معلميهم وأحبارهم الذين تعمدوا التحريف عنادا أو لضرب من الاغراض الدنيوية واذا لقوا أي اليهود قال منافقوهم آمنا بانكم على الحق ونشهد ان صاحبكم صادق ونجده بنعته وصفته في كتابنا واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعته وصفته مأخوذ من قولهم قد فتح على فلان في علم كذا أي رزق ذلك وسهل له طلبه او قال المنافقون لغيرهم يرونهم التصلب في دينهم أتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو في كتاب الله كذا وهو عند الله كذا بمعنى واحد وعن الحسن ليحاجوكم في ربكم لان المحاجة فيما ألزم تعالى من اتباع الرسل محاجة فيه أي دينه وقال الاصم يحاجوكم يوم القيامة عند المساءلة فيكون زيادة في توبيخكم فكان القوم يعتقدون ان ذلك مما يزيد في فضيحتهم في الآخرة وقيل ليحاجوكم به على وجه الديانة والنصيحة لان من يذكر الحجة على هذا الوجه قد يقول لصاحبه أزحت علتك عند الله وأقمت عليك الحجة بيني وبين ربي فان قبلت أحسنت الى نفسك وان جحدت كنت الخاسر الخائب وقيل لتصيروا محجوجين بتلك الدلائل في حكم الله كما يقال فلان عندي عالم أي في اعتقادي وحكمي وهذا عند الشافعي كذا وعند أبي

ماورمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم كل ذلك والعرب تجعل ماوحدها في هذا الباب بمنزلة الاسم التام كقوله فنعماهي وبئسما أنت واستشهد لقوله ذلك برجز بعض الرجاز

لا تعجلا في السير وادلواها * لبئسما بطء ولا ترعاها

قال أبو جعفر والعرب تقول لبئسما تزويج ولا مهر فيجعلون ماوحدها اسما بغير صلة وقائل هذه المقالة لا يجيز ان يكون الذي يلي بئس معرفة موقتة وخبره معرفة موقتة وقد زعم ان بئسما بمنزلة بئس الشيء اشتروا به أنفسهم فقد صارت ما بصلتها اسما موقتا لان اشتروا فعل ماض من صلة ما في قول قائل هذه المقالة واذا وصلت بماض من الفعل كانت معرفة موقتة معلومة فيصير تأويل الكلام حينئذ بئس شراؤهم كفرهم وذلك عنده غير جائز فقد تبين فساد هذا القول وكان آخر منهم يزعم ان أن في موضع خفض ان شئت ورفع ان شئت فأما الخفض فان ترده على الهاء التي في به على التكرير على كلامين كانك قلت اشتروا أنفسهم بالكفر وأما الرفع فان يكون مكررا على موضع ما التي تلي بئس قال ولا يجوز ان يكون رفعا على قولك بئس الرجل عبد الله وقال بعضهم بئسما شيء واحد يعرف ما بعده كما حكى عن العرب بئسما تزويج ولا مهر فرفع تزويج بئسما كما يقال بئسما زيد وبئس ما عمرو فيكون بئسما رفعا بما عاد عليها من الهاء كانك قلت بئس شيء الشيء اشتروا به أنفسهم وتكون ان مترجمة عن بئسما وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من جعل بئسما مرفوعا بالراجع من الهاء في قوله اشتروا به كما رفعوا ذلك بعبد الله اذ قالوا بئسما عبد الله وجعل ان يكفروا مترجمة عن بئسما فيكون معنى الكلام حينئذ بئس الشيء باع اليهود أنفسهم كفرهم بما أنزل الله بغيا وحسدا ان ينزل الله من فضله وتكون ان التي في قوله ان ينزل الله في موضع نصب لانه يعني به ان يكفروا بما أنزل الله من أجل ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده وموضع ان جر وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم ان أن في موضع خفض بنية الباء وانما اخترنا فيها النصب لتمام الخبر قبلها ولا خافض معها يخفضها والحرف الخافض لا يخفض مضمرا وأما قوله اشتروا به أنفسهم فانه يعني به باعوا أنفسهم كما حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي بئسما اشتروا به أنفسهم يقول باعوا أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد بئسما اشتروا به أنفسهم يهود شروا الحق بالباطل وكتمان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بان يبينوه والعرب تقول شريت بمعنى بعته واشتروا في هذا الموضع افتعلوا من شريت وكلام العرب فيما بلغنا ان يقولوا شريت بمعنى بعت واشتريت بمعنى ابتعت وقيل انما سمي الشاري شاريا لانه باع نفسه ودنياه بآخرته ومن ذلك قول يزيد بن مفرغ الحميري

وشريت بردا ليتني * من قبل برد كنت هامه

ومنه قول المسيب بن علس

يعطى بها ثمنا فيمنعها * ويقول صاحبها الا تشري

يعني به بعت بردا وربما استعمل اشتريت بمعنى بعت وشريت في معنى ابتعت والكلام المستفيض فيهم هو ما وصفت وأما معنى قوله بغيا فانه يعني به تعديا وحسدا كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا

حقيقة كذا أفلا تعقلون ان ذلك لا يليق بما أنتم عليه فانكم اذا حدثتموهم بالذي يحاجوكم به رجع وباله عليكم أولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان خوفهم الله تعالى بذلك لانهم كانوا يعرفون ان الله يعلم السر والعلانية ومنهم أميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها كانه منسوب الى الام وهو أصل الشيء فالامي على أصل فطرته لم يكتسب علما وكتابة لا يعلمون الكتاب التوراة لا أماني (٣١٢) واحدها أمنية على أفعولة من منى اذا قدر تقول منه تمنيت الشيء ومنيته غيري تمنية لان المتمني يقدر في نفسه ويجوز ما يتمناه وأماني اليهود في ان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما عنهم الاحبار من أن النار لا تمسهم الا أياما معدودة وقيل الاماني الاكاذيب المختلقة التي سمعوها من علمائهم فيقبلوها على التقليد يقال هذا شيء رويته وتمنيته أي اختلقته وذلك ان المختلق يقدر ان كلمة كذا بعد كذا وفي الصحاح انه مقلوب المين وهو الكذب وقيل الا ما يقرؤن من قولهم تمنيت الكتاب قرأته قال الشاعر يرثي عثمان شعر

تمنى كتاب الله أول ليلة
وآخرها لاقى حمام المقادر

والقارئ مقدر الكلمات كالمختلق وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا كانه قيل لا يعلمون الكتاب الا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه وبقدر ما يذكر لهم فيقبلونه ثم انهم لا يتمكنون من التدبر والتأمل وعلى الاول يكون استثناء منقطعا ومن قرأ أماني بالتخفيف حذف المد كما يقال مفاتح وان هم الا يظنون كالمحقق لما تقدمه من قوله لا يعلمون الكتاب الا أماني ذكر الفرقة الضالة المضلة المحرفة ثم الفرقة المنافقين منهم ثم فرقة المجادلة لاهل النفاق ثم العوام المقلدة ونبه على انهم في الضلال سواء لان للعالم أن يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن ان كان متمكنا من العلم ولا سيما في أصول الدين الويل كلمة يزيد يقولها كل مكروب وعن ابن عباس انه العذاب الاليم وعن الثوري صديد أهل الجحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره ولا شبهة في دلالتها على نهاية الوعيد والتهديد يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تأكيد كما تقول للمنكر هذا ما كتبته بيمينك حكى عنهم أمر كتبة الكتاب

يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة بغيا قال أي حسدا وهم اليهود حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي بغيا قال بغوا على محمد صلى الله عليه وسلم وحسدوه وقالوا انما كانت الرسل من بني اسرائيل فما بال هذا من بني اسمعيل فحسدوه ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية بغيا يعني حسدا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده وهم اليهود كفروا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله قال أبو جعفر فمعنى الآية بئس الشيء باعوا به أنفسهم الكفر بالذي أنزل الله في كتابه على موسى من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بتصديقه واتباعه من أجل ان أنزل الله من فضله وفضله حكمته وآياته ونبوته على من يشاء من عباده يعني به على محمد صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا لمحمد صلى الله عليه وسلم من أجل انه كان من ولد اسمعيل ولم يكن من بني اسرائيل فان قال قائل وكيف باعت اليهود أنفسها بالكفر فقيل بئس ما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله وهل يشترى بالكفر شيء قيل ان معنى الشراء والبيع عند العرب هو ازالة مالك ملكه الى غيره بعوض يعتاضه منه ثم تستعمل العرب ذلك في كل معتاض من عمله عوضا شرا أو خيرا فتقول نعم ما باع به فلان نفسه وبئس ما باع به فلان نفسه بمعنى نعم الكسب كسبها وبئس الكسب كسبها اذا أورثها بسعيه عليها خيرا أو شرا فكذلك معنى قوله جل ثناؤه بئس ما اشتروا به أنفسهم لما أوبقوا أنفسهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فأهلكوها خاطبهم الله والعرب بالذي يعرفونه في كلامهم فقال بئس ما اشتروا به أنفسهم يعني بذلك بئس ما كسبوا أنفسهم بسعيهم وبئس العوض اعتاضوا من كفرهم بالله في تكذيبهم محمدا اذ كانوا قد رضوا عوضا من ثواب الله وما أعد لهم لو كانوا آمنوا بالله وما أنزل على أنبيائه بالنار وما أعد لهم بكفرهم بذلك وهذه الآية وما أخبر الله فيها عن حسد اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وقومه من العرب من أجل ان الله جعل النبوة والحكمة فيهم دون اليهود من بني اسرائيل حتى دعاهم ذلك الى الكفر به مع علمهم بصدقه وانه لله نبي مبعوث ورسول مرسل نظيرة الآية الاخرى في سورة النساء وذلك قوله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ﴿ القول في تأويل قوله (ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) قد ذكرنا تأويل ذلك وبينا معناه ولكنا نذكر الرواية بتصحيح ما قلنا فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق عن عاصم بن عمر عن قتادة الانصاري عن أشياخ منهم قوله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده أي ان الله تعالى جعله في غيرهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال هم اليهود ولما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فرأوا انه بعث من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا ابن أبي جعفر عن الربيع عن

واسناده الى الله والوعيد مرتب على كل منهما وعلى مجموعهما الا أنه على الثاني أبلغ ولهذا جيء بثم وقوله اشتروا به ثمنا قليلا تنبيه على شقاوتهم فانهم استبدلوا النفع الحقير العاجل الزائل بالاجر العظيم الآجل الدائم فويل لهم مما كتبت أيديهم أي مما أسلفت من كتبهما لم يكن يحل لهم وويل لهم مما يكسبون بذلك بعد من الرشا على التحريف وفي اعادة لويل في الكسب دليل على ان الوعيد كما يلحقهم بسبب الكتبة واسنادها الى الله فكذلك يلحقهم بسبب أخذ المال عليه ليعلم ان أخذ المال على الباطل (٣١٣) محرم وان كان بالتراضي وقالوا لن تمسنا النار نوع آخر من قبائح أفعالهم وهو جزمهم بان الله تعالى لا يعذبهم الا أياما معدودة قليلة وهذا الجزم مما لا سبيل اليه بالعقل البتة ولا دليل له سمعيا فلا يجزم به عاقل والايام المعدودة قالوا أربعون يوما هي أيام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما لان يوما عند الله ألف سنة وأيام معدودة ومعدودات كلاهما فصيح مثل الايام مضت ومضين والعهد ههنا يجري مجرى الوعد والخبر لان خبره سبحانه كالعهود المؤكدة منه بالقسم والنذر واتخذتم استفهام بطريق الانكار وانه يدل على عدم الدليل السمعي فلن يخلف الله عهده لتنزهه سبحانه عن كل نقيصة وخلاف الخبر أنقص النقائص فان قيل هب ان الخلف في الوعد لوم ونقيصة لكنه في الوعيد كرم ولطف قلنا الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوزه كامل ولعل للكرم طريقا آخر سوى هذا فتأمل وأم اما معادلة بمعنى أي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون أحدهما وهذا من الكامل المنصف نحو وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ويجوز أن تكون منقطعة بمعنى بل أتقولون كأنه أعرض عن الاستفهام الاول واستأنف سؤالا ثانيا فالاستفهام الاول لتقرير النفي والاستفهام الثاني لتقرير الاثبات وفي الآية تنبيه على أن القول بغير دليل باطل وان كل ما جاز وجوده وعدمه عقلا لم يجز المصير الى الاثبات أو الى النفي الا بدليل سمعي ولا حجة لمنكري القياس وخبر الواحد فيه لانه لما دل الدليل على وجوب العمل عند حصول الظن المستند الى القياس أو الى خبر الواحد كان وجوب العمل معلوما فكان القول به قولا بالمعلوم بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار أي بلى تمسكم أبدا بدليل قوله تعالى هم فيها خالدون عن ابن عباس وجد أهل الكتاب ما بين

طرفى جهنم مسيرة أربعين فقالوا لن نعذب فى النار الا ما وجدنا فى التوراة فاذا كان يوم القيامة أقحموا فى النار فساروا فى العذاب حتى انتهوا الى سقر وفيها شجرة الزقوم الى آخر يوم من الايام المعدودة قال لهم خزنة أهل النار يا أعداء الله زعمتم انكم لن تعذبوا فى النار الا أياما معدودة فقد انقضى العدد وبقى الابد قلت وفى مثل حالهم ضلال الفلاسفة القائلين بان الارواح وان صارت مكدرة بقبائح أفعال الاشباح الآثمة بعد المفارقة ورجوع العناصر الى أصلها تصير الى حظائر القدس ولا يزاحمها شئ من نتائج الاعمال الا أياما معدودة بقدر فطام الارواح

عن ابان التمتعات الحيوانية ثم تخلص من العذاب وترجع الى حسن المآب ومنهم من زعم ان استيفاء اللذات الحسية يقلل التعلقات الدنيوية ويسهل عروج الروح الى عالمه العلوى وكل هذا خيال فاسد ومتاع كاسد وانه قول من لم يجرب ولم يجد من نفسه انها كيف تتدنس وتتكدر بالاخلاق الذميمة البهيمية والسبعية وكيف تتصفى وتتطهر بالاخلاق الجيدة الروحانية الملكية فتغمر بصداء مرآة القلب بحيث لا يبقى فيه شئ من الصفاء الفطرى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا يجلوها الامرور الدهور وكرور الاعصار وقد ينضم الكفر الى تلك الاخلاق فيبقى خالدا مخلدا فى النار فويل ثم ويل وزفير وعويل نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت اعمالنا والسيئة أصلها سيوئة من ساء يسوء سوأ ومساءة فقلبت الواو ياء وأدغمت وهى من الصفات الغالبة وقوله سيئة يتناول جميع المعاصى صغرت أو كبرت فضم اليها شرط آخر وهو كون السيئة محيطة به ليختص بالكبيرة ولفظ الاحاطة حقيقة فى الجسمانات احاطة السور بالبلد والظرف بالمظروف فنقل الى الخطيئة وهى عرض لمعنيين من جهة ان المحيط يستر المحاط به والكبيرة تستر الطاعات ومن جهة ان الكبيرة تحبط الطاعات وتستولى عليها احاطة العدو بالانسان بحيث لا يتمكن الانسان من الخلاص عنهم والآية وان وردت فى اليهود فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبمثلها يتمسك المعتزلة فى اثبات الوعيد لاصحاب الكبائر اذا ماتوا قبل التوبة وفسر بعضهم الخطيئة المحيطة بالكفر وبه تتحقق الاحاطة التامة واعلم ان فى المسئلة خلافا لاهل القبلة منهم من قطع بوعيدهم اما مؤبدا وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج واما منقطعا وهو قول بشر المريسى والخالدى ومنهم من قطع بانه

أبى العالية مثله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنى موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى قال قالوا انما كانت الرسل من بنى اسرائيل فما بال هذا من بنى اسمعيل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن على الازدى قال نزلت فى اليهود ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فباؤا بغضب على غضب) يعنى بقوله فباؤا بغضب على غضب فرجعت اليهود من بنى اسرائيل بعد الذى كانت عليه من الاستنصار بمحمد صلى الله عليه وسلم والاستفتاح به وبعد الذى كانوا يخبرون الناس من قبل مبعثه انه نبى مبعوث مرتدين على أعقابهم حين بعثه الله نبيا مرسلا فباؤا بغضب من الله استحقوه منه بكفرهم بمحمد حين بعث وجحودهم نبوته وانكارهم اياه ان يكون هو الذى يجدون صفته فى كتابهم عنادا منهم له وبغيا وحسدا له وللعرب على غضب سالف كان من الله عليهم قبل ذلك سابق غضبه الثانى لكفرهم الذى كان قبل ذلك بعيسى بن مريم أو لعبادتهم العجل أو لغير ذلك من ذنوب كانت لهم سلفت يستحقون بها الغضب من الله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال حدثنى ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد فيما أرى عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس فباؤا بغضب على غضب فالغضب على الغضب غضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهى معهم وغضب بكفرهم بهذا النبى الذى أحدث الله اليهم حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن أبى بكير عن عكرمة فباؤا بغضب على غضب قال كفر بعيسى وكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن أبى بكير عن عكرمة فباؤا بغضب على غضب قال كفرهم بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى بكير عن عكرمة مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال الناس يوم القيامة على أربعة منازل رجل كان مؤمنا بعيسى وآمن بمحمد صلى الله عليهما فله أجران ورجل كان كافرا بعيسى فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فله أجر ورجل كان كافرا بعيسى فكفر بمحمد فباء بغضب على غضب ورجل كان كافرا بعيسى من مشركى العرب فمات بكفره قبل محمد صلى الله عليه وسلم فباء بغضب حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فباؤا بغضب على غضب غضب الله عليهم بكفرهم بالانجيل وبعيسى وغضب عليهم بكفرهم بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فباؤا بغضب اليهود بما كان من تبديلهم التوراة قبل خروج النبى صلى الله عليه وسلم على غضب بجحودهم النبى صلى الله عليه وسلم وكفرهم بما جاء به حدثنا المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فباؤا بغضب على غضب يقول غضب الله عليهم بكفرهم بالانجيل وعيسى ثم غضبه عليهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فباؤا بغضب على غضب أما الغضب الاول فهو حين غضب الله عليهم فى العجل وأما الغضب الثانى فغضب عليهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج وعطاء وعبيد بن عمير قوله فباؤا

بغضب على غضب قال غضب الله عليهم فيما كانوا فيه من قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم من تبديلهم وكفرهم ثم غضب عليهم في محمد صلى الله عليه وسلم اذ خرج فكفروا به قال أبو جعفر وقد بينا معنى الغضب من الله على من غضب عليه من خلقه واختلاف المختلفين في صفته فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته والله تعالى أعلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وللكافرين عذاب مهين) يعني بقوله جل ثناؤه وللكافرين عذاب مهين وللجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم عذاب من الله اما في الدنيا واما في الآخرة مهين هو المذل صاحبه المخزي الملبسه هوانا وذلة فان قال قائل وأي عذاب هو غير مهين صاحبه فيكون للكافرين المهين منه قيل ان المهين هو الذي قد بينا انه المورث صاحبه ذلة وهوانا الذي يخلد فيه صاحبه لا ينتقل من هوانه الى عز وكرامة أبدا وهو الذي خص الله به أهل الكفر به وبرسله وأما الذي هو غير مهين صاحبه فهو ما كان تمحيصا لصاحبه وذلك هو كالسارق من أهل الاسلام يسرق ما يجب عليه القطع فتقطع يده والزاني منهم يزني فيقام عليه الحد وما أشبه ذلك من العذاب والنكال الذي جعله الله كفارات للذنوب التي عذب بها أهلها وكأهل الكبائر من أهل الاسلام الذين يعذبون في الآخرة بمقادير اجرامهم التي ارتكبوها ليمحصوا من ذنوبهم ثم يدخلون الجنة فان كل ذلك وان كان عذابا فغير مهين من عذب به اذ كان تعذيب الله اياه به ليمحصه من آثامه ثم يورده معدن العز والكرامة ويخلده في نعيم الجنان ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا) يعني بقوله جل ثناؤه واذا قيل لهم واذا قيل لليهود من بني اسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنوا أي صدقوا بما أنزل الله يعني بما أنزل الله من القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قالوا نؤمن أي نصدق بما أنزل علينا يعني بالتوراة التي أنزلها الله على موسى ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويكفرون بما وراءه) يعني جل ثناؤه بقوله ويكفرون بما وراءه ويجحدون بما وراءه يعني بما وراء التوراة قال أبو جعفر وتأويل وراءه في هذا الموضع سوى كما يقال للرجل المتكلم بالحسن ما وراء هذا الكلام شيء يراد به ليس عند المتكلم به شيء سوى ذلك الكلام فكذلك معنى قوله ويكفرون بما وراءه أي بما سوى التوراة وبما بعده من كتب الله التي أنزلها الى رسله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويكفرون بما وراءه يقول بما بعده حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ويكفرون بما وراءه أي بما بعده يعني بما بعد التوراة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ويكفرون بما وراءه يقول بما بعده ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وهو الحق مصدقا لما معهم) يعني بقوله جل ثناؤه وهو الحق مصدقا أي ما وراء الكتاب الذي أنزل عليهم من الكتب التي أنزلها الله الى أنبيائه الحق وانما يعني بذلك تعالى ذكره القرآن الذي أنزله الى محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو القرآن يقول الله جل ثناؤه وهو الحق مصدقا لما معهم وانما قال جل ثناؤه مصدقا لما معهم لأن كتب الله يصدق بعضها بعضا ففي

لا وعيد لهم وينسب الى مقاتل بن سليمان المفسر والذي عليه أكثر الصحابة والتابعين وأهل السنة والامامية القطع بأنه سبحانه يعفو عن بعض العصاة وأنه اذا عذب أحدا فلا يعذبه أبدا لكنا نتوقف في حق البعض المعفو عنه والبعض المعذب على التعيين أما المعتزلة فاستدلوا بعمومات وردت في وعيد الفساق كقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وقوله وان الفجار لفي جحيم وقوله ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا ومن الحديث من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها لم يشربه في الآخرة ومن قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة الذي يشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم وعن أبي سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل الا ادخل النار واذا استحقوا النار ببغضهم فلأن يستحقوا النار بقتلهم أولى وأجيب بالمنع من ان هذه الصيغ للعموم بدليل صحة ادخال الكل والبعض عليها نحو كل من دخل داري فله كذا أو بعض أو من دخل ولا يلزم منه تكرير ولا تناقض ولأن الأكثر قد يطلق عليه لفظ الكل ولاحتمال المخصصات القاطعون بنفي العقاب عن أهل الكبائر احتجوا بنحو قوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم لا يصلاها الا الأشقى الذي كذب وتولى وبالعمومات الواردة في الوعد مثل والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك الآية حكم بالفلاح على كل من آمن وعورض بعمومات الوعيد أما أصحابنا الذين قطعوا بالعفو في حق البعض والتوقف في البعض فقد تمسكوا بنحو قوله عز من قائل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وبأن عمومات الوعد والوعيد لما تعارضتا فلا بد من الترجيح لجانب الوعد بصرف التأويل الى الوعيد لأن العفو عن الوعيد مستحسن في العرف واهمال الوعد بالضد وأيضا القرآن مملوء من قوله عفو غفور رحيم كريم وكذا الأخبار في هذا المعنى تكاد تبلغ حد التواتر وأيضا ان صاحب الكبيرة أتى بما هو أفضل الخيرات وهو الايمان ولم يأت بما هو أقبح القبائح وهو الكفر ولا يهدمه ما سوى الكفر من المعاصي ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازي الهي اذا كان توحيد ساعة يهدم كفر خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة كيف لا يهدم معصية ساعة الهي لما كان الكفر

الانجيل والقرآن من الامر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وبما جاء به مثل الذى من ذلك فى توراة موسى عليه السلام فلذلك قال جل ثناؤه اليهود اذا أخبرهم عما وراء كتابهم الذى أنزله على موسى صلوات الله عليه من الكتب التى أنزلها الى أنبيائه وانه الحق مصدقا الكتاب الذى معهم يعنى له موافق فيما اليهود به مكذبون قال وذلك خبر من الله انهم من التكذيب بالتوراة على مثل الذى هم عليه من التكذيب بالانجيل والفرقان عنادا لله وخلافا لامره وبغيا على رسله صلوات الله عليهم

۞ القول فى تأويل قوله (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) يعنى جل ذكره قل فلم تقتلون أنبياء الله قل يا محمد ليهود بنى اسرائيل الذين اذا قلت لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا لم تقتلون ان كنتم يا معشر اليهود مؤمنين بما أنزل الله عليكم أنبياءه وقد حرم الله فى الكتاب الذى أنزل عليكم قتلهم بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم وذلك من الله جل ثناؤه تكذيب لهم فى قولهم نؤمن بما أنزل علينا وتعيير لهم كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال قال الله تعالى ذكره وهو يعيرهم يعنى اليهود فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين فان قال قائل وكيف قيل لهم فلم تقتلون أنبياء الله من قبل فابتدأ الخبر على لفظ المستقبل ثم أخبر انه قد مضى قيل ان أهل العربية يختلفون فى تأويل ذلك فقال بعض البصريين معنى ذلك فلم قتلتم أنبياء الله من قبل كما قال جل ثناؤه واتبعوا ما تتلوا الشياطين أى ما تلت وكما قال الشاعر

ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فمضيت عنه وقلت لا يعنينى

يريد بقوله ولقد أمر ولقد مررت واستدل على ان ذلك كذلك بقوله فمضيت عنه ولم يقل فأمضى عنه ومن زعم ان فعل ويفعل قد تشترك فى معنى واحد واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وانى لآتيكم بشكرى ما مضى * من الامر واستيجاب ما كان فى غد

يعنى بذلك ما يكون فى غد وبقول الحطيئة

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد أحق بالعذر

يعنى يشهد وكما قال الآخر

فما أضحى ولا أمسيت الا * أرانى منكم فى كد فان

فقال أضحى ثم قال ولا أمسيت وقال بعض نحوى الكوفيين انما قيل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل نخاطبهم بالمستقبل من الفعل ومعناه الماضى كما يعنف الرجل الرجل على ما سلف منه من فعل فيقول له ويحك لم تكذب ولم تبغض نفسك الى الناس كما قال الشاعر

اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * ولم تجدى من ان تقرى به بدا

فالجزاء للمستقبل والولادة كلها قد مضت وذلك ان المعنى معروف فجاز ذلك قال ومثله فى الكلام اذا نظرت فى سيرة عمر لم تجد فيها يسيء المعنى لم تجده أساء فلما كان أمر عمر لا يشك فى مضيه لم يقع فى الوهم انه مستقبل فلذلك صلحت من قبل مع قوله فلم تقتلون أنبياء الله من قبل قال وليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتلة انما قتل الانبياء أسلافهم الذين مضوا فتولوهم على ذلك ورضوا فنسب القتل اليهم والصواب فيه من القول عندنا ان الله خاطب الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بنى

لا ينفع معه شىء من الطاعات كان مقتضى العدل ان الايمان لا يضر معه شىء من المعاصى واذا دلت الآيات على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق بينهما فاما ان يصل العبد الى دار الثواب ثم الى دار العقاب وهو باطل بالاجماع أو يصل اليه العقاب ثم ينقل الى دار الثواب ويبقى هنالك أبد الآباد وهو المطلوب واعلم ان مذهب الاصحاب الى الادب أقرب من حيث انهم يصفونه بصفات الجمال كالعفو والمغفرة وبصفات الجلال كالقهر والانتقام ولكن لا يوجبون عليه ثوابا ولا عقابا لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن حيث انهم لا يعينون البعض المستحق للثواب ولا البعض المستحق للعقاب من المسلمين لان فعله مبرأ عن التعلل بلواحق الغايات وسوابق البواعث ومذهب المعتزلة الى الاحتياط أقرب فان من خوفك حتى تبلغ الامن خير ممن أمنك حتى تبلغ الخوف (واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) * القراآت لا يعبدون بالياء للغيبة ابن كثير وحمزة وعلى والمفضل القربى بالامالة المفرطة حمزة وعلى وخلف وقرأ أبو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا وصفا يعقوب وحمزة وعلى وخلف والمفضل تظاهرون خفيفا عاصم وحمزة وعلى وخلف وحذف احدى التاءين للتخفيف الباقون بالتشديد ووجهه ادغام التاء فى الظاء أسارى بالامالة تفدوهم أبو عمرو وخلف أسارى مفخما تفدوهم ابن كثير وابن عامر أسرى بالامالة تفدوهم حمزة أسارى بالامالة تفادوهم على والنجارى عن ورش والخراز عن هبيرة والباقون أسارى مفخما تفادوهم تردون بتاء الخطاب أبو زيد عن المفضل يعملون بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب وأبو بكر وحماد بناء لآخر الكلام على أوله الباقون بالتاء تغليبا للمخاطبين

اسرائيل بما خاطبهم في سورة البقرة وغيرها من سائر السور بما سلف من احسانه الى اسلافهم وبما سلف من كفران اسلافهم نعمه وارتكابهم معاصيه واجترائهم عليه وعلى أنبيائه وأضاف ذلك الى المخاطبين به نظير قول العرب بعضها لبعض فعلنا بكم يوم كذا كذا وكذا وفعلتم بنا يوم كذا كذا وكذا على نحو ما قد بيناه في غير موضع من كتابنا هذا يعنون بذلك ان اسلافنا فعلوا ذلك باسلافكم وان أوائلنا فعلوا ذلك باوائلكم فكذلك ذلك في قوله فلم تقتلون أنبياء الله من قبل وان كان قد خرج على لفظ الخبر عن المخاطبين به خبرا من الله تعالى ذكره عن فعل السالفين منهم على نحو الذي بينا جاز ان يقال من قبل اذ كان معناه قل فلم يقتلون أسلافكم أنبياء الله من قبل وكان معلوما بان قوله فلم تقتلون أنبياء الله من قبل انما هو خبر عن فعل سلفهم وتاويل قوله من قبل أي من قبل اليوم وأما قوله ان كنتم مؤمنين فانه يعني ان كنتم مؤمنين بما نزل الله عليكم كما زعمتم وانما عنى بذلك اليهود الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلافهم ان كانوا وكنتم كما تزعمون أيها اليهود مؤمنين وانما عيرهم جل ثناؤه بقتل أوائلهم أنبياءه عند قولهم حين قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا لانهم كانوا لاوائلهم الذين تولوا قتل أنبياء الله مع قيلهم نؤمن بما أنزل علينا متولين وبفعلهم راضين فقال لهم ان كنتم كما تزعمون مؤمنين بما أنزل عليكم فلم تتولون قتلة أنبياء الله أي وترضون أفعالهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون) يعني جل ثناؤه بقوله ولقد جاءكم موسى بالبينات أي جاءكم بالبينات الدالة على صدقه وحقية نبوته كالعصا التي تحولت ثعبانا مبينا ويده التي أخرجها بيضاء للناظرين وفلق البحر ومصيره أرضه له طريقا يبسا والجراد والقمل والضفادع وسائر الآيات التي بينت صدقه وحقية نبوته وانما سماها الله بينات لتبينها للناظرين اليها انها معجزة لا يقدر على ان ياتي بها بشر الا بتسخير الله ذلك له وانما هي جمع بينة مثل طيبة وطيبات قال أبو جعفر ومعنى الكلام ولقد جاءكم يا معشر يهود بني اسرائيل موسى بالآيات البينات على أمره وصدقه وحقية نبوته وقوله ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون يقول جل ثناؤه لهم ثم اتخذتم العجل من بعد موسى الها فالهاء التي في قوله من بعده من ذكر موسى وانما قال من بعد موسى لانهم اتخذوا العجل من بعد ان فارقهم موسى ماضيا الى ربه لموعده على ما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا وقد يجوز ان تكون الهاء التي في بعده الى ذكر المجيء فيكون تاويل الكلام حينئذ ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعد مجيء البينات وأنتم ظالمون كما تقول جئتني فكرهته يعني كرهت مجيئك وأما قوله وأنتم ظالمون فانه يعني بذلك انكم فعلتم ما فعلتم من عبادة العجل وليس ذلك لكم وعبدتم غير الذي كان ينبغي لكم ان تعبدوه لان العبادة لا تنبغي لغير الله وهذا توبيخ من الله لليهود وتعيير منه لهم واخبار منه لهم انهم اذ كانوا فعلوا ما فعلوا من اتخاذ العجل الها وهو لا يملك لهم ضرا ولا نفعا بعد الذي علموا ان ربهم هو الرب الذي يفعل من الاعاجيب وبدائع الافعال ما أجراه على يدي موسى صلوات الله عليه من الامور التي لا يقدر عليها أحد من خلق الله ولم يقدر عليها فرعون وجنده مع بطشه وكثرة اتباعه وقرب عهدهم بما عاينوا من عجائب حكم الله فهم الى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وجحود ما في كتبهم التي زعموا انهم بها مؤمنون من

على الغيب والوقوف الزكاة ط لان ثم لترتيب الاخبار أي ط مع ذلك توليتم ومعرضون تشهدون من ديارهم ز لان تظاهرون يشبه استئنافا وكونه حالا أوجه والعدوان ط اخراجهم ط ببعض ج لابتداء الاستفهام أو النفي مع فاء التعقيب الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين العذاب ط يعملون ط بالآخرة ز لان الفعل مستانف وفيه فاء التعقيب للجزاء ينصرون * التفسير انه سبحانه كلفهم باشياء الاول قوله لا تعبدون الا الله من قرأ بياء الغيبة فلانهم غيب ومن قرأ بتاء الخطاب فلحكاية ما خوطبوا به وفي اعرابه أقوال أحدها انه اخبار في معنى النهي كقولك تذهب الى فلان تريد الامر وهو أبلغ من صريح الامر والنهي كانه سورع الى الامتثال فهو يخبر عنه ويؤيد هذا القول عطف وقولوا وأقيموا عليه وثانيها التقدير ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفعت كقوله شعر

* ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى *

ويحتمل ان تكون ان مفسرة وان تكون مع الفعل بدلا من الميثاق كانه قيل أخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وثالثها هو جواب قوله أخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ أقسمنا عليهم لا تعبدون وهذا التكليف بالحقيقة يتضمن جميع ما لا بد منه في الدين لان الامر بعبادته والنهي عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وجميع ما يجب له ويستحيل عليه ومسبوق أيضا بالعلم بكيفية تلك العبادة التي لا سبيل الى معرفتها الا بالوحي والرسالة التكليف الثاني قوله وبالوالدين احسانا معناه يحسنون بالوالدين احسانا ليناسب لا يعبدون أو أحسنوا اليناسب وقولوا ويمكن أن يقدر ووصيناهم عطفا على أخذنا وهذا أنسب لمكان الباء ولا بد من تقدير القول اما قبل لا تعبدوا واما قبل أحسنوا واما قبل قولوا وانما جعل الاحسان الى الوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها انهما سبب وجود الولد كما انهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون سبب التربية فقط فلا انعام بعد انعام الله تعالى أعظم من انعام الوالدين ومنها أن انعامهما شبه انعام الله تعالى من حيث انهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها أنه تعالى لا يمل من انعامه على العبد وان أتى باعظم الجرائم فكذا الوالدان لا يقطعان عنه مواد كرمهما وان كان غير بار بهما ومنها أن الوالد المشفق يتصرف في مال ولده بالاسترباح والغبطة والله سبحانه يأخذ الحبة فيربيها مثل جبل أحد ومنها أن المناسبة والميل والمحبة بين الوالد وولده ذاتية

حتى عمت جميع الحيوان كما أن المناسبة بين الواجب والممكن ذاتية لا عرضية وفيها أسرار فليتأمل ومنها أنه لا كما يمكن الولد الا و يطلبه الوالد لاجله و يريده عليه كما أن الله تعالى لا خير يمكن للعبد الا وهو يريده عليه ولهذا أرسل الرسل وأنزل الكتب ونصب الادلة وازاح العلة ومن غاية شفقة الوالدين أنهما لا يحسدان على ولدهما اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى أن يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين أمر معتبر فى جميع الشرائع ومركوز (٣١٨) فى كل العقول وقد ورد أطع الوالدين وان كانا كافرين وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى حنظلة بن أبى عامر الراهب عن قتل أبيه وكان مشركا ولهذا أطلق الاحسان اليهما فى الآية اطلاقا وقد تلطف ابراهيم عليه السلام فى دعوة أبيه من الكفر الى الايمان فى قوله يا أبت يا أبت والاحسان اليهما أن يحبهما من صميم القلب و يراعى دقائق الادب والخدمة والشفقة و يبذل وسعه فى رضاهما قولا وفعلا ولا يمنع أعز أوقاته وكرائم أمواله عنهما ويجتهد فى تنفيذ وصاياهما و يذكرهما فى صالح دعائه كما أرشد الله تعالى الى جميع ماذكرنا فى قوله فلا تقل لهما أف الى آخر الآية التكليف الثالث الاحسان الى ذوى القرابة و يعبر عنه بصلة الرحم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والشجنة الاشتباك أى الرحم مشتقة من الرحمن يعنى أنها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العروق والسبب العقلى فى تأكيد رعاية هذا الحق أن القرابة مظنة لاتحاد الالفة والرعاية والنصرة ولهذا صار كالتبع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل به أقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعى لو أوصى لاقاربه يدخل فيه الوارث وغير الوارث والمحرم وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغنى والفقير والاجداد والاحفاد لا الابوان والولد على الاظهر لان الوالد والولد لا يعرفان فى العرف بالقريب وههنا دقيقة فصعوت وهى أن العرب يحفظون الاجداد العالية ليرتفع نسبهم ونحن لو ترقينا الى الجد العالى وحسبنا أولاده كثروا ولهذا قال الشافعى نرتقى الى اقرب جد نسب هو اليه و تعرف به وذكر وافى مثاله أنه لو أوصى لاقارب الشافعى فانا نصرفه الى أولاد شافع فانه منسوب اليه ولا يدخل فيها أولاد على والعباس وان كان شافع وعلى والعباس كلهم أولاد السائب بن عبيد والشافعى هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن سائب

صفته ونعته مع بعد ما بينهم و بين عهد موسى من المدة أسرع والى التكذيب بما جاءهم به موسى من ذلك أقرب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا) يعنى بقوله جل ثناؤه واذ أخذنا واذكروا اذ أخذنا عهودكم بان خذوا ما آتيناكم من التوراة التى أنزلتها اليكم ان تعملوا بما فيها من أمرى وتنتهوا عما نهيتكم فيها بجد منكم فى ذلك ونشاط فاعطيتم على العمل بذلك ميثاقكم اذ رفعنا فوقكم الجبل وأما قوله واسمعوا فان معناه واسمعوا ما أمرتكم به وتقبلوه بالطاعة كقول الرجل للرجل يأمره بالامر سمعت وأطعت يعنى بذلك سمعت قولك وأطعت أمرك كما قال الراجز

السمع والطاعة والتسليم * خير وأعفى لبنى تميم

يعنى بقوله السمع قبول ما يسمع والطاعة لما يؤمر فكذلك معنى قوله واسمعوا اقبلوا ما سمعتم واعملوا به قال أبو جعفر فمعنى الآية واذ أخذنا ميثاقكم ان خذوا ما آتيناكم بقوة واعملوا بما سمعتم وأطيعوا الله ورفعنا فوقكم الطور من أجل ذلك وأما قوله قالوا سمعنا فان الكلام خرج مخرج الخبر عن الغائب بعد ان كان الابتداء بالخطاب فان ذلك كما وصفنا من ان ابتداء الكلام اذا كان حكاية فالعرب تخاطب فيه ثم تعود فيه الى الخبر عن الغائب وتخبر عن الغائب ثم تخاطب كما بينا ذلك فيما مضى قبل فكذلك ذلك فى هذه الآية لان قوله واذ أخذنا ميثاقكم بمعنى قلنا لكم فاجبتمونا وأما قوله قالوا سمعنا فانه خبر من الله عن اليهود الذين أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما فى التوراة وأن يطيعوا الله فيما يسمعون منها انهم قالوا حين قيل لهم ذلك سمعنا قولك وعصينا أمرك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم واشربوا فى قلوبهم حب العجل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا معمر عن قتادة واشربوا فى قلوبهم العجل قال اشربوا حبه حتى خلص ذلك الى قلوبهم حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية واشربوا فى قلوبهم العجل قال اشربوا حب العجل بكفرهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع واشربوا فى قلوبهم العجل قال اشربوا حب العجل فى قلوبهم وقال آخرون معنى ذلك انهم سقوا الماء الذى ذرى فيه سحالة العجل ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى لما رجع موسى الى قومه أخذ العجل الذى وجدهم عاكفين عليه فذبحه ثم خرقه بالمبرد ثم ذراه فى اليم فلم يبق بحر يومئذ يجرى الا وقع فيه شئ منه ثم قال لهم موسى اشربوا منه فشربوا فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب فذلك حين يقول الله عز وجل واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال لما سحل فألقى فى اليم استقبلوا جرية الماء فشربوا حتى ملؤا بطونهم فاورث ذلك فى فعله منهم جبنا قال أبو جعفر وأولى التأويلين اللذين ذكرت بقول الله جل ثناؤه واشربوا فى قلوبهم العجل تأويل من قال واشربوا فى قلوبهم حب العجل لان الماء لا يقال منه اشرب فلان فى قلبه وانما يقال ذلك فى حب الشئ فيقال منه أشرب قلب فلان حب كذا بمعنى سقى ذلك حتى غلب عليه وخالط قلبه كما قال زهير

فصحوت عنها بعد حب داخل * والحب يشربه فؤادك داء

قال ولكنه ترك ذكر الحب اكتفاء بفهم السامع لمعنى الكلام اذ كان معلوما ان العجل لا يشرب القلب وان الذى يشرب القلب منه حبه كما قال جل ثناؤه واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها وكما قال الشاعر

ألا اننى سقيت اسود حالكا * لا يجلى من الشراب الاجل

يعنى بذلك سم اسود فاكتفى بذكر اسود عن ذكر السم لمعرفة السامع معنى ما أراد بقوله سقيت اسود وروى ألا انى سقيت اسود سالحا وقد تقول العرب اذا سرك أن تنظر الى السخاء فانظر الى هرم أو الى حاتم فيجتزى بذكر الاسم من ذكر فعله اذا كان معروفا بشجاعة أو سخاء أو ما أشبه ذلك من الصفات ومنه قول الشاعر

يقولون جاهد يا جميل بغزوة * وان جهادا طيئ وقتالها

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين) يعنى بذلك جل ثناؤه قل يا محمد ليهود بنى اسرائيل بئس الشئ يأمركم به ايمانكم ان كان يأمركم بقتل أنبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه وجحود ما جاء من عنده ومعنى ايمانهم تصديقهم الذى زعموا انهم به مصدقون من كتاب الله اذ قيل لهم آمنوا بما أنزل الله فقالوا نؤمن بما أنزل علينا وقوله ان كنتم مؤمنين أى ان كنتم مصدقين كما زعمتم بما أنزل الله عليكم وانما كذبهم الله بذلك لان التوراة تنهى عن ذلك كله وتأمر بخلافه فأخبرهم أن تصديقهم بالتوراة ان كان يأمرهم بذلك فبئس الامر تأمر به وانما ذلك نفى من الله تعالى ذكره عن التوراة أن تكون تأمر بشئ مما يكرهه الله من أفعالهم وان يكون التصديق بها يدل على شئ من مخالفة أمر الله واعلام منه جل ثناؤه ان الذى يأمرهم بذلك أهواؤهم والذى يحملهم عليه البغى والعدوان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) قال أبو جعفر وهذه الآية مما احتج الله بها لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجره وفضح بها أحبارهم وعلماءهم وذلك ان الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم الى قضية عادلة بينه وبينهم فيما كان بينه وبينهم من الخلاف كما أمر الله أن يدعو الفريق الآخر من النصارى اذ خالفوه فى عيسى صلوات الله عليه وجادلوا فيه الى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة وقال لفريق اليهود ان كنتم محقين فتمنوا الموت فان ذلك غير ضاركم ان كنتم محقين فيما تدعون من الايمان وقرب المنزلة من الله بل ان أعطيتم أمنيتكم من الموت اذا تمنيتم فانما تصيرون الى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها والفوز بجوار الله فى جنانه ان كان الامر كما تزعمون من ان الدار الآخرة لكم خالصة دوننا وان لم تعطوها علم الناس انكم المبطلون ونحن المحقون فى دعوانا وانكشف أمرنا وأمركم لهم فامتنعت اليهود من اجابة النبى صلى الله عليه وسلم الى ذلك لعلمها انها ان تمنت الموت هلكت فذهبت دنياها وصارت الى خزى الابد فى آخرتها كما امتنع فريق النصارى الذين جادلوا النبى صلى الله عليه وسلم فى عيسى اذ دعوا الى المباهلة من المباهلة فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار ولو

ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف قال المحققون هذا فى زمان الشافعى وأما فى زماننا فلا تصرف الا الى أولاد الشافعى ولا ترتقى الى بنى شافع لانه أقرب من يعرف أقاربه فى زماننا ولا يدخل الاقارب من الام فى وصية العرب لان قرابة الام لا تعدها العرب قرابة ولا تفتخر بها أما لو أوصى لذى رحم زيد فيدخل فيه قرابة الام فى وصية العرب والعجم لان لفظ الرحم لا يختص بطرف الاب بحال وذهبت طائفة الى أن الاقوى على ما أجاب به العراقيون ومال اليه أبو حنيفة وهو أن أقارب الام تدخل فى الوصية سواء كانت فى وصية العرب أو وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله صلى الله عليه وسلم سعد خالى فليرنى امرؤ خاله والاحسان الى الاقارب قريب من الاحسان الى الوالدين وذلك بأن يجتهد فى رضاهم مما تيسر له عرفا وشرعا وينفق عليهم بالمعروف ان كانوا معسرين وهو موسر التكليف الرابع الاحسان الى اليتامى واليتيم من الاطفال الذى مات أبوه الى أن يبلغ الحلم فيجب على وليه حفظ ماله واستنماؤه قدر النفقة والزكاة ومؤن الملك بما أمكنه والقيام بمصالحه مع رعاية دقائق الغبطة وقضاء حقوق النصيحة قال ابن عباس يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رأسهم واليتم فى غير الانسان من قبل أمه واليتيم من الدر ما لا أخت له وانما جمع يتيم على يتامى لان اليتم لما كان من صفات الابتلاء حمل على الوجع والحبط فكما قالوا فى وجع وحبط للمنتفخ البطن وجاعى وحباطى قيل فى يتيم يتامى وفى الكشاف انه أجرى يتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتايم ثم يتامى على القلب وكذا فى اليتيمة * التكليف الخامس الاحسان الى المساكين واحدها مسكين أخذ من السكون كان الفقر سكنه أولانه الدائم السكون الى الناس لانه لا شئ له كالمسكين الدائم السكن وهو أسوأ حالا من الفقير عند أكثر أهل اللغة وهو قول أبى حنيفة ومالك واحتجوا عليه بقوله تعالى أو مسكينا ذا متربة وعند الشافعى وأحمد الامر بالعكس قالوا اشتقاق الفقير من فقار الظهر كان فقاره انكسرت لشدة حاجته والمسكين قد تكون ما يتعلل به كما فى قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين ويظهر أثر الخلاف فيما لو أوصى للفقراء والمساكين أو بالعكس والاحسان الى ذوى القربى واليتامى والمساكين ينبغى أن يكون مغايرا للزكاة لان العطف يقتضى التغاير التكليف السادس وقولوا للناس حسنا بالوصف أى قولا حسنا وحسنا على المصدر أى قولا ذا حسن أو قولا هو

الحسن في نفسه لافراط حسنه أو ليحسن قولا حسنا والظاهر أن المخاطبين بذلك هم الذين أخذ ميثاقهم لاتحاد القصة قيل انه مخصوص اما بتخصيص الناس أي قولوا للمؤمنين حسنا بدليل آية القتال أشداء على الكفار رحماء بينهم واما بتخصيص القول أي قولوا للناس حسنا في الدعاء الى الله والامر بالمعروف وقال أهل الحقيقة انه على العموم وذلك ان كلام الناس مع الناس في الامور الدينية ان كان بالدعوة الى الايمان وجب أن يكون بالرفق واللين كما قال لموسى فقولا له قولا لينا وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وان كان بالدعوة الى الطاعة كالفساق فحسن القول أيضا معتبر ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتي هي أحسن واما في الامور الدنيوية فمن المعلوم أنه اذا أمكن التوصل الى الغرض بالطف من القول لم يعدل الى غيره وما دخل الرفق في شئ الا زانه وما دخل الخرق في شئ الا شانه فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول وعن الباقر قولوا للناس ما تحبون ان يقال لكم التكليف السابع والثامن قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقد تقدم تفسيرهما ولا شك في وجوب هذه التكاليف عليهم بدليل أخذ الميثاق ولان ظاهر الامر للوجوب ولترتب الذم عليه بتوليهم وهذه التكاليف أيضا واجبة في شرعنا وعن ابن عباس أن الزكاة نسخت كل حق وضعف بان اغاثة المضطر واجبة وان لم تجب علينا الزكاة واعلم أن التكليف اما بدني أو مالي وكل منهما اما عام أو خاص فالبدني العام هو العبادة المطلقة وهي ان يكون بكل الجوارح والقوى منقادا مطيعا مؤتمرا لامر الله تعالى بحيث لا يرى لنفسه شيأ من التصرف والاختيار كالعبد الماثل بين يدي مولاه واليه الاشارة بقوله لا تعبدون الا الله والبدني الخاص هو الصلاة وأشار اليه بقوله وأقيموا الصلاة فللصلاة أوقات مخصوصة وأركان وشروط معدودة خاص والمالي الخاص هو الزكاة لتخصصها بالاصناف الزكوية وبالنصاب وبالحول وغير ذلك والمالي العام لكونه منوطا بالقدرة والامكان سببه اما نسب أولا والنسب اما سابق أو مقارن أو لاحق فالسابق الوالدان والمقارن الاقارب واللاحق اليتامى لانهم أولاد وذلك اذا كان الولي جدا أو بمنزلة الاولاد وذلك اذا كان الولي غيره وغير النسب اما الاحتياج والفقر وهو المساكين أولا تأثير له في النوع ولا يمكن الا بالقول

خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا حدثنا بذلك أبو كريب قال ثنا أبو زكريا بن عدي قال ثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن علي عن الاعمش عن ابن عباس في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين قال لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين قال قال ابن عباس لو تمنوا اليهود الموت لماتوا حدثني موسى قال أخبرنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي عن ابن عباس مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد قال أبو جعفر فيما أرى أنبأنا عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال لو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على ظهر الارض يهودي الا مات قال أبو جعفر فانكشف لمن كان مشكلا عليه أمر اليهود يومئذ كذبهم وبهتهم وبغيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت حجة رسول الله وحجة أصحابه عليهم ولم تزل والحمد لله ظاهرة عليهم وعلى غيرهم من سائر أهل الملل وانما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لانهم فيما ذكر لنا قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ان كنتم صادقين فيما تزعمون فتمنوا الموت فأبان الله كذبهم بامتناعهم من تمني ذلك وأفلج حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يدعو اليهود أن يتمنوا الموت وعلى أي وجه أمروا ان يتمنوه فقال بعضهم أمروا ان يتمنوه على وجه الدعاء على الفريق الكاذب منهما ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب وقال آخرون بما حدثني بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس وذلك انهم قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فقيل لهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فقال الله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلم يفعلوا حدثني المثنى قال حدثنا اسحاق قال حدثني أبو جعفر عن الربيع قوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية وذلك بانهم قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وأما تأويل قوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله فانه يقول قل يا محمد ان كان نعيم الدار الآخرة ولذاتها لكم يا معشر اليهود عند الله فاكتفى بذكر الدار من ذكر نعيمها لمعرفة المخاطبين بالآية معناها وقد بينا معنى الدار الآخرة فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما تأويل قوله خالصة فانه يعني به صافية كما قال

الحسن وما ينخرط في سلكه من مكارم الاخلاق الفعلية انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم فالقول الحسن يشمل الاصناف المتقدمة أيضا بهذا الاعتبار وحسن هذا الترتيب مما لا مزيد عليه وقد كرر أكثر هذه المعاني في سورة النساء بضرب من التأكيد فأكد العبادة بقوله ولا تشركوا به شيأ وأكد الاحسان الى غير ذي القربى وما يتلوه بتكرير الجار وهو الباء وبضم أصناف أخر وهم الجار وغيره اليهم فكأنه كالتفصيل لقوله وقولوا للناس حسنا قوله تعالى ثم توليتم قيل (٣٢١) الخطاب للمتقدم بني اسرائيل على طريقة الالتفات ووجهه ان أول الكلام معهم فكذا آخره الابدليل يوجب الانصراف عن هذا الظاهر وقيل انه خطاب لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود كأنه تعالى بين ان تلك المواثيق كما لزمهم التمسك بها فكذلك هي لازمة لكم لانكم تعلمون ما في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فيلزمكم من الحجة مثل الذي لزمهم وأنتم مع ذلك توليتم الا قليلا منكم وهم الذين آمنوا وأنتم معرضون الواو للاعتراض أي وأنتم قوم من عادتكم الاعراض أعرضتم بعد ظهور المعجزات كاعراض اسلافكم وقيل ثم توليتم للمتقدمين وأنتم معرضون للمتاخرين وأما قوله واذ أخذنا ميثاقكم فقيل خطاب لعلماء اليهود في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد أخذنا ميثاق آبائكم وقيل خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف وفي قوله لا تسفكون دماءكم اشكال وهو ان الانسان ملجأ الى أن لا يقتل نفسه فاي فائدة في النهي والجواب ان هذا الالجاء قد يتغير كما ثبت من أهل الهند انهم يقدرون في قتل النفس التخلص من عالم الفساد والتحرق بعالم النور وكثير ممن يصعب عليه الزمان أو المراد لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به أصلا أو دينا أو أنه اذا قتل

غيره فكأنما قتل نفسه لانه يقتص منه أو لا تتعرضوا للمقاتلة من يقاتلكم فتكونوا قد قتلتم أنفسكم ولا تخرجون أنفسكم لا تفعلوا ما تستحقون بسببه ان تخرجوا من دياركم والمراد اخراج بعضهم بعضا من ديارهم لان ذلك مما تعظم فيه الفتنة حتى يقرب من الهلاك واعراب لا تسفكون ولا تخرجون على قياس ما تقرر في لا تعبدون ثم أقررتم وأنتم تشهدون أي ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه وأنتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه كذا شاهد عليها أو اعترفتم بقبوله وشهد بعضكم على بعض

خلص لي فلان بمعنى صار لي وحدي وصفا لي يقال منه خلص لي هذا الشئ فهو يخلص خلوصا وخالصة والخالصة مصدر مثل العافية ويقال للرجل هذا خلصاني يعني خالصتي من دون أصحابي وقد روي عن ابن عباس انه كان يتأول قوله خالصة خاصة وذلك تأويل قريب من معنى التأويل الذي قلناه في ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قل ان كانت لكم الدار الآخرة قال قل يا محمد لهم يعني اليهود ان كانت لكم الدار الآخرة يعني الخير عند الله خالصة يقول خاصة لكم وأما قوله من دون الناس فان الذي يدل عليه ظاهر التنزيل انهم قالوا لنا الدار الآخرة عند الله خالصة من دون جميع الناس ويبين عن ان ذلك كان قولهم من غير استثناء منهم من ذلك أحدا من بني آدم اخبار الله عنهم انهم قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى الا انه روي عن ابن عباس قول غير ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس من دون الناس يقول من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين استهزأتم بهم وزعمتم ان الحق في أيديكم وان الدار الآخرة لكم دونهم وأما قوله فتمنوا الموت فان تأويله تشهوه وأريدوه وقد روي عن ابن عباس انه قال في تأويله فسلوا الموت ولا يعرف التمني بمعنى المسئلة في كلام العرب ولكن أحسب أن ابن عباس وجه معنى الامنية اذ كانت محبة النفس وشهوتها التي هي معنى الرغبة والمسألة اذ كانت المسئلة هي رغبة السائل الى الله فيما سأله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس فتمنوا الموت فسلوا الموت ان كنتم صادقين ۞ القول في تأويل قوله (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن اليهود وكراهتهم الموت وامتناعهم عن الاجابة الى ما دعوا اليه من تمني الموت لعلمهم بانهم ان فعلوا ذلك فالوعيد بهم نازل والموت بهم حال ولمعرفتهم بمحمد صلى الله عليه وسلم انه رسول من الله اليهم مرسل وهم به مكذبون وانه لم يخبرهم خبرا الا كان حقا كما أخبرهم فهم يحذرون أن يتمنوا الموت خوفا أن يحل بهم عقاب الله بما كسبت أيديهم من الذنوب كالذي **حدثني** محمد بن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني محمد بن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد فيما يروي أبو جعفر عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قل ان كانت لكم الدار الآخرة الآية أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم أي لعلمهم بما عندهم من العلم بك والكفر بذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان ابن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ولن يتمنوه أبدا يقول يا محمد ولن يتمنوه أبدا لانهم يعلمون انهم كاذبون ولو كانوا صادقين لتمنوه ورغبوا في التعجيل الى كرامتي فليس يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم **حدثني** القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وكانت اليهود أشد فرارا من الموت ولم يكونوا ليتمنوه أبدا وأما قوله بما قدمت أيديهم فانه يعني به بما أسلفته أيديهم وانما ذلك مثل على نحو ما تتمثل به العرب في كلامها فتقول للرجل يؤخذ بجريرة جرها أو جناية جناها فيعاقب عليها نالك هذا بما جنت يداك

وبما كسبت يداك وبما قدمت يداك فتضيف ذلك الى اليد واعل الجناية التي جناها فاستحق عليها العقوبة كانت باللسان أو بالفرج أو بغير ذلك من أعضاء جسده سوى اليد قال وانما قيل ذلك باضافته الى اليد لان عظم جنايات الناس بأيديهم فجرى الكلام باستعمال اضافة الجنايات التي يجنيها الناس الى أيديهم حتى أضيف كل ما عوقب عليه الانسان مما جناه بسائر أعضاء جسده الى انها عقوبة على ما جنته يده فلذلك قال جل ثناؤه للعرب ولن يتمنوه ابدا بما قدمت أيديهم يعني به ولن يتمنى اليهود الموت بما قدموا امامهم في حياتهم من كفرهم بالله في خلافهم أمره وطاعته في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ويعلمون انه نبي مبعوث فاضاف جل ثناؤه ما انطوت عليه قلوبهم وأضمرته أنفسهم ونطقت به ألسنتهم من حسد محمد صلى الله عليه وسلم والبغي عليه وتكذيبه وجحود رسالته الى أيديهم وانه مما قدمته أيديهم لعلم العرب بمعنى ذلك في منطقها وكلامها اذ كان جل ثناؤه انما أنزل القرآن بلسانها وبلغتها وروي عن ابن عباس في ذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس بما قدمت أيديهم يقول بما أسلفت أيديهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج بما قدمت أيديهم قال انهم عرفوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي فكتموه وأما قوله والله عليم بالظالمين فانه يعني جل ثناؤه والله ذو علم بظلمة بني آدم يهودها ونصاراها وسائر أهل الملل غيرها وما يعملون وظلم اليهود كفرهم بالله في خلافهم أمره وطاعته في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا يستفتحون به وبمبعثه وجحودهم نبوته وهم عالمون انه نبي الله ورسوله اليهم وقد دللنا على معنى الظلم فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) يعني بقوله جل ثناؤه ولتجدنهم أحرص الناس على حياة اليهود يقول يا محمد لتجدن أشد الناس حرصا على الحياة في الدنيا وأشدهم كراهة للموت اليهود كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد فيما روى أبو جعفر عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس ولتجدنهم أحرص الناس على حياة يعني اليهود حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن أبي العالية ولتجدنهم أحرص الناس على حياة يعني اليهود حدثني المثنى قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وانما كراهتهم الموت لعلمهم بما لهم في الآخرة من الخزي والهوان الطويل ۞ القول في تأويل قوله (ومن الذين أشركوا) يعني جل ثناؤه بقوله ومن الذين أشركوا وأحرص من الذين أشركوا على الحياة كما يقال هو أشجع الناس ومن عنترة بمعنى هو أشجع من الناس ومن عنترة فكذلك قوله ومن الذين أشركوا لان معنى الكلام ولتجدن يا محمد اليهود من بني اسرائيل أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا فلما أضيف أحرص الى الناس وفيه تأويل من أظهرت بعد حرف العطف ردا على التأويل الذي ذكرنا وانما وصف الله جل ثناؤه اليهود بانهم أحرص الناس على الحياة لعلمهم بما قد أعد لهم في الآخرة على كفرهم مما لا يقر به أهل الشرك فهم للموت أكره من أهل الشرك الذين

بذلك لانه كان شائعا فيما بينهم مشهورا وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار أسلافكم بهذا الميثاق ثم أنتم تشهدون معنى ثم الاستبعاد لما أسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره أي أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول خرجت بغير الوجه الذي دخلت به وتقتلون بيان لانتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وهذا عند الكوفيين فانهم يجوزون كون جميع أسماء الاشارة بمعنى الموصول والتظاهر التعاون ولما كان الاخراج من الديار وقتل البعض بعضا مما تعظم به الفتنة واحتيج فيه الى اقتدار وغلبة بين تعالى انهم فعلوه على وجه الاستعانة بمن يظاهرهم على الظلم والعدوان وفيه دليل على أن الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرمة ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانه كما مكنه فقد زجره عنه ونهاه بخلاف معين الظالم فانه يدعوه الى الظلم ويحسنه في عينه مع انه تعالى لا يسئل عما يفعل أسرى جمع أسير كجرحى في جريح وأسارى جمع أسرى كسكرى وسكارى وقيل أسارى من الجموع التي ترك مفردها كأنه جمع أسران كعجالى وعجلان وقوله تفادوهم جمهور المفسرين على أنه وصف لهم بما هو طاعة وهو التخليص من الاسر ببذل مال أو غيره ليعودوا الى كفرهم وهو ضمير الشان واخراجهم مبتدأ ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ويجوز أن يكون هو مبتدأ مبهما ومحرم خبره واخراجهم تفسيره أفتؤمنون ببعض الكتاب أي بالفداء وتكفرون ببعض أي بالقتال والاجلاء وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم واذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي أن يذل حلفاؤنا فذمهم الله تعالى على المناقضة اذ أتوا ببعض الواجب وتركوا البعض ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا سماه كفرا فقد تكون المناقضة أدخل في الذم وفي ذلك تنبيه على أنهم في تصديقهم بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والحجة في أمرهما على سواء يجرون مجرى طريقة السلف منهم في الايمان

لا يؤمنون بالبعث لانهم يؤمنون بالبعث ويعلمون مالهم هنالك من العذاب وان المشركين لا يصدقون بالبعث ولا العقاب فاليهود أحرص منهم على الحياة وأكره للموت وقيل ان الذين أشركوا الذين أخبر الله تعالى ذكره ان اليهود أحرص منهم في هذه الآية على الحياة هم المجوس الذين لا يصدقون بالبعث ذكر من قال هم المجوس حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة يعني المجوس حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة قال المجوس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ومن الذين أشركوا قال يهود أحرص من هؤلاء على الحياة ذكر من قال هم الذين ينكرون البعث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد فيما يروي أبو جعفر عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا وذلك ان المشرك لا يرجو بعثا بعد الموت فهو يحب طول الحياة وان اليهودي قد عرف ماله في الآخرة من الخزي بما ضيع مما عنده من العلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) هذا خبر من الله جل ثناؤه بقوله عن الذين أشركوا الذين أخبر ان اليهود أحرص منهم على الحياة يقول جل ثناؤه يود أحد هؤلاء الذين أشركوا الاما ٧ يعبادنياه وانقضاء أن يكون له بعد ذلك نشور أو محيا أو فرح أو سرور ولو يعمر ألف سنة حتى جعل بعضهم تحية بعض عشرة آلاف عام حرصا منهم على الحياة كما حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال سمعت أبي عليا أخبرنا أبو حمزة عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله يود أحدهم لو يعمر ألف سنة قال هو قول الاعاجم سال زه نوروز ومهرجان حر وحدثت عن نعيم النحوي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير يود أحدهم لو يعمر ألف سنة قال هو قول أهل الشرك بعضهم لبعض اذا عطس زه هزار سال حدثنا ابراهيم بن سعيد ويعقوب ابن ابراهيم قالا ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبي نجيح عن قتادة في قوله يود أحدهم لو يعمر ألف سنة قال حببت اليهم الخطيئة طول العمر حدثني يونس بن عبد الاعلى قال حدثني ابن معبد عن ابن علية عن ابن أبي نجيح في قوله يود أحدهم فذكر مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولتجدنهم أحرص الناس على حياة حتى بلغ لو يعمر ألف سنة يهود أحرص من هؤلاء على الحياة وقد ود هؤلاء لو يعمر أحدهم ألف سنة وحدثت عن أبي معاوية عن الاعمش عن سعيد عن ابن عباس في قوله يود أحدهم لو يعمر ألف سنة قال هو قول أحدهم اذا عطس زه هزار سال يقول عشرة آلاف سنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر) يعني جل ثناؤه بقوله وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر وما التعمير وهو طول البقاء بمزحزحه من عذاب الله وقوله هو عماد اطلبها الاسم أكثر من طلبها الفعل كما قال الشاعر * فهل هو مرفوع بما ههنا رأس * وان التي في ان يعمر رفع بمزحزحه وهو الذي مع ما تكرير عماد للفعل لاستقباح العرب النكرة قبل المعرفة وقد قال بعضهم ان هو الذي مع ما كناية ذكر العمر كانه قال يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما ذلك العمر بمزحزحه من العذاب وجعل ان يعمر مترجما عن هو تريد ما هو بمزحزحه

٧ هنا بياض بالاصل

بعض والكفر ببعض وكل في الميثاق سواء الخزي الذل والهوان خزي بالكسر يخزى خزيا أي ذل وهان وخزي أيضا يخزى خزاية أي استحيى فهو خزيان فاذا قيل أخزاه الله فالمراد أهانه أو أوقعه موقعا يستحيي منه وتنكير خزي يدل على فظاعة شانه وانه بلغ مبلغا لا يكتنه كنهه والاظهر أنه غير مختص ببعض الوجوه وقيل هو قتل بني قريظة وأسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وعلى هذين القولين يختص الخزي بمن في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وبمن يخلفهم دون اسلافهم فان قيل عذاب منكر الصانع كالدهرية يجب أن يكون أشد فكيف يقال في حق اليهود يردون الى أشد العذاب قلنا اما لان كفر العناد أغلظ واما لان المراد أشد من الخزي لا الاشد مطلقا وفي قوله وما الله بغافل وعيد شديد للعاصين وبشارة عظيمة للمطيعين لان القدرة الكاملة مع عدم الغفلة تدل على وصول الحقوق الى مستحقها لا محالة أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة استبدلوها بها فلا يخفف عنهم العذاب لا ينقطع ولا يفتر بل يدوم على حالة واحدة ولا هم ينصرون بدفع هذا العذاب عنهم وفيه تنبيه على أن الجمع بين تحصيل لذات الدنيا اذا كانت على وفق الهوى لا الشرع وبين لذات الآخرة ممتنع يستتبع وجود احداهما عدم الاخرى والله ولي التوفيق واذ أخذنا ميثاقكم في عهد ألست بربكم لا تسفكون دماءكم بامتثال أوامر الشيطان واتباع خطواته كما قيل

شعر الى حتفي مشى قدمي * أرى قدمي أراق دمي

ولا تخرجون أنفسكم من ديار عبوديتكم التي كنتم فيها في أصل الفطرة وتخرجون فريقا منكم من ديارهم لا تقتصرون على ضلالكم بل يتعاون بعضكم بعضا على الاعراض عن حقوق الله والاقبال على حظوظ النفس وان يأتوكم أسارى تفادوهم فمن أسر في قيد الهوى فانقاده بالدلالة على الهدى ومن أسر في قيد حب الدنيا فخلاصه في كثرة ذكر المولى ومن أسر في يدي الشكوك والشبهات ففداؤه ارشاده الى اليقين بلوائح البراهين ولوامع البينات ومن أسر في حبس وجوده فنجاته فيما يحل عنه وثاق الكون ويوصله الى معبوده ومن أسر في قبضة الحق فليس لاسراهم فداء ولا لقتلاهم قود ولا لرهطهم خلاص ولا لقومهم مناص ولا منهم فرار ولا معهم قرار ولا اليهم بغيره سبيل ولا اليهم دليل أفتؤمنون ببعض الكتاب وهو ما سمعتم في أول الخطاب ألست بربكم فقلتم بلى وتكفرون ببعض وهو الذي عاهدتم عليه

ألا تعبدوا غير الله من الشيطان والنفس والهوى الله حسبي (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به (٣٢٤) أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين)

التعمير وقال بعضهم قوله وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر نظير قولك ما زيد بمزحزحه ان يعمر وأقرب هذه الأقوال عندنا الى الصواب ما قلناه وان يكون هو عمادا نظير قولك ما هو قائم عمرو وقد قال قوم من أهل التأويل ان أن التي في قوله ان يعمر بمعنى وان عمر وذلك قول لمعاني كلام العرب المعروف مخالف ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر يقول وان عمر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ان يعمر ولو عمر وأما تأويل قوله بمزحزحه فانه بمنقذه ومنجيه كما قال الحطيئة

وقالوا تزحزح ما بنا فضل حاجة * اليك ولا منا لوهيك راقع

يعني بقوله تزحزح تباعد يقال منه زحزحه يزحزحه زحزحة وزحزاحا وهو عنك متزحزح أي متباعد فتأويل الآية وما طول العمر بمبعده من عذاب الله ولا منجيه منه لانه لا بد للعمر من الفناء ومصيره الى الله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد فيما أرى عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر أي ما هو بمنجيه من العذاب حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر يقول وان عمر فما ذاك بمغيثه من العذاب ولا منجيه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني محمد بن سعد قال حدثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب فهم الذين عادوا جبريل عليه السلام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر ويهود أحرص على الحياة من هؤلاء وقد ود هؤلاء لو يعمر أحدهم ألف سنة وليس ذلك بمزحزحه من العذاب لو عمر كما عمر ابليس لم ينفعه ذلك اذ كان كافرا ولم يزحزحه ذلك عن العذاب ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (والله بصير بما يعملون) يعني جل ثناؤه بقوله والله بصير بما يعملون والله ذو ابصار بما يعملون لا يخفى عليه شيء من أعمالهم بل هو بجميعها محيط ولها حافظ ذاكر حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها وأصل بصير مبصر من قول القائل أبصرت فأنا مبصر ولكن صرف الى فعيل كما صرف مسمع الى سميع وعذاب مؤلم الى أليم ومبدع السموات الى بديع وما أشبه ذلك ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) أجمع أهل العلم بالتأويل جميعا على أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني اسرائيل اذ زعموا ان جبريل عدو لهم وان ميكائيل ولي لهم ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك فقال بعضهم انما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر نبوته ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس عن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس انه قال حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن الا نبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ

القراآت القدس بسكون الدال حيث كان ابن كثير بئسما وبابه بغير همز أبو عمرو ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف ينزل مخففا ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب * الوقوف القدس ط استكبرتم ج لتناهي الاستفهام مع تعقب فاء التعقيب بعده كذبتم ز لعطف المستقبل على الماضي مع تقديم المفعولين فيهما تقتلون ه غلف ط ز لان بل اعراض عن الاول وتحقيق للثاني يؤمنون ه لما معهم ط لان الواو للحال كفروا ج لان لما متضمنة الشرط وجوابها منتظر والوصل أجوز لان لما مكرر وجوابهما متحد وقوله وكانوا من قبل حال معترض كفروا به ج لان ما بعده مبتدأ لكن الفاء تقتضي تعجيل ذكر جوابهم الكافرين ه من عباده ج لطول الكلام مع فاء التعقيب على غضب ط مهين ه لما معهم ط مؤمنين ط * التفسير لما ذكر سبحانه في الآي المتقدمة صنيع اليهود في مخالفتهم أمره تعالى ومناقضتهم أكد ذلك في هذه بذكر نعم أفاضها عليهم ثم انهم قابلوه بالكفران ونقض المقصود زيادة في تبكيتهم أما الكتاب فهو التوراة آتاها الله تعالى اياه

يعقوب

جملة واحدة عن ابن عباس انها لما نزلت أمر الله موسى بحملها فلم يطق ذلك فبعث الله لكل آية منها ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله على موسى عليه السلام فحملها ا قفو والتقفية الاتباع وهو من القفا كالذنب من الذنب أي اتبعنا على أثره رسلا كثيرين وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع

يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيأ فعرفتموه لتبايعني على الاسلام فقالوا ذلك لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوني عما شئتم فقالوا أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن أخبرنا اى الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة واخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل وكيف يكون الذكر منه والانثى وأخبرنا بهذا النبي الامى فى التوراة ووليه من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم عهد الله لئن انا أنبأتكم لتبايعني فاعطوه ماشاء من عهد وميثاق فقال نشدتكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله لئن عافاه من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الابل قال أبو جعفر فيما أرى وأحب الشراب اليه ألبانها فقالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد الله عليكم وأنشدكم بالله الذى لا اله الا هو الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان ماء الرجل أبيض غليظ وان ماء المرأة أصفر رقيق فايهما علا كان له الولد والشبه باذن الله فاذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرا باذن الله واذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى باذن الله قالوا اللهم نعم قال اللهم أشهد قال وأنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان هذا النبي الامى تنام عينا ولا ينام قلبه قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد قالوا أنت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك قال فان وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه قال فعندها نفارقك لو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك قال فما يمنعكم أن تصدقوه قالوا انه عدونا فانزل الله عز وجل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله الى قوله كأنهم لا يعلمون فعندها باؤا بغضب على غضب حدثنا سلمة بن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني محمد بن اسحق قال حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين يعني المكى عن شهر بن حوشب الاشعرى ان نفرا من اليهود جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا عن أربع نسألك عنهن فان فعلت اتبعناك وصدقناك وآمنا بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن انا أخبرتكم بذلك لتصدقني قالوا نعم قال فاسألوا عما بدا لكم فقالوا أخبرنا كيف يشبه الولد أمه وانما النطفة من الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله وبايامه عند بني اسرائيل هل تعلمون ان نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فايتهما غلبت صاحبتها كان لها الشبه قالوا نعم قالوا فاخبرنا كيف نومك قال أنشدكم بالله وبايامه عند بني اسرائيل هل تعلمون ان هذا النبي الامى تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد قالوا أخبرنا أى الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قال هل تعلمون انه كان أحب الطعام والشراب اليه ألبان الابل ولحومها وانه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم أحب الطعام والشراب اليه شكرا لله فحرم على نفسه لحوم الابل وألبانها قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا عن الروح قال أنشدكم بالله وبايامه عند بني اسرائيل هل تعلمون انه جبريل وهو الذى يأتيني قالوا نعم ولكنه لنا عدو وهو ملك انما يأتى بالشدة وسفك الدماء فلولا ذلك اتبعناك فانزل الله فيهم قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك الى قوله كأنهم لا يعلمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال حدثني القاسم بن أبي بزة ان يهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم من صاحبه الذى ينزل عليه

ويونس وزكريا ويحيي وغيرهم روى أن هؤلاء الرسل كانوا على شريعة واحدة الى أيام عيسى عليه السلام فانه جاء بشريعة جديدة ناسخة لأكثر شرع موسى وكان المقصود من بعثة هؤلاء تنفيذ الشريعة السابقة واحياء بعض ما اندرس منها ومن هنالك قال صلى الله عليه وسلم علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل ان الله سيبعث لهذه الامة على رأس كل مائة من يجدد لها دينها فقيل عيسى بالسريانية أيشوع أى المبارك ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعبرية من النساء كالزير من الرجال وهو الذى يحب محادثة النساء ومجالستهن سمي بذلك لكثرة زيارته لهن وبه فسر قول رؤبة شعر * قلت لزير لم تصله مريمه * ووزن مريم عند أهل الصرف مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت فى الابنية كما ثبت نحو عثير للغبار وعليب اسم واد البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك أيدناه قويناه من الايد القوة وبروح القدس الروح المقدس كما يقال حاتم الجود ورجل صدق أى بجبريل سمي بذلك لانه سبب حياة الدين كما ان الروح سبب حياة البدن ولانه الغالب عليه الروحانية ولانه لم تضمه أصلاب الفحول ولا أرحام الامهات وقيل بالانجيل كما قال وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا لان العلم سبب حياة القلوب وقيل باسم الله الاعظم الذى كان يحيي الموتى بذكره عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل الروح الذى نفخ فيه والقدس والقدوس هو الله واضافة الروح اليه تشريف وتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله عن الربيع وكون الروح ههنا جبريل أظهر لان اختصاصه بعيسى أكثر لانه الذى بشر مريم بولادتها وقد تولد عليه السلام من نفخة جبريل فى أمه وهو الذى رباه فى جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء قوله تعالى أفكلما وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من قوله ولقد آتينا لافادة التوبيخ والتعجيب من شأنهم ويجوز أن تكون الفاء للعطف على مقدر معناه أعرفتم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم الباء للتعدية أو بمعنى مع وذلك انهم كانوا اذا أتاهم رسول بخلاف ما يهوون كذبوه وان تهيأ لهم قتله قتلوه ترفعا وترؤسا على عامتهم وأخذ أموالهم بغير حق يوهمون عوامهم انهم على الحق والنبي صلى الله عليه وسلم على الباطل ويحتجون على ذلك بالتحريف وسوء التأويل ومنهم من كان يستكبر على الانبياء استكبار ابليس على آدم عليه السلام ففريقا كذبتم على

بالوحى فقال جبريل قالوا فانه لناعدو ولا يأتى الا بالحرب والشدة والقتال فنزل من كان عدوا لجبريل
الآية قال ابن جريج وقال مجاهد قالت يهود يا محمد ما ينزل جبريل الا بشدة وحرب وقالوا انه لنا عدو
فنزل من كان عدوا لجبريل الآية وقال آخرون بل كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت
بين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبينهم فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى
محمد بن المثنى قال ثنا ربعى بن علية عن داود بن أبى هند عن الشعبى قال نزل عمر الروحاء فرأى رجالا
يبتدرون احجارا يصلون اليها فقال ما هؤلاء قالوا يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ههنا
فكره ذلك وقال انما رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته الصلاة بواد فصلى ثم ارتحل فتركه ثم أنشأ
يحدثهم فقال كنت أشهد اليهود يوم مدراسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق الفرقان ومن الفرقان
كيف يصدق التوراة فبينما انا عندهم ذات يوم قالوا يا ابن الخطاب ما من أصحابك احد أحب الينا منك
قلت ولم ذلك قالوا انك تغشانا وتأتينا قال قلت انى آتيكم فأعجب من الفرقان يصدق التوراة ومن
التوراة كيف تصدق الفرقان قال ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابن الخطاب ذاك صاحبكم
فالحق به قال فقلت لهم عند ذلك أنشدكم بالله الذى لا اله الا هو وما استرعاكم من حقه واستودعكم من
كتابه أتعلمون انه رسول الله قال فسكتوا قال فقال عالمهم وكبيرهم انه قد عظم عليكم فأجيبوه قالوا أنت
عالمنا وسيدنا فأجبه أنت قال أما اذا انشدتنا به فانا نعلم انه رسول الله قال قلت ويحكم أى هلكتم قالوا
انا لم نهلك قال قلت كيف ذاك وأنتم تعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا تتبعونه ولا تصدقونه
قالوا ان لنا عدوا من الملائكة وسلما من الملائكة وانه قرن به عدونا من الملائكة قال قلت ومن عدوكم
ومن سلمكم قالوا عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل قال قلت وفيما عاديتم جبريل وفيما سالمتم ميكائيل قالوا
ان جبريل ملك الفظاظة والغلظة والاعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا وان ميكائيل ملك الرأفة
والرحمة والتخفيف ونحو هذا قال قلت وما منزلتهما من ربهما قالوا أحدهما عن يمينه والآخر عن
يساره قال قلت فوالله الذى لا اله الا هو انهما والذى بينهما العدو لمن عاداهما وسلم لمن سالمهما ما ينبغى
لجبريل ان يسالم عدو ميكائيل ولا لميكائيل أن يسالم عدو جبريل قال ثم قمت فاتبعت النبى صلى الله عليه
وسلم فلحقته وهو خارج من حوخة لبنى فلان فقال يا ابن الخطاب الا أقرئك آيات نزلن فقرأ على قل
من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه حتى قرأ الآيات قال قلت بأبى
وأمى يا رسول الله والذى بعثك بالحق لقد جئت وأنا أريد ان أخبرك الخبر فاسمع اللطيف الخبير قد
سبقنى اليك بالخبر حدثنى يعقوب قال ثنا ابراهيم قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبى قال
قال عمر كنت رجلا أغشى اليهود فى يوم مدراسهم ثم ذكر نحو حديث ربعى حدثنا بشر بن معاذ
قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم
الى اليهود فلما أبصروه رحبوا به فقال لهم عمر أما والله ما جئت لحبكم ولا للرغبة فيكم ولكن جئت لاسمع
منكم فسالهم وسالوه فقالوا من صاحب صاحبكم فقال لهم جبريل فقالوا ذاك عدونا من أهل السماء
يطلع محمدا على سرنا واذا جاء جاء بالحرب والسنة ولكن صاحب صاحبنا ميكائيل وكان اذا جاء جاء
بالخصب وبالسلم فقال لهم عمر أفتعرفون جبريل وتنكرون محمدا ففارقهم عمر عند ذلك وتوجه نحو

التمام وما بقى منه غير مكذب وفريقا تقتلون أى ما تيسر لكم قتله بعد على التمام لانكم حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أنى أعصمه منكم
ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة قال صلى الله عليه وسلم عند وفاته ما زالت أكلة خيبر تعادنى فهذا أوان أن قطعت أبهرى والعداد اهتياج
وجع اللديغ بعد كل سنة والابهر عرق يخرج من القلب اذا انقطع مات صاحبه ويجوز أن يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فأريد استحضاره
فى النفوس وتصويره فى القلوب كقوله شعر (٢٢٦) * فاضرب بها بلا دهش فخرت * وفائدة تقديم المفعول به على الفعلين بعد رعاية
الفاصلة فى يقتلون بيان غاية
عنادهم وفرط عتوهم حيث جعلوا
الرسل فريقين أحدهما مخصص
بالتكذيب والآخر بالقتل كأن
وصف الرسالة عندهم هو الذى
اقتضى عندهم أحد هذين حتى
خص المنعوت به دون سائر الناس
بأحد الامرين وهذه نهاية الجهالة
حيث استقبلوا أشرف الاصناف
لأكرم الاوصاف بغاية الاستخفاف
غلف جمع أغلف وهو كل ما فى
غلاف ومنه الاغلف الذى لم يختن
أى قلوبنا مغشاة بأغطية فلا تتأثر
من دعوتك لمكان الحائل بينهما
وقيل غلف تخفيف غلف بضمتين
جمع غلاف أى قلوبنا أوعية العلم
والحكمة فنحن مستغنون بها عن
غيره لا حاجة بنا الى شرعك بل لعنهم
الله رد لقولهم وان تكون قلوبهم
مخلوقة كذلك لانها خلقت على
الفطرة والتمكن من قبول الحق
ولكنهم لعنوا أى طردوا عن رحمة
الله وأبعدوا عن الخيرات بسبب
كفرهم الذى أحدثوه بعد نصب
الادلة وازاحة العلة وفى هذا لطف
للمكلفين أن لا يتلقوا المعاصى
بايلاء نحو هذا العذر وابداء مثل
هذه الحجة ولكن يشمرون عن
ساق الاجتهاد فكل ميسر لما خلق
له فقليلا ما يؤمنون أى ايمانا قليلا
يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم
ببعض الكتاب أو بقليل مما كلفوا
به يؤمنون فانتصب بنزع الخافض
وما وصفه أى بشئ قليل من الاشياء المكلف بها ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم أى لا يؤمنون أصلا لا قليلا ولا كثيرا كما رسول
يقال قليلا ما تعقل أى لا تعقل ألبتة وذلك أن الايمان بالله انما يعبأ به اذا كان مؤمنا بجميع ما أنزل الله فاذا فرق بين أوامره فهو عن الايمان
بمعزل ولما جاءهم جوابه محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه ويجوز أن يكون جوابه هو جواب لما الثانية المكررة للتأكيد لطول الكلام
نحو قوله فلا تحسبنهم بمفازة بعد قوله لا تحسبن واتفقوا على أن المراد بالكتاب هو القرآن ووجه تصديقه لما معهم ليس هو الموافقة فى أصول

الشرائع لان جميع كتب الله كذلك بل المراد ما يختص بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من العلامات والنعوت والصفات والتحقيق أن ذكر الكتاب ههنا كناية عن الرسول لان الرسول يلزمها لكتاب عرفا ومجازا لان الكتاب مستلزم الرسول لامحالة يدل على ذلك قوله يستفتحون على الذين كفروا وذلك أن اليهود قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن يسئلون به الفتح والنصرة على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته وصفته فى التوراة وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ماقلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه والسين للمبالغة أى يسئلون أنفسهم الفتح عليهم كالسين فى استعجب واستسخر أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليه فلما جاءهم ماعرفوا من الحق وهو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن تكون مايعنى من نحو سبحان ماسخركن لنا أى فلما جاءهم النبى صلى الله عليه وسلم الذى كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كفروا به اما لانهم كانوا يظنون أن المبعوث يكون من بنى اسرائيل لكثرة مجىء الرسل منهم فيرغبون الناس فى دينه ويدعونهم اليه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم من العرب من ذرية اسمعيل عليه السلام عظم ذلك عليهم فاظهروا التكذيب بغيا وحسدا وعنادا ولددا واما لانهم ظنوا أنه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى العرب خاصة واما لان اعترافهم بنبوته كان يوجب عليهم زوال رياساتهم ومكاسبهم فابوا وأصروا على الانكار فكفرهم اذن كفر عناد فلعنة الله وهى الابعاد عن الخيرات الحقيقية الباقية على الكافرين أى عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر ليدل على أن اللعنة انما لحقتهم لكفرهم واللام للعهد أو للجنس ويدخلون فيه دخولا أوليا فان قيل أليس انه تعالى ذكر وقولوا للناس حسنا قلنا العام قد يخص وأيضا لعن من يستحق اللعن حسن وأيضا أولئك بالنسناس أشبه منهم بالناس أولئك كالانعام بل هم أضل بئس لانشاء الذم وفاعله قد يكون مظهرا نحو بئس الرجل زيد وقد يكون مضمرا يعود الى معهود ذهنى فيفسر حينئذ بنكرة منصوبة وبعدهما المخصوص بالذم فالنكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس أى بئس شيأ اشتروا به أنفسهم والمخصوص بالذم أن يكفروا واختلف فى اعراب المخصوص فقيل مبتدأ والجملة

سول الله صلى الله عليه وسلم ليحدثه حديثهم فوجده قد أنزل عليه هذه الآية قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن قتادة قال بلغنا ان عمر بن الخطاب أقبل على اليهود يوما فذكر نحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله من كان عدوا لجبريل قال قالت اليهود ان جبريل هو عدونا لانه ينزل بالشدة والحرب والسنة وان ميكائيل ينزل بالرخاء والعافية والخصب فجبريل عدونا فقال الله جل ثناؤه من كان عدوا لجبريل حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه قال كان لعمر بن الخطاب أرض باعلى المدينة فكان يأتيها وكان ممره على طريق مدراس اليهود وكان كلما دخل عليهم سمع منهم وانه دخل عليهم ذات يوم فقالوا ياعمر مافى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد أحب الينا منك انهم يمرون بنا فيؤذوننا وتمر بنا فلا تؤذينا وانا لنطمع فيك فقال لهم عمر أى يمين فيكم أعظم قالوا الرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطور سيناء فقال لهم عمر فانشدكم بالرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أتجدون محمدا صلى الله عليه وسلم عندكم فاسكتوا فقال تكلموا ماشأنكم فوالله ماسألتكم وانا شاك فى شئ من دينى فنظر بعضهم الى بعض فقام رجل منهم فقال أخبروا الرجل لتخبرنه أو لاخبرنه قالوا نعم انا نجده مكتوبا عندنا ولكن صاحبه من الملائكة الذى يأتيه بالوحى هو جبريل وجبريل عدونا وهو صاحب كل عذاب أو قتال أو خسف ولو انه كان وليه ميكائيل اذا لآمنا به فان ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غيث فقال لهم عمر فانشدكم بالرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أين مكان جبريل من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره قال عمر فاشهد كم ان الذى هو عدو للذى عن يمينه عدو للذى هو عن يساره وانه من كان عدوهما فانه عدو لله ثم رجع عمر ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه فقال عمر والذى بعثك بالحق لقد جئتك وما أريد الا أن أخبرك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج الرازى قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء قال ثنا زهير عن مجاهد عن الشعبى قال انطلق عمر الى يهود فقال انى أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجدون محمدا فى كتابكم قالوا نعم قال فما يمنعكم ان تتبعوه قالوا ان الله لم يبعث رسولا الا كان له كفل من الملائكة وان جبريل هو الذى يتكفل لمحمد وهو عدونا من الملائكة وميكائيل سلمنا فلو كان هو الذى يأتيه اتبعناه قال فانى أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى ما منزلتهما من رب العالمين قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن جانبه الآخر فقال وما كان لميكائيل ان يعادى سلم جبريل وما كان جبريل ليسالم عدو ميكائيل اذ مر نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا صاحبك يا ابن الخطاب فقام اليه فأتاه وقد أنزل عليه من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله الى قوله فان الله عدو للكافرين حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن ابن أبى ليلى فى قوله من كان عدوا لجبريل قال قالت اليهود للمسلمين لو ان ميكائيل كان الذى ينزل عليكم لتبعناكم فانه ينزل بالرحمة والغيث وان جبريل ينزل بالعذاب والنقمة وهو لنا عدو قال فنزلت هذه الآية من كان عدوا لجبريل حدثنى يعقوب قال ثنا

مثله خبره وقيل حسب مبتدأ محذوف أي هو ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا لان الكفر حاصل تعلق نفوسهم بابدانهم كما أن الثمن حاصل ملك المالك وقيل ان المكلف اذا كان يخاف على نفسه من عقاب الله تعالى فاتى باعمال يظن بها انها تخلصه من العقاب فكانه قد اشترى نفسه بتلك الاعمال وهؤلاء اليهود لما اعتقدوا فيما أتوا به انه يخلصهم من العقاب ويوصلهم الى الثواب فقد ظنوا أنهم قد اشتروا أنفسهم بها والمراد بما أنزل الله القرآن لانهم كانوا (٣٢٨) مؤمنين بغيره ثم بين الوجه الذي لاجله اختاروا هذا الكفر فقال بغيا أي حسدا وطلبا لما ليس لهم ولولا هذا البيان لجاز أن يكون الباعث لهم على ذلك الكفر هو الجهل لا البغي ولما كان الباعث على البغي قد يكون وجوها شتى بين أن الحامل لهم على البغي هو أن ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله وهذا هو اللائق بما حكينا من انهم ظنوا أن هذا الفضل العظيم يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على البغي والحسد وعلى هذا يكون الجار المحذوف هو لام الغرض أي لاجل ان ينزل ويحتمل أن يقال المحذوف على أي حسدوه على ان ينزل فباؤا بغضب على غضب لابد من اثبات سبب غضبين أحدهما تكذيب عيسى وما أنزل عليه والثاني تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه فصار ذلك سببا لسخط بعد سخط وهو قول الحسن والشعبي وعكرمة وأبي العالية وقتادة وقيل الاول لعبادتهم العجل والثاني لكتمانهم نعت محمد صلى الله عليه وسلم وجحدهم نبوته عن السدي وقيل ليس المراد اثبات الغضبين فقط بل المراد اثبات أنواع من الغضب مترادفة لاجل أمور متوالية صدرت عنهم كقولهم عزير ابن الله يد الله مغلولة ان الله فقير ونحن أغنياء عن عطاء وعبيد بن عمير وقيل المراد تأكيد الغضب وتكثيره لاجل أن هذا الكفر وان كان واحدا الا أنه عظيم وهو قول أبي مسلم ومعنى الغضب في حقه تعالى قد عرفت مرارا أنه عبارة عن لازمه وهو ارادة الانتقام وأما تزايده وتكاثره فيصح فيه ذلك كصحته في العذاب فلا يكون غضبه على من كفر بخصلة واحدة كمن كفر بخصال كثيرة وللكافرين عذاب مهين من وضع الظاهر مقام المضمر أي ولهم عذاب وفائدته ما ذكرنا في قوله فلعنة الله على الكافرين ووصف العذاب بالمهين والمهين هو المعذب لان الاهانة لما حصلت مع العذاب جاز أن يجعل ذلك من وصفه لانه سببه ولا يلزم من اقتران العذاب بالاهانة

عبدوا

هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء بنحو ذلك وأما تأويل الآية أعني قوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله فهو أنه يقول الله لنبيه قل يا محمد لمعاشر اليهود من بني اسرائيل الذين زعموا ان جبريل لهم عدو من أجل انه صاحب سطوات وعذاب وعقوبات لا صاحب وحي وتنزيل ورحمة فأبوا اتباعك وجحدوا نبوتك وأنكروا ما جئتهم به من آياتي وبينات حكمي من أجل ان جبريل وليك وصاحب وحيي اليك وزعموا أنه عدو لهم ومن يكن من الناس لجبريل عدوا ومنكرا أن يكون صاحب وحي الله الى أنبيائه وصاحب رحمته فاني له ولي وخليل ومقر بانه صاحب وحي الى أنبيائه ورسله وانه هو الذي ينزل وحي الله على قلبي من عند ربي باذن ربي له بذلك يربط به على قلبي ويشد فؤادي كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله قل من كان عدوا لجبريل قال وذلك ان اليهود قالت حين سألت محمدا صلى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة فأخبرهم بها على ما هي عندهم الا جبريل فان جبريل كان عند اليهود صاحب عذاب وسطوة ولم يكن عندهم صاحب وحي يعني تنزيل من الله على رسله ولا صاحب رحمة فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سألوه عنه ان جبريل صاحب وحي الله وصاحب نقمته وصاحب رحمته فقالوا ليس بصاحب وحي ولا رحمة هو لنا عدو فأنزل الله عز وجل اكذابا لهم قل يا محمد من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك يقول فان جبريل نزله يقول نزل القرآن بأمر الله يقول يشدد به فؤادك ويربط به على قلبك يعني بوحينا الذي نزل به جبريل عليك من عند الله وكذلك يفعل بالمرسلين والانبياء من قبلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله يقول أنزل الكتاب على قلبك باذن الله وحدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فانه نزله على قلبك يقول نزل الكتاب على قلبك جبريل قال أبو جعفر وانما قال جل ثناؤه فانه نزله على قلبك وهو يعني بذلك قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد أمر محمدا في أول الآية ان يخبر اليهود بذلك عن نفسه ولم يقل فانه نزله على قلبي ولو قيل على قلبي كان صوابا من القول لان من شأن العرب اذا أمرت رجلا ان يحكي ما قيل له عن نفسه ان يخرج فعل المأمور مرة مضافا الى كناية نفس المخبر عن نفسه اذ كان المخبر عن نفسه ومرة مضافا الى اسمه كهيئة كنايته اسم المخاطب لانه به مخاطب فيقول في نظير ذلك قل للقوم ان الخير عندي كثير فيخرج كناية اسم المخبر عن نفسه لانه المأمور ان يخبر بذلك عن نفسه وقل للقوم ان الخير عندك كثير فيخرج كناية اسمه كهيئة كناية اسم المخاطب لانه وان كان مأمورا بقيل ذلك فهو مخاطب مأمور بحكاية ما قيل له وكذلك لا تقل للقوم اني قائم ولا تقل لهم انك قائم والياء من اني اسم المأمور بقول ذلك على ما وصفنا ومن ذلك قول الله عز وجل قل للذين كفروا سيغلبون وتغلبون بالياء والتاء وأما جبريل فان للعرب فيه لغات فأما أهل الحجاز فانهم يقولون جبريل وميكاييل بغير همز بكسر الجيم والراء من جبريل وبالتخفيف وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وأما تميم وقيس وبعض نجد يقولون جبرئيل وميكائيل على مثل جبرعيل وميكاعيل بفتح الجيم والراء وبهمز وزيادة ياء بعد الهمزة وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل الكوفة كما قال جرير بن عطية

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد * وبجبرئيل وكذبوا ميكالا

وقد ذكر عن الحسن البصري وعبد الله بن كثير انهما كانا يقرآن جبريل بفتح الجيم وترك الهمز قال أبو جعفر وهي قراءة غير جائزة القراءة بها لان فعيل في كلام العرب غير موجود وقد اختار ذلك بعضهم وزعم انه اسم أعجمي كما يقال شمويل وأنشد في ذلك

بحيث لو وزنت لخم باجمعها * ما وازنت ريشة من ريش شمويلا

وأما بنو أسد فانها تقول جبرين بالنون وقد حكى عن بعض العرب انها تزيد في جبريل الفا فتقول جبرائيل وميكائيل وقد حكى عن يحيى بن يعمر انه كان يقرأ جبرئل بفتح الجيم والهمز وترك المد وتشديد اللام فاما جبر وميك فانهما هما الاسمان اللذان أحدهما بمعنى عبد والآخر بمعنى عبيد وأما ايل فهو الله تعالى ذكره كما حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح الحماني عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس جبريل وميكائيل كقولك عبد الله حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال جبريل عبد الله وميكائيل عبيد الله وكل اسم ايل فهو الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس ان اسرائيل وميكائيل وجبريل واسرافيل كقولك عبد الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث قال ايل الله بالعبرانية حدثنا الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا اسحق ابن منصور قال ثنا قيس عن عاصم عن عكرمة قال جبريل اسمه عبد الله وميكائيل اسمه عبيد الله ايل الله حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن محمد بن عمرو بن عطاء عن علي بن حسين قال اسم جبريل عبد الله واسم ميكائيل عبيد الله واسم اسرافيل عبد الرحمن وكل معبد بايل فهو عبد الله حدثنا المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن محمد المدني قال المثنى قال قبيصة أراه محمد بن اسحق عن محمد بن عمرو بن عطاء عن علي بن حسين قال ما تعدون جبريل في أسمائكم قال جبريل عبد الله وميكائيل عبيد الله وكل اسم فيه ايل فهو معبد لله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن عمرو بن عطاء عن علي بن حسين قال لي قال لي هل تدري ما اسم جبريل من أسمائكم قال لا قال عبد الله قال فهل تدري ما اسم ميكائيل من أسمائكم قال لا قال عبيد الله وقد سمى لي اسرائيل باسم نحو ذلك فنسيته الا انه قد قال لي أرأيت كل اسم يرجع الى ايل فهو معبد به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن عكرمة في قوله جبريل قال جبر عبد ايل الله وميكا قال عبد ايل الله قال أبو جعفر فهذا تأويل من قرأ جبرئيل بالفتح والهمز والمد وهو ان شاء الله معنى من قرأ بالكسر وترك الهمز وأما تأويل من قرأ ذلك بالهمز وترك المد وتشديد اللام فانه قصد بقوله ذلك كذلك الى اضافة جبر وميكا الى اسم الله الذي يسمى به بلسان العرب دون السرياني والعبراني وذلك ان الال بلسان العرب الله كما قال لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فقال جماعة من أهل العلم الال هو الله ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين سألهم عما كان مسيلمة يقول فاخبروه فقال لهم ويحكم أين ذهب بكم والله ان هذا الكلام

تكرار فقد يكون العذاب للاهانة كالواديء وقد يكون للتأديب ولهم آمنوا بما أنزل الله بكل ما أنزل الله من كتاب وقد يستدل به على عموم ما قالوا نؤمن بما أنزل علينا أي بالتوراة وكتب سائر الانبياء الذين أتوا بتقرير شرع موسى عليه السلام ويكفرون بما وراءه أي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الانجيل والقرآن وهو الحق الضمير يعود الى ما وراءه أو الى القرآن فقط ومصدقا حال مؤكدة لوجود شرطها وهو كونها مقررة لمضمون جملة اسمية أو كون مضمونها لازما لمضمون الجملة الاسمية فان التصديق لازم حقية القرآن فصار كانه هو والعامل في مصدقا محذوف وهو يبدو أو يثبت على الاصح وأما الواو في وهو الحق فيجوز أن تكون معترضة فلا محل للجملة ويجوز أن تكون للحال وحينئذ اما أن يكون العامل فيها هو العامل في قوله ويكفرون على أن كلا منهما حال بحيالها واما أن يكون العامل فيها هو يكفرون على انهما حالان متداخلتان وفي قوله وهو الحق مصدقا لما معهم دلالة على وجوب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لما أثبت نبوته بالمعجزات ثم انه أخبر ان هذا القرآن منزل من عند الله وأنه صلى الله عليه وسلم أمر المكلفين بالايمان كان الايمان به واجبا لا محالة وعند هذا يظهر أن الايمان ببعض الانبياء وبعض الكتب مع الكفر ببعضهم وبعضها محال وأيضا انه صلى الله عليه وسلم لم يتعلم علما ولم يقرأ ولم يخط ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بالقصص والاخبار مطابقة لما في التوراة فيعلم بالضرورة أنه صلى الله عليه وسلم استفادها من قبل الوحي وأيضا القرآن يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما أخبر الله تعالى عنه انه مصدق التوراة وجب اشتمال التوراة على الاخبار عن نبوته فمدعي الايمان بالتوراة يجب ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والا كان كاذبا ثم انه تعالى بين من وجه آخر كذب دعواهم وهو ان التوراة لا تسوغ قتل الانبياء وانهم سوغوا ذلك وفيه دليل على ان ايراد المناقضة على الخصم الالزامي جائز والكلام وان كان على وجه الخطاب الا ان المراد اسلافهم بدليل من قبل ويقتلون حكاية حال ماضية وأصل لم لما بادخال لام التعليل في ما الاستفهامية حذفت بالالف للتخفيف أي لاي غرض وبأي حجة كان أسلافكم يقتلون الانبياء وفي قوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم الايمان وجواب الشرط محذوف

يدل عليه ما تقدم وفيه تنبيه على ان اليهود المعاصرين خرجوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم من الايمان بالتوراة كما ان أسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبياء عن الايمان بها والله تعالى اعلم * التأويل هذا حال أكثر البطالين المتشبهين بالطالبين يصغون الى كلمات العلماء الراسخين فما استحلته نفوسهم قبلوه وما استغربته نبذوه وأنكروه فيكذبون فريقا منهم فرارا عن تحمل اعباء الطلب ويثيرون الفتنة على فريق بالحسد والانكار والفتنة أشد من القتل وقالوا قلوبنا غلف فيه اشارة الى ان الطالب اذا ابتلى فى اثناء الطلب بالدقعة أو الفترة لم يضره ما دام متمسكا بالارادة فيرجى رجوعه باذن الله وبمدد همة الاستاذ والشيخ فاما اذا ذلت قدمه عن جادة الارادة وأظهر الانكار والاعتراض فلن يرجى فلاحه ولما جاءهم كتاب فيه اشارة الى ان أهل كل زمان يتمنون ان يدركوا أحدا من العلماء والاولياء المحظوظين بالعلوم الكسبية واللدنية ويتوسلون بهم الى الله تعالى عند وقع حوائجهم فى صالح دعائهم ويظهرون محبتهم عند الخلق فلما وجدوا واحدا منهم ما عرفوا قدره وحسدوه وأظهروا عداوته وما أنصفوه فباؤا بغضب من رد ولاية الاولياء على غضب من الله لاوليائه كما جاء فى الحديث من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وانما انا أغضب لاوليائى كما يغضب الليث لجروه والله أعلم بالصواب (ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون) * القرآآت ولقد جاءكم مدغمة الدال فى الجيم كل القرآن أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وهشام جاءكم وبابه بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان قلوبهم العجل بكسر الهاء والميم أبو عمرو وسهل ويعقوب وقرأ حمزة وعلى وخلف بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم وكذلك كل ما لقى الميم حرف ساكن وقفا الهاء كسرة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب * الوقوف ظالمون والطور ط التقدير وقلنا واسمعوا

ما خرج من ال ولا بر يعنى من ال من الله وقد حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمى عن أبى مجلز فى قوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة قال ٧ قول جبريل وميكائيل واسرافيل كانه يقول حين يضيف جبر وميكا واسرا الى ايل يقول عبد الله لا يرقبون فى مؤمن كانه يقول لا يرقبون الله عز وجل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (مصدقا لما بين يديه) يعنى جل ثناؤه بقوله مصدقا لما بين يديه القرآن ونصب مصدقا على القطع من الهاء التى فى قوله نزله على قلبك فمعنى الكلام قال جبريل نزل القرآن على قلبك يا محمد مصدقا لما بين يدى القرآن يعنى بذلك مصدقا لما سلف من كتب الله امامه ونزلت على رسله الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه اياها موافقة معانيه معانيها فى الامر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وهى تصديقه كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس مصدقا لما بين يديه يقول لما قبله من الكتب التى أنزلها الله والآيات والرسل الذين بعثهم الله بالآيات نحو موسى ونوح وهود وشعيب وصالح وأشباههم من الرسل صلى الله عليهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهدى وبشرى للمؤمنين) يعنى بقوله جل ثناؤه وهدى ودليل وبرهان وانما سماه الله جل ثناؤه هدى لاهتداء المؤمنين به واهتداؤه به اتخاذه اياه هاديا يتبعه وقائدا ينقاد لامره ونهيه وحلاله وحرامه والهادى من كل شئ ما تقدم امامه ومن ذلك ما قيل لاوائل الخيل هواديها وهو ما تقدم امامها ولذلك قيل للعنق الهادى لتقدمها امام سائر الجسد وأما البشرى فانها البشارة أخبر الله عباده المؤمنين جل ثناؤه ان القرآن لهم بشرى منه لانه أعلمهم بما أعد لهم من الكرامة عنده فى جنانه وما هم اليه صائرون فى معادهم من ثوابه وذلك هو البشرى التى بشر الله بها المؤمنين فى كتابه لان البشارة فى كلام العرب هى اعلام الرجل بما لم يكن به عالما مما يسره من الخير قبل ان يسمعه من غيره أو يعلمه من قبل غيره وقد روى فى ذلك عن قتادة قول قريب المعنى مما قلناه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هدى وبشرى للمؤمنين لان المؤمن اذا سمع القرآن حفظه ووعاه وانتفع به واطمأن اليه وصدق بموعود الله الذى وعد فيه وكان على يقين من ذلك ۞ القول فى تأويل قوله جل ذكره (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) وهذا خبر من الله جل ثناؤه من كان عدوا لله من عاداه وعادى جميع ملائكته ورسله واعلام منه ان من عادى جبريل فقد عاداه وعادى ميكائيل وعادى جميع ملائكته ورسله لان الذين سماهم الله فى هذه الآية هم أولياء الله وأهل طاعته ومن عادى لله وليا فقد عادى الله وبارزه بالمحاربة ومن عادى الله فقد عادى جميع أهل طاعته وولايته لان العدو لله عدو لاوليائه والعدو لاولياء الله عدو له فكذلك قال لليهود الذين قالوا ان جبريل عدونا من الملائكة وميكائيل ولينا منهم من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين من أجل ان عدو جبريل عدو كل ولى لله فأخبرهم جل ثناؤه ان من كان عدوا لجبريل فهو لكل من ذكره من ملائكته ورسله وميكال عدو

٧ هكذا هذه العبارة بالاصل ولعل قوله قول الى قوله كانه يقول زائد فليتأمل اهـ مصححه

ط بكفرهم ط مؤمنين ه صادقين ه أيديهم ط بالظالمين ه على حياة ج على تقدير ومن الذين أشركوا قوم يود أحدهم وقف على أشركوا فتقديره أحرص الناس على حياة أو أحرص من الذين اشركوا و يود مستانف البيان وانما لم يدخل من فى الناس وأدخل فى الذين أشركوا لان اليهود من الناس وليسوا من المشركين كقولك الياقوت أفضل الحجارة وأفضل من الديباج سنة ط لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا ان يعمر ط يعملون ه * التفسير السبب فى تكرير قصة اتخاذ العجل ههنا (٣٣١) القدح بوجه آخر فى قولهم نؤمن بما أنزل علينا وبيان وصفهم بالعناد والتكذيب تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فان قوم موسى عليه السلام بعد ظهور المعجزات الواضحات على يده اتخذوا العجل الها ومع ذلك صبر وثبت على الدعاء الى ربه والتمسك بدينه وشرعه وكرر ذكر رفع الطور للتأكيد ولما نيط به من زيادة قولهم سمعنا وعصينا الدال على نهاية لجاجهم وذلك أنه قال لهم اسمعوا اسماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وظاهر الآية يدل على أنهم قالوا هذا القول أعنى سمعنا وعصينا وعليه الاكثرون وعن أبى مسلم أنه يجوز أن يكون المعنى سمعوه وتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول مثل قالتا أتينا طائعين وأشربوا فى قلوبهم العجل أى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله فى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون فى بطونهم نارا وفى هذه الاستعارة لطيفة وهى أنه كما ان الشرب مادة لحياة ما تخرجه الارض فكذا تلك المحبة كانت مادة للقبائح الصادرة عنهم وفى قوله اشربوا دلالة على أن فاعلا غيرهم فعل ذلك بهم كالسامرى وابليس وشياطين الجن والانس وذلك بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه على الله تعالى ولا ريب أن جميع الاسباب تنتهى الى الله تعالى وقد عرفت التحقيق فى أمثال ذلك مرارا بئسما يأمركم المخصوص بالذم محذوف أى بئس شيئا يأمركم به ايمانكم بالتوراة عبادة العجل وليس فى التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب أصلاتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم واعلم أن الايمان عرض ولا يصح منه الامر والنهى لكن الداعى الى الفعل والسبب فيه قد شبه بالامر كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قل ان كانت لكم الدار الآخرة الدار اسم كان وفى الخبر ثلاثة أوجه الاول

وكذلك عدو بعض رسل الله عدو لله ولكل ولى وقد حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد الله يعنى العلى عن رجل من قريش قال سال النبى صلى الله عليه وسلم اليهود فقال أسالكم بكتابكم الذى تقرؤن هل تجدون به قد بشر بى عيسى بن مريم ان يأتيكم رسول اسمه أحمد فقالوا اللهم وجدناك فى كتابنا ولكنا كرهناك لانك تستحل الاموال وتهريق الدماء فأنزل الله من كان عدوا لله وملائكته الآية حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن حصين بن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال ان يهوديا لقى عمر فقال له ان جبريل الذى يذكره صاحبك هو عدو لنا فقال له عمر من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين قال فنزل على لسان عمر وهذا الخبر يدل على ان الله أنزل هذه الآية توبيخا لليهود فى كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم واخبارا منه لهم ان من كان عدوا لمحمد فالله له عدو وان عدو محمد من الناس كلهم لمن الكافرين بالله الجاحدين آياته فان قال قائل أوليس جبريل وميكائيل من الملائكة قيل بلى فان قال فما معنى تكرير ذكرهما باسمائهما وقد مضى ذكرهما فى الآية فى جملة أسماء الملائكة قيل معنى افراد ذكرهما باسمائهما ان اليهود لما قالت جبريل عدونا وميكائيل ولينا وزعمت انها كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم من أجل ان جبريل صاحب محمد صلى الله عليه وسلم أعلمهم الله ان من كان لجبريل عدوا فان الله له عدو وانه من الكافرين فنص عليه باسمه وعلى ميكائيل باسمه لئلا يقول منهم قائل انما قال الله من كان عدوا لله وملائكته ورسله ولسنا لله ولا لملائكته ورسله أعداء لان الملائكة اسم عام محتمل خاصا وجبريل وميكائيل غير داخلين فيه وكذلك قوله ورسله فلست يا محمد داخلا فيهم فنص الله تعالى على أسماء من زعموا انهم أعداؤه باعيانهم ليقطع بذلك تلبيسهم على أهل الضعف منهم ويحسم تمويههم أمورهم على المنافقين وأما اظهار اسم الله فى قوله فان الله عدو للكافرين وتكريره فيه وقد ابتدأ أول الخبر بذكره فقال من كان عدوا لله وملائكته ورسله جل ثناؤه لئلا يلتبس لو ظهر ذلك بكناية فقيل فانه عدو للكافرين على سامعه من المعنى بالهاء التى فى فانه أالله أم جبريل أم ميكائيل ان لو جاء ذلك بكناية على ما وصفت فانه يلتبس معنى ذلك على من لم يوقف على المعنى بذلك لاحتمال الكلام ما وصفت وقد كان بعض أهل العربية يوجه ذلك الى نحو قول الشاعر

ليت الغراب غداة ينعب دائبا * كان الغراب مقطع الاوداج

وانه اظهار الاسم الذى حظه الكناية عنه والامر فى ذلك بخلاف ما قال وذلك ان الغراب الثانى لو كان مكنى عنه لما التبس على أحد يعقل كلام العرب انه كناية اسم الغراب الاول اذ كان لا شئ قبله يحتمل الكلام ان يوجه اليه غير كناية اسم الغراب الاول وان قيل قوله فان الله عدو للكافرين لو جاء اسم الله تعالى ذكره مكنيا عنه لم يعلم من المقصود اليه بكناية الاسم الا بتوقيف من حجة فلذلك اختلف أمراهما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) يعنى جل وعز بقوله ولقد أنزلنا اليك آيات أى أنزلنا اليك يا محمد علامات واضحات دالات على نبوتك وتلك الآيات هى ما حواه كتاب الله الذى أنزله الى محمد صلى الله عليه وسلم من خفايا علوم اليهود ومكنون سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بنى اسرائيل والنبأ عما تضمنته كتبهم التى لم يكن يعلمها الا

أحبارهم وعلماؤهم وما حرفه أوائلهم وأواخرهم و بدلوه من أحكامهم التى كانت فى التوراة فاطلع الله فى كتابه الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فكان فى ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف نفسه ولم يدعه الى اهلاكها الحسد والبغى اذ كان فى فطرة كل ذى فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات التى وصفت من غير تعلم تعلمه من بشر ولا أخذ شئ منه عن آدمى و بنحو الذى قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس ولقد أنزلنا اليك آيات بينات يقول فانت تتلوه عليهم وتخبرهم به غدوة وعشية و بين ذلك وانت عندهم أمى لم تقرأ كتابا وانت تخبرهم بما فى أيديهم على وجهه يقول الله ففى ذلك لهم عبرة و بيان وعليهم حجة لو كانوا يعلمون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال ابن صوريا القطيونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشئ نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها فانزل الله عز وجل ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثنى سعيد بن جبير او عكرمة عن ابن عباس قال قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما يكفر بها الا الفاسقون) يعنى بقوله جل ثناؤه وما يكفر بها الا الفاسقون وما يجحد بها وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على ان معنى الكفر الجحود بما أغنى عن اعادته هاهنا وكذلك بينا معنى الفسق وانه الخروج عن الشئ الى غيره فتأويل الآية ولقد أنزلنا اليك فيما أوحينا اليك من الكتاب علامات واضحات تبين لعلماء بنى اسرائيل وأحبارهم الجاحدين نبوتك والمكذبين رسالتك انك لى رسول اليهم ونبى مبعوث وما يجحد تلك الآيات الدالات على صدقك ونبوتك التى أنزلتها اليك فى كتابى فيكذب بها منهم الا الخارج منهم من دينه التارك منهم فرائضى عليه فى الكتاب الذى تدين بتصديقه فاما المتمسك منهم بدينه والمتبع منهم حكم كتابه فانه بالذى أنزلت اليك من آياتى مصدق وهم الذين كانوا آمنوا بالله وصدقوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من يهود بنى اسرائيل ۞ القول فى تأويل قوله جل ذكره (أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) اختلف أهل العربية فى حكم الواو التى فى قوله أوكلما عاهدوا عهدا فقال بعض نحوى البصريين هى واو تجعل مع حروف الاستفهام وهى مثل الفاء فى قوله أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم قال وهما زائدتان فى هذا الوجه وهى مثل الفاء التى فى قوله فالله لتصنعن كذا وكذا وكقولك للرجل أفلا تقوم وان شئت جعلت الفاء والواو هاهنا حرف عطف وقال بعض نحويى الكوفيين هى حرف عطف أدخل عليها حرف الاستفهام والصواب فى ذلك عندى من القول انها واو عطف أدخلت عليها ألف الاستفهام كانه قال جل ثناؤه واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ثم أدخل ألف الاستفهام على وكلما فقال قالوا سمعنا وعصينا أوكلما

عاهدوا

خالصة وعند ظرف لخالصة أو للاستقرار الذى فى لكم ويجوز أن يكون عند حالا من الدار والعامل فيها كان أو الاستقرار واما لكم فيكون على هذا متعلقا بكان لانها تعمل فى حروف الجر ويجوز أن يكون للتبيين فيكون موضعها بعد خالصة أى خالصة لكم فيتعلق بنفس خالصة ويجوز أن يكون صفة لخالصة قدمت عليها فيتعلق حينئذ بمحذوف الثانى أن يكون خبر كان لكم وعند الله ظرف خالصة والعامل كان أو الاستقرار الثالث أن يكون عند الله هو الخبر وخالصة حال والعامل فيها اما عند أو ما يتعلق به أو كان أو لكم وسوغ أن يكون عند خبر كانت لكم اذ كان فيه تخصيص وتبيين نحو ولم يكن له كفوا أحد وقوله من دون الناس نصب بخالصة لانك تقول خلص كذا من كذا والمراد بالدار الآخرة الجنة لانها هى المطلوبة من الدار الآخرة دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة وحمله على عندية المكان ممكن ههنا اذ لعلهم كانوا مشبهة ومعنى خالصة لكم أى سالمة خاصة بكم لاحق لاحد فيها سواكم ودون ههنا يفيد التجاوز والتخطى فى المكان كما تقول لمن وهبته ملكا هذا لك من دون الناس أى لا يتجاوزمنك الى غيرك والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون والجنس أولى لقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ولانه لم يوجد ههنا معهود فان قلت من أين ثبت انهم ادعوا ذلك قلنا لانه لا يجوز أن يقال فى معرض الاستدلال على الخصم ان كان كذا وكذا فافعل كذا الا والاول مذهبه ليصح الزامه بالثانى ولقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى نحن أبناء الله و أحباؤه ولما اعتقدوا فى أنفسهم انهم هم المحقون لان النسخ غير جائز عندهم ولزعمهم ان آباءهم الا نبياء يشفعون لهم ويوصلونهم الى ثواب الله فلهذه الاسباب عظموا شأن أنفسهم وكانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوه كالحجة فى أن النبى صلى الله عليه وسلم المنتظر المبشر به فى التوراة منهم لا من العرب وكانوا يصرفون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى فساد معتقدهم بالآية و بيان الالزام ان متاع الدنيا قليل فى جنب نعم الآخرة وذلك القليل كان أيضا منغصا عليهم بعد ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ومنازعته معهم بالجدال والقتال فالموت خير لهم لا محالة لانه يوصل الى الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن النغص ولا يفوت الا القليل النكد

والوسيلة وان كانت مكروهة نظرا الى ذاتها لكنه لا يتركها العاقل نظرا الى غاياتها كالفصد ونحوه والنهي عن تمني الموت في قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به وان كان ولابد فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وأمتني ما كانت الوفاة خيرا لي محمول على تمن سببه عدم الصبر على الضر ونكد العيش كما قال قائل شعر

ألا موت يباع فاشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن روح عبد * تصدق بالوفاة على أخيه

فان ذلك نوع من عدم الرضا بالقضا ويدل على الجزع وضيق العطن وينافي قضية التوكل والتسليم أو على تمن سببه الجزم بالوصول الى نعيم الآخرة فان ذلك خارج عن قانون الادب ونوع من الاخبار بالغيب لا يليق الا ببعض أولياء الله وروي ان عليا عليه السلام كان يطوف بين صفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت وعن حذيفة انه رضي الله عنه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال رضي الله عنه حبيب جاء على فاقة لا يفلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن ألاقي الاحبة محمدا صلى الله عليه وسلم وحزبه وكان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت ويحن اليه لجزمهم بلقاء الله ونيل ثوابه وذلك لمكان البشارة فأما أحدنا فلا يليق به تمني الموت الا على سبيل الرجاء وحسن الظن بالله أنا عند ظن عبدي بي وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ولا يبقى على الارض يهودي وليس لهم أن يقلبوا هذا السؤال على محمد صلى الله عليه وسلم فيقولوا انك تدعي ان الدار الآخرة خالصة لك ولامتك دون من ينازعك في الامر فارض بان نقاتلك ونقتل أمتك فانا نراك وأمتك في الامر الشديد والبلاء العظيم وبعد الموت تتخلصون الى دار الكرامة والنعيم لانه صلى الله عليه وسلم بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الاحكام ولا يتم المقصود الا بحياته وحياة أمته فله صلى الله عليه وسلم ان يقول لاجل هذا لا أرضى بالقتل مع أن المؤمن من هذه الامة قلما يخلو من النزاع والشوق الى لقاء ربه فالعبد المطيع يحب الرجوع الى سيده والعبد الآبق يكره العود الى مولاه ولهذا جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وبذلوا أرواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم

عاهدوا عهدا انبذه فريق منهم وقد بينا فيما مضى انه غير جائز ان يكون في كتاب الله حرف لا معنى له فأغنى ذلك عن اعادة البيان على فساد قول من زعم ان الواو والفاء من قوله أوكلما وأفكلما زائدتان لا معنى لهما وأما العهد فانه الميثاق الذي اعطته بنو اسرائيل ربهم ليعملن بما في التوراة مرة بعد أخرى ثم نقض بعضهم ذلك مرة بعد أخرى فوبخهم جل ذكره بما كان منهم من ذلك وعير به أبناءهم اذ سلكوا منهاجهم في بعض ما كان جل ذكره أخذ عليهم بالايمان به من أمر محمد صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق فكفروا وجحدوا ما في التوراة من نعته وصفته فقال تعالى ذكره أوكلما عاهد اليهود من بني اسرائيل ربهم عهدا وأوثقوه ميثاقا انبذه فريق منهم فتركه ونقضه كما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد الله اليهم فيه والله ما عهد الينا في محمد صلى الله عليه وسلم وما أخذ له علينا ميثاقا فأنزل الله جل ثناؤه أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله قال أبو جعفر وأما النبذ فان أصله في كلام العرب الطرح ولذلك قيل للملفوظ المنبوذ لانه مطروح مرمي به ومنه سمي النبيذ نبيذا لانه زبيب أو تمر يطرح في وعاء ثم يعالج بالماء وأصله مفعول صرف الى فعيل أعني ان النبيذ أصله منبوذ ثم صرف الى فعيل فقيل نبيذ كما قيل كف خضيب ولحية دهين يعني مخضوبة ومدهونة يقال منه نبذته أنبذه نبذا كما قال أبو الاسود الدؤلي

نظرت الى عنوانه فنبذته * كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

فعنى قوله جل ذكره نبذه فريق منهم طرحه فريق منهم فتركه ورفضه ونقضه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة نبذه فريق منهم يقول نقضه فريق منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قوله نبذه فريق منهم قال لم يكن في الارض عهد يعاهدون عليه الا نقضوه ويعاهدون اليوم وينقضون غدا قال وفي قراءة عبد الله نقضه فريق منهم والهاء التي في قوله نبذه من ذكر العهد فمعناه أوكلما عاهدوا عهدا نبذ ذلك العهد فريق منهم والفريق الجماعة لا واحد له من لفظه بمنزلة الجيش والرهط الذي لا واحد له من لفظه والهاء والميم اللتان في قوله فريق منهم من ذكر اليهود من بني اسرائيل وأما قوله بل أكثرهم لا يؤمنون فانه يعني جل ثناؤه بل أكثر هؤلاء الذين كلما عاهدوا الله عهدا وواثقوه موثقا نقضه فريق منهم لا يؤمنون ولذلك وجهان من التأويل أحدهما أن يكون الكلام دلالة على الزيادة والتكثير في عدد المكذبين الناقضين عهد الله على عدد الفريق فيكون الكلام حينئذ معناه أوكلما عاهدت اليهود من بني اسرائيل ربها عهدا نقض فريق منهم ذلك العهد لا ما ينقض ذلك فريق منهم ولكن الذي ينقض ذلك فيكفر بالله أكثرهم لا القليل منهم فهذا أحد وجهيه والوجه الآخر ان يكون معناه أوكلما عاهدت اليهود ربها عهدا انبذ ذلك العهد فريق منهم لا ما ينبذ ذلك العهد فريق منهم فينقضه على الايمان

من ينتظر عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة أو بعض أزواجه انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شئ أحب اليه مما أمامه فاحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شئ أكره اليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ثم انه تعالى بين انتفاء اللازم (٣٣٤) بقوله ولن يتمنوه أبدا وبرهن عليه بقوله بما قدمت أيديهم أى بما أسلفوا من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وكتحريف كتاب الله وسائر قبائح أفعالهم وذكر الايدى مجاز لان أكثر الاعمال يتم بمباشرة اليد وقوله ولن يتمنوه أبدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله ولن تفعلوا وذلك ان التمنى ليس من أعمال القلب حتى يطلع عليه أحد وانما هو قول الانسان بلسانه تمنيت أوليت لى كذا ومحال ان يقع التحدى بما فى الضمائر والقلوب فلو انهم تمنوا لنقل ذلك كما ينقل سائر الحوادث العظام ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولى المطاعن أكثر من النمر وأيضا لو كان التمنى بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت فى قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك وأيضا لولا أنه تعالى أوحى اليه انهم لم يتمنوا لم يكن فى العقل رخصة الاقدام على مثل هذا الالزام لانه فى غاية السهولة واذا ثبت انتفاء اللازم ثبت انتفاء الملزوم بالضرورة وهو أن لا تكون الدار الآخرة لهم خالصة وأما انها ليست لهم بالاشتراك أيضا فيستفاد من الآية التالية وفى قوله والله عليم بالظالمين اشارة أيضا الى ذلك لانه اذا كان محيطا بسرهم وعلانيتهم وقد قدموا من القبائح ما قدموا فيجازيهم بما يحقون له وفى وضع الظاهر وهو بالظالمين مقام المضمر وهو بهم اشارة أخرى الى سوء منقلبهم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون واللام اما للعهد واما للجنس فيشملهم أولا وغيرهم من الظلمة ثانيا فان قيل ما الفائدة فى قوله ههنا ولن يتمنوه وفى سورة الجمعة لا يتمنونه قلنا لان الدعوى هنا كون الدار الآخرة خالصة لهم وهناك كونهم أولياء الله من دون الناس والاول مطلوب بالذات والثانى وسيلة اليه فناسب أن ينفى الاول بما هو أبلغ فى افادة النفى وهو ألن أولان الدعوى الثانية أخص فانه لا يلزم

منهم بان ذلك غير جائز لهم ولكن أكثرهم لا يصدقون بالله ورسله ولا وعده ووعيده وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على معنى الايمان وانه التصديق ۞ القول فى تأويل قوله جل ذكره (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) يعنى جل ثناؤه بقوله ولما جاءهم أحبار اليهود وعلماءها من بنى اسرائيل رسول يعنى بالرسول محمدا صلى الله عليه وسلم كما حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فى ولما جاءهم رسول قال لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم وأما قوله مصدق لما معهم فانه يعنى به ان محمدا صلى الله عليه وسلم يصدق التوراة والتوراة تصدقه فى انه لله نبى مبعوث الى خلقه وأما تأويل قوله ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم فانه الذى هو مع اليهود وهو التوراة فأخبر الله جل ثناؤه ان اليهود لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بتصديق ما فى أيديهم من التوراة ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبى الله نبذ فريق يعنى بذلك انهم جحدوه ورفضوه بعد ان كانوا به مقرين حسدا منهم له وبغيا عليه وقوله من الذين أوتوا الكتاب وهم علماء اليهود الذين أعطاهم الله العلم بالتوراة وما فيها ويعنى بقوله كتاب الله التوراة وقوله نبذوه وراء ظهورهم جعلوه وراء ظهورهم وهذا مثل يقال لكل رافض أمرا كان منه على بال قد جعل فلان هذا الامر منه بظهر وجعله وراء ظهره يعنى به أعرض عنه وصد وانصرف كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم قال لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فذلك قول الله كأنهم لا يعلمون ومعنى قوله كأنهم لا يعلمون كأن هؤلاء الذين نبذوا كتاب الله من علماء اليهود فنقضوا عهد الله بتركهم العمل بما واثقوا الله على أنفسهم العمل بما فيه لا يعلمون ما فى التوراة من الامر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه وهذا من الله جل ثناؤه اخبار عنهم انهم جحدوا الحق على علم منهم به ومعرفة وانهم عاندوا أمر الله فخالفوا على علم منهم بوجوبه عليهم كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب يقول نقض فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون أى ان القوم كانوا يعلمون ولكنهم أفسدوا علمهم وجحدوا وكفروا وكتموا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) يعنى بقوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين الفريق من أحبار اليهود وعلمائها الذين وصفهم جل ثناؤه بانهم نبذوا كتابه الذى أنزله على موسى وراء ظهورهم تجاهلا منهم وكفرا بما هم به عالمون كأنهم لا يعلمون فأخبر عنهم انهم رفضوا كتابه الذى يعلمون انه منزل من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهده الذى أخذه عليهم فى العمل بما فيه وآثروا السحر الذى تلته الشياطين فى ملك سليمان بن داود فاتبعوه وذلك هو الخسار والضلال المبين واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان فقال بعضهم عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم خاصموا رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم بالتوراة فوجدوا التوراة للقرآن موافقة تأمر من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه بمثل الذي يأمر به القرآن فخاصموا بالكتب التي كان الناس اكتتبوها من الكهنة على عهد سليمان ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان على عهد سليمان قال كانت الشياطين تصعد الى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع فيستمعون من كلام الملائكة فيما يكون في الارض من موت أو غيث أو أمر فيأتون الكهنة فيخبرونهم فتحدث الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا حتى اذا أمنتهم الكهنة كذبوا لهم فادخلوا فيه غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب وفشا في بني اسرائيل ان الجن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس فجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق ثم دفنها تحت كرسيه ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع ان يدنو من الكرسي الا احترق وقال لا أسمع أحدا يذكر ان الشياطين تعلم الغيب الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان وخلف بعد ذلك خلف تمثل الشيطان في صورة انسان ثم أتى نفرا من بني اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان فقام ناحية فقالوا له فادن قال لا ولكنني ههنا في أيديكم فان لم تجدوه فاقتلوني فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان انما كان يضبط الانس والشياطين والطير بهذا السحر ثم طار فذهب وفشا في الناس ان سليمان كان ساحرا واتخذت بنو اسرائيل تلك الكتب فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بها فذلك حين يقول وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان قال ان اليهود سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم زمانا عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك الا أنزل الله عليه ما سألوا عنه فيخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا أعلم بما أنزل الينا منا وانهم سألوه عن السحر وخاصموه به فانزل الله جل وعز واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وان الشياطين عمدوا الى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وما شاء الله من ذلك فدفنوه تحت مجلس سليمان وكان سليمان لا يعلم الغيب فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخدعوا به الناس وقالوا هذا علم كان سليمان يكتمه ويحسد الناس عليه فاخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث فرجعوا من عنده وقد حزنوا وأدحض الله حجتهم وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان قال لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب الآية قال اتبعوا السحر وهم أهل الكتاب فقرأ حتى بلغ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وقال آخرون بل عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا على عهد سليمان ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج تلت الشياطين السحر على اليهود على ملك سليمان فاتبعته اليهود على ملكه يعني اتبعوا السحر على ملك سليمان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني

ان يكون كل من له الدار الآخرة وليا بمعنى انه يلي الشيء في الكمال والا كمال ونفي العام أبعد من نفي الخاص كما ان اثبات الخاص في قولك فلان ابن فلان موجود أبعد من اثبات العام في قولك الانسان موجود فحيث كانت الدعوى الاولى أبعد احتيج الى اداة هي في باب النفي أبلغ ثم انه سبحانه لما أخبر عنهم في الآية المتقدمة انهم لا يتمنون الموت أخبر بعد ذلك انهم في غاية الحرص على الحياة لان ههنا قسما ثالثا وهو ان لا يتمنى الحياة ولا الموت فقال ولتجدنهم أحرص الناس مؤكدا باللام والنون والقسم المقدر وهو من وجد بمعنى علم وقوله على حياة بالتنكير لانه أراد نوعا من الحياة مخصوصا وهي الحياة المتطاولة أو حياة وأي حياة وفي جعلهم أحرص من الذين أشركوا توبيخ عظيم لان المشركين لا يؤمنون بمعاد وعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فهي جنتهم فلا يستبعد حرصهم عليها فاذا ازداد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان خليقا بالتوبيخ وسبب زيادة حرصهم هو علمهم بانهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون غافلون عن ذلك وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وألف مهرجان عن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزارسال ويحسن ان يقال ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناس يود على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم أي وما منا ملك لقوة الدلالة عليه بذكر ما اشتمل عليه قبله فكانه مذكور وعلى هذا يلزم توبيخ اليهود من جهة أخرى وهي انضمامهم في زمرة المشركين وكونهم بعضا منهم وذلك كقولهم عزير ابن الله وقال أبو مسلم في الآية تقديم وتأخير أي ولتجدنهم طائفة من الذين أشركوا وأحرص الناس على حياة ثم فسر بقوله يود أحدهم أي كل واحد يفرض لو يعمر ولو في معنى التمني ولو يعمر حكاية لودادتهم وكان يجوز لو أعمر على الحكاية الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود أحدهم مثل حلف بالله ليفعلن وتخصيص الالف بالذكر بناء على العرف ولانه أول عقد يستحيل وقوعه في أعمار بني آدم أو يندر والضمير في قوله وما هو يعود الى أحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه أي وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره ويجوز أن يكون الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب أن يعمر ويجوز أن يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والتنحية وانه بصير بما يعملون فيجازيهم

لاهــل البغي والعنادوزجرالعصاة عن الفساد والبصر قد يراد به العلم فلان بصـير بهذا الامر أي عارف به وقد يراد به انه على صفة لو وجدت المبصرات لابصرها وكلا الوصفين يصح عليه سبحانه مالم يثبت له جارحة فان قلنا ان من الاعمال مالا يصح ان يرى بعين حمل البصر فيه على العلم والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر (٣٣٦)

بها الا الفاسقون أوكلما عاهـدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لايؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهـم كأنهم لايعلمون) القراآت جبريل مفتوحة الجيم مكسورة الراء غير مهموز ابن كثير وقرأ حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص ويحيي مفتوحة الراء والجيم مهموزة مشبعا وقرأ يحيي مختلسا الباقون مكسورة الراء والجيم غير مهموز ميكال أبو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وقرأ أبو جعفر ونافع مختلسا مهموزا الباقون ميكائيل مهموزا مشبعا * الوقوف للمؤمنين ه للكافرين ه بينات ج لان هذه الواو للابتداء أو الحال والحال أوجه لاتحاد القصة الفاسقون ه فريق منهم ط لان بل للاعراض عن الاول لايؤمنون ه أوتوا الكتاب ط قد قيل يوقف لبيان ان كتاب الله مفعول نبذ لابدل مما قبله لايعلمون ه قد يجوز الآية والوصل للعطف على نبذ لاتمام سوء اختيارهم في النبذ والاتباع * التفسير هذا نوع آخر من قبائح أفعال اليهود والسبب في نزوله أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه عبد الله بن صوريا من أحبار فدك فقال يا محمد كيف نومك فقد أخبرنا عن نوم النبي صلى الله عليه وسلم الذي يجيء في آخر الزمان فقال صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد من الرجل يكون أو من المرأة فقال أما العظام والعصب والغضروف فمن الرجل وأما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة فقال صدقت قال فما بال الولد يشبه أعمامه دون أخواله أو يشبه أخواله دون أعمامه فقال أيهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت قال أخبرنا أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفي التوراة أن النبي الامي يخبر عنه فقال صلى الله عليه وسلم تسمع

ابن اسحق قال عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليهما السلام فكتبوا أصناف السحر من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا حتى اذا صنعوا أصناف السحر جعلوه في كتاب ثم ختموا عليه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا في عنوانه هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم ثم دفنوه تحت كرسيه فاستخرجته بعد ذلك بقايا بني اسرائيل حين أحدثوا ما أحدثوا فلما عثروا عليه قالوا ما كان سليمان بن داود الا بهذا فافشوا السحر في الناس وتعلموه وعلموه فليس في أحد أكثر منه في يهود فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود وعده فيمن عده من المرسلين قال من كان بالمدينة من يهود ألا تعجبون لمحمد صلى الله عليه وسلم يزعم ان سليمان بن داود كان نبيا والله ما كان الا ساحرا فانزل الله في ذلك من قولهم على محمد صلى الله عليه وسلم واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا وقال كان حين ذهب ملك سليمان ارتد فئام من الجن والانس واتبعوا الشهوات فلما رجع الله الى سليمان ملكه قام الناس على الدين كما كانوا وان سليمان ظهر على كتبهم فدفنها تحت كرسيه وتوفي سليمان حدثان ذلك فظهرت الجن والانس على الكتب بعد وفاة سليمان وقالوا هذا كتاب من الله نزل على سليمان أخفاه منا فاخذوا به فجعلوه دينا فانزل الله ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين وهي المعازف واللعب وكل شئ يصد عن ذكر الله والصواب من القول في تأويل قوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ان ذلك توبيخ من الله لاحبار اليهود الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجحدوا نبوته وهم يعلمون انه لله رسول مرسل وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله وهجرهم العمل به وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون انه كتاب الله واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم ما تلته الشياطين في عهد سليمان وقد بينا وجه جواز اضافة أفعال أسلافهم اليهم فيما مضى فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وانما اخترنا هذا التأويل لان المتبعة ما تلته الشياطين في عهد سليمان وبعده الى أن بعث الله نبيه بالحق وأمر السحر لم يزل في اليهود ولا دلالة في الآية ان الله تعالى أراد بقوله واتبعوا بعضا منهم دون بعض اذ كان جائزا فصيحا في كلام العرب اضافة ما وصفنا من اتباع أسلاف المخبر عنهم بقوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين الى أخلافهم بعدهم ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر منقول ولا حجة تدل عليه فكان الواجب من القول في ذلك أن يقال كل متبع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من اليهود داخل في معنى الآية على النحو الذي قلنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (ما تتلوا الشياطين) يعني جل ثناؤه بقوله ما تتلوا الشياطين الذي تتلوا فتأويل الكلام اذا واتبعوا الذي تتلوا الشياطين واختلف في تأويل قوله تتلوا فقال بعضهم يعني بقوله تتلوا تحدث وتروي وتتكلم به وتخبر نحو تلاوة الرجل للقرآن وهي قراءته ووجه قائلو هذا القول تأويلهم ذلك الى أن الشياطين هي التي علمت الناس السحر وروته لهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن عمر عن مجاهد في قول الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان قال كانت الشياطين

أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب على نفسه وهو لحمان الابل وألبانها فقالوا اللهم نعم فقال له بقيت خصلة ان قلتها آمنت بك أى ملك يأتيك بما تقول عن الله قال جبريل قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل يأتى باليسر والرخاء فان كان هو الذى يأتيك آمنا بك فقال عمر ما مبدأ هذه العداوة فقال ابن صوريا ان انه أنزل على نبينا أن بيت المقدس يخرب فى زمان رجل يقال له بختنصر ووصفه لنا فطلبناه فلما وجدناه بعثنا لقتله رجالا فدفع عنه جبريل وقال ان سلطكم الله على قتله فهذا ليس هو ذاك وان لم يكن اياه فعلى أى حق تقتلونه ثم انه كبر وقوى وملك وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا وأما ميكائيل فانه عدو لجبريل فقال عمر فانى أشهد أن من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل وهما عدوان لمن عاداهما فانكر ذلك على عمر فانزل الله تعالى هاتين الآيتين وقيل كان لعمر أرض بالمدينة أعلاها وكان ممره على مدراس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وانا لنطمع فيك فقال والله لا أجيئكم لحبكم ولا أسألكم لانى شاك فى دينى وانما أدخل عليكم لازداد بصيرة فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره فى كتابكم ثم سألوه فقالوا من صاحب صاحبكم فقال عمر جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجىء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا أقرب منزلة جبريل وهو عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر ان كان كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر

تسمع الوحى فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها فارسل سليمان الى ما كتبوا من ذلك فجمعه فلما توفى سليمان وجدته الشياطين فعلمته الناس وهو السحر حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان من الكهانة والسحر وذكر لنا والله أعلم ان الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم ثم أفشوه فى الناس وعلموهم اياه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء قوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين قال نراه ما تحدث حدثنى سالم بن جنادة السوائى قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انطلقت الشياطين فى الايام التى ابتلى فيها سليمان فكتبت فيها كتبا فيها سحر وكفر ثم دفنوها تحت كرسى سليمان ثم أخرجوها فقرؤوها على الناس وقال آخرون معنى قوله ما تتلوا ما تتبعه وترويه وتعمل به ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن عمرو العبقرى قال حدثنى أبى عن اسباط عن السدى عن أبى مالك عن ابن عباس تتلو قال تتبع حدثنى نصر ابن عبد الرحمن الاودى قال ثنا يحيى بن ابراهيم عن سفيان الثورى عن منصور عن أبى رزين مثله * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك ان يقال ان الله عز وجل أخبر عن الذين أخبر عنهم انهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين على عهد سليمان باتباعهم ما تلته الشياطين ولقول القائل هو يتلو كذا فى كلام العرب معنيان أحدهما الاتباع كما يقال تلوت فلانا اذا مشيت خلفه وتبعت أثره كما قال جل ثناؤه هنالك تتلو كل نفس ما أسلفت يعنى بذلك تتبع والآخر القراءة والدراسة كما يقول فلان يتلو القرآن بمعنى يقرؤه ويدرسه كما قال حسان بن ثابت

نبى يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله فى كل مشهد

ولم يخبرنا الله جل ثناؤه بأى معنى التلاوة كانت تلاوة الشياطين الذين تلوا ما تلوه من السحر على عهد سليمان بخبر يقطع العذر وقد يجوز أن تكون الشياطين تلت ذلك دراسة ورواية وعملا فتكون كانت متبعته بالعمل ودارسته بالرواية فاتبعت اليهود منهاجها فى ذلك وعملت به وروته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (على ملك سليمان) يعنى بقوله جل ثناؤه على ملك سليمان فى ملك سليمان وذلك ان العرب تضع فى موضع على وعلى فى موضع فى من ذلك قول الله جل ثناؤه ولاصلبنكم فى جذوع النخل يعنى به على جذوع النخل وكما قال فعلت كذا فى عهد كذا وعلى عهد كذا بمعنى واحد وبما قلنا من ذلك كان ابن جريج وابن اسحق يقولان فى تأويله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج على ملك سليمان أى يقول فى ملك سليمان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق فى قوله على ملك سليمان أى فى ملك سليمان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) ان قال لنا قائل وما هذا الكلام من قوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ولا خبر مضى قبل عن أحد انه أضاف الكفر الى سليمان بل انما ذكر اتباع من اتبع من اليهود ما تلته الشياطين فما وجه نفى الكفر عن سليمان بعقب الخبر عن اتباع من اتبعت الشياطين فى العمل بالسحر وروايته من اليهود قيل وجه ذلك ان الذين أضاف الله جل ثناؤه اليهم اتباع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من السحر والكفر

 فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال لقد رأيتنى فى دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وعن مقاتل زعمت اليهود ان جبريل عدونا أمر بأن يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا والاقرب فى سبب عداوتهم انه كان ينزل بالقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كما يشعر بذلك قوله فانه نزله أى من عاداه أحد فالسبب فى عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتبهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتبهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان

فقد أذيته وأسات اليه أوان عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لاحبوه وشكروا له صنعه فى النزول بما ينفعهم و يصحح المنزل عليهم و يمكن أن يتوجه الجزاء الى قوله باذن الله الى آخره أى ان عاداه أحد فلا وجه لعداوته لانه لم ينزل بالقرآن من تلقاء نفسه و باختياره وانما جاء به باذن الله وأمره الذى لا محيص عنه ولا سبيل الى مخالفته وجاء به مصدقا هاديا مبشرا فهو من حيث انه مامور وجب أن يكون معذورا ومن حيث انه أتى بالهداية والبشارة يلزم أن يكون مشكورا فعداوة من هذا سبيله عداوة الله ولو أنه تعالى أمر ميكائيل بذلك لانقاد لامره أيضا لا محالة ولتوجه الاشكال عليه فما الوجه فى تخصيص جبريل بالعداوة وجبريل ممتنع من الصرف للعلمية والعجمة بشرطها وعن ابن عباس وغيره أن معناه عبد الله والضمير فى نزله للقرآن وان لم يجر له ذكر لانه كالمعلوم مثل قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة وهذا النوع من الاضمار فيه فخامة لشأن صاحبه حيث جعله لفرط شهرته كانه يدل على نفسه وأكثر الامة على أن القرآن انما نزل على محمد لا على قلبه لكن خص القلب بالذكر لان السبب فى تمكنه صلى الله عليه وسلم من الاداء ثباته فى قلبه فمعنى على قلبك حفظه اياك وفهمكه وقيل أى جعل قلبك متصفا باخلاق القرآن ومتادبا بآدابه كما فى حديث عائشة كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن وكان حق الكلام أن يقال على قلبى الا أنه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولى من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك ومعنى مصدقا لما بين يديه موافقا لما قبله من كتب الانبياء فيما يرجع الى المبادى والغايات دون الاوساط التى يتطرق اليها الاختلاف بتبدل الازمان والاوقات ومعنى قوله وهدى وبشرى ان القرآن يشتمل على أمرين أحدهما بيان ماوقع التكليف به من أعمال القلوب وأفعال الجوارح فهو من

يعمل

هذا الوجه هدى وثانيهما بيان أن الآتى بتلك الاعمال كيف يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشرى والاول مقدم على الثانى فى الوجود فقدم فى الذكر أيضا ولا ريب أن البشرى تختص بالمؤمنين وأما الهدى فلانهم هم المنتفعون به كما مر فى هدى للمتقين ولما بين فى الآية المتقدمة ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب أن يكون عدو الله تعالى بين فى الآية التى تليها ان من

من اليهود ونسبوا ما اضافه الله تعالى ذكره الى الشياطين من ذلك الى سليمان بن داود وزعموا ان ذلك كان من علمه وروايته وانه انما كان يستعبد من يستعبد من الانس والجن والشياطين وسائر خلق الله بالسحر فحسنوا بذلك من ركوبهم ما حرم الله عليهم من السحر لانفسهم عند من كان جاهلا بامر الله ونهيه وعند من كان لا علم له بما أنزل الله فى ذلك من التوراة وتبرأ باضافة ذلك الى سليمان من سليمان وهو نبى الله صلى الله عليه وسلم منهم بشر وانكروا ان يكون كان لله رسولا وقالوا بل كان ساحرا فبرأ الله سليمان بن داود من السحر والكفر عند من كان منهم ينسبه الى السحر والكفر لاسباب ادعوها عليه قد ذكرنا بعضها وسنذكر باقى ما حضرنا ذكره منها وأكذب الآخرين الذين كانوا يعملون بالسحر متزينين عند أهل الجهل فى عملهم ذلك بان سليمان كان يعمله فنفى الله عن سليمان عليه السلام ان يكون كان ساحرا أو كافرا وأعلمهم انهم انما اتبعوا فى عملهم بالسحر ما تلته الشياطين فى عهد سليمان دون ما كان سليمان يامرهم من طاعة الله واتباع ما أمرهم به فى كتابه الذى أنزله على موسى صلوات الله عليه ذكر الدلائل على صحة ما قلنا من الاخبار والآثار حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير قال كان سليمان يتتبع ما فى أيدى الشياطين من السحر فياخذه فيدفنه تحت كرسيه فى بيت خزانته فلم تقدر الشياطين ان يصلوا اليه فدنت الى الانس فقالوا لهم أتدرون العلم الذى كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك قالوا نعم قالوا فانه فى بيت خزانته وتحت كرسيه فاستثارته الانس فاستخرجوه فعملوا به فقال أهل الحجاز كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر فانزل الله جل ثناؤه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم براءة سليمان فقال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الآية فانزل الله براءة سليمان على لسان نبيه عليهما السلام حدثنى أبو السائب السوائى قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان الذى أصاب سليمان بن داود فى سبب اناس من أهل امرأة يقال لها جرادة وكانت من أكرم نسائه عليه قال فكان هوى سليمان ان يكون الحق لاهل الجرادة فيقضى لهم فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدا قال وكان سليمان بن داود اذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتى شيأ من نسائه أعطى الجرادة خاتمه فلما أراد الله أن يبتلى سليمان بالذى ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه فجاء الشيطان فى صورة سليمان فقال لها هاتى خاتمى فاخذه فلبسه فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والانس قال فجاءها سليمان فقال هاتى خاتمى فقالت كذبت لست بسليمان قال فعرف سليمان انه بلاء ابتلى به قال فانطلقت الشياطين فكتبت فى تلك الايام كتبا فيها سحر وكفر ثم دفنوها تحت كرسى سليمان ثم أخرجوها فقرؤها على الناس وقالوا انما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب قال فبرئ الناس من سليمان وأكفروه حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فانزل جل ثناؤه واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان يعنى الذى كتب الشياطين من السحر والكفر وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا فانزل الله جل وعز عذره حدثنى محمد بن عبد الاعلى الصنعانى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران بن حدير عن أبى مجلز قال أخذ سليمان من كل دابة عهدا فاذا أصيب رجل فسئل بذلك العهد خلى عنه فرأوا الناس السجع والسحر وقالوا هذا كان

كان عدوالله والمخصوصين بكرامته فان الله يعاديهم و ينتقم منهم والعداوة بالحقيقة لا تصح الا فينا لان العدو هو الذى يريد انزال المضار به وهذا التصور يستحيل فى حقه تعالى من العاقل المتفطن لا العاقل المتغابى فمعنى قوله من كان عدوالله أى لأولياء الله كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله ان الذين يؤذون الله و رسوله أو يراد بذلك كراهتهم القيام بطاعته و بعدهم عن التمسك بدينه لان العدو لا يكاد يوافق عدوه و ينقاد لامره قال أهل التحقيق عداوتهم لله وملائكته نتيجة عداوة الله لهم ونظره اليهم فى الازل بالقهر هؤلاء فى النار ولا أبالى كما أن محبة المؤمن لله نتيجة محبة الله اياهم يحبهم و يحبونه وذلك ان صفات الله تعالى قديمة وصفات الخلق محدثة والاولى علة الثانية وأفرد الملكان بالذكر دلالة على فضلهما كانهما من جنس آخر فان التغاير فى الوصف قد ينزل منزلة التغاير فى الذات ولان الآية نزلت فيما يتعلق بهما فحسن ان ينص على اسمهما وتقديم جبريل فى الذكر يدل على أنه أفضل من ميكائيل وأيضا ان جبريل يتنزل بالوحى والعلم وذلك سبب بقاء الارواح وميكائيل يتنزل بالخصب والرزق وهو سبب بقاء الابدان والواو فى جبريل وميكائيل بمعنى أو لان عداوة أحد هؤلاء توجب عداوة الله كما أن عداوة كلهم توجب ذلك ويحتمل أن تكون الواو على الاصل ويعرف ما ذكرنا من القرينة وقوله للكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة على ان عداوة هؤلاء كفر الآيات البينات هى آيات القرآن ولا يبعد ان يشمل سائر معجزاته وان كان لفظ الانزال ما تباعنه بعض النبو ومعنى كون الآية بينة أن العلوم تنقسم الى ما يكون طريق تحصيله والدليل الدال عليه أكثر مقدمات فيكون الوصول اليه أصعب والى ما يكون أقل مقدمات فيكون الوصول اليه أقرب وهذا هو الآية البينة والكفر بها اما جحودها مع العلم بصحتها واما جحودها مع الجهل وترك النظر فيها والاعراض عن دلائلها وليس فى الظاهر تخصيص فيدخل الكل فيه والفسق هو خروج الانسان عما حدله الى الفساد و يقرب منه الفجور لانه مأخوذ من فجور السد الذى يمنع الماء من أن يصير الى الموضع الذى يفسد عن الحسن اذا استعمل الفسق فى نوع من المعاصى وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره ولهذا لا يوصف صاحب الصغيرة بالفسق ومن تجاوز عن أمر الله تعالى كمن فتح من النهر بقبا صغيرا لا يقال انه فجر النهر وفى قوله الا الفاسقون

يعمل به سليمان فقال الله جل ثناؤه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر حدثنا أبو حميد قال ثنا جرير عن حصين بن عبد الرحمن عن عمران بن الحارث قال بينا نحن عند ابن عباس اذ جاءه رجل فقال له ابن عباس من أين جئت قال من العراق قال من أيه قال من الكوفة قال فما الخبر قال تركتهم يتحدثون ان عليا خارج اليهم ففزع فقال ما تقول لا أبا لك لو شعرنا ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه أما انى أحدثكم من ذلك انه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء فيأتى أحدهم بكلمة حق قد سمعها فاذا حدث منه صدق كذب معها سبعين كذبة قال فيسرّبها قلوب الناس فاطلع الله عليها سليمان فدفنها تحت كرسيه فلما توفى سليمان بن داود قام شيطان بالطريق فقال الا أدلكم على كنزه المنيع الذى لا كنز له مثله تحت الكرسى فأخرجوه فقالوا هذا سحر فتناسخها الامم حتى بقاياهم ما يتحدث به أهل العراق فأنزل الله عذر سليمان واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا والله أعلم ان الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم ثم أفشوه فى الناس وأعلموهم اياه فلما سمع بذلك سليمان نبى الله صلى الله عليه وسلم فتتبع تلك الكتب فأتى بها فدفنها تحت كرسيه كراهية ان يتعلمها الناس فلما قبض الله نبيه سليمان عمدت الشياطين فاستخرجوها من مكانها التى كانت فيه فعلموها الناس فأخبروهم ان هذا علم كان يكتمه سليمان و يستأثر به فعذر الله نبيه سليمان و برأه من ذلك فقال جل ثناؤه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال كتبت الشياطين كتبا فيها سحر وشرك ثم دفنت تلك الكتب تحت كرسى سليمان فلما مات سليمان استخرج الناس تلك الكتب فقالوا هذا علم كتمناه سليمان فقال الله جل وعز واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر حدثنا القاسم قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان قال كانت الشياطين تستمع الوحى من السماء فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مثلها وان سليمان أخذ ما كتبوا من ذلك فدفنه تحت كرسيه فلما توفى وجدته الشياطين فعلمته الناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن أبى بكر عن شهر بن حوشب قال لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر فى غيبة سليمان فكتبت من أراد ان يأتى كذا وكذا فليستقبل الشمس وليقل كذا وكذا ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا فكتبته وجعلت عنوانه هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم ثم دفنته تحت كرسيه فلما مات سليمان قام ابليس خطيبا فقال يا أيها الناس ان سليمان لم يكن نبيا وانما كان ساحرا فالتمسوا سحره فى متاعه و بيوته ثم دلهم على المكان الذى دفن فيه فقالوا والله لقد كان سليمان ساحرا هذا سحره بهذا تعبدنا و بهذا قهرنا فقال المؤمنون بل كان نبيا مؤمنا فلما بعث الله النبى محمدا صلى الله عليه وسلم جعل يذكر الانبياء حتى ذكر داود وسليمان فقالت اليهود انظروا الى محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الانبياء وانما كان ساحرا يركب الريح فأنزل الله عذر سليمان واتبعوا ما تتلوا

الشياطين على ملك سليمان الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى لما ذكر سليمان بن داود فى المرسلين قال بعض أحبار اليهود ألا تعجبون من محمد يزعم ان ابن داود كان نبيا والله ما كان الا ساحرا فأنزل الله فى ذلك من قولهم وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا أى باتباعهم السحر وعملهم به وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت * قال أبو جعفر فاذا كان الامر فى ذلك على ما وصفنا وتأويل قوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ما ذكرنا فتبين ان فى الكلام متروكا ترك ذكره اكتفاء بما ذكر منه وان معنى الكلام واتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر على ملك سليمان فتضيفه الى سليمان وما كفر سليمان فيعمل بالسحر ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وقد كان قتادة يتأول قوله وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا على ما قلنا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يقول ما كان عن مشورته ولا عن رضى منه ولكنه شئ فعلته الشياطين دونه وقد دللنا فيما مضى على اختلاف المختلفين فى معنى تتلوا وتوجيه من وجه ذلك الى أن تتلوا بمعنى تلت اذ كان الذى قبله خبرا ماضيا وهو قوله واتبعوا وتوجيه الذين وجهوا ذلك الى خلاف ذلك وبينا فيه وفى نظيره الصواب من القول فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وأما معنى قوله ما تتلوا فانه بمعنى الذى تتلوا وهو السحر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان أى السحر قال أبو جعفر ولعل قائلا ان يقول أوما كان السحر الا أيام سليمان قيل له بلى قد كان ذلك قبل ذلك وقد أخبر الله عن سحرة فرعون ما أخبر عنهم وقد كانوا قبل سليمان وأخبر عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح انه ساحر قال فكيف أخبر عن اليهود أنهم اتبعوا ما تلته الشياطين على عهد سليمان قيل لانهم أضافوا ذلك الى سليمان على ما قد قدمنا البيان عنه فأراد الله تعالى ذكره تبرئة سليمان مما نحلوه وأضافوا اليه مما كانوا وجدوه اما فى خزائنه واما تحت كرسيه على ما جاءت به الآثار التى قد ذكرناها من ذلك فحصر الخبر عما كانت اليهود اتبعته مما تلته الشياطين أيام سليمان دون غيره لذلك من السبب وان كانت الشياطين قد كانت تالية بالسحر والكفر قبل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) اختلف أهل العلم فى تأويل ما التى فى قوله وما أنزل على الملكين فقال بعضهم معناه الجحد وهى بمعنى لم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فانه يقول لم ينزل الله السحر حدثنا ابن حميد قال حدثنى حكام عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس وما أنزل على الملكين قال ما أنزل الله عليهما السحر فتأويل الآية على هذا المعنى الذى ذكرناه عن ابن عباس والربيع فى توجيههما معنى قوله وما أنزل على الملكين أى ولم ننزل على الملكين واتبعوا الذى تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون حينئذ قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر

وجهان أحدهما ان كل كافر فاسق ولا ينعكس وكان ذكر الفاسق أولى ليأتى على الكافر وغيره الثانى أن المراد وما يكفر بها الا الكافر المتجاوز عن كل حد فى كفره وهذه الآيات لما كانت بينة لم يكفر بها الا الكافر الذى بلغ فى الكفر النهاية القصوى وهذا نوع آخر من فضائح اليهود عن ابن عباس انهم كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث صلى الله عليه وسلم من العرب كفروا به وجحدوا بما كانوا يقولون (٣٤٠) فيه فقال لهم معاذ بن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل الشرك وتخبروننا انه مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جاءنا بشئ من البينات وما هو بالذى كنا نذكر لكم فنزلت واللام فى الفاسقون للجنس أو اشارة الى أهل الكتاب أو كلما الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان من يعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس من مخالفته كصعوبة من لم تجر عادته بذلك والنبذ الرمى بالذمام ورفضه وانما قيل فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل أكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين فى شئ فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولما جاءهم رسول أى كتاب لتلازمهما دليل كتاب الله وهو القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله يعنى ان علمهم بذلك رصين من قبل التوراة ولكن المكابرة هجيراهم ونبذه وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه وتركهم العمل به وقيل كتاب الله التوراة لانهم لكفرهم برسول الله كافرون بها وعن سفيان الذى أدرجوه فى الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه اللهم ارزقنا العلم بكتابك والعمل به (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ويتعلمون

الذى معناه التقديم فان قال لنا قائل وكيف وجه تقديم ذلك قيل وجه تقديمه ان يقال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما أنزل على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون معنيا بالملكين جبريل وميكائيل لان سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم ان الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل الى سليمان بن داود فاكذبهما الله بذلك وأخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر فأخبرهم ان السحر من عمل الشياطين وأنها تعلم الناس ببابل وان الذين يعلمونهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة على الناس وردا عليهم وقال آخرون بل تأويل ما التى فى قوله وما أنزل على الملكين الذى ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال قال معمر قال قتادة والزهرى عن عبد الله وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت كانا ملكين من الملائكة فاهبطا ليحكما بين الناس وذلك ان الملائكة سخروا من أحكام بنى آدم قال فحاكمت اليهما امرأة فحافا لها ثم ذهبا يصعدان فحيل بينهما وبين ذلك وخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا قال معمر قال قتادة فكانا يعلمان الناس السحر فاخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أما قوله وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فهذا سحر آخر خاصموه به أيضا يقول خاصموه بما أنزل على الملكين وان كلام الملائكة فيما بينهم اذا علمته الانس فصنع وعمل به كان سحرا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فالسحر سحران سحر تعلمه الشياطين وسحر يعلمه هاروت وماروت حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت قال التفريق بين المرء وزوجه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين فقرأ حتى بلغ فلا تكفر قال الشياطين والملكان يعلمون الناس السحر * قال أبو جعفر فتاويل معنى الآية على تاويل هذا القول الذى ذكرناه عمن ذكرناه عنه واتبعت اليهود الذى تلت الشياطين فى ملك سليمان والذى أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وهما ملكان من ملائكة الله سنذكر ما روى من الاخبار فى شانهما ان شاء الله تعالى وقالوا ان قال لنا قائل وهل يجوز ان ينزل الله السحر أم هل يجوز للملائكته ان تعلمه الناس قلنا له ان الله عز وجل قد أنزل الخير والشر كله وبين جميع ذلك لعباده فاوحاه الى رسله وأمرهم بتعليم خلقه وتعريفهم ما يحل لهم مما يحرم عليهم وذلك كالزنا والسرقة وسائر المعاصى التى عرفهموها ونهاهم عن ركوبها فالسحر أحد تلك المعاصى التى أخبرهم بها ونهاهم عن العمل بها قالوا ليس فى العلم بالسحر اثم كما لا اثم فى العلم بصنعة الخمر ونحت الأصنام والطنابير والملاعب وانما الاثم فى عمله وتسويته قالوا وكذلك لا اثم فى العلم بالسحر وانما الاثم فى العمل به وان يضر به من لا يحل ضره به قالوا فليس فى انزال الله اياه على الملكين ولا فى تعليم الملكين من علماه من الناس اثم اذا كان

ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئسما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) القراآت ولكن خفيفا الشياطين بالرفع ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وكذلك قوله ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى الملكين بكسر اللام ههنا وفى سورة الاعراف قتيبة على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل * الوقوف على ملك سليمان ج لان الواو قد تصلح حالا لبيان نزاهة سليمان وردما افتروا عليه السحر ط قيل على جعل ما نافية ولا يتضح لمناقضتهما فى سياق الآية من اثبات السحر بل ما خبرية معطوفة على قوله السحر على أنها وان كانت نافية يحتمل كون الواو حالا على تقدير يعلمون الناس السحر غير منزل فلا يفصل وفى الآية عشر ما آت احداها كافة فى انما والاخيرة نكرة منصوبة فى لبئسما والباقية خبرية ثم نافية ثم خبرية على التعاقب وماروت ط فلا تكفر ط وزوجه ط باذن الله ط ولا ينفعهم ط من خلاق ط يجوز الوقف لابتداء اللام أنفسهم ط يعلمون ه خير ط يعلمون ه * التفسير من قبائح أفعالهم انهم نبذوا كتاب الله وأقبلوا على السحر ودعوا الناس اليه وهذا شان اليهود الذين كانوا فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انهم الذين تقدموا من اليهود وقيل انهم الذين كانوا فى زمن سليمان عليه السلام من السحرة لان أكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان ويعدونه من جملة ملوك الدنيا فالذين كانوا منهم فى زمانه لا يمتنع ان يعتقدوا فيه انه انما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر والاولى أن يقال اللفظ يتناول الكل قال السدى لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت ومعنى تتلوا تقرأ وعلى ملك سليمان أى على عهده وفى زمانه وقيل تتلو عليه أى تكذب على قوم لما ادعوا أن سليمان انما وجد تلك المملكة بسبب ذلك العلم كان ذلك الادعاء كالافتراء على ملك سليمان وأما الشياطين فالاكثرون على انهم شياطين الجن وانهم كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا أكاذيب تلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها ويقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك فى زمان سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وقيل انهم شياطين الانس

تعلمهما من علمه ذلك باذن الله لهما بتعليمه بعد أن يخبراه بأنهما فتنة وينهياه عن السحر والعمل به والكفر وانما الاثم على من يتعلمه منهما ويعمل به اذ كان الله تعالى ذكره قد نهاه عن تعلمه والعمل به قالوا ولو كان الله أباح لبني آدم أن يتعلموا ذلك لم يكن من تعلمه حرجا كما لم يكونا حرجين لعلمهما به اذ كان علمهما بذلك عن تنزيل الله اليهما وقال آخرون معنى ما معنى الذي وهي عطف على ما الاولى غير ان الاولى في معنى السحر ومعنى الآخرة في معنى التفريق بين المرء وزوجه فتأويل الآية على هذا القول واتبعوا السحر الذي تتلوا الشياطين في ملك سليمان والتفريق الذي بين المرء وزوجه الذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وهما يعلمان ما يفرقون به بين المرء وزوجه وذلك قول الله جل ثناؤه وقالوا كفر سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا وكان يقول أما السحر فانما يعلمه الشياطين وأما الذي يعلم الملكان فالتفريق بين المرء وزوجه كما قال الله تعالى وقال آخرون جائز أن تكون ما بمعنى الذي وجائز أن تكون ما بمعنى لم ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال حدثني الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد وسأله رجل عن قول الله يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فقال الرجل يعلمان الناس ما أنزل عليهما أم يعلمان الناس ما لم ينزل عليهما قال القاسم ما أبالي أيتهما كانت حدثني يونس بن عبد الاعلى قال ثنا بشر بن عياض عن بعض أصحابه أن القاسم ابن محمد سئل عن قول الله تعالى ذكره وما أنزل على الملكين فقيل له أو لم ينزل فقال لا أبالي أي ذلك كان الا اني آمنت به والصواب من القول في ذلك عندي قول من وجه ما التي في قوله وما أنزل على الملكين الى معنى الذي دون معنى ما التي هي بمعنى الجحد وانما اخترت ذلك من أجل ان ما ان وجهت الى معنى الجحد فتنفي عن الملكين ان يكونا منزلا اليهما ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما أعني هاروت وماروت من أن يكونا بدلا منهما وترجمة عنهما أو بدلا من الناس في قوله يعلمان الناس السحر وترجمة عنهما فان جعلا بدلا من الملكين وترجمة عنهما بطل معنى قوله وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه لانهما اذا لم يكونا عالمين بما يفرق به بين المرء وزوجه فما الذي يتعلم منهما ما يفرق بين المرء وزوجه وبعد فان ما التي في قوله وما أنزل على الملكين ان كانت في معنى الجحد عطفا على قوله وما كفر سليمان فان الله جل ثناؤه نفى بقوله وما كفر سليمان عن سليمان ان يكون السحر من عمله أو من علمه أو تعليمه فان كان الذي نفى عن الملكين من ذلك نظير الذي نفى عن سليمان منه وهاروت وماروت هما الملكان فمن المتعلم منه اذا ما يفرق به بين المرء وزوجه وعن الخبر الذي أخبر عنه بقوله وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ان خطأ هذا القول لواضح بين وان كان قوله هاروت وماروت ترجمة عن الناس الذي في قوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فقد وجب ان تكون الشياطين هي التي تعلم هاروت وماروت السحر وتكون السحرة انما تعلمت السحر من هاروت وماروت عن تعليم الشياطين اياهما فان يكن ذلك كذلك فلن يخلو هاروت وماروت عند قائل هذه المقالة من أحد أمرين اما أن يكونا ملكين فان

لما روي في الخبر أن سليمان كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه خوفا على أنه ان هلك الظاهر منها يبقى ذلك المدفون فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم من المنافقين الى أن كتبوا في خلال ذلك أشياء من السحر تناسب تلك الاشياء من بعض الوجوه ثم من بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب أوهموا الناس أنه من عمل سليمان وانه ما وصل الى ما وصل الا بهذه الاشياء وزيفوا قول الاكثرين بان شياطين الجن لو قدروا على تغيير كتب الانبياء وشرائعهم بحيث يبقى ذلك التحريف مخفيا فيما بين الناس لارتفع الوثوق عن جميع الشرائع وهذا بخلاف ما يفعله الانسان فانه لا يكاد يخفى على بني نوعه واختلف في سبب اضافتهم السحر الى سليمان فقيل ليروج ذلك منهم وقيل لانهم ما كانوا مقرين بنبوته وقيل لانه لما خالط الجن وأظهر أسرارا عجيبة غلب على ظنونهم انه استفاد ذلك من الجن وقوله وما كفر سليمان تنزيه له عما نسب القوم اليه من السحر المستلزم للكفر فان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين ان الذي براءه منه لاصق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا ثم ذكر ما به كفروا فقد * كان من الجائز أن يتوهم انهم كفروا لا بالسحر فقال يعلمون الناس السحر وما أنزل أي ويعلمونهم الذي أنزل على الملكين وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ممتنعان من الصرف للعلمية والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانهما لو كانا منهما لانصرفا وقيل بدلان منهما ولنذكر ههنا حقيقة السحر وقصة هاروت وماروت أما السحر ففي اللغة عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه ومنه الساحر العالم وسحره خدعه والسحر الرئة وفي الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل من غير حقيقة ويجري مجرى التمويه والخداع ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله قال تعالى سحروا أعين الناس يعني موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى كما وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا سمى صلى الله عليه وسلم بعض البيان سحرا لان صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن يسخط تارة فيقول أسوأ ما يمكن ويرضى تارة فيقول أحسن ما يعلم ثم السحر على أقسام منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم

كانا عنده ملكين فقد أوجب لهما من الكفر بالله والمعصية له بنسبته اياهما الى انهما يتعلمان من الشياطين السحر ويعلمانه الناس واصرارهما على ذلك ومقامهما عليه أعظم مما ذكر عنهما انهما أتياه من المعصية التى استحقا عليها العقاب وفى خبر الله عز وجل عنهما انهما لا يعلمان أحدا ما يتعلم منهما حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ما يغنى عن الاكثار فى الدلالة على خطأ هذا القول أو ان يكونا رجلين من بنى آدم فان يكن ذلك كذلك فقد كان يجب ان يكون بهلاكهما قد ارتفع السحر والعلم به والعمل من بنى آدم لانه اذا كان علم ذلك من قبلهما يؤخذ ومنهما يتعلم فالواجب أن يكون بهلاكهما وعدم وجودهما عدم السبيل الى الوصول الى المعنى الذى كان لا يوصل اليه الا بهما وفى وجود السحر فى كل زمان ووقت أبين الدلالة على فساد هذا القول وقد يزعم قائل ذلك انهما رجلان من بنى آدم لم يعدما من الارض منذ خلقت ولا يعدمان بعد ما وجد السحر فى الناس فيدعى ما لا يخفى بطوله فاذا فسدت هذه الوجوه التى دللنا على فسادها فبين أن معنى ما التى فى قوله وما أنزل على الملكين بمعنى الذى وان هاروت وماروت مترجم بهما عن الملكين ولذلك فتحت أواخر أسمائهما لانهما فى موضع خفض على الرد على الملكين ولكنهما لما كانا لا يجران فتحت أواخر أسمائهما فان التبس على ذى غباء ما قلنا فقال وكيف يجوز للملائكة الله أن تعلم الناس التفريق بين المرء وزوجه أم كيف يجوز أن يضاف الى الله تبارك وتعالى انزال ذلك على الملائكة قيل له ان الله جل ثناؤه عرف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهى معنى مفهوم فالسحر مما قد نهى عباده من بنى آدم عنه فغير منكر أن يكون جل ثناؤه علمه الملكين اللذين سماهما فى تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بنى آدم كما أخبر عنهما انهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه وعن السحر فيمحص المؤمن بتركه التعلم منهما ويخزى الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما ويكون الملكان فى تعليمهما من علماه ذلك لله مطيعين اذ كانا عن اذن الله لهما بتعليم ذلك من علماه يعلمان وقد عبد من دون الله جماعة من أولياء الله فلم يكن ذلك لهم ضائرا اذ لم يكن ذلك بامرهم اياهم به بل عبد بعضهم والمعبود عنه ناه فكذلك الملكان غير ضائرهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه وعظتهما له بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا قد أديا ما أمرا به بقيلهما ذلك كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن عوف عن الحسن فى قوله وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت الى قوله فلا تكفر أخذ عليهما ذلك ذكر بعض الاخبار التى فى بيان الملكين ومن قال ان هاروت وماروت هما الملكان اللذان ذكر الله جل ثناؤه فى قوله ببابل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال حدثنى أبى عن قتادة قال ثنا أبو شعبة العدوى فى جنازة يونس بن جبير أبى غلاب عن ابن عباس قال ان الله أفرج السماء لملائكته ينظرون الى أعمال بنى آدم فلما أبصروهم يعملون الخطايا قالوا يا رب هؤلاء بنو آدم الذى خلقته بيدك وأسجدت له ملائكتك وعلمته أسماء كل شئ يعملون بالخطايا قال أما انكم لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا قال فأمروا ان يختاروا من يهبط الى الارض قال

يعبدون الكواكب ويزعمون انها هى المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام مبطلا لمقالتهم ورادا عليهم مذاهبهم ومنها سحر أصحاب الاوهام والنفوس القوية بدليل أن الجذع الذى يتمكن الانسان من المشى عليه لو كان موضوعا على الارض لا يمكنه المشى عليه لو كان كالجسر وما ذاك الا لان تخيل السقوط متى قوى أوجبه وقد اجتمعت الاطباء على نهى المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر والمصروع عن النظر الى الاشياء القوية اللمعان أو الدوران وما ذاك الا لان النفوس خلقت مطيعة للاوهام وحكى فى الشفاء عن أرسطو ان الدجاجة اذا تشبهت كثيرا بالديكة فى الصوت وفى الحراب مع الديك نبتت على ساقها مثل الشئ النابت على ساق الديك وهذا يدل على أن الاحوال الجسمانية تابعة للاحوال النفسانية واجتمعت الامم على أن الدعاء مظنة الاجابة وأن الدعاء باللسان من غير طلب نفسانى قليل الاثر ويحكى أن بعض الملوك عرض له فالج فدخل عليه بعض الحذاق من الاطباء على حين غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح فى العرض فاشتد غضب الملك وقفز من مرقده قفزة اضطرارية وزالت تلك العلة المزمنة والاصابة بالعين مما اتفق عليه العقلاء والتحقيق فيه أن النفس اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات كانت كانها روح من الارواح السماوية وكانت قوية التاثير فى مواد هذا العالم أما اذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تصرف ألبتة الا فى هذا البدن فاذا أراد أن يتعدى تاثيرها الى بدن آخر اتخذ مثال ذلك الغير ووضعه عند الحس فاشتغل الحس به وتبعه الخيال عليه وأقبلت النفس الناطقة بالكلية على ذلك فقويت التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ويعضده الانقطاع عن المالوفات والمشتهيات وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس ثم ان كانت النفس مناسبة لهذا الامر بحسب ذاتها وخاصيتها عظم التاثير وأسرارها فان كانت بالفاظ معلومة والامر فيه ظاهر لان الغرض منها ان حس البصر كما اشتغل بالامور المناسبة للغرض فحس السمع أيضا يشتغل بامثال الحواس متى تطابقت متوجهة الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه أقوى وان كانت الفاظ غير

فاختاروا هاروت وماروت فاهبطا الى الارض وأحل لهما مافيها من شئ غيران لايشركا بالله شيأ ولا يسرقا ولا يزنيا ولا يشربا الخمر ولا يقتلا النفس التى حرم الله الا بالحق قال فما استمرا حتى عرض لهما بامرأة قد قسم لها نصف الحسن يقال لها بيدخت فلما أبصراها أراداها زنا فقالت لا الا ان تشركا بالله وتشربا الخمر وتقتلا النفس وتسجدا لهذا الصنم فقالا ما كنا لنشرك بالله شيأ فقال أحدهما للآخر ارجع اليها فقالت لا الا ان تشربا الخمر فشربا حتى ثملا ودخل عليهما سائل فقتلاه فلما وقعا فيما وقعا فيه من الشر أفرج الله السماء لملائكته فقالوا سبحانك كنت أعلم قال فاوحى الله الى سليمان بن داود ان يخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فكبلا من أكعبهما الى أعناقهما بمثل أعناق البخت وجعلا ببابل **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حجاج عن على بن زيد عن أبى عثمان النهدى عن ابن مسعود وابن عباس انهما قالا لما كثر بنو آدم وعصوا دعت الملائكة عليهم والارض والسماء والجبال ربنا ألا تهلكهم فاوحى الله الى الملائكة انى لو أنزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم ونزلتم لفعلتم أيضا قال فحدثوا أنفسهم ان ابتلوا اعتصموا فاوحى الله اليهم ان اختاروا ملكين من أفضلكم فاختاروا هاروت وماروت فاهبطا الى الارض وأنزلت الزهرة اليهما فى صورة امرأة من أهل فارس وكان أهل فارس يسمونها بيدخت قال فوقعا بالخطيئة وكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا فلما وقعا بالخطيئة استغفروا لمن فى الارض الى ان الله هو الغفور الرحيم فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا **حدثنى** المثنى قال حدثنى الحجاج قال ثنا حماد عن خالد الحذاء عن عمير بن سعيد قال سمعت عليا يقول كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس وانها خاصمت الى الملكين هاروت وماروت فراوداها عن نفسها فابت الا ان يعلماها الكلام الذى اذا تكلم به يعرج به الى السماء فعلماها فتكلمت فعرجت الى السماء فمسخت كوكبا **حدثنى** محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا مؤمل بن اسمعيل **وحدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن الثورى عن محمد بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب قال ذكرت الملائكة أعمال بنى آدم وما يأتون من الذنوب فقيل لهم اختاروا منكم اثنين وقال الحسن بن يحيى فى حديثه اختاروا ملكين فاختاروا هاروت وماروت فقيل لهما انى أرسل الى بنى آدم رسلا وليس بينى وبينكم رسول انزلا لا تشركا بى شيأ ولا تزنيا ولا تشربا الخمر قال كعب فوالله ما أمسيا من يومهما الذى أهبطا فيه الى الارض حتى استكملا جميع مانهيا عنه وقال الحسن بن يحيى فى حديثه فما استكملا يومهما الذى أنزلا فيه حتى عملا ما حرم الله عليهما **حدثنى** المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة قال حدثنى سالم انه سمع عبد الله يحدث عن كعب الاحبار انه حدث ان الملائكة أنكروا أعمال بنى آدم وما يأتون فى الارض من المعاصى فقال الله لهم انكم لو كنتم مكانهم أتيتم ما يأتون من الذنوب فاختاروا منكم ملكين فاختاروا هاروت وماروت فقال الله لهما انى أرسل رسلى الى الناس وليس بينى وبينكما رسول انزلا الى الارض ولا تشركا بى شيأ ولا تزنيا فقال كعب والذى نفس كعب بيده ما استكملا يومهما الذى نزلا فيه حتى أتيا ما حرم الله عليهما **حدثنى** موسى

ابن

معلوم حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة والدهش ويحصل لها اذ ذاك انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل فيقوى التأثير النفسانى فيحصل الغرض وهكذا القول فى التخيل قالوا فثبت أن هذا القدر من القوة النفسانية مستقل بالتأثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تأثيرات الكواكب قوى الأثر جدا لاسيما ان حصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها أو من الانوار الفائضة من النفوس الفلكية ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخييلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة وذلك أن اغلاط البصر كثيرة فان راكب السفينة اذا نظر الى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والعنبة ترى فى الماء كانها جاسة وترى العظيم من البعيد صغيرا وقد لاتقف القوة الباصرة على المحسوس وقوفا تاما اذا أدركت المحسوس فى زمان صغير جدا فيختلط البعض بالبعض ولا يتميز فان الرحى اذا أخرجت من مركزها الى محيطها خطوط كثيرة بالوان مختلفة ثم أديرت فان البصر يرى لونا واحدا كانه مركب من كل تلك الالوان وأيضا النفس اذا كانت مشغولة بشئ فربما حضر عند الحس شئ آخر فلا يشعر الحس به ألبتة كما أن الانسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه انسان ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما أن قلبه مشغول بشئ آخر وكذا الناظر فى المرآة ربما قصد أن يرى سطح المرآة هل هو مستو أم لا فلا يرى شيأ مما فى المرآة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شئ يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم اليه حتى اذا استغرقهم الشغل بذلك الشئ والتحديق نحوه عمل شيأ آخر عملا بسرعة فيبقى ذلك العمل خفيا لتفاوت الشيئين اشتغالهم بالاول وسرعة اتيانه بالثانى ومنها الاعمال العجيبة التى تظهر من الآلات المركبة على النسب الهندسية أو لضرورة الخلاء كفارسين يقتتلان فيقتل أحدهما الآخر ومنه الصور التى يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان وقد يصورونها ضاحكة أو باكية وقد يفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر عرفا لان لها أسبابا معلومة يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية والاحجار ومنها تعليق القلب وهو ان يدعى

ابن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى انه كان من أمر هاروت وماروت انهما طعنا على أهل الارض فى أحكامهم فقيل لهما انى أعطيت ابن آدم عشرا من الشهوات فبها يعصوننى قال هاروت وماروت ربنا لو أعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا لحكمنا بالعدل فقال لهما انزلا فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر فاحكما بين الناس فنزلا ببابل دنباوند فكانا يحكمان حتى اذا أمسيا عرجا فاذا أصبحا هبطا فلم يزالا كذلك حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها فأعجبهما حسنها واسمها بالعربية الزهرة وبالنبطية بيدخت واسمها بالفارسية اناهيد فقال أحدهما لصاحبه انها لتعجبنى فقال الآخر قد أردت ان أذكر لك فاستحييت منك فقال الآخر هل لك ان أذكرها لنفسها قال نعم ولكن كيف لنا بعذاب الله قال الآخر انا نرجو رحمة الله فلما جاءت تخاصم زوجها ذكرا اليها نفسها فقالت لا حتى تقضيا لى على زوجى فقضيا لها على زوجها ثم واعدتهما خربة من الخرب يأتيانها فيها فأتياها لذلك فلما أراد الذى يواقعها قالت ما أنا بالذى أفعل حتى تخبرانى باى كلام تصعدان الى السماء وبأى كلام تنزلان منها فأخبراها فتكلمت فصعدت فأنساها الله ما تنزل به فبقيت مكانها وجعلها الله كوكبا فكان عبد الله بن عمر كلما رآها لعنها وقال هذه التى فتنت هاروت وماروت فلما كان الليل أرادا ان يصعدا فلم يستطيعا فعرفا الهلك فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا من عذاب الآخرة فعلقا ببابل فجعلا يكلمان الناس كلامهما وهو السحر حدثنى المثنى بن ابراهيم قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال لما وقع الناس من بعد آدم فيما وقعوا فيه من المعاصى والكفر بالله قالت الملائكة فى السماء أى رب هذا العالم انما خلقتهم لعبادتك وطاعتك وقد ركبوا الكفر وقتل النفس الحرام وأكل المال الحرام والسرقة والزنا وشرب الخمر فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم فقيل لهم انهم فى غيب فلم يعذروهم فقيل لهم اختاروا منكم ملكين آمرهما بأمرى وأنهاهما عن معصيتى فاختاروا هاروت وماروت فاهبطا الى الارض وجعل بهما شهوات بنى آدم وأمرا ان يعبدا الله ولا يشركا به شيأ ونهيا عن قتل النفس الحرام وأكل المال الحرام والسرقة والزنا وشرب الخمر فلبثا على ذلك فى الارض زمانا يحكمان بين الناس بالحق وذلك فى زمان ادريس وفى ذلك الزمان امرأة حسنها فى سائر الناس كحسن الزهرة فى سائر الكواكب وانهما أتت عليهما فخضعا لها بالقول وأراداها على نفسها وانها أبت الا أن يكونا على أمرها ودينها وانهما سألاها عن دينها التى هى عليه فأخرجت لهما صنما وقالت هذا أعبد فقالا لا حاجة لنا فى عبادة هذا فذهبا فصبرا ما شاء الله ثم أتيا عليها فخضعا لها بالقول وأراداها على نفسها فقالت لا الا ان تكونا على ما أنا عليه فقالا لا حاجة لنا فى عبادة هذا فلما رأت انهما أبيا ان يعبدا الصنم قالت اختارا أحد الخلال الثلاث اما ان تعبدا الصنم أو تقتلا النفس أو تشربا الخمر فقالا كل هذا لا ينبغى وأهون الثلاثة شرب الخمر فسقتهما الخمر حتى اذا أخذت الخمر فيهما وقعا بها فمر بهما انسان وهما فى ذلك فخشيا أن يفشى عليهما فقتلاه فلما أن ذهب عنهما السكر عرفا ما وقعا فيه من الخطيئة وأرادا أن يصعدا الى السماء فلم يستطيعا فحيل بينهما وبين ذلك وكشف الغطاء بينهما وبين أهل السماء فنظرت الملائكة الى ما وقعا فيه من الذنب فعجبوا كل العجب وعلموا ان من كان فى غيب فهو أقل خشية فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن فى الارض وانهما لما

الساحر انه قد عرف الاسم الاعظم وان الجن ينقادون له فى أكثر الامور فاذا اتفق أن كان السامع ضعيف القلب قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل فى قلبه نوع من الرعب وحينئذ تضعف القوى الحساسة فيتمكن الساحر من أن يفعل فيه ما شاء وان من جرب الامور وعرف أحوال الناس علم ان لتعلق القلب أثرا عظيما فى تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار ومنها السعى بالنميمة والتضريب من وجوه خفية لطيفة وذلك شائع فى الناس فهذه جملة الكلام فى أقسام السحر وعند المسلمين كلها مستندة الى قدرة الله فانه لا يمتنع وقوع هذه الخوارق باجراء العادة عند سحر السحرة واتفقوا على ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف ولعموم قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجز يمكن به الا أن اجتنابه أقرب الى السلامة كتعلم الفلسفة التى لا يؤمن ان تجر الى الغواية واما ان الساحر هل يكفر أم لا فلا نزاع بين الامة فى ان من اعتقد ان الكواكب هى المدبرة لهذا العالم وهى الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون كافرا على الاطلاق وهذا هو القسم الاول من السحر وأما النوع الثانى وهو ان يعتقد انه قد يبلغ روح الانسان فى التصفية والقوة الى حيث يقدر على ايجاد الاجسام واعدامها وتغيير البنية والشكل فالاظهر اجماع الامة أيضا على تكفيره واما أن يعتقد الساحر انه قد يبلغ فى التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الادوية الى حيث يخلق الله تعالى عقيب افعاله على سبيل العادة الاجسام والحياة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من يجوز ذلك قالوا لانه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه ان يعرف صدق الانبياء والرسل وزيف بان الانسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا فى دعواه فانه لا يجوز من الله تعالى اظهار الخوارق على يده لئلا يحصل التلبيس أما اذا لم يدع النبوة فظهرت الخوارق على يده لم يفض ذلك الى التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بان المحق تحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة والمبطل لا تحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة وان حصلت لم يتم فصولة الباطل كمار العرفج وأما سائر أنواع السحر فلا شك انها ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد واذا سحر انسانا فمات فان قال انى سحرته وسحرى يقتل غالبا وجب عليه القود وان قال

وقعافيما وقعافيه من الخطيئة قيل لهما اختارا عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فقالا أما عذاب الدنيا فانه ينقطع وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له فاختارا عذاب الدنيا فجعلا ببابل فهما يعذبان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا فرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع قال سافرت مع ابن عمر فلما كان من آخر الليل قال يا نافع انظر طلعت الحمراء قال لها مرتين أو ثلاثا ثم قلت قد طلعت قال لا مرحبا ولا أهلا قلت سبحان الله نجم مسخر سامع مطيع قال ما قلت لك الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة قالت يارب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب قال اني ابتليتهم وعافيتكم قالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك قال فاختاروا ملكين منكم قال فلم يألوا ان يختاروا فاختاروا هاروت وماروت حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأما شأن هاروت وماروت فان الملائكة عجبت من ظلم بني آدم وقد جاءتهم الرسل والكتب والبينات فقال لهم ربهم اختاروا منكم ملكين أنزلهما يحكمان في الارض بين بني آدم فاختاروا هاروت وماروت فقال لهما حين أنزلهما عجبتما من بني آدم ومن ظلمهم ومعصيتهم وانما تأتيهم الرسل والكتب من وراء وراء وأنتما ليس بيني وبينكما رسول فافعلا كذا وكذا ودعا كذا وكذا فأمرهما بأمر ونهاهما ثم نزلا على ذلك ليس أحد لله أطوع منهما فحكما فعدلا فكانا يحكمان النهار بين بني آدم فاذا أمسيا عرجا وكانا مع الملائكة وينزلان حين يصبحان فيحكمان فيعدلان حتى أنزلت عليهما الزهرة في أحسن صورة امرأة تخاصم فقضيا عليها فلما قامت وجد كل واحد منهما في نفسه فقال أحدهما لصاحبه وجدت مثل ما وجدت قال نعم فبعثا اليها أن ائتينا نقض لك فلما رجعت قالا لها وقضيا لها ائتينا فأتتهما فكشفا لها عن عورتهما وانما كانت شهوتهما في أنفسهما ولم يكونا كبني آدم في شهوة النساء ولذتهم فلما بلغا ذلك واستحلاه وافتتنا طارت الزهرة فرجعت حيث كانت فلما أمسيا عرجا فردا ولم يؤذن لهما ولم تحملهما أجنحتهما فاستغاثا برجل من بني آدم فأتياه فقالا ادع لنا ربك فقال كيف نشفع أهل الارض لاهل السماء قالا سمعنا ربك يذكرك بخير في السماء فوعدهما يوما وعدا يدعو لهما فدعا لهما فاستجيب له فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فنظر أحدهما لصاحبه فقالا نعلم ان أنواع عذاب الله في الآخرة كذا وكذا في الخلد ومع الدنيا سبع مرات مثلها (7) فأمرا أن ينزلا ببابل فثم عذابهما وزعم انهما معلقان في الحديد مطويان يصفقان بأجنحتهما قال أبو جعفر وحكى عن بعض القراء انه كان يقرأ وما أنزل على الملكين يعني به رجلين من بني آدم وقد دللنا على خطأ القراءة بذلك من جهة الاستدلال فأما من جهة النقل فاجماع الحجة على خطأ القراءة بها من الصحابة والتابعين وقراء الامصار وكفى بذلك شاهدا على خطئها وأما قوله ببابل فانه اسم قرية أو موضع من مواضع الارض وقد اختلف أهل التأويل فيها فقال بعضهم انها بابل دنباوند حدثني بذلك موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وقال بعضهم بل ذلك بابل العراق ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قصة ذكرتها عن امرأة قدمت المدينة فذكرت انها صارت في العراق ببابل فأتت بها هاروت وماروت فتعلمت منهما السحر واختلف في معنى السحر

---

(7) هكذا بالاصل ولعل فيه سقطا أي لا يبلغ عذاب الآخرة اه مصححه

سحرته وسحري قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت غيره فوافق اسمه اسمه فخطأ وعن أبي حنيفة انه قال يقتل الساحر اذا علم انه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله اني أترك السحر وأتوب منه فاذا أقر انه ساحر فقد حل دمه وان شهد شاهدان على انه ساحر أو وصفوه بصفة يعلم انه ساحر قتل ولا يستتاب وان أقر باني كنت أسحر مرة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل وأما قصة هاروت وماروت فقد يروى عن ابن عباس ان الملائكة لما قالت (346) أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فأجابهم الله بقوله اني أعلم ما لا تعلمون ثم وكل عليهم جمعا من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وكانوا يعرجون بأعمالهم الخبيثة فعجبت الملائكة منهم ومن تبقية الله مع ما ظهر منهم من القبائح ثم أضافوا اليها عمل السحر فازداد تعجب الملائكة فأراد الله ان يبتلي الملائكة فقال لهم اختاروا ملكين من أعظم الملائكة علما وزهدا وديانة لانزلهم الى الارض فاختبرهم فاختاروا هاروت وماروت وركب فيهما شهوة الانس وأنزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنا والشرب فنزلا فأمر الله تعالى الكوكب المسمى بالزهرة والملك الموكل به فهبطا الى الارض فجعلت الزهرة في صورة امرأة والملك في صورة رجل ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما اليها ونصب الملك نفسه في منزلها في مثال صنم فأقبلا عليها وطلبا الفاحشة فأبت عليهما الا ان يشربا الخمر فقالا لا نشرب الخمر ثم غلبت الشهوة عليهما فشربا ثم دعواها الى ذلك فقالت بقيت خصلة لست أمكنكما من نفسي حتى تفعلاها قالا وما هي قالت تسجدان لهذا الصنم فقالا لا نشرك بالله شيأ ثم غلبت الشهوة عليهما فقالا نفعل ثم نستغفر فسجدا للصنم ثم دخل سائل عليهم فقالت ان أظهر هذا السائل للناس ما رأى منا فسد أمرنا فان أردتما الوصول الى فاقتلا هذا الرجل فامتنعا منه ثم اشتغلا بقتله فلما فرغا من القتل ارتفعت الزهرة وملكها الى موضعهما من السماء فعرفا حينئذ فقال

انه انما أصابهما بسبب تعييرهما بني آدم وفي رواية أخرى ان الزهرة كانت فاجرة من أهل الارض وانهما واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا للصنم وعلماها الاسم الاعظم الذي كانا يعرجان به الى السماء فتكلمت المرأة بذلك الاسم فعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى وصيرها هذا الكوكب ثم ان الله تعالى خيرهما بين عذاب الآخرة آجلا وبين عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين في

فقال بعضهم هو خدع ومخاريق ومعان يفعله الساحر حتى يخيل الى المسحور الشئ انه بخلاف ما هو به نظير الذى يرى السراب من بعيد فيخيل اليه انه ماء ويرى الشئ من بعيد فيشبه بخلاف ما هو على حقيقته وكراكب السفينة السائرة سيرا حثيثا يخيل اليه ان ما عاين من الاشجار والجبال سائر معه قالوا فكذلك المسحور ذلك صفته بحسب بعد الذى وصل اليه من سحر الساحر ان الذى يراه أو يفعله بخلاف الذى هو به على حقيقته كالذى حدثنى أحمد بن الوليد وسفيان بن وكيع قالا ثنا يحيى بن سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم لما سحر كان يخيل اليه انه يفعل الشئ ولم يفعله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودى من يهود بنى زريق يقال له لبيد بن الاعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل اليه انه يفعل الشئ وما يفعله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال كان عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب يحدثان ان يهود بنى زريق عقدوا عقد سحر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوها فى بئر حزم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينكر بصره ودله الله على ما صنعوا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر حزم التى فيها العقد فانتزعها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سحرتنى يهود بنى زريق وأنكر قائلو هذه المقالة أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شئ عن حقيقته واستسخار شئ من خلق الله الا نظير الذى يقدر عليه من ذلك سائر بنى آدم أو انشاء شئ من الاجسام سوى المخاريق والخدع المتخيلة لابصار الناظرين بخلاف حقائقها التى وصفنا وقالوا لو كان فى وسع السحرة انشاء الاجسام وقلب حقائق الاعيان عما هى به من الهيئات لم يكن بين الحق والباطل فصل ولجاز أن تكون جميع المحسوسات مما سحرته السحرة فقلبت أعيانها قالوا وفى وصف الله جل وعز سحرة فرعون بقوله فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وفى خبر عائشة عن رسول الله وصلى الله عليه وسلم انه كان اذا سحر يخيل اليه انه يفعل الشئ ولا يفعله أوضح الدلالة على بطول دعوى المدعين ان الساحر ينشئ أعيان الاشياء بسحره ويستسخر ما يتعذر استسخاره على غيره من بنى آدم كالموات والجماد والحيوان وصحة ما قلنا وقال آخرون قد يقدر الساحر بسحره أن يحول الانسان حمارا وان يسحر الانسان والحمار وينشئ أعيانا وأجساما واعتلوا فى ذلك بما حدثنا به الربيع بن سليمان قال ثنا ابن وهب قال أخبرنا ابن أبى الزناد قال حدثنى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها قالت قدمت على امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبتغى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حداثة ذلك تسأله عن شئ دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به قالت عائشة لعروة يا ابن أختى فرأيتها تبكى حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفيها كانت تبكى حتى انى لارحمها وتقول انى لاخاف ان أكون قد هلكت كان لى زوج فغاب فدخلت على عجوز فشكوت ذلك اليها فقالت ان فعلت ما آمرك به فاجعله يأتيك فلما كان الليل جاءتنى بكلبين اسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن كشئ حتى وقفنا ببابل فاذا برجلين معلقين بارجلهما فقالا ما جاء بك فقلت أتعلم السحر فقالا انما نحن فتنة فلا تكفرى وارجعى فابيت وقلت لا فقالا اذهبى الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت

بئر الى يوم القيامة وهما يعلمان الناس السحر ويدعوان اليه ولا يراهما أحد الا من ذهب الى ذلك الموضع ليتعلم السحر خاصة وهذه القصة عند المحققين غير مقبولة فليس فى كتاب الله ما يدل عليها ولان الدلائل الدالة على عصمة الملائكة تنافيها ولاستبعاد كونهما معلمين للسحر حال العذاب ولان الفاجرة كيف يعقل انها صعدت الى السماء وجعلها الله تعالى كوكبا مضيئا ولانه ذكر فى القصة ان الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بنى آدم لعصيتمانى فقالا لو فعلت بنا يا رب لما عصيناك وهذا منهم تكذيب لله وتجهيل فاذن السبب فى انزالهما ان السحرة كثرت فى ذلك الزمان واستنبطت أبوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الكاذبين ولا شك ان هذا من أحسن الاغراض والمقاصد وأيضا تعريف حقيقة السحر ليميز بينه وبين المعجزة حسن وكذا السحر لايقاع الفرقة بين أعداء الله والالفة بين أوليائه ولعل للجن أنواعا من السحر لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك وارشاده ويجوز أن يكون ذلك تشديدا فى التكليف من حيث انه اذا علمه ما أمكنه ان يتوصل به الى اللذات العاجلة ثم منعه من استعماله كان ذلك فى نهاية المشقة فيستوجب مزيد الثواب كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى ويقال هذه الواقعة كانت فى زمان ادريس لانهما اذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر لهذا الغرض لابد من رسول فى وقتهما ليكون ذلك معجزا له ولا يجوز كونهما رسولين لان رسول الانس ثبت انه لا يكون الا منهم قوله تعالى وما يعلمان أى وما يعلم الملكان أحدا حتى ينهياه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بان تتعلم معتقدا انه حق أو متوصلا به الى شئ من المعاصى والاغراض العاجلة فيتعلمون الضمير لما دل عليه العموم فى من أحد أى فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اما لانه اذا اعتقد ان السحر حق كفر فبانت منه امرأته واما لانه يفرق بينهما بالتمويه والاحتيال كالنفث فى العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز ابتلاء منه لا أن السحر له أثر فى نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله بارادته وقدرته لانه ان شاء أحدث عند ذلك شيأ من افعاله وان شاء لم يحدث وكان الذى يتعلمونه منهما لم يكن مقصورا على هذه الصورة ولكن سكوته عن المرء وكونه الغرض وجه لما كان أشد

فغزعت فلم أفعل فرجعت اليهما فقالا أفعلت قلت نعم فقالا فهل رأيت شيا قالت لم أرشيا فقالا لى لم تفعلى ارجعى الى بلادك ولا تكفرى فابيت فقالا اذهبى الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت فاقشعررت وخفت ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت فقالا فما رأيت فقلت لم أرشيا فقالا كذبت لم تفعلى ارجعى الى بلادك ولا تكفرى فانك على رأس أمرك فأبيت فقالا اذهبى الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت اليه فبلت فيه فرأيت فارسا متقنعا بحديد خرج منى حتى ذهب فى السماء وغاب عنى حتى ما أراه فجئتهما فقلت قد فعلت فقالا ما رأيت فقلت فارسا متقنعا خرج منى فذهب فى السماء حتى ما أراه فقالا صدقت ذلك ايمانك خرج منك اذهبى فقلت المرأة والله ما أعلم شيا وما قالا لى شيا فقالت بلى لن تريدى شيا الا كان خذى هذا القمح فابذرى فبذرت فقلت اطلعى فطلعت وقلت احقلى فاحقلت ثم قلت افركى فافركت ثم قلت أيبسى فايبست ثم قلت اطحنى فاطحنت ثم قلت اخبزى فاخبزت فلما رأيت انى لا أريد شيا الا كان أسقط فى يدى وندمت والله يا أم المؤمنين والله ما فعلت شيا قط ولا أفعله أبدا قال أهل هذه المقالة بما وصفنا واعتلوا بما ذكرنا وقالوا لولا ان الساحر يقدر على فعل ما ادعى انه يقدر على فعله ما قدران يفرق بين المرء وزوجه قالوا وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم انهم يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه وذلك لو كان على غير الحقيقة وكان على وجه التخييل والحسبان لم يكن تفريقا على صحة وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم انهم يفرقون على صحة وقال آخرون بل السحر أخذ بالعين ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) وتاويل ذلك وما يعلم الملكان أحدا من الناس الذى أنزل عليهما من التفريق بين المرء وزوجه حتى يقولا له انما نحن بلاء وفتنة لبنى آدم فلا تكفر بربك كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال اذا أتاهما يعنى هاروت وماروت انسان يريد السحر وعظاه وقالا له لا تكفر انما نحن فتنة فان أبى قالا له ائت هذا الرماد فبل عليه فاذا بال عليه خرج منه نور يسطع حتى يدخل السماء وذلك الايمان وقيل شئ أسود كهيئة الدخان حتى يدخل فى مسامعه وكل شئ منه فذلك غضب الله فاذا أخبرهما بذلك علماه السحر فذاك قول الله وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر الآية حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة والحسن حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر قال أخذ عليهما ان لا يعلما أحدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال قتادة كان لا يعلمان الناس السحر فاخذ عليهما ان لا يعلما أحدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قال غير قتادة أخذ عليهما ألا يعلما أحدا حتى يتقدما اليه فيقولا انما نحن فتنة فلا تكفر حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن عوف عن الحسن قال أخذ عليهما أن يقولا ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال أخذ الميثاق عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر لا يجترئ على السحر الا كافر وأما الفتنة فى هذا الموضع فان معناها الاختبار والابتلاء من ذلك قول الشاعر

وقد فتن الناس فى دينهم ✻ وخلا ابن عفان شرا طويلا

خصت بالذكر ليدل بذلك على أن سائر الصور بتاثير السحر فيها أولى وقرأ الاعمش وما هم بضارى به من أحد بفعل الجار جزأ من المجرور وهو أحد وأضاف الى المجموع وفصل بينهما بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يستعملونه فى وجوه المفاسد ولقد علموا اعلم هؤلا اليهود اللام فيه للابتداء وكذا فى لمن اشتراه استبدل ما تتلوا الشياطين واختاره على كتاب الله ماله فى الآخرة من خلاق من نصيب كانه قدر له هذا المقدار وقيل الخلاق الخلاص وقيل معنى الآية ان الملكين انما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز الى منافع الآخرة فلما استعمل السحر للدنيا فكانه اشترى بمنافع الآخرة منافع الدنيا ولبئسما شروا أنفسهم أى باعوها والمخصوص محذوف وهو السحر أو منافع الدنيا وجواب لو محذوف يدل عليه ما قبله أى لو كانوا يعلمون لعلموا قبح ما شروا ويجوز أن يكون لو للتمنى مجازا كما تقدم من الترجى فى لعلكم تتقون وحينئذ لا يحتاج الى الجواب بقى ههنا سؤال وهو أنه كيف اثبت لهم العلم أولا فى قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد بل القسم ثم نفاه عنهم فى قوله لو كانوا يعلمون فان لو لامتناع الثانى لامتناع الاول وكذا لو كان للتمنى فان التمنى استدعاء أمر هو كالممتنع والجواب ان الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا الناس الى تعلمه ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والذين لا يعلمون هم الجهال الذين يرغبون فى تعلم السحر سلمنا أن القوم واحد ولكنهم علموا اشيا وجهلوا اشيا آخر علموا أنه لا خلاق لهم فى الآخرة وجهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الآخرة وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها سلمنا أن القوم واحد والمعلوم واحد ولكنهم نسبوا الى الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم ولم ينتفعوا به كما قيل انهم صم بكم عمى حيث لم ينتفعوا بالحواس ولما أوعدهم بقوله ولقد علموا اتبع ذلك الوعد جامعا بين الترهيب والترغيب ليكون أدعى الى الطاعة وأنهى عن المعصية ومنه فقال ولو أنهم آمنوا بعنى ما نبذوه من كتاب الله وهو القرآن أو التوراة التى يصدقها القرآن أو كلاهما واتقوا فعل المنهيات وترك المامورات أو اتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله لشئ من ثوابه خير ولا بد من تقدير فعل يكون ان مع ما بعده فاعلا له أى لو ثبت انهم آمنوا وجواب لو محذوف وأيضا يدل عليه هذه الجملة الاسمية المصدرة باللام أى لاثيبوا وانما تركت الفعلية

الى هذه ليدل على ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز أن يكون القسم مقدرا وقوله لمثوبة جوابه سادا مسد جواب الشرط مغنيا عنه ودخول اللام الموطئة فى الشرط غير واجب فى القسم المقدر وان كان هو الاكثر على أن دخول اللام الموطئة فى لو مستثقل فيشبه أن يكون الاكثر بل الواجب ههنا عدم الدخول ويجوز أن يكون لو للتمني مجازا عن ارادة الله ايمانهم كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه لآمنوا واتقوا وقد علموا لكنه جهلهم لترك (٢٤٩) العمل بالعلم ويجوز أن يكون لو بمعنى التمني كما تقرر والله تعالى أعلم * التأويل واتبعوا ما تتلوا الشياطين النفوس على ملك سليمان الروح الذى هو خليفة الله فى أرضه وما كفر سليمان الروح ولكن الشياطين النفس والهوى كفروا يعلمون الناس السحر من تخييلات الهواجس وتمويهات الوساوس وما أنزل على الملكين فتنة وخذلانا من العلوم الضارة غير النافعة كشبهات الفلاسفة والمبتدعة على ملكى الروح والقلب ببابل الجسد هاروت الروح وماروت القلب فانهما من العالم العلوى الروحانى أهبطا الى الارض العالم الجسمانى بالخلافة لاقامة الحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة زهرة الحياة الدنيا واتبعا خداعها فوقعا فى شبكة الشهوة التى تركت فيها ابتلاء وامتحانا وشربا خمر الحرص والغفلة التى تخامر العقل وزنيا ببغى الدنيا الدنية وعبدا صنم الهوى فعذبا منكسين رؤسهما بالالتفات الى السفليات واعراضهما عن العلويات فحرما استماع خطاب الحق وكشف حقائق العلوم النافعة الموجبة للجمعية ومع هذا من خصوصية الملائكة الروحانية ما يعلمان أحدا من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والقوى البشرية حتى يلهماها انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء القلب وزوجه دينه (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير أم تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) القرآت ما ننسخ بضم النون وكسر

ومنه قوله فتنت الذهب فى النار اذا امتحنتها لتعرف جودتها من رداءتها افتنها فتنة وفتونا كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما نحن فتنة أى بلاء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) قال أبو جعفر وقوله جل ثناؤه فيتعلمون منهما خبر مبتدأ عن المتعلمين من الملكين ما أنزل عليهما وليس بجواب لقوله وما يعلمان من أحد بل هو خبر مستأنف ولذلك رفع فقيل فيتعلمون فمعنى الكلام اذا وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فيأبون قبول ذلك منهما فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وقد قيل ان قوله فيتعلمون خبر عن اليهود معطوف على قوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وجعلوا ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم والذى قلنا أشبه بتأويل الآية لان الحاق ذلك بالذى يليه من الكلام ما كان للتأويل وجه صحيح أولى من الحاقه بما قد حيل بينه وبينه من معترض الكلام والهاء والميم والالف من قوله منهما من ذكر الملكين ومعنى ذلك فيتعلم الناس من الملكين الذى يفرقون به بين المرء وزوجه وما التى مع يفرقون بمعنى الذى وقيل معنى ذلك السحر الذى يفرقون به وقيل هو معنى غير السحر وقد ذكرنا اختلافهم فى ذلك فيما مضى قبل وأما المرء فانه بمعنى رجل من أسماء بنى آدم والانثى منه المرأة يوحد ويثنى ولا يجمع ثلاثيه على صورته يقال منه هذا امرؤ صالح وهذان امرآن صالحان ولا يقال هؤلاء امرؤ صدق ولكن يقال هؤلاء رجال صدق وقوم صدق وكذلك المرأة توحد وتثنى ولا تجمع على صورتها يقال هذه امرأة وهاتان امرأتان ولا يقال هؤلاء امرآت ولكن هؤلاء نسوة وأما الزوج فان أهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل هى زوجه بمنزلة الزوج الذكر ومن ذلك قول الله تعالى ذكره أمسك عليك زوجك وتميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون هى زوجته كما قال الشاعر

وان الذى يمشى يحرش زوجتى * كماش الى أسد الشرى يستبيلها

فان قال قائل وكيف يفرق الساحر بين المرء وزوجه قيل قد دللنا فيما مضى على ان معنى السحر تخييل الشئ الى المرء بخلاف ما هو به فى عينه وحقيقته بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه فان كان ذلك صحيحا بالذى استشهدنا عليه فتفريقه بين المرء وزوجه تخييله بسحره الى كل واحد منهما شخص الآخر على خلاف ما هو به فى حقيقته من حسن وجمال حتى يقبحه عنده فينصرف بوجهه ويعرض عنه حتى يحدث الزوج لامرأته فراقا فيكون الساحر مفرقا بينهما باحداثه السبب الذى كان منه فرقة ما بينهما وقد دللنا فى غير موضع من كتابنا هذا على ان العرب تضيف الشئ الى مسببه من أجل تسببه وان لم يكن باشر فعل ما حدث عن السبب بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع فكذلك تفريق الساحر بسحره بين المرء وزوجه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قاله عدد من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وتفريقهما ان يؤخذ كل واحد منهما عن صاحبه ويبغض كل واحد منهما الى صاحبه واما الذين أبوا أن يكون الملكان يعلمان الناس التفريق بين المرء وزوجه فانهم وجهوا تأويل قوله

فيتعلمون منهما الى ديتعلمون مكان ماعاماهم ما يفرقون به بين المرء و زوجه كقول القائل ليت لنا كذا وكذا اى مكان كذا كما قال الشاعر

جعت من الخيرات وطبا وعلبة * وصر الاخلاق المذممة البزل
ومن كل اخلاق الكرام نميمة * وسعيا على الجار المجاور بالبخل

يريد بقوله جعت من الخيرات مكان خيرات الدنيا هذه الاخلاق الرديئة والافعال الدنية ومنه قول الآخر

صلدت صفاتك ان تلين جنودها * وورثت من سلف الكرام عقوقا

يعني ورثت مكان سلف الكرام عقوقا من والديك ﴿القول في تأويل قوله عز وجل (وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله) يعني بقوله جل ثناؤه وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله وما المتعلمون من الملكين هاروت وماروت ما يفرقون به بين المرء و زوجه بضارين بالذى تعلموه منهما من المعنى الذى يفرقون به بين المرء وزوجه من أحد من الناس الا من قد قضى الله عليه ان ذلك يضره فاما من رفع الله عنه ضره وحفظه من مكروه السحر والنفث والرقى فان ذلك غير ضاره ولا نائله أذاه وللاذن فى كلام العرب أوجه منها الامر على غير وجه الالزام وغير جائز أن يكون منه قوله وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله لان الله جل ثناؤه قد حرم التفريق بين المرء وحليلته بغير سحر فكيف به على وجه السحر على لسان الامة ومنه التخلية بين المأذون له والمخلى بينه و بينه ومنه العلم بالشئ يقال منه قد أذنت بهذا الامر اذا علمت به آذن به اذنا ومنه قول الحطيئة

ألا يا هند ان جددت وصلا * والا فاذنيني بانصرام

يعني فاعلميني ومنه قوله جل ثناؤه فاذنوا بحرب من الله وهذا هو معنى الآية كانه قال جل ثناؤه وماهم بضارين بالذى تعلموا من الملكين من أحد الا بعلم الله يعني بالذى سبق له فى علم الله انه يضره كما حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان فى قوله وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله قال بقضاء الله ﴿القول فى تأويل قوله (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) يعني بذلك جل ثناؤه و يتعلمون أى الناس الذين يتعلمون من الملكين ما أنزل عليهما من المعنى الذى يفرقون به بين المرء وزوجه يتعلمون منهما السحر الذى يضرهم فى دينهم ولا ينفعهم فى معادهم فاما فى العاجل فى الدنيا فانهم قد كانوا يكسبون به و يصيبون به معاشا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق) يعني بقوله جل ثناؤه ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق الفريق الذين لما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان فقال جل ثناؤه لقد علم النابذون من يهود بني اسرائيل كتابي وراء ظهورهم تجاهلا منهم التاركون العمل بما فيه من اتباعك يا محمد واتباع ما جئت به بعد انزالى اليك كتابي مصدقا لما معهم و بعد ارسالك اليهم بالاقرار بما معهم وما فى أيديهم المؤثرون عليه اتباع السحر الذى تلته الشياطين على عهد سليمان والذى أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت لمن اشترى السحر بكتابي الذى أنزلته على رسولى فآثره عليه ماله فى الآخرة من خلاق كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة

السين ابن ذكوان تشاها مهموزا ابن كثير وأبو عمرو غير أوقية وز وى أوقية بغير همز الباقون تشهامس الانساء نات بغير بغير همز أبو عمرو غير ابراهيم بن حماد و يزيد والاعشى و ورش وحمزة فى الوقف الباقون وابراهيم بن حماد بالهمز لانه جواب الشرط ومن شرطه ان يهمز كل ما كان نسقا أى عطفا على المجزوم أو جوابا للمجزوم كل القرآن مثل قوله عز وجل ان تصبروا وتتقوا و يأتوكم وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وأشباه ذلك فقد ضل بالاظهار حجازى غير ورش وعاصم غير الاعشى وكذلك يظهرون الدال عند الذال والظاء حيث وقعتا مثل قوله تعالى فقد ظلم ولقد ذرأنا وأشباه ذلك * الوقوف واسمعوا ط أليم ه من ربكم ط من يشاء ط العظيم ه أو مثلها ط قدير ه والارض ط ولا نصير ه ربع الجزء ومن قبل ط السبيل ه * التفسير لما شرح الله تعالى قبائح أفعال السلف من اليهود شرع فى قبائح أخلاق المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجدهم واجتهادهم فى القدح فيه والطعن فى دينه واعلم أن الله تعالى خاطب المؤمنين فى ثمانية وثمانين موضعا من القرآن قال ابن عباس وكان يخاطب فى التوراة بيا أيها المساكين فكانه سبحانه لما خاطبهم أولا بالمساكين أثبت لهم المسكنة آخرا حيث قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة وهذا يدل على انه تعالى لما خاطب هذه الامة بالايمان أولا فانه تعالى يعطيهم الامان من العذاب آخرا و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا سيما فان المؤمن اسم من أسمائه العظام ففيه دليل على أنه تعالى يقربهم منه فى دار السلام وقيل آمنوا على الغيبة نظرا الى الظاهر وهو الذين ولو قيل آمنتم نظرا الى النداء جاز من حيث العربية ثم انه لا يبعد فى الكلمتين المترادفتين ان يمنع الله من احداهما و يأذن فى الاخرى ومن هنا قال الشافعي لا تصح الصلاة بترجمة الفاتحة عربية كانت أو فارسية ولقد فلا يبعد ان يمنع الله من قول راعنا و يأذن فى قول انظرنا وان كانا مترادفين ولكن جمهور المفسرين على أنه تعالى انما منع من قول راعنا لاشتماله على مفسدة ثم ذكروا وجوها منها أن المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ من العلم راعنا يا رسول الله واليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه هذه الكلمة وهى راعينا ومعناها اسمع لا أسمعت كما صرح بذلك فى سورة النساء و يقولون

ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق يقول قد علم ذلك أهل الكتاب فى عهد الله اليهم ان الساحر لاخلاق له عند الله يوم القيامة حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق يعنى اليهود يقول لقد علمت اليهود ان من تعلمه أو اختاره ماله فى الآخرة من خلاق وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ان اشترى ما يفرق به بين المرء وزوجه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق قال قد علمت يهود أن فى كتاب الله فى التوراة ان من اشترى السحر وترك دين الله ماله فى الآخرة من خلاق فالنار مثواه ومأواه وأما قوله لمن اشتراه فان من فى موضع رفع وليس قوله ولقد علموا بعامل فيها لان قوله علموا بمعنى اليمين فلذلك كانت فى موضع رفع لان الكلام بمعنى والله لمن اشترى السحر ماله فى الآخرة من خلاق و يكون قوله قد علموا بمعنى اليمين خفعت ٧ بلام اليمين فقيل لمن اشتراه كما يقال اقسم لمن قام خير ممن قعد وكما يقال قد علمت لعمرو خير من أبيك وأما من فهو حرف جزاء وانما قيل اشتراه ولم يقل يشتره لدخول لام القسم على من ومن شأن العرب اذا أحدثت على حرف الجزاء لام القسم ان لا ينطقوا فى الفعل معه الا بفعل ودون يفعل الا قليلا كراهية ان يحدثوا على الجزاء حادثا وهو مجزوم كما قال الله جل ثناؤه لئن أخرجوا لا يخرجون معهم وقد يجوز اظهار فعله بعده على يفعل مجزوما كما قال الشاعر

لئن يك قد ضاقت عليكم بيوتكم * ليعلم ربى ان بيتى واسع

واختلف أهل التاويل فى تاويل قوله ماله فى الآخرة من خلاق فقال بعضهم الخلاق فى هذا الموضع النصيب ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد له فى الآخرة من خلاق يقول من نصيب حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ماله فى الآخرة من خلاق من نصيب حدثنى المثنى قال حدثنى اسحق قال ثنا وكيع قال سفيان سمعنا فى وماله فى الآخرة من خلاق انه ماله فى الآخرة من نصيب وقال بعضهم الخلاق ههنا الحجة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وماله فى الآخرة من خلاق قال ليس له فى الآخرة حجة وقال آخرون الخلاق الدين ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن ماله فى الآخرة من خلاق قال ليس له دين وقال آخرون الخلاق ههنا القوام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس ماله فى الآخرة من خلاق قال قوام وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال معنى الخلاق فى هذا الموضع النصيب وذلك ان ذلك معناه فى كلام العرب ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ليؤيدن الله هذا الدين باقوام لاخلاق لهم يعنى لانصيب لهم ولا حظ فى الاسلام والدين ومنه قول أمية بن أبى الصلت

يدعون بالويل فيها لاخلاق لهم * الا سرابيل من قطر واغلال

---

٧ هكذا بالاصل خفعت ولعل صوابه قرنت تامل اهـ

سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع و راعنا فان الجميع كانهم استقاربه فلما سمعوا المسلمين يقولون راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون السبة فنهى المؤمنون عنها وأمروا بلفظة أخرى وهى انظرنا وروى ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فنزلت ومنها قال قطرب هذه الكلمة وان كانت صحيحة المعنى الا أن أهل الحجاز كانوا يقولونها عند الهزء والسخرية فلاجرم نهى الله عنها وقيل ان اليهود كانوا يقولون راعينا أى أنت راعى غنمنا فنهاهم عنه وقيل ان هذه اللفظة لكونها من باب المفاعلة تدل على المساواة بين المتخاطبين كانهم قالوا ارعنا سمعك لنرعيك أسماعنا فنهوا عنه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقيل راعنا خطاب مع الاستعلاء أى راع كلامى ولا تغفل عنه ولا تشتغل بغيره وليس فى انظرنا الا سؤال الانتظار وقيل انها تشبه اسم الفاعل من الرعونة والحمق فيحتمل انهم أرادوا به المصدر كقولهم عائذا بك أى أعوذ عياذا فقولهم راعنا أى فعلت رعونة ويحتمل انهم أرادوا صرت راعنا أى ذا رعونة فلما كان هذه الوجوه الفاسدة نهى الله عنها وقيل المراد لا تقولوا قولا راعنا أى منسوبا الى الرعن كذارع ولابن ومنه قراءة الحسن راعنا بالتنوين وانظرنا من نظره اذا انتظره انظرونا نقتبس من نوركم أمرهم الله تعالى أن يسألوه صلى الله عليه وسلم الامهال لينقلوا عنه فلا يحتاجون الى الاستعادة كانهم قالوا له توقف فى كلامك و بيانك مقدار ما يصل الى أفهامنا وهذا القدر غير خارج عن قانون الادب فقد يلتمسه المتعلم حرصا منه على أن لا يفوت منه شئ من الفوائد وان كان المعلم غير مهمل دقائق التفهيم والارشاد من التثبت والتأنى والاعادة ان احتيج اليها ونحو ذلك وقيل انظرنا معناه انظر الينا مثل واختار موسى قومه أى من قومه والغرض أن المعلم اذا نظر الى المتعلم كانت افاضته عليه أظهر وأقوى وفى قراءة أبى انظرنا من النظرة أى أمهلنا حتى نحفظه واسمعوا معناه أحسنوا استماع كلام نبيكم باآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة أو اسمعوا سماع قبول وطاعة لا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا أو اسمعوا ما أمرتم به ولا ترجعوا الى ما نهيتم عنه من قول راعنا وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه عذاب أليم قوله ما يود الآية من الاولى للبيان

لان الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتأكيد النفي وقرئ ولا المشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير فان ينزل في سياق النفي فمعنى ما يود أن لا ينزل يود أن ينزل والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة أهم يقسمون رحمة ربك والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون أن لا ينزل عليكم شئ من الوحي ولا أثر لهذا الحسد فان الله يختص

بالنبوة من يشاء ولا يكون الا ما يشاء وما يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم الفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة والافضال الاحسان وفيه اشعار بان ايتاء النبوة من غاية الاحسان وانها رشحة من بحار كرمه ان فضله كان عليك كبيرا قوله عز من قائل ما ننسخ من آية نوع ثان من تقرير مطاعن اليهود خذلهم الله في الاسلام روى انهم قالوا ألا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وفي الآية مسائل الاولى النسخ لغة هو الازالة يقال نسخت الشمس الظل أي ازالته وهو النقل أيضا وهو ان يغير الشئ في صفته وحاله مع بقائه في نفسه ومنه نسخت الكتاب والمناسخات في المواريث لانتقال التركة من قوم الى قوم فقيل مشترك بينهما وقيل حقيقة في الاول مجاز في الثاني وقيل بالعكس وفي الاصطلاح هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر فيخرج المباح بحكم الاصل اذا ورد الشرع بضده رافعا لاباحته فانه لا يسمى نسخا اذ ليس رفع حكم شرعي ويخرج أيضا الرفع بالنوم والغفلة لان ذلك الرفع ليس بمجرد الدليل الشرعي وهو رفع عن أمتي الخطا والنسيان ونحوه بل يقتضيه العقل أيضا بخلاف الرفع نحو دعي الصلاة أيام أقرائك فانه لا مجال للعقل فيه ويخرج الرفع بنحو صم الى آخر الشهر فان الى وان أوجبت مخالفة حكم ما بعدها لما قبلها الا أنها لا تسمى نسخا لانه ليس متأخرا ويمكن أن يقال ان قيد متأخر انما ينبغي أن يذكر لان دليل النسخ لا يكون الا كذلك ونحو صم الى كذا وأمثاله من أنواع التخصيص متصلا كان أو منفصلا انما خرج بقيد الرفع لان رفع الحكم انما يكون بعد ارادة حصوله على المكلف والتخصيص ليس كذلك لان صورة التخصيص غير مرادة من اللفظ بل التخصيص مبين لمراد الشارع من العام ونعني بالحكم ههنا ما يتوجه الى المكلف بعد ان لم يكن فان

يعني بذلك لا نصيب لهم ولا حظ الا السرابيل والاغلال فكذلك قوله ماله في الآخرة من خلاق ماله في الدار الآخرة حظ من الجنة من أجل انه لم يكن له ايمان ولا دين ولا عمل صالح يجازى به في الجنة ويثاب عليه فيكون له حظ ونصيب من الجنة وانما قال جل ثناؤه ماله في الآخرة من خلاق فوصفه بانه لا نصيب له في الآخرة وهو يعني به لا نصيب له من جزاء وثواب وجنة دون نصيبه من النار اذ كان قد دل ذمه جل ثناؤه أفعالهم التي نفى من أجلها ان يكون لهم في الآخرة نصيب على مراده من الخبر وانه انما يعني بذلك انه لا نصيب له فيها من الخيرات وأما من الشرور فان لهم فيها نصيبا ﴿القول في تأويل قوله تعالى (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) قال أبو جعفر رحمه الله قد دللنا فيما مضى قبل على ان معنى شروا باعوا فمعنى الكلام اذا ولبئس ما باع به نفسه من تعلم السحر لو كان يعلم سوء عاقبته كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ولبئس ما شروا به أنفسهم يقول بئس ما باعوا به أنفسهم فان قال لنا قائل وكيف قال جل ثناؤه ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون وقد قال قبل ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق فكيف يكونون عالمين بان من تعلم السحر فلا خلاق له وهم يجهلون انهم بئس ما شروا بالسحر أنفسهم قيل ان معنى ذلك على غير الوجه الذي توهمته من انهم موصوفون بالجهل بما هم موصوفون بالعلم به ولكن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم وانما معنى الكلام وما هم ضارون به من أحد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق فقوله لبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ذم من الله تعالى ذكره فعل المتعلمين من الملكين التفريق بين المرء وزوجه وخبر منه جل ثناؤه عنهم انهم بئس ما شروا به أنفسهم برضاهم بالسحر عوضا عن دينهم الذي به نجاة أنفسهم من الهلكة جهلا منهم بسوء عاقبة فعلهم وخسارة صفقة بيعهم اذ كان قد يتعلم ذلك منهما من لا يعرف الله ولا يعرف حلاله وحرامه وأمره ونهيه ثم عاد الى الفريق الذين أخبر الله عنهم انهم نبذوا كتابه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما أنزل على الملكين فاخبر عنهم انهم قد علموا ان من اشترى السحر ماله في الآخرة من خلاق ووصفهم بانهم يركبون معاصي الله على علم منهم بها ويكفرون بالله ورسله ويؤثرون اتباع الشياطين والعمل بما أحدثته من السحر على العمل بكتابه ووحيه وتنزيله عنادا منهم وبغيا على رسله وتعديا منهم لحدوده على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك عند الله من العقاب والعذاب فذلك تأويل قوله وقد زعم بعض الزاعمين ان قوله ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق يعني به الشياطين وان قوله لو كانوا يعلمون يعني به الناس وذلك قول لجميع أهل التأويل مخالف وذلك انهم مجمعون على ان قوله ولقد علموا لمن اشتراه معني به اليهود دون الشياطين ثم هو مع ذلك خلاف ما دل عليه التنزيل لان الآيات قبل قوله ولقد علموا لمن اشتراه وبعد قوله لو كانوا يعلمون جاءت من الله بذم اليهود وتوبيخهم على ضلالهم وذما لهم على نبذهم وحي الله وآيات كتابه وراء ظهورهم مع علمهم بخطأ فعلهم فقوله ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق أحد تلك الاخبار عنهم وقال بعضهم ان الذين وصف الله جل ثناؤه بقوله ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون فنفى عنهم العلم هم الذين

وصفهم

الوجوب المشروط بالعقل الذي هو مناط التكليف لم يكن حاصلا عند انتفاء العقل والموقوف على الحادث حادث واذا كان المراد بالحكم هذا فلا يرد قول المعتزلة الحكم عندكم قديم فكيف يرتفع وذلك انا عنينا بالحكم تعلق الخطاب بعد ما لم يتعلق وهذا محدث يرتفع وأيضا نقطع بانه اذا ثبت تحريم شيء بعد وجوبه انتفى الوجوب الثابت أولا وهو المعنى بالرفع ويحسن أيضا أن يقال النسخ بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ فيخرج بقولنا شرعي بيان انتهاء حكم عقلي كالبراءة الاصلية وبطريق شرعي يخرج به بيان انتهاء الحكم الشرعي بطريق عقلي كانتساخ القيام عمن ينكسر رجله وقولنا متراخ ليخرج التخصيص بالغاية ومن هذا يعلم تعريف الناسخ والمنسوخ ومعنى بيان انتهاء الحكم ان الخطاب السابق له غاية في علم الله تعالى فاذا انتهى الى تلك الغاية زال بذاته ثم ورد الخطاب اللاحق بيانا لذلك * المسئلة الثانية انعقد الاجماع من أكثر أرباب الشرائع ومن المسلمين خاصة على جواز النسخ عقلا وعلى الوقوع شرعا وخالف اليهود في الجواز وأبو مسلم الاصفهاني من المسلمين في الوقوع لا الجواز لنا القطع بالجواز ضرورة فان له تعالى ان يفعل ما يشاء كما يشاء من غير النظر الى حكمة ومصلحة وان اعتبرت المصالح فالقطع ان المصلحة قد تختلف باختلاف الاوقات فهذا ما يدل على جواز النسخ وفي التوراة انه أمر آدم بتزويج بناته من بنيه وقد حرم ذلك في شريعة من بعده باتفاق وهذا ما يدل على وقوعه وكيف لا وقد ثبت بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبصحة نبوته يلزم نسخ شرع من قبله ولم يكن لليهود والنصارى نص صريح يعلم منه أمد شرعهم على التعيين حتى يلزم ان يكون شرع نبينا انتهاء غاية لا نسخا حجة اليهود لو نسخت شريعة موسى لبطل قول موسى المتواتر هذه شريعة مؤبدة عليكم ما دامت السموات والارض وأيضا ان كان نسخ الحكم الشرعي لحكمة ظهرت له تعالى لم تكن ظاهرة فهو البداء والا فعبث وكلاهما محال على الله تعالى اذ البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء والعبث فعل لا يستتبع غاية والجواب عن الاول المنع من أنه قول موسى عليه السلام ويؤكده أنه لو كان هذا القول صحيحا عندهم لقضت العادة بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولحاجوه بذلك لكن اليهود لم يتمسكوا به في عهده فدل ذلك على انه افك افتراه المتأخرون منهم

وصفهم الله بقوله ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق وانما نفى عنهم جل ثناؤه العلم بقوله لو كانوا يعلمون بعد وصفه اياهم بانهم قد علموا بقوله ولقد علموا من أجل انهم لم يعملوا بما علموا وانما العالم العامل بعلمه وأما اذا خالف عمله علمه فهو في معاني الجهال قال وقد يقال للفاعل الفعل بخلاف ما ينبغي ان يفعل وان كان بفعله عالما لو علمت لاقتصرت كما قال كعب بن زهير المزني وهو يصف ذئبا وغرابا تبعاه لينالا من طعامه وزاده

اذا حضراني قلت لو تعلمانه * ألم تعلما أني من الزاد مرمل

فاخبر انه قال لهما لو تعلمانه فنفى عنهما العلم ثم استخبرهما فقال ألم تعلما قالوا فكذلك قوله ولقد علموا لمن اشتراه ولو كانوا يعلمون وهذا تأويل وان كان له مخرج ووجه فانه خلاف الظاهر المفهوم بنفس الخطاب أعني بقوله ولقد علموا وقوله لو كانوا يعلمون وانما هو استخراج وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر الخطاب دون الخفي الباطن منه حتى تأتي دلالة من الوجه الذي يجب التسليم له بمعنى خلاف دليله الظاهر المتعارف في أهل اللسان الذين بلسانهم نزل القرآن أولى ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) يعني جل ثناؤه بقوله ولو أنهم آمنوا واتقوا لو ان الذين يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه آمنوا فصدقوا الله ورسوله وما جاءهم به من عند ربهم واتقوا ربهم فخافوه فخافوا عقابه فاطاعوه باداء فرائضه وتجنبوا معاصيه لكان جزاء الله اياهم وثوابه لهم على ايمانهم به وتقواهم اياه خيرا لهم من السحر وما اكتسبوا به لو كانوا يعلمون ان ثواب الله اياهم على ذلك خير لهم من السحر ومما اكتسبوا به وانما نفى بقوله لو كانوا يعلمون العلم عنهم ان يكونوا عالمين بمبلغ ثواب الله وقدر جزائه على طاعته والمثوبة في كلام العرب مصدر من قول القائل أثبتك اثابة وثوابا ومثوبة فاصل ذلك من ثاب اليك الشيء بمعنى رجع ثم يقال اثبته اليك أي رجعته اليك ورددته فكان معنى اثابة الرجل الرجل على الهدية وغيرها ارجاعه اليها منها بدلا ورده عليه منها عوضا ثم جعل كل معوض غيره من عمله أو هديته أو يد له سلفت منه اليه مثيبا له ومنه ثواب الله عز وجل عباده على أعمالهم بمعنى اعطائه اياهم العوض والجزاء عليه حتى يرجع اليهم بدل من عملهم الذي عملوا له وقد زعم بعض نحويي البصرة ان قوله ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير مما اكتفى بدلالة الكلام على معناه عن ذكر جوابه وان معناه ولو انهم آمنوا واتقوا لاثيبوا ولكنه استغنى بدلالة الخبر عن المثوبة عن قوله لاثيبوا وكان بعض نحويي أهل البصرة ينكر ذلك ويرى ان جواب قوله ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة وان لمثوبة انما أجيبت بالمثوبة وان كانت أخبر عنها بالماضي من الفعل لتقارب معناه من معنى لئن في انهما جزاآن فانهما جوابان للايمان فادخل جواب كل واحدة منهما على صاحبتها فاجيبت لو بجواب لئن ولئن بجواب لو لذلك وان اختلفت أجوبتهما فكانت لو من حكمها وحظها ان تجاب بالماضي من الفعل وكانت لئن من حكمها وحظها بالمستقبل من الفعل لما وصفنا من تقاربهما فكان يتأول معنى قوله ولو انهم آمنوا واتقوا ولئن آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير وبما قلنا في تأويل المثوبة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لمثوبة من

وعن الثانى بعد تسليم اعتبار المصالح انها تختلف باختلاف الازمان والاحوال كمنفعة شرب دواء فى حال وضرره فى آخر بل الزمان الممتد من الازل الى الابد قد وزع أجزاؤه فيما لم يزل على الجزئيات الواقعة فيها الصادرة شيأ فشيأ بحسب وقت وقت لا لمصلحة تعود اليه تعالى بل لما هو أصلح بالنسبة الى المتزمنات فالظهور والخفاء والسابق واللاحق والاعدام والايجاد كلها بالنسبة الينا وأما بالنسبة الى حضرة الواجب جل ذكره فقد جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين (٣٥٤) والحاصل ان كل حكم فله غاية فى علم الله تعالى ولكن قد يظن المكلف استمراره فى الاستقبال من قرائن الاحوال فاذا ورد ما يبين أمده ونص له على زواله فذلك الوارد ناسخ والاول منسوخ والورود نسخ وكل هذه التجددات بالنسبة الى المكلف وأما بالاضافة اليه تعالى فكل من الحكمين موجود فى وقته الذى قدر له فيه الظهور متقدما أحدهما ومتأخرا الآخر وليس هذا فى الاحكام فقط وانما ذلك فى كل حادث فمن تأمل نسخة الوجود ونسب الحوادث المتفاوتة بعضها الى بعض بالتقدم والتأخر والمعية وجد وجوداتها المترتبة أشبه شئ بكتاب يقرأ القارئ سطرا بعد سطر وكلمة تلو كلمة اذا انقضى مجموع من ذلك تلاه مجموع آخر حسبما رتبه الحكيم العليم بمباديه ومقاطعه فالمنقضى فى حكم المحو والتالى فى حكم الاثبات والهيئة الاجماعية بدون اعتبار التلاوة المستلزمة لانقضاء شئ وظهور ما يعقبه هى أم الكتاب وهذا سر قوله عز من قائل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ولك ان تعبر عن المجموع الدفعى بالقضاء وعن ظهوره التدريجى بالقدر وفى هذا القدر كفاية للفطن المستبصر * المسئلة الثالثة اتفقوا على وقوع النسخ فى القرآن بوجوه أحدها هذه الآية أعنى ما ننسخ من آية وأجاب أبو مسلم بان المراد بالآيات المنسوخة الشرائع التى فى الكتب القديمة من التوراة والانجيل كالسبت والصلاة الى المشرق والمغرب مما وضعه
منهم
الله عنا وتعبدنا بغيره فان اليهود والنصارى كانوا يقولون لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فابطل الله ذلك عليهم بهذه الآية وأيضا لعل المراد من النسخ نقله من اللوح المحفوظ وتحويله عنه الى سائر الكتب وأيضا ان ما ههنا يفيد الشرط والجزاء وكما أن قولك من جاءك فاكرمه لا يدل على حصول المجئ بل على انه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه الآية لا تدل على حصول النسخ بل على أنه متى حصل النسخ وجب أن يأتى

عند الله يقول ثواب من عند الله حدثنى يونس قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ولو انهم آمنوا واتقوا المثوبة من عند الله أما المثوبة فهو الثواب حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ولو أنهم آمنوا واتقوا المثوبة من عند الله خير يقول الثواب من عند الله

القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لا تقولوا راعنا فقال بعضهم تأويله لا تقولوا خلافا * ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء فى قوله لا تقولوا راعنا قال لا تقولوا خلافا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى بن أبى نجيح عن مجاهد لا تقولوا راعنا لا تقولوا خلافا وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن رجل عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد مثله وقال آخرون تأويله ارعنا سمعك أى اسمع منا ونسمع منك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله راعنا أى ارعنا سمعك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله جل وعز يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك وحدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله راعنا قال كان الرجل من المشركين يقول ارعنى سمعك ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نهى الله المؤمنين أن يقولوا راعنا فقال بعضهم هى كلمة كانت اليهود تقولها على وجه الاستهزاء والمسبة فنهى الله تعالى ذكره المؤمنين ان يقولوا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قول كانت تقوله اليهود استهزاء فزجر الله المؤمنين ان يقولوا كقولهم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أحمد بن الزبيرى عن فضيل بن مرزوق عن عطية لا تقولوا راعنا قال كان أناس من اليهود يقولون ارعنا سمعك حتى قالها اناس من المسلمين فكره الله لهم ما قالت اليهود فقال يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا كما قالت اليهود والنصارى حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا قال كانوا يقولون راعنا سمعك فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك مستهزئين فقال الله لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وحدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله لا تقولوا راعنا قال كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم راعنا سمعك وانما راعنا كقولك عاطنا وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا قال راعنا القول الذى قاله القوم قالوا سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين قال قال هذا الراعن والراعن الخطاء قال فقال للمؤمنين لا تقولوا خطاء كما قال القوم وقولوا انظرنا واسمعوا قال كانوا ينظرون الى النبى صلى الله عليه وسلم ويكلمونه ويسمع

منهم ويسألونه ويجيبهم وقال آخرون بل هى كلمة كانت الانصار فى الجاهلية تقولها فنهاهم الله فى الاسلام ان يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنى هشيم قال أخبرنا عبد الرزاق عن عطاء فى قوله لا تقولوا راعنا قال كانت لغة فى الانصار فى الجاهلية فنزلت هذه الآية لا تقولوا راعنا ولكن قولوا انظرنا الى آخر الآية حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء قال لا تقولوا راعنا قال كانت لغة فى الانصار حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء مثله وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية فى قوله لا تقولوا راعنا قال ان مشركى العرب كانوا اذا حدث بعضهم بعضا يقول أحدهم لصاحبه ارعنى سمعك فنهوا عن ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج راعنا قول الساخر فنهاهم ان يسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل كان ذلك كلام يهودى من اليهود بعينه يقال له رفاعة بن زيد كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم به على وجه السب له وكان المسلمون أخذوا ذلك عنه فنهى الله المؤمنين عن قيله للنبى صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا كان رجل من اليهود من قبيلة من اليهود يقال لهم بنو قينقاع كان يدعى رفاعة بن زيد بن السائب قال أبو جعفر هذا خطأ انما هو ابن التابوت ليس ابن السائب كان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فاذا لقيه فكلمه فقال ارعنى سمعك واسمع غير مسمع فكان المسلمون يحسبون ان الانبياء كانت تفخم بهذا فكان ناس منهم يقولون اسمع غير مسمع كقولك اسمع غير صاغر وهى التى فى النساء من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين يقول انما يريد بقوله طعنا فى الدين ثم تقدم الى المؤمنين فقال لا تقولوا راعنا والصواب من القول فى نهى الله جل ثناؤه المؤمنين ان يقولوا لنبيه راعنا ان يقال انها كلمة كرهها الله لهم ان يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم نظير الذى ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا الحبلة ولا تقولوا عبدى ولكن قولوا فتاى وما أشبه ذلك من الكلمتين اللتين تكونان مستعملتين بمعنى واحد فى كلام العرب فتأتى الكراهة أو النهى باستعمال أحدهما واختيار الاخرى عليها فى المخاطبات فان قال لنا قائل فانا قد علمنا معنى نهى النبى صلى الله عليه وسلم فى العنب ان يقال له كرم وفى العبد ان يقال له عبد فما المعنى الذى فى قوله راعنا حينئذ الذى من أجله كان النهى من الله جل ثناؤه للمؤمنين عن ان يقولوه حتى أمرهم ان يؤثروا قوله انظرنا قيل الذى فيه من ذلك نظير الذى فى قول القائل الكرم للعنب والعبد للمملوك وذلك ان قول القائل عبدى ٧ لجميع عباد الله فكره النبى صلى الله عليه وسلم ان يضاف بعض عباد الله بمعنى العبودية الى غير الله وأمر ان يضاف ذلك الى غيره بغير المعنى الذى يضاف الى الله عز وجل فيقال فتى الله ٧ وكذلك وجه نهيه فى العنب ان يقال كرم خوفا من توهم وصفه بالكرم وان كانت مسكنة فان العرب قد تسكن بعض الحركات اذا تتابعت على نوع واحد فكره ان يتصف بذلك

٧ هكذا هو بالاصل وبعده بياض ولعل صوابه فتاى ولا داعى للبياض تامل اهـ مصححه

بما هو خير منه وثانيها الاعتداد بالحول فى قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول نسخ بأربعة أشهر وعشر فى قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا أجاب أبو مسلم بأن الاعتداد بالحول ما زال بالكلية لانها لو كانت حاملا ومدة حملها حول كامل لكانت عدتها حولا كاملا واذا بقى هذا الحكم فى بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا نسخا ورد بأن عدة الحمل تنقضى بوضع الحمل سواء حصل وضع الحمل أو أقل بسنة أو أكثر فجعل السنة مدة للعدة يكون زائلا بالكلية وثالثها اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة منسوخة بالاتفاق أجاب بأنه زال لزوال سببه لان سبب التعبد بها أن يمتاز المنافقون عن المؤمنين ورد بأنه يلزم منه أن من لم يتصدق كان منافقا وهو باطل لما روى أنه لم يتصدق غير على عليه السلام وبدليل فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ورابعها الامر بثبات الواحد للعشرة فى قوله فان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ثم نسخ ذلك بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وخامسها تحويل القبلة قال أبو مسلم حكم تلك القبلة ما زال بالكلية لجواز التوجه اليها عند الاشكال أو مع العلم اذا كان هناك عذر ورد بأن بيت المقدس وسائر الجهات فى ذلك سواء وسادسها واذا بدلنا آية مكان آية والتبديل يشتمل على رفع واثبات والمرفوع اما التلاوة واما الحكم وكيفما كان فهو رفع ونسخ فهذه الدلائل وأمثالها تدل على وقوع النسخ فى الجملة حجة أبى مسلم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والجواب ان الضمير للمجموع وأيضا نسخه بالنسبة الى المكلف لا ينافى حقيته فى نفسه وكونه قرآنا عربيا * المسئلة الرابعة المنسوخ اما أن يكون هو الحكم فقط كالآيات المعدودة أو التلاوة فقط كما روى عن عمر انه قال كنا نقرأ آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وروى لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب أو الحكم والتلاوة معا كما روى عن عائشة كان فيما أنزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعا والخمس مرفوع التلاوة باقى الحكم

وروى ان سورة الاحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال أو أزيد ثم وقع النقصان ولنرجع الى تفسير الآية فانسخ محمول على نسخ الحكم وان التعدون التلاوة أو ننسها على نسخ الحكم والتلاوة جميعا وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بان تخرج من جملة مايتلى ويقرأ فى الصلاة أو يحتج به فاذا زال حكم التعبد به وطال العهد نسى وان ذكر فعلى طريق مايذكر خبر الواحد فتصير بهذا الوجه منسية من الصدور أو يكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم كما (٣٥٦) يروى انهم كانوا يقرؤن السورة فيصبحون وقد نسوها قال عزمن قائل سنقرئك فلا تنسى الاماشاء الله وانساخ الآية الامر بنسخها وهو أن يامر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها او نسؤها تاخيرها واذهابها لاالى بدل وقيل ما ننسخ من آية أى نبدلها اما بان نبدل حكمها فقط وتلاوتها فقط أو نبدلهما أو ننسها نتركها كما كانت ولا نبدلها لان النسيان قد يجىء بمعنى الترك وقيل ماننسخ من آية نما رفعها بعد انزالها أو ننسئها بالهمزة نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ أو نؤخر نسخها فلا ننسخها فى الحال فاما نزل بدلها ما يقوم مقامها فى المصلحة ولا يخفى أن قوله نات بخير منها أو مثلها لا ينطبق على هذين القولين كما ينبغى ومعنى الآية عند جمهور المفسرين آية القرآن وعند أبى مسلم التوراة والانجيل كما مر وقد عرفت انه يمكن حملها على معنى أعم فكل مجموع من الوجود فى كل زمان من الازمنة آية من صحيفة المخلوقات وكل فرد من ذات المجموع كلمة من كلمات الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى ومعنى نات بخير منها أومثلها ان حملنا الآية على ما يتضمن حكما على المكلف ان الثانى أخف أو أصلح بالنسبة الى وقته كما أن الاول كان أصلح بالاضافة الى وقته فالثانى خير بالنسبة الى وقته ومثل الاول بالنسبة الى وقته أو يراد أن العمل بالثانى أكثر ثوابا من العمل بالاول مساوله فكل منهما قد تقتضيه الحكمة دون ماهو أقل ثوابا وان حملنا الآية على غير ذلك فيتعين الاصلح قال أهل الاشارة زاد بالنسخ نقل السالك وترقيه من حال الى حال أعلى منه وان غصن استكمالهم أبدا ناضر ونجم وصالهم دائم زاهر فلا ينسخ من آثار عباداتهم شئ الا أبدل منها أشياء من أنوار العبودية ولا ينسخ شئ من أنوار العبودية الا أقيم مكانها أشياء من أقمار الربوبية وأيضا انهم يشاهدون بعض الوقائع الشريفة فى الصور اللطيفة كسبتها المتخيلة بحسب صفاء الوقت وعلو المقام

العنت فكذلك نهى الله عز وجل المؤمنين ان يقولوا راعنا لما كان قول القائل راعنا محتملا ان يكون بمعنى احفظنا ونحفظك وارقبنا ونرقبك من قول العرب بعضهم لبعض رعاك الله بمعنى حفظك الله وكلأك ومحتملا ان يكون بمعنى ارعنا سمعك من قولهم ارعيت سمعى ارعاء أو راعيته سمعى رعاء أو مراعاة بمعنى فرغته لسماع كلامه كما قال الاعشى ميمون بن قيس

يرعى الى قول سادات الرجال اذا * أبدوا له الحزم أو ماشاءه ابتدعا

يعنى بقوله يرعى يصغى بسمعه اليه مفرغه لذلك وكان الله جل ثناؤه قد أمر المؤمنين بتوقير نبيه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه حتى نهاهم جل ذكره فيمانهاهم عنه عن رفع أصواتهم فوق صوته وان يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض وخوفهم على ذلك حبوط أعمالهم فتقدم اليهم بالزجر لهم عن أن يقولوا له من القول ما فيه جفاء وأمرهم ان يتخيروا لخطابه من الالفاظ احسنها ومن المعانى أرقها فكان من ذلك قولهم راعنا لما فيه من احتمال معنى ارعنا نرعاك اذ كانت المفاعلة لا تكون الا من اثنين كما يقول القائل عاطنا وحادثنا وجالسنا بمعنى افعل بنا نفعل بك ومعنى ارعنا سمعك حتى نفهمك وتفهم عنا فنهى الله تعالى ذكره أصحاب محمد أن يقولوا ذلك كذلك وان يفردوا مسالته بانتظارهم وامهالهم ليعقلوا عنه بتبجيل منهم له وتعظيم وان لايسالوه ماسالوه من ذلك على وجه الجفاء والتجهم منهم له ولا بالفظاظة والغلظة تشبها منهم باليهود فى خطابهم نبى الله صلى الله عليه وسلم بقولهم له اسمع غير مسمع وراعنا يدل على صحة ماقلنا فى ذلك قوله مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم فدل بذلك ان الذى عاتبهم عليه مما يسر اليهود والمشركين فاما التاويل الذى حكى عن مجاهد فى قوله راعنا انه بمعنى خلافا فمالا يعقل فى كلام العرب لان راعيت فى كلام العرب انما هو على أحد وجهين أحدهما بمعنى فاعلت من الرعية وهى الرقبة والكلاءة والآخر بمعنى افراغ السمع بمعنى أرعيته سمعى وأما راعيت بمعنى خالفت فلا وجه له مفهوم فى كلام العرب الا أن يكون قرأ ذلك بالتنوين ثم وجهه الى معنى الرعونة والجهل والخطا على النحو الذى قال فى ذلك عبد الرحمن بن زيد فيكون لذلك وان كان مخالفا قراءة القرآن معنى مفهوم حينئذ وأما القول الآخر الذى حكى عن عطية ومن حكى ذلك عنه ان قوله راعنا كانت كلمة لليهود بمعنى السب والسخرية فاستعملها المؤمنون أخذا منهم ذلك عنهم فان ذلك غير جائز فى صفة المؤمنين ان ياخذوا من كلام أهل الشرك كلاما لايعرفون معناه ثم يستعملونه بينهم وفى خطاب نبيهم صلى الله عليه وسلم ولكنه جائز ان يكون ذلك مماروى عن قتادة انها كانت كلمة صحيحة مفهومة من كلام العرب وافقت كلمة من كلام اليهود بغير اللسان العربى هى عند اليهود سب وهى عند العرب ارعنى سمعك وفرغه لتفهم عنى فعلم الله جل ثناؤه معنى اليهود فى قيلهم ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وان معناها منهم خلاف معناها فى كلام العرب فنهى الله عز وجل المؤمنين عن قيلها النبى صلى الله عليه وسلم لئلا يجترئ من كان معناه فى ذلك غير معنى المؤمنين فيه أن يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم به وهذا تاويل لم يات الخبر بانه كذلك من الوجه الذى تقوم به الحجة واذ كان ذلك كذلك فالذى هو أولى بتاويل الآية ماوصفنا اذ كان ذلك هو الظاهر المفهوم بالآية دون غيره وقد حكى عن الحسن البصرى انه كان يقرؤه ولا تقولوا

راعنا

فلما ارتقوا الى مقام آخر لايشاهدون ذلك بتلك المشاهدة فظن السالك الغر انه حجب عن ذلك المقام أو الحال فقيل ما ننسخ من آية من آيات المقامات أو ننسها بان نمحوها من ادراك الخيال نأت بخير من تلك المشاهدة أو مثلها ثم الائمة استنبطوا من الآية مسائل الاولى زعم قوم أنه لا يجوز نسخ الحكم الا الى بدل لقوله نأت بخير منها أو مثلها والجمهور على خلافه لان الآية لا تدل الا على وجوب الاتيان بآية أخرى أما على وجوب الاتيان بحكم آخر فلا سلمنا لكنه مخصوص بنسخ تقديم الصدقة بين يدى النجوى وبنسخ وجوب الامساك بعد الفطر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا يجوز أن يكون ذلك البدل عدم الحكم الذى رفع بالنسخ ويكون نسخه بغير بدل وجودى خيرا للمكلف لمصلحة علمت الثانية زعم قوم أن النسخ لا يجوز بالاثقل لان الاثقل لا يكون خيرا منه ولا مثله ورد الجمهور عليهم بان المراد كثرة الثواب وذلك لا ينافى كونه أثقل أجرك على قدر نصبك وأيضا قد وقع كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم حتما وصوم عاشوراء برمضان والحبس فى البيوت للزانى بالحد وأما النسخ الى الاخف فكنسخ العدة من الحول الى أربعة أشهر وعشر وكنسخ صلاة الليل الى التخيير فيها وأما نسخ الشئ الى المثل فكالتحويل من بيت المقدس الى الكعبة الثالثة عن الشافعى أن الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله نأت بخير منها وذلك يدل على أن المأتى من جنسه كما اذا قال الانسان ما آخذ منك من ثوب آتك بخير منه يفيد انه يأتيه بثوب من جنسه خير منه وجنس القرآن قرآن وأيضا نأت يدل على أن الآتى هو الله لا الرسول وأيضا المأتى به خير والسنة لا تكون خيرا من القرآن وأيضا قوله ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير دل على أن الآتى بذلك الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى تصريف المكلف تحت مشيئته وارادته لا دافع لما أراد ولا مانع لما شاء وذلك هو الله تعالى وأجيب بان قوله نأت بخير منها ليس فيه ان ذلك الخير يجب أن يكون ناسخا بل لا يمتنع أن يكون ذلك الخير شيأ مغايرا للناسخ يحصل بعد حصول النسخ يدل ذلك أن الاتيان بذلك الخير مرتب على نسخ الآية الاولى فلو كان نسخ تلك الآية مرتبا على الاتيان بذلك الخير لزم الدور قالت ويمكن دفع الدور بان يقال المراد ما نرد نسخها من آية نأت بخير منها حتى ننسخها ثم احتج الجمهور على وقوع نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله ألا لا وصية لوارث وبان آية الجلد صارت منسوخة بخبر الرجم أجاب الشافعى بان كونه

راعنا بالتنوين بمعنى لا تقولوا قولا راعنا من الرعونة وهى الحمق والجهل وهذه قراءة لقراءة المسلمين مخالفة غير جائز لاحد القراءة بها لشذوذها وخروجها من قراءة المتقدمين والمتأخرين وخلافها ما جاءت به الحجة من المسلمين ومن نون راعنا نونه بقوله لا تقولوا لانه حينئذ عامل فيه ومن لم ينونه فانه ترك تنوينه لانه أمر محكى لان القوم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم راعنا بمعنى مسئلته اما أن يرعيهم سمعه واما أن يرعاهم ويرقبهم على ما قد بينت فيما قد مضى فقيل لهم لا تقولوا فى مسئلتكم اياه راعنا فتكون الدلالة على معنى الامر فى راعنا حينئذ سقوط الياء التى كانت تكون فى يراعيه ويدل عليها أعنى على الياء الساقطة كسرة العين من راعنا وقد ذكر ان قراءة ابن مسعود لا تقولوا راعونا بمعنى حكاية أمر صالحة لجماعة براعاتهم فان كان ذلك من قراءته صحيحا وجه أن يكون القوم كانهم نهوا عن استعمال ذلك بينهم فى خطاب بعضهم بعضا كان خطابهم للنبى صلى الله عليه وسلم أو لغيره ولا نعلم ذلك صحيحا من الوجه الذى تصح منه الاخبار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقولوا انظرنا) يعنى بقوله جل ثناؤه وقولوا انظرنا وقولوا أيها المؤمنون لنبيكم صلى الله عليه وسلم انظرنا وارقبنا نفهم ونتبين ما تقول لنا وتعلمنا كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقولوا انظرنا فهمنا بين لنا يا محمد حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقولوا انظرنا فهمنا بين لنا يا محمد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله يقال منه نظرت الرجل انظره نظرة بمعنى انتظرته ورقبته ومنه قول الحطيئة

٧ وقد نظرتكم اتباعا بينة للخمس * طال بها حوزى وهساسى

ومنه قول الله عز وجل يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم يعنى به انتظرونا وقد قرئ انظرنا بقطع الالف فى الموضعين جميعا فمن قرأ ذلك كذلك أراد أخرنا كما قال الله جل ثناؤه قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون أى أخرنى ولا وجه لقراءة ذلك كذلك فى هذا الموضع لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أمروا بالدنو من رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستماع منه والطاف الخطاب له وخفض الجناح لا بالتأخير عنه ولا بمسألته تأخيرهم عنه فالصواب ان كان ذلك كذلك من القراءة قراءة من وصل الالف من قوله انظرنا ولم يقطعها بمعنى انتظرنا وقد قيل ان معنى أنظرنا بقطع الالف بمعنى امهلنا حكى عن بعض العرب سماعا انظرنى أكلمك وذكر سامع ذلك من بعضهم انه استثبته فى معناه فاخبره انه أراد امهلنى فان يكن ذلك صحيحا عنهم فانظرنا وأنظرنا بقطع الالف ووصلها متقاربا المعنى غير أن الامر وان كان كذلك فان القراءة التى لا أستجيز غيرها قراءة من قرأ وقولوا انظرنا بوصل الالف بمعنى انتظرنا لاجماع الحجة على تصويبها ورفضهم غيرها من القراآت ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) يعنى بقوله جل ثناؤه واسمعوا ما يقال لكم ويتلى عليكم من كتاب ربكم وعوه وافهموه كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى واسمعوا ما يقال لكم فمعنى الآية اذا يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا لنبيكم راعنا سمعك وفرغه لنا تفهمنا وتفهم عنا ما نقول ولكن قولوا انتظرنا وترقبنا حتى نفهم عنك ما تعلمنا

---

٧ هكذا هذا البيت بالاصل ولعل فيه تحريفا فلينظر اهـ مصححه

و تبينه لنا واسمعوا منه ما يقول لكم دعوه واحفظوه وافهموه ثم أخبرهم جل ثناؤه ان لمن جحدهم ومن غيرهم آياته وخالف أمره ونهيه وكذب رسوله العذاب الموجع في الآخرة فقال وللكافرين بي وبرسولي عذاب أليم يعني بقوله الاليم الموجع وقد ذكرنا الدلالة على ذلك فيما مضى قبل وما فيه من الآثار ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) يعني بقوله ما يود ما يحب أي ليس يحب كثير من أهل الكتاب يقال منه ود فلان كذا يوده ودا وودا ومودة وأما المشركون فانهم في موضع خفض بالعطف على أهل الكتاب ومعنى الكلام ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم وأما ان في قوله أن ينزل فنصب بقوله يود وقد دللنا على وجه دخول من في قوله من خير وما أشبه ذلك من الكلام الذي يكون في أوله جحد فيما مضى فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع فتأويل الكلام ما يحب الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الاوثان أن ينزل عليكم من الخير الذي كان عند الله ينزله عليهم فتمنى المشركون وكفرة أهل الكتاب أن لا ينزل الله عليهم الفرقان وما أوحاه الى محمد صلى الله عليه وسلم من حكمه وآياته وانما أحبت اليهود واتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وفي هذه الآية دلالة بينة على ان الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون الى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين والاستماع من قولهم وقبول شئ مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم باطلاعه جل ثناؤه اياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد وان أظهروا بالسنتهم خلاف ما هم مستبطنون ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يعني بقوله جل ثناؤه يختص برحمته من يشاء والله يختص من شاء بنبوته ورسالته فيرسله الى من يشاء من خلقه فيتفضل بالايمان على من أحب فيهديه له واختصاصه اياهم بها افرادهم بها دون غيرهم من خلقه وانما جعل الله رسالته الى من أرسل اليه من خلقه وهدايته من هدى من عباده رحمة منه له ليصيره بها الى رضاه ومحبته وفوزه بها بالجنة واستحقاقه بها ثناءه وكل ذلك رحمة من الله له وأما قوله والله ذو الفضل العظيم فانه خبر من الله جل ثناؤه عن ان كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه من عنده ابتداء وتفضلا منه عليهم من غير استحقاق منهم ذلك عليه وفي قوله والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم تعريض من الله تعالى ذكره باهل الكتاب ان الذي أتى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به من أهل الهداية تفضلا منه وان نعمه لا تدرك بالاماني ولكنها مواهب منه يختص بها من يشاء من خلقه ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (ما ننسخ من آية) يعني جل ثناؤه بقوله ما ننسخ من آية الى فنبدله ونغيره غيره وذلك ان يحول الحلال حراما والحرام حلالا والمباح محظورا والمحظور مباحا ولا يكون ذلك الا في الامر والنهي والحظر والاطلاق والمنع والاباحة فاما الاخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ وأصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة الى أخرى فكذلك معنى نسخ الحكم الى غيره انما هو تحويله ونقل عبارته عنه الى غيره فاذا كان ذلك معنى نسخ الآية فسواء اذا نسخ حكمها فغير وبدل فرضها ونقل فرض العباد عن اللازم كان لهم بها أو فرحظها فترك أو محي أثرها فعفي أو نسي اذهي حينئذ في كلتي

الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية ولعل الرجم انما ثبت بقوله تعالى الشيخ والشيخة الخ له ملك السموات والارض فهو يدبر الامور ويجريها على حسب المصالح وهو أعلم بما يتعبد المكلفين به من ناسخ ومنسوخ والخطاب في ألم تعلم اما للنبي صلى الله عليه وسلم فتدخل الامة تبعا أو لكل من له أهلية الخطاب ومعنى الاستفهام فيه التقرير والاثبات لظهور آثار قدرته ووضوح آيات ملكه وسلطانه وقيل اشارة الى ما شاهد ليلة المعجزات بعين اليقين ثم علمها حق اليقين فترقى من رؤية الآيات الى كشف الصفات ومن كشف الصفات الى عيان الذات ثم نسخت عن الخيال وأثبتت في العيان والولي ضد العدو وكل من ولي أمر واحد فهو وليه فعيل بمعنى فاعل وكذا النصير والواو في وما لكم يحتمل أن تكون للاعتراض فلا محل للجملة ويحتمل أن تكون للعطف على له ملك السموات فيدخل تحت الاستفهام ويكون قوله من دون الله من وضع الظاهر موضع الضمير ولا يوقف على والارض أم تريدون قيل الخطاب للمسلمين لقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان وهذا لا يصح الا في حق المؤمنين ولان أم للعطف ولا معطوف ظاهرا فالتقدير وقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون هذا كما أمرتم أم تريدون ان تسئلوا رسولكم ولانه سال قوم من المسلمين ان يجعل صلى الله عليه وسلم لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها المأكول والمشروب كما سالوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة وهذا قول الاصم والجبائي وأبي مسلم وقيل انه خطاب لاهل مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد أن عبد الله بن أمية المخزومي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من قريش فقال يا محمد صلى الله عليه وسلم ما أؤمن بك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك بعد ذلك حتى تنزل علينا كتابا من الله الى عبد الله بن أمية ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله فاتبعوه فقال له بقية الرهط فان لم تستطع ذلك فائتنا بكتاب من عند الله جملة واحدة فيه الحلال والحرام والحدود والفرائض كما جاء موسى الى قومه بالالواح من عند الله كما ساله السبعون وعن مجاهد ان قريشا سالت محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله لهم الصفا ذهبا فقال نعم هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل فابوا ورجعوا وقيل المراد اليهود لان هذه السورة

حالتها منسوخة والحكم الحادث المبدل به الحكم الاول والمنقول اليه فرض العباد هو الناسخ يقال منه نسخ الله آية كذا وكذا ينسخه نسخا والنسخة الاسم وبمثل الذي قلنا في ذلك كان الحسن البصري يقول حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا عوف عن الحسن انه قال في قوله ما ننسخ من آية أو ننساها نأت بخير منها قال قال أقرئ قرآنا ثم نسيه فلم يكن شيأ ومن القرآن ما قد نسخ وأنتم تقرؤنه اختلف أهل التأويل في قوله ما ننسخ فقال بعضهم بما حدثني به موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدي ما ننسخ من آية أما نسخها فقبضها وقال آخرون بما حدثني به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ما ننسخ من آية يقول ما نبدل من آية وقال آخرون بما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن أصحاب عبد الله بن مسعود انهم قالوا ما ننسخ من آية نثبت خطها ونبدل حكمها وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ما ننسخ من آية نثبت خطها ونبدل حكمها حدثت به عن أصحاب ابن مسعود حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال حدثني بكر بن شوذب عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أصحاب ابن مسعود ما ننسخ من آية نثبت خطها ❁ القول في تأويل قوله (أو ننساها) اختلفت القراءة في قوله ذلك فقرأها قراء أهل المدينة والكوفة أو ننسها ولقراءة من قرأ ذلك وجهان من التأويل أحدهما أن يكون تأويله ما ننسخ يا محمد من آية فنغير حكمها أو ننسها وقد ذكر انها في مصحف عبد الله ما ننسك من آية أو ننسخها نجئ بمثلها فذلك تأويل النسيان وبهذا التأويل قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها كان ينسخ الآية بالآية بعدها ويقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم الآية أو أكثر من ذلك ثم تنسى وترفع حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ما ننسخ من آية أو ننسها قال كان الله تعالى ذكره ينسي نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء وينسخ ما شاء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كان عبيد بن عمير يقول ننسها نرفعها من عندكم حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا خالد بن الحارث قال ثنا عوف عن الحسن انه قال في قوله أو ننسها قال ان نبيكم صلى الله عليه وسلم أقرئ قرآنا ثم نسيه وكذلك كان سعد بن أبي وقاص يتأول الآية الا انه كان يقرؤها أو تنساها بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه عنى أو تنساها أنت يا محمد ذكر الاخبار بذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا يعلى بن عطاء عن القاسم قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول ما ننسخ من آية أو تنساها قلت له فان سعيد بن المسيب يقرؤها أو ننسها قال فقال سعد ان القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب قال الله سنقرئك فلا تنسى واذكر ربك اذا نسيت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا هشيم قال ثنا يعلى بن عطاء قال ثنا القاسم بن ربيعة بن قانف الثقفي قال سمعت ابن أبي وقاص يذكر نحوه حدثنا محمد بن المثنى وآدم العسقلاني قالا جميعا عن شعبة عن يعلى بن

من أول قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي حكاية عنهم ومحاجة معهم ولان الآية مدنية ولانه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولان المؤمن بالرسول لا يكاد يسأل ما يتبدل كفرا بايمان وليس في ظاهر الآية انهم أتوا بالسؤال فضلا عن كيفية السؤال بل المرجع فيه الى الروايات المذكورة وههنا بحث وهو أن السؤال الذي ذكروه ان كان طلبا للمعجزات فمن أين انه كفر ومعلوم ان طلب الدليل على الشيء لا يكون كفرا وان كان ذلك طلبا لوجه الحكمة التفصيلية في نسخ الاحكام فهذا أيضا لا يكون كفرا فان الملائكة طلبوا الحكمة التفصيلية في خلق البشر ولم يكن ذلك كفرا فالتكفير اما لانهم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة واما لانهم طلبوا المعجزات على وجه التعنت واللجاج قلت والاصوب في الآية أن يكون أم تريدون معطوفا على ألم تعلم على انه خطاب لكل مكلف فيكون في معنى الجمع ثم أم اما أن تكون متصلة على معنى أي الامرين كائن فان العلم واقع بكون أحدهما لانه اما أن لا يعلم نفوذ علمه وقدرته وان الكل تحت قدرته وقهره وتسخيره واما أن يعلم فيسأل وجه الحكمة في النسخ وغيره على سبيل العناد وكلا الامرين يوجب التكفير اما الاول فظاهر واما الثاني فلان المعترف بحكمته البالغة وعنايته الشاملة ورأفته الكاملة وقدرته الظاهرة من حقه ان يقتصر على علمه الاجمالي ولا يتخطى مقام الادب في البحث والتفتيش عن تفاصيل حكمته التي لا تكاد تنحصر ويوهم أن السائل في شك مما أمر به أو نهي عنه وعلى هذا الا يوقف على نصير واما منقطعة على انه أضرب عن الاستفهام الاول واستأنف استفهاما ثانيا ويحتمل أن لا يكون قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان حكما بتكفيرهم بسبب السؤال بل يكون تنبيها للمكلفين على أن السؤال عما لا يهمهم مما قد ينجر الى الغواية لكثرة عروض الشكوك والشبهات حتى يقفوا على الاعتقاد الحق والتقليد الصرف فيما لا سبيل الى درك تفاصيله أو لا يهم معرفته وسواء السبيل وسطه وهو الصراط المستقيم الذي مر تفسيره (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير وقالوا لن

عطاء قال سمعت القاسم بن ربيعة الثقفي يقول قلت لسعد بن أبي وقاص انى سمعت ابن المسيب يقرأ ما ننسخ من آية أو ننسها فقال سعد ان الله لم ينزل القرآن على المسيب ولا على ابنه انما هي ما ننسخ من آية أو تنسها يا محمد ثم قرأ سنقرئك فلا تنسى واذكر ربك اذا نسيت حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ما ننسخ من آية أو ننسها يقول ننسها نرفعها وكان الله تبارك وتعالى أنزل أمورا من القرآن ثم رفعها والوجه الآخر منهما أن يكون بمعنى الترك من قول الله جل ثناؤه نسوا الله فنسيهم يعني به تركوا الله فتركهم فيكون تاويل الآية حينئذ على هذا التاويل ما ننسخ من آية فنغير حكمها ونبدل فرضها نأت بخير من التي نسخناها أو مثلها وعلى هذا التاويل تاول جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله أو ننسها يقول أو نتركها لا نبدلها حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قوله أو ننسها نتركها لا ننسخها حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ما ننسخ من آية أو ننسها قال الناسخ والمنسوخ قال وكان عبد الرحمن بن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس ابن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ننسها نمحها وقرأ ذلك آخرون أو ننسأها بفتح النون وهمزة بعد السين بمعنى نؤخرها من قولك نسأت هذا الامر أنسؤه نسأ ونساء اذا أخرته وهو من قولهم بعته بنساء يعني بتاخير ومن ذلك قول طرفة بن العبد

اعمرك ان الموت ما أنسأ الفتى * لكالطول المرخى وثنياه باليد

يقول ما أخر ومن قرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين وقراءة جماعة من قراء الكوفيين والبصريين وتاوله كذلك جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب ويعقوب ابن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء في قوله ما ننسخ من آية أو ننسأها قال نؤخرها حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال سمعت ابن أبي نجيح يقول في قول الله أو ننسأها قال نرجئها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو ننسأها نرجئها ونؤخرها حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا فضيل عن عطية أو ننسأها قال نؤخرها فلا ننسخها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير عن عبيد الازدي عن عبيد بن عمير أو ننسأها نرجئها ونؤخرها هكذا حدثنا القاسم عن عبد الله بن كثير عن عبيد الازدي وانما هو عن علي الازدي حدثني أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال حدثنا حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن علي الازدي عن عبيد بن عمير انه قرأها ننسأها قال فتاويل من قرأ ذلك كذلك ما نبدل من آية أنزلناها اليك يا محمد فنبطل حكمها ونثبت خطها أو نؤخرها فنرجئها ونقرها فلا نغيرها ولا نبطل حكمها نأت بخير منها أو مثلها وقد قرأ بعضهم ذلك ما ننسخ من آية أو تنساها وتاويل هذه القراءة نظير تاويل قراءة من قرأ أو تنسها الا أن معنى أو تنسها أنت يا محمد وقد قرأ بعضهم ما ننسخ من آية بضم النون وكسر السين بمعنى ما ننسخك يا محمد نحن من آية من أنسختك فانا ننسخك

لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ القراآت قد سلفت * الوقوف كفارا ج لان حسدا مصدر محذوف أي يحسدون حسدا أو حال أو مفعول له وهو أوجه والوصل أجوز الحق ج لعطف الجملتين المختلفتين بامره ط قدير ه الزكاة ط لان ما للشرط والشرط مصدر عند الله ط بصير ه أو نصارى ط أمانيهم ط صادقين ه عند ربه ص لعطف الجملتين المتفقتين يحزنون ه النصارى ص على شيء ص لا لعطف الجملتين المتفقتين على شيء ص لان الواو للحال الكتب ط مثل قولهم ج لان فالله مبتدأ مع فاء التعقيب يختلفون ه * التفسير هذا نوع آخر من مكايد اليهود روى أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبا وقال حذيفة وأما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه فقال أصبتما خيرا وافلحتما فنزلت وكفارا نصب على الحال أو مفعول ثان ليردون على انه بمعنى صيروا والحسد من أقبح الخصال الذميمة قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل ان لنعم الله اعداء قيل وما أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ستة يدخلون النار قبل الحساب الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد وروى ان موسى لما ذهب الى ربه رأى في ظل العرش رجلا يغبط بمكانه فقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله ثلاثا كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة

وذلك خطأ من القراءة عندنا لخروجه عما جاءت به الحجة من القراءة بالنقل المستفيض وكذلك قراءة من قرأ تنسها أو ننسها لشذوذها وخروجها عن القراءة التي جاءت بها الحجة من قراءة الأمة وأولى القراآت في قوله أو ننسها بالصواب من قرأ أو ننسها بمعنى نتركها لأن الله جل ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انه مهما بدل حكما أو غيره أو لم يبدله ولم يغيره فهو آتيه بخير منه أو بمثله فالذي هو أولى بالآية اذ كان ذلك معناها أن يكون اذ قدم الخبر عما هو صانع اذا هو غير و بدل حكم آية أن يعقب ذلك بالخبر عما هو صانع اذ هو لم يبدل ذلك ولم يغير فالخبر الذي يجب أن يكون عقيب قوله ما ننسخ من آية قوله أو نترك نسخها اذ كان ذلك المعروف الجاري في كلام الناس مع ان ذلك اذا قرئ كذلك بالمعنى الذي وصفت فهو يشتمل على معنى الانساء الذي هو بمعنى الترك ومعنى النسء الذي هو بمعنى التاخير اذ كان كل متروك فمؤخر على حال ما هو متروك وقد أنكر قوم قراءة من قرأ أو ننسها اذا عني به النسيان وقالوا غير جائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي من القرآن شيأ مما لم ينسخ الا أن يكون نسي منه شيأ ثم ذكره قالوا و بعد فانه لو نسي شيأ لم يكن الذين قرؤه وحفظوه من أصحابه بجائز على جميعهم أن ينسوه قال وفي قول الله جل ثناؤه ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ما ينبئ عن أن الله تعالى ذكره لم ينس نبيه شيأ مما آتاه من العلم قال أبو جعفر وهذا قول يشهد على بطوله وفساده الاخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنحو الذي حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا أنس بن مالك ان أولئك السبعين من الانصار الذين قتلوا ببئر معونة قرأنا بهم وفيهم كتابا بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ثم ان ذلك رفع والذي ذكرنا عن ابي موسى الاشعري انهم كانوا يقرؤن لو ان لابن آدم واديين من مال لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب ثم رفع وما أشبه ذلك من الاخبار التي يطول باحصائها الكتاب وغير مستحيل في فطرة ذي عقل صحيح ولا بحجة خبر أن ينسي الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعض ما قد كان أنزله اليه فاذا كان ذلك غير مستحيل من أحد هذين الوجهين فغير جائز لقائل أن يقول ذلك غير جائز وأما قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك فانه جل ثناؤه لم يخبر انه لا يذهب بشيء منه وانما أخبر انه لو شاء لذهب بجميعه فلم يذهب به والحمد لله بل انما ذهب بما لا حاجة بهم اليه منه وذلك ان ما نسخ منه فلا حاجة بالعباد اليه وقد قال الله تعالى ذكره سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله فاخبر انه ينسي نبيه منه ما شاء فالذي ذهب منه الذي استثناه الله فأما نحن فانما اخترنا ما اخترنا من التاويل طلب اتساق الكلام على نظام في المعنى لا انكار أن يكون الله تعالى ذكره قد كان أنسى نبيه بعض ما نسخ من وحيه اليه وتنزيله ۞ القول في تاويل قوله تعالى (نأت بخير منها أو مثلها) اختلف أهل التاويل في تاويل قوله نأت بخير منها أو مثلها فقال بعضهم بما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نأت بخير منها أو مثلها يقول خير لكم في المنفعة وأرفق بكم وقال آخرون بما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله نأت بخير منها أو مثلها يقول انه فيها تخفيف فيها رخصة فيها أمر فيها نهي وقال آخرون نأت بخير من التي

و يحكى ان عبد الله بن عون دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني أريد أن أعظك بشيء اياك والكبر فانه أول ذنب عصي الله به ابليس ثم قرأ فسجدوا الا ابليس استكبر واياك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله من جنة عرضها السموات والارض فأكل منها فأخرجه الله ثم تلا اهبطا منها واياك والحسد فانه قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق وقال ابن الزبير ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لانه ان كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير الى النار واعلم أنه اذا أنعم الله على أخيك بنعمة فان أردت زوالها فهذا هو الحسد المحرم الذي ذم الله تعالى صاحبه في هذه الآية وغيرها أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ان تمسسكم حسنة تسؤهم ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وان اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقة من النفاسة وليست بحرام لقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا وأنفقه في سبيل الله ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به و يعلم الناس وهذا يدل على أن الحسد قد يطلق على المنافسة وقد تكون واجبة اذا كانت النعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة وقد تكون مندوبة في نحو الانفاق في سبيل الله وتشهي العلم والتعليم وقد تكون مباحة وللحسد مراتب أربع الاولى أن يحب زوال النعمة عنه وان لم تحصل له وهذه أخبث الثانية أن يحب زوالها عنه اليه كرغبته في داره الحسنة أو امرأته أو ولايته فالمطلوب بالذات حصولها له فأما زوالها عن غيره فمطلوب بالعرض الثالثة أن لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة أن يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية أخف والاولى أخبث قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه لعين ذلك مذموم وأسباب الحسد سبعة أولها العداوة والبغضاء فان من آذاه انسان أبغضه قلبه وغضب عليه وتولد منه

الحقد المقتضي للتشفي والانتقام فان عجز المبغض عن أن يتشفى منه بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان كما قال عز من قائل ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وربما أفضى هذا الحسد الى التنازع والتقاتل وثانيها التعزز فان واحدا من أمثاله اذا نال منصبا عاليا يترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك أراد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته وثالثها أن يكون في طبعه ان يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم ورابعها التعجب أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم وخامسها الخوف من فوت المقاصد وذلك يتحقق من المتزاحمين على مقصود واحد كتحاسد الضرائر في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة عند الابوين وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على أهل بلدة وسادسها حب الرياسة كمن يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون فانه لو سمع بنظير له في أقصى العالم ساءه ذلك وأحب موته فان الكمال محبوب لذاته وضد المحبوب مكروه ومن جملة أنواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا يمتنع حصوله الا لله تعالى ومن طمع في المحال خاب وخسر وسابعها شح النفس بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك واذا وصف اضطراب أمور الناس وادبارهم فرح به فهو أبدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه وهذا ليس له سبب ظاهر سوى خبث النفس كما قيل البخيل من بخل بمال غيره وقد يجتمع بعض هذه الاسباب فيعظم الحسد ويتقوى بحسبه وقلما يقع التحاسد الا في الامور الدنيوية لان خير الدنيا لا يفي بالمتزاحمين وأما الآخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون تحاسد بين أرباب الدين وأصحاب اليقين وانما يكونون بلقاء اخوانهم مستأنسين وببقاء أقرانهم فرحين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وأما علاج الحسد فأمران العلم والعمل أما العلم ففيه مقامان اجمالي وهو أن يعلم ان الكل بقضاء الله وقدره وان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا يرد كراهية كاره ولا يجره ارادة مريد وتفصيلي

نسخناها أو بخير من التي تركناها فلم ننسخها ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي نأت بخير منها يقول نأت بخير من التي نسخناها أو مثلها او مثل التي تركناها فالهاء والالف اللتان في قوله أو مثلها عائدتان على هذه المقالة على الآية في قوله ما ننسخ من آية والهاء والالف اللتان في قوله أو مثلها عائدتان على الهاء والالف اللتين في قوله أو ننسها وقال آخرون بما حدثني به المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كان عبيد بن عمير يقول ننسها نرفعها من عندكم فنأت بمثلها أو خير منها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع أو ننساها نرفعها نأت بخير منها أو بمثلها وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا بكر بن شوذب عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أصحاب ابن مسعود مثله والصواب من القول في معنى ذلك عندنا ما نبدل من حكم آية فنغيره أو نترك تبديله فنقره بحاله نأت بخير منها لكم من حكم الآية التي نسخنا فغيرنا حكمها اما في العاجل لخفته عليكم من أجل انه وضع فرض كان عليكم فاسقط ثقله عنكم وذلك كالذي كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فوضع عنهم فكان ذلك خيرا لهم في عاجلهم لسقوط عبء ذلك وثقل حمله عنهم واما في الآجل لعظم ثوابه من أجل مشقة حمله وثقل عبئه على الابدان كالذي كان عليهم من صيام أيام معدودات في السنة فنسخ وفرض عليهم مكانه صوم شهر كامل في كل حول فكان فرض صوم شهر كامل كل سنة أثقل على الابدان من صيام أيام معدودات غير ان ذلك وان كان كذلك فالثواب عليه أجزل والاجر عليه أكثر لفضل مشقته على مكلفيه من صوم أيام معدودات فذلك وان كان على الابدان أشق فهو خير من الاول في الآجل لفضل ثوابه وعظم أجره الذي لم يكن مثله لصوم الايام المعدودات فذلك معنى قوله نأت بخير منها لانه اما بخير منها في العاجل لخفته على من كلفه أو في الآجل لعظم ثوابه وكثرة أجره أو يكون مثلها في المشقة على البدن واستواء الاجر والثواب عليه نظير نسخ الله تعالى ذكره فرض الصلاة شطر بيت المقدس الى فرضها شطر المسجد الحرام فالتوجه شطر بيت المقدس وان خالف التوجه شطر المسجد فكلفة التوجه شطر أيهما توجه شطره واحدة لان الذي على المتوجه شطر البيت المقدس من مؤنة توجهه شطره مؤنة نظير الذي على بدنه من مؤنة توجهه شطر الكعبة سواء فذلك هو معنى المثل الذي قال جل ثناؤه أو مثلها وانما عنى جل ثناؤه بقوله ما ننسخ من آية أو ننسها ما ننسخ من حكم آية أو ننسه غير ان المخاطبين بالآية لما كان مفهوما عندهم معناها اكتفى بدلالة ذكر الآية من ذكر حكمها وذلك نظير سائر ما ذكرنا من نظائره فيما مضى من كتابنا هذا كقوله وأشربوا في قلوبهم العجل بمعنى حب العجل ونحو ذلك فتأويل الآية اذا ما نغير من حكم آية فنبدله أو نتركه فلا نبدله نأت بخير لكم أيها المؤمنون حكما منها أو مثل حكمها في الخفة والثقل والاجر والثواب فان قال قائل فانا قد علمنا ان العجل لا يشرب القلوب ولا يلتبس على من سمع قوله وأشربوا في قلوبهم العجل ان معناه وأشربوا في قلوبهم حب العجل فما الذي يدل على ان قوله ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها لذلك نظير قيل الذي دل على ان ذلك كذلك قوله نأت بخير منها أو مثلها وغير جائز أن يكون من القرآن شيء خير من شيء لان جميعه كلام الله ولا يجوز في صفات الله تعالى ذكره ان يقال بعضها أفضل من بعض وبعضها

وهو العلم بأن الحسد قذى فى عين الايمان حيث كره حكم الله وقسمته فى عباده وغش للاخوان وعذاب أليم وحزن مقيم ومورث للوسواس ومكدر للحواس ولا ضرر على المحسود فى دنياه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك ولا فى دينه بل ينتفع به لانه مظلوم من جهتك فيثيبه الله على ذلك وقد ينتفع فى دنياه أيضا من جهة انك عدوه ولا يزال يزيد غمومك وأحزانك الى أن يفضى بك الى الدنف والتلف شعر اصبر على مضض الحسود * فان صبرك قاتله * النار تأكل نفسها * ان لم تجد ما تأكله (٣٦٣) وقد يستدل بحسد الحاسد على كونه مخصوصا من الله تعالى بمزيد الفضائل شعر

لامات أعداؤك بل خلدوا * حتى يروا منك الذى يكمد
لازلت محسودا على نعمة * فانما الكامل من يحسد

والحاسد مذموم بين الخلق ملعون عند الخالق مشكور عند ابليس وأصدقائه مدحور عند الخالق وأوليائه فهل هو الا كمن رمى حجرا الى عدو ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ثانيا ويرميه أشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى فيعميه فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيرجع على رأسه فيشدخه وعدوه سالم فى كل الاحوال وقد عاد عليه الوبال وأعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون هذا له فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وأما العمل فهو أن يأتى بالافعال المضادة لمقتضيات الحسد فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له وان حمله على التكبر عليه كلف نفسه التواضع له وان حمله على قطع أسباب الخير سعى فى ايصال الخير اليه حتى يصير المحسود محبوبا محبا له فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وذلك التكلف يصير بالآخرة طبعا والله الموفق واعلم أن النفرة القائمة بقلب الحاسد من المحسود أمر غير داخل فى وسعه فكيف يعاقب عليه وانما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك النفرة ثم اظهار آثارها من القدح فيه والقصد الى ازالة النعمة عنه وجر أسباب المحنة اليه ثم ان اليهود كانوا يريدون رجوع المؤمنين من الايمان من بعد ما تبين لهم أن الايمان صواب وحق فالقوا اليهم ضربين من الشبهة لعلمهم ان المحق لا يعدل عن الحق الا بالشبهة أحدهما ما يتصل بالدنيا وهو قولهم انهم قد علمتم ما نزل بكم من اخراجكم من دياركم وذهاب أموالكم واستمرار الخوف عليكم فاتركوا ايمانكم الذى ساقكم الى هذه الثانى فى باب الدين بالقدح فى المعجزات وتحريف التوراة وقوله

خير من بعض ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴾ (ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير) يعنى جل ثناؤه بقوله ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير ألم تعلم يا محمد انى قادر على تعويضك مما نسخت من أحكامى وغيرته من فرائضى التى كنت افترضتها عليك ما أشاء مما هو خير لك ولعبادى المؤمنين معك وأنفع لك ولهم اما عاجلا فى الدنيا واما آجلا فى الآخرة أو بأن أبدل لك ولهم مكانه مثله فى النفع لهم عاجلا فى الدنيا وآجلا فى الآخرة وشبيهه فى الخفة عليك وعليهم فاعلم يا محمد انى على ذلك وعلى كل شئ قدير ومعنى قوله قدير فى هذا الموضع قوى يقال منه قد قدرت على كذا وكذا اذا قويت عليه أقدر عليه وأقدر عليه قدرة وقدرانا ومقدرة وبنو مرة من غطفان تقول قدرت عليه بكسر الدال فأما من التقدير من قول القائل قدرت الشئ فانه يقال منه قدرته أقدره قدرا وقدرا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴾ (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) قال أبو جعفر ان قال لنا قائل أولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم ان الله على كل شئ قدير وانه له ملك السموات والارض حتى قيل له ذلك قيل بلى فقد كان بعضهم يقول انما ذلك من الله جل ثناؤه خبر عن ان محمدا قد علم ذلك ولكنه قد أخرج الكلام مخرج التقرير كما تفعل مثله العرب فى خطاب بعضها بعضا فيقول أحدهم لصاحبه ألم أكرمك ألم أتفضل عليك بمعنى اخباره انه قد أكرمه وتفضل عليه يريد أليس قد أكرمتك أليس قد تفضلت عليك بمعنى قد علمت ذلك قال وهذا الاوجه له عندنا وذلك ان قوله جل ثناؤه ألم تعلم انما معناه أما علمت وهو حرف جحد ادخل عليه حرف استفهام وحروف الاستفهام انما تدخل فى الكلام اما بمعنى الاستثبات واما بمعنى النفى فأما بمعنى الاثبات فذلك غير معروف فى كلام العرب ولا سيما اذا دخلت على حروف الجحد لكن ذلك عندى وان كان ظهر ظهور الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فانما هو معنى به أصحابه الذين قال الله جل ثناؤه لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا والذى يدل على ان ذلك كذلك قوله جل ثناؤه ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير فعاد بالخطاب فى آخر الآية الى جميعهم وقد ابتدأ أولها بخطاب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض لان المراد بذلك الذين وصفت أمرهم من أصحابه وذلك من كلام العرب مستفيض بينهم فصيح ان يخرج المتكلم منهم كلامه على وجه الخطاب منه لبعض الناس وهو قاصد به غيره وعلى وجه الخطاب لواحد وهو يقصد به جماعة غيره أو جماعة والمخاطب به أحدهم وعلى وجه الخطاب للجماعة والمقصود به أحدهم من ذلك قول الله جل ثناؤه يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ثم قال واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا فرجع الى خطاب الجماعة وقد ابتدأ الكلام بخطاب النبى صلى الله عليه وسلم ونظير ذلك قول الكميت بن زيد فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى السراج المنير أحمد لا * يعدلنى رغبة ولا رهب
عنه الى غيره ولو رفع النا * س الى العيون وارتقبوا
وقيل أفرطت بل قصدت ولو * عنفنى القائلون أو ثلبوا
لج بتفضيلك اللسان ولو * أكثر فيك الضجاج واللجب

من عند أنفسهم اما أن يتعلق بود أي تمنوا ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعدما تبين لهم انكم على الحق
واما أن يتعلق بحسدا أي منبعثا من أصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح بترك المقاتلة والاعراض عن الجواب
لان ذلك أقرب الى تسكين النائرة لادائما بل حتى يأتى الله بامره عن الحسن انه المجازاة يوم القيامة وقيل قوة الاسلام وكثرة المسلمين
والاكثرون على انه الامر بالقتال فعنده يتعين اما الاسلام واما قبول الجزية وتحمل الذل والصغار والآية منسوخة لان
الآية التي علق بها غير معلومة
شرعا فليس كقوله ثم أتموا الصيام
الى الليل بل يحل محل قوله فاعفوا
واصفحوا الى ان أنسخه عنكم
عن الباقر عليه السلام انه لم يؤمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقتال حتى نزل جبريل بقوله أذن
للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده
سيفا فكان أول قتال قتال أصحاب
عبد الله بن جحش ببطن نخل
وبعده غزوة بدر فان قيل كيف
يعفون ويصفحون والكفار
حينئذ أصحاب قوة وشوكة والصفح
لا يكون الا عن قدرة قلنا ان الرجل
من المسلمين كان ينال الاذى فيقدر
على بعض التشفي والاستعانة
بسائر أصحابه فامروا أن لا يهيجوا
قتالا وفتنة وأيضا القليل منهم
كان يقاوم الكثير من المشركين
ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين وأيضا جعل الصابر
الى القوة قويا ليظهره على الدين
كله وقيل المراد بالعفو والصفح
حسن الاستدعاء واستعمال
ما يلزم فيهم من النصح والاشفاق
وترك التشدد وعلى هذا لا تكون
الآية منسوخة وكذا لو قيل المراد
بامر الله قتل بني قريظة واجلاء
بني النضير واذلالهم بضرب الجزية
عليهم ان الله على كل شئ قدير فهو
يقدر على الانتقام منهم وأقيموا
الصلاة تنبيه على أنه كما يلزمهم
لحظ حال غيرهم بالعفو والصفح كذلك يلزمهم لحظ انفسهم باداء الواجبات من خير من حسنة صلوات
ابن
أو صدقة فريضة أو تطوع نعمم بعدما خص تنبيها على أن الثواب لا يختص بالواجبات بل بها وبغيرها من الطاعات ولا بد من اضمار أي تجدوا
ثوابه لان وجدان عين تلك الاشياء غير مطلوب ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شئ من الاعمال وفيه ترغيب للمحسن وترهيب للمسئ وقالوا
لن يدخل الجنة نوع آخر من تخليط أهل الكتاب اليهود والنصارى والضمير في وقالوا لهم والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان

المصطفى المحض المهذب في * النسبة ان نص قومك النسب

فاخرج كلامه على وجه الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو قاصد بذلك أهل بيته فكنى عن وصفهم ومدحهم بذكر النبي صلى الله عليه وسلم وعن بني أمية بالقائلين المعنفين لانه معلوم انه لا أحد يوصف بتعنيف مادح النبي صلى الله عليه وسلم وتفضيله ولا باكثار الضجاج واللجب في اطناب القيل بفضله وكما قال جميل بن معمر

ألا ان جيراني العشية رائح * دعتهم دواع من هوى ومنادح

فقال ألا ان جيراني العشية فابتدأ الخبر عن جماعة جيرانه ثم قال رائح لان قصده في ابتدائه ما ابتدأ به من كلامه الخبر عن واحد منهم دون جماعتهم وكما قال جميل أيضا في كلمته الاخرى

خليلي فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

وهو يريد قاتلته لانه انما يصف امرأة فكنى باسم الرجل عنها وهو يعنيها فكذلك قوله ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وان كان ظاهر الكلام على وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فانه مقصود به قصد أصحابه وذلك بين بدلالة قوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير أم تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل الآيات الثلاث بعدها على ان ذلك كذلك أما قوله له ملك السموات والارض ولم يقل ملك السموات فانه عنى بذلك ملك السلطان والمملكة دون الملك والعرب اذا أرادت الخبر عن المملكة التي هي مملكة سلطان قالت ملك الله الخلق ملكا واذا أرادت الخبر عن الملك قالت ملك فلان هذا الشئ فهو يملكه ملكا وملكة وملكا فتاويل الآية اذا ألم تعلم يا محمد ان لي ملك السموات والارض وسلطانهما دون غيري احكم فيهما وفيما فيهما اما أشاء وآمر فيهما وفيما فيهما بما أشاء وانهى عما أشاء وانسخ وأبدل وأغير من أحكامي التي احكم بها في عبادي ما أشاء اذا أشاء وأقر منها ما أشاء وهذا الخبر وان كان من الله عز وجل خطابا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على وجه الخبر عن عظمته فانه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة وجحدوا نبوة عيسى وانكروا محمدا صلى الله عليه وسلم لمجيئهما بما جاآ به من عند الله بتغيير ما غير الله من حكم التوراة فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وسلطانهما فان الخلق أهل مملكته وطاعته عليهم السمع له والطاعة لامره ونهيه وان له أمرهم بما شاء ونهيهم عما شاء ونسخ ما شاء واقرار ما شاء وانساء ما شاء من أحكامه وأمره ونهيه ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين معه انقادوا لامري وانتهوا الى طاعتي فيما أنسخ وفيما أترك فلا أنسخ من أحكامي وحدودي وفرائضي ٧ ولا يهولنكم خلاف مخالف لكم في أمري ونهيي وناسخي ومنسوخي فانه لا قيم بامركم سواي ولا يامر لكم غيري وأنا المنفرد بولايتكم والدفاع عنكم والمتوجه بنصرتكم بعزي وسلطاني وقوتي على من ناواكم وحادكم ونصب حرب العداوة بينه وبينكم حتى أعلى حجتكم واجعلها عليهم لكم والولي معناه فعيل من قول القائل وليت أمر فلان اذا صرت قيما به فانا أليه فهو وليه وقيمه ومن ذلك قيل فلان ولي عهد المسلمين يعني به القائم بما عهد اليه من أمر المسلمين وأما النصير فانه فعيل من قولك نصرتك أنصرك فانا ناصرك ونصيرك وهو المؤيد والقوي وأما معنى قوله من دون الله فانه سوى الله وبعد الله ومنه قول أمية

٧ هكذا بالنسخ ولعل فيه سقطا أي الام أعلم فيه المصلحة اه مصححه

هودا وقالت النصارى لن يدخلها الا من كان نصارى فضم بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق ما قاله لما علم من تكفير كل واحد منهما صاحبه ومثله وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كبازل وبزل وعائذ وعوذ والعائذ الحديثة النتاج من النوق والبازل الذى خرج نابه ووحد اسم كان حملا على لفظ من وجمع خبره حملا على المعنى ومثله فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم تلك أمانيهم على حذف المضاف أى أمثال تلك الامنية أمانيهم يريد أن أمانيهم جميعا فى البطلان مثل هذه وهى قولهم لن يدخل الجنة وأشير بتلك الى

ابن أبى الصلت

يا نفس مالك دون الله من واقى * وما على حدثان الدهر من باقى

يريد مالك سوى الله وبعد الله من يقيك المكاره فمعنى الكلام اذا وليس لكم أيها المؤمنون بعد الله من قيم بامركم ولا نصير فيؤيدكم ويقويكم فيعينكم على أعدائكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله أنزلت هذه الآية فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كريب قال حدثنى يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنا ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك فأنزل الله فى ذلك من قولهم أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل الآية وقال آخرون بما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وكان موسى يسأل فقيل له أرنا الله جهرة حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ان يريهم الله جهرة فسألت العرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالله فيروه جهرة وقال آخرون بما حدثنى به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل أن يريهم الله جهرة فسألت قريش محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله لهم الصفا ذهبا قال نعم وهو لكم كمائدة بنى اسرائيل ان كفرتم فأبوا ورجعوا حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال سألت قريش محمدا ان يجعل لهم الصفا ذهبا فقال نعم وهو لكم كالمائدة لبنى اسرائيل ان كفرتم فأبوا ورجعوا فأنزل الله أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ان يريهم الله جهرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بما حدثنى به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية قال قال رجل يا رسول الله لو كانت كفاراتنا كفارات بنى اسرائيل فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لا نبغيها ما أعطاكم الله خير مما أعطى بنى اسرائيل كانت بنو اسرائيل اذا فعل أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها فان كفرها كانت له خزيا فى الدنيا وان لم يكفرها كانت له خزيا فى الآخرة وقد أعطاكم الله خيرا مما أعطى بنى اسرائيل قال ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما قال وقال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن وقال من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر أمثالها ولا يهلك على الله الا هالك فأنزل الله أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل واختلف أهل العربية فى معنى أم التى فى قوله أم تريدون فقال بعض البصريين هى بمعنى الاستفهام وتأويل الكلام أتريدون ان تسألوا رسولكم وقال آخرون منهم هى بمعنى استفهام مستقبل منقطع من الكلام كأنك تميل بها الى أوله كقول العرب انها لابل يا قوم أم شاء ولقد كان كذا وكذا أم حدس نفسى قال وليس قوله أم تريدون على الشك ولكنه قاله

أن ودادتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم أمنية وودادتهم أن يردوهم كفارا أمنية وقولهم لن يدخل الجنة أمنية أى تلك الامانى الباطلة أمانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض على هذا وهات الشئ اسم فعل معناه أعط ويتصرف فيه بحسب المأمور هات هاتيا هاتوا هاتى هاتين وقيل الصحيح انه ليس باسم فعل وانما الهاء فيه مبدلة من الهمزة وأصله آت من الايتاء برهانكم حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين فى دعواكم وفيه دليل واضح على ان المدعى نفيا أو اثباتا لا بد له من برهان والا فدعواه باطلة شعر

من ادعى شيأ بلا شاهد
لا بد ان يبطل دعواه

بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة وقوله من أسلم الى آخره جملة شرطية مستأنفة ويجوز ان يكون من أسلم فاعلا لفعل محذوف أى بلى يدخلها من أسلم ويكون قوله فله أجره كلاما معطوفا على يدخلها من أسلم وفيه اشارة الى ان لهؤلاء الداخلين برهانا وهو استسلام النفس وانقيادها لطاعة الله مع الاحسان وفيه ترغيب لهم فى الاسلام وبيان لمفارقة حالهم حال من يدخل الجنة كأنه قيل لهم أنتم على ما أنتم عليه لا تفوزون بالجنة بلى ان غيرتم طريقتكم وأسلمتم وجهكم لله وأحسنتم فلكم الجنة وانما خص الوجه بالذكر لانه أشرف الاعضاء من حيث انه معدن الحواس وينبوع الفكر والتخيل فاذا تواضع الاشرف كان غيره أولى ولان الوجه قد يكنى به عن النفس والذات كل شئ هالك الا وجهه الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولان أعظم العبادات السجدة وهى انما تحصل بالوجه وهذا الاسلام أخص من الاسلام الذى ورد فى الحديث الاسلام ان تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا لان هذا عبارة عن الاذعان الكلى بجميع القوى والجوارح فى كل الاحوال والاوقات وهو الاسلام

ليقبح له صنيعهم واستشهد لقوله ذلك ببيت الاخطل

كذبتك عينك أم رأيت بواسط * غلس الظلام من الرباب خيالا

وقال بعض نحوى الكوفيين ان شئت جعلت قوله أم تريدون استفهاما على كلام قد سبقه كما قال جل ثناؤه الم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه فجاءت أم وليس قبلها استفهام فكان ذلك عنده دليلا على انه استفهام مبتدأ على كلام سبقه وقال قائل هذه المقالة أم فى المعنى تكون واردة على الاستفهام على جهتين أحدهما ان تعرف معنى أى والاخرى أن يستفهم بها ويكون على جهة النسق والذى ينوى به الابتداء الا أنه ابتداء متصل بكلام فلو ابتدأت كلاما ليس قبله كلام ثم استفهمت لم يكن الا بالالف أو بهل قال وان شئت قلت فى قوله أم تريدون قبله استفهام فرد عليه وهو فى قوله ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير والصواب من القول فى ذلك عندى على ما جاءت به الآثار التى ذكرناها عن أهل التأويل انه استفهام مبتدأ بمعنى أتريدون أيها القوم ان تسألوا رسولكم وانما جاز أن يستفهم القوم بأم وان كانت أم أحد شروطها أن تكون نسقا فى الاستفهام لتقدم ما تقدمها من الكلام لانها تكون استفهاما مبتدأ اذا تقدمها سابق من الكلام ولم يسمع من العرب استفهام بها ولم يتقدمها كلام ونظيره قوله جل ثناؤه الم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه وقد تكون أم بمعنى بل اذا سبقها استفهام لا يصلح فيه أى فيقولون هل لك قبلنا حق أم أنت رجل معروف بالظلم وقال الشاعر

فوالله ما أدرى أسلمى تغولت * أم القوم أم كل الى حبيب

يعنى بل كل الى حبيب وقد كان بعضهم يقول منكرا قول من زعم ان أم فى قوله أم تريدون استفهام مستقبل منقطع من الكلام يميل بها الى أوله ان الاول خبر والثانى استفهام والاستفهام لا يكون فى الخبر والخبر لا يكون فى الاستفهام ولكن أدركه الشك بزعمه بعد مضى الخبر فاستفهم فاذا كان معنى أم ما وصفنا فتأويل الكلام أتريدون أيها القوم ان تسألوا رسولكم من الاشياء نظير ما سأل قوم موسى من قبلكم فتكفروا ان منعتموه فى مسألتكم ما لا يجوز فى حكمة الله اعطاؤكموه أو تهلكوا ان كان مما يجوز فى حكمته اعطاؤكموه فاعطاكموه ثم كفرتم من بعد ذلك كما هلك من كان قبلكم من الامم التى سألت أنبياءها ما لم يكن لها مسألتها اياهم فلما أعطيت كفرت فعوجلت بالعقوبات لكفرها بعد اعطاء الله اياها سؤلها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ومن يتبدل الكفر بالايمان) يعنى جل ثناؤه بقوله ومن يتبدل ومن يستبدل الكفر ويعنى بالكفر الجحود بالله وبآياته بالايمان يعنى بالتصديق بالله وبآياته والاقرار به وقد قيل عنى بالكفر فى هذا الموضع الشدة وبالايمان الرخاء ولا أعرف الشدة فى معانى الكفر ولا الرخاء فى معنى الايمان الا أن يكون قائل ذلك أراد بتأويله الكفر بمعنى الشدة فى هذا الموضع وبتأويله الايمان فى معنى الرخاء ما أعد الله الكفار فى الآخرة من الشدائد وما أعد الله لاهل الايمان فيها من النعيم فيكون ذلك وجها وان كان بعيدا من المفهوم بظاهر الخطاب ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن أبى العالية ومن يتبدل الكفر بالايمان يقول يتبدل الشدة بالرخاء حدثنا القاسم قال ثنا

الذى أمر به ابراهيم عليه السلام اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ويؤكد ذلك قوله لله أى خالصا له لا يشوبه شرك فلا يكون عابدا مع الله غيره ولا معلقا رجاءه بغيره وزاد التاكيد بقوله وهو محسن أى حال كونه محسنا فى عمله ومعنى الاحسان هو الذى فى الحديث الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولا ريب أن العبادة على هذا الوجه لا تصدر الا عن صدق النية وصفاء الطوية فان مثول العبد بين يدى مولاه يشغله عن الالتفات الى ما سواه فلا يقع قصده فيما هو فيه الا لوجه الله فلا يصدر عنه شئ من السيآت وأما الطاعات والمباحات فتكون مقتضية لتزايد الحسنات ورفع الدرجات فى الخبر من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة وذلك أن المتطيب ان كان قصده التنعم واستيفاء اللذات أو التودد الى النسوان كان التطيب معصية وان كان قصده اقامة السنة ودفع الروائح المؤذية عن عباد الله وتعظيم المسجد فهو عين الطاعة وكذا الكلام فى المناكح والمطاعم والمشارب والضابط ان كل ما فعلته لداعى الحق فهو العمل الحق وكل ما عملته لغير الله فحلالها حساب وحرامها عذاب روى أن رجلا فى بنى اسرائيل مر بكثبان من رمل فى مجاعة فقال فى نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيه قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وليس النية ان يقول فى نفسه أو بلسانه عند تدريسه أو تجارته نويت ان أدرس لله أو أتجر لله هيهات انها حديث نفس أو لسان وما ذاك الا كقول الفارغ نويت ان أعشق وأما النية فهى انبعاث النفس وميلها الى سلوك طريق الحق فى كل فعل فاجتهد فى تصيير ذلك ملكة لنفسك شعر * والناس فيما يعشقون مذاهب * فمنهم من يعمل لباعث الخوف من النار فله ذلك ومنهم من يعمل لباعث الطمع فى الجنة وهم أكثر أهل الجنة لقصور هممهم عن طموح ما فوقهما من الكمالات واللذات الحقيقيات أكثر أهل الجنة البله ومنهم من يعمل لله فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الحسن ولما جمع الله تعالى أهل الكتابين فى الآية المتقدمة فصل بينهما وبين قول كل فريق فى حق الآخر والظاهر حمل لفظى اليهود والنصارى على العموم وان كان السبب خاصا لان هذا الاعتقاد كل واحد من كل من الطائفتين فى حق الاخرى روى أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى

الحسن قال حدثني حجاج عن ابن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية بمثله وفي قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل دليل واضح على ماقلنا من أن هذه الآيات من قوله يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا خطاب من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتاب منه لهم على أمر سلف منهم مما سر به اليهود وكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فكرهه الله لهم فعاتبهم على ذلك وأعلمهم ان اليهود أهل غش لهم وحسد وبغي وأنهم يتمنون لهم المكاره ويبغونهم الغوائل ونهاهم ان ينتصحوهم وأخبرهم ان من ارتد منهم عن دينه فاستبدل بايمانه كفرا فقد اخطأ قصد السبيل ۞ القول في تاويل قوله تعالى (فقد ضل سواء السبيل) أما قوله فقد ضل فانه يعني به ذهب وحاد وأصل الضلال عن الشئ الذهاب عنه والحود ثم يستعمل في الشئ الهالك والشئ الذي لايؤبه له كقولهم للرجل الخامل الذي لاذكر له ولانباهة ضل بن ضل وقل بن قل كقول الاخطل في الشئ الهالك

كنت القذى في موج أكدر مزبد * قذف الأتي به فضل ضلالا

يعني هلك فذهب والذي عنى الله تعالى ذكره بقوله فقد ضل سواء السبيل فقد ذهب عن سواء السبيل وحاد عنه وأما تاويل قوله سواء السبيل فانه يعني بالسواء القصد والمنهج وأصل السواء الوسط ذكر عن عيسى بن عمر النحوي انه قال مازلت أكتب حتى انقطع سوائي يعني وسطي وقال حسان بن ثابت

ياويح أنصار النبي ونسله * بعد المغيب في سواء الملحد

يعني بالسواء الوسط والعرب تقول هو في سواء السبيل يعني في مستوى السبيل وسواء الارض مستواها عندهم وأما السبيل فانها الطريق المسبول صرف من مسبول الى سبيل فتاويل الكلام اذا ومن يستبدل بالايمان بالله وبرسوله الكفر فيرتد عن دينه فقد حاد عن منهج الطريق ووسطه الواضح المسبول وهذا القول ظاهره الخبر عن زوال المستبدل بالايمان الكفر عن الطريق والمعنى به الخبر عنه انه ترك دين الله الذي ارتضاه لعباده وجعله لهم طريقا يسلكونه الى رضاه وسبيلا يركبونها الى محبته والفوز بجنانه فجعل جل ثناؤه الطريق الذي اذا ركب محجته السائر فيه ولزم وسطه المجتاز فيه نجى وبلغ حاجته وأدرك طلبته لدينه الذي دعا اليه عباده مثلا لادراكهم بلزومه واتباعه ادراكهم طلباتهم في آخرتهم كالذي يدرك اللازم محجة السبيل بلزومه اياها طلبته من النجاة منها والوصول الى الموضع الذي أمه وقصده وجعل مثل الحائد عن دينه والحائد عن اتباع مادعاه اليه من عبادته في حياته مارجا أن يدركه بعمله في آخرته وينال به في معاده وذهابه عما أمل من ثواب عمله وبعده به من ربه مثل الحائد عن منهج الطريق وقصد السبيل الذي لايزداد وغولا في الوجه الذي سلكه الا ازداد من موضع حاجته بعدا وعن المكان الذي أمه وأراده نأيا وهذه السبيل التي أخبر الله عنها ان من يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواءها هي الصراط المستقيم الذي أمرنا بمسألته الهداية له بقوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا) قال أبو جعفر وقد صرح هذا القول من قول الله جل ثناؤه بان خطابه بجميع هذه الآيات من قوله يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وان صرف في نفسه

الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود ما أنتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة ومعنى على شئ أي شئ يصح ويعتد به وفيه مبالغة عظيمة كقول العرب أقل من لاشئ عن ابن عباس والله صدقوا قلت وذلك أن الايمان بالله انما يعتد به اذا كان مؤمنا برسوله وبكل ما أنزله وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وحالهم انهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله ان يؤمن بالباقي ولا يكفر به لان جميع الكتب السماوية متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك الكاف للتشبيه وذلك اشارة الى المذكور أي قولا مثل الذي سمعت به قال الذين لايعلمون ومثل قولهم مكرر للتاكيد ولطول الكلام بالموصول والصلة والمراد بالذين لايعلمون الجهلة الذين لاعلم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام القائلين ان المسلمين ليسوا على شئ وفيه توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لايعلم فقالوا قولا عن التشهي والعصبية مثلهم فالله يحكم بينهم أي بين اليهود والنصارى يوم القيامة عن الحسن يكذبهم جميعا ويدخلهم النار ويجوز أن يرجع الضمير الى الكافرين الذين يعلمون والذين لايعلمون والى المسلمين ويحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفوا فيه فينتصر من الظالم المكذب للمظلوم المكذب أو يريهم من يدخل الجنة عيانا ويدخل النار عيانا أعاذنا الله تعالى منها (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لايعلمون لولا يكلمنا الله أو تاتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون)

القراآت قالوا اتخذ الله بلا واو العطف ابن عامر اتباعا لمصاحف أهل الشام كن فيكون بالنصب كل القرآن ابن عامر الا قوله كن فيكون الحق في آل عمران وكن فيكون قوله الحق في الانعام وافقه الكسائي في النحل ويس * الوقوف خرابها ط للفصل بين الاستفهام والخبر خائفين

ط لان مابعده اخبار وعيد مبتدأ منتظر عظيم ٥ وجه الله ط عليم ة ولدا (لا) تعجيلا التنزيه سبحانه ط والارض ط لان مابعده مبتدأ قانتون ٥ والارض ط لان اذا أجيبت بالفاء وكانت الشرط فيكون ٥ آية ط قلوبهم ط لان قد لتوكيد الاستئناف يوقنون ٥

* التفسير عن ابن عباس ان ملك النصارى غزا بيت المقدس فخربه وألقى فيه الجيف وحاصر أهله وقتلهم وسبى الذرية وأحرق التوراة ولم يزل خرابا حتى بناه أهل الاسلام فى زمان عمر فنزلت (٣٦٨) الآية فيهم وعن الحسن وقتادة والسدى نزلت فى بختنصر حيث خرب بيت المقدس وأعانه على ذلك بعض النصارى ورد بان بختنصر كان قبل مولد المسيح بزمان وقيل نزلت فى مشركى العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء الى الله بمكة والجؤه الى الهجرة فصاروا مانعين له ولاصحابه أن يذكروا الله فى المسجد الحرام وقيل المراد منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ووجه اتصال الآية بما قبلها على القولين الاولين هو أن النصارى ادعوا أنهم من أهل الجنة فقطع بين انهم أظلم منهم فكيف يدخلون الجنة وعلى الآخرين هو أنه جرى ذكر مشركى العرب فى قوله كذلك قال الذين لايعلمون فعقب ذلك بسائر قبائحهم ومن استفهامية لتقرير النفى أى ليس أحد أظلم ممن منع وأن يذكر ثانى مفعوليه لانك تقول منعته كذلك أو بدل من مساجد أو حذف حرف الجر مع أن والتقدير كراهة أن يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله تعالى مفرط فى الظلم ولا باس ان يجىء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن أذى صالحا واحدا من أظلم ممن أذى الصالحين ومثله ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وينبغى أن يراد بمن منع العموم أيضا لا الذين منعوا من أولئك النصارى أو المشركين باعيانهم والسعى فى خراب المساجد بانقطاع الذكر أو تخريب البنيان قيل ان لك قوله ومن أظلم الذى هو فى قوة ليس أحد أظلم ليس على عمومه لان الشرك أعظم من هذا الفعل ان الشرك لظلم عظيم وكذا الزنا وقتل النفس قلت اما استعمال لفظ الظلم فى هذا المعنى ففى غاية الحسن لان المسجد موضوع لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك واضع للشىء فى غير موضعه واما أنه لا أظلم منه فلانه ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه الخصلة الشنعاء فلا أظلم منه وان كان يدعى الاسلام ففعله مناقض لقوله لان من

الكلام الى خطاب النبى صلى الله عليه وسلم انما هو خطاب منه للمؤمنين وأصحابه وعتاب منه لهم ونهى عن انتصاح اليهود ونظرائهم من أهل الشرك وقبول آرائهم فى شىء من أمور دينهم ودليل على انهم كانوا استعملوا أو من استعمل منهم فى خطابه ومسئلته رسول الله صلى الله عليه وسلم الجفاء وما لم يكن له استعماله معه تأسيا باليهود فى ذلك أو ببعضهم قال لهم ربهم ناهيا لهم عن استعمال ذلك لا تقولوا لنبيكم صلى الله عليه وسلم كما تقول له اليهود راعنا تأسيا منكم بهم ولكن قولوا انظرنا واسمعوا فان أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر بى وجحود لحقى الواجب عليكم فى تعظيمه وتوقيره ولمن كفر بى عذاب أليم فان اليهود والمشركين ما يودون أن ينزل عليكم من خير من ربكم ولكن كثيرا منهم ودوا انهم يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم لكم ولنبيكم محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الحق فى أمر محمد وانه نبى اليهم والى خلق كافة وقد قيل ان الله جل ثناؤه عنى بقوله ود كثير من أهل الكتاب كعب بن الاشرف حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى فى قوله ود كثير من أهل الكتاب هو كعب بن الاشرف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان العمرى عن معمر عن الزهرى وقتادة ود كثير من أهل الكتاب قال كعب بن الاشرف وقال بعضهم بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق وحدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال كان حيى بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسدا اذ خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين فى رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فأنزل الله فيهما ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم الآية وليس لقول القائل عنى بقوله ود كثير من أهل الكتاب كعب بن الاشرف معنى مفهوم لان كعب بن الاشرف واحد وقد أخبر الله جل ثناؤه ان كثيرا منهم يودون لو يردون المؤمنين كفارا بعد ايمانهم والواحد لا يقال له كثير بمعنى الكثرة فى العدد الا أن يكون قائل ذلك أراد بوجه الكثرة التى وصف الله بها من وصفه بها فى هذه الآية الكثرة فى العز ورفعة المنزلة فى قومه وعشيرته كما يقال فلان فى الناس كثير يراد به كثرة المنزلة والقدر فان كان أراد ذلك فقد أخطأ لان الله جل ثناؤه قد وصفهم بصفة الجماعة فقال لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا فذلك دليل على انه عنى الكثرة فى العدد أو يكون ظن أنه من الكلام الذى يخرج مخرج الخبر عن الجماعة والمقصود بالخبر عنه الواحد نظير ما قلنا آنفا فى بيت جميل فيكون ذلك أيضا خطأ وذلك ان الكلام اذا كان بذلك المعنى فلا بد من دلالة فيه تدل على أن ذلك معناه ولا دلالة تدل فى قوله ود كثير من أهل الكتاب ان المراد به واحد دون جماعة كثيرة فيجوز صرف تأويل الآية الى ذلك واحالة دليل ظاهره الى غير الغالب فى الاستعمال ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (حسدا من عند أنفسهم) ويعنى بقوله جل ثناؤه حسدا من عند أنفسهم ان كثيرا من أهل الكتاب يودون للمؤمنين ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم انهم يودونه لهم من الردة عن ايمانهم الى الكفر حسدا منهم وبغيا عليهم والحسد اذا منصوب على غير النعت للكفار ولكن على وجه المصدر الذى يأتى خارجا من معنى الكلام الذى يخالف لفظه لفظ المصدر كقول القائل لغيره تمنيت

لك ماتمنيت من السوء حسدا مني لك فيكون الحسد مصدرا من معنى قوله تمنيت من السوء لان في قوله تمنيت لك ذلك معنى حسدتك على ذلك فعلى هذا نصب الحسد لان في قوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا يعني حسدكم أهل الكتاب على ماأعطاكم الله من التوفيق ووهب لكم من الرشاد لدينه والايمان برسوله وخصكم به من أن جعل رسوله اليكم رجلا منكم رؤفا بكم رحيما ولم يجعله منهم فتكونوا لهم تبعا فكان قوله حسدا مصدرا من ذلك المعنى وأما قوله من عند أنفسهم فانه يعني بذلك من قبل أنفسهم كما يقول القائل لي عندك كذا وكذا يعني لي قبلك وكما حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر قوله من عند أنفسهم وانما أخبر الله جل ثناؤه عنهم المؤمنين انهم ودوا ذلك للمؤمنين من عند أنفسهم اعلاما منه لهم بانهم لم يؤمروا بذلك في كتابهم وانهم يأتون ما يأتون من ذلك على علم منهم بنهي الله اياهم عنه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (من بعد ما تبين لهم الحق) يعني جل ثناؤه بقوله من بعد ما تبين لهم الحق أي من بعد ما تبين لهؤلاء الكثير من أهل الكتاب الذين يودون انهم يردونكم كفارا من بعد ايمانكم الحق في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند ربه والملة التي دعا اليها فاضاء لهم ان ذلك الحق الذي لا يمترون فيه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة من بعد ما تبين لهم الحق من بعد ما تبين لهم أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسلام دين الله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية من بعد ما تبين لهم الحق يقول تبين لهم أن محمدا رسول الله يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله وزاد فيه فكفروا به حسدا وبغيا اذ كان من غيرهم حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي من بعد ما تبين لهم الحق قال الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم فتبين لهم انه الرسول حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد من بعد ما تبين لهم الحق قال قد تبين لهم انه رسول الله قال أبو جعفر فدل بقوله ذلك ان كفر الذين قص قصتهم في هذه الآية بالله وبرسوله عناد وعلى علم منهم ومعرفة بانهم على الله مفترون كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس من بعد ما تبين لهم الحق يقول الله تعالى ذكره من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيأ ولكن الحسد حملهم على الجحد فعيرهم الله ولامهم ووبخهم أشد الملامة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) يعني جل ثناؤه بقوله فاعفوا فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وخطأ في رأي أشاروا به عليكم في دينكم ارادة صدكم عنه ومحاولة ارتدادكم بعد ايمانكم وعما سلف منهم من قيلهم لنبيكم صلى الله عليه وسلم اسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين واصفحوا عما كان منهم من جهل في ذلك حتى يأتي الله بأمره فيحدث لكم من أمره فيكم ما يشاء ويقضي فيهم ما يريد فقضى فيهم تعالى ذكره وأتى بأمره فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فنسخ الله جل ثناؤه العفو عنهم

اعتقاد ان له معبودا عرف وجوب عبادته عقلا أو شرعا والعبادة تستدعي متعبدا لامحالة فتخريب المعبد ينبئ عن انكار العبادة وانكار العبادة يستلزم انكار المعبود فهذا الشخص لا يكون في الحقيقة مسلما وانما هو منخرط في سلك أهل النفاق والمنافق كافر أسوأ حالا من الكافر الاصلي بالاتفاق أولئك المانعون ما كان لهم أي ما ينبغي لهم أن يدخلوها في حال من الاحوال الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين (٣٦٩) منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل هذه بشارة للمؤمنين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وانه يذل المشركين لهم حتى لا يدخلوا المسجد الحرام الا خائفين من أن يعاقبوا أو يقتلوا ان لم يسلموا وقد أنجز الله هذا الوعد فنعهم من دخول المسجد الحرام ونادى فيهم عام حج أبو بكر ألا لا يحجن بعد العام مشرك وأمر النبي صلى الله عليه وسلم باخراج اليهود من جزيرة العرب وصار بيت المقدس في أيدي المسلمين وقيل يحرم عليهم دخول المسجد الا في أمر يتضمن الخوف نحو أن يدخلوا المحاكمة أو المخاصمة أو المحاجة وقيل اللفظ خبر ولكن معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن هنا قال مالك لا يجوز للكافر دخول المساجد وخصص الشافعي المنع بالمسجد الحرام لجلالة قدره ومزيد شرفه والتصريح بذلك في قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وجوز أبو حنيفة دخول المساجد كلها لما روي انه صلى الله عليه وسلم قدم عليه وفد ثقيف فانزلهم المسجد وأجيب بانه في أول الاسلام ثم نسخ بالآية والخزي ذل بمنعهم من المساجد أو بالجزية في حق أهل الذمة وبالسبي والقتل في حق أهل الحرب وفيه ردع لهم عن ثباتهم على الكفر وقيل الخزي فتح مدائنهم قسطنطينية وعمورية ورومية والعذاب العظيم يناسب الظلم العظيم ولنذكر هنا فوائد الاولى في بيان فضل المساجد ومن ذلك اضافتها الى الله في الآية وذلك دليل على شرفها وكذا في قوله وأن المساجد لله بلام الاختصاص انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال صلى الله عليه وسلم أحب البلاد الى الله مساجدها وأبغض

والصفح بفرض قتالهم على المؤمنين حتى تصير كلمتهم وكلمة المؤمنين واحدة أو يؤدوا الجزية عن يد صغارا كما **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير ونسخ ذلك قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره فأتى الله بأمره فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حتى بلغ وهم صاغرون أي صغارا ونقمة لهم فنسخت هذه الآية ما كان قبلها فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره قال اعفوا عن أهل الكتاب حتى يحدث الله أمرا فأحدث الله بعد فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى وهم صاغرون **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال انا معمر عن قتادة في قوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره قال نسختها اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره قال هذا منسوخ نسخه قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم صاغرون ۞ القول في تأويل قوله (ان الله على كل شيء قدير) قال أبو جعفر قد دللنا فيما مضى على معنى القدير وانه القوي فمعنى الآية ههنا ان الله على كل ما يشاء بالذين وصفت لكم أمرهم من أهل الكتاب وغيرهم قدير ان شاء الانتقام منهم بعنادهم ربهم وان شاء هداهم لما هداكم الله له من الايمان لا يتعذر عليه شيء أراده ولا يتعذر عليه أمر شاء قضاءه لان له الخلق والامر ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) قال أبو جعفر قد دللنا فيما مضى على معنى اقامة الصلاة وانها أداؤها بحدودها وفروضها وعلى تأويل الصلاة وما أصلها وعلى معنى ايتاء الزكاة وانه اعطاؤها بطيب نفس على ما فرضت ووجبت وعلى معنى الزكاة واختلاف المختلفين فيها والشواهد الدالة على صحة القول الذي اخترنا في ذلك بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله فانه يعني جل ثناؤه بذلك ومهما تعملوا من عمل صالح في أيام حياتكم فتقدموه قبل وفاتكم ذخرا لانفسكم في معادكم تجدوا ثوابه عند ربكم يوم القيامة فيجازيكم به والخير هو العمل الذي يرضاه الله وانما قال تجدوه والمعنى تجدوا ثوابه كما **حدثت** عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله تجدوه يعني تجدوا ثوابه عند الله قال أبو جعفر لاستغناء سامعي ذلك بدليل ظاهر على معنى المراد منه كما قال عمرو بن لجا

وسبحت المدينة لا تلمها * رأت قمرا بسوقهم نهارا

وانما أراد وسبح أهل المدينة وانما أمرهم جل ثناؤه في هذا الموضع بما أمرهم به من اقام الصلاة وايتاء الزكاة وتقديم الخيرات لانفسهم ليطهر وابذلك من الخطا الذي سلف منهم في استنصاحهم اليهود وركون من كان ركن منهم اليهم وجفاء من كان جفا منهم في خطابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله راعنا اذ كانت اقامة الصلوات كفارة للذنوب وايتاء الزكاة تطهيرا للنفوس والابدان من أدناس

البلاد الى الله أسواقها وليس ذلك الا لان المسجد يذكر الحبيب والسوق يشغل عنه وفي الآية نكتة وهي ان مخرب المساجد لما كان في نهاية الظلم والكفر يلزم أن يكون عامر المساجد في غاية العدل والايمان الثانية في فضل المشي الى المساجد عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فيه فريضة من فرائض الله كانت خطواته احداها تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة وقال صلى الله عليه وسلم لبني سلمة حين أرادوا أن ينتقلوا الى قرب المسجد دياركم تكتب آثاركم الثالثة في تزيين المساجد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أمرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى التشييد رفع البناء وتطويله والزخرفة التزيين والتمويه وأمر عمر ببناء مسجد فقال أكن الناس من المطر واياك ان تحمر أو تصفر فتفتن الناس الرابعة في تحية المسجد عن أبي قتادة أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس وتؤدى التحية بالفرض أو النفل نواها أو لا وهذا مذهب الحسن البصري ومكحول والشافعي وأحمد واسحق وقيل يجلس ولا يصلي واليه ذهب ابن سيرين وعطاء بن أبي رباح والنخعي وقتادة ومالك والثوري وأصحاب الرأي الخامسة في الدعاء عند الدخول في المسجد والخروج عنه روت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك السادسة في فضيلة القعود فيه لانتظار الصلاة عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه فتقول اللهم اغفر له وارحمه ما لم يحدث السابعة في كراهية البيع والشراء فيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تناشد الاشعار في المساجد وعن البيع والشراء فيها وان يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلاة يعني لمذاكرة العلم ونحوه بل يشتغل بالذكر والصلاة والانصات للخطبة ثم لا بأس بالاجتماع والتحلق بعد الصلاة وأما طلب الضالة في المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فمكروه أيضا عن أبي هريرة أنه قال

أدناس الآثام وفى تقديم الخيرات ادراك الفوز برضوان الله ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (ان الله بما تعملون بصير) وهذا خبر من الله جل ثناؤه للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين انهم مهما فعلوا من خير وشر سرا وعلانية فهو به بصير لا يخفى عليه منه شئ فيجزيهم بالاحسان جزاءه و بالاساءة مثلها وهذا الكلام وان كان خرج مخرج الخبر فان فيه وعدا و وعيدا وأمرا و زجرا وذلك انه أعلم القوم انه بصير بجميع أعمالهم ليجدوا فى طاعته اذ كان ذلك مذخورا لهم عنده حتى يثيبهم عليه كما قال وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله وليحذروا معصيته اذ كان مطلعا على راكبها بعد تقدمه اليه فيها بالوعيد عليها وما أوعد عليه ربنا جل ثناؤه فمنهى عنه وما وعد عليه فمأمور به وأما قوله بصير فانه مبصر صرف الى بصير كما صرف مبدع الى بديع ومؤلم الى أليم ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى جل ذكره (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم) يعنى جل ثناؤه بقوله وقالوا وقالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة فان قال قائل وكيف جمع اليهود والنصارى فى هذا الخبر مع اختلاف مقالة الفريقين واليهود تدفع النصارى عن أن يكون لها فى ثواب الله نصيب والنصارى تدفع اليهود عن مثل ذلك قيل ان معنى ذلك بخلاف الذى ذهبت اليه وانما عنى به وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا النصارى ولكن معنى الكلام لما كان مفهوما عند المخاطبين به معناه جمع الفريقان فى الخبر عنهما فقيل قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى الآية قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا وأما قوله من كان هودا فان فى الهود قولين أحدهما أن يكونوا جمع هائد كما جاء عوط جمع عائط وعوذ جمع عائذ وحول جمع حائل فيكون جمعا للمذكر والمؤنث بلفظ واحد والهائد التائب الراجع الى الحق والآخر أن يكون مصدرا عن الجميع كما يقال رجل صوم وقوم صوم ورجل فطر وقوم فطر ونسوة فطر وقد قيل ان قوله الا من كان هودا انما هو قوله الا من كان يهوديا ولكنه حذف الياء الزائدة ورجع الى الفعل من اليهودية وقيل انه فى قراءة أبى الا من كان يهوديا أو نصرانيا وقد بينا فيما مضى معنى النصارى ولم سميت بذلك وجمعت كذلك بما أغنى عن اعادته وأما قوله تلك أمانيهم فانه خبر من الله تعالى ذكره عن قول الذين قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى انه أمانى منهم يتمنونها على الله بغير حق ولا حجة ولا برهان ولا يقين علم بصحة ما يدعون ولكن بادعاء الاباطيل وأمانى النفوس الكاذبة كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة تلك أمانيهم أمانى يتمنونها على الله كاذبة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع تلك أمانيهم قال أمانى تمنوا على الله بغير الحق ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) وهذا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم بدعاء الذين قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى الى أمر عدل بين جميع الفرق مسلمها ويهودها ونصاراها وهو اقامة الحجة على دعواهم التى ادعوا من أن الجنة لا يدخلها الا من كان هودا أو نصارى يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد قل للزاعمين ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا أو نصارى دون غيرهم من سائر البشر هاتوا برهانكم على ما تزعمون من ذلك فنسلم لكم دعواكم ان كنتم فى دعواكم من

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع رجلا ينشد ضالة فى المسجد فليقل لا أداها الله اليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد كره بعض السلف المسئلة فى المسجد وكان بعضهم لا يرى أن يتصدق على السائل المتعرض فى المسجد وقال معاذ بن جبل ان المساجد طهرت من خمس من أن تقام فيها الحدود أو يقبض فيها الخراج أو ينطق فيها بالاشعار أو ينشد فيها الضالة أو تتخذ سوقا ولم ير بعضهم بالقضاء فى المسجد بأسا لان النبى صلى الله عليه وسلم لاعن بين العجلانى وامرأته فى المسجد ولاعن عمر عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم وقضى شريح والشعبى ويحيى بن يعمر فى المسجد وكان الحسن وزرارة بن أبى أوفى يقضيان فى الرحبة خارجا من المسجد الثانية النوم فى المسجد عن عبادة بن تميم عن عمه انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا فى المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى وفيه دليل على جواز الاتكاء والاضطجاع وأنواع الاستراحة فى المسجد وجوازها فى البيت الا الانبطاح فانه صلى الله عليه وسلم نهى عنه وقال انها ضجعة يبغضها الله التاسعة فى كراهة البزاق فى المسجد عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال البزاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعنه صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يبصق امامه فانه يناجى الله ما دام فى مصلاه ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن شماله أو تحت رجله فيدفنه العاشرة عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم قال من أكل ثوما أو بصلا فليعتزل مسجدنا وعنه صلى الله عليه وسلم من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الانس الحادية عشرة فى بناء المساجد فى الدور عن عائشة قالت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد فى الدور وان تنظف وتطيب وفيه دليل ان مجرد تسمية الموضع بالمسجد لا يخرجه عن ملكه ما لم يسبله قوله عز من قائل ولله المشرق والمغرب الآية الاكثرون على انها نزلت فى أمر يختص بالصلاة ومنهم من زعم انها نزلت فى أمر لا يختص بالصلاة أما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه أحدها أراد به تحويل المسلمين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب وجميع الاطراف مملوكة له سبحانه ومخلوقة له فاينما أمركم باستقباله فهو القبلة لان القبلة ليست قبلة لذاتها بل بجعل الله تعالى فكانت الآية مقدمة لما أراد من نسخ القبلة وثانيها عن ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس أنكر اليهود ذلك فنزلت ردا عليهم وثالثها قول أبى مسلم ان كلا من اليهود والنصارى

زعمت أن الجنة لهم وحدهم فرد الله عليهم وذلك أن اليهود انما استقبلوا بيت المقدس لاعتقادهم أنه تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى
استقبلوا المشرق لان عيسى ولد هنالك اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فكل منهما وصف معبوده بالحلول في الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق
لا خالق فكيف تخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين المخلوق والخالق و رابعها قول قتادة وابن زيد أن الله تعالى وصف بيت المقدس بالتخيير
الى أي جهة شاؤا بهذه الآية وكان للمسلمين ذلك الا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختار التوجه الى بيت المقدس
ثم انه تعالى نسخ ذلك التخيير بتعيين الكعبة وخامسها أن الآية في حق من يشاهد الكعبة فله الاستقبال من أي جهة شاء وسادسها روى عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة في ليلة سوداء مظلمة فلم نعرف القبلة فجعل كل رجل منا مسجده حجارة موضوعة بين يديه ثم صلينا فلما أصبحنا اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية عذر الناس في خطئنا وهذا الحديث يدل على انهم حينئذ قد نقلوا الى الكعبة لان القتال فرض بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وسابعها عن ابن عمر نزلت في المسافر يصلي النوافل حيث توجهت به راحلته وكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعا يومئ برأسه نحو المدينة فمعنى الآية أينما تولوا وجوهكم لنوافلكم في أسفاركم فثم وجه الله أي فقد صادفتم رضاه ان الله واسع الفضل عليم بمصالحكم فمن ثم رخص لكم كيلا يلزم ترك النوافل والتخلف عن الرفقة فان النوافل غير محصورة بخلاف الفرائض فانها محصورة فتكليف النزول عن الراحلة لاستقبال القبلة لا يفضي فيها الى الحرج ولا يخفى ان الآية على الوجه الاول ناسخة وعلى الوجه الرابع منسوخة وعلى سائر الوجوه لا ناسخة ولا منسوخة وأما الفرقة الثانية فاختلفوا في أيضا فقيل الخطاب في تولوا للمانعين والساعين يريد انهم أين هربوا فان سلطاني يلحقهم وتدبيري يسبقهم وعلمي محيط بمكانهم عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه فقالوا نصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم الآية فقالوا انه كان لا يصلي الى القبلة فنزلت هذه الآية أي الجهات التي يصلي اليها أهل كل ملة لي فمن وجه نحو شيء منها يريد طاعة

أن الجنة لا يدخلها الا من كان هودا أو نصارى يعني والبرهان هو البيان والحجة والبينة كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة هاتوا برهانكم هاتوا بينتكم حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي هاتوا برهانكم هاتوا حجتكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قل هاتوا برهانكم قال حجتكم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قل هاتوا برهانكم أي حجتكم وهذا الكلام وان كان ظاهره ظاهر دعاء القائلين لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى الى احضار حجة على دعواهم ما ادعوا من ذلك فانه بمعنى تكذيب من الله لهم في دعواهم وقيلهم لانهم لم يكونوا قادرين على احضار برهان على دعواهم تلك أبدا وقد أبان قوله بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن على ان الذي ذكرنا من الكلام بمعنى التكذيب لليهود والنصارى في دعواهم ما ذكرنا عنهم وأما تأويل قوله قل هاتوا برهانكم فانه أحضروا وأتوا به ﴿القول في تأويل قوله تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن)﴾ يعني بقوله جل ثناؤه بلى من أسلم انه ليس كما قال الزاعمون لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ولكن من أسلم وجهه لله وهو محسن فهو الذي يدخلها وينعم فيها كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال أخبرهم أن من يدخل الجنة هو من أسلم وجهه لله الآية وقد بينا معنى بلى فيما مضى قبل وأما قوله من أسلم وجهه لله فانه يعني باسلام الوجه التذلل لطاعته والاذعان لامره وأصل الاسلام الاستسلام لانه من استسلمت لامره وهو الخضوع لامره وانما سمي المسلم مسلما بخضوع جوارحه لطاعة ربه كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بلى من أسلم وجهه لله يقول أخلص لله وكما قال زيد بن عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

يعني بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته المزن وانقادت له وخص الله جل ثناؤه بالخبر عمن أخبر عنه بقوله بلى من أسلم وجهه لله باسلام وجهه له دون سائر جوارحه لان أكرم أعضاء ابن آدم وجوارحه وجهه وهو أعظمها عليه حرمة وحقا فاذا خضع لشيء وجهه الذي هو أكرم أجزاء جسده عليه فغيره من أجزاء جسده أحرى أن يكون أخضع له ولذلك تذكر العرب في منطقها الخبر عن الشيء فتضيفه الى وجهه وهي تعني بذلك نفس الشيء وعينه كقول الاعشى

وأول الحكم على وجهه * ليس قضائي بالهوى الجائر

يعني بقوله على وجهه على ما هو به من صحته وصوابه وكما قال ذو الرمة

فطاوعت همي وانجلى وجه نازل * من الامر لم يترك خلاجا نزولها

يريد وانجلى النازل من الامر فتبين وما أشبه ذلك اذ كان حسن كل شيء وقبحه في وجهه وكان في وصفها من الشيء وجهه بما تصفه به ابانة عن عين الشيء ونفسه فكذلك معنى قوله جل ثناؤه بلى من أسلم وجهه لله انما يعني بلى من أسلم لله بدنه فخضع له بالطاعة جسده وهو محسن في اسلامه له جسده فله أجره عند ربه فاكتفى بذكر الوجه من ذكر جسده لدلالة الكلام على المعنى الذي أريد به بذكر الوجه وأما قوله وهو محسن فانه يعني به في حال احسانه وتأويل الكلام بلى من أخلص طاعته لله وعبادته له محسنا

وجد ثوابي وكان في هذا عذر النجاشي وأصحابه الذين ماتوا على استقبال المشرق كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وعن الحسن ومجاهد والضحاك لما نزلت ادعوني أستجب لكم قالوا أين ندعوه فنزلت وعن علي بن عيسى أنه خطاب المسلمين أي لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من أرضه فلله بلاد المشرق والمغرب والجهات كلها ففي أي مكان فعلتم التولية التي أمرتم بها بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام فولوا وجوهكم شطره فثم الجهة المأمورة المرضية وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وقيل نزلت في المجتهدين في الصلاة أو في غيرها وفيه أن المجتهد اذا رأى بشرائط الاجتهاد رأيا فهو مصيب ومعنى فولوا في جميع الوجوه استقبلوا بوجوهكم اليها ويقال ولى هاربا أي أدبر فالتولية من الاضداد ومن جعل الخطاب للمانعين احتمل أن يريد بالتولية الادبار وثم اشارة الى المكان خاصة وقد زعمت المجسمة من الآية أن لله تعالى وجها وأيضا سمها واسعا والسعة من نعوت الاجسام والجواب أن الآية عليه لا له فان الوجه لو حمل على مفهومه اللغوي لزم خلاف المعقول فانه ان كان محاذيا للشرقي استحال أن يكون حينئذ محاذيا للغربي فلابد من تأويل هو أن الاضافة للتشريف مثل بيت الله وناقة الله لانه خلقهما وأوجدهما فاي وجه من وجوه العالم وجهاته المضافة اليه بالخلق والتكوين نصبه وعينه فهو قبلة والمراد بالوجه القصد والنية مثل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض أو المراد فثم مرضاة الله مثل انما نطعمكم لوجه الله فان المتقرب الى رضا أحد شيئا فشيئا كالمتوجه الى شخص ذاهبا اليه شيئا فشيئا وكيف يكون له وجه أو جهة أم كيف يكون جسما أو جسمانيا وانه خالق الامكنة والاحياز والجواهر والاعراض والخالق مقدم على المخلوق تقدما بالذات والعلية والشرف فالمراد بالسعة كمال الاستيلاء والقدرة والملك وكثرة العطاء والرحمة والانعام وانه تعالى قادر على الاطلاق في توفية ثواب من يقوم بالمامورات على شرطها وتوفية عقاب من يتكاسل فيها عليم بواقع نياتهم فيجازيهم على حسب أعمالهم قوله وقالوا اتخذ الله ولدا نوع آخر من قبائح أفعال اليهود والنصارى والمشركين جميعا فقد مر ذكرهم في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم وفي قوله ومن أظلم كما مر والضمير يصلح العود اليهم فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب قالوا الملائكة

في فعله ذلك ﴿ القول في تأويل قوله (فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني بقوله جل ثناؤه فله أجره عند ربه فللمسلم وجهه لله محسنا جزاؤه وثوابه على اسلامه وطاعته ربه عند الله في معاده ويعني بقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على المسلمين وجوههم لله وهم محسنون المخلصين له الدين في الآخرة من عقابه وعذاب جحيمه وما قدموا عليه من أعمالهم ويعني بقوله ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا ولا ان يمنعوا ما قدموا عليه من نعيم ما أعد الله لاهل طاعته وانما قال جل ثناؤه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقد قال قبل فله أجره عند ربه لان من التي في قوله بلى من أسلم وجهه لله في لفظ واحد ومعنى جميع فالتوحيد في قوله فله أجره للفظ والجمع في قوله ولا خوف عليهم للمعنى ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) قال أبو جعفر ذكر ان هذه الآية نزلت في قوم من أهل الكتابين تنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة وحدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قالا جميعا ثنا محمد ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثني سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن حريملة ما أنتم على شيء وكفر بعيسى بن مريم وبالانجيل فقال رجل من أهل نجران من النصارى ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فانزل الله عز وجل في ذلك من قولهما وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء الى قوله فيما كانوا فيه يختلفون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء قال هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأما تأويل الآية فانه قالت اليهود ليست النصارى على شيء في دينها على صواب وقالت النصارى ليست اليهود في دينها على صواب وانما أخبر الله عنهم بقيلهم ذلك للمؤمنين اعلاما منه لهم بتضييع كل فريق منهم حكم الكتاب الذي يظهر الاقرار بصحته وانه من عند الله وجحودهم مع ذلك ما أنزل الله فيه من فروضه لان الانجيل الذي تدين بصحته وحقيقته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى عليه السلام وما فرض الله على بني اسرائيل فيها من الفرائض وان التوراة التي تدين بصحتها وحقيقتها اليهود تحقق نبوة عيسى عليه السلام وما جاء به من عند الله من الاحكام والفرائض ثم قال كل فريق منهم للفريق الآخر ما أخبر الله عنهم في قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء مع تلاوة كل واحد من الفريقين كتابه الذي يشهد على كذبه في قيله ذلك فاخبر جل ثناؤه ان كل فريق منهم قال ما قال من ذلك على علم منهم انهم فيما قالوه مبطلون وأتوا ما أتوا من كفرهم بما كفروا به على معرفة منهم بانهم فيه ملحدون فان قال لنا قائل أو كانت اليهود والنصارى بعد ان بعث الله رسوله على شيء فيكون الفريق القائل منهم ذلك للفريق الآخر مبطلا في قيله ما قال من ذلك قيل قد روينا الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس قبل من ان انكار كل فريق منهم انما كان انكار النبوة النبي صلى الله

عليه وسلم الذى ينتحل التصديق به وبما جاء به الفريق الآخر لادفعا منهم أن يكون الفريق الآخر فى الحال التى بعث الله فيها نبينا صلى الله عليه وسلم على شئ من دينه بسبب جحوده نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكيف يجوز أن يكون معنى ذلك انكار كل فريق منهم أن يكون الفريق الآخر على شئ بعد بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم وكلا الفريقين كان جاحدا نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فى الحال التى أنزل الله فيها هذه الآية ولكن معنى ذلك وقالت اليهود ليست النصارى على شئ من دينها منذ دانت دينها وقالت النصارى ليست اليهود على شئ منذ دانت دينها وذلك هو معنى الخبر الذى رويناه عن ابن عباس آنفا فكذب الله الفريقين فى قيلهما ما قالا كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ قال بلى قد كانت أوائل النصارى على شئ ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا وقالت النصارى ليست اليهود على شئ ولكن القوم ابتدعوا وتفرقوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ قال قال مجاهد قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شئ وأما قوله وهم يتلون الكتاب فانه يعنى به كتاب الله التوراة والانجيل وهما شاهدان على فريقى اليهود والنصارى بالكفر وخلافهم أمر الله الذى أمرهم به فيه كما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قالا جميعا ثنا ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس فى قوله وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم أى كل يتلوا فى كتابه تصديق ما كفر به أى يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم من الميثاق على لسان موسى بالتصديق بعيسى عليه السلام وفى الانجيل مما جاء به عيسى تصديق موسى وما جاء به من التوراة من عند الله وكل يكفر بما فى يد صاحبه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله بقوله كذلك قال الذين لا يعلمون فقال بعضهم بما حدثنى به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال الذين لا يعلمون مثل قولهم قال وقالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الذين لا يعلمون مثل قولهم قال قالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم وقال آخرون بما حدثنا به القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج قلت لعطاء من هؤلاء الذين لا يعلمون قال أمم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والانجيل وقال بعضهم عنى بذلك مشركى العرب لانهم لم يكونوا أهل كتاب فنسبوا الى الجهل ونفى عنهم من أجل ذلك العلم ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فهم العرب قالوا ليس محمد صلى الله عليه وسلم على شئ والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان الله أخبر تبارك وتعالى عن قوم وصفهم بالجهل ونفى عنهم العلم بما كانت اليهود والنصارى به عالمين انهم قالوا بجهلهم نظير ما قال اليهود والنصارى بعضها لبعض مما أخبر الله عنهم انهم قالوه فى قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود

بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما فى السموات والارض ملكا وخلقا وابداعا وصنعا ومن جملتهم الملائكة وعزير والمسيح والولد لا بد أن يكون من جنس الوالد ومن أين المناسبة بين واجب الوجود لذاته وممكن الوجود لذاته اللهم الا فى مطلق الوجود وذلك لا يقتضى شركة فى الحقيقة الخاصة بكل منهما وقد يتخذ الولد للحاجة اليه فى الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته وذلك على الغنى المطلق والقيوم الحق محال كل له قانتون التنوين عوض عن محذوف أى كل ما فى السموات والارض والقنوت فى الاصل الدوام ثم الطاعة أو طول القيام أو السكوت فالمعنى أن دوام الممكنات واستمرارها جميعا به ولاجله وقيل عن مجاهد وابن عباس مطيعون فسئل ما الكفار فأجاب أنهم يطيعون يوم القيامة فسئل هذا للمكلفين وقوله بل له ما فى السموات يعم المكلف وغيره فعدل الى تفسير آخر قائلا المراد كونها شاهدة على وجود الخالق بما فيها من آثار القدرة وأمارات الحدوث أو كون جميعها فى ملكه وتحت قهره لا يمتنع عن تصرفه فيها كيف يشاء وعلى هذه الوجوه جمع السلامة فى قانتون للتغليب أو يراد كل من الملائكة وعزير والمسيح عابدون له مقرون بربوبيته منكرون لما أضافوا اليهم من الولدية وعلى هذا الوجه يجمع على الاصل يحكى أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال لبعض النصارى لولا تمرد عيسى عن عبادة الله تعالى لصرت على دينه فقال النصرانى كيف يجوز أن ينسب ذلك الى عيسى مع جده فى طاعة الله فقال على ان كان عيسى الها فالاله كيف يعبد غيره وانما العبد هو الذى يليق به العبادة فانقطع النصرانى وبهت بديع خبر مبتدأ محذوف أى هو بديع السموات والارض عمم أولا لان الملكية والاختصاص لا يستلزم كون المالك موجدا للمملوك ثم خصص ثانيا فقال بديع بدع الشئ بالضم فهو بديع وأبدعته اخترعته لا على مثال وهذا من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها أى بديع سمواته وأرضه وقيل بمعنى المبدع كأليم بمعنى مؤلم وضعف ثم انه تعالى بين كيفية ابداعه فقال واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون أصل التركيب من ق ض ى يدل على القطع قضى القاضى بهذا اذا فصل الدعوى وانقضى الشئ انقطع وقضى حاجته قطعها عن المحتاج وقضى الامر اذا أتمه وأحكمه لان اتمام العمل قطع له وقضى دينه أداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه وضاق به الشئ لانه كانه مقطوع الاطراف والامر الشان والفعل ههنا ومعنى قضى أمرا

اليهود على شئ وجائز أن يكونوا هم المشركين من العرب وجائز أن يكونوا أمة كانت قبل اليهود والنصارى ولا أمة أولى ان يقال هي التي عنيت بذلك من أخرى اذا لم يكن في الآية دلالة على أي من أي ولا خبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتت حجته من جهة نقل الواحد العدل ولا من جهة النقل المستفيض وانما قصد الله جل ثناؤه بقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اعلام المؤمنين ان اليهود والنصارى قد أتوا من قبل الباطل وافتراء الكذب على الله وجحود نبوة الانبياء والرسل وهم أهل كتاب يعلمون انهم فيما يقولون مبطلون وبجحودهم ما يجحدون من ملتهم خارجون وعلى الله مفترون مثل الذى قاله أهل الجهل بالله وكتبه ورسله الذين لم يبعث الله لهم رسولا ولا أوحى اليهم كتابا وهذه الآية تنبئ على ان من أتى شيا من معاصى الله على علم منه بنهى الله عنها فمصيبته في دينه أعظم من مصيبة من أتى ذلك جاهلا به لان الله تعالى ذكره عظم توبيخ اليهود والنصارى بما وبخهم به في قيلهم ما أخبر عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ من أجل انهم أهل كتاب قالوا ما قالوا من ذلك على علم منهم انهم مبطلون ❁ القول في تاويل قوله تعالى (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى بذلك جل ثناؤه فالله يقضى فيفصل بين هؤلاء المختلفين القائل بعضهم لبعض لستم على شئ من دينكم يوم قيام الخلق لربهم من قبورهم فيتبين المحق منهم من المبطل باثابته المحق ما وعد أهل طاعته على أعماله الصالحة ومجازاته المبطل منهم بما أوعد أهل الكفر به على كفرهم به فيما كانوا فيه يختلفون من أديانهم ومللهم في دار الدنيا وأما القيامة فهى مصدر من قول القائل قمت قياما وقيامة كما قال عدت فلانا عيادة وصنت هذا الامر صيانة وانما عنى بالقيامة قيام الخلق من قبورهم لربهم فمعنى القيامة يوم قيامة الخلائق من قبورهم لمحشرهم ❁ القول في تاويل قوله تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) قد دللنا فيما مضى قبل على ان تاويل الظلم وضع الشئ في غير موضعه وتاويل قوله ومن أظلم وأى امرئ أشد تعديا وجراءة على الله وخلافا لامره من امرئ منع مساجد الله أن يعبد الله فيها والمساجد جمع مسجد وهو كل موضع عبد الله فيه وقد بينا معنى السجود فيما مضى فمعنى المسجد الموضع الذى يسجد لله فيه كما يقال للموضع الذى يجلس فيه المجلس وللموضع الذى ينزل فيه منزل ثم يجمع منازل ومجالس نظير مسجد ومساجد وقد حكى سماعا من بعض العرب مساجد في واحد المساجد وذلك كالخطأ من قائله وأما قوله أن يذكر فيها اسمه فان فيه وجهين من التاويل أحدهما ان يكون معناه ومن أظلم ممن منع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه فتكون ان حينئذ نصبا من قول بعض أهل العربية بفقد الخافض وتعلق الفعل بها والوجه الآخر أن يكون معناه ومن أظلم ممن منع أن يذكر اسم الله في مساجده فتكون ان حينئذ في موضع نصب تكريرا على موضع المساجد وردا عليه وأما قوله وسعى في خرابها فان معناه ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وممن سعى في خراب مساجد الله فسعى اذا عطف على منع فان قال قائل ومن الذى عنى الله بقوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها وأى المساجد هى قيل ان أهل التاويل في ذلك مختلفون فقال بعضهم الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه هم النصارى والمسجد بيت المقدس

أنه أو حكم بانه يفعله أو أحكمه قال شعر وعليهما مسرودتان قضاهما * داود اذ وضع السوابغ تبع ثم من قرأ فيكون بالرفع على تقدير فهو يكون فلا اشكال وأما من قرأ بالنصب على انه جواب الامر فاورد عليه ان جواب الامر لا بد أن يخالف الامر في الفعل أو في الفاعل أو فيهما نحو اذهب تنتفع أو اذهب يذهب زيد أو اذهب ينفعك زيد فاما ان يتفق الفعلان والفاعلان نحو اذهب تذهب فغير جائز لان الشئ لا يكون شرطا لنفسه قلت لا استبعاد في هذا لان الغرض الذى رتب على الامر قد يكون شيا مغايرا لفعل الامر وذلك أكثرى وقد لا يكون الغرض الا مجرد ذلك الفعل فيوقع ذلك الفعل في جواب نفسه ليعلم أن الغرض منه ليس شيا آخر مغايرا له فقول القائل اذهب تذهب أو فتذهب معناه اعلام أن الغرض من الامر هو نفس صدور الذهاب عنه لا شئ آخر كما أن المقصود في الآية من الامر بالوجود هو نفس الوجود فاوقع كان التامة جوابا لمثلها لهذا الغرض على انه يمكن ان يشبه الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن جوابا له من حيث المعنى فان قلت ان قوله فيكون لما كان من تتمة المقول فالصواب ان يكون بتاء الخطاب نحو اذهب فتذهب قلت هذا الحادث قد ذكر مرتين بلفظ الغيبة في قوله أمرا وفي قوله له ومرة على سبيل الخطاب فغلب جانب الغيبة ويحتمل ان يكون من باب الالتفات تحقيرا لشانه في سهولة تكونه ولان أول الكلام مع المكلفين فروعى ذلك وههنا بحث آخر وهو انه لا يجوز ان يتوقف ايجاد الله تعالى لشئ على صدور لفظة كن منه لوجوه الاول ان قوله كن اما ان يكون قديما أو محدثا لا جائز ان يكون قديما لان النون لكونه مسبوقا بالكاف يكون محدثا لا محالة والكاف لكونه متقدما على المحدث بزمان مقدر يكون محدثا أيضا ولان اذا للاستقبال فالقضاء محدث وقوله كن مرتب عليه بفاء التعقيب والمتاخر عن المحدث محدث ولان تكون الحلوق مرتب على كونه كن بالفاء والمتقدم على المحدث بزمان محصور محدث أيضا ولا جائز ان يكون كن محدثا والا احتاج الى مثله ويلزم اما الدور واما التسلسل واذا بطل القسمان بطل توقف الاشياء على كن الثانى اما ان يخاطب المخلوق بكن قبل دخوله في الوجود وخطاب المعدوم سفه واما بعد دخوله في الوجود ولا فائدة فيه والثالث المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة الرابع اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فان تمكن من الايجاد فلا حاجة الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه انهم النصارى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون هو بختنصر وجنده ومن أعانهم من النصارى والمسجد مسجد بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه الآية أولئك أعداء الله النصارى حملهم بغض اليهود على ان أعانوا بختنصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها قال هو بختنصر وأصحابه خرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها قال الروم كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس حتى خربه وأمر به ان تطرح فيه الجيف وانما أعانه الروم على خرابه من أجل ان بني اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا وقال آخرون بل عنى الله عز وجل بهذه الآية مشركي قريش اذ منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها قال هؤلاء المشركون حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة حتى نحر هديه بذي طوى وهادنهم وقال لهم ما كان أحد يرد عن هذا البيت وقد كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فيه فما يصده وقالوا لا يدخل علينا من قتل آباءنا يوم بدر وفينا باق وفي قوله وسعى في خرابها قال اذا قطعوا من يعمرها بذكره ويأتيها للحج والعمرة وأولى التأويلات التي ذكرتها بتأويل الآية قول من قال عنى الله عز وجل بقوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه النصارى وذلك انهم هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس وأعانوا بختنصر على ذلك ومنعوا مؤمني بني اسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصر عنهم الى بلاده والدليل على صحة ما قلنا في ذلك قيام الحجة بان لا قول في معنى هذه الآية الا أحد الاقوال الثلاثة التي ذكرناها وان لا مسجد عنى الله عز وجل بقوله وسعى في خرابها الا أحد المسجدين اما مسجد بيت المقدس واما المسجد الحرام واذ كان ذلك كذلك وكان معلوما ان مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا في بعض الاوقات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الصلاة فيه صح وثبت ان الذين وصفهم الله عز وجل بالسعي في خراب مساجده غير الذين وصفهم الله بعمارتها اذ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام في الجاهلية وبعمارته كان افتخارهم وان كان بعض أفعالهم فيه كان منهم على غير الوجه الذي يرضاه الله منهم وأخرى ان الآية التي قبل قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه مضت بالخبر عن اليهود والنصارى وذم أفعالهم والتي

الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز القادر بالنظر الى ذاته أو يرجع الحاصل الى تسمية القدرة بكن ولا نزاع في اللفظ الخامس أنا نعلم بالضرورة أنه لا تأثير لهذه الكلمة اذا تكلمنا بها وكذا اذا تكلم بها غيرنا السادس المؤثر اما مجموع الكاف والنون ولا وجود لهما مجموعين فعند مجيء الثاني ينقضي الاول واما أحدهما وهذا خلاف المفروض فثبت بهذه الوجوه ان حمل الآية على الظاهر غير جائز فلا بد من تأويل وأصحه ان يقال المراد ان ما قضاه من الامور وأراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف فشبه حال هذا المتكون بحال المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يأبى وفيه تأكيد لاستبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقيل انه علامة وضعها الله تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا أنه أحدث أمرا عن أبي الهذيل وقيل انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة ومن يجري مجراهم من الامم وقيل أمر للاحياء بالموت وللموتى بالحياة وقال الذين لا يعلمون يعني الجهلة من المشركين وقيل من أهل الكتاب أيضا ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به فالآية الاولى فيها بيان قدحهم في التوحيد وهذه الآية فيها بيان قدحهم في النبوة ولولا التي حرف تحضيض أي هلا يكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكيم اذا أراد تحصيل شيء اختار أقرب الطرق المؤدية الى المطلوب ثم انه تعالى كلم الملائكة وكلم موسى وأنت تقول يا محمد انه كلمك فأوحى الى عبده ما أوحى فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص على نبوتك حتى يتأكد الاعتقاد وتزول الشبهة فان لم يفعل ذلك فلم لا تأتي بآية ومعجزة وهذا طعن منهم في كون القرآن آية ومعجزة فأجابهم الله تعالى بقوله كذلك قال الذين من قبلهم من مكذبي الرسل تشابهت قلوبهم أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله أتواصوا به فكما ان قوم موسى كانوا أبدا في التعنت واقتراح الاباطيل لن نصبر على طعام واحد أرنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم آلهة بعدها فكذلك هؤلاء المشركون قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وكذلك المعاصرون من اليهود والنصارى يسئلك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء قد بينا الآيات لقوم يفقهون فيوقنون انها آيات فلو كان غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفاء بها لكونها آيات ظاهرة هي القرآن العظيم الذي أخرس شقاشق الفصحاء عن آخرهم ومعجزات باهرة

بعدها نعت بذم النصارى والخبر عن افترائهم على ربهم ولم يجر لقريش ولا لمشركى العرب ذكر ولا للمسجد الحرام قبلها فيوجه الخبر بقول الله عز وجل ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه اليهم والى المسجد الحرام واذ كان ذلك كذلك فالذى هو أولى بالآية أن يوجه تاويلها اليه هو ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها اذ كان خبرها الخبرهما نظيرا وشكلا الا أن تقوم حجة يجب التسليم لها بخلاف ذلك وان اتفقت قصصها فاشتبهت فان ظن ظان ان ماقلنا فى ذلك ليس كذلك اذ كان المسلمون لم يلزمهم قط فرض الصلاة فى المسجد المقدس فمنعوا من الصلاة فيه فيلجؤن توجيه قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه الى انه معنى به مسجد بيت المقدس فقد أخطأ فيما ظن من ذلك وذلك ان الله جل ذكره انما ذكر ظلم من منع من كان فرضه الصلاة فى بيت المقدس من مؤمنى بنى اسرائيل واياهم قصد بالخبر عنهم بالظلم والسعى فى خراب المسجد وان كان قد دل بعموم قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ان كل مانع مصليا فى مسجد الله فرضا كانت صلاته فيه أو تطوعا وكل ساع فى اخرابه فهو من المتعدين الظالمين ۞ القول فى تاويل قوله جل ذكره (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) وهذا خبر من الله عز وجل عمن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه انه قد حرم عليهم دخول المساجد التى سعوا فى تخريبها ومنعوا عباد الله المؤمنين من ذكر الله عز وجل فيها ماداموا على مناصبة الحرب الا على خوف ووجل من العقوبة على دخولهموها كالذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين وهم اليوم كذلك لا يوجد نصرانى فى بيت المقدس الا نهك ضربا وأبلغ اليه فى العقوبة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال الله عز وجل ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين وهم النصارى فلا يدخلون المسجد الا مسارقة ان قدر عليهم عوقبوا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين فليس فى الارض رومى يدخلها اليوم الا وهو خائف أن تضرب عنقه أو قد أخيف باداء الجزية فهو يؤديها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين قال نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال فجعل المشركون يقولون اللهم انا منعنا ان ننزل وانما قيل أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين فاخرج على وجه الخبر عن الجميع وهو خبر عمن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه لان من فى معنى الجميع وان كان لفظه واحدا ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) أما قوله عز وجل لهم فانه يعنى الذين أخبر عنهم انهم منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وأما قوله لهم فى الدنيا خزى فانه يعنى بالخزى العار والشر والذلة اما القتل والسباء واما الذلة والصغار باداء الجزية كما حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة لهم فى الدنيا خزى قال يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قوله لهم فى الدنيا خزى أما خزيهم فى الدنيا فانهم اذا قام المهدى وفتحت القسطنطينية قتلهم فذلك الخزى وأما العذاب العظيم فانه عذاب جهنم الذى لا يخفف عن أهله ولا

كمجىء الشجرة وحنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل وأيضا لو كان فى معلوم الله تعالى انهم يؤمنون عند انزال ما اقترحوه لفعلها لكنه علم لجاجهم وعنادهم فلا جرم لم يفعل ذلك وأيضا لعل فى تلك الآيات مفاسد لا يعلمها الا علام الغيوب كافضائها الى حد الالجاء المخل بالتكليف وكايجابها استئصالهم بالكلية اذا استمروا على التكذيب وكخروجها عن القدر الصالح لالزام الحجة وأيضا كثرة الآيات وتعاقبها ينافى كونها خوارق العادة فلا تبقى آيات وكل ما أدى وجوده الى عدمه ففرض وجوده محال فثبت بهذه البيانات ان عدم اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح فى صحة النبوة والله أعلم * التاويل مساجد الله التى يذكر فيها اسمه بها عند أهل النظر النفس والقلب والروح والسر والخفى وهو سر السر وذكر كل مسجد منها مناسب لذلك المسجد فذكر مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بترك الحسنات وملازمة السيئات وذكر مسجد القلب التوحيد والمعرفة ومنع الذكر فيه بالتمسك بالشبهات والتعلق بالشهوات كما أوحى الله الى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك كل الشهوات فان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها عنى محجوبة وذكر مسجد الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ والمسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر فيه بالركون الى الكرامات والقربات وذكر مسجد الخفى بذل الوجود وترك الموجود ومنع الذكر فيه بالالتفات الى المشاهدات والمكاشفات أولئك ما كان لهم أن يدخلوا هذه المشاهد بقدم السلوك الا بخطوات الخوف من سوء الحساب وألم العقاب لهم فى الدنيا خزى من ذل الحجاب ولهم فى الآخرة عذاب الحرمان من جوار الله ولله المشرق والمغرب القلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها ولله فى مشرق كل قلب ومغربه شارق وطارق

فطارق القلب من هواجس النفس يطرق بظلمات المنى عند غلبات الهوى وغروب نجم الهدى وشارق القلب من واردات الروح يشرق بانوار الفتوح عند غلبات الشوق وطلوع قمر الشهود فتكون القبلة واضحة والدلالات لائحة فاذا تجلت شمس صفات الجلال خفيت نجوم صفات الجمال واذا استولى سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة طويت بايدى سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض ولا السماء ولا الظلمة

ولا الضياء اذ ليس عند الله صباح ولا مساء وتلاشى العبدية فى كعبة العندية وفود وابغناء الغناء من عالم البقاء رفعت القبلة وما بقى الا الله فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع يوسع قلب من يشاء من عباده عليم بتوسيع القلب لسعته بلا كيف وحيف كما قال لا يسعنى أرضى ولا سمائى وانما يسعنى قلب عبدى المؤمن والله أعلم (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير الذين

آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) القرآآت ولا تسئل على النهى نافع ويعقوب الباقون بضم التاء ورفع اللام على الخبر * الوقوف ونذيرا (لا) للعطف أى نذيرا وغير مسؤل الا لمن قرأ ولا تسئل على النهى لاختلاف الجملتين الجحيم ٥ ملتهم ط الهدى ط من العلم لا لان نفى الولاية والنصرة يتعلق بشرط اتباع أهوائهم فكان فى الاطلاق حظر نصيره تلاوته ط لان ما بعدها مبتدأ آخر مع خبره وعندى أن الاصوب عدم الوقف لتكون الجملة أعنى يتلونه حالا من مفعول أتينا أو من فاعله مقدرة وقوله أولئك يؤمنون به الجملة خبر الذين لان الاخبار عن أهل الكتاب مطلقا بانهم يتلونه حق تلاوته لا يصح اللهم الا أن يحمل الكتاب على القرآن كما يجىء يؤمنون به ط للابتداء بالشرط الخاسرون ٥ العالمين ٥ ينصرون ٥ * التفسير لما بين غاية اصرارهم على العناد وتصميمهم على الكفر بعد نزول ما يكفى فى باب الاقتداء والاهتداء من الآيات البينات أراد أن يسلى ويسرى عن رسوله لئلا يضيق صدره فقال انا أرسلناك يا محمد بالحق والصواب حسبما تقتضيه الحكمة وهو أن لا يكون لك ان تجبرهم على الايمان بل لا يتجاوزه لك عن أن تكون بشيرا لمن اتبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك بكل سوء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فانك غير مسؤل عن أصحاب الجحيم وهو من أسماء النار وكل نار عظيمة فى مهواة فهى جحيم من قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وأما قراءة النهى فيروى أنه قال ليت شعرى ما فعل

يقضى عليهم فيها قبو وتواوتاويل الآية لهم فى الدنيا الذلة والهوان والقتل والسبى على منعهم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعيهم فى خرابها ولهم على معصيتهم وكفرهم بربهم وسعيهم فى الارض فسادا عذاب جهنم وهو العذاب العظيم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) يعنى جل ثناؤه بقوله ولله المشرق والمغرب لله ملكهما وتدبيرهما كما يقال لفلان هذه الدار يعنى بها انها له ملكا فذلك قوله ولله المشرق والمغرب يعنى انهما له ملكا وخلقا والمشرق هو موضع شروق الشمس وهو موضع طلوعها كما يقال لموضع طلوعها منه مطلع بكسر اللام وكما بينا فى معنى المساجد آنفا فان قال قائل أو ما كان لله الا مشرق واحد ومغرب واحد حتى قيل ولله المشرق والمغرب قيل ان معنى ذلك غير الذى ذهبت اليه وانما معنى ذلك ولله المشرق الذى تشرق منه الشمس كل يوم والمغرب الذى تغرب فيه كل يوم فتاويله اذا كان ذلك معناه ولله ما بين قطرى المشرق وما بين قطرى المغرب اذ كان شروق الشمس كل يوم من موضع منه لا تعود لشروقها منه الى الحول الذى بعده وكذلك غروبها كل يوم فان قال أو ليس وان كان تاويل ذلك ما ذكرت فلله كل ما دونه الخلق خلقه قيل بلى فان قال فكيف خص المشارق والمغارب بالخبر عنها انها له فى هذا الموضع دون سائر الاشياء غيرها قيل قد اختلف أهل التاويل فى السبب الذى من أجله خص الله ذكر ذلك بما خصه به فى هذا الموضع ونحن مبينو الذى هو أولى بتاويل الآية بعد ذكرنا أقوالهم فى ذلك فقال بعضهم خص الله جل ثناؤه ذلك بالخبر من أجل ان اليهود كانت توجه فى صلاتها وجوهها قبل بيت المقدس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك مدة ثم حولوا الى الكعبة فاستنكرت اليهود ذلك من فعل النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها فقال الله تبارك وتعالى لهم المشارق والمغارب كلها لى أصرف وجوه عبادى كيف أشاء منها فحيثما تولوا فثم وجه الله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قال كان أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة ابراهيم عليه السلام فكان يدعو وينظر الى السماء فأنزل الله تبارك وتعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء الى قوله فولوا وجوهكم شطره فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها فأنزل الله عز وجل قل لله المشرق والمغرب وقال أينما تولوا فثم وجه الله حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى نحوه وقال آخرون بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين به التوجه شطر المسجد الحرام وانما أنزلها عليه معلما نبيه عليه الصلاة والسلام بذلك وأصحابه ان لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاؤا من نواحى المشرق والمغرب لانهم لا يوجهون وجوههم وجها من ذلك وناحية الا كان جل ثناؤه فى ذلك الوجه وتلك الناحية لان له المشارق والمغارب وانه لا يخلو منه مكان كما قال جل وعز ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا قالوا ثم نسخ ذلك بالفرض الذى فرض عليهم فى التوجه شطر المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا

ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله جل وعز ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ثم نسخ ذلك بعد ذلك فقال الله ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام حدثت عن الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فاينما تولوا فثم وجه الله قال هي القبلة ثم نسختها القبلة الى المسجد الحرام حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا همام قال ثنا يحيى قال سمعت قتادة في قول الله فاينما تولوا فثم وجه الله قال كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وبعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام فنسخها في آية أخرى فلنولينك قبلة ترضاها الى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره قال فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر القبلة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعته يعني زيدا يقول قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم يهود يستقبلون بيتا من بيوت الله لو انا استقبلناه فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم ستة عشر شهرا فبلغه ان يهود تقول والله مادرى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم فكره ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ورفع وجهه الى السماء فقال الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء الآية وقال آخرون نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم اذنا من الله عز وجل له أن يصلي التطوع حيث توجه به من شرق أو غرب في مسيره في سفره وفي حال المسايفة وفي شدة الخوف والتقاء الزحوف في الفرائض وأعلمه انه حيث وجه وجهه فهو هنالك بقوله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا عبد الملك عن سعيد بن جبير عن ابن عمر انه كان يصلي حيث توجهت به راحلته ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ويتأول هذه الآية اينما تولوا فثم وجه الله حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر انه قال انما نزلت هذه الآية أينما تولوا فثم وجه الله ان تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في السفر تطوعا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رجع من مكة يصلي على راحلته تطوعا يومئ برأسه نحو المدينة وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في قوم عميت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها فصلوا على انحاء مختلفة فقال الله عز وجل لهم لي المشارق والمغارب فان وليتم وجوهكم فهنالك وجهي وهو قبلتكم معلمهم بذلك ان صلاتهم ماضية ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو الربيع السمان عن عاصم بن عبيد عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلا فجعل الرجل يأخذ الاحجار فيعمل مسجدا يصلي فيه فلما أصبحنا اذا نحن قد صلينا على غير القبلة فقلنا يارسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة فانزل الله عز وجل ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم حدثني المثنى قال حدثني الحجاج قال ثنا حماد قال قلت للنخعي اني كنت استيقظت أو قال أيقظت شك الطبري فكان في السماء سحاب فصليت لغير القبلة قال مضت صلاتك يقول الله عز وجل فاينما تولوا فثم وجه الله حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي

أي فانتهى عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وفي هذه الرواية بعد لان سياق الكلام ينبو عن ذلك ولانه صلى الله عليه وسلم مع علمه الاجمالي بحال الكفار كيف يتمنى ذلك والاقرب أن معناه تعظيم ماوقع فيه الكفار من المحن كما اذا سألت عمن وقع في بلية فقال لك لا تسأل عنه فكان المسؤل يحرج ان يجري على لسانه ماهو فيه لفظاعته أو يرى انك لا تقدر على استماع خبره لانه يورث الوحشة والضجر وقوله ولن ترضى فيه اقناط لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم وان القوم قد بلغوا من التصميم على ماهم فيه الى حد لا يقنعون بالكفاف ولا يرضون رأسا برأس بل يريدون منك عكس ما تطمع منهم زاعمين ان ملتهم التي نسخها هي الهدى قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق ليس وراءه هدى لانه ناسخ للاديان كلها ولئن اتبعت أهواءهم مشتهياتهم وآراءهم الباطلة المنسوخة بعد الذي جاءك من العلم بامر الديانة لوضوح البراهين وسطوع الدلائل مالك من الله من عقابه وسخطه من ولي معين يعصمك ولا نصير يذب عنك قال أهل البرهان انما لم يقل في هذه الآية بعدما جاءك من العلم كما قال في آية القبلة على مايجيء لان العلم في الآية الاولى علم كامل ليس وراءه علم وهو العلم بالله وبصفاته وان الهدى هدى الله وكان لفظ الذي أليق لانه في التعريف أبلغ فان الذي يعرف صلته ولا يتنكر قط ويلزمه الالف واللام بخلاف ما فانه نكرة ولا يدخله الالف واللام وخصت آية القبلة بما ومن التي لابتداء الغاية لان المراد هنالك قليل من كثير العلم وهو العلم بالقبلة وليس الاول موقتا بوقت أعني العلم بالله وبصفاته فلم يحتج الى زيادة من التوقيتية وقريب من معنى القبلة مافي آل عمران من بعدما جاءك من العلم فلهذا جاء بلفظ ما وزاد لفظة من وأما في سورة الرعد فانه ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم لان العلم بها هو الحكم العربي أي القرآن فكان بعضا من الاول وهو العلم بالله وبصفاته فجاء بلفظ ما ولم يرد لفظ من التوقيتية لانه غير موقت والله أعلم باسرار كلامه وفي الآية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل حتى لا يكون اتباع الهوى وفيها انه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة على العلم بالمامور به لقوله بعدما جاءك من العلم فلان لا يجوز التوعد الا بعد القدرة على المامور به كان أولى ببطل القول بتكليف مالا يطاق وفيها أن الذي علم الله منه أنه لا يفعل الشيء يجوز منه أن يتوعده على فعله ونظيره قوله لئن شركت ليحبطن عملك وانما يحسن هذا الوعيد

عن أشعث السمان عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة في سفر فلم ندر أين القبلة فصلينا فصلى كل واحد منا على حاله ثم أصبحنا فذكرنا للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل فأينما تولوا فثم وجه الله * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في سبب النجاشي لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تنازعوا في أمره من أجل انه مات قبل ان يصلي القبلة فقال الله عز وجل المشارق والمغارب كلها لي فمن وجه وجهه نحو شيء منها يريدني به ويبتغي به طاعتي وجدني هنالك يعني بذلك ان النجاشي وان لم يكن صلى القبلة فانه قد كان يوجه الى بعض وجوه المشارق والمغارب وجهه يبتغي بذلك رضا الله عز وجل في صلاته ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا هشام بن معاذ قال حدثني أبي عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه قالوا نصلي على رجل ليس بمسلم قال فنزلت وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله قال قتادة فقالوا انه كان لا يصلي الى القبلة فأنزل الله عز وجل ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ان الله تعالى ذكره انما خص الخبر عن المشرق والمغرب في هذه الآية بأنهما له ملكا وان كان لا شيء الا وهو له ملك اعلاما منه عباده المؤمنين ان له ملكهما وملك ما بينهما من الخلق وان على جميعهم اذ كان له ملكهم طاعته فيما أمرهم ونهاهم وفيما فرض عليهم من الفرائض والتوجه نحو الوجه الذي وجهوا اليه اذ كان من حكم المماليك طاعة مالكهم فأخرج الخبر عن المشرق والمغرب والمراد به من بينهما من الخلق على النحو الذي قد بينت من الاكتفاء بالخبر عن سبب الشيء من ذكره والخبر عنه كما قيل وأشربوا في قلوبهم العجل وما أشبه ذلك ومعنى الآية اذا ولله ملك الخلق الذي بين المشرق والمغرب يتعبدهم بما شاء ويحكم فيهم ما يريد عليهم طاعته فولوا وجوهكم أيها المؤمنون نحو وجهي فانكم أينما تولوا وجوهكم فهنالك وجهي فأما القول في هذه الآية ناسخة أم منسوخة أم لا هي ناسخة ولا منسوخة فالصواب فيه من القول ان يقال انها جاءت مجيء العموم والمراد الخاص وذلك ان قوله فأينما تولوا فثم وجه الله محتمل أينما تولوا في حال سيركم في أسفاركم في صلاتكم التطوع وفي حال مسايفتكم عدوكم في تطوعكم ومكتوبتكم فثم وجه الله كما قال ابن عمر والنخعي ومن قال ذلك ممن ذكرنا عنه آنفا ومحتمل فأينما تولوا من أرض الله فتكونوا بها فثم قبلة الله التي توجهون وجوهكم اليها لان الكعبة ممكن لكم التوجه اليها منها كما قال أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي سنان عن الضحاك والنضر بن عربي عن مجاهد في قول الله عز وجل فأينما تولوا فثم وجه الله قال قبلة الله فأينما كنت من شرق أو غرب فاستقبلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرني ابراهيم عن ابن أبي بكر عن مجاهد قال حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها قال الكعبة ومحتمل فأينما تولوا وجوهكم في دعائكم فهنالك وجهي أستجيب لكم دعاءكم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد لما نزلت ادعوني أستجب لكم قالوا الى أين فنزلت فأينما تولوا فثم وجه الله فاذ كان قوله عز وجل فأينما تولوا فثم وجه الله محتملا ما ذكرنا من الاوجه لم يكن لاحد أن يزعم انها ناسخة أو منسوخة الا بحجة يجب التسليم لها لان الناسخ لا يكون الا بمنسوخ ولم

لاحتمال أن الصارف له عن ذلك الفعل هو هذا الوعيد أو هو أحد صوارف مولان فينزجر أشد الانزجار لانهم اذا علموا أنه لا تحال النبي صلى الله عليه وسلم لو فرض منه اتباع أهوائهم مع ما ورد في حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر لم يبق لهم طمع في الخلاص لو وجد منهم ذلك الذين آتيناهم الكتاب قيل انهم المؤمنون الذين آتاهم القرآن لان الكتاب الذي يدح على تلاوته هو القرآن والاصح أنه لما قدم ذكر المعاندين من أهل الكتاب أراد أن يذكر مؤمنيهم ومعنى يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يتبعون مقتضاه من غير تكاسل ومنع متمكنين بأحكامه من حلال وحرام وغيرهما أو يخضعون عند تلاوته ويخشعون أو يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه أولئك يؤمنون بكتابهم دون من ليس على حالهم ممن لا يتلو الكتاب حق تلاوته كما يحق أن يتلى ومن يكفر به من المحرفين أو من الواضعين عن حقه فأولئك هم الخاسرون حيث لم ينتفعوا بما يحق ان ينتفع به وبغتهم وردهم نرجعوا منه بخفي حنين وفاز وابكل حين يا بني اسرائيل الآيتان رجوع الى أول القصة تذكيرا النعم بعد تعداد مواجب النقم ليتنبه منهم من وفق للتنبيه والله المستعان (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير) القراآت ابراهام بالالف في البقرة والنساء الا فقد آتينا آل ابراهيم وفي الانعام ملة ابراهام وفي جميع براءة الا وقوم ابراهيم وفي ابراهيم واذ قال ابراهام وفي النحل ومريم والعنكبوت ولما جاءت رسلنا ابراهام خاصة وفي حم عسق وجميع المفصل الا قوله في الممتحنة الا قول ابراهيم وفي الاعلى صحف ابراهيم هشام وابن ذكوان وروى بن مجاهد في هذه السورة فقط واعلم أن ذكر ابراهيم في القرآن تسعة وستون موضعا منها ثلاثة وثلاثون ابراهام بالالف في قراءة ابن عامر من ابن ذكوان وستة وثلاثون ابراهيم بالياء والعلة في ذلك اتباع مصحفهم فما كتب بالالف قرئ

تقم

بالالف وما كتب بالياء قرئ بالياء والاختيار عند الائمة أن يقرأ ههنا بالالف لبيان المذهب والبواقي بالياء لانه أحسن في اللفظ وأشهر و يوافقه
سائر الاسماء الاعجمية كاسرائيل واسرافيل واسمعيل عهدي مرسلة الياء حمزة وحفص واذ جعلنا و بابه مدغمة الذال في الجيم أبو عمرو وهشام
بيتي بالفتح أبو جعفر ونافع وحفص وهشام واتخذوا بفتح الخاء نافع وابن عامر الباقون بالكسر فامتعه خفيفا ابن عامر الباقون بالتشديد
* الوقوف فاتمهن ط اماما ط ذريتي ط الظالمين ه وأمنا ط لمن قرأ (٣٨١) واتخذوا بالكسر لاعتراض الامر بين ماضيين
مصلى ط كذلك ومن فتح الخاء
نسق الافعال الثلاثة فلا وقف
السجود ه واليوم الآخر ط عذاب
النار ط لان نعم وبئس للمبالغة في
المدح والذم فيبتدئ بهما تنبيها على
المدح والذم المصير ه * التفسير أنه
تعالى لما استقصى في شرح نعمه على
بني اسرائيل والمشركين ومقابلتهم
النعمة بالكفران والعناد شرع في
نوع آخر من البيان وهو ذكر قصة
ابراهيم عليه السلام لان كلهم
معترفون بفضله وانهم من أولاده
ومن ساكني حرمه وخدام بيته وفي
قصته أمور توجب الاعتراف بدين
محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد
لشرعه منها انه أمر ببعض التكاليف
ثم وفى بها فنال منصب الاقتداء به
فيعلم أن الخيرات كلها لا تحصل الا
بترك التمرد والانقياد لحكم الله والتزام
تكاليفه ومنها أنه طلب الامامة
لذريته فقيل له لا ينال عهدي
الظالمين فيعرف أن طالب الحق
يجب أن يترك التعصب والمراء
ووضع ما رفعه الله لينال الرياسة
الدارين ومنها أن القبلة لما حولت
الى الكعبة شق ذلك على اليهود فاريد
ازالة غيظهم بان هذا البيت قبلة
ابراهيم الذي اعترفوا بتعظيمه
والاقتداء به ومنها أنه دعا بارسال نبي
من ذريته وهو محمد صلى الله عليه
وسلم كما يجيء فيجب على من يعترف
بابراهيم أن يعترف بمحمد صلى الله عليه وسلم أما قوله واذ ابتلى العامل في اذ اما مضمر نحو واذكر وتكون بمعنى الوقت فقط أو واذ ابتلى كان
كيت وكيت واما قال اني جاعلك للناس اماما وعلى هذين التقديرين تكون ظرفا لكان أو قال وموقع قال لي الاولين استئناف كأنه قيل فماذا
قال له ربه حين أتم الكلمات فاجيب قال اني جاعلك وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها من الآيات ولا يخفى أن الاستئناف أصوب ليناسب
سياق الجملتين الآتيتين لو وردهما أيضا على طريقة السؤال المقدر والجواب وليكون على منهاج واذ جعلنا واذ قال ابراهيم واذ يرفع والابتلاء

تقم حجة يجب التسليم لها بان قوله فاينما تولوا فثم وجه الله معني به فاينما توجهوا وجوهكم في صلاتكم
فثم قبلتكم ولا انها نزلت بعد صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه نحو بيت المقدس أمرا من
الله عز وجل لهم بها ان يتوجهوا نحو الكعبة فيجوز أن يقال هي ناسخة الصلاة نحو بيت المقدس
اذ كان من أهل العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة التابعين من ينكر أن تكون نزلت
في ذلك المعنى ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت انها نزلت فيه وكان الاختلاف في أمرها
موجودا على ما وصفت ولا هي اذ لم تكن ناسخة لما وصفنا قامت حجتها بانها منسوخة اذ كانت محتملة
ما وصفنا بان تكون جاءت بعموم أو معناها في حال دون حال اذ كان عني بها التوجه في الصلاة وفي كل
حال ان كان عني بها الدعاء وغير ذلك من المعاني التي ذكرنا وقد دللنا في كتابنا كتاب البيان عن
أصول الاحكام على ان لا ناسخ من آي القرآن وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما نفى حكما ثابتا
وألزم العباد فرضه غير محتمل لظاهره و باطنه غير ذلك فاما اذا ما احتمل غير ذلك من أن يكون بمعنى
الاستثناء أو الخصوص والعموم أو المجمل أو المفسر فمن الناسخ والمنسوخ بمعزل بما أغنى عن تكريره
في هذا الموضع ولا منسوخ الا المنفي الذي قد كان ثبت حكمه وفرضه ولم يصح واحد من هذين المعنيين
لقوله فاينما تولوا فثم وجه الله بحجة يجب التسليم لها فيقال فيه هو ناسخ أو منسوخ وأما قوله فاينما
تولوا فان معناه حيثما وأما قوله تولوا فان الذي هو أولى بتاويله أن يكون تولون نحوه واليه كما
يقول القائل وليت وجهي وولّيته اليه بمعنى قابلته ووجهته وانما قلنا ذلك أولى بتاويل الآية
لاجماع الحجة على ان ذلك تاويله وشذوذ من تاوله بمعنى تولون عنه فتستدبرونه وأما قوله
فثم فانه بمعنى هنالك واختلف في تاويل قوله فثم فقال بعضهم تاويل ذلك فثم قبلة الله يعني
بذلك وجهه الذي وجههم اليه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن
النضر بن عربي عن مجاهد فثم وجه الله قال قبلة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني
حجاج عن ابن جريج قال أخبرني ابراهيم عن مجاهد قال حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها وقال
آخرون معنى قول الله عز وجل فثم وجه الله فثم الله تبارك وتعالى وقال آخرون معنى قوله فثم
وجه الله فثم تدركون بالتوجه اليه رضى الله الذي له الوجه الكريم وقال آخرون عني بالوجه ذو الوجه
وقال قائلو هذه المقالة وجه الله صفة له فان قال قائل وما هذه الآية من التي قبلها قيل هي لها مواصلة
وانما معنى ذلك ومن أظلم من النصارى الذين منعوا عباد الله مساجده أن يذكر فيها اسمه وسعوا في
خرابها ولله المشرق والمغرب فاينما توجهوا وجوهكم فاذكروه فان وجهه هنالك يسعكم فضله وأرضه
و بلاده و يعلم ما تعملون ولا يمنعكم تخريب من خرب مساجد بيت المقدس ومنعهم من منعوا من
ذكر الله فيه أن تذكروا الله حيث كنتم من أرض الله تبتغون به وجهه ۞ القول في تاويل قوله
(ان الله واسع عليم) يعني جل ثناؤه بقوله واسع يسع خلقه كلهم بالكفاية والافضال والجود
والتدبير وأما قوله عليم فانه يعني انه عليم بافعالهم لا يغيب عنه منها شيء ولا يعزب عن علمه بل هو
بجميعها عليم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات
والارض) يعني بقوله جل ثناؤه وقالوا اتخذ الله ولدا الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه

وقالوا معطوف على قوله وسعى فى خرابها وتاويل الآية ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها وقالوا اتخذ الله ولدا وهم النصارى الذين زعموا ان عيسى ابن الله فقال الله جل ثناؤه مكذبا قيلهم ما قالوا من ذلك ومنفيا ما نحلوه وأضافوا اليه بكذبهم وفريتهم سبحانه يعنى بها تنزيها وتبريا من أن يكون له ولد وعلوا وارتفاعا عن ذلك وقد دللنا فيما مضى على معنى قول القائل سبحان الله بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ثم أخبر جل ثناؤه ان له ما فى السموات والارض ملكا وخلقا ومعنى ذلك وكيف يكون المسيح لله ولدا وهو لا يخلوا اما أن يكون فى بعض هذه الاماكن اما فى السموات واما فى الارض ولله ملك ما فيهما ولو كان المسيح ابنا كما زعمتم لم يكن كسائر ما فى لسموات والارض من خلقه وعبيده فى ظهور آيات الصنعة فيه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (كل له قانتون) اختلف أهل التاويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك مطيعون ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله كل له قانتون مطيعون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل كل له قانتون قال مطيعون قال طاعة الكافر فى سجود ظله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بمثله الا انه زاد بسجود ظله وهو كاره حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى كل له قانتون يقول كل له مطيعون يوم القيامة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال حدثنى يحيى بن سعيد عمن ذكره عن عكرمة كل له قانتون قال الطاعة حدثت عن المنجاب بن الحارث قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قانتون مطيعون وقال آخرون معنى ذلك كل له مقرون بالعبودية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة كل له قانتون كل مقر له بالعبودية وقال آخرون بما حدثنى به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله كل له قانتون قال كل له قائم يوم القيامة والقنوت فى كلام العرب معان أحدها الطاعة والآخر القيام والثالث الكف عن الكلام والامساك عنه وأولى معانى القنوت فى قوله كل له قانتون الطاعة والاقرار لله عز وجل بالعبودية بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة والدلالة على وحدانية الله عز وجل وان الله تعالى ذكره بارئها وخالقها وذلك ان الله جل ثناؤه أكذب الذين زعموا ان لله ولدا بقوله بل له ما فى السموات والارض ملكا وخلقا ثم أخبر عن جميع ما فى السموات والارض انها مقرة بدلالتها على ربها وخالقها وان الله تعالى بارئها وصانعها وان جحد ذلك بعضهم فالسنتهم مذعنة له بالطاعة بشهادتها له بآثار الصنعة التى فيها بذلك وان المسيح أحدهم فانى يكون لله ولدا وهذه صفته وقد زعم بعض من قصرت معرفته عن توجيه الكلام وجهته ان قوله كل له قانتون خاصة لاهل الطاعة وليست بعامة وغير جائز ادعاء خصوص فى آية عام ظاهرها الا بحجة يجب التسليم لها لما قد بينا فى كتابنا كتاب البيان عن أصول الاحكام وهذا خبر من الله جل وعز عن ان المسيح الذى زعمت النصارى انه ابن الله مكذبهم هو والسموات والارض وما فيها اما باللسان واما بالدلالة وذلك ان الله جل ثناؤه أخبر عن جميعهم بطاعتهم اياه واقرارهم له بالعبودية عقيب قوله وقالوا اتخذ

الاختبار والامتحان عبر عن تكليفه اياه بالبلوى تشبيها الامر بامر المختبرين وبناء على العرف بيننا فان كثيرا منا قد يامر ليعرف ما يكون من المامور وحينئذ والافكيف يجوز حقيقة الابتلاء عليه تعالى مع أنه عالم بجميع المعلومات التى لانهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار أحد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه هو كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك واعلم أن هشام بن الحكم ومن تابعه زعم أنه تعالى كان فى الازل عالما بحقائق الاشياء وماهياتها فقط وأما حدوث تلك الماهيات ودخولها فى الوجود فهو تعالى لا يعلمها الا عند وقوعها بدليل هذه الآية وأمثالها المذكور فيها الابتلاء وكلمة لعل والجواب عنها ما مر وقد يستدل أيضا على مذهبه بوجوه معقولة منها انه تعالى لو كان عالما بالاشياء قبل وقوعها لزم نفى القدرة عن الخالق لان ما علم الله وقوعه استحال أن لا يقع وما علم أنه لا يقع استحال أن يقع ولا قدرة على الواجب وعلى الممتنع بالاتفاق والجواب أن الوجوب بالغير وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه وانما المنافى للقدرة عليه كونه واجبا لذاته أو ممتنعا لذاته ومنها أنه لو كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية أو كان لعلمه تعلقات غير متناهية فيلزم حصول موجودات غير متناهية دفعة واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء أزيد من ذلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه وكذا الزائد ونوقض بمراتب الاعداد التى لانهاية لها وأيضا المجموعية والزيادة والنقصان كلها من خواص المتناهى فاما الذى لانهاية له ففرض هذه الاعراض فيه محال ومنها أن هذه المعلومات التى لانهاية لها هل يعلم الله عددها مفصلة أو لا يعلم فان علم عددها فهى متناهية وان لم يعلم فهو المطلوب والجواب الاختيار أنه لا يعلم عددها ولا يلزم الجهل لان الجهل هو أن يكون لها عدد معين ثم ان الله لا يعلم عددها فاما اذا لم يكن لها عدد فى نفسها فلا جهل ومنها أن كل معلوم فهو متميز فى الذهن عما عداه وكل متميز عما عداه خارج عنه وكل ما خرج عنه غيره فهو متناه وكل معلوم متناه فما هو غير متناه استحال أن يكون معلوما والجواب أنه ليس من شرط المعلوم تميزه من غيره عند العالم لان العلم بتميزه عن غيره موقوف على العلم بذلك الغير ويلزم منه أن لا يعلم الانسان شيأ الا اذا علم أمورا لانهاية لها والحق أن نور الانوار لا يتناهى وورآءه لا يتناهى ما لا يتناهى واحاطة غير المتناهى

اتخذ الله ولدا فدل ذلك على صحة ما قلنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (بديع السموات والارض) يعنى جل ثناؤه بقوله بديع السموات والارض مبدعها وانما هو مفعل صرف الى فعيل كما صرف المؤلم الى اليم والمسمع الى سميع ومعنى المبدع المنشئ والمحدث ما لم يسبقه الى انشاء مثله واحداثه أحد ولذلك سمى المبتدع فى الدين مبتدعا لاحداثه فيه ما لم يسبقه اليه غيره وكذلك كل محدث فعلا أو قولا لم يتقدمه فيه متقدم فان العرب تسميه مبتدعا ومن ذلك قول الاعشى بن ثعلبة فى مدح هوذة بن على الحنفى

يرعى الى قول سادات الرجال اذا * أبدوا له الحزم أو ما شاءه ابتدعا

أى يحدث ما شاء ومنه قول رؤبة بن العجاج

فايها القاسى العراق الاتبعا * ان كنت لله التقى الاطوعا * فليس وجه الحق ان تبتدعا

يعنى أن تحدث فى الدين ما لم يكن فيه فمعنى الكلام سبحان الله أنى يكون له ولد وهو مالك ما فى السموات والارض تشهد له جميعا بدلالتها عليه بالوحدانية وتقر له بالطاعة وهو بارئها وخالقها وموجدها من غير أصل ولا مثال احتذاها عليه وهذا اعلام من الله جل ثناؤه عباده ان مما يشهد له بذلك المسيح الذى أضافوا الى الله جل ثناؤه بنوته واخبار منه لهم ان الذى ابتدع السموات والارض من غير أصل وعلى غير مثال هو الذى ابتدع المسيح من غير والد بقدرته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بديع السموات والارض يقول ابتدع خلقها ولم يشركه فى خلقها أحد حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى بديع السموات والارض يقول ابتدعها فخلقها ولم يخلق مثلها شيأ فتتمثل به ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) يعنى جل ثناؤه بقوله واذا قضى أمرا واذا أحكم أمرا وحتمه وأصل كل قضاء الاحكام والفراغ منه ومن ذلك قيل للحاكم بين الناس القاضى بينهم لفصله القضاء بين الخصوم وقطعه الحكم بينهم وفراغه ومنه قيل للميت قد قضى يراد به قد فرغ من الدنيا وفصل منها ومنه قيل ما ينقضى عجبى من فلان يراد ما ينقطع ومنه قيل تقضى النهار اذا انصرم ومنه قول الله عز وجل وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه أى فصل الحكم فيه بين عباده بامره اياهم بذلك وكذلك قوله وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب أى أعلمناهم بذلك وأخبرناهم به ففرغنا اليهم منه ومنه قول أبى ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع

ويروى * وتعاورا مسرودتين قضاهما * ويعنى بقوله قضاهما احكمهما ومنه قول الآخر فى مدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها * بوائق فى أكمامها لم تفتق

ويروى بوائج وأما قوله فانما يقول له كن فيكون فانه يعنى بذلك واذا أحكم أمرا فحتمه فانما يقول لذلك الامر كن فيكون ذلك الامر على ما أمره الله ان يكون واراده فان قال لنا قائل وما معنى قوله واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وفى أى حال يقول للامر الذى يقضيه كن فى حال عدمه وتلك حال لا يجوز أمره اذ كان محالا أن يأمر الا المأمور فاذا لم يكن المأمور استحال الامر كما محال الامر من غير آمر

بغير المتناهى غير بعيد وقد يتعلق علمنا بكثير من الاشياء قبل حصولها فاذا كان علمنا مع تناهى قوتنا ونور يتناهى كذا فما ظنك بالعليم الخبير الذى هو نور النور ومدبر الامور وكل عسير عليه يسير ابراهيم بالنصب ربه بالرفع هو المشهور وهذه الصورة مما يجب فيه تأخير الفاعل وازالته عن مركزه الاصلى فانه لو قدم الفاعل وقد اتصل به ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا وعن ابن عباس وأبى حنيفة رفع ابراهيم ونصب ربه فالمعنى أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيب الله تعالى اليه أم لا واختلف المفسرون فى أن ظاهر لفظ التنزيل هل يدل على تلك الكلمات أم لا فقال بعضهم اللفظ يدل عليها وهى الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والدعاء بابتعاث محمد صلى الله عليه وسلم فكل هذه تكاليف شاقة أما الامامة فلان المراد بها النبوة واعباؤها أكثر من أن تحصى ولهذا فان ثواب النبى أعظم من ثواب غيره وأما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده فمن وقف على ما روى فى كيفية بنائه عرف شدة البلوى فيه ثم انه يتضمن اقامة المناسك وقد امتحن الله الخليل بالشيطان فى الموقف كرمى الجمار وغيره وأما الاشتغال بالدعاء لبعث نبى آخر الزمان فيحتاج فيه الى الاخلاص وازالة الحسد عن القلب وذلك فى غاية الصعوبة واعترض على هذا القول بان المراد من الكلمات لو كانت هذه لناسب أن يذكر قوله فأتمهن بعد تعداد الجميع وأجيب بانه أخبر أنه ابتلاه بكلمات على الاجمال ثم أخبر أنه أتمها ثم فصل تلك الامور وهذا ترتيب فى غاية الحسن اذ لو ذكر فأتمهن بعد هذا التفصيل لوقع ضائعا ولانقطع النظم والقائلون بان ظاهر الآية لا دلالة فيه على الكلمات زعم بعضهم انها الكلمات التى تكلم بها ابراهيم مع قومه وقت تبليغ الرسالة وزعم بعضهم انها أوامر ونواه فعن ابن عباس هى عشر خصال كانت فريضة فى شرعه وهى عندنا سنة خمس فى الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس فى الجسد الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وقيل ابتلاه الله تعالى من شرائع الاسلام بثلاثين سهما عشرة فى براءة التائبون العابدون الآية وعشر فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر فى المؤمنين وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل هن مناسك الحج كالطواف والسعى والرمى والاحرام والوقوف بعرفة وقيل ابتلاه بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس والختان على الكبر والنار وذبح

الولد والهجرة فوفى بالكل وابراهيم الذي وفى وقيل ماذكره في قوله اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين وقيل المناظرات التي جرت بينه وبين أبيه ونمرود وقومه والصلاة والزكاة والصوم وقسم الغنائم والضيافة والصبر عليها وجملة القول أن الابتلاء يتناول الزام كل ما في فعله كلفة واللفظ يتناول مجموع هذه الاشياء وكلا منها الا أن الكلام في الرواية ثم قيل ان هذا الابتلاء كان قبل النبوة لانه تعالى نبه على أن قيامه بهن كالسبب لان جعله اماما وقيل انه بعد النبوة لانه لم يعلم كونه مكلفا بتلك التكاليف الا من الوحي والحق أن هذا يختلف باختلاف تفسير التكاليف فنها ما يعلم بالضرورة كونها قبل النبوة كحديث الكوكب والشمس والقمر ومنها ما ثبت أنه كان بعد النبوة كذبح الولد والهجرة والنار وكذا الختان فانه روى أنه ختن نفسه وكان سنه مائة وعشرين ومنها ما هو بصدد الاحتمال فقد يمكن أن يكون الى معرفته سبيل سوى الوحي كمنام أو الهام والضمير في أتمهن على القراءة المشهورة لابراهيم عليه السلام بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن التادية من غير تفريط وتوان وفي الاخرى لله تعالى أي فاعطاه ما طلبه ولم ينقص منه شيأ ويعضده ما روى عن مقاتل أنه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا والامام اسم لمن يؤتم به فعال بمعنى مفعول كالازار لما يؤتزر به أي يأتمون بك في دينهم والاكثرون على أن الامام ههنا النبي لانه جعله اماما لكل الناس فلو لم يكن مستقلا بشرع كان تابعا لرسول ويبطل العموم ولان اطلاق الامام يدل على أنه امام في كل شئ والذي يكون كذلك لابد أن يكون نبيا ولان الله تعالى سماه بهذا الاسم في معرض الامتنان فينبغي أن يحمل على أجل مراتب الامامة كقوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا الاعلى من هو دونه ممن يستحق الاقتداء به في الدين كالخليفة والقاضي والفقيه وامام الصلاة ولقد أنجز الله تعالى هذا الوعد فعظمه في عيون أهل الاديان كلها وقد اقتدى به من بعده من الانبياء في أصول الملة ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وكفى به فضلا أن جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقولون في صلاتهم اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ثم القائلون بان الامام لا يصير اماما الا بالنص تمسكوا بهذه الآية وأمثالها من نحو اني جاعل في الارض خليفة يا داود

فكذلك حال الامر من آمر المأمور بأن يقول له ذلك في حال وجوده وتلك حال لا يجوز أمره فيها بالحدوث لانه حادث موجود ولا يقال للموجود كن موجودا الا بغير معنى الامر بحدوث عينه قيل قد تنازع المتأولون في معنى ذلك ونحن مخبرون بما قالوا فيه والعلل التي اعتل بها كل فريق منهم بقوله في ذلك قال بعضهم ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن أمره المحتوم على وجه القضاء لمن قضى عليه قضاء من خلقه الموجودين انه اذا أمره بأمر نفذ فيه قضاؤه ومضى فيه أمره نظير أمره من أمر من بني اسرائيل بان يكونوا قردة خاسئين وهم موجودون في حال أمره اياهم بذلك وحتم قضائه عليهم بما قضى فيهم وكالذي خسف به وبداره الارض وما أشبه ذلك من أمره وقضائه فيمن كان موجودا من خلقه في حال أمره المحتوم عليه فوجه قائلو هذا القول قوله واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون الى الخصوص دون العموم وقال آخرون بل الآية عام ظاهرها فليس لاحد أن يحيلها الى باطن بغير حجة يجب التسليم لها وقال ان الله عالم بكل ما هو كائن قبل كونه فلما كان ذلك كذلك كانت الاشياء التي لم تكن وهي كائنة لعلمه بها قبل كونها نظائر التي هي موجودة فجاز أن يقول لها كوني ويأمرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود لتصور جميعها له ولعلمه بها في حال العدم وقال آخرون بل الآية وان كان ظاهرها ظاهر عموم فتأويلها الخصوص لان الامر غير جائز الا للمأمور على ما وصفت قبل قالوا واذا كان ذلك كذلك فالآية تأويلها واذا قضى أمرا من احياء ميت أو اماتة حي ونحو ذلك فانما يقول لحي كن ميتا أو لميت كن حيا وما أشبه ذلك من الامر وقال آخرون بل ذلك من الله عز وجل خبر عن جميع ما ينشئه ويكونه أنه اذا قضاه وخلقه وأنشأه كان ووجد ولا قول هنالك عند قائلي هذه المقالة الا وجود المخلوق وحدوث المقضي وقالوا انما قول الله عز وجل واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون نظير قول القائل قال فلان برأسه وقال بيده اذا حرك رأسه أو أومى بيده ولم يقل شيأ وكما قال أبو النجم

وقالت الانساع للبطن الحق * قدما فاضت كالعتيق المحنق

ولا قول هنالك وانما عنى أن الظهر قد لحق بالبطن وكما قال عمرو بن حممة الدوسي

فاصبحت مثل النسر طارت فراخه * اذا رام تطيارا يقال له قع

ولا قول هناك وانما معناه اذا رام طيرانا وقع وكما قال الآخر

وامتلأ الحوض وقال قطني * سيلا رويدا قد ملأت بطني

وأولى الاقوال بالصواب في قوله واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ان يقال هو عام في كل ما قضاه الله وبرأه لان ظاهر ذلك ظاهر عموم وغير جائزة احالة الظاهر الى الباطن من التاويل بغير برهان لما قد بينا في كتابنا كتاب البيان عن أصول الاحكام واذ كان ذلك كذلك فامر الله جل وعز لشئ اذا أراد تكوينه موجودا بقوله كن في حال ارادته اياه مكونا لا يتقدم وجوده الذي أراد ايجاده وتكوينه ارادته اياه ولا أمره بالكون والوجود ولا يتأخر عنه فغير جائز أن يكون الشئ مأمورا بالوجود مرادا كذلك الا وهو موجود ولا أن يكون موجودا الا وهو مأمور بالوجود مرادا كذلك ونظير قوله واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون قوله ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامره

ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون بان خروج القوم من قبورهم لا يتقدم دعاء الله ولا يتأخر عنه ويسئل من زعم ان قوله فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون خاص في التاويل اعتلالا بان أمر غير الموجود غير جائز عن دعوة أهل القبور قبل خروجهم من قبورهم أم بعده أم هي في خاص من الخلق فلن يقول في ذلك قولا الا ألزم في الآخر مثله ويسئل الذين زعموا ان معنى قوله جل ثناؤه فانما يقول له كن فيكون نظير قول القائل قال فلان برأسه أو بيده اذا حركه وأومأ ونظير قول الشاعر

تقول اذا درأت لها وضيني * أهذا دينه أبدا وديني

وما أشبه ذلك فانهم لا صواب اللغة أصابوا ولا كتاب الله وما دلت على صحته الادلة اتبعوا فيقال لقائلي ذلك ان الله تعالى ذكره أخبر عن نفسه انه اذا قضى أمرا قال له كن أفتنكرون ان يكون قائلا ذلك فان أنكروه كذبوا بالقرآن وخرجوا من الملة وان قالوا بل نقر به ولكنا نزعم ان ذلك نظير قول القائل قال الحائط فمال ولا قول هنالك وانما ذلك خبر عن ميل الحائط قيل لهم أفتجيزون للمخبر عن الحائط بالميل ان يقول انما قول الحائط اذا أراد أن يميل ان يقول هكذا فيميل فان أجاز واذلك خرجوا من معروف كلام العرب وخالفوا منطقها وما يعرف في لسانها وان قالوا ذلك غير جائز قيل لهم ان الله تعالى ذكره أخبرهم عن نفسه ان قوله للشئ اذا أراده أن يقول له كن فيكون فاعلم عباده قوله الذي يكون به الشئ ووصفه ووكده وذلك عندكم غير جائز في العبارة عما لا كلام له ولا بيان في مثل قول القائل قال الحائط فمال فكيف لم يعلموا بذلك فرق ما بين معنى قول الله واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وقول القائل قال الحائط فمال وللبيان عن فساد هذه المقالة موضع غير هذا نأتي فيه على القول بما فيه الكفاية ان شاء الله واذا كان الامر في قوله جل ثناؤه واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون هو ما وصفنا من أن حال أمره بالشئ بالوجود حال وجود المامور بالوجود فتبين بذلك ان الذي هو أولى بقوله فيكون على العطف على قوله يقول لان القول والكون حالهما واحد وهو نظير قول القائل تاب فلان فاهتدى واهتدى فلان فتاب لانه لا يكون تائبا الا وهو مهتد ولا مهتديا الا وهو تائب فكذلك لا يكون ان يكون الله آمرا شيئا بالوجود الا وهو موجود ولا موجودا الا وهو آمره بالوجود ولذلك استجاز من استجاز نصب فيكون من قرأ انما قولنا لشئ اذا أردناه ان نقول له كن فيكون بالمعنى الذي وصفنا على معنى ان يقول فيكون وأما رفع من رفع ذلك فانه رأى ان الخبر قد تم عند قوله اذا أردناه أن نقول له كن اذ كان معلوما ان الله اذا حتم قضاءه على كل شئ كان المحتوم عليه موجودا ثم ابتدأ بقوله فيكون كما قال جل ثناؤه لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء وكما قال ابن أحمر

يعالج عاقرا أعيت عليه * ليلقحها فينتجها حوارا

يريد فاذا هو ينتجها حوارا فمعنى الآية اذا وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه أن يكون له ولد بل هو مالك السموات والارض وما فيهما كل ذلك مقر له بالعبودية بدلالته على وحدانيته وانى يكون له ولد وهو الذي ابتدع السموات والارض من غير أصل كالذي ابتدع المسيح من غير والد بقدرته وسلطانه الذي لا يتعذر عليه به شئ أراده بل انما يقول له اذا قضاه فاراد تكوينه كن فيكون موجودا كما أراده وشاءه فكذلك كان ابتداعه المسيح وانشاؤه اذا أراد خلقه من غير والد ۞ القول في تاويل قوله (وقال

انا جعلناك خليفة ومنع بان الامام يراد به ههنا النبي سلمنا أن المراد به مطلق الامام لكن الآية تدل على أن النص طريق الامامة وذلك لا نزاع فيه انما النزاع في أنه لا طريق للامامة سوى النص ولا دلالة في الآية على ذلك وفي الآية دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان معصوما عن جميع الذنوب لانه لو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به وذلك يؤدي الى كون الفعل الواحد ممنوعا منه مندوبا اليه وذلك محال والذرية نسل الثقلين من ذرأ الله الخلق ذرأ خلقهم الا أن العرب تركت همزها كما في البرية ويحتمل أن يكون منسوبا الى الذر صغار النمل والضم من تغيير النسب كالدهري في النسبة الى دهر ومن ذريتي عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال سأكرمك فتقول وزيدا ولا يخفى أن من التبعيضية تدل على أنه طلب الامامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم فلا يليق بذلك لان ناسا غير محصورين لا يخلو من ظالم فيهم غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واسحق وقد حقق الله تعالى أمله فجعل في أولاده وأحفاده كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمان وأيوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى والياس ثم محمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم وأشرفهم ولانه لم يطلب الامامة الا لبعض فكان يكفي في الجواب نعم الا أنه لم يكن حينئذ نصا في أن ذلك البعض من المؤمنين أم من الظالمين ولو قال ينال عهدي المؤمنين كان غاية ذلك خروج الظالمين بالمفهوم لا بالنص فلما كان التنصيص على اخراج الظالم قال لا ينال عهدي الظالمين والمراد بالعهد هو الامامة المطلوبة سميت عهدا لاشتمالها على كل عهد عهد به الله تعالى الى بني آدم اذ لا رياسة أعظم من ذلك كقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم واذ أخرج الظالم تعين الصالح للامامة بطريق برهاني وذلك أن دعاءه مستجاب ألبتة فكل نبي مجاب ولانه لو لم يكن الصالح اماما لم يكن لاخراج الظالم وتخصيصه بالذكر معنى ويحتمل أن يقال انه أراد الامامة لاولاده المؤمنين لا الكل لعلمه بان الكفرة والظلمة لا تصلح لذلك فاجيب بما أجيب اسعافا لطلبته بابلغ معنى وأتمه كما اذا قيل لمن أشرف أوص لابنك بشئ فيقول لا يرث مني أجنبي أي كل ما يبقى مني فهو لابني فكيف أوصي له بشئ ولا يرد أن يونس نال عهده مع أنه ظالم سبحانك اني كنت من الظالمين لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى كما في حق آدم ربنا

ظلمنا أنفسنا الا على الكفر والفسق وقد يستدل الامامية على ابطال امامة غير علي كرم الله وجهه قالوا انهم كانوا مشركين قبل الاسلام بالاتفاق وكل مشرك ظالم ان الشرك لظلم عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد الامامة قالوا الا يقال انهم كانوا ظالمين حال كفرهم فبعده زوال الكفر لا يبقى هذا الاسم لانا نقول الظالم من ثبت له الظلم وهذا المعنى صادق عليه دائما ولهذا يسمى النائم مؤمنا لانه ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا حال النوم وأيضا المتكلم والماشي حقيقة في مفهومهما مع أن أجزاء التكلم والمشي لا توجد دفعة فدل هذا على أن حصول المشتق منه ليس شرطا لكون الاسم المشتق حقيقة وعورض بانه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان مؤمن في الحال الا أنه كان كافرا قبل بسنين متطاولة فانه لا يحنث وبان التائب عن المعصية لا يسمى عاصيا فكذا التائب عن الكفر وان قيل لعل هذا المانع شرعي هو تعظيم الصحابة أو لمانع عرفي فهذا القدر يكفينا على انا بينا أن المراد من الامامة في الآية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة وكذا الفاسق حال الفسق لا يجوز عقد الامامة له باتفاق الجمهور من الفقهاء والمتكلمين فان كل عاص ظالم والعبرة بالعدالة الظاهرة فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا وباطنا ومما يدل على بطلان امامة الفاسق أن العهد في كتاب الله تعالى قد يستعمل بمعنى الامر ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان أي ألم آمركم لكن المراد في الآية لا يمكن أن يكون ذلك فان أوامره تعالى لازمة للظالمين كما للمطيعين فثبت أن المراد كونهم غير مؤتمنين على أوامر الله وغير مقتدى بهم فيها قال صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالفاسق لا ينبغي أن يكون حاكما ولا تنفذ أحكامه اذا ولي الحكم ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا أخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا فتياه اذا أفتى ولا يقدم للصلاة وان كان بحيث لو اقتدي به لم تفسد صلاته قال أبو بكر الرازي ومن الناس من يظن أن مذهب أبي حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما وخليفة ولا يجوز كون الفاسق قاضيا وهذا خطأ عظيم نعم انه قال القاضي اذا كان عدلا في نفسه وتولى القضاء من امام جائر فان أحكامه نافذة والصلاة خلفه جائزة لان الذي ولاه بمنزلة سائر أعوانه وليس من شرط أعوان القاضي أن يكونوا عدولا ألا ترى ان أهل بلد

الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) اختلف أهل التأويل فيمن عني الله بقوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله فقال بعضهم عني بذلك النصارى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية قال النصارى تقوله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وزاد فيه وقال الذين لا يعلمون النصارى وقال آخرون بل عني الله بذلك اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قالا جميعا ثنا محمد ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد قال حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال رافع ابن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من عند الله كما تقول فقل لله عز وجل فليكلمنا حتى نسمع كلامه فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية الآية كلها وقال آخرون بل عني بذلك مشركي العرب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية وهم كفار العرب حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله قال هم كفار العرب حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أما الذين لا يعلمون فهم العرب وأولى هذه الاقوال بالصحة والصواب قول القائل ان الله تعالى عني بقوله وقال الذين لا يعلمون النصارى دون غيرهم لان ذلك في سياق خبر الله عنهم وعن افترائهم عليه وادعائهم له ولدا فقال جل ثناؤه مخبرا عنهم فيما أخبر عنهم من ضلالتهم أنهم مع افترائهم على الله الكذب بقولهم اتخذ الله ولدا تمنوا على الله الاباطيل فقالوا جهلا منهم بالله وبمنزلتهم عنده وهم بالله مشركون لولا يكلمنا الله كما يكلم رسله وأنبياءه أو تأتينا آية كما أتتهم ولا ينبغي لله أن يكلم الا أولياءه ولا يؤتي آية معجزة على دعوى مدع الا لمن كان محقا في دعواه وداعيا الى الله وتوحيده فأما من كان كاذبا في دعواه وداعيا الى الفرية عليه وادعاء البنين والبنات له فغير جائز أن يكلمه الله جل ثناؤه أو يؤتيه آية معجزة تكون مؤيدة كذبه وفريته عليه وقال الزاعم ان الله عني بقوله وقال الذين لا يعلمون العرب فانه قائل قولا لا خبر بصحته ولا برهان على حقيقته في ظاهر الكتاب والقول اذا صار الى ذلك كان واضحا خطؤه لانه ادعى ما لا برهان على صحته وادعاء مثل ذلك لن يتعذر على أحد وأما معنى قوله لولا يكلمنا الله فانه بمعنى هلا يكلمنا الله كما قال الاشهب بن رميلة

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

بمعنى فهلا تعدون الكمي المقنعا كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لولا يكلمنا الله قال فهلا يكلمنا الله قال أبو جعفر فأما الآية فقد ثبت فيما قبل معنى الآية قيل انها العلامة وانما أخبر الله عنهم انهم قالوا هلا تأتينا آية على ما نريده ونسأل كما أتت الانبياء والرسل فقال الله عز وجل كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى

كذلك

(كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم فقال بعضهم فى ذلك بما حدثنى به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم هم اليهود حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الذين من قبلهم اليهود وقال آخرون هم اليهود والنصارى لان الذين لا يعلمون هم اليهود ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قال الذين من قبلهم يعنى اليهود والنصارى وغيرهم حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قالوا يعنى العرب كما قالت اليهود والنصارى من قبلهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم يعنى اليهود والنصارى قال أبو جعفر قد دللنا على أن الذين عنى الله تعالى ذكره بقوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله هم النصارى والذين قالت مثل قولهم هم اليهود سألت موسى صلى الله عليه وسلم أن يريهم ربهم جهرة وان يسمعهم كلام ربهم كما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا وسألوا من الآيات ما ليس لهم مسئلته تحكما منهم على ربهم وكذلك تمنت النصارى على ربها تحكما منها عليه أن يسمعهم كلامه ويريهم ما أرادوا من الآيات فاخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوا من القول فى ذلك مثل الذى قالته اليهود وتمنت على ربها مثل أمانيها وان قولهم الذى قالوه من ذلك انما يشابه قول اليهود من أجل تشابه قلوبهم فى الضلالة والكفر بالله فهم وان اختلفت مذاهبهم فى كذبهم على الله وافترائهم عليه فقلوبهم متشابهة فى الكفر بربهم والفرية عليه وتحكمهم على أنبياء الله ورسله عليهم السلام وبنحو ما قلنا فى ذلك قال مجاهد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تشابهت قلوبهم قلوب النصارى واليهود وقال غيرهم معنى ذلك تشابهت قلوب كفار العرب واليهود والنصارى وغيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة تشابهت قلوبهم يعنى العرب واليهود والنصارى وغيرهم حدثنى المثنى ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع تشابهت قلوبهم يعنى العرب واليهود والنصارى وغيرهم وغير جائز فى قوله تشابهت التثقيل لان التاء التى فى أولها زائدة أدخلت فى قوله تفاعل وان ثقلت صارت تاءين ولا يجوز ادخال تاءين زائدتين علامة لمعنى واحد وانما يجوز ذلك فى الاستقبال لاختلاف معنى دخولهما لان احداهما تدخل علما للاستقبال والاخرى منهما التى فى تفاعل ثم تدغم احداهما فى الاخرى فتثقل فيقال تشابه بعد اليوم قلوبنا فمعنى الآية وقالت النصارى الجهال بالله وبعظمته هلا يكلمنا الله ربنا كما كلم أنبياءه ورسله أو تجيئنا علامة من الله نعرف بها صدق ما نحن عليه على ما نسأل ونريد قال الله جل ثناؤه فكما قال هؤلاء الجهال من النصارى وتمنوا على ربهم قال من قبلهم من اليهود فسألوا ربهم ان يريهم الله نفسه جهرة ويؤتيهم آية واحتكموا عليه وعلى رسله وتمنوا الامانى فاشتبهت قلوب اليهود والنصارى فى تمردهم على الله وقلة معرفتهم بعظمته وجرأتهم على أنبيائه ورسله كما اشتبهت أقوالهم التى قالوها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قد بينا الآيات لقوم يوقنون

لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا أعوانا له على من امتنع من قبول أحكامه كان قضاؤه نافذا وان لم يكن له ولاية من جهة امام ولا سلطان قال وكيف يجوز أن يدعى ذلك على أبى حنيفة وقد أكرهه ابن هبيرة فى أيام بنى أمية على قضائه وضربه فامتنع من ذلك فحبس فلج ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم أسواطا فلما خيف عليه قال الفقهاء اقبل له شيئا من عمله أى شئ كان حتى يزول عنك الضرب فتولى له عدا أحمال اللبن الذى يدخل عليه فخلاه ثم دعاه المنصور الى مثل ذلك حتى عد له اللبن الذى كان يضرب لسور المدينة وذلك أنه كان يقول فى المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وأرادونى على عد آجره لما فعلت وقصته فى أمر زيد بن على مشهورة وحمله المال اليه وفتياه الناس سرا فى وجوب نصرته والقتال معه وكذلك أمره مع محمد وابراهيم ابنى عبد الله بن الحسن وفى الآية انذار بليغ وتخويف شديد عن وخامة عاقبة الظلم وقبح موقعه فانه يحط أولا عن رتبة النبوة لا ينال عهدى الظالمين وثانيا عن درجة الولاية ألا لعنة الله على الظالمين وثالثا عن مرتبة السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعا عن نظر الخلائق جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها وخامسا عن حظ نفسه وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ولله در القائل شعر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا
فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

ولآخر شعر

من نعم ظلم الورى وخيم
يا صاحب اللب والجارة
لا تظلم الناس واخش نارا
وقودها الناس والحجارة

غيره

أيحسب الظالم فى ظلمه
أهمله القادر أم أمهلا
ما أمهلوا بل لهم موعد * لن يجدوا من دونه موئلا

غيره

أتلعب بالدعاء وتزدريه * وما يدريك ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطى ولكن * لها أمد وللأمد انقضاء

واعلم أن عهد الله الذى أخذ على عباده هو بالحقيقة عهد العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذى التزمه لعباده هو عهد الربوبية ربكم ورب آبائكم الاولين ثم انه تعالى لا يزال يلاحظك بنظر الربوبية فيربيك ويربيك وبعد نعمة الوجود يعطيك نعم الصحة والمكنة والعافية والسلامة والايمان والامان والاخوان والاخدان وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وانك لا تنفك عن

يعني جل ثناؤه بقوله قد بينا الآيات لقوم يوقنون قد بينا العلامات التي من أجلها غضب الله على اليهود وجعل منهم القردة والخنازير وأعد لهم العذاب المهين في معادهم والتي من أجلها أخزى الله النصارى في الدنيا وأعد لهم الخزي والعذاب الاليم في الآخرة والتي من أجلها جعل سكان الجنان الذين أسلموا وجوههم لله وهم محسنون في هذه السورة وغيرها فاعلموا الاسباب التي من أجلها استحق كل فريق منهم من الله مافعل به من ذلك وخص الله بذلك القوم الذين يوقنون لانهم أهل التثبت في الامور والطالبون معرفة حقائق الاشياء على يقين وصحة فاخبر الله جل ثناؤه انه بين لمن كانت هذه الصفة صفته مابين من ذلك ليزول شكه ويعلم حقيقة الامر اذ كان ذلك خبرا من الله جل ثناؤه وخبر الله الخبر الذي لا يعذر سامعه بالشك فيه وقد يحتمل غيره من الاخبار ما يحتمل من الاسباب العارضة فيه من السهو والغلط والكذب وذلك منفي عن خبر الله عز وجل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) ومعنى قوله جل ثناؤه انا أرسلناك بالحق بشيرا انا أرسلناك يا محمد بالاسلام الذي لا أقبل من أحد غيره من الاديان وهو الحق مبشرا من اتبعك فاطاعك وقبل منك مادعوته اليه من الحق بالنصر في الدنيا والظفر بالثواب في الآخرة والنعيم المقيم فيها ومنذرا من عصاك فخالفك ورد عليك مادعوته اليه من الحق في الخزي في الدنيا والذل فيها والعذاب المهين في الآخرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تسئل عن أصحاب الجحيم) قال أبو جعفر قرأت عامة القراء ولا تسئل عن أصحاب الجحيم بضم التاء من تسئل ورفع اللام منها على الخبر بمعنى يا محمد انا أرسلناك بشيرا ونذيرا فبلغت ما أرسلت به وانما عليك البلاغ والانذار ولست مسؤلا عمن كفر بما أتيته به من الحق وكان من أهل الجحيم وقرأ ذلك بعض أهل المدينة ولا تسأل جزما بمعنى النهي مفتوح التاء من تسأل وجزم اللام منها ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لتبلغ ما أرسلت به لا لتسأل عن أصحاب الجحيم فلا تسأل عن حالهم وتأول الذين قرأوا هذه القراءة ماحدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن موسى بن عبدة عن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليت شعري مافعل أبواي فنزلت ولا تسأل عن أصحاب الجحيم حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن موسى بن عبدة عن محمد بن كعب القرظي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليت شعري مافعل أبواي ليت شعري مافعل أبواي ليت شعري مافعل أبواي ثلاثا فنزلت انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم فما ذكرهما حتى توفاه الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرني داود عن أبي عاصم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري اين أبواي فنزلت انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم والصواب عندي من القراءة في ذلك قراءة من قرأ بالرفع على الخبر لان الله جل ثناؤه قص قصص أقوام من اليهود والنصارى وذكر ضلالتهم وكفرهم بالله وجراءتهم على أنبيائه ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم انا أرسلناك يا محمد بشيرا من آمن بك واتبعك ممن قصصت عليك أنباءه ومن لم أقصص عليك أنباءه ونذيرا من كفر بك وخالفك فبلغ رسالتي فليس عليك من أعمال من كفر بك بعد ابلاغك اياه رسالتي تبعة ولا أنت مسؤل عما فعل بعد ذلك ولم يجر لمسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم

تقصير ونسيان وجهل وعدوان وايذاء للائكة الله وعبيده وارضاء لحزب الشيطان وجنوده فيا أيها المغرور وماهذا التقصير فان لله المصير وما للظالمين من نصير قوله واذ جعلنا البيت تقرير تكليف آخر والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسماء التي كانت في الاصل للجنس ثم كثر استعماله في واحد من ذلك الجنس لخصلة مختصة به من بين سائر الافراد حتى صار علما له ولا بد أن يكون وقت استعماله لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد ليفيد الاختصاص به ويسمى بالعلم الاتفاقي وانما لزمت اللام في مثله لانه لم يعمر علما الا مع اللام فصارت كبعض حروفه الا أنه تعالى لم يرد بالبيت نفس الكعبة فقط بل جميع الحرم لان حكم الامن يشمل الكل وصح هذا الاطلاق لان الحرمة نشأت بسبب الكعبة نفسها ومثله قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والمراد والله أعلم منعهم من الحج وحضور مواضع النسك ويحتمل أن يكون المراد جعلنا البيت سبب الامن وعلى هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلى الاول يكون معنى أمنا موضع أمن كقوله حرما آمنا والمثابة المباءة والمرجع قيل ان مثابا ومثابة لغتان مثل مقام ومقامة وقيل التاء للمبالغة كعلامة عن الحسن أي يثوبون اليه في كل عام وعن ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه أحد الا وهو يتمنى العود اليه وذلك لدعاء ابراهيم عليه السلام واجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وقيل مثابة أي يحجون فيثابون عليه وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على أن فعل العبد مخلوق لله أو بان الله تعالى ألقى تعظيمه في القلوب ليصير ذلك داعيا لهم الى العود اليه مرة بعد أخرى وذلك لمنافع دينية ودنيوية قال صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه وقال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ثم ان قطان الخافقين يجتمعون هناك للتجارات وضروب المكاسب فيعظم فيه النفع لمن أراد ولا شك أن قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا خبر فتارة نتركه على ظاهره ونقول انه خبر بان يكون حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ لا أن يكون اخبارا عن عدم وقوع القتل فيه أصلا فان الموجود بخلافه فقد يقع فيه القتل الحرام وكذا المباح قال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد

وسلم ر به عن أصحاب الجحيم ذكر فيكون لقوله ولا تسئل عن أصحاب الجحيم وجه يوجه اليه وانما الكلام موجه معناه الى مادل عليه ظاهره المفهوم حتى تاتى دلالة بينة تقوم بها الحجة على ان المراد به غير مادل عليه ظاهره فيكون حينئذ مسلما للحجة الثابتة بذلك ولا خبر تقوم به الحجة على ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ان يسال فى هذه الآية عن أصحاب الجحيم ولا دلالة تدل على ان ذلك كذلك فى ظاهر التنزيل والواجب أن يكون تاويل ذلك الخبر على مامضى ذكره قبل هذه الآية وعن ذكر بعدها من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر دون النهى عن المسئلة عنهم فان ظن ظان ان الخبر الذى روى عن محمد بن كعب صحيح فان فى استحالة الشك من الرسول عليه السلام فى ان أهل الشرك من أهل الجحيم وان أبويه كانا منهم مايدفع صحة ماقاله محمد بن كعب ان كان الخبر عنه صحيحا مع ان فى ابتداء الخبر بعد قوله انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا بالواو بقول فلا يسال عن أصحاب الجحيم وتركه وصل ذلك باوله بالفاء وان يكون انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن أصحاب الجحيم أوضح الدلائل على ان الخبر بقوله ولا تسال أولى من النهى والرفع به أولى من الجزم وقد ذكر انها فى قراءة أبى ماتسال وفى قراءة ابن مسعود ولن تسال وكلتاهاتين القراءتين تشهد بالرفع والخبر فيه دون النهى وقد كان بعض نحوى البصرة يوجه قوله ولا تسال عن أصحاب الجحيم الى الحال كانه كان يرى ان معناه انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا غير مسؤل عن أصحاب الجحيم وذلك اذا ضم التاء وقرأه على معنى الخبر وكان يجيز على ذلك قراءته ولا تسال بفتح التاء وضم اللام على وجه الخبر بمعنى انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا غير سائل عن أصحاب الجحيم وقد بينا الصواب عندنا فى ذلك وهذان القولان اللذان ذكرتهما عن البصرى فى ذلك يرفعهما ماروى عن ابن مسعود وأبى من القراءة لان ادخالهما ماأدخلا من ذلك من ماولن يدل على انقطاع الكلام عن أوله وابتداء قوله ولا تسال واذا كان ابتداء لم يكن حالا وأما أصحاب الجحيم فالجحيم هى النار بعينها اذا شبت وقودها ومنه قول أمية بن أبى الصلت

اذا شبت جهنم ثم دارت * واعرض عن قوابسها الجحيم

﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى) يعنى بقوله جل ثناؤه ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وليست اليهود يامحمد ولا النصارى براضية عنك أبدا فدع طلب مايرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضى الله فى دعائهم الى ما بعثك الله به من الحق فان الذى تدعوهم اليه من ذلك لهو السبيل الى الاجتماع فيه معك على الالفة والدين القيم ولا سبيل لك الى ارضائهم باتباع ملتهم لان اليهودية ضد النصرانية والنصرانية ضد اليهودية ولا تجتمع النصرانية واليهودية فى شخص واحد فى حال واحدة واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضى بك الا أن تكون يهوديا نصرانيا وذلك مما لا يكون منك أبدا لانك شخص واحد ولن يجتمع فيك دينان متضادان فى حال واحدة واذا لم يكن الى اجتماعهما فيك فى وقت واحد سبيل لم يكن لك الى ارضاء الفريقين سبيل واذا لم يكن لك الى ذلك سبيل فالزم هدى الله الذى يجمع الخلق الى الالفة عليه سبيل والملة فانها الدين وجمعها الملل ثم قال جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه

الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وتارة تصرفه عن ظاهره وتقول انه أمر بان يجعلوا ذلك الموضع أمنا من الغارة والقتل قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلى وانما أحلت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت فذهب الشافعى الى أن المعنى أنها لم تحل لاحد أن ينصب الحرب عليها وان ذلك أحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فامامن دخل البيت من الذين وجبت عليهم الحدود فقال الشافعى ان الامام يامر بالضيق عليه بما يؤدى الى خروجه فاذا خرج أقيم عليه الحد فى الحل فان لم يخرج جاز قتله فيه وكذلك من قاتل فى الحرم جاز قتاله فيه وعند أبى حنيفة لا يستوفى قصاص النفس فى الحرم الا أن ينشئ القتل فيه ولكن يضيق الامر عليه ولا يكلم ولا يطعم ولا يعامل حتى يخرج فيقتل وسلم أنه يستوفى منه قصاص الطرف وعند أحمد لا يستوفى من الملتجئ واحد من القصاصين ولو التجا الى المسجد الحرام قال الامام أو مسجد آخر يخرج منه ويقتل لانه تاخير يسير وفيه صيانة المسجد وحفظ حرمته وقيل تبسط الانطاع ويقتل فى المسجد تعجيلا لتوفية الحق واتخذوا بفتح الخاء معطوف على جعلنا أى اتخذ الناس من مكان ابراهيم الذى وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعلى هذا المراد بالمصلى القبلة وأما من قرأ بالكسر على الامر فعلى ارادة القول أى وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه استحبابا لا وجوبا وفى مقام ابراهيم أقوال فعن الحسن وقتادة والربيع ابن أنس أنه لما جاء ابراهيم من الشام الى مكة قالت له امرأة اسمعيل انزل حتى نغسل رأسك فلم ينزل لان سارة شرطت عليه أن لا ينزل غيرة على هاجر فجاءته بحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى أثر قدميه عليه وعن ابن عباس أن ابراهيم عليه السلام كان يبنى البيت واسمعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على حجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه الحجر الذى قام عليه ابراهيم عند الاذان بالحج قال القفال ويحتمل أن يكون ابراهيم عليه السلام قام على هذا الحجر فى هذه الامور كلها وعن مجاهد مقام ابراهيم الحرم كله فعلى هذا يراد بالمصلى المدعى من الصلاة بمعنى الدعاء وعن عطاء مقام ابراهيم عرفة ومزدلفة والجمار لانه قام فى هذه المواضع ودعا فيها والقول بان مقام ابراهيم الحجر الذى فيه أثر قدميه أولى لان هذا الاسم فى العرف مختص بذلك الموضع بعرفه

المكي وغيره ولان الحجر صار تحت قدميه في رطوبة الطين حتى غاصت فيه رجله وذلك من أظهر الدلائل على صنع الله تعالى واعجاز ابراهيم وكان أشد اختصاصا به فاطلاق مقام ابراهيم عليه أولى ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى (٣٦٠) خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ومن هذه تجريدية على نحو رأيت منك أسدا ووهب الله لي منك وليا مشفقا ففيه بيان المتخذ المرئي والموهوب وتمييزه في ذلك المعنى عن غيره ولا ريب أن للصلاة به فضلا على غيره من حيث التيمن والتبرك بموطئ قدم ابراهيم عليه السلام وركعتا الطواف خلف المقام ثم في الحجر ثم في المسجد أي مسجد كان حيث شاء متى شاء ليلا أو نهارا سنة عند الشافعي في أصح قوليه بعد الفراغ من الطواف لقوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي حين قال هل علي غيرها قال لا الا أن تطوع وفي قوله الآخر فرض لظاهر قوله واتخذوا والامر للوجوب والرواية عن أبي حنيفة أيضا مختلفة وعهدنا المراد بالعهد ههنا الامر أي ألزمناهما ذلك وأمرناهما أمرا ووثقنا عليهما فيه ان طهرا ان كانت مخففة فالتقدير بأن طهرا وان كانت مفسرة فمعناه أي طهرا والمراد التطهير من كل أمر لا يليق بالبيت أما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت وحواليه مصلى وأما من الشرك ومظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص وكل هذه اما أن لا تكون موجودة هناك أصلا والمراد أقراه على طهارته مثل ولهم فيها أزواج مطهرة فمعلوم أنهن لم يطهرن بل خلقن طاهرات واما أن تكون موجودة فأمر بازالتها وقيل عرفا الناس ان بيتي طهر لهم متوجه للطائفين الى آخره العطف يقتضي مغايرة فالطائف من يقصد البيت حاجا ومعتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم
عرفته
هنالك ويجاور أو يعتكف والركع السجود جمع راكع وساجد أي من يصلي هنالك وعن عطاء اذا كان طائفا فهو من الطائفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيآت المصلي ولعل الوجه الاول أولى ليكون الركع

وسلم قل يا محمد لهؤلاء النصارى واليهود الذين قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ان هدى الله هو الهدى يعني ان بيان الله هو البيان المقنع والقضاء الفاصل بيننا فهلموا الى كتاب الله وبيانه الذي بين فيه لعباده ما اختلفوا فيه وهو التوراة التي تقرون جميعا بأنها من عند الله يتضح لكم فيه المحق منا من المبطل وأينا أهل الجنة وأينا أهل النار وأينا على الصواب وأينا على الخطا وانما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يدعوهم الى هدى الله وبيانه لان فيه تكذيب اليهود والنصارى فيما قالوا من أن الجنة لن يدخلها الا من كان هودا أو نصارى وبيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم وان المكذب به من أهل النار دون المصدق به ❁ القول في تأويل قوله (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) يعني جل ثناؤه بقوله ولئن اتبعت يا محمد هوى هؤلاء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك من تهود وتنصر فصرت من ذلك الى ارضائهم ووافقت فيه محبتهم من بعد الذي جاءك من العلم بضلالتهم وكفرهم بربهم ومن بعد الذي اقتصصت عليك من نبئهم في هذه السورة مالك من الله من ولي يعني بذلك ليس لك يا محمد من ولي يلي أمرك وقيم يقوم به ولا نصير ينصرك من الله فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته ويمنعك من ذلك ان أحل بك ذلك ربك وقد بينا معنى الولي والنصير فيما مضى قبل وقد قيل ان الله تعالى ذكره أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لان اليهود والنصارى دعته الى أديانها وقال كل حزب منهم ان الهدى هو ما نحن عليه دون ما عليه غيرنا من سائر الملل فوعظه الله أن يفعل ذلك وعلمه الحجة الفاصلة بينهم فيما ادعى كل فريق منهم ❁ القول في تأويل قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) اختلف أهل التأويل في الذين عناهم الله جل ثناؤه بقوله الذين آتيناهم الكتاب فقال بعضهم هم المؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من أصحابه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله الذين آتيناهم الكتاب هؤلاء أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم آمنوا بكتاب الله وصدقوا به وقال آخرون بل عنى الله بذلك علماء بني اسرائيل الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله فأقروا بحكم التوراة فعملوا بما أمر الله فيها من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به والتصديق بما جاء به من عند الله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون قال من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم من يهود فأولئك هم الخاسرون وهذا القول أولى بالصواب من القول الذي قاله قتادة لان الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين وتبديل من بدل منهم كتاب الله وتأولهم اياه على غير تأويله وادعائهم على الله الاباطيل ولم يجر لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الآية التي قبلها ذكر فيكون قوله الذين آتيناهم الكتاب موجها الى الخبر عنهم ولا لهم بعد هذا ذكر في الآية التي تتلوها فيكون موجها ذلك الى انه خبر مبتدأ عن قصص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء قصص غيرهم ولا جاء بأن ذلك خبر عنهم أثر يجب التسليم له فاذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بمعنى الآية أن يكون موجها الى انه خبر عمن قص الله جل ثناؤه في الآية قبلها والآية بعدها وهم أهل الكتابين التوراة والانجيل واذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية الذين آتيناهم الكتاب الذي قد

عرفته يا محمد وهو التوراة فقرؤه واتبعوا ما فيه فصدقوك وآمنوا بك وبما جئت به من عندي فاولئك يتلونه حق تلاوته وانما أدخلت الالف واللام في الكتاب لانه معرفة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عرفوا أي الكتب عنى به ۞ القول في تاويل قوله تعالى (يتلونه حق تلاوته) اختلف أهل التأويل في تاويل قوله عزوجل يتلونه حق تلاوته فقال بعضهم معنى ذلك يتبعونه حق اتباعه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال حدثني ابن أبي عدي وعبد الاعلى وحدثنا عمرو بن علي قال ثنا ابن أبي عدي جميعا عن داود عن عكرمة عن ابن عباس يتلونه حق تلاوته يتبعونه حق اتباعه حدثني المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة بمثله وحدثنا عمرو بن علي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا داود بن أبي هند عن عكرمة بمثله حدثني الحسن ابن عمرو العبقري قال حدثني أبي عن اسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في قول الله عزوجل يتلونه حق تلاوته قال يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال قال أبو مالك ان ابن عباس قال في يتلونه حق تلاوته فذكر مثله الا انه قال ولا يحرفونه عن مواضعه حدثنا عمرو بن علي قال ثنا المؤمل قال ثنا سفيان قال ثنا يزيد عن مرة عن عبد الله في قول الله عزوجل يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية قال قال عبد الله بن مسعود والذي نفسي بيده ان حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرؤه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يتاول منه شيأ على غير تاويله حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ومنصور بن المعتمر عن ابن مسعود في قوله يتلونه حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ولا يحرفه عن مواضعه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا الزبيري قال ثنا عباد بن العوام عمن ذكره عن عكرمة عن ابن عباس يتلونه حق تلاوته يتبعونه حق اتباعه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن عطاء بمثله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن أبي رزين في قوله يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه حدثنا عمرو بن علي قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان وحدثني المثنى قال حدثني أبو نعيم قال ثنا سفيان وحدثني نصر بن عبد الرحمن الازدي قال ثنا يحيي بن ابراهيم عن سفيان قالوا جميعا عن منصور عن أبي رزين مثله حدثنا أبو حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن مجاهد يتلونه حق تلاوته قال عملا به حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن قيس بن سعد يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه ألم تر الى قوله والقمر اذا تلاها يعني الشمس اذا اتبعها القمر حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء وقيس بن سعد عن مجاهد في قوله يتلونه حق تلاوته قال يعملون به حق عمله حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن قيس بن سعد عن مجاهد قال يتبعونه حق اتباعه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يتلونه حق تلاوته

السجود كلاهما فقط يعني المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ثم اذا فسرنا الطائفين بالغرباء دلت الآية على أن الطواف للغرباء أفضل من الصلاة لانه تعالى مدحهم بذلك وقد روي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء أن الطواف لاهل الامصار أفضل والصلاة لاهل مكة أفضل وفي اطلاق الآية دليل على جواز الصلاة في البيت فرضا كانت أو نفلا خلافا لاحمد ومالك في الفريضة فالا فول وجهك شطر المسجد الحرام ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل الى جزء من أجزائه وأجيب بان التوجه الى جزئه كاف لان المتوجه الواحد لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد وبان الفرق بين الفرض والنفل لاغ قوله تعالى واذ قال ابراهيم قيل في الآية تقديم وتأخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا لا يمكن الا بعد دخول البلد في الوجود فقوله واذ يرفع وان كان متأخرا في التلاوة فهو متقدم من حيث المعنى قلت في ترتيب القصة فوائد منها أنه أجمل القصة في قوله واذ ابتلى الى فاتمهن ثم فسر وفي التفسير قدم الاهم فالاهم ولا ريب أن ذكر جعل ابراهيم اماما أولى بالتقديم لعموم نفعه الخلائق ولتقدمه في الوجود أيضا ثم ذكر جعل البيت مثابة للناس وأمنا لانه المقصود من عمارة البيت ثم حكاية عمارة البيت وقد حصل في ضمن رعاية الاهم فوائد أخر منها أنه كما كان مبنى القصة على الاجمال والتفسير وقع كل من أجزائها أيضا كذلك فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا مجمل ثم فسر ذلك بان جعله ذا أمن كان بسبب دعاء ابراهيم وذكر البيت أولا وقع مجملا ثم فسر بانه كيف بني ومنها أنه وقع ختم الكلام بادعية ابراهيم عليه السلام ووقع ختم الادعية بذكر خاتم النبيين وهذا ترتيب لا يتصور أحسن منه ولعل ما فاتنا من أسرار هذا الترتيب أكثر مما أحصينا هذا بلدا آمنا ذا أمن مثل عيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم وانما قيل ههنا بلدا آمنا على التنكير وفي سورة ابراهيم هذا البلد آمنا اما لان هذا الدعاء صدر منه قبل جعل المكان بلدا فكانه قال واجعل هذا الوادي بلدا آمنا وذلك الدعاء صدر وقد جعل بلدا فكانه قال اجعل هذا المكان الذي صيرته بلدا بلدا ذا أمن واما لان الدعوتين واحدة والمراد اجعل هذا البلد بلدا آمنا فيفيد مبالغة زائدة كقولك هذا اليوم يوم حار معناه اجعله من البلدان الكاملة من الامن بخلاف قوله اجعل هذا البلد آمنا ففيه طلب الامن نفسه قيل سأل الامن من القحط لانه أسكن أهله بواد غير ذي ضرع ولا زرع وقيل من الخسف والمسخ

وقيل من القتل كيلا يكون سؤال الرزق بعده تكرارا وأجيب بان التوسعة فى الرزق مغايرة لطلب ازالة القحط ثم انه تعالى استجاب دعاءه فجعله آمنا من الآفات فلم يصل اليه جبار الا قصمه الله كما فعل باصحاب الفيل قيل أليس أن الحجاج حارب ابن الزبير وخرب الكعبة وقصد أهلها بكل سوء وأجيب بان مقصوده لم يكن تخريب الكعبة نفسها وانما كان غرضه شيأ آخر من الثمرات من للابتداء لا للتبعيض بدليل قوله يجبى اليه ثمرات كل شئ وانما سال ابراهيم عليه (٣٦٢) السلام الامن وان يجبى اليه الثمرات وان كان يتعلق بالدنيا لان البلد اذا كان آمنا ذا خصب تفرغ أهله لطاعة الله تعالى ويكون سببا لاجتماع الناس واتيانهم اليه من كل أوب زائرين وعاكفين وطلب الدنيا لاجل الدين من سنن الصالحين نعم المال الصالح للرجل الصالح واختلف فى أن مكة هل كانت آمنة محرمة قبل دعوة ابراهيم وصار ذلك مؤكدا بدعائه فقيل نعم لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولقوله عند بيتك المحرم وقيل انما صارت حرما آمنا بدعوته وقبلها كانت كسائر البلاد بدليل قوله انى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة وقيل بالجمع بينهما وذلك انه كان ممنوعا قبله بمنع الله تعالى من الاصطلام وبما أوقع فى النفوس من التعظيم ثم صار آمنا على ألسنة الرسل ومن آمن منهم بدل من أهله يعنى وارزق المؤمنين من أهله خاصة كأنه قاس الرزق على الامامة حيث ميز هناك بين المؤمن والكافر وقيل لا ينال عهدى الظالمين فعرف الفرق بينهما فقيل ومن كفر عطفا على من آمن كما مر فى ومن ذريتى أو هو مبتدأ مضمن معنى الشرط جوابه فامتعه وذلك أن الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعى فيؤدى عن الله أمره ونهيه ولا يأخذه فى الدين لومة لائم ولا سطوة جبار وظالم وأبعد الناس عن النصيحة الظالم ولهذا قيل من استرعى الذئب فقد ظلم وأما الرزق فلا يقبح ايصاله الى المؤمن والكافر والصالح والفاجر لعموم الرحمة ولانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة على أنه متاع قليل وأمد يسير فيما بين الازل والابد وقليلا أى امتاعا أو تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا فنعمة المؤمنين فى العاجل موصولة بنعيمهم فى الآجل ونعمة الكافرين مقطوعة عنهم بعد الموت والزوال ولا يجدى بطائل أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ومعنى الاضطرار ان يفعل به ما يلجئه الى النار كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وسيق الذين كفروا

يعملون به حق عمله حدثنا عمرو بن على قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن مجاهد فى قوله يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه حدثنى عمرو قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا الحسن بن أبى جعفر عن أبى أيوب عن أبى الخليل عن مجاهد يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه حدثنا عمرو قال ثنا يحيى القطان عن عبد الملك عن عطاء قوله يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه يعملون به حق عمله حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنى أبى عن المبارك عن الحسن يتلونه حق تلاوته قال يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون ما أشكل عليهم الى عالمه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة يتلونه حق تلاوته قال أحلوا حلاله وحرموا حرامه وعملوا بما فيه ذكر لنا ان ابن مسعود كان يقول ان حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه وان يقرأه كما أنزله الله عز وجل ولا يحرفه عن مواضعه حدثنا عمرو قال ثنا أبو داود قال ثنا الحكم بن عطية سمعت قتادة يقول يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه قال اتباعه يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويقرؤنه كما أنزل حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن داود عن عكرمة فى قوله يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه أما سمعت قول الله عز وجل والقمر اذا تلاها قال اذا تبعها وقال آخرون يتلونه حق تلاوته يقرؤنه حق قراءته والصواب من القول فى تأويل ذلك انه بمعنى يتبعونه حق اتباعه من قول القائل ما زلت أتلو أثره اذا اتبع أثره لاجماع الحجة من أهل التأويل على ان ذلك تأويله واذا كان ذلك تأويله فمعنى الكلام الذين آتيناهم الكتاب يا محمد من أهل التوراة الذين آمنوا بك وبما جئتهم به من الحق من عندى يتبعون كتابى الذى أنزلته على رسولى موسى صلوات الله عليه فيؤمنون به ويقرون بما فيه من بعثك وصفتك وانك رسولى فرض عليهم طاعتى فى الايمان بك والتصديق بما جئتهم به من عندى ويعملون بما أحللت لهم ويجتنبون ما حرمت عليهم فيه ولا يحرفونه عن مواضعه ولا يبدلونه ولا يغيرونه كما أنزلته عليهم بتأويل ولا غيره أما قوله حق تلاوته فمبالغة فى صفة اتباعهم الكتاب ولزومهم العمل به كما يقال ان فلانا لعالم حق عالم وكما يقال ان فلانا لفاضل كل فاضل وقد اختلف أهل العربية فى اضافة حق الى المعرفة فقال بعض نحويى الكوفة غير جائزة اضافته الى معرفة لانه بمعنى أى وبمعنى قولك أفضل رجل فلان وأفعل لا يضاف الى واحد معرفة لانه مبعض ولا يكون الواحد المبعض معرفة فأحالوا أن يقال مررت بالرجل حق الرجل ومررت بالرجل جد الرجل كما أحالوا مررت بالرجل أى الرجل وأجازوا ذلك فى كل الرجل وعين الرجل ونفس الرجل وقالوا انما أجزنا ذلك لان هذه الحروف كانت فى الاصل توكيدا فلما صرن مدوحا تركن مدوحا على أصولهن فى المعرفة وزعموا ان قوله يتلونه حق تلاوته انما جازت اضافته الى التلاوة وهى مضافة الى معرفة لان العرب تعتد بالهاء اذا عادت الى نكرة بالنكرة فيقولون مررت برجل واحد أمه وبشيخ وحده وسيد قومه قالوا فكذلك قوله حق تلاوته انما جازت اضافة حق الى التلاوة وهى مضافة الى الهاء لاعتداد العرب بالهاء التى فى نظائرها فى عداد النكرات قالوا ولو كان ذلك حق التلاوة لوجب أن يكون جائزا مررت بالرجل حق الرجل فعلى هذا القول تأويل الكلام الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته وقال بعض نحويى البصرة جائزة

اضافة

اضافة حق الى النكرات مع النكرات ومع المعارف الى المعارف وانما ذلك نظير قول القائل مررت بالرجل غلام الرجل وبرجل غلام رجل فتاويل الآية على قول هؤلاء الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته وأولى ذلك بالصواب عندنا القول الاول لان معنى قوله حق تلاوته أى تلاوة بمعنى مدح التلاوة التى تلوها وتفضيلها وأى غير جائزة اضافتها الى واحد معرفة عند جميعهم وكذلك حق غير جائزة اضافتها الى واحد معرفة وانما أضيف فى حق تلاوته الى ما فيه الهاء لما وصفت من العلة التى تقدم بيانها

﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) قال أبو جعفر يعنى جل ثناؤه بقوله أولئك هؤلاء الذين أخبر عنهم انهم يتلون ما آتاهم من الكتاب حق تلاوته وأما قوله يؤمنون به فانه يعنى يصدقون به والهاء التى فى قوله به عائدة على الهاء التى فى تلاوته وهما جميعا من ذكر الكتاب الذى قال الله الذين آتيناهم الكتاب فأخبر الله جل ثناؤه ان المؤمن بالتوراة هو المتبع ما فيها من حلالها وحرامها والعامل بما فيها من فرائض الله التى فرضها فيها على أهلها وان أهلها الذين هم أهلها من كان ذلك صفته دون من كان محرفا لها مبدلا تاويلها مغيرا سننها تاركا ما فرض الله فيها عليه وانما وصف جل ثناؤه من وصف بما وصف به من متبعى التوراة وأثنى عليهم بما أثنى به عليهم لان فى اتباعها اتباع محمد نبى الله صلى الله عليه وسلم وتصديقه لان التوراة تأمر أهلها بذلك وتخبرهم عن الله تعالى ذكره بنبوته وفرض طاعته على جميع خلق الله من بنى آدم وان فى التكذيب بمحمد التكذيب لها فأخبر جل ثناؤه ان متبعى التوراة هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم العاملون بما فيها كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك يؤمنون به قال من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى اسرائيل وبالتوراة وان الكافر بمحمد صلى الله عليه وسلم هو الكافر بها الخاسر كما قال جل ثناؤه ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون

﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) يعنى جل ثناؤه بقوله ومن يكفر به ومن يكفر بالكتاب الذى أخبر انه يتلوه من آتاه من المؤمنين حق تلاوته ويعنى بقوله جل ثناؤه يكفر يجحد ما فيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه ويبدله فيحرف تاويله أولئك هم الذين خسروا علمهم وعملهم فبخسوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله واستبدلوا بها سخط الله وغضبه وقال ابن زيد فى قوله بما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون قال من كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم من يهود فأولئك هم الخاسرون

﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين) وهذه الآية عظة من الله تعالى ذكره لليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتذكير منه لهم ما سلف من أياديه اليهم فى صنعه بأوائلهم استعطافا منه لهم على دينه وتصديق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقال يابنى اسرائيل اذكروا أيادى لديكم وصنائعى عندكم واستنقاذى اياكم من أيدى عدوكم فرعون وقومه وانزالى عليكم المن والسلوى فى تيهكم وتمكينى لكم فى البلاد بعد ان كنتم مذللين مقهورين واختصاصى الرسل منكم وتفضيلى اياكم على عالم من كنتم بين ظهرانيه أيام أنتم فى طاعتى باتباع رسولى اليكم وتصديقه وتصديق ما جاءكم به من عندى ودعوا التمادى فى الضلال والغى وقد

الى جهنم أو ان يصير الفاعل بالقول يفعل التهديد الى ان يفعل ذلك الفعل اختيارا كالاضطرار الى أكل الميتة مثلا وبئس المصير ذلك الذى اضطر اليه أو ذلك الاضطرار فحذف المخصوص للعلم به والمصير اما مصدر بمعنى الصير وروى يقال صرت الى فلان مصيرا أو اما موضع وكلاهما شاذ والقياس مصار مثل معاش وكلاهما مستعمل والله أعلم (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك (٣٩٣) أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) القراآت أرنا وبابه ساكنة الراء ابن كثير ورويس قياسا على كسرة فخذ اذ تسكن فيقال فخذ وقرأ أبو عمرو بالاختلاس طلبا للخفة وحذرا من الاجحاف ويعلهم بالاختلاس عباس وكذلك كل فعل مستقبل مجموع حيث وقع وروى ابن رومى عن ابن عباس يكلمنا وتعدنا وكل كلمة تضمنت جمعين من الاسماء بالاختلاس مثل فى أعينكم وأسلحتكم وأمتعتكم وأوصى من الايصاء أبو جعفر ونافع وابن عامر الباقون وصى بالتشديد شهداء اذ عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر الباقون شهداء يذ وكذلك ما أشبهه فى كل القرآن * الوقوف واسمعيل ط لاضمار القول أى يقولان ومحله نصب على الحال منا ط للابتداء بان ولجواز الوصل وجه لطيف على تقدير فانك أولانك العليم ه مسلمة لك ص لعطف المتفقين علينا ط وقد ذكر الرحيم ه ويزكيهم ط الحكيم ه نفسه ط للفصل بين الاستفهام والاخبار فى الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين ه أسلم ط لان قوله قال عامل اذ والاوجب ان يقال فقال والا انقطع النظم العالمين ه ويعقوب ط لارادة القول على الاصح ومن

وصل جعل الوصية في معنى القول مسلمون ط لان أم بمعنى همزة الاستفهام للانكار الموت (لا) لان اذ بدل من اذ الاولى أو اذ الاولى ظرف شهداء
واذ الثانية ظرف حضر ومن قطعها عن الاول فوقف على الموت وجعل قالوا عاملا ولم يقف على بعدي فله وجه لا يتضح لان الانكار متوجه على
قولهم ان يعقوب أوصى بنيه باليهودية لا على ان يعقوب قدمات من بعدي ط واحدا ج لعطف الجملتين المختلفتين والوصل أجوز على
جعل الواو حالا مسلمون قد خلت ج لان ما بعدها تصلح صفة لازمة وتصلح استئنافا وهو أوضح لعطف ولكم ما كسبتم

ذكرنا فيما مضى النعم التي أنعم الله بها على بني اسرائيل والمعاني التي ذكرهم جل ثناؤه من آلائه عندهم والعالم الذي فضلوا عليه فيما مضى قبل بالروايات والشواهد فكرهنا تطويل الكتاب باعادته اذ كان المعنى في ذلك في هذا الموضع وهناك واحدا ۞ القول في تأويل قوله (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) وهذه الآية ترهيب من الله جل ثناؤه للذين سلفت عظته اياهم بما وعظهم به في الآية قبلها يقول الله لهم واتقوا يا معشر بني اسرائيل المبدلين كتابي وتنزيلي المحرفين تأويله عن وجهه المكذبين برسولي محمد صلى الله عليه وسلم عذاب يوم لا تقضي فيه نفس عن نفس شيأ ولا تغني عنها غناء أن تهلكوا على ما أنتم عليه من كفركم بي وتكذيبكم رسولي فتموتوا عليه فانه يوم لا يقبل من نفس فيما لزمها فدية ولا يشفع فيما وجب عليها من حق لها شافع ولا هم ينصرهم ناصر من الله اذا انتقم منها بمعصيتها اياه وقد مضى البيان عن كل معاني هذه الآية في نظيرتها قبل فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) يعني جل ثناؤه بقوله واذ ابتلى واذ اختبر يقال منه ابتليت فلانا ابتليه ابتلاء ومنه قول الله عز وجل وابتلوا اليتامى يعني به اختبروهم وكان اختبار الله تعالى ذكره ابراهيم اختبارا بفرائض فرضها عليه وأمر أمره به وذلك هو الكلمات التي أوحاهن اليه وكلفه العمل بهن امتحانا منه له واختبارا ثم اختلف أهل التأويل في صفة الكلمات التي ابتلى الله بها ابراهيم نبيه وخليله صلوات الله عليه فقال بعضهم هي شرائع الاسلام وهي ثلاثون سهما ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال قال ابن عباس لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه الا ابراهيم ابتلاه الله بكلمات فأتمهن قال فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذي وفى قال عشر منها في الاحزاب وعشر منها في براءة وعشر منها في المؤمنين وسأل سائل وقال ان هذا الاسلام ثلاثون سهما حدثنا اسحق بن شاهين قال ثنا خالد الطحان عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال ما ابتلي أحد بهذا الدين فأقام به كله غير ابراهيم ابتلي بالاسلام فأتمه فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذي وفى فذكر عشرا في براءة التائبون العابدون الحامدون الى آخر الآيات وعشرا في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشرا في سورة المؤمنين الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وعشرا في سأل سائل والذين هم على صلاتهم يحافظون حدثنا عبيد الله بن أحمد بن شبرمة قال ثنا علي بن الحسن قال ثنا خارجة بن مصعب عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال الاسلام ثلاثون سهما وما ابتلي بهذا الدين أحد فأقامه الا ابراهيم قال الله وابراهيم الذي وفى فكتب الله له براءة من النار وقال آخرون هي خصال عشر من سنن الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه الله بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد فالرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وفي الجسد تقليم الاظفار وحلق العانة والختان ونتف الابط وغسل أثر الغائط والبول بالماء حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الحكم بن أبان

عليها ولكم ما كسبتم ج لعطف الجملتين المختلفتين يعملون ه * التفسير عن وهب بن منبه قال ان آدم صلى الله عليه وسلم لما أهبط الى الارض استوحش منها لما رأى من سعتها ولانه لم ير فيها أحدا غيره فقال يارب أما لارضك هذه عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيري فقال الله اني ساجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكري وساوبئك منها بيتا أختاره لنفسي وأخصه بكرامتي وأوثره على بيوت الارض كلها باسمي وأسميه بيتي أنطقه بعظمتي وأحوطه بحرمتي وأضعه في البقعة التي اخترت لنفسي فاني اخترت مكانه يوم خلقت السموات والارض أجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وأمنا أحرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتي فقد عظم حرمتي ومن أحله فقد أباح حرمتي ومن أمن أهله استوجب بذلك أماني ومن أخافهم فقد خفرني في ذمتي ومن عظم شانه فقد عظم في عيني ومن تهاون به فقد صغر في عيني سكانها جيراني وعمارها وفدي وزوارها أضيافي أجعله أول بيت وضع للناس وأعمره باهل السماء والارض يأتونه أفواجا شعثا غبرا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجا ويضجون بالتلبية ضجيجا فمن اعتمره لا يريد غيري فقد زارني وضافني ووفد علي ونزل بي فحق علي ان ألحفه بكرامتي وحق على الكريم ان يكرم وفده وأضيافه وزواره
عن
وان يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الامم في القرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد نبي حتى ينتهي بعد ذلك الى نبي من ولدك يقال له محمد وهو خاتم النبيين فاجعله من عماره وسكانه وحماته وولاته يكون أميني عليه ما دام حيا فاذا انقلب الى وجدني وقد ذخرت له من أجره ما يتمكن به من القربة الى والوسيلة عندي وأجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره ومجده

عن القاسم بن أبي مرة عن ابن عباس بمثله ولم يذكر أثر البول حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه بالختان وحلق العانة وغسل القبل والدبر والسواك وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط قال أبو هلال ونسيت خصلة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن مطر عن أبي الخلد قال ابتلى ابراهيم بعشرة أشياء هن في الانسان سنة الاستنشاق وقص الشارب والسواك ونتف الابط وقلم الاظفار وغسل البراجم والختان وحلق العانة وغسل الدبر والفرج وقال بعضهم بل الكلمات التي ابتلي بهن عشر خلال بعضهن في تطهير الجسد وبعضهن في مناسك الحج ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن حنش عن ابن عباس في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال ستة في الانسان وأربعة في المشاعر فالتي في الانسان حلق العانة والختان ونتف الابط وتقليم الاظفار وقص الشارب والغسل يوم الجمعة وأربعة في المشاعر الطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والافاضة وقال آخرون بل ذلك اني جاعلك للناس اماما في مناسك الحج ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن فمنهن اني جاعلك للناس اماما وآيات النسك حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح مولى أم هانئ في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال منهن اني جاعلك للناس اماما ومنهن آيات النسك واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال الله لابراهيم اني مبتليك بامر فما هو قال تجعلني للناس اماما قال نعم قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين قال تجعل البيت مثابة للناس قال نعم وأمنا قال نعم وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال نعم وترينا مناسكنا وتتوب علينا قال نعم قال وتجعل هذا البلد آمنا قال نعم وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم قال نعم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح أخبره به عن عكرمة فعرضته على مجاهد فلم ينكره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج فاجتمع على هذا القول مجاهد وعكرمة جميعا حدثنا سفيان قال حدثني أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال ابتلى بالآيات التي بعدها اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن فالكلمات اني جاعلك للناس اماما وقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وقوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقوله وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل الآية وقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت الآية قال فذلك كلمة من الكلمات التي ابتلي بهن ابراهيم حدثني محمد بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن فمنهن

وسناه ومكرمة نبي من ولدك يكون قبل هذا النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو يعقال له ابراهيم أرفع به قواعد يه واقضي على يديه عمارته وأعلمه مشاعره ومناسكه واجعله أمة واحدة قانتا قائما بامري داعيا الى سبيلي أجتبيه واهديه الى صراط مستقيم أبتليه فيصبر وأعافيه فيشكر وآمره فيفعل وينذر لي فيفي أستجيب دعاءه في ولده وذريته من بعده وأشفعه فيهم وأجعلهم أهل ذلك البيت وحماته وسقاته وخدمه وخزانه وحجابه حتى يبدلوا او يغيروا وأجعل ابراهيم امام ذلك البيت وأهل تلك الشرائع يعقتدي به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق الجن والانس وروي ان الله تعالى أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم أهبطت لك بيتا يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه اليه آدم من أرض الهند ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم أربعين حجة من أرض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله أيام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم ببنائه وعرفه جبرائيل مكانه وعن علي عليه السلام البيت المعمور بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون فيه أبدا وعن عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاآ ما بين المشرق والمغرب وما مسهما ذو عاهة ولا سقيم الا شفي وعن ابن عباس انه كان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك * وأما قصة اسمعيل عليه السلام وأمه فعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه السلام قط الا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شان سارة فانه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتي يغلبني عليك فان سالك فاخبريه انك أختي فانك أختي في الاسلام فاني لا أعلم في الارض مسلما غيري وغيرك فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فاتاه فقال لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون الا لك فارسل اليها فاتي بها وقام ابراهيم الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعي الله أن يطلق يدي ولا

أضرك ففعلت فعاد فقبضت يده أشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فعاد فقبضت يده أشد من القبضتين الاوليين فقال ادعي الله أن
يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال له انك انما جئتني بشيطان ولم تأتني بانسان فأخرجها من أرضي وأعطها
هاجر قال فأقبلت تمشي فلما رآها ابراهيم انصرف فقال مهيم فقالت خيرا كفى الله يد الفاجر وأخدم خادما قال أبو هريرة فتلك أمكم يا بني
ماء السماء قلت وذلك انها ملكتها سارة ابراهيم فولدت له اسمعيل أبا العرب وأما تتمة القصة بعد ان غارت سارة على هاجر

اني جاعلك للناس اماما ومنهن واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت ومنهن الآيات في شأن النسك والمقام الذي جعل لابراهيم والرزق الذي رزق ساكنو البيت ومحمد صلى الله عليه وسلم في ذريتهما عليهما السلام وقال آخرون بل ذلك مناسك الحج خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا سالم بن قتيبة قال ثنا عمرو بن نبهان عن قتادة عن ابن عباس في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال مناسك الحج حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان ابن عباس يقول في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال المناسك حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال ابن عباس ابتلاه بالمناسك حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قال بلغنا عن ابن عباس انه قال ان الكلمات التي ابتلى بهن ابراهيم المناسك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال مناسك الحج حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال منهن مناسك الحج وقال آخرون هي أمور ومنهن الختان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سالم بن قتيبة عن يونس بن أبي اسحق عن الشعبي واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال منهن الختان حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن أبي اسحق قال سمعت الشعبي يقول فذكر مثله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا يونس بن اسحق قال سمعت الشعبي وسأله أبو اسحق عن قول الله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال منهن الختان يا أبا اسحق وقال آخرون بل ذلك الخلال الست الكوكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان التي ابتلى بهن فصبر عليهن ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال قلت للحسن واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال ابتلاه بالكوكب فرضي عنه وابتلاه بالقمر فرضي عنه وابتلاه بالشمس فرضي عنه وابتلاه بالنار فرضي عنه وابتلاه بالهجرة وابتلاه بالختان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول أي والله ابتلاه بأمر فصبر عليه ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فأحسن في ذلك وعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذي فطر السموات والارض حنيفا وما كان من المشركين ثم ابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجرا الى الله ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصبر على ذلك فابتلاه الله بذبح ابنه فصبر على ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن سمع الحسن يقول في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه الله بذبح ولده وبالنار وبالكوكب والشمس والقمر حدثنا ابن بشار قال ثنا سالم بن قتيبة قال ثنا أبو هلال عن الحسن واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه بالكوكب وبالشمس والقمر فوجده صابرا وقال آخرون بما حدثنا به موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي الكلمات التي ابتلى بهن ابراهيم ربه ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم

ربنا

حيث لم يكن لسارة من ابراهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد ولادة هاجر اسمعيل بأربع عشرة سنة فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أول ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه فقال رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي
تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان
المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى
الله عليه وسلم فذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت قد أسمعت
ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت

ربناوابعث فيهم رسولا منهم * والصواب من القول فى ذلك عندنا ان يقال ان الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر ابراهيم خليله بكلمات أوحاهن اليه وأمره ان يعمل بهن وأتمهن كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ماذكره من ذكرنا قوله فى تاويل الكلمات وجائز أن يكون بعضه لان ابراهيم صلوات الله عليه قد كان امتحن فيما بلغنا بكل ذلك فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه واذا كان ذلك كذلك فغير جائز لاحد أن يقول عنى الله بالكلمات التى ابتلى بهن ابراهيم شيأ من ذلك بعينه دون شئ ولا عنى به كل ذلك الا بحجة يجب التسليم لها من خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم واجماع من الحجة ولم يصح فى شئ من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة التى يجب التسليم لما نقلته غير أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى نظير معنى ذلك خبران لو ثبتا أو أحدهما كان القول به فى تاويل ذلك هو الصواب أحدهما ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا راشد بن سعد قال حدثنى ريان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم لم سمى الله ابراهيم خليله الذى وفى لانه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى يختم الآية والآخر منهما ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا الحسن بن عطية قال ثنا اسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وابراهيم الذى وفى قال أتدرون ما وفى قالوا الله ورسوله أعلم قال وفى عمل يومه أربع ركعات فى النهار فلو كان خبر سهل بن معاذ عن أبيه صحيحا سنده كان بينا ان الكلمات التى ابتلى بهن ابراهيم فقام بهن هو قوله كلما أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون أو كان خبر أبى امامة عدولا نقلته كان معلوما ان الكلمات التى أوحين الى ابراهيم فابتلى بالعمل بهن ان يصلى كل يوم أربع ركعات غير انهما خبران فى أسانيدهما نظر والصواب من القول فى معنى الكلمات التى أخبر الله انه ابتلى بهن ابراهيم ما بينا آنفا ولو قال قائل فى ذلك ان الذى قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس أولى بالصواب من القول الذى قاله غيرهم كان مذهبا لان قوله انى جاعلك للناس اماما وقوله وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتى للطائفين وسائر الآيات التى هى نظير ذلك كالبيان عن الكلمات التى ذكر الله انه ابتلى بهن ابراهيم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فأتمهن) يعنى جل ثناؤه بقوله فأتمهن فأتم ابراهيم الكلمات وتمامه اياهن اكماله اياهن بالقيام لله بما أوجب عليه فيهن وهو الوفاء الذى قال الله جل ثناؤه وابراهيم الذى وفى يعنى وفى بما عهد اليه بالكلمات فامره به من فرائضه ومحنه فيها كما حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس فأتمهن أى فأداهن حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة فأتمهن أى عمل بهن فأتمهن حدثت عن عمار قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فأتمهن أى عمل بهن فأتمهن ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (قال انى جاعلك للناس اماما) يعنى جل ثناؤه بقوله انى جاعلك للناس اماما فقال الله يا ابراهيم انى مصيرك للناس اماما يؤتم به ويقتدى به كما حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع انى جاعلك للناس اماما ليؤتم به

تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد أن تغرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا وأخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك أم اسمعيل وهى تحب الانس فنزلوا فارسلوا الى أهاليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب الغلام فلما أدرك الغلام زوجوه امرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن فى ضيق وشدة وشكت قال فاذا جاء زوجك اقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه أنس شيأ فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته فسألنى كيف عيشنا فاخبرته انا فى جهد وشدة قال فهل أوصاك بشئ قالت نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك أبى وقد أمرنى أن أفارقك الحقى باهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء ان يلبث ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغى لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل قال فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألنى عنك فاخبرته فسألنى كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشئ قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال ذاك أبى وأنت العتبة أمرنى أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه

قام اليه وصنعا ما يصنع الولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله أمرني بامر قال فاصنع ما أمرك ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فان الله أمرني ان أبني بيتا ههنا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وعن علي كرم الله وجهه انه مر عليه الدهر بعد بناء ابراهيم فانهدم فبنته العمالقة ومر عليه الدهر فانهدم فبناه قريش و رسول

ويقتدى به يقال منه أممت القوم فانا أؤمهم أما وامامة اذا كنت امامهم وانما أراد جل ثناؤه لابراهيم انى جاعلك للناس اماما انى مصيرك تؤم من بعدك من أهل الايمان بى و برسلى فتقدمهم أنت و يتبعون هديك و يستنون بسنتك التى تعمل بها بامرى اياك و وحيى اليك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (قال ومن ذريتى) يعنى جل ثناؤه بذلك قال ابراهيم لما رفع الله منزلته وكرمه فاعلمه ما هو صانع به من تصييره اماما فى الخيرات لمن فى عصره ولمن جاء بعده من ذريته وسائر الناس غيرهم يهتدى بهديه و يقتدى بافعاله وأخلاقه يارب ومن ذريتى فاجعل أئمة يقتدى بهم كالذى جعلتنى اماما يؤتم بى و يقتدى بى مسئلة من ابراهيم ربه سأله اياها كما حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال ابراهيم ومن ذريتى يقول فاجعل من ذريتى من يؤتم به و يقتدى به وقد زعم بعض الناس أن قول ابراهيم ومن ذريتى مسئلة منه ربه لعقبه ان يكونوا على عهده ودينه كما قال واجنبنى و بنى ان نعبد الاصنام فاخبر الله جل ثناؤه ان فى عقبه الظالم المخالف له فى دينه بقوله لا ينال عهدى الظالمين والظاهر من التنزيل يدل على غير الذى قاله صاحب هذه المقالة لان قول ابراهيم صلوات الله عليه وسلم ومن ذريتى فى أثر قول الله جل ثناؤه انى جاعلك للناس اماما فمعلوم ان الذى سأله ابراهيم لذريته لو كان غير الذى أخبر ربه انه أعطاه اياه لكان مبينا ولكن المسئلة لما كانت مما جرى ذكره اكتفى بالذكر الذى قد مضى من تكريره واعادته فقال ومن ذريتى بمعنى ومن ذريتى فاجعل مثل الذى جعلتنى به من الامامة للناس ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (قال لا ينال عهدى الظالمين) هذا خبر من الله جل ثناؤه عن أن الظالم لا يكون اماما يقتدى به أهل الخير وهو من الله جل ثناؤه جواب لما توهم فى مسئلته اياه أن يجعل من ذريته أئمة مثله فاخبر أنه فاعل ذلك الا بمن كان من أهل الظلم منهم فانه غير مصيره كذلك ولا جاعله فى محل أوليائه عنده بالتكرمة بالامامة لان الامامة انما هى لاوليائه وأهل طاعته دون أعدائه والكافرين به واختلف أهل التأويل فى العهد الذى حرم الله جل ثناؤه الظالمين أن ينالوه فقال بعضهم ذلك العهد هو النبوة ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال لا ينال عهدى الظالمين يقول عهدى نبوتى فمعنى قائل هذا القول فى تأويل الآية لا ينال النبوة أهل الظلم والشرك وقال آخرون معنى العهد عهد الامامة فتأويل الآية على قولهم لا أجعل من كان من ذريتك باسرهم ظالما اماما لعبادى يقتدى به ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال لا ينال عهدى الظالمين قال لا يكون اماما ظالما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الله لا ينال عهدى الظالمين قال لا يكون امام ظالما حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن عكرمة بمثله حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله قال لا ينال عهدى الظالمين قال لا يكون امام ظالم يقتدى به حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا مسروق بن أبان الحطاب قال ثنا وكيع عن سفيان عن خصيف عن مجاهد فى قوله لا ينال عهدى الظالمين قال لا أجعل اماما ظالما يقتدى به حدثنا محمد بن عبيد

المحاربى

الله صلى الله عليه وسلم يومئذ شاب فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا يحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من خرج عليهم فقضى بينهم ان يجعلوا الحجر فى مرط ثم يرفعه جميع القبائل فرفعوه فاخذه رسول الله صلى الله علية وسلم فوضعه * واعلم أن البيت أربعة أركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقا بالارض وله بابان شرقى وغربى فذكر أن السيل هدمه قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين فاعادت قريش عمارته على الهيئة التى هى عليها اليوم ولم يجدوا من النذور والهدايا والاموال الطيبة ما يفى بالنفقة فتركوا من جانب الحجر بعض البيت وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم وضيقوا عرض الجدار من الاسود الى الشامى الذى يليه فبقى من الاساس شبه الدكان مرتفعا وهو الذى يسمى الشاذروان وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابراهيم فالصقته بالارض وجعلت لها بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه أيام ولايته و بناه على قواعد ابراهيم ثم لما استولى عليها الحجاج هدمه وأعاده على الصورة التى هو عليها اليوم وهى بناء قريش ولنعد الى المقصود فنقول يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس والاصل لما فوقه وهى صفة غالبة معناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بنى عليها انقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع و يجوز أن يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذى يبنى عليه و يوضع فوقه فيرتفع كل منها بسبب وضع الآخر عليه ورفع القواعد صريح فيما ذهب اليه الاكثرون من أن القواعد كانت موجودة وان ابراهيم عمرها ورفعها كما مر فى الاحاديث وانما لم يقل

المحاربي قال ثنا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لا ينال عهدي الظالمين قال لا أجعل اماما ظالما يقتدى به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لا ينال عهدي الظالمين قال لا يكون اماما ظالم قال ابن جريج وأما عطاء فانه قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي فأبى ان يجعل من ذريته ظالما اماما قلت لعطاء ما عهده قال أمره وقال آخرون معنى ذلك انه لا عهد عليك لظالم أن تطيعه في ظلمه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا ينال عهدي الظالمين يعني لا عهد لظالم عليك في ظلمه أن تطيعه فيه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن اسرائيل عن مسلم الاعور عن مجاهد عن ابن عباس قال لا ينال عهدي الظالمين قال ليس للظالمين عهد وان عاهدته فانقضه حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن سفيان عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال ليس لظالم عهد وقال آخرون معنى العهد في هذا الموضع الامان فتاويل الكلام على معنى قولهم قال الله لا ينال أماني أعدائي وأهل الظلم لعبادي أي لا أؤمنهم من عذابي في الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال لا ينال عهدي الظالمين ذلكم عند الله يوم القيامة لا ينال عهده ظالم فاما في الدنيا فقد نالوا عهد الله فوارثوا به المسلمين وعادوهم وناكحوهم به فلما كان يوم القيامة قصر الله عهده وكرامته على أوليائه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا ينال عهدي الظالمين قال لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمون فاما في الدنيا فقد ناله الظالم وأكل به وعاش حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن عن اسرائيل عن منصور عن ابراهيم قال لا ينال عهدي الظالمين قال لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمون فاما في الدنيا فقد ناله الظالم فامن به وأكل وأبصر وعاش وقال آخرون بل العهد الذي ذكره الله في هذا الموضع دين الله ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال الله لابراهيم لا ينال عهدي الظالمين فقال فعهد الله الذي عهد الى عباده دينه يقول لا ينال دينه الظالمين ألا ترى انه قال وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين يقول ليس كل ذريتك يا ابراهيم على الحق حدثني يحيى بن جعفر قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله لا ينال عهدي الظالمين قال لا ينال عهدي عدولي يعصيني ولا أنحلها الا وليا لي يطيعني وهذا الكلام وان كان ظاهره ظاهر خبر عن انه لا ينال من ولد ابراهيم صلوات الله عليه عهد الله الذي هو النبوة والامامة لاهل الخير بمعنى الاقتداء به في الدنيا والعهد الذي بالوفاء به ينجو في الآخرة من وفى لله به في الدنيا من كان منهم ظالما متعديا جائرا عن قصد سبيل الحق فهو اعلام من الله تعالى ذكره لابراهيم ان من ولده من يشرك به ويجور عن قصد السبيل ويظلم نفسه وعباده كالذي حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشر عن خصيف عن مجاهد في قوله لا ينال عهدي الظالمين قال انه سيكون في ذريتك ظالمون وأما نصب الظالمين فلان العهد هو الذي لا ينال الظالمين وذكر انه في قراءة ابن مسعود ولا ينال عهدي الظالمون بمعنى ان الظالمين هم

قواعد البيت ليكون الكلام مبنيا على تبيين بعد ابهام ففيه تفخيم لشان المبين ثم ان الله تعالى حكى عنهما ثلاثة أنواع من الدعاء في ثلاث الحالة الاول قولهما تقبل منا وقبول الله عمل العبد عبارة عن كون العمل بحيث يرضاه الله تعالى أو يثيب عليه والاول ألذ عند العارفين من الثاني شبه الفعل من العبد بالهدية واثابة الله تعالى عليه ورضاه به بالقبول وقيل ان بين القبول والتقبل فرقا فالتقبل عبارة عن تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق أن يقبل فاختير تقبل هضما وتواضعا واستقصارا وقد يستدل بهذا على أن الفعل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتب الثواب عليه والا لم يكن في طلبه فائدة ويحتمل أن يقال الطلب متوجه الى جعله من جملة الافعال المقرونة بالاخلاص فكنى بطلب القبول عن ذلك ويؤكده قولهما انك أنت السميع يعني سماع اجابة العليم بنياتنا النوع الثاني ربنا واجعلنا مسلمين لك فان أريد بالاسلام الدين والاعتقاد توجه الطلب الى الثبات والدوام أي ثبتنا على ذلك والا كان تحصيلا للحاصل بالنسبة اليهما وقت الدعاء وان أريد الاستسلام والخضوع والاذعان الكلي والرضا بكل ما قدر وأمر فتوجه الطلب الى هذه الامور أنفسها غير مفيد لانها أمور خارجة عن الضبط لا تتيسر الا بمجرد تيسير الله وتوفيقه بخلاف أصل الاسلام الذي وقع به التكليف فانه مضبوط وقد يظن أن للعبد اختيارا فيه وان كان اختياره على تقدير ثبوته ينتهي الى مسبب الاسباب وقوله واجعلنا اما معطوف على تقبل وقوله انك أنت السميع العليم ربنا اعتراض للتاكيد واما معطوف على محذوف أي ربنا افعل هذا واجعلنا ومن ذريتنا من للتبعيض كما في قوله ومن ذريتي والامة الجماعة من الناس وقيل أراد أمة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمة يحتمل ههنا أصل الاسلام والزيادة عليه أيضا وقيل أسلم مطلقا يفيد الايمان والاعتقاد ومعدى باللام معناه الاستسلام والانقياد الكلي طلب الاسلام لهم بعد ما طلب لهم الامامة اظهارا للشفقة فالشفيق بسوء الظن مولع ويحتمل أن يكون هذا الدعاء بيانا لما أجمل هناك فيكونان واحدا وتخصيص الذرية بالدعاء من بين الخلائق لانهم أحق بالنصيحة وأقدم قوا أنفسكم وأهليكم نارا ولانهم أئمة بصلاحهم يصلح غيرهم وفي سدادهم يكون سداد من وراءهم ولقد استجاب الله دعاءه فلم يزل في ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيأ ولم يزل الرسل من ذرية ابراهيم وقد كان في الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن

ساعـدة ويقال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم على دين الحق قائلين بالابداء والاعادة والثواب والعقاب يوحدون الله ولا يأكلون الميتة ولا يعبـدون الاوثان وأرنا إن كان منقولا عن رؤية العـلم فمعناه علمنا أن شرائع حجنا كيف هي إذ أمرتنا ببناء البيت لنحجه وندعو الناس الى حجه وإن كان منقولا عن رؤية البصر وهو الاظهر والنظم بتجاوزه مفعولين ظاهر فالمعنى بصرنا متعبـداتنا في الحج قال الحسن ان جبريل أرى ابراهيم المناسك كلها حتى بلغ عرفات فقال يا ابراهيم أعرفت ما أريتك من المناسك قال نعم فسميت عرفات فلما كان يوم النحر أراد أن يزور البيت عرض له ابليس يسد عليه الطريق فأمره جبريل أن يرميه بسبع حصيات ففعل فذهب الشيطان ثم عرض له في اليوم الثاني والثالث والرابع وكل ذلك يأمره جبريل برمي الحصيات وقيل المراد العلم والرؤية معا لان الحج لا يتم الا بامور بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم الغرض منه الا بالرؤية فوجب حمل اللفظ على الامرين جميعا وليس يبعد فان اللفظ المشترك يصح اطلاقه على معنييه معا وكذلك مدلولا الحقيقة والمجاز يصح ارادتهما معا من لفظ واحد كالعقد والوطء من النكاح غاية ما في الباب أن يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس من يحمل المناسك على المذابح فقد يسمى الذبح المتقرب نسكا والذبيحة نسيكة وليس لهـذا التخصيص وجه فان الذبح انما يسمى نسكا لدخوله تحت أصل معنى النسك وهو التعبد فحمل المناسك على جميع أعمال الحج اولى قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم لا القاكم بعد عامي هذا بل لا يبعد ان يحمل على جميع ما شرعه الله لابراهيم أي علمنا كيف نعبدك ومتى وأين نعبدك وبماذا نتقرب اليك حتى نخدمك بذلك خدمة العبد لمولاه وتب علينا التوبة منهما محمولة على ما عسى أن يكون فرط منهما من الصغائر عند من يجوزها على الانبياء وعلى ترك الاولى ونحو ذلك عند غيرهم ويمكن أن تكون التوبة منهما تصويرا لانفسهما بصورة النادم العازم على التحرز تشددا في الانصراف عما لا يليق بهما كما قال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب في اليوم مائة مرة وأيضا لعلهما استتابا للذرية العلم منهما بأن فيهم ظالمين لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين وذلك لغاية شفقتهما عليهم وباقي مباحث التوبة قد مر في قصة آدم فليتذكر النوع الثالث ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وفيه أمران الاول أن يبعث في آل الامة رسولا ليبين لهم الشرع القويم

الذين لا ينالون عهد الله وانما جاز الرفع في الظالمين والنصب لأن كذلك في العهد لأن كل ما نال المرء فقد ناله المرء كما يقال نالني خير فلان ونلت خيره فيوجه الفعل مرة الى الخير ومرة الى نفسه وقد بينا معنى الظلم فيما مضى فكرهنا اعادته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذ جعلنا البيت مثابة للناس) أما قوله واذ جعلنا البيت مثابة فانه عطف باذ على قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات وقوله واذ ابتلى ابراهيم معطوف على قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي واذكروا اذ ابتلى ابراهيم ربه واذ جعلنا البيت مثابة والبيت الذي جعله الله مثابة للناس هو البيت الحرام وأما المثابة فان أهل العربية مختلفون في معناها والسبب الذي من أجله أنثت فقال بعض نحويي البصرة ألحقت الهاء في المثابة لما كثر من يثوب اليه كما يقال سيارة لمن يكثر ذلك ونسابة وقال بعض نحويي الكوفة بل المثاب والمثابة بمعنى واحد نظيره المقام والمقامة والمقام ذكر على قوله لانه يريد به الموضع الذي يقام فيه وأنثت المقامة لانه أريد بها البقعة وأنكر هؤلاء أن تكون المثابة كالسيارة والنسابة وقالوا انما أدخلت الهاء في السيارة والنسابة تشبيها لها بالداعية والمثابة مفعلة من ثاب القوم الى الموضع اذا رجعوا اليه فهم يثوبون اليه مثابا ومثابة وثوابا فمعنى قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس واذ جعلنا البيت مرجعا للناس ومعاذا يأتونه كل عام ويرجعون اليه فلا يقضون منه وطرا ومن المثاب قول ورقة بن نوفل في صفة الحرم

مثاب لاقناء القبائل كلها * تخب اليها اليعملات الطلائح

ومنه قيل ثاب اليه عقله اذا رجع اليه بعد عزوبه عنه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال لا يقضون منه وطرا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال يثوبون اليه لا يقضون منه وطرا حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال أما المثابة فهو الذي يثوبون اليه كل سنة لا يدعه الانسان اذا أتاه مرة أن يعود اليه حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال لا يقضون منه وطرا يأتونه ثم يرجعون الى أهليهم ثم يعودون اليه وحدثني عبد الكريم بن أبي عمير قال ثني الوليد بن مسلم قال قال أبو عمرو وحدثني عبدة بن أبي لبابة في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى انه قد قضى منه وطرا حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال يثوبون اليه من كل مكان ولا يقضون منه وطرا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء مثله حدثني محمد بن عمار الاسدي قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا مالك بن مغول عن عطية في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال لا يقضون منه وطرا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي الهذيل قال سمعت سعيد بن جبير يقول واذ جعلنا البيت مثابة

الناس

للناس قال يحجون ويثوبون حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبي الهذيل عن سعيد بن جبير فى قوله مثابة للناس قال يحجون ثم يحجون ولا يقضون منه وطرا حدثنى المثنى قال ثنا ابن كثير قال ثنا مسعر عن غالب عن سعيد بن جبير مثابة للناس قال يثوبون اليه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا قال مجمعا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس مثابة للناس قال يثوبون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثابة للناس قال يثوبون اليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال يثوبون اليه من البلدان كلها ويأتونه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وأمنا) والامن مصدر من قول القائل أمن يأمن أمنا وانما سماه الله أمنا لانه كان فى الجاهلية معاذا لمن استعاذ به وكان الرجل منهم لو لقى به قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه ولم يعرض له حتى يخرج منه وكان كما قال الله جل ثناؤه أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأمنا قال من أم اليه فهو آمن كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فلا يعرض له حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أما أمنا فمن دخله كان آمنا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قول الله وأمنا قال عزيمة لا يخاف فيه من دخله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وأمنا يقول أمنا من العدوان يحمل فيه السلاح وقد كان فى الجاهلية يتخطف الناس من حولهم وهم امنون لا يسبون حدثت عن المنجاب قال أخبرنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله وأمنا قال أمنا للناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله وأمنا قال عزيمة لا يخاف فيه من دخله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعضهم واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى بكسر الخاء على وجه الامر باتخاذه مصلى وهى قراءة عامة المصرين الكوفة والبصرة وقراءة عامة قراء أهل مكة وبعض قراء أهل المدينة وذهب اليه الذين قرأوه كذلك من الخبر الذى حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا حدثنا هشيم قال أخبرنا حميد عن أنس بن مالك قال قال عمر بن الخطاب قلت يا رسول الله لو اتخذت المقام مصلى فانزل الله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدى وحدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية جميعا عن حميد عن أنس عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا عمرو بن على قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا حميد عن أنس قال قال عمر بن الخطاب قلت يا رسول الله فذكر مثله قالوا فانما أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية أمرا منه نبيه صلى الله عليه وسلم باتخاذ مقام ابراهيم مصلى فغير جائز قراءتها وهى أمر على وجه الخبر وقد زعم بعض نحوى البصرة ان قوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى معطوف على قوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فكان الامر بهذه الآية وباتخاذ المصلى من مقام ابراهيم على قول هذا القائل لليهود من بنى اسرائيل الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا الربيع بن أنس كما حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قال من الكلمات التى ابتلى بهن ابراهيم قوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فامرهم ان يتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فهم يصلون خلف المقام فتأويل قائل هذا القول واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما وقال اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى والخبر الذى ذكرناه عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل يدل على خلاف الذى قاله هؤلاء وانه أمر الله تعالى ذكره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به وجميع الخلق المكلفين وقرأه بعض

ويتهيج الصراط المستقيم والثانى أن يكون ذلك الرسول منهم لا من غيرهم لان الرسول والمرسل اليهم اذا كانوا جميعا من ذريته كان رتبته أجل ولانه اذا كان منهم عرفوا مولده ومنشاه فيقرب الامر عليهم فى معرفة صدقه وأمانته ولانه اذا كان منهم كان أحرص عليهم وأشفق من أجنبى لو أرسل اليهم وأما الرسول فهو محمد صلى الله عليه وسلم باجماع المفسرين وهو حجة والقوله تعالى فى موضع آخر لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ولقوله صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى أما الدعوة فهذه وأما البشارة فقوله تعالى فى سورة الصف ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد وأما الرؤيا فما رأت آمنة وهى حامل أنه خرج منها نور أضاء ما بين الخافقين وههنا نكتة وهى أن الخليل لما دعا للحبيب بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا فلا جرم قضى الله تعالى حق الحبيب للخليل بان أجرى ذكره على ألسنة أمته الى يوم القيامة يقولون فى صلاتهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ولهذا الذكر مناسبات أخر منها أن الخليل دعا لنفسه بقوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين أى أبق لى ثناء حسنا فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فاجابه الله تعالى وقرن ذكره بذكر حبيبه ومنها أن

قراءة أهل المدينة والشام واتخذوا بفتح الخاء على وجه الخبر ثم اختلف في الذي عطف عليه بقوله واتخذوا اذا قرئ كذلك على وجه الخبر فقال بعض نحويي البصرة تأويله اذا قرئ كذلك واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ٧ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقال بعض نحويي الكوفة بل ذلك معطوف على قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس واتخذوه مصلى والصواب من القول والقراءة في ذلك عندنا واتخذوا بكسر الخاء على تأويل الامر باتخاذ مقام ابراهيم مصلى للخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرناه آنفا وأن عمرو بن علي حدثنا قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا جعفر ابن محمد قال حدثني أبي عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وفي مقام ابراهيم فقال بعضهم مقام ابراهيم هو الحج كله ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله مقام ابراهيم قال الحج كله مقام ابراهيم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال الحج كله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال الحج كله مقام ابراهيم وقال آخرون مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن عطاء بن أبي رباح واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال لاني قد جعلته اماما فمقامه عرفة والمزدلفة والجمار حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال مقامه جمع وعرفة ومنى لا أعلمه الا وقد ذكر مكة حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس في قوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال مقامه عرفة حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا داود عن الشعبي قال نزلت عليه وهو واقف بعرفة مقام ابراهيم اليوم أكملت لكم دينكم الآية حدثنا عمرو قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن الشعبي مثله وقال آخرون مقام ابراهيم الحرم ذكر من قال ذلك حدثت عن حماد بن زيد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال الحرم كله مقام ابراهيم وقال آخرون مقام ابراهيم الحجر الذي قام عليه ابراهيم حين ارتفع بناؤه وضعف عن رفع الحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا سنان القزاز قال ثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي قال ثنا ابراهيم بن نافع قال سمعت كثير بن كثير يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر فهو مقام ابراهيم وقال آخرون بل مقام ابراهيم هو مقامه الذي هو في المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى انما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ولقد تكلفت هذه الامة شيأ مما تكلفته الامم قبلها ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه فيها فما زالت هذه الامة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فهم يصلون خلف المقام حدثني يونس قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وهو الصلاة عنده مقامه في الحج والمقام هو الحجر الذي كانت زوجة اسمعيل وضعته تحت قدم ابراهيم حين غسلت رأسه فوضع ابراهيم رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحجر فوضعته تحت الشق الآخر فغسلته فغابت رجله أيضا فيه فجعلها الله من

٧ الظاهر أنه على هذا الوجه يكون معطوفا على جملة اذ جعلنا بخلافه على الوجه الآخر فانه يكون معطوفا على جعلنا وتكون اذ مقدرة تأمل اه مصححه

ابراهيم أبو الملة ملة أبيكم ابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم أبو الرحمة بالمؤمنين رؤف رحيم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم انما أنا لكم مثل الوالد لولده يعني في الرأفة والرحمة فلما ثبت لكل منهما الابوة قرن بينهما في ذكرهما في التحية ومنها أن ابراهيم منادي الشريعة وأذن في الناس بالحج ومحمد منادي الدين سمعنا مناديا ينادي للايمان ومنها أنه كان أول الانبياء بعد الطوفان ومحمد خاتم النبيين ورسول آخر الزمان ومنها أن الخليل تبرأ عن سائر الاديان اني بريء مما تشركون والحبيب تنزه عن جميع الاكوان مازاغ البصر وما طغى ثم ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ذكر لذلك الرسول صفات أولاها يتلو عليهم آياتك فهو الفرقان المتلو عليهم أو جميع ما بلغه من دلائل التوحيد وغيره أوتيت القرآن ومثله معه وثانيتها ويعلمهم الكتاب أي معانيه وحقائقه وذلك أن التلاوة وان كانت مطلوبة لبقاء لفظها على ألسنة أهل التواتر فيبقى مصونا من التحريف ولان لفظه ونظمه معجز وفي تلاوته نوع عبادة ولاسيما في الصلوات الا أن الحكمة العظمى والمقصود الاسنى تعليم ما فيه من الدلائل والاحكام وثالثتها قوله والحكمة أي ويعلمهم الحكمة قيل هي الاصابة في القول والعمل جميعا فلا يسمى حكيما الا وقد اجتمع فيه الامران فيضع كل شيء موضعه ولهذا عبر عنها بعض الحكماء بانها التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية ويناسبه قوله صلى الله عليه وسلم

شعائره

شعائره فقال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وأولى هذه الاقوال بالصواب عندنا ما قاله القائلون ان مقام ابراهيم هو المقام المعروف بهذا الاسم الذى هو فى المسجد الحرام لما روينا آنفا عن عمر بن الخطاب ولما حدثنا يوسف بن سلمان قال ثنا حاتم بن اسمعيل قال ثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم تقدم الى مقام ابراهيم فقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين فهذان الخبران ينبآن ان الله تعالى ذكره انما عنى بمقام ابراهيم الذى أمرنا الله باتخاذه مصلى هو الذى وصفنا ولو لم يكن على صحة ما اخترنا فى تاويل ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان الواجب فيه من القول ما قلنا وذلك ان الكلام محمول معناه على ظاهره المعروف دون باطنه المجهول حتى يأتى ما يدل على خلاف ذلك مما يجب التسليم له ولاشك ان المعروف فى الناس بمقام ابراهيم هو المصلى الذى قال الله تعالى ذكره واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فان أهل التاويل مختلفون فى معناه فقال بعضهم هو المدعى ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال مصلى ابراهيم مدعى وقال آخرون معنى ذلك اتخذوا مصلى تصلون عنده ذكر من قال ذلك حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال أمروا أن يصلوا عنده حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى قال هو الصلاة عنده فكان الذين قالوا تاويل المصلى ههنا المدعى وجهوا المصلى الى انه مفعل من قول القائل صليت بمعنى دعوت وقائلو هذه المقالة هم الذين قالوا ان مقام ابراهيم هو الحج كله فكان معناه فى تاويل هذه الآية واتخذوا عرفة والمزدلفة والمشعر والجمار وسائر أماكن الحج التى كان ابراهيم يقوم بها مداعى تدعونى عندها وتأتمون بابراهيم خليلى عليه السلام فيها فانى قد جعلته اماما لمن بعده من أوليائى وأهل طاعتى اماما يقتدون به وبآثاره فاقتدوا به وأما تاويل القائلين القول الآخر فانه اتخذوا أيها الناس من مقام ابراهيم مصلى تصلون عنده عبادة منكم وتكرمة منى لابراهيم وهذا القول هو أولى بالصواب لما ذكرنا من الخبر عن عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتى) يعنى تعالى ذكره بقوله وعهدنا وأمرنا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء ما عهده قال أمره حدثنى يونس قال أخبرنى ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعهدنا الى ابراهيم قال أمرناه فعنى الآية وأمرنا ابراهيم واسمعيل بتطهير بيتى للطائفين والتطهير الذى أمرهم الله به فى البيت هو تطهيره من الاصنام وعبادة الاوثان فيه ومن الشرك بالله فان قال قائل وما معنى قوله وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتى للطائفين وهل كان أيام ابراهيم قبل بنائه البيت بيت يطهر من الشرك وعبادة الاوثان فى الحرم فيجوز أن يكونا أمرا بتطهيره قيل لذلك وجهان من التاويل قد كان لكل واحد من الوجهين جماعة من أهل التاويل أحدهما أن يكون معناه وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان ابنيا بيتى مطهرا من الشرك والريب كما قال تعالى ذكره أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فكذلك قوله وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتى أى ابنيا بيتى على طهر من الشرك بى والريب كما حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتى يقول ابنيا بيتى فهذا أحد وجهيه والوجه الآخر منهما أن يكونا أمرا بان يطهرا مكان البيت قبل بنيانه والبيت بعد بنيانه مما كان أهل الشرك بالله يجعلونه فيه على عهد نوح ومن قبله من الاوثان ليكون ذلك سنة لمن بعدهما اذ كان الله تعالى ذكره قد جعل ابراهيم اماما يقتدى به بعده كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله

تخلقوا بأخلاق الله وعن ابن وهب قلت لمالك ما الحكمة قال معرفة الدين والفقه فيه والاتباع له وعن قتادة واليه ذهب الشافعى هى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ذكر تلاوة الكتاب ثم تعليمه ثم عطف عليه الحكمة فيكون شيئا خارجا عنهما وليس ذلك الا سنة الرسول فان الدلائل العقلية الدالة على التوحيد والنبوة وما يتلوهما مستقلة بالفهم فحمل اللفظ على ما لا يستفاد الا من الشرع أولى وقيل هى الفصل بين الحق والباطل من الحكم وقيل المراد بالكتاب الآيات المحكمات وبالحكمة المتشابهات وقيل هى ما فى أحكام الكتاب من الحكم والمصالح ورابعها ويزكيهم لان الارشاد يتم بامرين التحلية والتخلية فكما يجب على المعلم التنبيه على نعوت الكمال ليتحلى المتعلم بها يجب عليه التحذير عن النقصان ليتحرز عنها وذلك بعد ما يفعله النبى صلى الله عليه وسلم سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ والتذكير والتسبب بامور الدنيا لتتقوى بها دواعيهم الى الايمان والعمل الصالح ولذلك تمدح بانه على خلق عظيم وانه أوتى مكارم الاخلاق وقيل يزكيهم يطهرهم عن الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وقيل يشهد لهم بانهم عدول يوم القيامة ويكون الرسول عليكم شهيدا وعن ابن عباس التزكية هى الطاعة لله والاخلاص بها انك أنت العزيز القادر الذى لا يغلب

ان طهرا قال من الاصنام التي يعبدون التي كان المشركون يعظمونها حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن عبيد بن عمير بيتي للطائفين قال من الآفات والريب حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير مثله حدثني أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قال من الشرك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو اسرائيل عن أبي حصين عن مجاهد طهرا بيتي للطائفين قال من الاوثان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله طهرا بيتي للطائفين قال من الشرك وعبادة الاوثان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله وزاد فيه وقول الزور

القول في تأويل قوله تعالى (للطائفين) اختلف أهل التأويل في معنى الطائفين في هذا الموضع فقال بعضهم هم الغرباء الذين يأتون البيت الحرام من غربة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا أبو حصين عن سعيد بن جبير في قوله للطائفين قال من أتاه من غربة وقال آخرون بل الطائفون هم الذين يطوفون به غرباء كانوا أو من أهله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن العلاء قال ثنا وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء للطائفين قال اذا كان طائفا بالبيت فهو من الطائفين وأولى التأويلين بالآية ما قاله عطاء لان الطائف هو الذي يطوف بالشيء دون غيره والطارئ من غربة لا يستحق اسم طائف بالبيت ان لم يطف به

القول في تأويل قوله تعالى (والعاكفين) يعني تعالى ذكره بقوله والعاكفين والمقيمين به والعاكف على الشيء هو المقيم عليه كما قال نابغة بني ذبيان

عكوفا لدى أبياتهم يثمدونهم * رمى الله في تلك الاكف الكوانع

وانما قيل للمعتكف معتكف من أجل مقامه في الموضع الذي حبس فيه نفسه لله تعالى ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله والعاكفين فقال بعضهم عني به الجالس في البيت الحرام بغير طواف ولا صلاة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء قال اذا كان طائفا بالبيت فهو من الطائفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين وقال بعضهم العاكفون هم المعتكفون المجاورون ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا شريك عن جابر عن مجاهد وعكرمة طهرا بيتي للطائفين والعاكفين قال المجاورون وقال بعضهم العاكفون هم أهل البلد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر ابن عياش قال ثنا أبو حصين عن سعيد بن جبير في قوله والعاكفين قال أهل البلد حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة والعاكفين قال العاكفون أهله وقال آخرون العاكفون هم المصلون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله طهرا بيتي للطائفين والعاكفين قال العاكفون المصلون وأولى هذه التأويلات بالصواب ما قاله عطاء وهو ان العاكف في هذا الموضع المقيم في البيت مجاورا فيه بغير طواف ولا صلاة لان صفة العكوف ما وصفنا من الاقامة بالمكان والمقيم بالمكان قد يكون مقيما به وهو جالس ومصل وطائف وقائم وعلى غير ذلك من الاحوال فلما كان تعالى ذكره قد ذكر في قوله أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود المصلين والطائفين علم بذلك ان الحال التي عنى الله تعالى ذكره من العاكف غير حال المصلي والطائف وان التي عنى من أحواله هو العكوف بالبيت على سبيل الجوار فيه وان لم يكن مصليا فيه ولا راكعا ولا ساجدا

القول في تأويل قوله (والركع السجود) يعني تعالى ذكره بقوله والركع جماعة القوم الراكعين فيه له واحدهم راكع وكذلك السجود هم جماعة القوم الساجدين فيه له واحدهم ساجد كما يقال رجل قاعد ورجال

قعود

الحكيم العالم الذي لا يفعل الا على وفق المصالح واذا كان كذلك صح منه اجابة الدعاء وبعثة الرسل وانزال الكتب * ومن رغب الاستفهام فيه لتقرير النفي أي لا يرغب أحد يقال رغب عن الامر اذا كرهه ورغب فيه اذا أراده ومحل من سفه الرفع على البدل من الضمير في يرغب وذلك أنه غير موجب مثل هل جاءك أحد الا زيد وسفه اما متعد ومعنى سفه نفسه امتهنها واستخفها فاصل السفه الخفة وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل فقد بالغ في ازالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة وعن الحسن الا من جهل نفسه فلم يفكر فيها فيستدل بما يجده فيها من آثار الصنع على وحدانية الله تعالى وحكمته ويرتقي الى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعن أبي عبيدة أهلك نفسه وأوبقها وقيل أضل نفسه واما لازم فمعناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم أي في ظني وقيل نصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وهذا عند الكوفيين فان التمييز عندهم يجوز أن يكون معرفة وفيه توبيخ لليهود والنصارى ومشركي العرب وتعجيب من حالهم فان أعظم مفاخرهم وفضائلهم الانتماء الى ابراهيم ثم انهم لا يؤمنون بالرسول الذي هو دعوته ومطلوبه بالتضرع والاخلاص فان قيل ملة ابراهيم عين ملة محمد في الاصول والفروع أو هما متعددتان في الاصول كالتوحيد والنبوة وأصول مكارم الاخلاق ولكنهما مختلفتان

قعود ورجل جالس ورجال جلوس فكذلك رجل ساجد ورجال سجود وقيل بل عنى بالركع السجود المصلين ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء والركع السجود قال اذا كان يصلي فهو من الركع السجود حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والركع السجود أهل الصلاة وقد بينا فيما مضى بيان معنى الركوع والسجود فاغنى ذلك عن اعادته ههنا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا) يعني تعالى ذكره بقوله واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا واذكروا اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلدا آمنا يعني بقوله آمنا من الجبابرة وغيرهم ان يسلطوا عليه ومن عقوبة الله ان تناله كما تنال سائر البلدان من خسف وانتقال وغرق وغير ذلك من سخط الله ومثلاته التي تصيب سائر البلاد غيره كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان الحرم حرم بحياله الى العرش وذكر لنا ان البيت هبط مع آدم حين هبط قال الله له أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين حتى اذا كان زمان الطوفان حين أغرق الله قوم نوح رفعه وطهره ولم تصبه عقوبة أهل الارض فتتبع منه ابراهيم أثرا فبناه على أساس قديم كان قبله فان قال لنا قائل أوما كان الحرم آمنا الا بعد ان سأل ابراهيم ربه له الامان قيل له لقد اختلف في ذلك فقال بعضهم لم يزل الحرم آمنا من عقوبة الله وعقوبة جبابرة خلقه منذ خلقت السموات والارض واعتلوا في ذلك بما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري قال سمعت أبا شريح الخزاعي يقول لما افتتحت مكة قتلت خزاعة رجلا من هذيل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال يا أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرام الله الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرا ألا وانها لا تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا هذه الساعة غضبا على أهلها ألا فهي قد رجعت على حالها بالامس ألا ليبلغ الشاهد الغائب فمن قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل بها فقولوا ان الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحيم بن سليمان وحدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير جميعا عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة حين افتتحها هذه حرم حرمها الله يوم خلق السموات والارض وخلق الشمس ووضع هذين الاخشبين لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي أحلت لي ساعة من نهار قالوا فمكة منذ خلقت حرم آمنا من عقوبة الله وعقوبة الجبابرة قالوا وقد أخبرت عن صحة ما قلنا من ذلك الرواية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ذكرناها قالوا ولم يسأل ابراهيم ربه أن يؤمنه من عقوبته وعقوبة الجبابرة ولكنه سأله أن يؤمن أهله من الجدوب والقحوط وأن يرزق ساكنه من الثمرات كما أخبر ربه عنه انه سأله بقوله واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قالوا وانما سأل ربه ذلك لانه أسكن فيه ذريته وهو غير ذي زرع ولا ضرع فاستعاذ به من أن يهلكهم بها جوعا وعطشا فسأله أن يؤمنهم مما حذر عليهم منه قالوا وكيف يجوز أن يكون ابراهيم سأل ربه تحريم الحرم وأن يؤمنه من عقوبته وعقوبة جبابرة خلقه وهو القائل حين حله ونزله باهله وولده ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم قالوا فلو كان ابراهيم هو الذي حرم الحرم أو سأل ربه تحريمه لما قال عند بيتك المحرم عند نزوله به ولكنه حرم قبله وحرم بعده وقال آخرون كان الحرم حلالا قبل دعوة ابراهيم كسائر البلاد غيره وانما صار حراما بتحريم ابراهيم اياه كما كانت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالا قبل تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها قالوا والدليل على ما قلنا من ذلك ما حدثنا به ابن بشار قال ثنا

في فروع الاعمال ولا سبيل الى الاول والا لم يكن شرع محمد صلى الله عليه وسلم ناسخا لسائر الشرائع ولا الى الثاني لانه يلزم أن يكون محمد أيضا راغبا عن ملة ابراهيم ولان الاعتراف بالاصول لا يقتضي الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قلنا المختار اتحاد الملتين في الاصول فقط لكن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاصول التي مهدها ابراهيم عليه السلام والمراد بملة ابراهيم في الآية اصولها التي لا تختلف بمر الاعصار وكر الدهور فلا يلزم أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم راغبا عنها لانه أمر باتباعها ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا روى أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما أن الله قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فنزلت ثم انه تعالى لما سفه من رغب عن ملة ابراهيم بين السبب في ذلك فقال ولقد اصطفيناه في الدنيا أي اخترناه للرسالة من دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد والعدل والامامة الباقية الى قيام الساعة حتى نال منزلة الخلة وانه في الآخرة لمن الصالحين فيلزمه ما يلزمهم من الكرامة وحسن الثواب فليتحقق كل ذي لب أن الراغب عن سيرة من هو فائز بسعادة الدارين لا رأي له والله الموفق ثم بين سبب الاصطفاء فاعل اصطفيناه في اذ قال أي اخترناه

عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم بيت الله وأمنه واني حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يصاد صيدها ولا تقطع عضاهها حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا عبد الرحيم الرازي سمعت أشعث عن نافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم كان عبد الله وخليله واني عبد الله ورسوله وان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة ما بين لابتيها عضاهها وصيدها ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يقطع منها شجر الا لعلف بعير حدثنا أبو كريب قال ثنا قتيبة بن سعيد قال ثنا بكر بن مضر عن ابن الهاد عن أبي بكر بن محمد عن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن رافع بن خديج قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة واني أحرم المدينة ما بين لابتيها وما أشبه ذلك من الاخبار التي يطول باستيعابها الكتاب قالوا وقد أخبر الله تعالى ذكره في كتابه ان ابراهيم قال رب اجعل هذا بلدا آمنا ولم يخبر عنه انه سأل أن يجعله آمنا من بعض الاشياء دون بعض فليس لاحد أن يدعي ان الذي سأله من ذلك الامان له من بعض الاشياء دون بعض الا بحجة يجب التسليم لها قالوا وأما خبر أبي شريح وابن عباس فخبران لا تثبت بهما حجة لما في أسانيدهما من الاسباب التي لا يجب التسليم فيهما من أجلها والصواب من القول في ذلك عندنا ان الله تعالى ذكره جعل مكة حرما حين خلقها وأنشأها كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه حرمها يوم خلق السموات والارض بغير تحريم منه لها على لسان أحد من أنبيائه ورسله ولكن بمنعه من أرادها بسوء وبدفعه عنها من الآفات والعقوبات وعن ساكنيها ما أحل بغيرها وغير ساكنيها من النقمات فلم يزل ذلك أمرها حتى بوأها الله ابراهيم خليله وأسكن بها أهله هاجر وولده اسمعيل فسأل حينئذ ابراهيم ربه ايجاب فرض تحريمها على عباده على لسانه ليكون ذلك سنة لمن بعده من خلقه يستنون به فيها اذ كان تعالى ذكره قد اتخذه خليلا وأخبره انه جاعله للناس اماما يقتدى به فأجابه ربه الى ما سأله وألزم عباده حينئذ فرض تحريمه على لسانه فصارت مكة بعد ان كانت ممنوعة بمنع الله اياها بغير ايجاب الله فرض الامتناع منها على عباده ومحرمة بدفع الله عنها بغير تحريمه اياها على لسان أحد من رسله فرض تحريمها على خلقه على لسان خليله ابراهيم عليه السلام وواجب على عباده الامتناع من استحلالها واستحلال صيدها وعضاهها بايجابه الامتناع من ذلك ببلاغ ابراهيم رسالة الله اليه بذلك اليهم فلذلك أضيف تحريمها الى ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة لان فرض تحريمها الذي ألزم الله عباده على وجه العبادة له به دون التحريم الذي لم يزل متعود الها به على وجه الكلاء والحفظ لها قبل ذلك كان عن مسألة ابراهيم ربه ايجاب فرض ذلك على لسانه لزم العباد فرضه دون غيره فقد تبين اذا بما قلنا صحة معنى الخبرين أعني خبر أبي شريح وابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم مكة يوم خلق الشمس والقمر وخبر جابر وأبي هريرة ورافع بن خديج وغيرهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم ان ابراهيم حرم مكة وان ليس أحدهما دافعا صحة معنى الآخر كما ظنه بعض الجهال وغير جائز في أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بعضها دافعا بعضا اذا ثبت صحتها وقد جاء الخبران اللذان رويا في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيئا ظاهرا مستفيضا يقطع عذر من بلغه وقول ابراهيم عليه السلام ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فانه ان يكن قال قبل ايجاب الله فرض تحريمه على لسانه على خلقه فانما عنى بذلك تحريم الله اياه الذي حرمه بحياطته وكلاءته من غير تحريمه اياه على خلقه على وجه التعبد لهم بذلك وان يكن قال ذلك بعد تحريم الله اياه على لسانه على خلقه على وجه التعبد فلا مسألة لاحد علينا في ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) وهذه مسألة من ابراهيم ربه أن يرزق مؤمني أهل مكة من الثمرات دون كافريهم وخص بمسألة ذلك المؤمنين دون الكافرين لما أعلمه الله عند مسألته اياه أن يجعل من ذريته أئمة

يقتدى

في ذلك الوقت ويجوز أن ينتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كأنه قيل له اذكر الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله واذ قال له ربه من باب الالتفات ولولا ذلك لكان حقه أن يقال اذ قلنا له والاكثرون على أنه تعالى قال له ذلك قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك عند استدلاله بالكواكب والقمر والشمس واطلاعه على أمارات الحدوث فيها فلما عرف ربه قال له أسلم فانه لا يجوز أن يقول له قبل ان عرف ربه ويحتمل أن يكون ذلك قبل الاستدلال ولا يكون المراد منه نفس القول بل دلالة الدليل عليه كقولهم نطق الحال قال تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فجعل دلالة البرهان كلاما ويحتمل أن يكون هذا بعد النبوة والمراد الاستقامة على الاسلام والثبات عليه كقوله فاستقم كما أمرت أو المقصود الانقياد لاوامر الله تعالى والمسارعة الى تلقيها بالقبول وترك الاعتراض بالقلب واللسان وقيل الايمان صفة القلب والاسلام صفة الجوارح وان ابراهيم عليه السلام كان عارفا بالله تعالى بقلبه فكلفه الله تعالى بعد ذلك بعمل الجوارح وفي تخصيص لفظ الرب بهذا الموضع بل بأكثر قصص ابراهيم اشارة الى أن طريق عرفانه النظر في المربوبات فلا جرم وصل الى الرب وطريق عرفان محمد صلى الله عليه وسلم عكس ذلك الترتيب فلا جرم بدأ من الله فاعلم أنه لا اله الا الله والاول طريق حسن سنهم آباؤنا

يقتدى بهم أن منهم الكافر الذى لا ينال عهده والظالم الذى لا يدرك ولايته فلما أن علم ان من ذريته الظالم والكافر خص بمسئلته ربه أن يرزق من الثمرات من سكان مكة المؤمن منهم دون الكافر وقال الله له قد أجبت دعاءك وسأرزق مع مؤمنى أهل هذا البلد كافرهم فأمتعه به قليلا وأما من من قوله من آمن منهم بالله واليوم الآخر فانه نصب على الترجمة والبيان عن الاهل كما قال تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه بمعنى يسألونك عن قتال فى الشهر الحرام وكما قال تعالى ذكره ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا بمعنى ولله حج البيت على من استطاع اليه سبيلا وانما سأل ابراهيم ربه ما سأل من ذلك لانه حل بواد غير ذى زرع ولا ماء ولا أهل فسأل أن يرزق أهله ثمرا وأن يجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم فذكر ان ابراهيم لما سأل ذلك ربه نقل الله الطائف من فلسطين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا هشام قال قرأت على محمد بن مسلم ان ابراهيم لما دعا للحرم وارزق أهله من الثمرات نقل الله الطائف من فلسطين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال ومن كفر فأمتعه قليلا) اختلف أهل التأويل فى تأويل هذا القول وفى وجه قراءته فقال بعضهم قائل هذا القول ربنا تعالى ذكره وتأويله على قولهم قال ومن كفر فأمتعه قليلا برزقى من الثمرات فى الدنيا الى أن يأتيه أجله وقرأ قائل هذه المقالة ذلك فأمتعه قليلا بتشديد التاء ورفع العين ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال حدثنى أبو العالية عن أبى بن كعب فى قوله ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار قال هو قول الرب تعالى ذكره حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق لما قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعدل الدعوة عمن أبى الله أن يجعل له الولاية انقطاعا الى الله ومحبة وفراقا لمن خالف أمره وان كانوا من ذريته حين عرف انه كان منهم ظالم لا ينال عهده بخبره عن ذلك حين أخبره فقال الله ومن كفر فانى أرزق البر والفاجر فأمتعه قليلا وقال آخرون بل قال ذلك ابراهيم خليل الرحمن على وجه المسئلة منه ربه أن يرزق الكافر أيضا من الثمرات بالبلد الحرام مثل الذى يرزق به المؤمن ويمتعه بذلك قليلا ثم اضطره الى عذاب النار بتخفيف التاء وجزم العين وفتح الراء من اضطره وفصل ثم اضطره بغير قطع ألفها على وجه الدعاء من ابراهيم ربه لهم والمسئلة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال أبو العالية كان ابن عباس يقول ذلك قول ابراهيم يسأل ربه ان من كفر فأمتعه قليلا حدثنا المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا ابن أبى جعفر عن ليث عن مجاهد ومن كفر فأمتعه قليلا يقول ومن كفر فارزقه أيضا ثم اضطره الى عذاب النار والصواب من القراءة فى ذلك عندنا والتأويل ما قاله أبى بن كعب وقراءته لقيام الحجة بالنقل المستفيض دراية بتصويب ذلك وشذوذ ما خالفه من القراءة وغير جائز الاعتراض بمن كان جائزا عليه فى نقله الخطأ والسهو على من كان ذلك غير جائز عليه فى نقله واذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية قال الله يا ابراهيم قد أجبت دعوتك ورزقت مؤمنى أهل هذا البلد من الثمرات وكفارهم متاعا لهم الى بلوغ آجالهم ثم أضطر كفارهم بعد ذلك الى النار وأما قوله فأمتعه قليلا يعنى فأجعل ما أرزقه من ذلك فى حياته متاعا يتمتع به الى وقت مماته وانما قلنا ان ذلك كذلك لان الله تعالى ذكره انما قال ذلك لابراهيم جوابا لمسألته ما سأل من رزق الثمرات لمؤمنى أهل مكة فكان معلوما بذلك ان الجواب انما هو فيما سأله ابراهيم لا فى غيره وبالذى قلنا فى ذلك قال مجاهد وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه وقال بعضهم تأويله فأمتعه بالبقاء فى الدنيا وقال غيره فأمتعه قليلا فى كفره ما أقام بمكة حتى أبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فيقتله ان أقام على كفره أو يجليه عنها وذلك وان كان وجها يحتمله الكلام فان دليل ظاهر الكلام على خلافه لما وصفنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم أضطره الى عذاب النار) يعنى تعالى ذكره ثم اضطره الى عذاب النار ثم أدفعه الى

في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق لكن الطريق الثانى أحسن أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ومن هنا نعرف أكملية محمد صلى الله عليه وسلم شعر

وانى وان كنت الاخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الاوائل

فألف ابراهيم دلالة على استقامة سيرته وميم محمد دليل على أنه مكمل الاوضاع وبه ابتدأ الامر من حيث انتهى فتمت دائرة النبوة وحصلت الخاتمة وكما أن ألف ابراهيم دليل على وجود الاستقامة ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فألف ابليس دليل عدم الاستقامة الا ابليس أبى واستكبر والوجود خير والعدم شر فحصل من خاء الخير مع لام الابتلاء واذ ابتلى ابراهيم ربه تركيب الخلة واتخذ الله ابراهيم خليلا ومن شين الشر مع دال الدوام على الكفر وكان من الكافرين اسم الشدة وللكافرين عذاب شديد ثم ان الخلة مأخوذة من التخلل بين الشيئين ومنه الخلال فلا جرم كان ابراهيم عليه السلام واسطة فى الطريقة أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا والمحبة مأخوذة من الحبة وهو خالص كل شئ وداخله ومنه حبة القلب فلا جرم كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وحبيب رب العالمين وزبدة الكائنات وغاية الحركات لولاك لما خلقت الافلاك أول الفكر آخر العمل أول ما خلق الله تعالى نورى أنا أول من ينشق عنه قبر آدم ومن دونه تحت لوائى أنا سيد المرسلين ولا فخر محمد صلى الله عليه وسلم أبو الحقيقة وان كان ابراهيم عليه السلام

عذاب النار وأسوقه اليها كما قال تعالى ذكره يوم يدعون الى نار جهنم دعا ومعنى الاضطرار الاكراه يقال اضطررت فلانا الى هذا الامر اذا ألجأته اليه وحملته عليه فذلك معنى قوله ثم اضطره الى عذاب النار أدفعه اليها وأسوقه سحبا وجرا على وجهه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (وبئس المصير) قد دللنا على أن بئس أصله بئس من البؤس سكن ثانيه ونقلت حركة ثانيه الى أوله كما قيل للكبد كبد وما أشبه ذلك ومعنى الكلام وساء المصير عذاب النار بعد الذى كانوا فيه من متاع الدنيا الذى متعتهم فيها وأما المصير فانه مفعل من قول القائل صرت مصيرا صالحا وهو الموضع الذى يصير اليه الكافر بالله من عذاب النار ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل) يعنى تعالى ذكره بقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واذكروا اذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت والقواعد جمع قاعدة يقال للواحد من قواعد البيت قاعدة وللواحدة من قواعد النساء وعجائزهن قاعد فتلغى هاء التأنيث لانها فاعل من قول القائل قعدت عن الحيض ولا حظ فيه للذكورة كما يقال امرأة طاهر وطامث لانه لا حظ فى ذلك للذكور ولو عنى به القعود الذى هو خلاف القيام لقيل قاعدة ولم يجز حينئذ اسقاط هاء التأنيث وقواعد البيت أساسه ثم اختلف أهل التأويل فى القواعد التى رفعها ابراهيم واسمعيل من البيت أهما أحدثا ذلك أم هى قواعد كانت له قبلهما فقال قوم هى قواعد بيت كان بناه آدم أبو البشر بأمر الله اياه بذلك ثم درس مكانه وتعفى أثره بعده حتى بوأه الله ابراهيم عليه السلام فبناه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال قال آدم يارب انى لا أسمع أصوات الملائكة قال بخطيئتك ولكن اهبط الى الارض وابن لى بيتا ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف ببيتى الذى فى السماء فيزعم الناس أنه بناه من خمسة أجبل من حراء وطور زيتا وطور سينا وجبل لبنان والجودى وكان ربضه من حراء فكان هذا بناء آدم حتى بناه ابراهيم بعده حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت قال القواعد التى كانت قواعد البيت قبل ذلك وقال آخرون بل هى قواعد بيت كان الله أهبطه لآدم من السماء الى الارض يطوف به كما كان يطوف بعرشه فى السماء ثم رفعه الى السماء أيام الطوفان فرفع ابراهيم قواعد ذلك البيت ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن أبى قلابة عن عبد الله بن عمرو قال لما أهبط آدم من الجنة قال انى مهبط معك أو منزل معك بيتا فطف حوله كما يطاف حول عرشى وصل عنده كما يصلى عند عرشى فلما كان زمن الطوفان رفع فكانت الانبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله ابراهيم وأعلمه مكانه فبناه من خمسة أجبل من حراء وثبير ولبنان وجبل الطور وجبل الخمر حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا اسمعيل بن علية قال ثنا أيوب عن أبى قلابة قال لما أهبط آدم ثم ذكر نحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا هشام بن حسان عن سوار عن عطاء بن أبى رباح قال لما أهبط الله آدم من الجنة كان رجلاه فى الارض ورأسه فى السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم يأنس اليهم فهابته الملائكة حتى شكت الى الله فى دعائها وفى صلاتها فخفضه الى الارض فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكى ذلك الى الله فى دعائه وفى صلاته فوجه الى مكة فكان موضع قدمه قرية وخطوه مفازة حتى انتهى الى مكة وأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان فرفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله ابراهيم فبناه فذلك قول الله واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال وضع الله البيت مع آدم حين أهبط الله آدم الى الارض وكان مهبطه بأرض الهند وكان رأسه فى السماء ورجلاه فى الارض فكانت الملائكة تهابه فنقص الى ستين ذراعا فحزن آدم اذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم فشكى ذلك الى الله تعالى فقال

أبا الطريقة والحقيقة لكونها مقصودة بالذات أقوى من الطريقة لا جرم وقع الصلاة على ابراهيم فى الصلاة تبعا للصلاة على محمد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وان الصلاة لا تصح بدون الصلاة على محمد بخلاف الصلاة على غيره ولنعد الى ما كنا فيه ووصى التوصية من جملة الامور المستحسنة التى حكاها الله تعالى عن ابراهيم أوصيته بكذا ووصيته بمعنى وأصله من وصيت الشئ بكذا بالتخفيف اذا وصلته اليه وأرض واصية متصلة النبات فالموصى يصل القربة الحاصلة له بعد الموت الى القربات الحاصلة له فى الحياة ويحمد الموصى على هذا الوصل بسبب الوصية والضمير فى بها قيل يعود الى الكلمة أو الجملة وهى أسلمت لرب العالمين ونحوه رجوع الضمير فى قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقيل الاولى أن يرجع الى الملة لانها مذكورة صريحا فى قوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم ولان الوصية بالملة جامعة لجميع أسباب الفلاح بخلاف الوصية بالشهادة وحدها اللهم الا أن يحمل الاسلام على الانقياد الكلى وفى الآية دقائق مرعية فى قبول الدين منها أنه لم يقل وأمر بها لان الوصية عند أمارات الموت وعند ذلك يكون الاهتمام بالامر أشد ومنها أنه خص بنيه بذلك فى آخر عمره مع أنه كان يدعو كل الناس الى الدين فدل على أنه لا شئ عنده أهم من ذلك ومنها التعميم لجميع الابناء وانه لم يقيد الوصية بزمان أو مكان

الله يا آدم انى قد أهبطت اليك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى وتصلى عنده كما يصلى عند عرشى فانطلق اليه آدم فخرج ومدله فى خطوه فكان بين كل خطوتين مفازة فلم تزل تلك المفاوز بعد ذلك فأتى آدم البيت وطاف به ومن بعده من الانبياء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبان ان البيت أهبط ياقوتة واحدة أو درة واحدة حتى اذا أغرق الله قوم نوح رفعه وبقى أساسه فبوأه الله لابراهيم فبناه بعد ذلك وقال آخرون بل كان موضع البيت ربوة حمراء كهيئة القبة وذلك ان الله لما أراد خلق الارض علا الماء زبدة حمراء أو بيضاء وذلك فى موضع البيت الحرام ثم دحا الارض من تحتها فلم يزل ذلك كذلك حتى بوأه الله ابراهيم فبناه على أساسه وقالوا أساسه على أركان أربعة فى الارض السابعة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال جرير بن حازم حدثنى حميد بن قيس عن مجاهد قال كان موضع البيت على الماء قبل أن يخلق الله السموات والارض مثل الزبدة البيضاء ومن تحته دحيت الارض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء وعمرو بن دينار بعث الله رياحا فصفقت الماء فابرزت فى موضع البيت عن حشفة كأنها القبة فهذا البيت منها فلذلك هى أم القرى قال ابن جريج قال عطاء ثم وتدها بالجبال كى لا تكفأ بميد فكان أول جبل أبو قبيس حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال وضع البيت على أركان الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بالفى عام ثم دحيت الارض من تحت البيت حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن هرون بن عنترة عن عطاء بن أبى رباح قال وجدوا بمكة حجرا مكتوبا عليه انى أنا الله ذو بكة بنيته يوم صنعت الشمس والقمر وحففته بسبعة أملاك حفا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد وغيره من أهل العلم ان الله لما بوأ ابراهيم مكان البيت خرج اليه من الشام وخرج معه باسمعيل وأمه هاجر واسمعيل طفل صغير يرضع وحملوا فيما حدثنى على البراق ومعه جبريل يدله على موضع البيت ومعالم الحرم فخرج وخرج معه جبريل فقال كان لا يمر بقرية الا قال أبهذه أمرت يا جبريل فيقول جبريل امضه حتى قدم به مكة وهى اذ ذاك عضاه سلم وسمر وبها أناس يقال لهم العماليق خارج مكة وما حولها والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة فقال ابراهيم لجبريل أههنا أمرت أن أضعهما قال نعم فعمد بهما الى موضع الحجر فأنزلهما فيه وأمر هاجر أم اسمعيل أن تتخذ فيه عريشا فقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم الى قوله لعلهم يشكرون قال ابن حميد قال سلمة قال ابن اسحق ويزعمون والله أعلم ان ملكا من الملائكة أتى هاجر أم اسمعيل حين أنزلهما ابراهيم مكة قبل أن يرفع ابراهيم واسمعيل القواعد من البيت فأشار لهما الى البيت وهو ربوة حمراء مدرة فقال لهما هذا أول بيت وضع فى الارض وهو بيت الله العتيق واعلمى ان ابراهيم واسمعيل هما يرفعانه فالله أعلم حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا هشام بن حسان قال أخبرنى حميد عن مجاهد قال خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيأ من الارض بالفى سنة وأركانه فى الارض السابعة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة قال أخبرنى بشر بن عاصم عن ابن المسيب قال حدثنا كعب ان البيت كان غثاء على الماء قبل أن يخلق الله الارض بأربعين سنة ومنه دحيت الارض قال وحدثنا عن على بن أبى طالب ان ابراهيم أقبل من أرمينية معه السكينة تدله على تبوء البيت كما تتبوأ العنكبوت بيتها قال فرفعت عن أحجار تطيقه أو لا تطيقه ثلاثون رجلا قال قلت يا أبا محمد فان الله يقول واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت قال كان ذلك بعد * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن ابراهيم خليله انه وابنه اسمعيل رفعا القواعد من البيت الحرام وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبطه مع آدم فجعله مكان البيت الحرام الذى بمكة وجائز أن يكون

ولم يخلطها بشئ آخر ثم نهاهم أن يموتوا غير مسلمين وكل هذه دلائل شدة الاهتمام بالامور وهو المشهود له بالفضل وحسن السيرة فيجب قبول قوله لكل عاقل وكذلك وصى بها يعقوب بنيه وقرئ يعقوب بالنصب فمعناه وصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب قائلا لكل منهما يا بنى أصله يا بنون فاضيف الى ياء المتكلم فسقطت النون وصار الواو ياء لاجل النصب فادغم الياء فى الياء ان الله اصطفى لكم الدين استخلصوا اختاره لكم بان أقام عليه الدلائل الواضحة ودعاكم اليه ومنعكم من غيره ووفقكم للاخذ به فلا تموتن فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام نحو لا تصل الا وأنت خاشع لا ينهاه عن نفس الصلاة ولكن عن ترك الخشوع فى صلاته والنكتة فيه اظهار ان الصلاة التى لا خشوع فيها كلا صلاة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد فانه فى قوة قوله لجار المسجد لا تصل الا فى المسجد فكان موتهم لا على حال الاسلام موتا لا خير فيه لانه ليس بموت السعداء ومن حق هذا الموت أن لا يحل فيهم أم كنتم شهداء يحتمل أن تكون أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار لمجرد الحضور عند وفاته والخطاب للمؤمنين أى ما كنتم حاضرين حين احتضر يعقوب وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحى أو لاهل الكتاب المعاصرين كأنه قيل لهم كيف تزعمون ان ما أنتم عليه دين الرسل ولم تشهدوا وصايا الانبياء ولو شهدتم

ذلك كان القبة التي ذكرها عطاء مما أنشأه الله من زبد الماء وجائز أن يكون كان ياقوتة أو درة أهبطا من السماء وجائز أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم حتى رفع قواعده ابراهيم واسمعيل ولا علم عندنا بأى ذلك كان من أى لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم بالنقل المستفيض ولا خبر بذلك تقوم به الحجة فيجب التسليم لها ولا هو إذ لم يكن به خبر على ما وصفنا مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس فيمثل بغيره ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد فلا قول في ذلك هو أولى بالصواب مما قلنا والله تعالى أعلم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (ربنا تقبل منا) يعني تعالى ذكره بذلك وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل يقولان ربنا تقبل منا وذكر أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود وهو قول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى ابن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال يبنيان وهما يدعوان الكلمات التي ابتلى بها ابراهيم ربه قال ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ربنا وابعث فيهم رسولا منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني ابن كثير قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل قال هما يرفعان القواعد من البيت ويقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم قال واسمعيل يحمل الحجارة على رقبته والشيخ يبني فتأويل الآية على هذا القول وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل قائلين ربنا تقبل منا وقال آخرون بل قائل ذلك كان اسمعيل فتأويل الآية على هذا القول وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإذ يقول اسمعيل ربنا تقبل منا فيصير حينئذ اسمعيل مرفوعا بالجملة التي بعده ويقول حينئذ خبر له دون ابراهيم ثم اختلف أهل التأويل في الذي رفع القواعد بعد إجماعهم على أن ابراهيم كان ممن رفعها فقال بعضهم رفعها ابراهيم واسمعيل جميعا ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي وعهدنا إلى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتي للطائفين قال فانطلق ابراهيم حتى أتى مكة فقام هو واسمعيل وأخذا المعاول لا يدريان أين البيت فبعث الله ريحا يقال لها ريح الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكنست لهما ما حول الكعبة وعن أساس البيت الأول واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس فذلك حين يقول وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت فلما بنيا القواعد فبلغا مكان الركن قال ابراهيم لاسمعيل يا بني اطلب لي حجرا حسنا أضعه ههنا قال يا أبت إني كسلان تعب قال علي بذلك فانطلق فطلب له حجرا فجاءه بحجر فلم يرضه فقال ائتني بحجر أحسن من هذا فانطلق يطلب له حجرا وجاءه جبريل بالحجر الأسود من الهند وكان أبيض ياقوتة بيضاء مثل الثغامة وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس فجاءه اسمعيل بحجر فوجده عند الركن فقال يا أبت من جاءك بهذا فقال من هو أنشط منك فبنياه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو بن عبد الله بن عتبة عن عبيد بن عمير الليثي قال بلغني أن ابراهيم واسمعيل هما رفعا قواعد البيت * وقال آخرون بل رفع قواعد البيت ابراهيم وكان اسمعيل يناوله الحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن ثابت الرازي قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاء ابراهيم واسمعيل يبري نبلا قريبا من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل إن الله أمرني بأمر قال فاصنع ما أمرك ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتا وأشار إلى الكعبة والكعبة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت قال فجعل اسمعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم حتى دور حول البيت

ذلك وسمعتم قولهم لبنيهم لظهر لكم حرصهم على ملة الاسلام والدين الحنيفي فرغبتم في دين محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل كون أم متصلة على أن يقدر قبلها محذوف معناه أتدعون على الانبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت قيل أي ان أوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له إذ أراد بنيه على التوحيد ودين الاسلام فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وفيه نظر لأن أم المعادلة أحد الامرين كائن فيها فقط فان كان الحضور ثابتا لم تكن الدعوى ثابتة لكنها ثابتة ولهذا توجه الانكار عليها فالوجه أن يقال المراد أن الحضور غير ثابت لتطاول الزمان فاذن دعواهم يهودية الانبياء دعوى بلا دليل فلا تسمع على انه تعالى نص على بطلانها بقوله إذ قال لبنيه إلى آخره ويتجه على هذا التقدير أن تكون أم منقطعة كأنه استفهم أولا على سبيل الانكار أي لم تدعون ثم استأنف استفهاما ثانيا لتقرير النفي أي ما كنتم شهداء أو لتقرير الاثبات على أن أوائلهم قد شهدوا فيكون مؤكدا لذلك الانكار ما تعبدون أي شيء تعبدون وما عام لأولي العلم وغيرهم ومن مختص بأولي العلم ولهذا قال العلماء من لما يعقل ومن خصص ما بغير أولي العقل قال المراد السؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب روي أن يعقوب عليه السلام لما دخل مصر رأى أهلها يعبدون الأوثان والنيران فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم هذا القول تحريضا لهم على التمسك

حدثنا ابن بشار القزاز قال ثنا عبد الله بن عبد المجيد أبو علي الحنفي قال ثنا ابراهيم بن نافع قال سمعت كثير بن كثير يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاء يعني ابراهيم فوجد اسمعيل يصلح نبلا من وراء زمزم قال ابراهيم يا اسمعيل ان الله ربك قد أمرني ان ابني له بيتا فقال له اسمعيل فاطع ربك فيما أمرك فقال له ابراهيم قد أمرك ان تعينني عليه قال اذا أفعل قال فقام معه فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر فهو مقام ابراهيم فجعل يناوله ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم * وقال آخرون بل الذي رفع قواعد البيت ابراهيم وحده واسمعيل يومئذ طفل صغير ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن حارثة بن مصرف عن علي قال لما أمر ابراهيم ببناء البيت خرج معه اسمعيل وهاجر قال فلما قدم مكة رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس فكلمه فقال يا ابراهيم ابن على ظلي أو على قدري ولا تزد ولا تنقص فلما بنى وخلف اسمعيل وهاجر فقالت هاجر يا ابراهيم الى من تكلنا قال الى الله قالت انطلق فانه لا يضيعنا قال فعطش اسمعيل عطشا شديدا قال فصعدت هاجر الصفا فنظرت فلم تر شيأ ثم أتت المروة فنظرت فلم تر شيأ ثم رجعت الى الصفا فنظرت فلم تر شيأ حتى فعلت ذلك سبع مرات فقالت يا اسمعيل مت حيث لا أراك فأتته وهو يفحص برجله من العطش فناداها جبريل فقال لها من أنت فقالت أنا هاجر أم ولد ابراهيم قال الى من وكلكما قالت وكلنا الى الله قال وكلكما الى كاف قال ففحص الارض باصبعه فنبعت زمزم فجعلت تحبس الماء فقال دعيه فانها رواء حدثنا عباد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة ان رجلا قام الى علي فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الارض فقال لا ولكن هو أول بيت وضع في البركة مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وان شئت أنبأتك كيف بني ان الله أوحى الى ابراهيم أن ابن لي بيتا في الارض قال فضاق ابراهيم بذلك ذرعا فأرسل الله السكينة وهي ريح خجوج ولها رأسان فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت الى مكة فتطوت على موضع البيت كتطوي الحجفة وأمر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فبنى ابراهيم وبقي حجر فذهب الغلام يبغي شيأ فقال ابراهيم لا أبغي حجرا كما آمرك قال فانطلق الغلام يلتمس له حجرا فأتاه فوجده قد ركب الحجر الاسود في مكانه فقال يا أبة من أتاك بهذا الحجر قال أتاني به من لم يتكل على بنائك جاء به جبريل من السماء فأتماه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سعيد عن سماك قال سمعت خلف بن عرعرة يحدث عن علي بنحوه حدثنا المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة وحماد بن سلمة وأبو الاحوص كلهم عن سماك عن خالد بن عرعرة عن علي بنحوه فمن قال رفع القواعد ابراهيم واسمعيل أو قال رفعها ابراهيم وكان اسمعيل يناوله الحجارة فالصواب في قوله أن يكون المضمر من القول لابراهيم واسمعيل ويكون الكلام حينئذ واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل يقولان ربنا تقبل منا وقد كان يحتمل على هذا التأويل أن يكون المضمر من القول لاسمعيل خاصة دون ابراهيم ولابراهيم خاصة دون اسمعيل لولا ما عليه عامة أهل التأويل من أن المضمر من القول لابراهيم واسمعيل جميعا وأما على التأويل الذي روي عن علي ان ابراهيم هو الذي رفع القواعد دون اسمعيل فلا يجوز أن يكون المضمر من القول عند ذلك الا لاسمعيل خاصة والصواب من القول عندنا في ذلك ان المضمر من القول لابراهيم واسمعيل وان قواعد البيت رفعها ابراهيم واسمعيل جميعا وذلك ان ابراهيم واسمعيل ان كانا هما بنياها ورفعاها فهو ما قلنا وان كان ابراهيم تفرد ببنائها وكان اسمعيل يناوله فهما أيضا رفعاها لان رفعها كان بهما من أحدهما البناء ومن الآخر نقل الحجارة اليها ومعونة وضع الاحجار مواضعها ولا تمتنع العرب من نسبة اضافة البناء الى من كان بسببه البناء ومعونته وانما قلنا ما قلنا من ذلك لاجماع

بعبادة الله لا أنهم كانوا يعبدون غير الله لان مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد تنافي ذلك ولان المشهور من أمر الاسباط انهم كانوا قوما صالحين وابراهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك وقدم اسمعيل لانه أسن وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد هو الاخوة قال صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وأيضا طلق اسم الاب على ابراهيم وهو جده فعن الشافعي أنه مجاز ولهذا قال الاخوة والاخوات للاب والام لا يسقطون بالجد واليه ذهب مالك وأبو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد وقال أبو حنيفة انه حقيقة وانهم يسقطون بالجد وهو قول أبي بكر وابن عباس وعائشة والحسن وطاوس وعطاء ثم التعليمية قالوا لا طريق لنا الى معرفة الله تعالى الا بتعليم الرسول والامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذي دل العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذي أنت تعبده وآباؤك يعبدونه فدل على أن طريق المعرفة هو التعليم وأجيب بمنع دلالة الآية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال الا أنهم اختصروا الكلام فتركوا شرح صفات الله وبيان ذلك وأيضا انه أقرب الى سكون نفس يعقوب فكأنهم قالوا لسنا نجري الا على مثل طريقتك من اليقين بالله والاخلاص له في عبادته وأيضا لعل مرادهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك

جميع أهل التاويل على ان اسمعيل معنى بالخبر الذى أخبر الله عنه وعن أبيه انهما كانا يقولانه وذلك قولهما ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فعلوم ان اسمعيل لم يكن ليقول ذلك الا وهو اما رجل كامل واما غلام قد فهم مواضع الضر من النفع ولزمته فرائض الله وأحكامه واذا كان فى حال بناء أبيه ما أمره الله ببنائه ورفعه قواعد بيت الله كذلك فعلوم انه لم يكن تاركا معونة أبيه اما على البناء واما على نقل الحجارة وأى ذلك كان منه فقد دخل فى معنى من رفع قواعد البيت وثبت ان القول المضمر خبر عنه وعن والده ابراهيم عليهما السلام فتأويل الكلام واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل يقولان ربنا تقبل منا عملنا وطاعتنا اياك وعبادتنا لك فى انتهائنا الى أمرك الذى أمرتنا به فى بناء بيتك الذى أمرتنا ببنائه انك أنت السميع العليم وفى اخبار الله تعالى ذكره انهما رفعا القواعد من البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم دليل واضح على أن بناءهما ذلك لم يكن مسكنا يسكنانه ولا منزلا ينزلانه بل هو دليل على أنهما بنياه ورفعا قواعده لكل من أراد أن يعبد الله تقربا منهما الى الله بذلك ولذلك قالا ربنا تقبل منا ولو كانا بنياه مسكنا لانفسهما لم يكن لقولهما تقبل منا وجه مفهوم لانه كان يكونان لو كان الامر كذلك سائلين أن يتقبل منهما ما لا قربة فيه اليه وليس موضعهما مسئلة الله قبول ما لا قربة اليه فيه ۞ القول فى تاويل قوله (انك أنت السميع العليم) وتاويل قوله انك أنت السميع العليم انك أنت السميع دعاءنا ومسئلتنا اياك قبول ما سألناك قبوله منا من طاعتك فى بناء بيتك الذى أمرتنا ببنائه العليم بما فى ضمائر نفوسنا من الاذعان لك فى الطاعة والمصير الى ما فيه لك الرضا والمحبة وما نبدى ونخفى من أعمالنا كما حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى أبو كثير قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس تقبل منا انك أنت السميع العليم يقول تقبل منا انك سميع الدعاء ۞ القول فى تاويل قوله (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وهذا أيضا خبر من الله تعالى ذكره عن ابراهيم واسمعيل أنهما كانا يرفعان القواعد من البيت وهما يقولان ربنا واجعلنا مسلمين لك يعنيان بذلك واجعلنا مستسلمين لامرك خاضعين لطاعتك لا نشرك معك فى الطاعة أحدا سواك ولا فى العبادة غيرك وقد دللنا فيما مضى على أن معنى الاسلام الخضوع لله بالطاعة وأما قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فانهما خصا بذلك بعض الذرية لان الله تعالى ذكره قد كان أعلم ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم قبل مسئلته هذه ان من ذريته من لا ينال عهده لظلمه وفجوره فخصا بالدعوة بعض ذريتهما وقد قيل انهما عنيا بذلك العرب ذكر من قال ذلك حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى ومن ذريتنا أمة مسلمة لك يعنيان العرب وهذا قول يدل ظاهر الكتاب على خلافه لان ظاهره يدل على انهما دعوا الله أن يجعل من ذريتهما أهل طاعته وولايته والمستجيبين لامره وقد كان فى ولد ابراهيم العرب وغير العرب والمستجيب لامر الله والخاضع له بالطاعة من الفريقين فلا وجه لقول من قال عنى ابراهيم بدعائه ذلك فريقا من ولده باعيانهم دون غيرهم الا التحكم الذى لا يعجز عنه أحد وأما الامة فى هذا الموضع فانه يعنى بها الجماعة من الناس من قول الله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وأرنا مناسكنا) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعضهم وأرنا مناسكنا بمعنى رؤية العين أى أظهرها لاعيننا حتى نراها وذلك قراءة عامة أهل الحجاز والكوفة وكان بعض من يوجه تاويل ذلك الى هذا التاويل يسكن الراء من أرنا غير انه يشمها كسرة واختلف قائل هذه المقالة وقراء هذه القراءة فى تاويل قوله مناسكنا فقال بعضهم هى مناسك الحج ومعالمه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأرنا مناسكنا فاراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والافاضة من عرفات والافاضة من جمع ورمى الجمار حتى أكمل الله الدين أو دينه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر

ووجودا آبائك كقوله اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم الها واحدا بدل من اله آبائك مثل بالناصية ناصية كاذبة أو نصب على الاختصاص والمدح ونحن له مسلمون مذعنون أو مخلصون التوحيد ومحله النصب حالا من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الضمير فى له اليه ويجوز أن يكون جملة معطوفة على نعبد أو جملة معترضة مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التى هى ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون خلت مضت وانقرضت والغرض انه لم يبق منهم أثر سوى ماعملوا ولهذا قيل لها ما كسبت أى ثوابه يريد أنى اقتصصت عليكم أخبارهم وما كانوا عليه من الدعوة الى الاسلام فليس لكم نفع فى سيرتهم دون أن تفعلوا ما فعلوه فان أنتم فعلتم ذلك فزتم كما فازوا وان أبيتم خسرتم أنتم دونهم ولا تسئلون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون بسيآتهم كما لا ينفعكم حسناتهم وفيه تكذيب لليهود حيث قالوا انهم يعذبون أياما معدودة لكفر آبائهم باتخاذ العجل وفى الآية وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الآباء قال صلى الله عليه وسلم ياصفية عمة محمد صلى الله عليه وسلم يافاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ائتونى يوم القيامة باعمالكم لا بانسابكم فانى لا أغنى عنكم من الله شيا من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ثم الآية تدل أن العبد كسبا ولكن الائمة اختلفوا فى تفسيره فالاشعرى على أنه لا تاثير لقدرة العبد فى مقدوره أصلا لانه لو كان موجدا

عن قتادة في قوله وأرنا مناسكنا قال أرنا نسككنا وحجنا حدثنا موسى قال حدثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال لما فرغ ابراهيم واسمعيل من بنيان البيت أمره الله أن ينادي فقال وأذن في الناس بالحج فنادى بين أخشبي مكة يا أيها الناس ان الله يأمركم أن تحجوا بيته قال فوقرت في قلب كل مؤمن فاجابه كل من سمعه من جبل أو شجر أو دابة لبيك لبيك فاجابوه بالتلبية لبيك اللهم لبيك وأتاه من أتاه فامره الله أن يخرج الى عرفات ونعتها فخرج فلما بلغ الشجرة عند العقبة استقبله الشيطان فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية أيضا فصده فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فلما رأى انه لا يطيقه ولم يدر ابراهيم أين يذهب فانطلق حتى أتى ذا المجاز فلما نظر اليه فلم يعرفه جاز فلذلك سمي ذا المجاز ثم انطلق حتى وقع بعرفات فلما نظر اليها عرف النعت قال قد عرفت فسميت عرفات فوقف ابراهيم بعرفات حتى اذا أمسى ازدلف الى جمع فسميت المزدلفة فوقف بجمع ثم أقبل حتى أتى الشيطان حين لقيه أول مرة فرماه بسبع حصيات سبع مرات ثم أقام بمنى حتى فرغ من الحج وأمره وذلك قوله وأرنا مناسكنا وقال آخرون ممن قرأ هذه القراءة المناسك المذابح فكان تأويل هذه الآية على قول من قال ذلك وأرنا كيف ننسك لك يا ربنا نسائكنا فنذبحها لك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء وأرنا مناسكنا قال ذبحنا حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن جريج عن عطاء قال مذابحنا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول وأرنا مناسكنا قال أرنا مذابحنا وقال آخرون وأرنا مناسكنا بتسكين الراء وزعموا ان معنى ذلك وعلمنا ودلنا عليها لا أن معناه أرناها بالابصار وزعموا ان ذلك بطريق حطائط بن يعفر أخي الاسود بن يعفر

أريني جوادا مات هزلا لانني * أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

يعني بقوله أريني دليني عليه وعرفيني مكانه ولم يعن به رؤية العين وهذه قراءة رويت عن بعض المتقدمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء أرنا مناسكنا أخرجها لنا علمناها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قال ابن المسيب قال علي بن أبي طالب لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال فعلت أي رب فارنا مناسكنا أبرزها لنا علمناها فبعث الله جبريل فحج به والقول واحد فمن كسر الراء جعل علامة الجزم سقوط الياء التي في قول القائل أرنيه أرنه وأقر الراء مكسورة كما كانت قبل الجزم ومن سكن الراء من أرنا توهم ان اعراب الحرف في الراء فسكنها في الجزم كما فعلوا ذلك في لم يكن ولم يك وسواء كان ذلك من رؤية العين أو من رؤية القلب ولا معنى لفرق من فرق بين رؤية العين في ذلك ورؤية القلب وأما المناسك فانها جمع منسك وهو الموضع الذي ينسك لله فيه ويتقرب اليه فيه بما يرضيه من عمل صالح اما بذبح ذبيحة له واما بصلاة أو طواف أو سعي وغير ذلك من الاعمال الصالحة ولذلك قيل لمشاعر الحج مناسكه لانها أمارات وعلامات يعتادها الناس ويترددون اليها واصل النسك في كلام العرب الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه يقال لفلان منسك وذلك اذا كان له موضع يعتاده لخير أو شر ولذلك سميت المناسك مناسك لانها تعتاد ويتردد اليها بالحج والعمرة وبالاعمال التي يتقرب بها الى الله وقد قيل ان معنى النسك عبادة الله وان الناسك انما سمي ناسكا بعبادة ربه فتأول قائلو هذه المقالة قوله وأرنا مناسكنا وعلمنا عبادتك كيف نعبدك وأين نعبدك وما يرضيك عنا فنفعله وهذا القول وان كان مذهبا يحتمله الكلام فان الغالب على معنى المناسك ما وصفنا قبل من انها مناسك

الافعال لكان عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك ولما وقع الا ما أراده العبد وليس كذلك بل المقدور ذو القدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى لكن الشيء الذي حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق الله تعالى فاذا خلقه فيه استحال من العبد أن يتصف حينئذ به واذا لم يخلقه فيه استحال أن لا يتصف به فاي معنى لكون العبد قادرا عليه وأيضا الذي هو مكتسب العبد اما أن يكون واقعا بقدرة الله فلا أثر للعبد فلا يكون مكتسباله وان وقع بالقدرتين معا فلا تكون قدرة الله تعالى مستقلة والمفروض بالخلاف فبقي أن يكون بقدرة العبد وعن القاضي أن ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى ثم يحصل لذلك الفعل صفة طاعة أو صفة معصية فهذه الصفة تقع بقدرة العبد وضعف بان المحرم من الجلوس في الدار المغصوبة ليس الاشغل تلك الاحياز فهذا الشغل ان حصل بفعل الله تعالى فعين المنهي عنه قد خلقه الله فيه وهذا تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني ان ذات الفعل تقع بالقدرتين وزيف بان قدرة الله مستقلة بالتأثير ومنهم من زعم أن القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى أنه سبحانه هو الذي وضع الاسباب المتأدية الى دخول هذه الافعال في الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى أن المؤثر في

الحج التي ذكرنا معناها وخرج هذا الكلام من قول ابراهيم واسمعيل على وجه المسئلة منهما ربهما لانفسهما وانما ذلك منهما مسئلة ربهما لانفسهما وذريتهما المسلمين فلما اضيف اذريتهما المسلمين الى أنفسهما صارا كالمخبرين عن أنفسهم بذلك وانما قلنا ان ذلك كذلك لتقدم الدعاء منهما للمسلمين من ذريتهما قبل في أول الآية وتأخره بعد في الآية الاخرى فأما الذي في أول الآية فقولهما ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ثم جمعا أنفسهما والامة المسلمة من ذريتهما في مسألتهما ربهما أن يريهم مناسكهم فقالا وأرنا مناسكنا وأما التي في الآية التي بعدها ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فجعلا المسألة لذريتهما خاصة وقد ذكر انها في قراءة ابن مسعود وأرهم مناسكهم يعني بذلك وأر ذريتنا المسلمة مناسكهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وتب علينا انك أنت التواب الرحيم)
أما التوبة فأصلها الاوبة من مكروه الى محبوب فتوبة العبد الى ربه أوبته مما يكرهه الله منه بالندم عليه والاقلاع عنه والعزم على ترك العود فيه وتوبة الرب على عبده عوده عليه بالعفو له عن جرمه والصفح له عن عقوبة ذنبه مغفرة له منه وتفضلا عليه فان قال لنا قائل وهل كان لهما ذنوب فاحتاجا الى مسئلة ربهما التوبة قيل انه ليس أحد من خلق الله الا وله من العمل فيما بينه وبين ربه ما يجب عليه الانابة منه والتوبة فجائز أن يكون ما كان من قبلهما ما قالا من ذلك وانما خصا به الحال التي كانا عليها من رفع قواعد البيت لان ذلك كان أحرى الاماكن أن يستجيب الله فيها دعاءهما وليجعلا ما فعلا من ذلك سنة يقتدى بها بعدهما وتتخذ الناس تلك البقعة بعدهما موضع تنصل من الذنوب الى الله وجائز أن يكونا عنيا بقولهما وتب علينا وتب على الظلمة من أولادنا وذريتنا الذين أعلمتنا أمرهم من ظلمهم وشركهم حتى ينيبوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام على الدعاء لانفسهما والمعني به ذريتهما كما يقال أكرمني فلان في ولدي وأهلي وبرني فلان اذا بر ولده وأما قوله انك أنت التواب الرحيم فانه يعني به انك أنت العائد على عبادك بالفضل والمتفضل عليهم بالعفو والغفران الرحيم بهم المستنقذ من تشاء منهم برحمتك من هلكته المنجي من تريد نجاته منهم برأفتك من سخطك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك) وهذه دعوة ابراهيم واسمعيل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهي الدعوة التي كان نبينا صلى الله عليه وسلم يقول أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن ثور ابن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعي ان نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال نعم أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى صلى الله عليهم وسلم حدثني عمران ابن بكار الكلاعي قال ثنا أبو اليمان قال ثنا أبو كريب عن أبي مريم عن سعيد بن سويد عن العرباض بن سارية السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عند الله في أم الكتاب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسوف أنبئكم بتأويل ذلك أنا دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى قومه ورؤيا أمي حدثني يونس بن عبد الاعلى قال ثنا ابن وهب قال أخبرني معاوية وحدثني عبيد بن آدم بن أبي اياس العسقلاني قال حدثني أبي قال ثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح قالا جميعا عن سعيد بن سويد عن عبد الله بن هلال السلمي عن عرباض بن سارية السلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن سعيد بن سويد عن عبد الاعلى بن هلال السلمي عن عرباض بن سارية انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكر نحوه وبالذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ففعل الله ذلك فبعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفون وجهه ونسبه يخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط العزيز الحميد حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ربنا وابعث

وقوع فعله هو القدرة والداعية القائمتان به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول الفلاسفة وزعم جمهور المعتزلة أن القدرة مع الداعي لا توجب الفعل بل العبد قادر على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل وان شاء ترك وهذا هو الفعل والكسب فهذا تقرير المذاهب وقول الاشعري أقرب الى الادب وقول امام الحرمين أقرب الى التحقيق لان نسبة الاثر الى المؤثر القريب لا تنافي كون ذلك المؤثر منسوبا الى أثر آخر بعيد ثم الى أبعد الى أن ينتهي الى مسبب الاسباب وفاعل الكل ومبدأ المبادي والسالك الاختيار بعد ذلك دون هواك التأويل من قوله واذ ابتلى البلاء للولاء كاللهب للذهب فاصدقهم ولاء أشدهم بلاء واذا ابتلي الخليل بكلمات هي أحكام النبوة الخصال العشر في جسده ولوازم الرسالة الصبر عند صدمات المكروهات وفقدان المألوفات وموجبات الخلة التبري عما سوى الخليل اني بريء مما تشركون وعداوة غير الخليل فانهم عدو الا رب العالمين ورفع الوسائط حيث قال له جبريل في الهواء هل لك من حاجة فقال أما اليك فلا وأسلم تسليم أسلمت لرب العالمين والرضا بما أمر به عند ذبح الولد فلما أسلما وتله للجبين بخلاف ما قال نوح ان ابني من أهلي فلا جرم زيد له في الاصطفاء وشرف بكرامة الامامة والاقتداء به واذ جعلنا البيت بيت القلب كما جاء ان الله تعالى أوحى الى داود فرغ لي بيتا أسكن فيه فقال وكيف يارب قال

فيهم رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ربنا وابعث فيهم رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم فقيل له قد استجيب ذلك وهو فى آخر الزمان ويعنى تعالى ذكره بقوله يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم كتابك الذى توحيه اليه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ويعلمهم الكتاب والحكمة) ويعنى بالكتاب القرآن وقد بينت فيما مضى لم سمى القرآن كتابا وما تاويله وهو قول جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ويعلمهم الكتاب القرآن ثم اختلف أهل التاويل فى معنى الحكمة التى ذكرها الله فى هذا الموضع فقال بعضهم هى السنة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والحكمة أى السنة وقال بعضهم الحكمة هى المعرفة بالدين والفقه فيه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فى الدين والاتباع له حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والحكمة قال الحكمة الدين الذى لا يعرفونه الا به صلى الله عليه وسلم يعلمهم اياها قال والحكمة العقل فى الدين وقرأ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وقال لعيسى ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل قال وقرأ ابن زيد واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال لم ينتفع بالآيات حين لم تكن معها حكمة قال والحكمة شئ يجعله الله فى القلب ينوره له به والصواب من القول عندنا فى الحكمة انها العلم باحكام الله التى لا يدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها وما دل عليه ذلك من نظائره وهو عندى ماخوذ من الحكم الذى بمعنى الفصل بين الحق والباطل بمنزلة الجلسة والقعدة من الجلوس والقعود يقال منه ان فلانا لحكيم بين الحكمة يعنى به انه لبين الاصابة فى القول والفعل واذ كان ذلك كذلك فتاويل الآية ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم كتابك الذى تنزله عليهم وفصل قضائك وأحكامك التى تعلمه اياها ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ويزكيهم) قد دللنا فيما مضى قبل على ان معنى التزكية التطهير وان معنى الزكاة النماء والزيادة فمعنى قوله ويزكيهم فى هذا الموضع ويطهرهم من الشرك بالله وعبادة الاوثان وينميهم ويكثرهم بطاعة الله كما حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس يتلوا عليهم آياتك ويزكيهم قال يعنى بالزكاة طاعة الله والاخلاص حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج قوله ويزكيهم قال يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (انك أنت العزيز الحكيم) يعنى تعالى ذكره بذلك انك يارب أنت العزيز القوى الذى لا يعجزه شئ أراده فافعل بنا وبذريتنا ما سالناه وطلبناه منك والحكيم الذى لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل فاعطنا ما ينفعنا وينفع ذريتنا ولا ينقصك ولا ينقص خزائنك ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) يعنى تعالى ذكره بقوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم وأى الناس يزهد فى ملة ابراهيم ويتركها رغبة عنها الى غيرها وانما عنى الله بذلك اليهود والنصارى لاختيارهم ما اختاروا من اليهودية والنصرانية على الاسلام لان ملة ابراهيم هى الحنيفية المسلمة كما قال تعالى ذكره ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما فقال تعالى ذكره لهم ومن يزهد عن ملة ابراهيم الحنيفية المسلمة الا من سفه نفسه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه رغب على ملته اليهود والنصارى واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله وتركوا ملة ابراهيم يعنى الاسلام حنيفا كذلك بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بملة ابراهيم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه قال رغبت اليهود والنصارى عن ملة ابراهيم وابتدعوا اليهودية

فرغ لى قلبك أى جعلنا القلب الانسانى مثابة للناس ترجعون اليه يا طلابى وزوارى كما ترجعون الى الكعبة فى الصورة وما منا للسالك من تصرفات الشيطان ومكايده حين بلغ منزل القلب لان القلب خزانة الحق محروسة من دخول الشيطان وانما جولان اللص الشيطان فى ميادين الصدور كقوله يوسوس فى صدور الناس واتخذوا عند الوصول الى كعبة القلب من مقام ابراهيم وهو الخلة قبلة توجهكم ليكون قصدكم الى لا الى غيرى كما قال ابراهيم انى ذاهب الى ربى سيهدين وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل فى الميثاق أن طهرا القلب من أدناس تعلقات الكونين وأوضار ملاحظة الاغيار للطائفين وهى وارادات الاحوال والعاكفين وهى الملكات والمقامات والركوع السجود وهى صفات القلب المطهرة من الارادة والصدق والاخلاص والتواضع والخوف والرجاء والتسليم والرضا والتوكل وجملة هذه الصفات العبودية واذ قال ابراهيم الآية لما أهبط آدم الروح الى الارض الجسد فقدما كان يجد من روائح ألطاف الحق فى جنة حظيرة القدس استوحش فانزل الله تعالى ياقوتة القلب من جنة حظيرة القدس له بابان شرقى الى حظيرة قرب العالمين تطلع منها شوارق الالطاف وباب غربى الى عالم الجسد وفيه قناديل العقل وأنزل حجر الذرة المخاطبة بخطاب الست بربكم منورا بنور جواب بلى قد ألقم كتاب العهد يوم الميثاق وهو يمين الله فى أرضه فلما

والنصرانية وليستحن الله وتركوا ملة ابراهيم الاسلام ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (الامن سفه نفسه) يعنى تعالى ذكره بقوله الامن سفه نفسه الامن سفهت نفسه وقد بينا فيما مضى ان معنى السفه الجهل فمعنى الكلام وما يرغب عن ملة ابراهيم الحنيفية الاسفيه جاهل بموضع حظ نفسه فيما ينفعها ويضرها فى معادها كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الامن سفه نفسه قال الامن أخطا حظه وانما نصب النفس على معنى المفسر وذلك ان السفه فى الاصل للنفس فلما نقل الى من نصبت النفس بمعنى التفسير كما يقال هو أوسعكم دارا فتدخل الدار فى الكلام على ان السعة فيها لا فى الرجل فكذلك النفس أدخلت لان السفه للنفس لا لمن ولذلك لم يجز أن يقال سفه أخوك وانما جاز أن يفسر بالنفس وهى مضافة الى معرفة لانها فى تاويل نكرة وقال بعض نحوى البصرة ان قوله سفه نفسه جرت مجرى سفه اذا كان الفعل غير متعد وانما عداه الى نفسه ورأيه وأشباه ذلك مما هو فى المعنى نحو سفه اذا هو لم يتعدفاما غبن وخسر فقد يتعدى الى غيره يقال غبن خمسين وخسر خمسين٧ ۞ القول فى تاويل قوله (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) يعنى تعالى ذكره بقوله ولقد اصطفيناه فى الدنيا ولقد اصطفينا ابراهيم والهاء التى فى قوله اصطفيناه من ذكر ابراهيم والاصطفاء الافتعال من الصفوة وكذلك اصطفينا افتعلنا منه صيرت تاؤها طاء لقرب مخرجها من مخرج الصاد ويعنى بقوله اصطفيناه اخترناه واجتبيناه للخلة ونصيره فى الدنيا لمن بعده اماما وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن ان من خالف ابراهيم فيما سن لمن بعده فهو لله مخالف واعلام منه خلقه ان من خالف ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو لابراهيم مخالف وذلك ان الله تعالى ذكره أخبر انه اصطفاه لخلته وجعله للناس اماما وأخبر ان دينه كان الحنيفية المسلمة ففى ذلك أوضح البيان من الله تعالى ذكره عن ان من خالفه فهو لله عدو لمخالفته الامام الذى نصبه الله لعباده ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) يعنى تعالى ذكره بقوله وانه فى الآخرة لمن الصالحين وان ابراهيم فى الدار الآخرة لمن الصالحين والصالح من بنى آدم هو المؤدى حقوق الله عليه فاخبر تعالى ذكره عن ابراهيم خليله انه فى الدنيا له صفى وفى الآخرة ولى وانه وارد موارد أوليائه الموفين بعهده ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (اذقال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) يعنى تعالى ذكره بقوله اذقال له ربه أسلم اذقال له ربه أخلص لى العبادة واخضع لى بالطاعة وقد دللنا فيما مضى على معنى الاسلام فى كلام العرب فاغنى عن اعادته وأما معنى قوله قال أسلمت لرب العالمين فانه يعنى تعالى ذكره قال ابراهيم مجيبا لربه خضعت بالطاعة وأخلصت العبادة لمالك جميع الخلائق ومدبرها دون غيره فان قال قائل قد علمت ان اذ وقت فما الذى وقت به وما الذى صلته قيل هو صلة لقوله ولقد اصطفيناه فى الدنيا وتاويل الكلام ولقد اصطفيناه فى الدنيا حين قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين وانما معنى الكلام ولقد اصطفيناه فى الدنيا حين قلنا له أسلم قال أسلمت لرب العالمين فاظهر اسم الله فى قوله اذقال له ربه أسلم على وجه الخبر عن غائب وقد جرى ذكره قبل على وجه الخبر عن نفسه كما قال خفاف بن ندبة

أقول له والرمح يأطر متنه * تامل خفافا اننى أنا ذلكا

فان قال لنا قائل وهل دعا الله ابراهيم الى الاسلام قيل له نعم قد دعاه اليه فان قال وفى أى حال دعاه اليه قيل حين قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وذلك هو الوقت الذى قال له ربه أسلم من بعد ما امتحنه بالكواكب والقمر والشمس ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب) يعنى تعالى

٧ هكذا هذه العبارة ولعل فيها تحريفا أوجب عدم فهمها ولعل القصد منها ان سفه معدى وهو لازم لتضمينه فعلا متعديا نحو خسر تامل اه مصححه

كان طوفان آفات الصفات البشرية من الطفولية الى البلوغ وفار تنور الشهوات رفع بيت معمور القلب الى السماء الرابعة يعنى حجب أستار خواص العناصر الاربع وأخفى حجر الذرة فى أبى قبيس صفات النفس فلما أمر ابراهيم الروح بعد البلوغ ببناء بيت القلب وعمارته من خمس أجبل أركان الاسلام وقد اهتدى الى موضع بيت القلب بدلالة بيت السكينة هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين فجعل اسمعيل النفس المطمئنة يجىء باحجار أعمال الشريعة من جبال أركان الاسلام ويناولها ابراهيم الروح وهو يبنى الى أن بلغ موضع الحجر فنودى من أبى قبيس الهوى ان لك عندى وديعة فخذها فخلص حجر الذرة من أستار صفات النفس والهوى فوضعه مكانه وكان أبيض فلما لمسته حيض اللذات الدنيوية ومشركو الشهوات النفسانية فى جاهلية الطفولية اسود فلما فرغا من رفع قواعد بيت القلب سألا ربهما الاستسلام لاحكامه الظاهرة الشرعية والباطنة التى جف القلم بها فى الازل وكذا الذرية لهما المتولدات من الصفات الروحانية والنفسانية وان يبعث فيهم رسولا منهم من الخارج فمن لم يكن له فى القلب رسول وارد من الحق وهو السر لم يسمع كلام الرسول الخارجى ثم ان ابراهيم الروح يوصى لمتولداته من القلب وصفاته والسر وصفاته والنفس وصفاتها والقوى البشرية والحواس الخمس والاعضاء والجوارح كلها ملتمو فى الآيات

ذكره بقوله ووصى بها ووصى بهذه الكلمة أعنى بالكلمة قوله أسلمت لرب العالمين وهى الاسلام الذى أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم وهو اخلاص العبادة والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح له ويعنى بقوله ووصى بها ابراهيم بنيه عهد اليهم بذلك وأمرهم به وأما قوله ويعقوب فانه يعنى ووصى بذلك أيضا يعقوب بنيه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يقول ووصى بها يعقوب بنيه بعد ابراهيم حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ووصى بها ابراهيم بنيه وصاهم بالاسلام ووصى يعقوب بمثل ذلك وقال بعضهم قوله ووصى بها ابراهيم بنيه خبر منقض وقوله ويعقوب خبر مبتدأ فانه قال ووصى بها ابراهيم بنيه بأن يقولوا أسلمنا لرب العالمين ووصى يعقوب بنيه ان يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ولا معنى لقول من قال ذلك لان الذى أوصى به يعقوب بنيه نظير الذى أوصى به ابراهيم بنيه من الحث على طاعة الله والخضوع له والاسلام فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت من أن معناه ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب أن يا بنى فما بال أن محذوفة من الكلام قيل لان الوصية قول فحملت على معناها وذلك ان ذلك لو جاء بلفظ القول لم تحسن معه ان وانما كان يقال وقال ابراهيم لبنيه ويعقوب يا بنى فلما كانت الوصية قولا حملت على معناها دون لفظها فحذفت أن التى تحسن معها كما قال تعالى ذكره يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وكما قال الشاعر

انى سأبدى لك فيما أبدى * لى شجنان شجن بنجد * وشجن لى ببلاد السند

فحذفت ان اذ كان الابداء باللسان فى المعنى قولا فحمله على معناه دون لفظه وقد قال بعض أهل العربية انما حذفت أن من قوله ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب اكتفاء بالنداء يعنى بالنداء قوله يا بنى وزعم أن علته فى ذلك ان من شان العرب الاكتفاء بالادوات عن أن كقولهم ناديت هل قمت وناديت أين زيد قال وربما أدخلوها مع الادوات فقالوا ناديت أن هل قمت وقد قرأ جماعة من القراء وأوصى بها ابراهيم بمعنى عهد وأما من قرأ ووصى مشددة فانه يعنى بذلك انه عهد اليهم عهدا بعد عهد وأوصى وصية بعد وصية ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين) يعنى تعالى ذكره ان الله اصطفى لكم الدين ان الله اختار لكم هذا الدين الذى عهد اليكم فيه واجتباه لكم وانما أدخل الالف واللام فى الدين لان الذين خوطبوا من ولدهما وبنيهما بذلك كانوا قد عرفوه بوصيتهما اياهم به وعهدهما اليهم فيه ثم قالا لهم بعد ان عرفاهموه ان الله اصطفى لكم هذا الدين الذى قد عهد اليكم فيه فاتقوا الله أن تموتوا الا وأنتم عليه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) ان قال لنا قائل أو الى بنى آدم الموت والحياة فينهى أحدهم أن يموت الا على حالة دون حالة قيل له ان معنى ذلك على غير الوجه الذى ظننت وانما معناه فلا تموتن الا وأنتم مسلمون أى فلا تفارقون هذا الدين وهو الاسلام أيام حياتكم وذلك ان أحدا لا يدرى متى تاتيه منيته فلذلك قالا لهم فلا تموتن الا وأنتم مسلمون لانكم لا تدرون متى تاتيكم مناياكم من ليل أو نهار فلا تفارقوا الاسلام فتاتيكم مناياكم وأنتم على غير الدين الذى اصطفاه لكم ربكم فتموتوا وربكم ساخط عليكم فتهلكوا ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت) يعنى تعالى ذكره بقوله أم كنتم شهداء أكنتم ولكنه استفهم بأم اذ كان استفهاما مستانفا على كلام قد سبقه كما قيل الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه وكذلك تفعل العرب فى كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه تستفهم فيه بأم والشهداء جمع شهيد كالشركاء جمع شريك والخصماء جمع خصيم وتاويل الكلام أكنتم يا معشر اليهود والنصارى

اشارة الى أنه تعالى اذا تجلى لروح عبد مخلص متضرع اليه محب له ظهر آثار أنوار تجليه على قلبه وسره ونفسه وقواه وحواسه وجميع أعضائه ويخضعون له بكليتهم فيعبدون الها أحدا لا متفرقا من الهوى والدنيا والآخرة والله ولى التوفيق (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون)

القراآت أم تقولون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر والحماد والمفضل الباقون بياء الغيبة * الوقوف تهتدوا ط

المكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم الجاحدين نبوته حضور يعقوب وشهوده اذ حضره الموت أى انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائى ورسلى الاباطيل وتنحلوهم اليهودية والنصرانية فانى ابتعثت خليلى ابراهيم وولده اسحق واسمعيل وذريتهم بالحنيفية المسلمة وبذلك وصوا بنيهم وبه عهدوا الى أولادهم من بعدهم فلو حضرتموهم فسمعتم منهم علمتم انهم على غير ما تنحلوهم من الاديان والملل من بعدهم وهذه آيات نزلت تكذيبا من الله تعالى لليهود والنصارى فى دعواهم فى ابراهيم وولده يعقوب انهم كانوا على ملتهم فقال لهم فى هذه الآية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت فتعلموا ما قال لولده وقال له ولده ثم أعلمهم ما قال لهم وما قالوا له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله أم كنتم شهداء يعنى أهل الكتاب

القول فى تأويل قوله تعالى (اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون) يعنى تعالى ذكره بقوله اذ قال لبنيه اذ قال يعقوب لبنيه واذ هذه مكررة ابدالا من اذ الاولى بمعنى أم كنتم شهداء يعقوب اذ قال يعقوب لبنيه حين حضور موته ويعنى بقوله ما تعبدون من بعدى أى شئ تعبدون من بعدى أى من بعد وفاتى قالوا نعبد الهك يعنى به قال بنوه له نعبد معبودك الذى تعبده ومعبود آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا أى نخلص له العبادة ونوحد له الربوبية فلا نشرك به شيأ ولا نتخذ دونه ربا ويعنى بقوله ونحن له مسلمون ونحن له خاضعون بالعبودية والطاعة ويحتمل قوله ونحن له مسلمون أن تكون بمعنى الحال كانهم قالوا نعبد الهك مسلمين له بطاعتنا وعبادتنا اياه ويحتمل أن يكون خبرا مستأنفا فيكون بمعنى نعبد الهك بعدك ونحن له الآن وفى كل حال مسلمون وأحسن هذين الوجهين فى تأويل ذلك أن يكون بمعنى الحال وأن يكون بمعنى نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق مسلمين لعبادتك وقيل انما قدم ذكر اسمعيل على اسحق لان اسمعيل كان أسن من اسحق

ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق قال يقال بدأ باسمعيل لانه أكبر وقرأ بعض المتقدمين واله أبيك ابراهيم ظنا منه ان اسمعيل اذ كان عما ليعقوب فلا يجوز أن يكون فيمن ترجم به عن الآباء وداخلا فى عدادهم وذلك من قارئه كذلك قلة علم منه بمجارى كلام العرب والعرب لا تمتنع من أن تجعل الاعمام بمعنى الآباء والاخوال بمعنى الامهات فلذلك دخل اسمعيل فيمن ترجم به عن الآباء وابراهيم واسمعيل واسحق ترجمة عن الآباء فى موضع جر ولكنهم نصبوا بانهم لا يجرون والصواب من القراءة عندنا فى ذلك قوله آبائك لاجماع القراء على تصويب ذلك وشذوذ من خالفه من القراء ممن قرأ خلاف ذلك ونصب قوله الها على الحال من قوله الهك

القول فى تأويل قوله تعالى (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) يعنى تعالى ذكره بقوله تلك أمة قد خلت ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وولدهم يقول لليهود والنصارى يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهله ولا تنحلوهم كفر اليهودية والنصرانية فتضيفونها اليهم فانهم أمة ويعنى بالامة فى هذا الموضع الجماعة والقرن من الناس قد خلت مضت لسبيلها وانما قيل للذى قد مات فذهب قد خلا لتخليه من الدنيا وانفراده بما كان من الانس باهله وقرنائه فى دنياه وأصله من قولهم خلا الرجل اذا صار بالمكان الذى لا أنيس له فيه وانفرد من الناس فاستعمل ذلك فى الذى يموت على ذلك الوجه ثم قال تعالى ذكره لليهود والنصارى ان لمن نحلتموه بضلالكم وكفركم الذى أنتم عليه من أنبيائى ورسلى ما كسبت والهاء والالف فى قوله

المشركين ٥ من ربهم ج لطول الكلام والاستئناف والاصح انه حال أى آمنا غير مفرقين منهم ج لاحتمال الابتداء والحال أو جه مسلمون ٥ اهتدوا ج لابتداء شرط آخر مع العطف شقاق ج للابتداء بسبق الوعيد مع دخول الفاء فسيكفيهم الله ج لاحتمال الواو الابتداء والحال العليم ط لان الجملة الناصبة لقوله صبغة الله محذوفة يدل عليها قوله آمنا بالله وقوله فان آمنوا شرط معترض صبغة الله ج لابتداء الاستفهام مع أن الواو للحال صبغة ج على جعل الواو للابتداء أو للحال أو للعطف على آمنا عابدون وربكم ج لان الواو يصلح أن يكون عطفا على الحال الاولى ويصلح أن يكون مستأنفا أعمالكم ج مخلصون ط لمن قرأ أم يقولون بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء لم يقف لكون أم معادلة للهمزة فى أتحاجوننا أو نصارى ط أم الله ط من الله ط تعملون ٥ قد خلت ج ما كسبتم ج يعملون ٥ تم الجزء الاول من الثلاثين

* التفسير أنه تعالى لما بين بالدلائل المتقدمة صحة دين الاسلام ذكر أنواعا من شبه الطاعنين منها أن اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا والنصارى قالوا كذلك لما علم من التعادى بين الفريقين كما بين كل منهما وبين المسلمين وقد مر مثل هذا فى قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى

لها عائدة ان شئت على تلك وان شئت على الامة ويعنى بقوله لها ما كسبت أى ما عملت من خير ولكم يا معشر اليهود والنصارى مثل ذلك ما عملتم ولا تؤاخذون أنتم أيها الناحلوهم ما نحلتموهم من الملل فتسألوا عما كان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وولدهم يعملون فيكسبون من خير وشر لان لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت فدعوا انتحالهم وانتحال مللهم فان الدعاوى غير مغنيتكم عند الله وانما يغنى عنكم عنده ما سلف لكم من صالح أعمالكم ان كنتم عملتموها وقدمتموها

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) يعنى تعالى ذكره بقوله وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا وقالت اليهود لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المؤمنين كونوا هودا تهتدوا وقالت النصارى لهم كونوا نصارى تهتدوا تعنى بقولها تهتدوا أى تصيبوا طريق الحق كما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة جميعا عن ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال عبد الله بن صوريا الاعور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد وقالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله عز وجل فيهم وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين احتج الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أبلغ حجة وأوجزها وأكملها وعلمها محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد قل للقائلين لك من اليهود والنصارى ولاصحابك كونوا هودا أو نصارى تهتدوا بل تعالوا نتبع ملة ابراهيم التى تجمع جميعنا على الشهادة لها بانها دين الله الذى ارتضاه واجتباه وأمر به فان دينه كان الحنيفية المسلمة وندع سائر الملل التى نختلف فيها فينكرها بعضنا ويقر بها بعضنا فان ذلك على اختلافه لا سبيل لنا على الاجتماع عليه كما لنا السبيل الى الاجتماع على ملة ابراهيم وفى نصب قوله بل ملة ابراهيم أوجه ثلاثة أحدها ان يوجه معنى قوله وقالوا كونوا هودا أو نصارى الى معنى وقالوا اتبعوا اليهودية والنصرانية لانهم اذ قالوا كونوا هودا أو نصارى الى اليهودية والنصرانية دعوهم ثم يعطف على ذلك المعنى بالملة فيكون معنى الكلام حينئذ قل يا محمد لا نتبع اليهودية والنصرانية ولا نتخذها ملة بل نتبع ملة ابراهيم حنيفا ثم يحذف نتبع الثانية ويعطف بالملة على اعراب اليهودية والنصرانية والآخر أن يكون نصبه بفعل مضمر بمعنى نتبع والثالث ان يكون أريد بل نكون أصحاب ملة ابراهيم أو أهل ملة ابراهيم ثم حذف الاهل والاصحاب وأقيمت الملة مقامهم اذ كانت مؤدية عن معنى الكلام كما قال الشاعر

حسبت بغام راحلتى عناقا * وما هى ويب غيرك بالعناق

يعنى صوت عناق فتكون الملة حينئذ منصوبة عطفا فى الاعراب على اليهود والنصارى وقد يجوز أن يكون منصوبا على وجه الاغراء باتباع ملة ابراهيم وقرأ بعض القراء ذلك رفعا فتأويله على قراءة من قرأ رفعا بل الهدى ملة ابراهيم

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) والملة الدين وأما الحنيف فانه المستقيم من كل شئ وقد قيل ان الرجل الذى تقبل احدى قدميه على الاخرى انما قيل له احنف نظرا له الى السلامة كما قيل للمهلكة من البلاد المفازة بمعنى الفوز بالنجاة منها والسلامة وكما قيل للديغ السليم تفاؤلا له بالسلامة من الهلاك وما أشبه ذلك فمعنى الكلام اذا قل يا محمد بل نتبع ملة ابراهيم مستقيما فيكون الحنيف حينئذ حالا من ابراهيم وأما أهل التأويل فانهم اختلفوا فى تأويل ذلك فقال بعضهم الحنيف الحاج وقيل انما سمى دين ابراهيم الاسلام الحنيفية لانه أول امام لزم العباد الذين كانوا فى عصره والذين جاؤا بعده الى يوم القيامة اتباعه فى مناسك الحج والائتمام به فيه قالوا فكل من حج البيت فنسك مناسك ابراهيم على ملته فهو حنيف مسلم على دين ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى

فأجابهم الله بقوله قل بل ملة ابراهيم أى نكون أهل ملته مثل واسئل القرية أى أهلها أو بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع أى ملته أو أمرنا ملته أو نحن أهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة وذلك ان المضاف اليه متضمن للعرف فيقتضى متعلقا هو الفعل أو شبهه وحينئذ يشتمل على فاعل أو مفعول فالحال عن المضاف اليه ترجع فى التحقيق الى الحال عن أحدهما وعند الكوفيين نصب على القطع أراد ملة ابراهيم الحنيف فلما سقطت الالف واللام لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منها فانتصب والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق وتحنف اذا مال وحاصل الجواب أن المعول فى الدين ان كان النظر والاستدلال فقد قدمنا الدلائل وان كان التقليد فالمتفق أولى من المختلف وقد اتفق الكل على صحة دين ابراهيم فاتباعه أولى وهذا جواب الزامى ثم لما كان من المحتمل أن زعم اليهود والنصارى أنا على دين ابراهيم أزيحت علتهم بقوله وما كان من المشركين لكن النصارى قائلون بالتثليث واليهود بالتشبيه وأيضا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله فليسوا من ملة ابراهيم التى هى محض التوحيد وخالص الاسلام فى شئ قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز أن يكون للكافرين أى قولوا لتكونوا على

قال ثنا القاسم بن الفضل عن كثير بن أبي سهل قال سألت الحسن عن الحنيفية قال حج البيت حدثني محمد بن عبادة الاسدى قال ثنا عبدالله بن موسى قال أخبرنا فضيل عن عطية فى قوله حنيفا قال الحنيف الحاج حدثني الحسين بن على الصدائى قال ثنا أبى عن الفضل عن عطية مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سالم عن عنبسة عن محمد بن عبدالرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد قال الحنيف الحاج حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا ابن التيمى عن كثير بن زيادة قال سألت الحسن عن الحنيفية قال هو حج هذا البيت قال ابن التيمى وأخبرنى جويبر عن الضحاك بن مزاحم مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن مهدى قال ثنا سفيان عن السدى عن مجاهد حنفاء قال حجاجا حدثني المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله حنيفا قال حاجا حدثت عن وكيع عن فضيل بن غزوان عن عبدالله بن القاسم قال كان الناس من مضر يحجون البيت فى الجاهلية يسمون حنفاء فأنزل الله تعالى ذكره حنفاء لله غير مشركين به وقال آخرون الحنيف المتبع كما وصفنا قبل من قول الذين قالوا ان معناه الاستقامة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حنفاء قال متبعين وقال آخرون انما سمى دين ابراهيم الحنيفية لانه أول امام سن للعباد الختان فاتبعه من بعده عليه قالوا فكل من اختتن على سبيل اختتان ابراهيم فهو على ما كان عليه ابراهيم من الاسلام فهو حنيف على ملة ابراهيم وقال آخرون بل ملة ابراهيم حنيفا بل ملة ابراهيم مخلصا فالحنيف على قولهم المخلص دينه لله وحده ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى واتبع ملة ابراهيم حنيفا يقول مخلصا وقال آخرون بل الحنيفية الاسلام فكل من ائتم بابراهيم فى ملته فاستقام عليها فهو حنيف قال أبو جعفر الحنيف عندى هو الاستقامة على دين ابراهيم واتباعه على ملته وذلك أن الحنيفية لو كانت حج البيت لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه فى الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاء وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفا بقوله ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين فكذلك القول فى الختان لان الحنيفية لو كانت هى الختان لوجب أن يكون اليهود حنفاء وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما فقد صح اذا أن الحنيفية ليست الختان وحده ولا حج البيت وحده ولكنه هو ما وصفنا من الاستقامة على ملة ابراهيم واتباعه عليها والائتمام به فيها فان قال قائل أوما كان من كان من قبل ابراهيم صلى الله عليه وسلم من الانبياء واتباعهم مستقيمين على ما أمروا به من طاعة الله استقامة ابراهيم واتباعه قيل بلى فان قال فكيف أضيف الحنيفية الى ابراهيم واتباعه على ملته خاصة دون سائر الانبياء قبله واتباعهم قيل ان كل من كان قبل ابراهيم من الانبياء كان حنيفا متبعا طاعة الله ولكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحدا منهم اماما لمن بعده من عباده الى قيام الساعة كالذى فعل من ذلك بابراهيم فجعله اماما فيما بينه من مناسك الحج والختان وغير ذلك من شرائع الاسلام تعبدا به أبدا الى قيام الساعة وجعل ما سن من ذلك علما مميزا بين مؤمنى عباده وكفارهم والمطيع منهم له والعاصى فسمى الحنيف من الناس حنيفا باتباعه ملته واستقامته على هديه ومنهاجه وسمى الضال عن ملته بسائر أسماء الملل فقيل يهودى ونصرانى ومجوسى وغير ذلك من صنوف الملل وأما قوله وما كان من المشركين انه يقول لم يكن ممن يدين بعبادة الاوثان والاصنام ولا كان من اليهود ولا من النصارى بل كان حنيفا مسلما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) يعنى

الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز أن يكون أمرا لهم أى اتبعوا ملة ابراهيم أو كونوا أهل ملته وهذا جواب آخر برهانى وذلك أن طريق معرفة نبوة الانبياء ظهور المعجز على أيديهم ولما ظهر المعجز على يد محمد صلى الله عليه وسلم وجب الاعتراف بنبوته والايمان به وبما أنزل عليه كما اعترفوا بنبوة ابراهيم وموسى وعيسى فان تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد يوجب المناقضة فى الدليل وعن الحسن أن قوله قل بل ملة ابراهيم خطاب للنبى وقوله قولوا خطاب لامته والظاهر العموم وانما قدم الايمان بالله لان معرفة النبى والكتاب متوقفة على معرفته وفيه ابطال ماذهب اليه التعليمية والمقلدة من أن طريق معرفة الله الكتاب والسنة قال الخليل الاسباط فى بنى اسرائيل كالقبيلة فى العرب وقيل السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطى النبى صلى الله عليه وسلم فهم حفدة يعقوب ذرارى أبنائه الاثنى عشر عدد بعض الانبياء لتقدمهم وشرفهم ثم عمم لتعذر التفصيل لانفرق بين أحد منهم لانؤمن ببعض ونكفر ببعض كاهل الكتاب ومعنى الايمان بجميعهم ان كلا منهم حق فى زمانه أولا نقول انهم متفرقون فى أصول الديانة شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا وأحمد فى معنى

تعالى ذكره بذلك قولوا أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا أو نصارى تهتدوا آمنا أى صدقنا بالله وقد دللنا فيما مضى أن معنى الايمان التصديق بما أغنى عن اعادته وما أنزل الينا يقول أيضا صدقنا بالكتاب الذى أنزل الله الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاضاف الخطاب بالتنزيل اليهم اذ كانوا متبعيه ومامورين منهيين به فكان وان كان تنزيلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى التنزيل اليهم للذى لهم فيه من المعانى التى وصفت ويعنى بقوله وما أنزل الى ابراهيم صدقنا أيضا وآمنا بما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم الانبياء من ولد يعقوب وقوله وما أوتى موسى وعيسى يعنى وآمنا أيضا بالتوراة التى آتاها الله موسى وبالانجيل الذى آتاه الله عيسى والكتب التى آتى النبيين كلهم وأقررنا وصدقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور من عند الله وأن جميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى يصدق بعضهم بعضا على منهاج واحد فى الدعاء الى توحيد الله والعمل بطاعته لانفرق بين أحد منهم يقول لانؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض ونتبرأ من بعض ونتولى بعضا كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد عليهما السلام وأقرت بغيرهما من الانبياء وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرت بغيره من الانبياء بل نشهد لجميعهم انهم كانوا رسل الله وأنبياءه بعثوا بالحق والهدى وأما قوله ونحن له مسلمون فانه يعنى تعالى ذكره ونحن له خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية فذكر ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لليهود فكفروا بعيسى وبمن يؤمن به كما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبى رافع وعازر وخالد وزيد وأزار بن أبى ازار وأشيع فسألوه عن يؤمن به من الرسل فقال نؤمن بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا لانؤمن بعيسى ولا نؤمن بمن آمن به فانزل الله فيهم قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وان أكثركم فاسقون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الا انه قال ونافع بن أبى نافع مكان رافع بن أبى رافع وقال قتادة أنزلت هذه الآية أمر الله تعالى ذكره المؤمنين بتصديق رسله كلهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم الى قوله ونحن له مسلمون أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسله كلها ولا يفرقوا بين أحد منهم وأما الاسباط الذين ذكرهم فهم اثنا عشر رجلا من ولد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا اسباطا كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الاسباط يوسف واخوته بنو يعقوب ولد اثنى عشر رجلا فولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا اسباطا حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أما الاسباط فهم بنو يعقوب يوسف وبنيامين وروبيل ويهوذا وشمعون ولاوى ودان وقهات حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال الاسباط يوسف واخوته بنو يعقوب اثنا عشر رجلا فولد لكل رجل منهم أمة من الناس فسموا الاسباط حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى محمد بن اسحق قال نكح يعقوب بن اسحق

الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه ونحن له مسلمون اذعانا واخلاصا فلا جرم لانخص بالقبول بعض عبيده المؤيدين بالمعجزات خلاف من كان اسلامه تقليدا أو هوى ولما بين الطريق الواضح فى الدين وهو أن يعترف الانسان بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة رغبهم فى مثل هذا الايمان وههنا سؤال وهو أن دين الاسلام وهو الحق واحد فما معنى المثل فى قوله بمثل ما آمنتم به والجواب أن قوله فان آمنوا بكلمة الشك دليل على أن الامر مبنى على الفرض والتقدير أى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم ومساويا له فى الصحة والسداد فقد اهتدوا لكن لادين صحيحا سوى هذا لسلامته عن التناقض بخلاف غيره فلا اهتداء الا بهذا ونظيره قولك للرجل الذى تشير عليه هذا هو الرأى الصواب فان كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأى وراءه وقيل الباء للاستعانة لا للالصاق والتمثيل بين التصديقين أى فان دخلوا فى الايمان بشهادة مثل شهادتكم وقيل المثل صلة ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مسعود فان آمنوا بما آمنتم به وقيل معناه انكم آمنتم بالفرقان من غير تصحيف وتحريف فان آمنوا بمثل ذلك فى التوراة فقد اهتدوا الا انهم يتوسلون

وهو اسرائيل ابنة خاله ليا ابنة ليان بن توبيل بن الياس فولدت له روبيل بن يعقوب وكان أكبر ولده وشمعون بن يعقوب ولاوى بن يعقوب ويهوذا بن يعقوب وريالون بن يعقوب ويشجر بن يعقوب ودينة بنت يعقوب ثم توفيت ليا بنت ليان فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت ليان بن توبيل بن الياس فولدت له يوسف بن يعقوب وبنيامين وهو بالعربية أسد اوولد له من سريتين له اسم أحدهما زلفة واسم الاخرى بلهية أربعة نفردان بن يعقوب ونفثالى بن يعقوب وجاد بن يعقوب واشرب بن يعقوب فكان بنو يعقوب اثنى عشر رجلا نشر الله منهم اثنى عشر سبطا لا يحصى عددهم ولا يعلم أنسابهم الا الله يقول الله تعالى وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا أمما ۞ القول فى تاويل قوله جل ذكره (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) يعنى تعالى ذكره بقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فان صدق اليهود والنصارى بالله وما أنزل اليكم وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم وأقروا بذلك مثل ما صدقتم أنتم به أيها المؤمنون وأقررتم فقد وفقوا ورشدوا ولزموا طريق الحق واهتدوا وهم حينئذ منكم وأنتم منهم بدخولهم فى ملتكم باقرارهم بذلك فدل تعالى ذكره بهذه الآية على انه لم يقبل من أحد عملا الا بالايمان بهذه المعانى التى عدها قبلها كما حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ونحو هذا قال أخبر الله سبحانه ان الايمان هو العروة الوثقى وانه لا يقبل عملا الا به ولا تحرم الجنة الا على من تركه وقد روى عن ابن عباس فى ذلك قراءة جاءت مصاحف المسلمين بخلافها واجمعت قراء القرآن على تركها وذلك ما حدثنا به محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى حمزة قال قال ابن عباس لا تقولوا فان آمنوا بما آمنتم به فقد اهتدوا فانه ليس لله مثل ولكن قولوا فان آمنوا بالذى آمنتم به فقد اهتدوا أو قال فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فكان ابن عباس فى هذه الرواية ان كانت صحيحة عنه يوجه تاويل قراءة من قرأ فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فان آمنوا بمثل الله وبمثل ما أنزل على ابراهيم واسمعيل وذلك اذا صرف الى هذا الوجه شرك لا شك بالله العظيم لانه لا مثل لله تعالى ذكره فنؤمن أو نكفر به ولكن تاويل ذلك على غير المعنى الذى وجه اليه تاويله وانما معناه ما وصفنا وهو فان صدقوا مثل تصديقكم بما صدقتم به من جميع ما عددنا عليكم من كتب الله وأنبيائه فقد اهتدوا فالتشبيه انما وقع بين التصديقين والاقرارين اللذين هما ايمان هؤلاء وايمان هؤلاء كقول القائل مر عمرو بأخيك مثل ما مررت به يعنى بذلك مر عمرو بأخيك مثل مرورى به والتمثيل انما دخل تمثيلا بين المرورين لا بين عمرو وبين المتكلم فكذلك قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به انما وقع التمثيل بين الايمانين لا بين المؤمن به ۞ القول فى تاويل قوله (وان تولوا فانما هم فى شقاق) يعنى تعالى ذكره بقوله وان تولوا وان تولى هؤلاء الذين قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه كونوا هودا أو نصارى فاعرضوا فلم يؤمنوا بمثل ايمانكم أيها المؤمنون بالله وبما جاءت به الانبياء وابتعثت به الرسل وفرقوا بين رسل الله وبين الله ورسله فصدقوا ببعض وكفروا ببعض فاعلموا أيها المؤمنون انهم انما هم فى عصيان وفراق وحرب لله ولرسوله ولكم كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن قتادة وانما هم فى شقاق أى فى فراق حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فانما هم فى شقاق يعنى فراق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وان تولوا فانما هم فى شقاق قال الشقاق الفراق والمحاربة اذا شاق فقد حارب واذا حارب فقد شاق وهما واحد فى كلام العرب وقرأ ومن يشاقق الرسول وأصل الشقاق عندنا والله أعلم مأخوذ من قول القائل شق عليه هذا الامر اذا كربه وآذاه ثم قيل شاق فلان فلانا بمعنى نال كل

واحد

به الى معرفة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفى الآية دليل على أن لا هداية قبل هذا الاهتداء وهى الدلائل التى نصبها الله تعالى وكشف عن وجوهها والاهتداء قبولها والعمل بها ليفوزوا بالسعادة العظمى وان تولوا عما قيل لهم ولم ينصفوا فما هم الا فى شقاق خلاف وعداوة وهو مأخوذ من الشق كأنه صار فى شق غير شق صاحبه أو من الشق لانه فارق الجماعة وشق عصاهم أو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه وفى وصف القوم بذلك دليل على معاداتهم الرسول واضمارهم له كل سوء وتربصهم به الايقاع فى المحن فلا جرم آمنه الله تعالى والمؤمنين من كيدهم وقال فسيكفيكهم الله وناهيك به من كاف كافل ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين وذلك ان فيها معنى التوكيد لوقوعها فى مقابلة لن قال سيبويه لن أفعل نفى سأفعل ولقد أنجز وعده بما قريب بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وضرب الجزية عليهم وهذا اخبار بالغيب وكم من مثله فى القرآن وكل ذلك مما يتأكد به اعجاز التنزيل العزيز وحصوله بطريق الوحى الصراح وهو السميع العليم وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى يسمع دعاءك ويعلم نيتك فى اعلاء كلمة الحق واعلانها فهو يستجيب لك لا محالة ووعيد لاعدائه أى هو منهم بمرأى ومسمع يعلم ما يسرون من

واحد منهما من صاحبهما كربه وآذاه وأثقلته مساءته ومنه قول الله تعالى ذكره وان خفتم شقاق بينهما يعني فراق بينهما ۞ القول في تاويل قوله تعالى (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) يعني تعالى ذكره بقوله فسيكفيكهم الله فسيكفيك الله يا محمد هؤلاء الذين قالوا لك ولاصحابك كونوا هودا أو نصارى تهتدوا من اليهود والنصارى ان هم تولوا عن ان يؤمنوا بمثل ايمان أصحابك بالله وبما أنزل اليك وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق وسائر الانبياء غيرهم وفرقوا بين الله ورسله اما بقتل السيف واما بجلاء عن جوارك وغير ذلك من العقوبات فان الله هو السميع لما يقولون لك بالسنتهم ويبدون لك بافواههم من الجهل والدعاء الى الكفر والملل الضالة العليم بما يبطنون لك ولاصحابك المؤمنين في أنفسهم من الحسد والبغضاء ففعل الله بهم ذلك عاجلا وأنجز وعده فكفى نبيه صلى الله عليه وسلم بتسليطه اياه عليهم حتى قتل بعضهم وأجلى بعضا وأذل بعضا وأخزاه بالجزية والصغار ۞ القول في تاويل قوله تعالى (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) يعني تعالى ذكره بالصبغة صبغة الاسلام وذلك ان النصارى اذا أرادت ان تنصر أطفالهم جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لاهل الاسلام وانه صبغة لهم في النصرانية فقال الله تعالى ذكره اذ قالوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين به كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل لهم يا محمد أيها اليهود والنصارى بل اتبعوا ملة ابراهيم صبغة الله التي هي أحسن الصبغ فانها هي الحنيفية المسلمة ودعوا الشرك بالله والضلال عن محجة هداه ونصب الصبغة من قرأها نصبا على الرد على الملة وكذلك رفع الصبغة من رفع الملة على ردها عليها وقد يجوز رفعها على غير هذا الوجه وذلك على الابتداء بمعنى هي صبغة الله وقد يجوز نصبها على غير وجه الرد على الملة ولكن على قوله قولوا آمنا بالله الى قوله ونحن له مسلمون صبغة الله بمعنى آمنا هذا الايمان فيكون الايمان حينئذ هو صبغة الله وبمثل الذي قلنا في تاويل الصبغة قال جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ان اليهود تصبغ أبناءها يهود والنصارى تصبغ أبناءها نصارى وان صبغة الله الاسلام فلا صبغة أحسن من الاسلام ولا أطهر وهو دين الله الذي بعث به نوحا والانبياء بعده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال عطاء صبغة الله صبغت اليهود أبناءهم خالفوا الفطرة واختلف أهل التاويل في تاويل قوله صبغة الله فقال بعضهم دين الله ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة صبغة الله قال دين الله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله صبغة الله قال دين الله ومن أحسن من الله صبغة ومن أحسن من الله دينا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن رجل عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية قوله صبغة الله قال دين الله حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدي صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة يقول دين الله ومن أحسن من الله دينا حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس صبغة الله قال دين الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله صبغة الله قال دين الله حدثني ابن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سالت ابن زيد عن قول الله صبغة الله فذكر مثله وقال آخرون صبغة الله فطرة الله ذكر من قال

الحسد والحقد والغل فيكافئهم على ذلك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله مثل وعد الله قاله سيبويه وقيل بدل من ملة ابراهيم أو نصب على الاغراء أي عليكم صبغة الله مصدر مؤكد وفيها فك لنظم اواخراج الكلام عن الالتئام والصبغة فعلة من صبغ الحالة التي يقع عليها الصبغ كالجلسة والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفس وأصله أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه بالمعمودية و يقولون هو تطهير لهم وبه يصير الواحد منهم نصرانيا حقا فامر المسلمون أن يقولوا لهم آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتكم وذلك على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ونظيره قوله انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم وقيل اللفظة من قولهم فلان يصبغ فلانا في الشر أي يدخله فيه ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازما للثوب وقيل سمي الدين صبغة لظهور هيئته عند صاحبه سيماهم في وجوههم من أثر السجود من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقيل وصف هذا الايمان منهم بانه صبغة الله ليتبين ان المباينة بينه وبين غيره ظاهرة جلية يدركها كل ذي حس سليم كما يدرك الالوان وقيل صبغة الله فطرته أقول وذلك ان آثار النقص الامكاني

ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله صبغة الله قال فطرة الله التي فطر الناس عليها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن مجاهد ومن أحسن من الله صبغة قال الصبغة الفطرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال صبغة الله الاسلام فطرة الله التي فطر الناس عليها قال ابن جريج قال لي عبد الله بن كثير صبغة الله قال دين الله ومن أحسن من الله دينا قال هي فطرة الله ومن قال هذا القول فوجه الصبغة الى الفطرة فمعناه بل تتبع فطرة الله وملته التي خلق عليها خلقه وذلك الدين القيم من قول الله تعالى ذكره فاطر السموات والارض بمعنى خالق السموات والارض ۞ القول في تأويل قوله (ونحن له عابدون) وقوله تعالى ذكره ونحن له عابدون أمر من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقوله لليهود والنصارى الذين قالوا له ولمن تبعه من أصحابه كونوا هودا أو نصارى فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل بل نتبع ملة ابراهيم حنيفا صبغة الله ونحن له عابدون يعني ملة الخاضعين لله المستكينين له في اتباعنا ملة ابراهيم ودينونتنا له بذلك غير مستكبرين في اتباع أمره والاقرار برسالته رسله كما استكبرت اليهود والنصارى فكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم استكبارا وبغيا وحسدا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون) يعني تعالى ذكره بقوله قل أتحاجوننا في الله قل يا محمد لمعاشر اليهود والنصارى الذين قالوا لك ولاصحابك كونوا هودا أو نصارى تهتدوا وزعموا أن دينهم خير من دينكم وكتابهم خير من كتابكم لانه كان قبل كتابكم وزعموا أنهم من أجل ذلك أولى بالله منكم أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم بيده الخيرات واليه الثواب والعقاب والجزاء على الاعمال الحسنات منها والسيئات فتزعمون انكم بالله أولى منا من أجل ان نبيكم قبل نبينا وكتابكم قبل كتابنا وربكم وربنا واحد وان لكل فريق منا ما عمل واكتسب من صالح الاعمال وسيئها ويجازى فيثاب أو يعاقب لا على الانساب وقدم الدين والكتاب ويعني بقوله قل أتحاجوننا قل أتخاصموننا وتجادلوننا كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قل أتحاجوننا في الله قل أتخاصموننا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قل أتحاجوننا أتخاصموننا حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أتحاجوننا أتجادلوننا فأما قوله ونحن له مخلصون فانه يعني ونحن لله مخلصو العبادة والطاعة لا نشرك به شيأ ولا نعبد غيره أحدا كما عبد أهل الاوثان معه الاوثان وأصحاب العجل معه العجل وهذا من الله تعالى ذكره توبيخ لليهود واحتجاج لاهل الايمان بقوله تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قولوا أيها المؤمنون لليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا أو نصارى تهتدوا أتحاجوننا في الله يعني بقوله في الله في دين الله الذي أمرنا ان ندينه به وربنا وربكم واحد عدل لا يجور وانما يجازي العباد على ما اكتسبوا وتزعمون انكم أولى بالله منا لقدم دينكم وكتابكم ونبيكم ونحن مخلصون له العبادة لم نشرك به شيأ وقد أشركتم في عبادتكم اياه فعبد بعضكم العجل وبعضكم المسيح فانى تكونوا خيرا منا وأولى بالله منا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله) قال أبو جعفر في قراءة ذلك وجهان أحدهما أم تقولون بالتاء فمن قرأ كذلك فتأويله قل يا محمد للقائلين لك من اليهود والنصارى كونوا هودا أو نصارى تهتدوا أتجادلوننا في الله أم تقولون ان ابراهيم فيكون ذلك معطوفا على قوله أتحاجوننا في الله والوجه الآخر منهما أم يقولون بالياء ومن قرأ ذلك كذلك

لازمة للانسان لزوم الصبغ للثوب فيمكنه أن يتدرج منها الى وجود الصانع والايمان به وقيل صبغة الله الختان وقيل حجة الله وقيل سنة الله ومن أحسن من الله صبغة معنى الاستفهام الانكار وصبغة تمييز أي لا صبغة أحسن من الايمان بالله والدين الذي شرع لكم ليطهركم به من أوضار الكفر وأوزار الشرك ونحن له عابدون عبارة عن كمال الايمان كما تقدم مرارا قل أتحاجوننا أما المحاجة فهي اما قولهم نحن أحق بان تكون النبوة فينا لانا أهل الكتاب والعرب عبدة أوثان واما قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم كونوا هودا أو نصارى تهتدوا واما الخطاب فاما لاهل الكتاب واما لمشركي العرب حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم واما للكل والمعنى أتجادلون في شان الله أو في دينه وهو ربنا وربكم والرب أن يفعل بعبيده ما يعلم فيه مصلحته ويعرفه أهلا له عبيده كلهم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم فكما أن لكم أعمالا ترجون نيل الكرامة بها فنحن كذلك فالعمل هو الاساس وبه الاعتبار ولكن نحن له مخلصون موحدون لا نقصد بالعبادة أحدا سواه فلا يبعد ان يؤهل أهل اخلاصه بمزيد الكرامة من عنده أم يقولون من قرأ بتاء الخطاب احتمل أن تكون أم منقطعة بمعنى استئناف

وجه قوله أم يقولون الى أنه استفهام مستانف كقوله أم يقولون افتراه وكما يقال انها الابل أم شاء وانما جعله استفهاما مستانفا لمجيء خبر مستانف كما يقال أتقوم أم يقوم أخوك فيصير قوله أم يقوم أخوك خبرا مستانفا لجملة ليست من الاول واستفهاما مبتدأ ولو كان نسقا على الاستفهام الاول لكان خبرا عن الاول فقيل أتقوم أم تقعد وقد زعم بعض أهل العربية ان ذلك اذا قرئ كذلك بالياء فان كان الذي بعد أم جملة تامة فهو عطف على الاستفهام الاول لان معنى الكلام قيل أي هذين الامرين كائن هذا أم هذا والصواب من القراءة عندنا في ذلك أم تقولون بالتاء دون الياء عطفا على قوله قل أتحاجوننا بمعنى أي هذين الامرين تفعلون أتجادلوننا في دين الله فتزعمون انكم أولى منا وأهدى منا سبيلا وأمرنا وأمركم ما وصفنا على ما قد بيناه أيضا أم تزعمون أن ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ومن سمى الله كانوا هودا أو نصارى على ملتكم فيصح للناس بهتكم وكذبكم لان اليهودية والنصرانية حدثت بعد هؤلاء الذين سماهم الله من أنبيائه وغير جائزة قراءة ذلك بالياء لشذوذها عن قراءة القراء وهذه الآية أيضا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم على اليهود والنصارى الذين ذكر الله قصصهم يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى أتحاجوننا في الله وتزعمون ان دينكم أفضل من ديننا وانكم على هدى ونحن على ضلالة ببرهان من الله تعالى ذكره فتدعوننا الى دينكم فهاتوا برهانكم على ذلك فنتبعكم عليه أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى على دينكم فهاتوا على دعواكم ما ادعيتم من ذلك برهانا فنصدقكم فان الله قد جعلهم أئمة يقتدى بهم ثم قال تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد ان ادعوا ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى أأنتم أعلم بهم وبما كانوا عليه من الاديان أم الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) فان زعمت يا محمد اليهود والنصارى الذين قالوا لك ولاصحابك كونوا هودا أو نصارى ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى فمن أظلم منهم يقول وأي امرئ أظلم منهم وقد كتموا شهادة عندهم من الله بان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا مسلمين فكتموا ذلك ونحلوهم اليهودية والنصرانية واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فحدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله في قول يهود لابراهيم واسمعيل ومن ذكر معهما انهم كانوا نصارى٧ فيقول الله لا تكتموا مني شهادة ان كانت عندكم فيهم وقد علم انهم كاذبون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله في قول اليهود لابراهيم واسمعيل ومن ذكر معهما انهم كانوا يهود أو نصارى فقال الله لهم لا تكتموا مني الشهادة فيهم ان كانت عندكم فيهم وقد علم الله انهم كانوا كاذبين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني اسحق عن أبي الاشهب عن الحسن انه تلا هذه الآية أم يقولون ان ابراهيم واسمعيل الى قوله قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قال الحسن والله لقد كان عند القوم من الله شهادة ان أنبياءه برآء من اليهودية والنصرانية كما ان عند القوم من الله شهادة ان أموالكم ودماءكم بينكم حرام فيما استحلوها حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله أهل الكتاب كتموا الاسلام وهم يعلمون انه دين الله وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انهم لم يكونوا يهود ولا نصارى وكانت اليهودية والنصرانية بعد هؤلاء بزمان وانه عنى تعالى ذكره بذلك أن اليهود والنصارى ان ادعوا أن ابراهيم ومن سمى معه في هذه الآية كانوا هودا أو نصارى تبين لاهل الشرك الذين هم نصراؤهم كذبهم

---

٧ هكذا هو بالاصل ولعل فيه سقطا فان اليهود لا يقولون عن المذكورين كانوا نصارى تأمل اهـ

استفهام آخر أي بل أتقولون والهمزة للانكار كما في أتحاجوننا واحتمل أن تكون متصلة بمعنى أي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء انكارا عليهم واستجهالا لا لهم بما كان منهم وعن الزجاج بأي الحجتين تتعلقون في أمرنا أبالتوحيد فنحن موحدون أم باتباع دين الانبياء فنحن متبعون ومن قرأ بياء الغيبة فلا تكون الا منقطعة لانقطاع الاستفهام الاول بسبب الالتفات قل أأنتم أعلم أم الله بل الله أعلم وخبره أصدق وقد أخبر في التوراة والانجيل والقرآن بان ابراهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وكيف لا وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده ولانهم مقرون بان الله أعلم وقد أخبر نقيض ما ادعوه فان قالوا ذلك عن ظن فقد بان لهم خطؤه وان قالوا ذلك عن جحود وعناد فما أجهلهم وأشقاهم فان فائدة الكلام اما التنبيه واما التجهيل ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من

وادعاءهم على أنبياء الله الباطل لان اليهودية والنصرانية حدثت بعدهم وان هم نفوا عنهم اليهودية والنصرانية قيل لهم فهلموا الى ما كانوا عليه من الدين فانا وأنتم مقرون جميعا بانهم كانوا على حق ونحن مختلفون فيما خالف الدين الذي كانوا عليه وقال آخرون بل عنى تعالى ذكره بقوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اليهود في كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهم يعلمون ذلك ويجدونه في كتبهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى أولئك أهل الكتاب كتموا الاسلام وهم يعلمون انه دين الله واتخذوا اليهودية والنصرانية وكتموا محمدا صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قال الشهادة النبي صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم وهو الذي كتموا حدثني المثنى قال ثني ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع نحو حديث بشر بن معاذ عن يزيد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قال هم يهود يسألون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صفته في كتاب الله عندهم فيكتمون الصفة وانما اخترنا القول الذي قلنا في تأويل ذلك لان قوله تعالى ذكره ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله في أثر قصة من سمى الله من أنبيائه وامام قصته لهم فأولى بالذي هو بين ذلك ان يكون من قصصهم دون غيره فان قال قائل وأية شهادة عند اليهود والنصارى من الله في أمر ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط قيل الشهادة التي عندهم من الله في أمرهم ما أنزل الله اليهم في التوراة والانجيل وأمرهم فيهما بالاستنان بسنتهم واتباع ملتهم وانهم كانوا حنفاء مسلمين وهي الشهادة التي عندهم من الله التي كتموها حين دعاهم نبي الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا له لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقالوا له ولاصحابه كونوا هودا أو نصارى تهتدوا فأنزل الله فيهم هذه الآيات في تكذيبهم وكتمانهم الحق وافترائهم على أنبياء الله الباطل والزور ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) يعني تعالى ذكره بذلك وقل لهؤلاء اليهود والنصارى الذين يحاجونك يا محمد وما الله بغافل عما تعملون من كتمانكم الحق فيما ألزمكم في كتابه بيانه للناس من أمر ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط في أمر الاسلام وأنهم كانوا مسلمين وان الحنيفية المسلمة دين الله الذي على جميع الخلق الدينونة به دون اليهودية والنصرانية وغيرهما من الملل ولا هو ساه عن عقابكم على فعلكم ذلك بل هو محص عليكم حتى يجازيكم به من الجزاء ما أنتم له أهل في عاجل الدنيا وآجل الآخرة فجازاهم عاجلا في الدنيا بقتل بعضهم واجلائه عن وطنه وداره وهو مجازيهم في الآخرة العذاب المهين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) يعني تعالى ذكره بقوله تلك أمة ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قوله تعالى تلك أمة قد خلت لها يعني ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله وقد بينا فيما مضى ان الامة الجماعة فمعنى الآية اذا قل يا محمد لهؤلاء الذين يجادلونك في الله من اليهود والنصارى ان كتموا ما عندهم من الشهادة في أمر ابراهيم ومن سمينا معه وانهم كانوا مسلمين وزعموا انهم كانوا هودا أو نصارى فكذبوا ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط أمة قد خلت أي مضت لسبيلها فصارت الى ربها وخلت بأعمالها وآمالها لها عند الله ما كسبت من خير في

الله قوله من الله اما ان يتعلق بأظلم والمعنى لو كان ابراهيم وبنوه هودا أو نصارى ثم ان الله كتم هذه الشهادة لم يكن أحد ممن يكتم شهادة أظلم منه لان الظلم من الاعدل أشنع واما أن يتعلق بكتم أي لا أحد أظلم ممن عنده شهادة ثم انه لم يقمها عند الله وكتمها وأخفاها منه واما ان يتعلق بشهادة كقولك عندي شهادة من فلان ومثله براءة من الله ورسوله والمعنى ليس أحد أظلم ممن كتم شهادة عنده جاءته من الله وفيه اشارة الى أن المؤمنين لم يكتموا ما عندهم من الحق وشهدوا لابراهيم بالحنيفية وتعريض بان أهل الكتاب قد كتموا شهادات الله فانكروا نبوة محمد وحنيفية ابراهيم وغير ذلك من تحريفاتهم وما الله بغافل عما تعملون كلام جامع لكل وعيد ضرالهم ولا بهم ولو أن أحدا كان عليه رقيب من قبل ملك مجازي لكان دائم الحذر والوجل فكيف بالرقيب القريب الذي يعلم أسراره ويعد عليه أنفاسه وأفكاره ثم هو يقدر على ان يدخله

أيام حياتها وعليها ما اكتسبت من شر لا ينفعها غير صالح أعمالها ولا يضرها الا سيئها فاعملوا أيها اليهود والنصارى ذلك فانكم ان كان هؤلاء هم الذين بهم تفتخرون وتزعمون ان بهم ترجون النجاة من عذاب ربكم مع سيآتكم وعظيم خطيئاتكم لا ينفعهم عند الله غير ما قدموا من صالح الاعمال ولا يضرهم غير سيئها فانتم كذلك أحرى ان لا ينفعكم عند الله غير ما قدمتم من صالح الاعمال ولا يضركم غير سيئها فاحذروا على أنفسكم وبادروا خروجها بالتوبة والانابة الى الله مما أنتم عليه من الكفر والضلالة والفرية على الله وعلى أنبيائه ورسله ودعوا الاتكال على فضائل الآباء والاجداد فانما لكم ما كسبتم وعليكم ما اكتسبتم ولا تسألون عما كان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط يعملون من الاعمال لان كل نفس قدمت على الله يوم القيامة فانما تسئل عما كسبت وأسلفت دون ما أسلف غيرها

(تم الجزء الاول من تفسير القرآن الجليل للامام محمد بن جرير الطبرى وبهامشه الجزء الاول من تفسير النيسابورى ويليه الجزء الثانى أوله القول فى تأويل قوله تعالى سيقول السفهاء)

جنسه أونارة تلك أمة اشارة الى ابراهيم وبنيه كما مر وانما أعيدت الآية ههنا لغرض آخر وهو زجرهم عن الاشتغال بوصف ما عليه الامم السالفة من الدين فان أديانهم لا تنفع الا اياهم لاندراس آثارها وانطماس أنوارها وأما الآن فالدين هو الاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان البين فيجب اتباع المعلوم واقتفاؤه والقاء المظنون والغاؤه ولا يسئل المتأخر عن المتقدم ولا المحسن عن المسيء وكل بعمله مجزى

وادعاءهم على أنبياء الله الباطل لان اليهودية والنصرانية حدثت بعدهم وان هم نفوا عنهم اليهودية
والنصرانية قيل لهم فهلموا الى ما كانوا عليه من الدين فانا وأنتم مقرون جميعا بانهم كانوا على حق ونحن
مختلفون فيما خالف الدين الذى كانوا عليه وقال آخرون بل عنى تعالى ذكره بقوله ومن أظلم ممن كتم
شهادة عنده من الله اليهود فى كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهم يعلمون ذلك ويجدونه
فى كتبهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم تقولون ان
ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى أولئك أهل الكتاب كتموا الاسلام
وهم يعلمون انه دين الله واتخذوا اليهودية والنصرانية وكتموا محمدا صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل حدثنا الحسن بن يحيى قال
ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قال الشهادة
النبى صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم وهو الذى كتموا حدثنى المثنى قال ثنى ابن أبى جعفر عن
أبيه عن الربيع نحو حديث بشر بن معاذ عن يزيد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن
زيد فى قوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قال هم يهود يسألون عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن
صفته فى كتاب الله عندهم فيكتمون الصفة وانما اخترنا القول الذى قلناه فى تأويل ذلك لان قوله تعالى
ذكره ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله فى أثر قصة من سمى الله من أنبيائه وامام قصته لهم فاولى
بالذى هو بين ذلك ان يكون من قصصهم دون غيره فان قال قائل وأية شهادة عند اليهود والنصارى
من الله فى أمر ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط قيل الشهادة التى عندهم من الله فى
أمرهم ما أنزل الله اليهم فى التوراة والانجيل وأمرهم فيهما بالاستنان بسنتهم واتباع ملتهم وانهم
كانوا حنفاء مسلمين وهى الشهادة التى عندهم من الله التى كتموها حين دعاهم نبى الله صلى الله
عليه وسلم الى الاسلام فقالوا له لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقالوا له ولاصحابه كونوا هودا
أو نصارى تهتدوا فانزل الله فيهم هذه الآيات فى تكذيبهم وكتمانهم الحق وافترائهم على أنبياء الله
الباطل والزور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) يعنى تعالى
ذكره بذلك وقل لهؤلاء اليهود والنصارى الذين يحاجونك يا محمد وما الله بغافل عما تعملون من
كتمانكم الحق فيما ألزمكم فى كتابه بيانه للناس من أمر ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
فى أمر الاسلام وأنهم كانوا مسلمين وان الحنيفية المسلمة دين الله الذى على جميع الخلق الدينونة به دون
اليهودية والنصرانية وغيرهما من الملل ولا هو ساه عن عقابكم على فعلكم ذلك بل هو محص عليكم حتى
يجازيكم به من الجزاء ما أنتم له أهل فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة فجازاهم عاجلا فى الدنيا بقتل بعضهم
واجلائه عن وطنه وداره وهو مجازيهم فى الآخرة العذاب المهين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) يعنى تعالى ذكره
بقوله تلك أمة ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا
يزيد عن سعيد عن قتادة قوله تعالى تلك أمة قد خلت يعنى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع
مثله وقد بينا فيما مضى ان الامة الجماعة فمعنى الآية اذا قل يا محمد لهؤلاء الذين يجادلونك فى الله من
اليهود والنصارى ان كتموا ما عندهم من الشهادة فى أمر ابراهيم ومن سمينا معه وانهم كانوا مسلمين
وزعموا انهم كانوا هودا أو نصارى فكذبوا ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط أمة قد
خلت أى مضت لسبيلها فصارت الى ربها وخلت باعمالها وآمالها لها عند الله ما كسبت من خير فى

الله قوله من الله اما ان يتعلق باظلم
والمعنى لو كان ابراهيم وبنوه
هودا أو نصارى ثم ان الله كتم هذه
الشهادة لم يكن أحد ممن يكتم
شهادة أظلم منه لان الظلم من الاعدل
أشنع واما أن يتعلق بكتم أى لا أحد
أظلم ممن عنده شهادة ثم انه لم يقمها
عند الله وكتمها وأخفاها منه واما ان
يتعلق بشهادة كقولك عندى
شهادة من فلان ومثله براءة من
الله ورسوله والمعنى ليس أحد
أظلم ممن كتم شهادة عنده جاءته
من الله وفيه اشارة الى أن المؤمنين
لم يكتموا ما عندهم من الحق وشهدوا
لابراهيم بالحنيفية وتعريض
بان أهل الكتاب قد كتموا شهادات
الله فانكروا نبوة محمد وحنيفية
ابراهيم وغير ذلك من تحريفاتهم
وما الله بغافل عما تعملون كلام جامع
لكل وعيد ضرالهم ولابهم ولو أن
أحدا كان عليه رقيب من قبل
ملك مجازى لكان دائم الحذر
والوجل فكيف بالرقيب القريب
الذى يعلم أسراره ويعد عليه أنفاسه
وأفكاره ثم هو يقدر على ان يدخله

أيام حياتها وعليها ما كسبت من شر لا ينفعها غير صالح أعمالها ولا يضرها الا سيئها فاعلموا أيها اليهود والنصارى ذلك فانكم ان كان هؤلاء هم الذين بهم تفتخرون وتزعمون ان بهم ترجون النجاة من عذاب ربكم مع سيآتكم وعظيم خطيئاتكم لا ينفعهم عند الله غير ما قدموا من صالح الاعمال ولا يضرهم غير سيئها فانتم كذلك أحرى ان لا ينفعكم عند الله غير ما قدمتم من صالح الاعمال ولا يضركم غير سيئها فاحتذروا على أنفسكم وبادروا خروجها بالتوبة والانابة الى الله مما أنتم عليه من الكفر والضلالة والفرية على الله وعلى أنبيائه ورسله ودعوا الاتكال على فضائل الآباء والاجداد فانما لكم ما كسبتم وعليكم ما اكتسبتم ولا تسالون عما كان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط يعملون من الاعمال لان كل نفس قدمت على الله يوم القيامة فانما تسئل عما كسبت وأسلفت دون ما أسلف غيرها

جنته أوناره تلك أمة اشارة الى ابراهيم وبنيه كما مر وانما أعيدت الآية ههنا الغرض آخر وهو زجرهم عن الاشتغال بوصف ما عليه الامم السالفة من الدين فان أديانهم لا تنفع الا اياهم لاندراس آثارها وانطماس أنوارها وأما الآن فالدين هو الاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان البين فيجب اتباع المعلوم واقتفاؤه والقاء المظنون والغاؤه ولا يسئل المتاخر عن المتقدم ولا المحسن عن المسيء وكل بعمله مجزى

(تم الجزء الاول من تفسير القرآن الجليل للامام محمد بن جرير الطبري وبهامشه الجزء الاول)

(من تفسير النيسابوري ويليه الجزء الثاني أوله القول في تأويل قوله تعالى سيقول السفهاء)